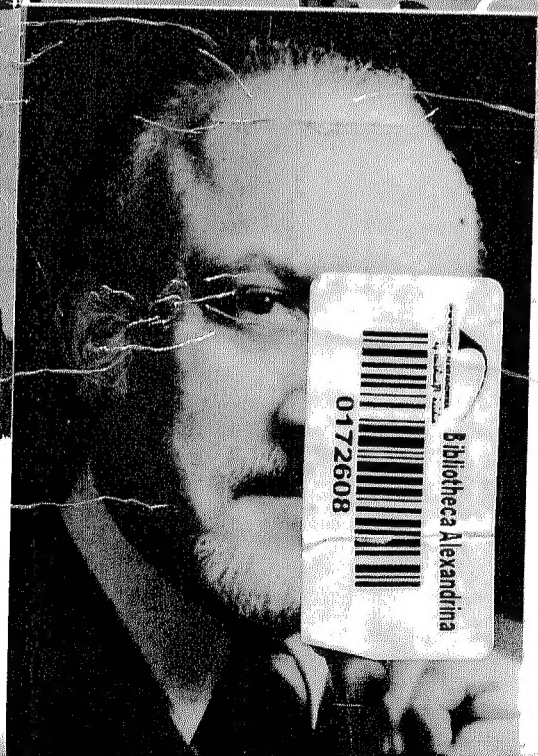


أزمة الامة العربية وثورة اليمن

دكتور

عبدالرحمن البيضاني

نائب رئيس مجلس قيادة الثورة اليمنية



أزمة الامة العربية
وشوة اليمن

مراسلات المؤلف
صندوق بريد ٥٧١ المعادى - القاهرة
جمهورية مصر العربية

اهداءات ٢٠٠١
ربان / حمدي محمد المنعم خالى
الإسكندرية

© حقوق النشر محفوظة للمؤلف

الغلاف : تصميم المؤلف وتنفيذ الفنان مصطفى حسين
وتم الطبع بمطابع المكتب المصرى الحديث - القاهرة
فى أول يناير سنة ١٩٨٤

أزمة الامة العربية وثورة اليمن

دكتور

عبدالرحمن البيضاوي

نائب رئيس مجلس قيادة الثورة اليمنية

اعرف نفسك :

دبلوم التجارة وتيسانس الحقوق ودبلوم الدراسات العليا في الاقتصاد السياسي ودبلوم الدراسات العليا في الشريعة الإسلامية من جامعة القاهرة ودبلوم العلوم الاقتصادية والسياسية ودكتوراه في الاقتصاد السياسي من جامعة بون بألمانيا الغربية ..

ناشط رئيس مجلس قيادة الثورة في الجمهورية العربية اليمنية
ونائب رئيس الجمهورية ووزير الاقتصاد والخارجية سابقا
ومؤسس البنك اليمني للإنشاء والتعمير ..

نداء

إلى ..
الذين يشدّون الرحال إلى الحقيقة ..
شدّوا رحالكم معي ..
في رحلة شاقة ..

عبد الرحمن البيضاوي

أول يناير ١٩٨٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ
 اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ
 بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ
 مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ .
 وَلِتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
 وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَلَا تَكُونُوا
 كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ
 وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ .

صدق الله العظيم

تهديد

يتساءل قارئ : لماذا أتحدث عن الأمة العربية عندما أتحدث عن ثورة اليمن ؟
شغلنى هذا السؤال منذ فجر شبابى ، عندما بدأت أبحث عن جذور المأساة فى اليمن ،
فهزنى صراخى الذى انطلق من أعماقى ، عندما اقتربت يدى من جراحى العربية .
الجراح العربية التى فجرت النزيف الدموى فى اليمن .
لم أدرك ، فى فجر شبابى ، إن دماء اليمن التى خضبت أرضها قد أخذت تنزف من
شرايينها منذ أن تمزق القلب العربى ، وانقطعت علاقته بالعقل القومى ، حتى فقد
الوعى ، وملكة الإدراك ، ونعمة الألم ، وقدرة الحركة .
ثم تجرد من غريزة الدفاع . وخيال المستقبل .
فقد التمييز بين ما يسر وما يضر . وضاع العرب وتاهت اليمن .
أو تاهت اليمن فى ضياع العرب .
لم أدرك ، فى فجر شبابى ، أن القلب العربى المسلم الذى عرفناه ، قد أصبح حطاما
لذكرى قلب كان يبعث فىنا الحياة ، يرفعنا متوجين على رؤوس العمالق ، منفردين وحدنا
على قمة التاريخ .
تفرقنا بعد الخلفاء الراشدين ، وأمجاد المؤمنين الفاتحين ، واختلفنا من بعد أن جاءتنا
البيئات ، وتمزقنا شيعة وخوارج ، أمويين وعباسيين ، هاشميين وعلويين ، زيديين
وإماميين ، سنيين متخاصمين ، عرب وعثمانيين ، سادة وقحطانيين .
ألوان صارخة من صراعات دموية ، خلقتها بواعث شخصية ، تسترت فى شعارات
دينية ، ومزادات سياسية ، وصراعات إقليمية ، وعصبيات جاهلية .
فسقطت الأمة العربية والإسلامية فى حفرة النار التى حذرنا الله منها ، حفرة التفرق
والإختلاف ، التى زادتتها إشتعالا شعارات جاهلية جديدة ، تزيفت بمسميات عصرية : لم
تخرج عن كونها لا تزال جاهلية ، فظهر اليمين واليسار ، ويمين اليمين ويسار اليمين ،
ويمين اليسار ويسار اليسار ، والانحياز وعدم الانحياز .

وضاعت المصلحة العربية والإسلامية ما بين حفرة وحفرة .

فهل تنجو اليمن من هذا الحريق ، وهى جزء من الأمة العربية ، حطها سيل التاريخ القاسى فى نفس الطريق ؟

هل تفلت اليمن من الجغرافيا القومية ، التى أوقفتها على باب المندب ، القسبة الهوائية للأمة العربية ، والشريان التاجى فى خريطة الشرق السياسية ؟

هل تهرب اليمن من خريطة الأطماع الأجنبية ، التى عاصرت سقوط الشخصية العربية الإسلامية والقومية ؟ .

لماذا تفرقنا واختلفنا ؟ .

أين منا أمة من المفلحين يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ؟

كيف قطعنا حبل الله ؟ .

وما هو المعروف الذى جهلناه ؟ .

والخير الذى فقدناه ؟ .

والمنكر الذى نحياه ؟ .

أسئلة حائرة ، حاولت الإجابة عليها فى هذا الكتاب ، الذى لم أضع له فهرسا مفصلا ولا عناوين محددة ، حتى لا يتعجل أحدنا فيقرأ بعض النتائج منفصلة عن مقدماتها ، فيأخذ منها موقفا مسبقا .

أردت أن أعيب الكتاب ، وكان ورائى باعث بترك كل قارئ يعيش مع أحداثه ، ينظر إليها من زوايا أكثر بعدا ، ينزل بها إلى أغوار أكثر عمقا ، فتنمو معه أفكار أخرى ، أجدى نفعا ، وأعظم قدرة على إنقاذ المصير العربى من الأزمة العربية .

هذا الكتاب يتضمن ما أمكننى جمعه من حقائق ، وما توصلت إليه من حلول ، واثقا كل الثقة فى أن عددا من المفكرين سوف يهتدون إلى خير منها .

سواء فى هذا الجيل عندما يشعر بالحريق .

أو الأجيال القادمة عندما تصحر من بين الرماد .

فتبحث عن أمل ضائع ..

مدخل

يتفق المصلحون على أن الطريق الأمثل للإصلاح هو الطريق الأسهل وصولاً إليه .
وهو لا يكون طريقاً سهلاً إلا إذا انبثق من طاقات الشعوب المتطلعة إلى التطور نحو المستقبل الأفضل .

قضية لا يختلف عليها عقلاء .

يؤكد هذا علم الاجتماع الذى يدلنا على الارتباط العضوى بين أحوال الشعوب وطاقاتها القابلة للتطور ، التى لا تنتظر من المصلحين سوى قيامهم بتجديد قدراتهم الذهنية الخلاقة ، وهم يرسمون المستقبل الأفضل الذى يرجونه لشعوبهم ، ثم قيامهم بتنظيم الطاقات الوطنية المهيئة للتطور لدفعها إلى تحقيق الحد الأقصى الممكن من الغايات المستهدفة ، فى إطار من الظروف المحلية ونطاق من الظروف الخارجية التى تؤثر فيها وتتأثر بها .

هذا الطريق السهل لا يختلف عليه أحد .

لكنه عندما يفتن المصلحون إلى استحالة تحقيق الإصلاح باختيار الطريق السهل فإنهم يلجأون إلى علم التاريخ ، حتى يدلهم على جذور العقبات التى تحول دون التطور نحو الأفضل .

وعندما يتعرفون على جذور هذه العقبات فإنهم يبدؤون العمل الشاق من أجل اقتلاعها من جذورها التاريخية ، لأنها تكون قد تمكنت من صياغة التركيب الاجتماعى المناقض للإصلاح ، وفرضت النظام السياسى الذى يعتمد على التخلف ، وتسلك إلى التكوين النفسى للشعب الذى يحلم بالمستقبل الأفضل بينما يخاف من العمل على تحقيقه .

كانت هذه الحياة حياة اليمين .

ومع ذلك ..

أسرف بعض المعلقين فى عتابى لاختيارى طريق الثورة الشاق ، وكأننى كان فى وسعى أن أدعو إلى اختيار الطريق السهل .

هؤلاء العاتبون معذرون لأنهم لا يعرفون أننى أمضيت أكثر من عشرة أعوام حاولت فيها ، كغيرى ، إصلاح اليمين من خلال نفس النظام الإمامى ، ولما فشلت لجأت إلى علم التاريخ فدللت على جذور العقبات التى تحول دون تطور اليمين نحو الأفضل .

تلك العقبات التي لم يكن لها في تاريخ الشعوب مثل أو شبيهه ، وهي تغوص بجذورها الشرسة إلى أعماق ألف ومائة عام من عمر اليمن ، هي من عمر الأمة العربية الإسلامية كل الزمن .

لم يسمح التطور الحضاري العالمي بأن ينتظر شعب اليمن وحده ، دون سائر شعوب الأرض ، مئات أخرى من السنين حتى تكتمل لديه عناصر التطور بالقدر المثالي الذي يرجح اختيار الطريق السهل الذي يحقق الإصلاح ، فاعتمدت في الدعوة إلى الثورة على إلحاح الجماهير وإصرارها على التغيير ، وكانت هذه الدعوة تضع في اعتبارها احتمال تعرضها لمفاجآت لم يكن من المستطاع تقديرها أو حسابها بين جماهير مسلحة ، تدفعها ظروفها المتخلفة إلى الثورة بينما تشدها نفس هذه الظروف إلى الثورة المضادة .

لم يكن هناك مفر من قبول هذه المجازفة بعد أن أخذنا دروسا قاسية ممن سبقونا إلى محاولة إصلاح اليمن مع إحتفاظهم بنفس العقبات التي تحول دونه ، عندما كانوا يتصورون أن لهم مصالح شخصية حقيقية من وراء استمرار الحفاظ على الامتيازات السلالية والطبقية والمذهبية ، فحافظوا عليها حتى سقطت رؤوسهم بين أنياب النظام الإمامي المتخلف ، الذي تصوروا أنهم قادرون على تحقيق الإصلاح على نفس ركائزه الاجتماعية والسياسية ، المناقضة لكل إصلاح ، الرافضة لكل تطور .

حاول زعماء الإصلاح في اليمن سنة ١٩٤٨ بزعامة الإمام الثائر عبد الله بن الوزير أن يفرضوا الإصلاح من خلال نظام الحكم الإمامي فسقطت رأس الإمام الثائر ورؤوس الكثيرين من أهله مع معظم من اشتركوا معه من زعماء اليمن المصلحين .

في سنة ١٩٥٥ حاول المصلح اليمني المقدم أحمد يحيى الثلاثيا مع الأميرين سيف الإسلام عبد الله وسيف الإسلام العباس أخوة الإمام الحاكم أن يصلحوا اليمن في ظل هذا النظام الإمامي فقطع الإمام رؤوسهم مع غيرهم من دعاة الإصلاح في اليمن .

في سنة ١٩٥٩ حاول المصلح اليمني الشيخ حسين بن ناصر الأحمر وابنه الشيخ حميد ومن كان معهما من المصلحين إصلاح اليمن في ظل نفس النظام فسقطت رؤوسهم دون أن ينجزوا شيئا .

حتى سنة ١٩٦٠ كنت أحاول ، مع المصلحين إصلاح اليمن تحت راية البدر ولي العهد فصفعه والده الإمام أحمد على مرأى ومسمع من المصلحين ، ثم سجن بعضهم وذبح أكثرهم ، وهرب من احتفظ بهم القدر لمحاولة أخرى . وأحمد الله أنني كنت أحدهم .

في أقل من ربع قرن ، قبل الثورة ، سقطت المئات من رؤوس المصلحين من رجال اليمن من جميع السلالات والطبقات والمذاهب وأصحاب الإمتيازات ولم يتحقق أى إصلاح .

خلال ألف ومائة عام لا نكاد نعثر على إمام واحد مات على فراشه موتا طبيعيا حيث كان المتنافسون المتطلعون إلى منصب الإمامة يقتل بعضهم بعضا باسم الإصلاح ، ولم يكن للشعب اليمني سوى أن يقدم رؤوس أبنائه ومصلحيه على مذبح الصراع المستمر

على العرش حتى لم يعد فى سيرة اليمن أى جديد ، وأصبح شبح الموت لا يفارق شعبها ، وأصبح فى كل بيت مأتم وبكل أسرة أرملة ، ومع كل أرملة أيتام ، ولم يعد للأئمة الحاكمين من عمل سوى حبك الإغلال وصك القيود ، ودبغ السياط ، وصقل السيوف ، وإقامة السجون ، ثم ملء التاريخ بما تضيق به الإنسانية ، وتقشعر منه الأبدان .

كانت هذه الحياة حياة اليمن .

شفاؤها أمراض ، حريتها سجون ، أمنها مذابح ، خيرها ذل ، يقينها شك ، أملها بأس ، نعيمها شقاء .

أحيائها يحاولون الحياة . يعيشون فى بيوت كأنها مقابر . يحيون فيها أمواتا ينتظرون ساعة الحشر . حرمهم الأئمة من الدنيا فأصبحوا يستعجلون الآخرة . لا يحسون بلوعة الفراق لأنهم لا يشعرون بلذة الوجود .

كانت هذه الحياة حياة اليمن .

نشيدها حزين ، ولحنها أنين .

وشعبها يتمزق فيتشتت فى مآهات الأرض ، ثم يلتقى فيلتئم فى نعوش وجناز ومقابر .

لم يكن هناك مفر من اختيار الطريق الصعب فنادت بالثورة الجذرية .

وعندما نبشنا قبرنا وظهرنا من بين التراب لم يكد أحد يتعرف علينا ، وكاد أشقاؤنا يستنكرون بعثنا قبل يوم القيامة .

ولعل ظروف المفاجأة التى عاصرت صحوة الموتى ، مع سرعة تداعى الأحداث ، قد أسهمت فى إسدال الستائر الكثيفة على النوايا الطيبة التى كانت تملأ قلوبنا وقلوب جيراننا واشقاؤنا ، فضلا عن مضاعفات الأزمة العربية التاريخية التى توارثناها جيلا من بعد جيل ، حتى أغرت الأطماع الأجنبية فتسللت إلى عروق هذه الأجيال ومزقت الجسد العربى ، فأصبح أشلاء متباعدة متناقضة ، إذا اشتكى منها عضو لا تتداعى له سائر الأعضاء بالسهرة والحمى ، وإنما بالتظاهر بالأسى ، والأسف ، مع إخفاء البهجة والسرور بما يحل به من نكبات وينهش فى عظامه من خراب .

هكذا كانت دعوتى إلى الثورة الجذرية بين أنياب المأساة اليمنية ومخالب الأزمة العربية .

اخترنا الطريق الصعب الذى لم يكن أمامنا غيره .

ومع ذلك ..

حتى كتابة هذه السطور يسألنى أصحاب النوايا الطيبة : لماذا اخترت الدعوة إلى هذا الطريق الصعب ؟

جوابى على هذا السؤال لا يزال هو بعينه تاريخ اليمن .

هو بذاته قصة الأمة العربية منذ أن بدأت أزمته التاريخية .

وفى مؤتمر صحفى فى جدة منشور يوم ٣٠ يناير سنة ١٩٧٥ فى المجلة السعودية (إقرأ) أجبت على نفس هذا السؤال بقولى :

(عندما أكون فى القبر المظلم لا أرى شيئا ، ولا زالت فى عروقى نبضة ضعيفة ، وأمل باهت فى إمكانية الحياة ، سأسعى بأية وسيلة إلى أن أطل برأسى لأرى النور .

وليس فى وسعى وأنا فى غياهب الظلام أن اختار الوسيلة المثلى حيث لا توجد فى القبر وسائل أخرى متعددة . ستفرض الوسيلة الوحيدة المتاحة نفسها على اختياري .

وحين أستطيع أن أطل برأسى وترى عيناى النور فلن أخسر شيئا إذا فقأتهما يد القدر وأعادتنى إلى القبر لأننى فى القبر لا أحتاج إلى عين .

أما إذا استطعت البقاء فوق الأرض وفقدت عيناى ومعهما بصرى فقد استطيع الحياة ببصيرتى .

ويظل هذا على أى حال هو الاختيار الأكثر عقلا .

هذا ما جرى فى اليمن .

سرنا فى الطريق الوحيد الذى لم نجد غيره .

وكنا عارفين بأشواكه ، مقدرين مخاطره .

لكننا كنا نعرف ما هو أكثر من ذلك .

كنا نعرف ما هو أخطر من هذه الأشواك والمخاطر .

كنا نعرف أنه ما لجرح بميت إيلام .

لقد استخدمنا حقنا فى رفض الموت البطيء .

ورفضنا التسكع الممل على هامش الدنيا .

وسلكنا الطريق الطويل الذى لم يكن له أمامنا من بديل .

ويستطيع الحكماء أن يطلقوا الحكمة من بعيد ، لكنهم عندما تحرقهم المأساة يرحبون بالخطب الجلل) .

ولقد رحبنا بالخطب الجلل ..

وصولا إلى المستقبل الأفضل ..

مساء ٢٤ يولية ١٩٦٢

فى بيت محمد أنور السادات رئيس مجلس الأمة ..
تبادلنا التهانى باطلاق الصاروخ الظافر والقاهر ..
وفجأة ..

تقلصت أعصاب صلاح نصر رئيس المخابرات العامة ..
وقال :

يا أخ عبد الرحمن يجب أن تصرف النظر عن ثورة اليمن ، وأن توقف كتاباتك عنها
فى مجلة روز اليوسف ، وأحاديثك من إذاعة صوت العرب .
قلت :

وما سبب هذا القرار المفاجىء ؟
قال :

لقد عرفت المخابرات الأمريكية جميع التفاصيل عن خطة الثورة من خلال حديث
جرى بين أحد مصادرها وبين القاض عبد الله الاربانى الذى يعالج فى مستشفى الجامعة
الأمريكية فى بيروت ، وكانت هذه التفاصيل قد وصلت إليه من تعز فى رسالة كتبها إليه
شقيقه القاضى عبد الرحمن الاربانى .
قلت :

هل تقول أن المخابرات الامريكية قد عرفت جميع التفاصيل ؟
قال :

نعم .. عرفت جميع التفاصيل ..
قلت :

إذن .. هذا أدعى إلى الاستمرار وليس إلى التوقف .
لأن المخابرات الأمريكية لن تصدق قيام ثورة فى اليمن على نحو هذه التفاصيل .
لماذا لا نستمر حتى تصلنا معلومات عن ردود فعل المخابرات الأمريكية ؟ لا سيما
أن عيوننا اليمنية مطلعة على معلومات وتحركات الإمام أحمد وولى عهده البدر وشقيق
الإمام الأمير سيف الإسلام الحسن وأنصارهم كما نتابع تحركات تنظيمى بريطانيا

وأمرىكا اللذين يعمل كل منهما على انتزاع العرش من أسرة حميد الدين .. وهم جميعا يقرأون منشوراتى فى روز اليوسف واذاغاتى من صوت العرب ، ويتوقعون الانفجار بين لحظة وأخرى ، ولم يتخذوا حتى الان أى إجراء وقائى أو مضاد .

ومن جانبى سألفت نظر الثوار فى اليمن كى يتوقفوا عن اعطاء معلومات أخرى للقاضى عبد الرحمن الاريانى ، وأن يعطوه بدلا منها معلومات مضللة كى تصل عن نفس الطريق إلى المخابرات الأمريكية ، ومع ذلك فإننى لا افترض أن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تبكى على رجال تنظيمها إذا سبقناهم من أجل النهضة باليمن لأنها لا تعارض التغيير فى اليمن فى الوقت الذى يعلن فيه الرئيس كنىدى أنه يؤيد نقطة الشعوب النامية .

وعلىنا أن نضع فى اعتبارنا أننا قد شجعنا الكثير من الأنصار فى اليمن ، وأنا إذا توقفنا فجأة مع احتمال وصول هذه المعلومات إلى الإمام لكان ذلك معناه أننا نسلم رقاب هؤلاء إلى سيوف الجلاد .

قال صلاح نصر :

لماذا لا نتوقف مؤقتا حتى نتأكد من عدم وجود ردود فعل أمريكية بعد أن عرفت أمريكا جميع التفاصيل ؟

قلت :

لماذا نترك الساحة لبريطانيا وأمريكا لتقيم إحداهما أسرة إمامية أخرى لا تلبث أن تتقلب على الشعب ؟

لماذا نتوقف أثناء السباق مع الزمن ؟

إننا إذا فعلنا ذلك فإن خسارتنا تصبح خسارة مؤكدة لأننا نتوقف بينما يستمر غيرنا فى السباق .

أما إذا بقينا فى حلبة السباق ثم أجبرتنا ظروف محتملة على التوقف فإن خسارتنا عندئذ تعتبر خسارة محتملة .

والاختيار التاريخى هو الآن :

هل نختار الخسارة المؤكدة .. فننتوقف ؟

أو نختار الخسارة المحتملة .. فنستمر ؟

أضفت :

إن الأسلحة والذخيرة التى أخذناها منكم لن تذهب هدرا ، ولن يدفنها الثوار ليأكلها الصدا فى صحراء اليمن ، وأننى وإن كنت لا أعرف لماذا لم يتحرك الثوار فى تعز فجر الأمس فأننى أعرف أنهم سوف يتحركون غدا أو بعد غد ، وأعرف أننا لن يطول بنا الانتظار .

ياسادتى :
دعونا نستمر .. ونحن على مقربة من تغيير التاريخ ..
واقفنى أنور السادات ..
وأيدنى جمال عبد الناصر ..
وتراجع صلاح نصر ..
فسبقنا تنظيمات الأسر الامامية المتنافسة ..
وتغيير التاريخ ..
سقط الحكم الامامى العنصرى فى اليمن ..
بعد ألف ومائة عام ..
رغم الأزمة العربية الطاحنة ..
ولهذا قصة ..
ابدأها من أولها ..
بتفاصيلها ..

عبدالرحمن البيضان

شهادة للتاريخ

وتحية لشهداء مصر على أرض اليمن

إن الثورة قد غيرت كافة أوجه الحياة في بلادنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها ، ونقلت شعبنا من مرحلة كاد يوشك فيها على الهلاك ، إلى مرحلة العيش والتفاعل مع معطيات العصر الحضارية .

ففى عهد النظام الإمامى كان يعيش حالة من العزلة والانغلاق ويخضع لسلطة فردية كهنوتية ، وتعمدت هذه السلطة أن تبقى شعبنا أسيرا لحياة القرون الوسطى فلا تعليم ، ولا مستشفيات ولا طرق ولا وسائل للاتصال بالعالم الخارجى ولا مؤسسات سياسية ولا أجهزة إدارية .

ولهذا الأسلوب كان شعبنا يعاني من كافة صور التخلف والقهر والعوز وبالتالي فقد جاءت الثورة بمثابة عملية إنقاذ للشعب اليمنى من الهلاك الذى كان سيؤول اليه لو استمر الحكم الإمامى .

ونحن لا ننسى دور مصر فى انجاح ثورة اليمن عام ١٩٦٢ .. ودورها البارز فى مسيرة الثورة اليمنية حتى الان .. فالمعلمون والمهندسون والأطباء ومعظم الأيدى التى تبني وتعمر هنا فى اليمن هى أيدى مصرية .

الأهرام ٩ أكتوبر ١٩٨٣

العقيد على عبد الله صالح

رئيس الجمهورية العربية اليمنية

الأخ العزيز الدكتور عبد الرحمن البيضاني الأكرم

بعد التحية

بلغنى أنك مهتم بكتابة مذكراتك عن الثورة اليمنية .

وأتمنى لك التوفيق والنجاح ليكونا اتماما لجهودك السابقة والتي بذلت فيها روحك لخدمة

الشعب الذى عبده دائما بعد الله

وتقبل تحياتى وشكرا

١٨ ابريل ١٩٨٣

اخوكم

توقيع

الفريق حسن العمرى

(عضو مجلس قيادة الثورة اليمنية)

من خرج في طلب العلم فهو
في سبيل الله حتى يرجع

حديث شريف

الهجرة في طلب العلم

الفصل الأول



الشيخ عبد ربه أحمد عبد الله البيضاوي - والد المؤلف



ولد أبى ، عبد ربه أحمد عبد الله البيضانى ، فى قبيلة مراد وأمضى طفولته فى مدينة البيضاء شرق اليمن .

كان يصغى ، كغيره من أطفال اليمن ، إلى قصص وروايات التجار الذين يجوبون الأرض بين مصر والشام من جهة ، وفارس والهند وجنوب شرق اسيا من جهة أخرى ، وهم عادة يحطون الرحال فى عدن وحضرموت وبعض بلاد جنوب وشرق اليمن . أجمعت القصص والروايات على ازدهار العلوم وارتقاء مستوى المعيشة فى تلك الدول ، وبصفة خاصة فى مصر حيث الأزهر الشريف منارة الحضارة الإسلامية وقلة الانتفاضات السياسية .

كان أبى دائم الحوار مع عمه بعد أن مات والده وأكمل حفظ القرآن قبيل التاسعة من عمره .

وكانت اسئلته لا تخرج عن أسباب النهضة التى سمع عنها خلف البحر (يقصد مصر) وأسباب التخلف فى وطنه (يقصد اليمن) . وهل يتقن المصريون فى طلب الرزق وسائل لا يعرفها شعب اليمن ، أو ان أرض اليمن أقل من بقاع الأرض ؟ .

كان يحاول أن يعرف أسباب ضعف اليمن وعجزها وانهايار مجدها الذى عرفه فى القرآن الكريم ، وقرأه فيما وصل إلى يده من كتب التاريخ ، ووقر فى أذنه من أحاديث الرواه .

وكان يسخر من نفسه ومن أبناء جيله الذين لا يفخرون إلا بماضيهم . ينثرون عليه نوافح الزهور ، وعرائس الأفكار والأشعار ، ولا يغنمون من حاضرمهم بغير أنياب الوحوش ومواكب البؤس .. والحزن والألم والحسرة .

رحل مع إحدى القوافل إلى عدن ثم وصل إلى مصر مع زملاء من اليمن يطلبون العلم فى الأزهر الشريف . وكان ذلك سنة ١٣٢١ هجرية ، ١٩٠٢ ميلادية ، وكان عمره قد أكمل التاسعة .

انقطع للدراسة فى الأزهر حتى حصل على شهادة الأهلية الأزهرية سنة ١٣٢٩ هجرية ، ١٩١٠ ميلادية تحت رقم مسلسل ٦٩٢ ، بينما زاول بعض زملائه من اليمنيين أعمالا تجارية بين مصر وعدن إلى جانب الدراسة التى تركوها فيما بعد ، عندما راجت تجارتهم حتى أصبحوا فى ذلك الوقت من كبار رجال التجارة فى مصر ، وكان من بينهم الشيخ سالم عمر باجنيد والشيخان سالم وسعيد بازرعه .

أما الذين واصلوا الدراسة في الأزهر فكان من بينهم الشيخ أحمد بن سلم والشيخ على حريبي والسيد محمد الأهدل شيخ رواق اليمن بالأزهر فيما بعد .

ثم حصل أبى على الشهادة العالمية للغرباء عام ١٣٣٤ هجرية ، ١٩١٥ ميلادية تحت رقم مسلسل ٣ وكان قد تعرف في الأزهر على زميل مصرى صادقه طوال سنوات الدراسة فتزوج من شقيقته في ١١ يونية سنة ١٩١٧ وهى أبنة أحد علماء الأزهر ، ثم كان مولدى يوم ٩ أغسطس سنة ١٩٢٦ بالقاهرة .

كان مولدى منعطفا حاسما فى مسار الامال الكبار التى كان تراود خيال أبى . فبعد أن كان قد تهيأ للعودة إلى اليمن ليعمل هناك حاكما شرعيا فى أحد الأقاليم اليمنية تنفيذا لأمر صدر اليه من الإمام يحيى حميد الدين إمام اليمن فى ذلك الوقت ، بدأ يشفق على نفسه إذا ما عاد بى إلى اليمن طفلا لا يجد كغيره من أطفال اليمن مكانا يتلقى فيه العلم فى وطنه .

تمهل فى سفره إلى اليمن واعتذر للإمام يحيى واشتغل محاميا شرعيا ، وكانت شهادة العالمية للغرباء تعطى صاحبها الحق فى مزاوله مهنة المحاماة أمام المحاكم الشرعية ، دون أن تكسبه الحق فى تولي منصب القضاء الشرعى الذى كان وفقا على المصريين الذين يحصلون على نفس هذه الشهادة العالمية بغير لفظ (الغرباء) . (الوثيقة رقم ٢) .

أفرغ أبى كل طاقته فى تلقينى الكثير من ألوان المعرفة ، إلى جانب ماورد فى مناهج الدراسة النظامية فى المدرسة ، وكان قد ألحقنى بمدرسة التجارة المتوسطة بالظاهر رغبة فى أن أحصل على أسرع شهادة ولو متوسطة أعود بها معه إلى اليمن حيث كان صادق الولاء للإمام يحيى ، الذى طرد الأتراك من شمال اليمن وواصل الجهاد لطرد الانجليز من جنوبها .

كان أبى يملأ فراغ الوقت ، عندما يجد ثمة فراغ ، بالحديث عن اليمن ، عن ماضيها السعيد وحاضرها البائس ، ويلوم أبناء اليمن الذين تركوا أمجادهم تنهار فوق رؤوسهم ، وفى سمعهم وبصرهم ، عبر السنين العجاف ، ولم يصنعوا غير الاستسلام للضياع ، حتى أصبح تقليدا يمنية مستمرا ، وتراثا تاريخيا متأصلا فى نفسية المواطن اليمنى وشخصيته ، على مر السنين والعصور . ولعل أبى كان يسخر من نفسه ومن أبناء وطنه عندما كان يردد على مسامعى أن أهل اليمن ربما لم يسمعوا عن قوله تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) أو أنهم إذا كانوا قد سمعوه فإنهم لم يفهموه ، أو أنهم لم يشاءوا أن يفهموه حتى لا يتقلون على أنفسهم بمشقة التفكير فى التغيير .

كانت عادة اليمنيين الأصدقاء فى القاهرة أن يلتقوا يوميا على طعام الافطار فى بيت كبيرهم وشيخهم السيد حسن البار فى العباسية ، الذى كان عميدا للهاشميين فى مصر ممن كانوا من أصل يمنى . والهاشميون هم الذين ينتسبون إلى بنى هاشم من سلالة الرسول

ﷺ وكان السيد حسن البار زوج شقيقة زميلهم الشيخ سالم عمر باجنيد الذى أصبح من كبار التجار فى مصر ، بل كان أكبر من يستورد البن الصافى من اليمن والصابون النابلسى من الشام .

بعد تناول الافطار ينصرف كل منهم إلى عمله .

وكان هؤلاء الأصدقاء يقضون جميع أمسيات رمضان فى نفس هذا المكان بعد صلاة التراويح ، يقرأون القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة كما وردت فى صحيح البخارى . وكان أبى من أحرص الملتزمين بحضور اجتماعات الافطار صباح كل يوم واجتماعات القرآن والبخارى فى أمسيات رمضان . ولعله كان أكثرهم تخصصا فى الفقه الإسلامى وفهما لأسرار اللغة العربية ، أو كان الوحيد من بينهم الذى تخرج من الأزهر ونال شهادة العالمية للغرباء ، متفوقا فى البلاغة والبيان ، ممسكا بأسرار اللغة العربية إلى جانب العلوم الإسلامية ، فكان هو الذى يتصدى من بينهم لتلاوة صحيح بخارى وشرح الأحاديث النبوية الشريفة ، وكان يعقب ذلك حوار بين الحاضرين يشدهم إلى الحديث عن اليمن وأحوال اليمن ، ولذلك كان حريصا على أن يصحبني معه إلى هذه الجلسات الدينية اليمنية .

تعلمت الكثير مما سمعت فى هذه الجلسات .

سمعت السيد حسن البار صاحب الدار وعميد الهاشميين اليمنيين المقيمين فى مصر ، فى مناسبة وغير مناسبة ، يقول أنه قد ورد عن النبى ﷺ أن الناس جميعهم سواء وأنه (لا فرق بين عربى وعجمى إلا بالتقوى) وكان يحلو له أن يتلو ، ضمن ما يتلو ، الآية الكريمة (ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليم) .

لعله كان يستشعر حرجا من لقب السيد الذى يسبق اسمه ، أو كان يشفق على نفسه من عمادة الهاشميين اليمنيين فى مصر ، وكان يطلب من أبى أن يشرح معنى التقوى التى ترجح عند الله فضل المسلم على المسلم .

كان الرجل مثالا عظيما للتقوى ، ونموذجا فريدا للصلاح ، وكان قدوة حسنة فى التواضع .

جعلت أعشق الرجل ، وأخذت أفخر بأهل البيت وأهتف من أعماقى لسلالة النبى ، غاضبا أشد الغضب على عائشة بنت أبى بكر وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وغيرهم من الذين جاهدوا الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه وظاهروا عليه معاوية بن أبى سفيان وزرعوا أول بذرة للخلاف والصراع بين المسلمين .

كان حنين العودة إلى الوطن يسيطر على مشاعر الحاضرين عندما يصلون إلى الحديث عن اليمن ، ويتبادلون الأخبار التى تصل عنها أو منها ، وكانوا يتسابقون إلى ذكر أمجادها التاريخية وماضيها العريق .

عرفت منهم أن اليمن كانت أول بلد في العالم يشيد على أرضه العمارات ذات العشرين طابقا التي كان يشيدها المهندسون والعمال اليمنيون منذ آلاف السنين ، على نحو ما تغنى به المؤرخ الهمداني ، وأنه عندما توافدت على الرسول الكريم مواكب الشعب اليمني تعلن إيمانها بالله قال رسول الله (الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن هم أرق قلوبا وألين أفئدة ، الإيمان يمان والحكمة يمانية) .

عرفت من أبي ورفاقه أن رجال اليمن كانوا في طليعة الجيوش الإسلامية التي عمرت الأرض بعدئذ بالإيمان والعدالة والمساواة ، وأن الأغلبية الساحقة من جيوش عمرو بن العاص التي فتحت مصر كانت من رجال اليمن ، وكذلك أغلبية جيوش معاوية التي فتحت الشام ، وأغلبية جيوش عبد الرحمن الداخل التي فتحت المغرب ، وأن الجيوش اليمنية قد واصلت نشر الإسلام حتى وصلت في عهد عبد الملك بن مروان وبنه الأربعة إلى أسبانيا وجنوب فرنسا غربا ، ثم إلى الهند وتخوم الصين شرقا ، وأنه كان من بين القادة اليمنيين المشهورين أمير الأندلس السمع بن مالك الخولاني فاتح قرطبة ومؤسس الإمارة فيها سنة ٩٨ هجرية ، وعبد الرحمن الغافقي العكي اليمني بطل الفتح الإسلامي في أسبانيا سنة ١١٢ هجرية ، كما تشهد على ذلك قلعة همدان في قرطبة وقلعة خولان في غرناطة وقلعة يحصب في اشبيلية .

عرفت أيضا أن القبائل التي تسكن مصر في محافظات الشرقية والبحيرة والصعيد والاسكندرية كلها من القبائل اليمنية ، وإنه لا تزال أسماء بعض العائلات المصرية تحمل أصلها اليمني أمثال عائلات عبس ، وخولان ، وعامر ، وبنى مر ، وجهينة ، وعلام ، وعبيد ، وسالم .

كان ذلك بعض حديثهم عن أمجاد اليمن وماضيها العريق ، وكانوا يطربون له ، وينتشون منه ، ثم لا يملكون أنفسهم من الحسرة وهم يرثون حاضرها البائس المظلم ، وينعون مستقبلها الأسود الكئيب .

وأذكر أن حديثهم عن حاضرها البائس المظلم كان يتصدر الحديث كله ، وهم كغيرهم من أبناء اليمن الذين عرفوا الحياة خارج أسوارها لا يستطيعون أن يمكثوا أنفسهم عن ذكر ذلك الحاضر البائس المظلم .

كنت استغرب كل ما أسمعه عن اليمن ، وكنت استوعب كل ما يقال عنها . وكان الجميع يتبارون في وصف ما يسود فيها من ألوان التخلف والظلم والطغيان . كان أبي يقول أن أرضنا ليست أقل من بقاع الأرض ، وعقولنا ليست قاصرة عن عامة العقول ، وكان يتساءل عن سبب ضعفنا وعجزنا وفقرنا وانهيار مجدتنا ، هل كان أجدادنا خيرا منا ؟ فأصبحنا لا نفخر إلا بالماضي ، ننثر عليه نوافح الزهور ، وعرائس الأفكار والأشعار ، ثم لا نغتم من الحاضر بغير أنياب الوحوش ومواكب الحزن والآلم والحسرة ؟

كان أبى يتساءل لماذا تخون الدنيا ويقبح الوجود الجميل ؟ ولماذا يصمت الروض
الغرد وينزوى الشعب الأصيل ، فإذا بنا وليس لنا حاضر نسعد به ، ولامستقبل نتمناه ،
ولاحلم ولا أمل ولا رجاء .

هل تحامل على مجدنا عدل القدر ؟ أم تواطأ على بلدنا ظلم البشر ؟ أم تقاعسنا حيث
يجد الناس وتواكلنا حيث تنهض الأمم ؟ .

كان أبى يحلم باللحظة التى نستطيع فيها أن ننفذ عن أنفسنا غبار الزمن ، ونصحو
من غفوة الدهر ، كى يضحى تتأوبنا زئيرا ، ويأسنا بأسا ، فتصبح آمالنا حقائق .
وعندئذ .. تنذهب الشمس .. تتغير طلعتها ويتبدل غروبها .

وهى تطلع فى اليمن ، ولا يحفل بطلوعها انسان ، وتغرب ولا يأتى غروبها بغير
الظلمة واليأس والحمران .

كنت التقط هذه الكلمات بالذات ولا أنساها .

كانت تنزل على قلبى كالصواعق .

أصابتنى بجرح أدمى خيالى ، لكنه زرع فى أعماقى كل امالى .

خيالى كان محصورا فى العودة إلى وطنى كما غرس أبى فى نفسى ، أما امالى فكانت
لا نهائية .. وهى تصور لى مكانتى عندما أتم تعليمى فى مصر وأعود إلى اليمن ،
واشتراك مع أبناء وطنى فى العمل على استعادة أمجادنا التاريخية ونحن نضع معا حجر
الأساس فى بناء نهضتنا الحضارية .

تعلمت كثيرا فى هذه الجلسات اليمنية الدينية اللغوية ، وكان أبى أثناء عودتنا إلى بيتنا
كل ليلة يسألنى عما عرفت عن اليمن وحفظت من الايات والأحاديث ، وما تعلمت من
الشرح وما تلاه من حوار ، وكان يتوقع أن أتلو عليه ما سمعت ، كله . لا ينقص منه
شيء .

وأغلب ظنى ان اندماجى مع سيرة النبى ﷺ وشوقى لمتابعة سيرة اليمن قد غرسا
عندى منذ نعومة أظافرى عادة التركيز المستغرق عند الاستماع ، الذى يغوص فى
ذاكرتى ، حتى صرت قليل النسيان .

مع ذلك .. كان أبى عظيم الحسرة لأننى كنت قد بلغت الثانية عشر من عمري ولم
أحفظ القرآن كله كما يفعل غيرى من أبناء عمري سواء فى اليمن أو فى مصر ، وكان
أبى قد حفظ القرآن كله ولم يكن قد بلغ التاسعة من عمره ، وكان لا يزال فى اليمن .

اتجه أبى إلى استكمال ثقافتى الدينية واللغوية .

أما الثقافة الدينية فكان يتولاها بنفسه سواء فى البيت أو فى الجلسات الدينية الرمضانية
عند السيد حسن البار ، وأما الثقافة اللغوية فقد اتفق مع صديقه وزميله من الأزهر الشيخ

أحمد عيادة على أن يستأجرا مدرسا أزهريا ، يقوم بتعليمي مع صديقي وزميلي خالد ابن الشيخ أحمد عياده ، منهاجا لغويا شاملا يفوق منهاج اللغة العربية في المدرسة التي كنا ندرس فيها .

هذا المدرس الأزهرى كان خفيف الظل ، وكانت له جاذبية خاصة تصهر خيال التلاميذ في روحانية الدرس ، فتجعل الدروس المعقدة تنساب في يسر وتتدفق في رفق ، متجهة في سهولة إلى عقولهم التي تكون قد تهيأت لاستيعابها منذ أول لقاء معها . زميلي خالد أصبح الآن الدكتور خالد أحمد عياده من كبار أطباء العيون في مصر ، كما وصل والده إلى منصب رئيس المحكمة العليا الشرعية .

وذات يوم .. توفي أبى فجأة أثناء تناول الافطار كعادته مع أصدقائه في بيت السيد حسن البار ، فحمله أصدقاؤه إلى بيتنا في حدائق القبة . وكنا نستعد في ذلك اليوم لاستقبال خالى وصديق أبى الحميم وزميله فى الأزهر بمناسبة وصوله متقولا للعمل فى القاهرة .

وكان أبى قبل أن يترك بيتنا فى ذلك الصباح قد أشرف بنفسه على إعداد حديقة البيت ، وذبج الكباش الذى كان قد أعده لوليمة الاحتفال بقدم خالى .

وصلت إلى باب بيتنا سيارة السيد حسن البار ونزل منها أصدقاء أبى اليمينيون فتصورت أنه قد دعاهم لقضاء ذلك اليوم فى حديقة بيتنا ، إنتظارا لوصول خالى الذى كان أيضا صديقهم وزميلهم فإذا بهم يحملون أبى بين أحضانهم .

لم أفهم ماجرى ..

ناديت على أبى ولم يرد ..

مسكت ذراعه فسقط منى ..

لم أفق من الصدمة ولم أدرك أنه مات إلا عندما دق أننى بكاء أصدقائه ، ورأيت دموعهم تغسل خدودهم ، فهو رفيق رحلتهم من اليمن وأديب هجرتهم فى مصر ، الذى عاش معهم ، ومات بينهم ، وحملوه بين أحضانهم .

كان ذلك صباح ١٣ يناير سنة ١٩٤٠ وكنت انا هز الرابعة عشرة من عمرى .

مات الأب الذى كان يعلمنى ، ويتقبنى ، وينتظرنى ، حتى أعود معه إلى اليمن .

مات الداعية الذى دعانى إلى أن أهب حياتى من أجل اليمن ، الذى زرع فى قلبى الإصرار على المشاركة فى النهوض بها ، الذى استمر طوال عمرى ومنذ نعومة إدراكى يشعرنى بأنه غريب فى مصر ، رغم ما يحيطه من مشاعر الود وأواصر الحب وعظيم الفضل وبالغ الكرم ، وغير ذلك من خصائص الشعب المصرى الأصيل .

كانت أمى وأسرتها المصرية تقدر ما يجول بخاطر أبى ويسيطر على وجدانه ويصوغ تصرفاته ، ويضبط إيقاع حركاته وسكناته ، وهو أن أعود معه إلى اليمن عندما أكمل دراستى ، وكانت أمى سعيدة بالسفر معه إلى حيث يشاء ، فهو الزوج الذى عاشت معه ثلاثة وعشرين عاما ، قضتها على أفضل ما تكون العشرة الزوجية .

لا غرو إذن .. إن هى استمرت فى شحن مشاعرى وخيالى وامالى بالعودة إلى اليمن ، حتى بعد أن مات أبى ، وكانت تعتبر ذلك تجسيدا منها لترحمها عليه ، وتعبيرا عن وفائها له ، وإعلانا عن إقتناعها به ، وكانت ترى صورتها فيه .
وهو الرجل الذى رعى الله فيها .



بدأت أتدبر حالي ..

ماذا أفعل بعد موت أبي ..

أخذت أتذكر كلماته الكبار عن اليمن ، وأحاديث أصدقائه اليمنيين عن أحوالها ، وكيف يعاني أهلها من التخلف والإرهاب والظلم والطغيان ، خلف جدران سجن كبير له أسوار عالية يسمونها حدود اليمن .

لماذا كان أبي يحلم بالعودة إلى هذا السجن الكبير ؟ ولماذا أراد أن يقودني معه إلى خلف قضبانه العالية ؟ .

هل ضاقت به الدنيا في مصر ؟

لم تضق بل اتسعت له على مصراعيها فكان أبي ناجحا في مهنة المحاماة ، أعطاه الله الفصاحة والبيان والحجة ، وكان مجدا في طلب الرزق ومشى في مناكبها وأعطاه الله من رزقه ، كما لم يعط الكثيرين من المحامين الشرعيين .

إذن ..

لم ينذر نفسه للعودة إلى وطنه لاهثا وراء رزق ، أو ساعيا وراء جاه .

وإنما نذر حياته كلها للعودة إلى خلف قضبان ذلك السجن الكبير ، الذي كان يسميه الوطن الغالي ، ليس ليعيش فيه سجينا مكبلا بأغلال التخلف وقيود الخرافات كغيره من أبناء وطنه ، وإنما من أجل أن يشترك مع المصلحين اليمنيين في الدعوة إلى تحطيم هذه القضبان ، وتحرير الشخصية اليمنية وميلاد المستقبل الأفضل .

تذكرت وصفه لذكاء وقدرة الشعب اليمني وطاقاته الخلاقة ، التي تستطيع أن تستعيد أمجاده التاريخية ، وهو صانع أول حضارة اعترف بها العالم وتحدث عنها القرآن الكريم .

أخذت أتأمل وصف أبي لذكاء الشعب اليمني وطاقاته الخلاقة بينما كان ، كما اعترف أبي وزملاء أبي وأجمع الرواه ، مستسلما لشرعية الغاب ، راقدا تحت أطلال التاريخ ، يبتسم لسيوف الطغاة ويهتف بحياة الجلادين .

فإذا كان الشعب اليمني ذكيا ذا طاقة خلاقة ، كما قال أبي فلماذا يركع تحت أقدام السفاحين ويرضى بدفن عقول أبنائه في مقابر الكتب الصفراء التي تقدر الحكام وتفرض الجمود فتحطم عقارب الزمن ؟ .

لم أكن قد سألت أبي عن أسباب التخلف في اليمن ، ولم أسمع شيئا عن أمر هذه الأسباب أثناء الاجتماعات الدينية الرمضانية ، وفاتني أن أعرف منه ومن أصدقائه كيف يتفق وصف الشعب اليمني بالذكاء والطاقة الخلاقة مع استسلام نفس هذا الشعب للحياة على ذلك النحو المتخلف ، الذي كاد أن ينفرد به من بين شعوب الأرض .

هل هو الافراط في حب الوطن قد أملى على أبي أن ينسب الذكاء والطاقة الخلاقة إلى أهل بلده .

لعل أخطأت في حقه عندما سألت نفسي هذا السؤال ، لأن حب الوطن ليس فيه افراط قط ، فالوطنية مشاعر لا نهائية .

ربما أسهب أبي في مدح صفات الشعب اليمني إثارة للروح المعنوية التي ينبغي أن تسود مشاعر اليمنيين حتى تنطلق الدعوة إلى حياة يمنية أفضل .

مهما كان الأمر ، وجدت نفسي بعد موت أبي في حيرة من أمري ، وجدت نفسي وحيدا في التفكير والتأمل والتساؤل ، وكان لزاما علي أن أبحث بنفسي عن جواب سؤالي .

سأقنى تساؤلي إلى البحث هل الإنسان مجبر أم مخير ؟ فإذا كان الله قد أجبر الإنسان اليمني على النوم في سبات الحياة المتخلفة ، إذن لا أمل في إيقاظه من هذا التخلف . أما إذا كان الإنسان اليمني ، كأي إنسان ، مخيرا يستطيع أن يختار ما يشاء من أشكال وأنماط حياته فعندئذ يمكن إيقاظ الشعب اليمني لبحث بإرادته عن أشكال وأنماط حياة أفضل ، بعد تبصيره بخطئه عندما رضى بحياته المتخلفة ، وتشبث بها دون سواها ، وكأنه اختارها دون غيرها .

وجدت نفسي شغوبا متطلعا إلى معرفة ما إذا كان الإنسان مجبرا أم مخيرا .

كان التوصل إلى إجابة هذا السؤال يمثل عندي حاجزا نفسيا توقفت عنده كل آمالي وأحلامي ، إذ كيف يأمل الإنسان في أمر لا يمكن عقلا أن يحققه ، طالما قد فرض الله عليه غيره .

كان الأقرب إلى عقلي أن الإنسان مجبر وليس له أن يختار ما يريد وهذا ما يفسر وصف أبي للشعب اليمني بالذكاء والقدرة الخلاقة مع استسلام نفس هذا الشعب لإنهيار مجده ، وتحوله إلى قصة تتسلى عليها الأمم ، ويتندر بها الظرفاء ، وتسخر منها الضمائر .

انشغلت عن الدراسة في المدرسة وأخذت أتردد يوميا على دار الكتب المصرية في باب الخلق بالقاهرة وأخذت أقرأ في أمهات كتب العلماء الذين بحثوا مسألة الجبر والاختيار . أمضيت سنتين ذاهبا كل يوم إلى دار الكتب متشبثا بسؤالي ، عائد منها كل يوم بغير جواب . لأن علماء المسلمين مختلفون .

ومهما كان الحال لقد استغدت كثيرا من هذه القراءات والأبحاث الفلسفية والإجتهاادات الفقهية بفضل ما تلقيت عن أبي وزملائه في الأجماعات الدينية ، وما تعلمت من المدرس الأزهرى المفرط في قدرته على شد انتباه التلاميذ .

بينما كنت أفكر فى هذه الأمور ، متأملا أسرار الكون ، مشتاقا إلى فهم ألغاز الحياة ، حياة الإنسان ، حياة الأمم والشعوب ، مستغرقا فى تصور ماذا كان قبل الحياة ، وماذا يكون بعد الموت ، إذا بعينى تقع على دودة حرير كانت تتسلق على غصن يتدلى من أغصان شجرة التوت التى زرعها أبى فى حديقة بيتنا .

تذكرت أن هذه الدودة كانت بيضة قبل أن تكون دودة ، وأنها سوف تنسج من حولها شرنقة الحرير كى تستقر فيها أياما معلومات ، ثم تخرج منها فى هيئة أخرى ، إذ تخرج منها فراشة تطير بجناحيها بعد أن كانت دودة تزحف على أقدامها .

وهى حين تخرج فى هيئتها الجديدة فإنها تترك من ورائها وفى شرنقتها جثتها التى شكلت هيئتها السابقة عندما كانت دودة .

نحن البشر نشاهد هذه الأطوار ونأملها ، ونكاد لا نستخلص منها الدرس المفيد والموعظة الحسنة ، ولا نروى عنها الحجة الدامغة والبرهان القاطع .

إننا البشر نشهد أن بيضة دودة الحرير ذات شكل مستدير وحجم صغير .

ونشهد أنها تتحول إلى دودة تمشى على الأرض .

ثم نشهد أنها بعد ذلك تصبح فراشة تطير فى الهواء .

ونشهد أيضا أنها تترك جثتها ترقد فى قبرها الذى يسمونه شرنقة الحرير .

ثم لانستطيع أن نشهد ما كان من أمرها قبل ذلك ، ولا ما يكون من مصيرها بعد ذلك .

تقف عقولنا عند هذه الحدود ، لا تتجاوزها أو تقفز من فوقها .

لا نعلم من أمر الفراشة شيئا عندما تتحول إلى هيئة أخرى ، لا نعرفها لأنها لا نشاهدها ، يسمونها موتا وقد تكون فى الحقيقة طورا آخر من أطوار خلقها .

لماذا نبحث عن أصل الإنسان قبل أن يولد ونختلف على مصيره بعد أن يموت ؟

لماذا لا نتصور عندما يدفن أحدا فى قبره أنه ينتقل إلى طور آخر من أطوار خلقه ؟ شأنه فى ذلك شأن دودة الحرير حين تدفن نفسها فى قبرها الذى يسمونه شرنقة ثم تخرج منه فراشة تناسقت فى ألوانها .

لماذا نجهد أنفسنا ونجهد عقولنا ، تائهين لاهئين ونحن نبحث عن حقائق لا تدركها عقولنا ، ليس عجزا منها ولا قصورا فيها ، وإنما لأنها بحكم كونها عقولا مخلوقة فإنها ذات طاقات محدودة ، لا تستطيع أن تتجاوزها أو تقفز من فوقها ، لأن الذى خلقها قد رسم لها حدودها ، حتى لا يفسد نظام الكون عندما يستوى الناظم بالمنظوم ، أو يختل كيان الخلق عندما يستوى الخالق بالمخلوق .

إذن ، لا علينا إذا لم تصل عقولنا المخلوقة إلى ما كان قبل الخلق الذى نعرف هيئته ، وماذا يكون بعد الخلق الذى لا ندرك أسراره . فنحن البشر المخلوق لا نحيط بشيء علما إلا بما شاء الخالق أن نحيط به من الحقائق .

ومن هذه الحقائق أننا ، ونحن على هيئة الخلق التي نعرفها ، مطالبون باتباع ما أمر به الخالق والامتناع عما نهى عنه .

ونحن لا نتبع ولا نمتنع إلا إذا أتاح لنا الخالق قدرة الاتباع وقدرة الامتناع ، ثم أتاح لنا إرادة اختيار القدرة التي تتبع والقدرة التي تمتنع .

لذلك خلق الله في الإنسان القدرة والإرادة لقصد إرادته الله سبحانه وتعالى ، ليكونا موضع التكليف ومناطق الجزاء ، وشرطا لنسبة الأفعال إلى الإنسان المكلف .

لكنه عندما يختار الإنسان فإنه لا يخرج عن دائرة علم الله الذي سبق أن خلقه .

إذن .. الإنسان لا بد أن يكون مخيرا .

وإن الله لا يمكن أن يكون قد فرض على شعب اليمن الفقر والتخلف والحياة تحت الظلم والطغيان والجبروت .

لا بد حينئذ ، من أن تكون هذه الظروف اليمنية المتخلفة قد اختارها وأرادها شعب اليمن جيلا من بعد جيل ، في نطاق علم الله الذي منذ الأزل يعلم أن شعب اليمن سوف يختار هذه الظروف بعينها ، طوال زمن لا نزال نجهل مداه ، ولا نعرف منتهاه ، بينما يد الله قبل أن يخلق شعب اليمن .

عندما وصل ، عقلى الصغير ، إلى هذه الحقيقة البديهية ارتاح فؤادى وأطمأ قلبى على شعب اليمن ، وكانت البشرى التي شرحت صدرى لمستقبل اليمن ، لأننى أمنت بأن شعب اليمن الذكى ذا الطاقة الخلاقة يمكنه أن يخطو إلى النهضة والحضارة عندما يختار ويريد النهضة والحضارة .

وهو لا يختار ويريد هذه النهضة والحضارة إلا إذا بصره المصلحون بأحواله القاسية التى يعيشها ، مقارنة بأحوال الأمم الأخرى التى أزدهرت ونهضت وتطورت ، وأطلعه المصلحون على تحليل الأسباب التى أوجدت هذه الأحوال القاسية وفرضتها عليه فاستسلم لها ، ثم لا تقف رسالة المصلحين عند هذا الحد ، بل يجب أن تتعداه إلى طرح مضمون الفجر الجديد ، فجر النهضة والحضارة .

والنهضة والحضارة ليست كلمات تلقى إلقاء عابرا فى معرض الحديث عن سيرة الأمم ، وإنما هى مناهج لمقومات جديدة تنبثق من ظروف كل أمة من بعد أن تستفيد ، قدر ما تستطيع مما وصل إليه العلم وبلغه التطور .

زاد يقينى واعتقادى أن دراستى فى مدرسة التجارة المتوسطة لا تمكننى من الاشتراك مع المصلحين من أبناء وطنى ، لأن إصلاح اليمن ، كغير اليمن ، يحتاج إلى دراسات مستفيضة فى العلوم التاريخية والنفسية والفلسفية إلى جانب دراسات متخصصة فى العلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . وشئ من ذلك لا يمكن تحصيله فى مدرسة التجارة المتوسطة التى كنت قد تركتها منذ سنتين أو يزيد .

كان لا بد من السعى إلى الالتحاق بالجامعة المصرية ، وبكلية الحقوق بالذات ، الأمر الذى يشترط أن يسبقه التحاق بمدرسة ثانوية كى أحصل منها بعد أربع سنوات على شهادة الثقافة العامة ، وبعد سنة أخرى أحصل على شهادة التوجيهية (الثانوية العامة الآن) . وبغير ذلك لا يمكن أن التحق بالجامعة المصرية أو بغيرها من الجامعات .

كنت فى عجلة من أمرى ولم أطق الانتظار خمس سنوات أخرى حتى ألتحق بالجامعة المصرية فأخذت أبحث عن وسيلة أختصر بها هذه السنوات الخمس .

نصحنى أحد الأصدقاء بأننى فى وسعى أن أتقدم فى نفس تلك السنة لأداء الامتحان للحصول على شهادة الثقافة العامة نظام الأربع سنوات ، أى أن أودى الامتحان فى جميع مناهج ومواد سنوات الدراسة الثانوية فى امتحان واحد ، واضعا فى الاعتبار أن نسبة النجاح فى هذا النظام المعروف بنظام الأربع سنوات لا تتعدى نصف فى الآلف ، لا سيما بالنسبة إلى الطلاب الذين يدرسون مناهج السنوات الأربع فى منازلهم ، والذين لم يسبق لهم أن التحقوا بمدرسة ثانوية قط .

وهو نظام لا يزال معمولاً به فى مصر حتى الآن بالنسبة إلى شهادة الإعدادية وحدها .

فرحت بهذه النصيحة وسجلت اسمى فى إدارة الامتحانات العامة كطالب (من منازلهم) وكان ذلك فى شهر مارس سنة ١٩٤٥ أى قبل موعد الامتحان بما يقل عن أربعة أشهر ، وكنت قد قررت نهائياً ترك الدراسة فى مدرسة التجارة المتوسطة بعد أن وصلت فيها إلى السنة الثالثة قبل أن أعكف على القراءة فى دار الكتب المصرية .

علم خالى بهذا الخبر وكان ناظراً لإحدى المدارس الثانوية ، فظن أننى قد ضيعت نفسى فى هذا القرار كما ضيعت وقتى فى دار الكتب ، وأنه من المستحيل على مثلى الذى لم يدرس فى أية مدرسة ثانوية أن يستوعب مناهج وعلوم السنوات الأربع فى أربعة أشهر ، وفى البيت وبغير مدرسين ولا معمل للكيمياء .

صممت على رأى فأمسك بعصاته وهم بضربى ، فهو خالى وزميل أبى رحمه الله وولى أمرى فضلاً عن كونه ناظراً لمدرسة ثانوية يعرف أكثر منى نتائج هذه المجازفة .

كان مصراً على إعادتى إلى مدرسة التجارة المتوسطة وأن أتفرغ كلية للدراسة فيها كى أحصل منها على دبلوم التجارة بعد سنة واحدة حيث كنت فى السنة الثالثة .

أبديت إصرارى على عدم إضاعة سنة من عمرى للحصول على شهادة متوسطة لا أسعى إليها ، ولا ينشرح صدرى لها ، وأظهرت عزمى على ألا اضيع يوماً واحداً يمكن أن يقربنى من الالتحاق بالجامعة وبكلية الحقوق بالذات .

تدخلت أمى وكانت تصدقنى مثلما كانت تصدق أبى ، كانت تعتبرنى رسالتى فى حياتها وذكرها بعد موتها ، فلم تقتصد جهداً من أجلى إلا بذلته ، ولا طريقاً إلى تحقيق حلمى إلا ذلته . كانت لا تنام عندما أسهر متصفحاً كتاب لعلى أطلب حاجة تساعدنى على عناء السهر ، فلا يضيع وقتى فيما لا يحسن أن يضيع فيه .

لكن خالى أكبر منها سنا ، وأكثر منها علما .

وهى أدري منه بإصرارى وأعرف منه بعزيمتى .

هى التى سهرت معى وشاهدت حيرتى عندما كنت ، أبكر كل يوم ذاهبا مع كتاب إلى دار الكتب ، ثم أمسى عائدا منها مع كتاب اخر غير الذى رأيتنى أسهر على قراءته فى كل ليلة سابقة .

هى التى غاصت فى أعماقى ، وذابت فى مشاعرى ، وأحصت خلجات صدرى ، ونبضات فؤادى .

أخذت تسوق الحجة تلو الحجة حتى افنعت خالى ليتركنى وشأنى مع دراسة الثقافة نظام الأربع سنوات ، واسترسلت حتى اقنعتنى بالألا أترك السنة الثالثة بمدرسة التجارة المتوسطة التى ، أمام عزيمتى وإصرارى ، لن تستغرق وقتا يشغلنى عن الاعتكاف للدراسة الثانوية ، ولعل الله يوفقنى فى هاتين الدراستين المختلفتين أعظم الاختلاف .

اقتنعت برأى أمى ، ارضاء لخالى ، شديد الحرص على حصولى على شهادة التجارة المتوسطة ، قدر حرصه على مستقبل ابنه الذى أصبح فيما بعد اللواء محمد رفعت وهبة مساعد وزير الحربية وقائد سلاح الإشارة بالقوات المسلحة المصرية ثم وكيل أول وزارة المواصلات .

بدأت أتقبل التحدى وأنزل إلى ميدان الصراع ، جمعت كتب المدارس الثانوية من أولها إلى اخرها ، طفت بأصدقائى الذين كانوا يتأهبون لأداء امتحان الثقافة العامة نظام السنة الواحدة حيث كانوا من طلبة المدارس الثانوية المنتظمين .

وجعلت استرق السمع عندما كان بعضهم يتلقى دروسا خصوصية فى المواد الرياضية ، التى لم يكن من السهل على المرء أن يستوعبها من مجرد قراءة مناهجها ومجلداتها ، بغير شرح من مدرس ولا تمرين فى مدرسة .

كنت شديد الحرص على تثبيت فؤاد أمى فلا أنتقص شيئا من ثقتها فى عزيمتى وأطمئنانها إلى إصرارى ، ولذلك لم أطلب منها أن تستأجر مدرسا يعيننى على هذه الدراسة التى وصفها خالى بأن النجاح فيها ضرب من ضروب الخيال ، ووصمنى بأننى تركت حقيقة النجاح الممكن وتعلقت بوهم الأمل المستحيل .

أخذت ألتزم الذهاب يوميا إلى مدرسة التجارة ، وبدأ القلق على مستقبلى يملأ صدرى والإشفاق على نفسى يعتصر قلبى ، لأن وقت المدرسة كان يضيع سدى وينقضى هباء ، دون أن أظفر بأى جديد سوى ألوان متزايدة من شغب الطلاب ودرجات متناقصة فى اهتمام المدرسين .

ذهبت إلى ناظر مدرسة التجارة المتوسطة الأستاذ مصطفى حسن وأطلعته على ما يثبت تسجيل اسمى ضمن الطلبة المتقدمين لامتحان شهادة الثقافة نظام الأربع سنوات ، وشرحت له أسباب قلقي من ضياع وقتى بالمدرسة بينما كنت فى سباق رهيب

مع الزمن ، وتحدى حاسم مع النفس ، وعزم أكيد على تخطي العقبات ، وتحقيق ما يدينه خالي مقتنعا بأنه المستحيل ويتشبهت به خيالي معتقدا أنه الممكن ، لأنه الحلم والأمل والرجاء .

وطلبت من الأستاذ الناظر أن يعفني من نسبة الحضور إلى المدرسة فأعفاني منها بعد أن شد على يدي ، ودعى الله أن يوفقني فيما عزمت عليه ، وإن لم يستطع إخفاء حيرته من أمري وإعجابه بعزيمتي وصدق مشاعري .

وفقني الله إلى النجاح في مدرسة التجارة المتوسطة وانتقلت إلى السنة الرابعة ، سنة الحصول على الدبلوم ، وعندما ظهرت نتيجة امتحان الثقافة العامة كنت والحمد لله من الناجحين.

كانت فرحة أُمِّي ليس لها حد ، ودهشة خالي ليس لها وصف . أما أنا فقد حمدت الله جلّت قدرته ، وبدأت أشعر بأنني أسير في الطريق الصحيح ، طريق العودة النافعة إلى اليمن .

في السنة التالية (١٩٤٦) حصلت على دبلوم التجارة المتوسطة وشهادة التوجيهية في نفس الوقت ، فالتحقت بكلية الحقوق .



لم أجد علوم كلية الحقوق تشغل وقتي كله ، ولم تتضمن أية دراسات عن الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع ، وهى العلوم المكملة للحد الأدنى لثقافة من يسعى إلى إصلاح الشعوب ، فالتحقت فى نفس الوقت بالجامعة الأمريكية بالقاهرة لدراسة الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع .

كان الدكتور بادو أستاذ الفلسفة فى هذه الجامعة من أكثر الذين شدوا انتباهى وملكوا ناصية أذنى ، وهم يثرون عقلى بألوان متعددة من العلوم والمعارف ، ولا زلت أذكره عندما ينسئ نفسه ويندمج بكل حواسه ، وهو يشرح فلسفة أفلاطون ومدينته الفاضله وهرمه المعكوس وبقية أفكاره السياسية .

كان اليمينيون المقيمون فى مصر قليلين ، لم يتجاوزوا أصدقاء أبى وأولادهم ، ثم وصل إلى القاهرة فى نفس ذلك العام (١٩٤٦) أربعة طلاب من اليمن أرسلهم الأمير سيف الإسلام أحمد ولى العهد ، فى ذلك الوقت وهم حسين الحبشى^(١) وعلى عبده سيف وعبد العزيز الفتىح^(٢) ومحمد عبد الله عبده ، أرسلهم ولى العهد إلى مصر ليدرسوا فى المدارس الثانوية .

وكانت الجامعة العربية قد تأسست واشتركت فيها اليمن وأصبح لها مندوب فى القاهرة ، فأرسل أصدقاء والدى رسالة إلى سيف الإسلام أحمد ولى العهد بواسطة مندوب اليمن لدى الجامعة العربية ، ينصحون له أن يضمنى إلى أفراد البعثة التعليمية الأربعة ، وكنت فى ذلك الوقت قد التحقت بكلية الحقوق ، ولم يرد على هذه الرسالة لا بالموافقة ولا بالرفض .

وفى ٢٢ سبتمبر ١٩٤٨ قام الانقلاب المعروف بانقلاب عبد الله الوزير ، ثم سمعت عن فشل هذا الانقلاب وإعدام معظم القائمين عليه ، أما الباقون فقد سجن أكثرهم وهرب أقلهم . وكنت قد انتقلت إلى السنة الثانية بكلية الحقوق .

كان الأستاذ زكى محمد غانم يعمل مدرسا أول للغة العربية فى عدن ومندوبا لوزارة المعارف (التربية والتعليم) المصرية ، ووقع اختياره على ثلاثة طلاب يمينيين متفوقين كانوا يدرسون فى المدرسة التى يلقى فيها دروسه فى عدن ، فأوصى الوزارة المصرية

(١) حاليا المستشار القانونى لرئاسة الجمهورية .

(٢) وزير الزراعة فى وقت لاحق بعد قيام الثورة .

بطلبهم إلى القاهرة للاحاقهم بالمدارس الثانوية المصرية . وصلوا إلى القاهرة فى ديسمبر سنة ١٩٤٨ وهم محمد قائد سيف^(١) وعبد الغنى على^(٢) ومحمد أنعم^(٣) واستقبلهم السيد على إسماعيل المؤيد مندوب اليمن لدى الجامعة العربية . ثم توطدت علاقته الشخصية بهم جميعا وكنت عظيم الإعجاب بميولهم الوطنية حتى نشأت علاقة خاصة بين محمد قائد سيف وبينى لكثرة حديثه عن اليمن وإصراره على الالتحاق بالكلية الحربية المصرية .

وكانت تدرس فى مدارس لبنان بعثة تعليمية يمنية تبلغ نحو أربعين طالبا أو يزيد فأشار القاضى محمد عبد الله العمرى رحمه الله وكيل وزارة الخارجية اليمنية على الإمام أن ينقل هذه البعثة إلى مصر ووافق الإمام ، وكان القاضى محمد عبد الله العمرى من أقرب المقربين إلى الإمام أحمد فقد قتل والده القاضى عبد الله العمرى مع الإمام يحيى والد الإمام أحمد فى نفس سيارته عند قيام الانقلاب فى تلك السنة .

عند وصول هؤلاء الطلبة اليمنيين إلى القاهرة فى مارس ١٩٤٩ أرسلهم القاضى العمرى إلى بنى سويف للدراسة فى الجو الريفى بعيدا عن جو القاهرة السياسى .

وكان من أشهر الطلبة اليمنيين من أعضاء هذه البعثة محسن أحمد العيى^(٤) وعبد الله الكرشمى^(٥) وحسن مكى^(٦) وعبد الله جزيلان^(٧) وعبد اللطيف ضيف الله^(٨) ومحمد الأنومى^(٩) وعلى سيف الخولانى^(١٠) وعبد الرحيم عبد الله^(١١) ومحمد جبارى^(١٢) ومحمد عبد العزيز سلام^(١٣) ومحسن السرى^(١٤) ومحمد الرعدى ويحيى جفغان^(١٥) .

على أثر وصول هذه البعثة التعليمية إلى مصر أصدر الإمام أحمد امام اليمن الذى انتصر على انقلاب عبد الله الوزير قبل ذلك بنحو شهرين قرار بضمى إلى هذه البعثة ثم ضم إليها الطلاب الثلاثة الذين كانوا قد وصلوا من عدن فى ديسمبر ١٩٤٨ (محمد قائد سيف وعبد الغنى على ومحمد أنعم) .

(١) عضو مجلس قيادة الثورة ووزير شئون رئاسة الجمهورية .

(٢) وزير الخزانة عند قيام الثورة .

(٣) وزير التربية والتعليم فى وقت لاحق لقيام الثورة .

(٤) رئيس الوزراء فى وقت لاحق بعد قيام الثورة .

(٥) وزير الأشغال عند قيام الثورة .

(٦) رئيس الوزراء فى وقت لاحق لقيام الثورة .

(٧) عضو مجلس قيادة الثورة ونائب رئيس وزراء فى وقت لاحق .

(٨) عضو مجلس قيادة الثورة ورئيس المجلس التنفيذى فى وقت لاحق .

(٩) وزير الداخلية فى وقت لاحق لقيام الثورة .

(١٠) وزير الشئون الاجتماعية ثم رئيس الأركان العامة فى وقت لاحق لقيام الثورة .

(١١) عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الطيران .

(١٢) وزير الاقتصاد فى وقت لاحق لقيام الثورة .

(١٣) وزير الخارجية فى وقت لاحق لقيام الثورة .

(١٤) وزير الاقتصاد فى وقت لاحق لقيام الثورة .

(١٥) وزير الخارجية فى وقت لاحق لقيام الثورة .

وكان السيد يحيى المضواحي يتولى إدارة هذه البعثة التعليمية متفانيا في تلبية حاجاتهم معرضا نفسه لغضب الإمام كلما طالب بالمزيد من الاهتمام بشئونهم .

التحق أفراد هذه البعثة في مراحل دراسية مختلفة بالمدرسة الثانوية في بنى سويف ، بينما شدتنى شخصية السيد على إسماعيل المؤيد حيث كان عذب اللسان ، خالص النية ، صادق النصح ، عظيم الحرص على مستقبل اليمن ومصلحة الطلبة الذين كان يسهر على تدبير شئونهم فوق أعبائه كممثل للحكومة اليمنية لدى الجامعة العربية ، علاوة على واجباته الأخرى التى كان أثقلها على النفس تكليفه برعاية شئون اليمنيين الذين كانوا يفدون إلى مصر للزيارة أو للمعالجة ، وكان هؤلاء يطلبون منه ما لا يطيق .

كان يعاونه فى أعماله الإدارية ابن عمه السيد عبد الله المؤيد وهو ذو خلق عظيم ، ولما كثرت الأعباء الملقاه على ممثل اليمن السيد على إسماعيل المؤيد ، وكنت الطالب اليمنى الوحيد الذى يدرس فى الجامعة المصرية علاوة على درايتى باللغة الإنجليزية ، طلب منى أن أتردد فى وقت فراغى على مقره الرسمى فى حدائق القبة وكان قريبا من بيتى ، وكلفنى بأعمال الترجمة وإعداد المذكرات ومرافقة الوفود اليمنية الرسمية عند زياراتها لمصر .

اعتقدت فى ذلك الوقت أن الإمام أحمد قد فتح صفحة جديدة ومشقة فى تاريخ اليمن ، وظننت أنه قد استوعب الدرس المستفاد من انقلاب عبد الله الوزير الذى اشترك فيه أحرار اليمن .

إزداد يقينى أن الإمام أحمد يتجه فعلا إلى الإصلاح عندما لاحظت كثرة الوفود اليمنية الرسمية التى كانت تصل إلى مصر ، وكثرة الزوار والمرضى اليمنيين الذين كانوا ينشدون الراحة ويلتمسون العلاج فى القاهرة على نفقة الحكومة اليمنية ، وهم يعودون إلى اليمن بأفكار جديدة .

تأصل فى نفسى الاعتقاد أن الإمام يتجه فعلا إلى الإصلاح لأن التخلف الرهيب الذى ساد اليمن منذ عدة قرون كان قد احتفى وتعمقت جذوره خلف أسوار العزلة التى فرضها الإنماء السابقون على شعب اليمن ، فإذا سمح الإمام بفتح ثغرة فى أسوار هذه العزلة فإن أعضاء الحضارة سوف تصل إلى شعب اليمن أراد الإمام أو لم يرد .

وكانت الأخبار التى وصلتني والمعلومات التى عرفتها عن الإمام أحمد تجمع على أنه رجل حاد الذكاء ، حاضر البديهة ، واسع الحيلة وعظيم الدهاء . رجل على هذه الصفات لا يمكن أن يسمح بفتح ثغرة فى أسوار العزلة اليمنية إلا إذا كان قد آمن هو الآخر بحتمية الإصلاح فى اليمن ، وأنه من حدة ذكائه وحاضر بديهته وسعة حيلته وعظيم دهائه قد اختار ، راجبا أو مكرها ، أن يتولى بنفسه قيادة الإصلاح على النحو الذى يتفق مع نيته ولا يمس سلطانه ، وبالسرية التى تسمح بها ظروفه الشخصية قبل أن تفرض الظروف اليمنية والعصرية أن يقوم غيره بهذا الإصلاح .

كان يقينى أن أى قدر من الإصلاح يتم على يد الإمام أحمد وفى عهده يمكن أن يكون بمثابة الخطوة الأولى على طريق الإصلاح فى اليمن ، وبمثابة حجر الأساس فى بناء صرح النهضة اليمنية الكبرى ، وكنت أذكر المثل الصينى الذى يقول (مشوار الألف ميل يبدأ بخطوة) .

غمرتني البهجة عندما قرر الإمام أحمد ضمى إلى بعثة الطلبة اليمنيين فى مصر ، وازدادت هذه البهجة عندما قرر السيد على إسماعيل المؤيد أن أعاونه فى عمله وأن أشارك بصفة خاصة فى تدبير شئون الطلبة اليمنيين .

أما فرحتى باللقاء المستمر مع إخوانى أبناء اليمن من الطلبة وأعضاء الوفود الرسمية والزوار والمرضى فقد كانت أجل من كل وصف ، وأسمى من كل تعبير . وإن شئت قلت إننى عاجز عن وصفها بما أتاح الله لى من معرفة باللغة العربية .

أكملت دراسة الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع فى الجامعة الأمريكية ، ثم حصلت سنة ١٩٥٠ على ليسانس كلية الحقوق بدرجة شرف فأقام السيد على إسماعيل المؤيد مأدبة عشاء فى مقره الرسمى احتفالاً بأول خريج يمنى يتخرج من الجامعة علاوة على حصوله على مرتبة الشرف .

كان يزور القاهرة فى ذلك اليوم وفد رسمى برئاسة السيد على بن ابراهيم أمير الجيش اليمنى ومعه القاضى أحمد الجرافى وغيره ، وأذكر أننى كنت معهم فى زيارة رسمية لكلية الشرطة بالقاهرة حيث أمضينا اليوم كله فى ضيافة مديرها ، ثم توجهنا معا إلى مقر السيد على إسماعيل المؤيد ، وكان معنا عدد من أساتذة كلية الشرطة فوجدنا فى إنتظارنا فى حفل العشاء أصدقاء أبى الذين نصحوا الإمام بأن يضمنى إلى بعثة الطلبة اليمنيين فى مصر ، وكان السيد على إسماعيل المؤيد قد دعاهم إلى ذلك الحفل بعد أن أبرق إلى الإمام أحمد بأننى قد أتممت دراستى فى كلية الحقوق ، وكان الإمام أحمد يتابع نشاطى الذى كان راضيا عنه كل الرضا ، مطمئنا إليه كل الإطمئنان .

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ
جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا
مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ
طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ

قرآن كريم

في البلدة الطيبة

الفصل الثاني



وصلتني برفقة من الإمام أحمد تأمر بوصولى إلى اليمن لمقابلته ، فوصلت فى ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٥٠ إلى مدينة تعز حيث كان الإمام قد اتخذها عاصمة ثانية لليمن ، مبتعدا عن صنعاء التى كانت مسرحا لانقلاب عبد الله الوزير (١٩٤٨) ، والتى كان الإمام أحمد قد أذن للقبائل بنهبها كسلاح من أسلحته فى إجهاض الانقلاب ، وعقاب من عقوباته لأهل صنعاء .

وعندما وصلت إلى تعز قبلت ترابها الغالى ، وكانت قد تحركت أشجانى والتهبت مشاعرى نحو الوطن الخالد الذى انتسب إليه وأراه لأول مرة فى حياتى ، وكان عمرى عندئذ أربعة وعشرين عاما .

هالنى ما رأيت فى وطنى الحبيب .

رأيت التخلف الرهيب فى أبشع صوره .

أثناء إقامتى فى دار الضيافة فى تعز أخذت اراجع تقريرا مطولا عن كيفية تطوير البلاد ، بناء على معلوماتى السابقة عن اليمن ، كى أقدمه إلى الإمام أحمد عند تشرفى بمقابلته .

وعندما التقيت بالإمام أحمد فى دار الناصر بتعز بحضور خاصة جلسائه ومن بينهم السيد أحمد زبارة^(١) والسيد عبد الله عبد الكريم زوجى إبنتيه والسيد حمود الوشلى والقاضى أحمد الحضرائى هممت بفتح حقيبة أوراقى لالتمس منها التقرير الذى سهرت على مراجعته ، فإذا بالإمام يقف فجأة وينهى المقابلة ويدخل الغرفة المجاورة وأخذ الحاضرون ينصرفون .

علمت فيما بعد أننى عندما بدأت أفتح حقيبتي ظن الإمام أننى سأخرج منها سلاحا ، فندمت على ما فعلت حيث كان من الواجب أن أترك الحقيبة خارج غرفة اللقاء مع الإمام وأن أحمل تقريري فى يدى .

كان عذرى أننى أجهل تقاليد اللقاء مع جلالته .

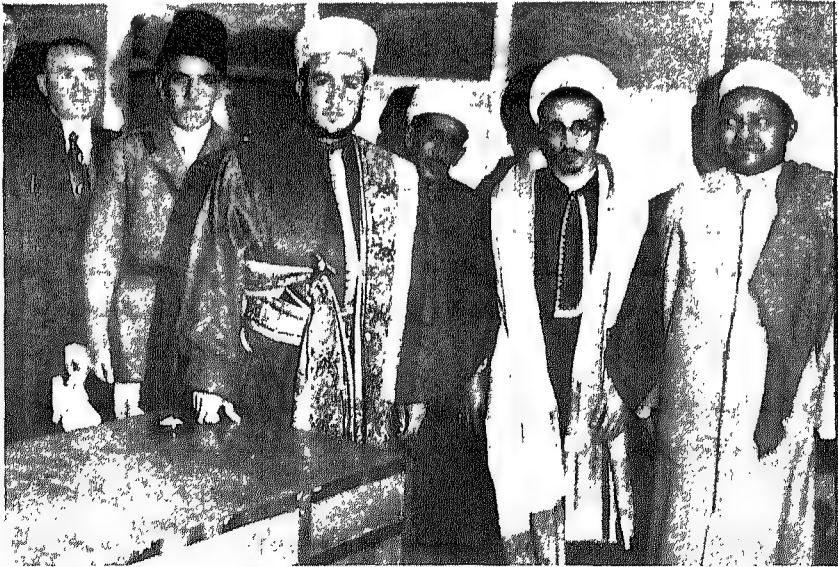
(١) حاليا مفتى الجمهورية

أمضيت في دار الضيافة نحو شهرين تأكدت خلالهما أن التقرير الذي كنت قد أعددتَه تنقصه الأمور الكثيرة ، لأن أسباب وجذور التخلف في اليمن ضاربة في أعماق المجتمع اليمني ، وأن المعلومات التي سبق أن جمعتها عن اليمن لا تعدو أن تكون قشرة على سطح الحقيقة المرة .

غير أنني أثناء إقامتي في تعز إلتقيت بالإمام أحمد عدة مرات ، وكنت أزداد يقينا ، في كل مرة ، أنه المصلح الذي تنتظره اليمن . كان واضحا وصرىحا عندما يتحدث عن الإصلاح ، وكانت كلماته توحى بأنه يبحث عن الوسيلة ، ويفتش عن البرنامج ، وينتظر الرأي السديد .

أمر الإمام بتعييني سكرتيرا أولا للسفارة اليمنية بالقاهرة ونائبا للسيد على المؤيد في تمثيل اليمن لدى الجامعة العربية ، وطلب منى موافاته من القاهرة بأفكارى عن إصلاح اليمن .

في طريقى إلى القاهرة توقفت الطائرة اليمنية بضعة أيام في أسمرة لإصلاحها من عطب أصابها في الطريق ، وتجمع الصحفيون واليمنيون في الفندق الذى كنت أقيم فيه يسألوننى عن مستقبل التطور في اليمن ، باعتبارى أول خريج يمنى جامعى ، فعقدت أول مؤتمر صحفى في حياتى شهده كبار الزملاء اليمنيين الموجودين في أسمرة وعلى رأسهم في ذلك الوقت القاضى عبد الله الحجرى والعميد غالب الجرموزى .



من اليمين إلى اليسار : أحد علماء الأزهر ، القاضى عبد الله الحجرى رئيس هيئة الأمر بالمعروف ، الأستاذ عبد الله طاهر مدير اللاسلكى ، المؤلف ، العميد غالب الجرموزى مدير الطيران (عام ١٩٥١) .

فى هذا المؤتمر أشدت كثيرا باتجاه الإمام أحمد نحو الإصلاح ، وأنه طلب منى تزويده بالبرامج الإصلاحية التى تتفق مع ظروف اليمن ، وأضفت قائلا أننى سأعكف على دراسة وإعداد هذه البرامج على ضوء الظروف التى رأيتها فى اليمن .

وعندما وصلت إلى القاهرة بدأت فى دراسة خطة لتطوير اليمن .

وجدت أن الإصلاح ينبغى أن يعتمد على حلول إقتصادية ذات طابع إسلامى حتى يمكن أن يتقبل المجتمع اليمنى هذه الحلول ولا يعارضها الإمام .

تبين أن ثقافتى التى حصلت عليها من كلية الحقوق والجامعة الأمريكية لا تؤهلنى لاختيار هذه الحلول بعد ما رأيت فى اليمن .

فقررت أن أزيد عليها دراسات فى العلوم الاقتصادية والإسلامية فحصلت من جامعة القاهرة على دبلوم الدراسات العليا فى الاقتصاد السياسى سنة ١٩٥٢ ثم دبلوم الدراسات العليا فى الشريعة الإسلامية من نفس الجامعة سنة ١٩٥٣ .

أثناء عملى سكرتيرا أولا للسفارة اليمنية ومندوبا مساعدا للسيد على إسماعيل المؤيد لدى الجامعة العربية قمت بتمثيل اليمن فى جميع لجانها ، وكنت رئيسا للجنة الشؤون القانونية التى صاغت أول اتفاقية عربية لتبادل تسليم المجرمين ، وكنت مقررا للجنة الشؤون الاجتماعية التى صاغت أول توصيات للتكافل الاجتماعى .

اشتركت فى الوفد اليمنى لدى حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية التى نظمتها الأمم المتحدة فى دمشق (٨ - ٢٠ ديسمبر ١٩٥٢) وكان معى القاضى إسماعيل الجرافى حيث ألقى فى هذه الحلقة بحثين علميين أحدهما عن (الصلة بين التنمية الاقتصادية والحاجة إلى التكافل الاجتماعى) والثانى عن (التشريع الإسلامى المقارن وتمويل التكافل الاجتماعى) .

فاز هذان البحثان بجائزتين مالىتين من الأمم المتحدة وقامت الامانة العامة لجامعة الدول العربية بطبعهما فى مجلد عن تلك الحلقة .

كما كنت مقررا للجنة الشؤون الإدارية التى كان يرأسها مندوب العراق الأستاذ عبد القادر الكيلانى التى شكلها مجلس الجامعة لإعادة تنظيم الأمانة العامة للجامعة . كانت علاقاتى الشخصية قد توطدت مع جميع مندوبى الدول العربية ، وبعد قيام الثورة المصرية فى ٢٣ يولية ١٩٥٢ دعانى الإمام أحمد إلى اليمن وأطلعنى على رغبته فى إيجاد علاقات قوية وخاصة مع رجال الثورة المصرية ، وكان فى ذلك الوقت غير مطمئن إلى نوايا أخيه سيف الإسلام الحسن الذى كان الرجل المفضل لدى المتزمتين المتشبهين بالماضى وتقاليده وكان ينتقد أى تصرف إصلاحى يمكن أن يقبله الإمام ، وكان يعتقد أنه يستطيع بذلك أن يكسب المزيد من الشعبية .

أراد الإمام أحمد أن ينشئ علاقة خاصة برجال الثورة المصرية كي يظهر أمام الشعب اليمنى بأنه راغب فى الإصلاح متطلع إليه عامل عليه ، كما كان يسعى إلى أن تشمل هذه العلاقة الخاصة تأييد مصر لابنه سيف الإسلام البدر الذى كان الإمام أحمد يحلم بأن يعلنه وليا للعهد ويسعى سرا إلى جمع الأنصار من حوله .

وكننت من أنصار الشاب سيف الإسلام البدر الذى كان يتحدث عن الإصلاح بغير تحفظ .

عدت إلى القاهرة وتوجهت إلى مقر مجلس قيادة الثورة فى الجزيرة حيث استقبلنى المقدم أركان حرب كمال عبد الحميد ، وكان مديرا للشئون العربية لمجلس قيادة الثورة وسكرتيرا عاما لوزارة الحربية (ويعمل الان مستشارا عسكريا للحكومة الكويتية) .
أطلعت المقدم كمال عبد الحميد على رغبة الإمام أحمد فاستمهلنى ثلاثة أيام حتى يعرض الأمر على (البكباشى) جمال عبد الناصر ، وبعد ثلاثة أيام أخبرنى بترحيب قيادة الثورة المصرية بتوطيد علاقتها مع الإمام أحمد وإبنة سيف الإسلام البدر .
وبحسب تخطيط الإمام أحمد سافرت إلى اليمن ومعى المقدم كمال عبد الحميد لمقابلة الإمام والبدر وكان ذلك فى يناير ١٩٥٣ .



المؤلف مع المقدم كمال عبد الحميد ، أول مبعوث عسكري مصرى يصل إلى اليمن بناء على طلب الإمام أحمد بعد قيام الثورة المصرية (يناير ١٩٥٣)

وتمت اللقاءات المرسومة التى نجحت إلى أبعد حد فى خلق ثقة متبادلة بين الإمام والبدر من جهة وقادة الثورة المصرية من جهة أخرى ، وأشهد أن المقدم كمال عبد الحميد كان فى قمة الحكمة والبيان حين أقنع الإمام بأنه من صميم صالحه الشخصى أن يرعى إبنة البدر وهو يتصدر مشروعات النهضة فى اليمن ، الأمر الذى يزيده شعبية ويعتبر فى نفس الوقت رصيذا شخصيا وتاريخيا للإمام .

أثناء إجتماع مغلقي لذي الإمام حضرته مع البدر والمقدم كمال عبد الحميد ، اقترحت أن يطلب الإمام من مصر بعثة من المدربين العسكريين المصريين لتدريب الجيش اليمني فى تعز ، يكون نواة للقوة العسكرية التى يمكن أن يعتمد عليها البدر إذا ما فرض عليه الصراع من جانب عمه سيف الإسلام الحسن ، الذى كان فى ذلك الوقت يجمع من حوله الكثيرين من رجال الدين والقبائل .

وافق الإمام أحمد على هذا الاقتراح وطلب من المقدم كمال عبد الحميد أن يحمل هذا الرجاء إلى القادة فى مصر .

عاد المقدم كمال عبد الحميد إلى مصر وتأخرت فى تعز لأبحث مع البدر خطوات مسيرته نحو ولاية العهد ، وكان أبرز رجال الجيش اليمني فى تعز المقدم أحمد يحيى الثلايا ، وكانت تجمعنى به صداقة تسودها الصراحة وعدم التحفظ فشرحت له نوايا الإمام أحمد الذى وافق على تدريب الجيش على أيدي ضباط مصريين ، كما شرحت له مدى إستعداد البدر للإصلاح بصفة عامة مؤكدا أنه المرشح الصالح لولاية العهد ، والرجل الذى ينبغى على كل اليمنيين المتطلعين إلى النهضة أن يقفوا معه .

اتفقت مع المقدم أحمد يحيى الثلايا معلم الجيش اليمني فى تعز على أن نقوم سويا بزيارة البدر ليلفغه تأييده له ، بعد أن اتفقت مع البدر على موعد ذلك اللقاء .

أثناء الاجتماع مع البدر أبدى المقدم أحمد يحيى الثلايا رغبته فى أن يتأكد من أن الإمام يبارك تأييد الجيش للبدر حتى يطمئن على أن الإمام لن يغضب من ذلك ، فذهبت إلى الإمام أحمد وأبلغته رأى المقدم الثلايا فأعجب به وطلب منى أن أعود إليه فى اليوم التالى ومعى المقدم الثلايا .

وعندما التقى الإمام مع المقدم الثلايا بحضورى وضع الإمام يده على كتف المقدم وباركه وتمنى له التوفيق ، ووعده بالاستجابة إلى طلباته سواء أكانت شخصية أو تتعلق بأفراد الجيش .

لم يطلب المقدم الثلايا أى مطلب شخصى ، وإنما تمنى أن يتم فعلا تدريب الجيش على أسحلة حديثة ، وعلى أيدي الضباط المصريين كما فهم منى .

قال الإمام للمقدم الثلايا أنه فى إنتظار وصول الضباط المصريين إلى تعز ، وطلب منه أن يبدأ منذ ذلك الوقت باختيار الأفراد الصالحين لتلقى مثل هذا التدريب ، لا سيما أنه قد طلب من مصر بعض الأسلحة الحديثة كنماذج يتم التدريب عليها .

فرح المقدم أحمد يحيى الثلايا بهذا الخبر وكأنه يفرح لأول مرة فى حياته ، أو كأنه لم يسمع طوال عمره عن خبر أسعد إلى قلبه من ذلك الخبر ، وهو تدريب الجيش اليمني على الأسلحة الحديثة وإيجاد نظام عسكري عصرية فى اليمن ، وهو المنطلق الأول والأساسى لنهضة اليمن ، تلك النهضة التى كانت كل أحلام المقدم أحمد يحيى الثلايا ، وكان لا يحلم بغيرها .



المؤلف يلقي كلمة بشيد فيها بموافقة الإمام على تدريب الجيش اليمني على الأنظمة العسكرية الحديثة ، وذلك في أحد الاحتفالات الشعبية بمناسبة أحد الأعياد بحضور الإمام أحمد (فبراير ١٩٥٣)

أمر الإمام بترقيتي إلى رتبة مستشار للسفارة اليمنية بالقاهرة إلى جانب عملي في السفارة وتمثيلي لليمن لدى الجامعة العربية مع السيد على المؤيد ، كما أمر الإمام بأن أتولى الإشراف العام على جميع الطلبة اليمنيين في مصر ، وكان بعضهم قد التحق بالجامعة وبعضهم لا يزال في المدرسة الثانوية ، وكان مقرهم قد انتقل من بنى سويف إلى حلوان إحدى ضواحي القاهرة .

لاحظت أن العلاقات بين الإمام وممثله في القاهرة السيد على المؤيد قد أخذ يشوبها نوع من الفتور ، وبدأت البرقيات الرمزية التي كنا نتلقاها من الإمام تحمل على السيد على المؤيد حملة نكراء ، ولم تخلو في كثير من الأحيان من الألفاظ الجارحة .

لم أستطع أن أعرف على وجه اليقين أسباب ذلك الفتور ، سوى أن بعض الطامعين في منصبه ، وكان من بينهم السيد عبد الرحمن عبد الصمد أبو طالب الذي حل محله في العام التالي مباشرة ، ينقلون عنه إلى الإمام أقوالاً لم يقلها ، ويبالغون للإمام في وصف

أفعال لم يفعلها ، ولعل الإمام قد صدقهم عندما كان السيد على المؤيد لا يقصر فى إرسال مقترحات الإصلاح التى كان يتلقاها من يمينيين ومصريين وغيرهم من الناصحين ، الذين كانوا يكتبون إلى الإمام بأصدق النصح وأحسن القول .

ربما استمع الإمام إلى شكوى المرضى اليمنيين الذين لم يشفهم علاج القاهرة فحملوا عشوائيا على السيد على المؤيد ، وكأنه المسئول عن العلاج والشفاء وكان من بين هؤلاء على وجه اليقين القاضى أحمد الحلالى رئيس الديوان الملكى نفسه . أو لعل الإمام استمع إلى نقد الزوار اليمنيين الذين كانوا يترددون على القاهرة ويستنفذون ميزانية السفارة ، وعندما يضطرون إلى العودة إلى اليمن لا يخلون على السيد على المؤيد بالنقد اللاذع لدى الإمام ، إلى الحد الذى تجود به قرائحهم ويصل إليه خيالهم .

وأغلب الظن أن الإمام كان قد استمع إلى كل أولئك وهؤلاء وبدأ يكيد لمثله فى مصر السيد على المؤيد الذى كان كثيرا ما يزورنى فى بيتى القريب من مقره ، وكان يصحب معه ، فى كثير من الأحيان الطالب اليمنى محمد قائد سيف الذى كان على وشك التخرج من الكلية الحربية ، وكان أول من تخرج من بعدى من الطلبة اليمنيين فى مصر أو خارج مصر .

كان الحماس للعمل الذى عهدته فى السيد على المؤيد قد أخذ يتناقص يوما بعد يوم وكان يكلفنى بالقيام بمعظم الأعمال التى كان من المفروض أن يقوم بها بنفسه .

كان من المقرر أن يمثل السيد على المؤيد الحكومة اليمنية فى مؤتمر وزراء المال والاقتصاد العرب فى مدينة شتوره ببلدان (٢٠ يولييه - ١٠ أغسطس ١٩٥٣) وإذا ببرقية تصل من الإمام بأمر فيها بأن أقوم بتمثيل الحكومة اليمنية بدلا من السيد على المؤيد .



المؤلف مع الأستاذ رشيد كرامى وزير الاقتصاد اللبنانى أثناء انعقاد مؤتمر المال والاقتصاد العربى (أغسطس ١٩٥٣)

سافرت إلى لبنان وانتخبني أعضاء المؤتمر مقرا ، فاشتركت بدور في أعمال المؤتمر ، وعلى سبيل المثال قمت بالتوفيق بين سوريا والعراق في صياغة مواد اتفاقية السوق العربية المشتركة بالقدر الذي يحمي منتجات الحرير الصناعي السوري خفيف الوزن أمام المنتجات الأجنبية ، وفي نفس الوقت لا يحول دون رواج الحرير الصناعي العراقي ثقيل الوزن في الأسواق العربية ، وكانت الصناعة العراقية في ذلك الوقت لا تزال في أول الطريق .

كما قمت بدور أساسي في مناقشات وصياغة أول اتفاقية للوحدة الاقتصادية العربية على النحو المسجل في محاضر جلسات ذلك المؤتمر .

انتفعت كثيرا من تمثيل اليمن في مثل هذه المؤتمرات وجلسات اللجان المتخصصة في الجامعة العربية . عرفت الكثير عن أحوال الشعوب والحكومات العربية وأبعاد الأزمة العربية والمشاعر السائدة بين هذه الحكومات ، ولم أكن أحفل كثيرا بهذه المعرفة إلا بالقدر الذي تنظر به كل حكومة من هذه الحكومات إلى اليمن ، والقدر الذي يعينني على تصور مستوى الشعب اليمني من المستويات الحضارية التي يعيشها أبناء الشعوب العربية الأخرى ، ثم القدر الذي يساعدني على التعرف على وسائل النهوض بشعب اليمن .



من اليمين القاضي اسماعيل الجرافي فالمجتهد الإسلامي الشيخ محمد أبو زهرة فأحد علماء الأزهر ثم المؤلف (حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية - دمشق في ديسمبر ١٩٥٢) .



أثارنى ما كان مندوبو الدول العربية يتندرون به عندما يذكرون السيد حسين الكبسى مندوب اليمن السابق لدى الجامعة فى عهد الإمام يحيى ، الذى كان يلتزم الصمت المطبق طوال جلسات الجامعة بأمر من الإمام يحيى حتى لا يورط اليمن بأية كلمة ، وكان لا يستطيع أن يحرك شفتيه أو ينطق بحرف إلا خارج تلك الجلسات . كان مندوبو الدول العربية يصفون كل من بسكت عن الكلام بأنه كبسى ، أو بأنه مندوب اليمن . ولا يزال يتندر العرب بذلك حتى الآن .

أقلقنى الإمام أحمد عندما كان يلتزم الصمت ولا يعلق على اقتراحاتى واقتراحات غيرى الإصلاحية ، سواء بالقبول أو بالرفض ، وإنما كان يحيلها إلى القاضى محمد عبد الله العمري الذى كان مرهف الحس متعمقا فى فهم نفسية الإمام أحمد ، وكان يعلم نواياه الحقيقية التى لا يصرح بها لأحد ، فكانت هذه الاقتراحات تستقر فى أحد ملفات وزارة الخارجية ولا ترى النور بعد ذلك أبدا .

عندما أكملت تقريراً شاملاً عن خلاصة ما توصلت إليه من مقترحات إصلاحية ، مستفيداً من كل ما تلقاه السيد على المؤيد من أفكار الخيرين من أهل الذكر ، نصحنى بأن أتوجه إلى اليمن كى أسلم ذلك التقرير إلى يد الإمام أحمد .

لم يتضمن التقرير أى مساس بنظام الحكم ، ولا انتفاص من سلطات الإمام ، كما لم يتضمن أية اقتراحات أخرى سياسية ولا اجتماعية ، وإنما أنصب فقط على وسائل تحقيق النهضة الاقتصادية لأننى ، كنت ولا زلت ، أعرف أن تغيير الأوضاع الاقتصادية فى اليمن أو فى غيرها يؤدى حتماً إلى تغيير جذرى فى الظروف الاجتماعية والسياسية بصفة تدريجية ، وكنت أرجو التدرج اجتماعياً وسياسياً .

سافرت إلى اليمن فى أول ديسمبر ١٩٥٣ ، وفى اليوم التالى لوصولى إلى تعز أشعرت الإمام أحمد بأننى أعددت تقريراً إصلاحياً شاملاً راجياً تسليمه إليه بنفسى .

قابلنى الإمام بابتسامة عريضة كما عودنى كلما رآنى ، وكان قد منحنى لقب (قاضى) وهو اللقب الذى كان يلى فى اليمن منزلة (السيد) الذى لا يمكن منحه لأحد لأنه كان محصوراً فيمن يدعون الانتساب إلى سلالة الرسول ﷺ ووفقاً عليهم دون سواهم . وقبل أن أقدم له التقرير أبلغنى بأنه أصدر قراراً بتشكيل محكمة سماها محكمة الأجانب عينى رئيساً لها ، وعضوها الأيمن القاضى يحيى السياغى حاكماً تعز ، وعضوها الأيسر القاضى محمد الحداد من أعضاء الديوان الملكى .

وكان المطلوب محاكمة طبيب أسنان هولندى وزوجته المتهمين بالاعتداء على الإمام أحمد والحاج محمد الروضى مدير مستشفى تعز .

كان الإمام يزور مستشفى تعز فسمع مشادة بين مدير المستشفى وطبيب أسنان هولندى . فتدخل الإمام فى المشادة وضرب الهولندى وزوجته الطبية التى كانت تقف جواره ، فصاح الهولندى فى وجه الإمام ، فاعتبر الإمام أن صياح الهولندى اعتداء عليه ، فأمر جنوده بضرب الطبيب وزوجته اللذين كادا يموتان من قسوة الضرب ، فحاولا الدفاع عن نفسيهما فلمست أيديهما صدر الإمام وعمامته التى سقطت على الأرض بين أقدام الطبيب وزوجته وجنود الإمام .

خشى الإمام من الفضيحة إذا ما غادر الطبيب اليمن فأمر بتشكيل محكمة عليا لمحاكمته هو وزوجته .

عقدت المحكمة فى مبنى وزارة الخارجية وتقدم المدعى العام يطالب المحكمة بإعدام الطبيب وزوجته بتهمة محاولة اغتيال الإمام .

اتسع التحقيق فشمّل مدير المستشفى وبعض موظفى الخارجية .

ثم استقر رأى المحكمة على براءة المتهمين الهولنديين ، وعزل مدير المستشفى وعزل الاستاذ على رجاء سكرتير وزارة الخارجية الذى ثبتت إدانته بتزوير عقد العمل بعد أن وقع عليه الطبيب ، مما كان السبب الأصل فى المشادة ، أما ما حدث للإمام الذى ما كان له أن يتدخل فى تلك المشادة فقد اعتبرته المحكمة دفاعا عن النفس من جانب الهولنديين ، فاكتفت المحكمة بإبعاد الهولنديين من اليمن على نفقتيهما .

رفعت الحكم قبل إذاعته إلى الإمام للتصديق عليه . ولما قرأته بنت حجر (السيدة المقربة من الإمام والتى تبينت فيما بعد أنها كانت تحكم اليمن باسمه) تألمت من عزل مدير المستشفى الذى كان يطيع أوامرها ، ويسهل لها الإقامة فى المستشفى هربا من أسوار القصر الملكى ، فأعادت الحكم إلى بصفى رئيس المحكمة بعد أن أشرت عليه بخطها قائلة (يلزم إعدام الهولندى) .

لم أجد وسيلة للوصول إلى الإمام غير تأجيل النطق بالحكم والاعتكاف فى دار الضيافة ، حتى نشرت صحف عدن أن الإمام يضغط على المحكمة لتحكم بما يراه الإمام . ولما طال اعتكافى وانطلقت الإشاعات وصلنى أمر من الإمام يلزمنى بوجوب أن أحذف بعض العبارات من الحكم ، فذهبت لمقابلته وأقنعتة بأنه ليس من صالح اليمن أن تعطى للطبيب الهولندى وزوجته فرصة للتشهير بنظام الحكم فى اليمن ، كما أنه ليس من صالح الإمام شخصيا أن نهىء بإرادتنا مناخا خصبا للصحافة الأجنبية تخلق منه قصة دولية تدين الإمام . واقترحت عليه أن يعفو عنهما ويتركهما يرحلان سالمين متعهدا من جانبى بمحاولة إقناع عضوى المحكمة بحذف ما يمس مدير المستشفى وسكرتير وزارة الخارجية . وافق الإمام ، واتفق أعضاء المحكمة وقمت بإعلان الحكم على هذا النحو الذى نشر فى الصحف فى حينه .

ولم أجد المناخ مناسباً لتقديم تقريرى الاقتصادى إلى الإمام وكنت قد أكتفيت بإبلاغه بأن مصر سوف ترسل إلى اليمن ما طلبه الإمام من المقدم كمال عبد الحميد ، وأن المدربين المصريين قد تم اختيارهم فعلاً بعد أن قام البدر بزيارة القاهرة قبل ذلك بوقت قريب ، وطلبت من الإمام البدء فى اختيار أفراد الجيش اليمنى الذين يختارهم بنفسه للتدريب ، حتى يكونوا نواة الجيش اليمنى الحديث الذى يستطيع أن يتصدى لأطماع شقيقه الحسن ، ويدعم ابنه البدر .

قدمت تقريرى الاقتصادى للبدر الذى رحب به أعظم ترحيب ، وقال أنه سوف يعمل على تنفيذ تدريجياً كلما سمحت ظروف الإمام النفسية ، ففهمت أن الإمام لا يزال يستوحش الإصلاح الاقتصادى ويخشى من نتائجه ، ولعله كان أسيراً للماضى وظروفه الموضوعية ، أو لعله كان يخشى من نقد المتزمتين اليمنيين من رجال الدين أو من القبائل ، الذين كان الإمام عادة ما ينسب إليهم أمام زائريه أسباب تريته فى الموافقة على المشروعات الإصلاحية .

لكننى كنت عظيم الأمل فى البدر الذى لم يترك أية مناسبة دون أن يستغلها فى التأكيد على أنه يتمنى أن يكون رائد الإصلاح فى اليمن ، وأنه لا يتأخر عن أقناع والده الإمام بالإصلاح كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

أثناء وجودى فى تعز تحدثت كثيراً مع المقدم أحمد يحيى الثلاثيا وأخبرته عن قرب وصول البعثة العسكرية المصرية إلى اليمن ، كما أطلعته على صعوبة تقبل الإمام للإصلاح ، وعلى حسن ظنى فى شخصية البدر واستعداده غير المتحفظ لقيادة الإصلاح فى اليمن عندما تنتقل السلطة إليه ولم يكن هناك مرشح آخر يمكن أن يتولى الإمامة ، ويكون إماماً صالحاً حتى نبدأ فى الدعوة له والعمل من أجله .

لم يكن فى ساحة المرشحين للإمامة سوى البدر وبعض أعمامه كسيف الإسلام الحسن وسيف الإسلام عبد الله ، وكان الحسن مرفوضاً بكل المقاييس ، وبصفة قاطعة ، لدى جميع الأحرار والمصلحين والمفكرين ، وكان عبد الله غامضاً ، يوحى إلى مستمعيه أحياناً بميوله الإصلاحية ويوحى إليهم فى أغلب الأحيان بتمسكه بتقاليد الإمامة المتحفظة .

ولعله كان يتطلع إلى الجمع بين أنصار الحسن المتحفظين وأنصار البدر المصلحين . مثل هذا الرجل لا يجوز الاطمئنان إلى سياسته لأنه يستحيل التعرف على نيته .

فلم يكن معنا سوى البدر ، ولم يعد أماننا سوى انتظاره حتى يتقصد السلطة ، والعمل معه حتى تتعمق جذور شعبيته بين أصحاب الحل والعقد ، وهم ليسوا دائماً المتزمتين من رجال الدين وشيوخ القبائل وأصحاب المصالح الخاصة فى استمرار التخلف ، وإنما هم القوة التى تستطيع أن تفرض رأيها ، هذه القوة التى تعتمد أحياناً على بعض هؤلاء عندما يكتشفون حقائق المأساة التى فرضتها الظروف المتخلفة الضاربة فى أعماق المجتمع ، وغالباً ما تعتمد على الشباب المثقف أو رجال القوات المسلحة ، أو مزيجاً من أولئك

وهؤلاء إذا ما كان في وسعهم أن يفرضوا رأيهم . وهم يستطيعون ذلك عندما يكون المجتمع قد فتح ثغرة في جدران التخلف حتى تتسلل من خلالها عناصر مثقفة ومصلحة من الشباب وعناصر مثقفة ومدرّبة من أفراد القوات المسلحة إلى بنيان المجتمع المتخلف .

هذا ما كان يجري فعلا في اليمن .

الطلبة اليمنيون في مصر هم العناصر المثقفة المصلحة ، وسوف تصل إلى اليمن البعثة العسكرية المصرية لتدريب وتنظيم الجيش ، مما يؤدي إلى ميلاد العناصر المثقفة والمدرّبة بين صفوف القوات المسلحة .

من أولئك هؤلاء والمستنيرين من رجال الدين وشيوخ القبائل يكتمل نصاب أهل الحل والعقد الذين يفرضون الإصلاح . قلت للمقدم أحمد يحيى الثلايا أن إصلاح الظروف الموضوعية السائدة في اليمن يحتاج إلى وقت وصبر ، وما دما قد اتفقتنا مع البدر الذي يتجه إلى الإصلاح فإن احتياجنا إلى الوقت والصبر ينطلق من هدف واضح ومحدد . افتنع المقدم الثلايا باستمرار العمل من أجل البدر مهما رفض الإمام أية مشروعات للإصلاح الاقتصادي ، وكفينا من الإمام أن نستمر في تدريب الجيش وتسليحه تحت سمعه وبصره دون عقبات من جانبه ، طالما كان يسعى إلى تنصيب البدر وليا للعهد ، وفي سبيل ذلك يبارك علاقات البدر الخاصة مع قادة الثورة المصرية قدر ما يبارك احتضان الطلبة في مصر وتدريب الجيش في اليمن .

عدت إلى القاهرة وزارني ، كعادته في كل أسبوع ، الطالب اليمني محمد قائد سيف وكان قد تخرج من الكلية الحربية مع زميله أمين زباره .

أذكر أنني منذ أن التقيت بمحمد قائد سيف عندما وصل من عدن للدراسة في المدرسة الثانوية في القاهرة سنة ١٩٤٨ وجدت في أعماقه ثورة عارمة على كل أوضاع اليمن ، كنا نلتقي مرة على الأقل في كل أسبوع نمضي معا يوما كاملا نتأمل فيه أحوال اليمن ، وكنت أنصحه دائما بالهدوء والصمت حتى يستكمل دراسته .

وكان مصمما على الالتحاق بالكلية الحربية ، والتحق بها وذات مرة دعى بعض أصدقائه من الذين كانوا لا يزالون في المدرسة الثانوية إلى مقابلته في حديقة الأندلس ، وكان من بينهم محمد الأنومى وعبد الله جزيلان ومحمد الوجيه وحسين السقاف ونصحهم بأن يلحقوا به في الكلية الحربية ، قائلا أنه في وسع اليمن أن تستقدم أطباء ومهندسين ومدرسين وقانونيين وغيرهم من الخارج ، لكنها لا تستطيع أن توظف من الخارج ضباطا وقادة لقواتها المسلحة .

استغرقت في تأمل هذه الذكريات عندما زارني محمد قائد سيف بعد أن عدت من اليمن وتخرج من الكلية الحربية وأصبح الملازم محمد قائد سيف . حكيت له كل ما جرى في اليمن ، كعادتي معه .

لم أكن أعهدده بخالفني في الرأي ، لكنه في هذه المرة عارضني بشدة مؤكدا أنه ليس هناك أقل أمل في البدر بقدر ما ليس هناك أقل أمل في والده الإمام .

قلت له أن السياسة فن بلوغ الممكن وليست تكسير الرأس على صخرة المستحيل .
وأضفت أننا لو تخلينا عن البدر فإننا سوف نخسر البدر والإمام معا ، فى وقت ليس
معنا فيه مرشح آخر يتمتع بمثل ظروف البدر الخاصة ، التى تجعله محل ثقة الإمام
والمتقنين ومن سوف ندرّبهم وننظمهم من أفراد القوات المسلحة .

اقتنع الملازم محمد قائد سيف بوجهة نظرى وسافر إلى اليمن ومعه الملازم أمين
زيارة ، وكان ذلك فى ربيع ١٩٥٤ .

عندما وصلا إلى صنعاء لم يكلفهم أحد بأى عمل ، بل كان المسئولون اليمنيون
ينظرون إليهما نظرة شك ، فهما أول من تخرج من الكلية الحربية فى مصر ويعد سنتين
من قيام الثورة المصرية التى ملأت الدنيا بالحماس والأفكار الثورية .

أمضيا على هذا النحو المتجمد دون عمل قرابة أشهر ثلاثة ، بعدها عاد الملازم أمين
زيارة إلى مصر لأنه لم يطق البقاء على هذه الصورة فى اليمن .

استطاع الملازم محمد قائد سيف أن يحصل على موافقة وزير الخارجية سيف الإسلام
عبد الله لتدريب فصيلة واحدة على الأنظمة والأساليب الحديثة التى تعلمها فى مصر على
أن تكون نموذجا يمكن تقييمه بعد ستة أشهر .

أثناء ذلك وصل الإمام أحمد إلى صنعاء لزيارتها لأول مرة بعد انقلاب عبد الله الوزير
سنة ١٩٤٨ ، وكانت هذه الزيارة حدثا تاريخيا بالنسبة إلى أهل صنعاء الذين كانوا يعانون
من الكساد بعد أن نقل الإمام أحمد العاصمة بصفة فعلية إلى تعز . أنهالت الهدايا على
الإمام أحمد من كل حذب وصوب ، وكان شيوخ القبائل يسوقون إليه الهدايا قادمين من
أقصى الشمال وأقصى الشرق .

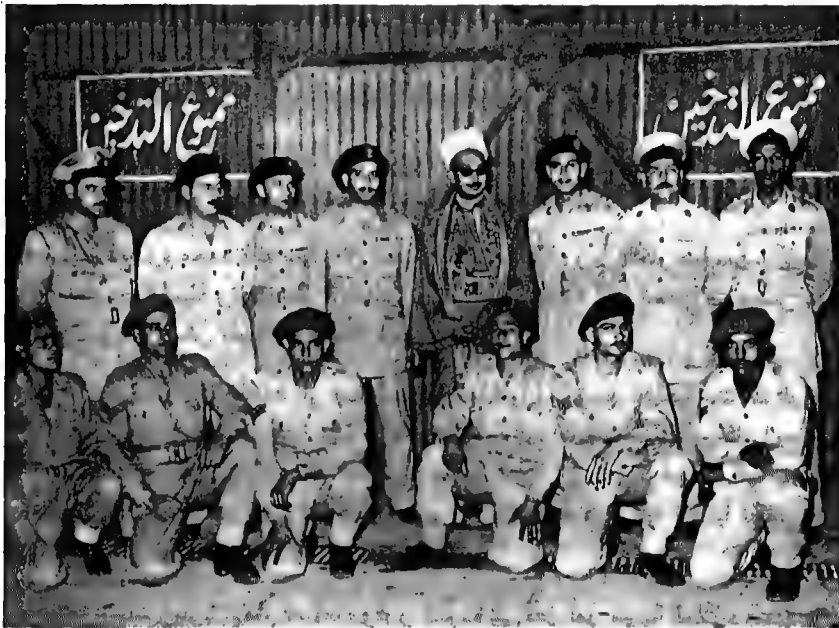
وعندما انتهت زيارة الإمام لصنعاء وقرر العودة إلى تعز أمر سرية الملازم محمد قائد
سيف التى كان قد بدأ فى تدريبها ، بأن تقوم بحراسة هدايا الإمام وهى فى طريقها إلى
تعز .

وصلت هذه السرية إلى تعز تحرس هدايا الإمام ثم توقف تدريبها ، وكانت قد وصلت
قبل ذلك بعثة التدريب العسكرية المصرية وبقيت فترة بغير عمل تنتظر إذن الإمام .

كانت البعثة العسكرية المصرية برئاسة أحد الضباط المصريين الأحرار الرائد كمال
أبو الفتوح (محافظ القليوبية فيما بعد) وعضوية النقيب محمد أحمد لبب (محافظ الفيوم
فيما بعد) والنقيب يوسف عفيفى (محافظ البحر الأحمر فيما بعد وأحد أبطال حرب
أكتوبر ١٩٧٣ حيث كان قائدا لإحدى الفرق ثم قائدا للجيش الثانى) والنقيب سعد رؤوف
(السفير بوزارة الخارجية المصرية فيما بعد) .

كما وصلت إلى تعز بعثة مصرية من ضباط الشرطة لتدريب وتنظيم الشرطة اليمنية
وكانت تتكون من الرائد عبد الله الحامد والنقيب مصطفى الهمشرى (مدير أمن
الاسماعيلية فيما بعد) .

قرر الإمام أحمد بناء على توصية البدر تعيين الملازم محمد قائد سيف ضابطا للاتصال بينه وبين البعثتين العسكريتين المصريتين ، مع تكليفه بالاشتراك مع المقدم أحمد يحيى الثلايا قائد الجيش فى تعز باستلام هدية الأسلحة والذخيرة التى وصلت من مصر مع الضباط المصريين .



الأمير (السابق) البدر يتوسط أعضاء البعثة العسكرية وبعثة الشرطة قبل سفرهم إلى اليمن (عام ١٩٥٤) .

كانت هذه الهدية عبارة عن أربعة مدافع هاون ، وستة مدافع رشاشة ثقيلة ، وأثنى عشر رشاش بورسعيد ، وعشرين بندقية صناعة مصرية ، وأربعين قنبلة يدوية ، وعشر صناديق ذخيرة لهذه الأسلحة ، تم نقلها جميعا إلى مخازن قصر صالة بتعز .

أمر الإمام أحمد أمير الجيش فى تعز السيد محمد الحوثى بأن يشترك مع المقدم أحمد يحيى الثلايا فى اختيار مائتى جندى وتسليمهم للبعثتين العسكريتين كى يبدأ التدريب على الأنظمة والأسلحة الحديثة .

أبلغ رئيس البعثة العسكرية الرائد كمال أبو الفتوح الملازم محمد قائد سيف ضابط الاتصال اليمنى والمشرّف على شئون التدريب بأن مصر مستعدة لتزويد الجنود اليمنيين بالملابس العسكرية الحديثة حتى ينتظم التدريب وتكتمل صورة النظام على النحو المألوف عسكرياً ، إلى جانب استعداد مصر لتقديم وجبات غذائية لهؤلاء الجنود كي يصمدوا ويتحملوا التدريبات العسكرية الشاقة .

تحمس الملازم محمد قائد سيف لهذا العرض الذى لن يكلف اليمن شيئاً ، وأسرع بكتابة تقرير إلى الإمام يقترح عليه توجيه الشكر للبعثة العسكرية المصرية .

غير أن الإمام ، بعد بضعة أيام ، أرسل سكرتيره الخاص القاضى عبد الملك العمري كي يبلغ محمد قائد سيف بأن الجنود اليمنيين لن يوافقوا على تغيير الزي الذى تعودوا عليه ، وأنهم لن يقبلوا إستبدال الرداء الوطنى بالبنطلون الأجنبى .

استمر تدريب الجنود اليمنيين نحو خمسة وأربعين يوماً وإذا بهم ينصرفون عنه ويذهب كل منهم إلى طريق بناء على تعليمات الإمام الذى جمعهم بعد ذلك وفرّقهم على ثكنات الجيش .

حزن المقدم أحمد يحيى الثلايا أشد الحزن من تصرف الإمام الذى ضرب بكل وعوده عرض الحائط .

وأس الملازم محمد قائد سيف من جدوى الإستمرار فى تأييد البدر ، وكتب رسالة يبلغنى فيها بما حدث ويذكرنى بما قال لى فى القاهرة عن البدر ويطلب رأيى فنصحتّه بمواصلة تأييد البدر كحل وحيد ليس له فى ذلك الوقت أى بديل ، وأعدت عليه ما سبق أن قلته له .

زرت الرئيس جمال عبد الناصر وأبلغته بإستحالة إصلاح اليمن بغير الإستناد على قوة عسكرية ، واستحالة بناء قوة عسكرية فى ظل النظام الإمامى الذى يعتمد على تمزيق الشعب وتكليف القبائل بأن يضرب بعضها بعضاً حتى ينفرد بالسلطة الكهنوتية بإسم وراثة النبى ﷺ نصحنى الرئيس عبد الناصر بزيارة (البكباشى) محمد أنور السادات سكرتير عام المؤتمر الإسلامى حتى يتولى متابعة شئون اليمن معى وإيداء النصائح التى تمهد إلى إصلاح اليمن ، ففهمت من كلمات الرئيس أنه يتحاشى الحديث فى أمور تناهض نظام الحكم فى اليمن . وأنه كلف بذلك أنور السادات حتى إذا نجحت ثورة اليمن كانت رصيذاً لمصر وإذا فشلت فإن السادات يتحمل مسئولية فشلها وحده فلم يكن يتولى فى ذلك الوقت منصباً حكومياً رسمياً غير عضويته فى مجلس قيادة الثورة وبذلك لا تتحمل مصر رسمياً ما يترتب على مثل ذلك الفشل .



من اليمين إلى اليسار : المؤلف ، السيد يحيى الوادعي ، السيد عبد الرحمن عبد الصمد
أبو طالب ، القاضي إسماعيل الجرافي وصافح الرئيس السابق محمد نجيب ثم السيد حسن
إبراهيم عضو مجلس قيادة الثورة المصرية ووزير شئون رئاسة الجمهورية .



فى شتاء ١٩٥٤ كان نفوذ سيف الإسلام عبد الله قد أخذ فى الازدياد ، حتى كان الإمام لا يرد له طلبا ولا يرفض منه نصيحة ، حيث كان أقل خطرا عليه من أخيه الحسن ، وأكثر إقناعا له من ابنه البدر .

نصح الإمام بخطورة نشاطى بين الطلبة اليمنيين فى مصر ، وكان قد عزل السيد على إسماعيل المؤيد من منصبه فى القاهرة ، وعين السيد عبد الرحمن عبد الصمد أبو طالب مكانه ، مع استمرارى فى العمل مستشارا ، وبقاء السيد يحيى الوادعى مستشارا ثانيا ، والقاضى إسماعيل الجرافى سكرتيرا أولا .

أثناء عودتنا من قصر عابدين بعد تقديم أوراق اعتماد السفير الجديد إلى الرئيس محمد نجيب ، أبلغنى السيد عبد الرحمن أبو طالب بأن الإمام يأمرنى بأن أتوقف عن الإشراف على البعثة التعليمية . وأن أكتفى بتمثيل اليمن لدى جامعة الدول العربية .

كانت جريرتى التى بلغت إلى الإمام أننى بدأت أنصح الطلبة أن ينتخبوا من بينهم مجلسا يتولى حل مشاكلهم الشخصية حتى أنفرغ لشئونهم الدراسية والإدارية مع مدير البعثة الشهم السيد يحيى المضواحي ومساعدته الاستاذ على الأنسى .

وكان سبب هذا الاتجاه أن وقتى كان يضيع فى حل مشاكلهم الشخصية ، وصداقتى كانت تهتز مع الطالب الذى لا يعجبه الرأى المنصف .

كانت أحداث الشغب تتكرر فيما بينهم ، وكان بعضهم يشهر السكين فى وجه البعض الآخر كما كان يحدث عادة بين على سيف الخولانى وعبد الله جزيلان .

ولعله من الأمور العادية الطبيعية أن يحدث اختلاف عندما يسكن عدد كبير من الشباب فى بيت واحد ، ولمدة طويلة ، لا سيما إذا كانوا طلبة شرقيين ومغربيين ، وإن كان استخدام السكاكين أمرا لا يجوز مهما كان الاختلاف فى الرأى والغربة فى الدار والحرارة فى الانفعال .

طلعننى أنصار سيف الإسلام عبد الله النجم اللامع فى ذلك الوقت وزعموا لدى الإمام إننى أنشر بين الطلبة روح القيادة الجماعية ، وأن هذه المجالس الطلابية فى مصر لن تلبث أن تصبح دعوة إلى إقامة مجالس نيابية فى اليمن ، عندما يعود إليها هؤلاء الطلاب يحملون شهادتهم الجامعية من مصر الثورة .

أغلب الظن أن سيف الإسلام عبد الله ، وكان كثير التردد على القاهرة ، قد عرف شيئا عن ولائى للبدر وسمع كثيرا عن نشاطى بين الطلبة اليمنيين مؤيدا للبدر ، الذى كان قبل ذلك قد اختار طالبين يمنيين متفوقين لمرافقته وإدارة مكتبه ، حتى يكسب ثقة الطلبة وغيرهم من رجال اليمن الذين كانوا يرجون الإصلاح .

هذان الطالبان اليمنيان هما محسن العينى ومحمد الرعدى . وأذكر أنني اشفقت عليهما عندما تركا الدراسة والتحقا بحاشية البدر وهيئة مكتبه ، فخشيت على مستقبلهما الدراسى الذى كان من اللازم أن يكون ركيزتهما الأساسية قبل تفرغهما للعمل السياسى . وأحمد الله أنهما أكملتا دراستيهما فيما بعد عندما تركا العمل مع البدر .

فى ٢٠ يناير ١٩٥٥ ذهبت بناء على توجيه الرئيس عبد الناصر لزيارة السيد محمد أنور السادات فى مكتبه بالمؤتمر الإسلامى وكان قد تولى منصب سكرتيره العام فى أول يناير ١٩٥٥ فأكد لى مدى تأييد الرئيس عبد الناصر لأفكارى الإصلاحية فى اليمن وأنه قد كلفه بمتابعة الاتصال بى لهذا السبب . وكان السادات واسع الاطلاع على الشؤون العربية الإسلامية .

رأيت فيه فيلسوفا ومعلما وليس فقط ضابطا وثائرا . كنت فى كل مرة أزوره فى مكتبه لا أخرج من لديه إلا ومعى كتاب ينصحنى بقراءته . وعندما كنت أستاذنه للانصراف كان يستيقظنى ساعة بعد أخرى مستأنفا الحديث الذى ليست له نهاية ، يسمعنى وأسمعه ونحن نتحدث عن الكثير من تاريخ العرب والكثير من أحوال المسلمين ، ومستقبل الأمة العربية .

زرتة فى ذلك اليوم لينقل إلى الرئيس عبد الناصر ما وصلت إليه جبهة البدر ، وضعف البدر الذى سكت على تجميد البعثة العسكرية المصرية فى دار الضيافة بتعز بغير عمل ولا أمل ، أطلعته على رسالة جديدة وصلتني من الملازم محمد قائد سيف ، رسالة ينفطر لها القلب ، وينشق لها الصدر ، ويذهب معها العقل . وإذا بأنور السادات يبتسم ، وينكر على قلقي وغضبى وضعف حيلتى ، ويسألنى عن البديل إذا كنت قد فكرت فى أى بديل .

لم يكن هناك بديل .. طالما كنا نبحث عن إمام يسمح بالإصلاح عندما يتولى الحكم ، على أن يكون من الذين يفضلهم الإمام أحمد لعله يتجاوب تدريجيا مع أى قدر من الإصلاح .

كانت هذه الشروط تنطبق على البدر وحده ، دون غيره . وما علينا سوى الصبر وتكرار المحاولة والإصرار على السير فى الطريق الذى يصل إلى الهدف النهائى ، وهو الإصلاح الذى تعهد به البدر .

عدت إلى بيتى فوجدت رسالة من السفير السيد عبد الرحمن أبو طالب يبلغنى بأن الإمام أحمد قرر نقلى للعمل قائما بأعمال السفارة اليمنية فى بون بألمانيا الغربية ، بدعوى أن الإمام قد أراد أن يتفرغ السيد حسن بن على بن إبراهيم لأعماله كسفير فى لندن وكان يجمع بين السفارتين اليمنيتين فى لندن وبون .

لم يكن من الصعب أن أفهم مراد الإمام ، وأنه قد استجاب لمن نصحوه بإبعادى عن محيط الطلبة اليمنيين فى مصر ، ولم يصدق أننى كنت من أصدق الناصحين له ولإبنه البدر . بل كنت التمس له الاعذار عندما ينفر من الإصلاح وسيرة الإصلاح ، معتقدا أن الإنسان عدو لما يجهل ، وأن الإمام لم يخرج من اليمن طيلة حياته حتى ذلك التاريخ ، فلم يعرف عن حياة الشعوب الأخرى إلا من المجلات والصحف والإذاعات الأجنبية ، وكان الكثير منها يذيع وينشر أخبارا وصور مرفوضة على كل المذاهب الإسلامية ، فظن أن هذه هى ما يسمونه بالحضارة العصرية ، ولم يكن يعرف إلا ما تركه الأولون الذين سبقوه إلى حكم اليمن ، وأحكموا الحصار حولها .

كنت أعتقد أن من واجب المتطلعين إلى الإصلاح أن يبدأوا بإصلاح نظرة الإمام إلى الإصلاح ، لأنه لو أقنعت به فإنه يكون أعظم من يفرضه فى اليمن ، فشخصيته مهابة فى سائر البلاد ، وكلمته مستجابة لدى سائر اليمنيين ، فإذا ما فرض الإصلاح فإنه يتحقق بغير عناء ولا دماء .

نقلنى الإمام من مصر ليعيدنى عن الطلبة وعن مصر ، فلما منه أنه إذا نفانى فى ألمانيا توقفت صلاتى ولقاءاتى مع الطلبة اليمنيين والمسؤولين المصريين . هكذا صور له المغرضون ، الغاضبون منى ، الطامعون فيه ، المتحفزون للانقضاض عليه ، وعلى إبنه وولى عهده .

سافرت إلى ألمانيا فى ٣ فبراير ١٩٥٥ وفى منتصف مارس ١٩٥٥ وصل السيد محمد أنور السادات إلى مدينة فرانكفورت بألمانيا الغربية فى طريق عودته إلى القاهرة بعد زيارات شملت العديد من الدول .

التقيت به فى مقر القنصلية المصرية فى فرانكفورت فقص على قصة مثيرة .



من اليمين : المؤلف ثم السيد أنور السادات وأحد الصحفيين الألمان فى دار القنصلية المصرية فى فرانكفورت (مارس ١٩٥٥) .

ذلك أنه أثناء زيارته لليمن خلال شهر فبراير ١٩٥٥ ، أى قبل حوالى شهر من تلك المقابلة ، وبعد أن زار الإمام أقام له سيف الإسلام عبد الله حفل تكريم بمناسبة زيارته لليمن ، وكانت فى دار الضيافة فى تعز ، وحضر الحفل المقدم أحمد يحيى الثلايا والملازم محمد قائد سيف وجلس بجوار سيف الإسلام عبد الله ، الذى كان يجلس على يساره رئيس البعثة العسكرية المصرية الرائد كمال أبو الفتوح ، وكان الشيخ جازم الحرورى مدير التشريفات يشرف على ترتيبات الحفل وراحة الضيوف .

عند انتهاء حفل العشاء توجه السيد محمد أنور السادات إلى غرفة نومه وإذا بمدير مكتبه النقيب حسن نائل الذى صاحبه فى تلك الزيارة يقترب من سريره ومعه الملازم محمد قائد سيف الذى أصر على مقابله ، وسلمه تقريراً خطياً عن أحوال اليمن والعذاب النفسى الذى تعانى به البعثة العسكرية المصرية وأنه لا فائدة من مجاملة الإمام ولا مستقبل لليمن فى ظل البدر .



من اليمين : النقيب كمال أبو الفتوح رئيس البعثة العسكرية المصرية ، أحد أعضاء البعثة ، القاضى عبد الرحمن الاريانى .

من اليسار : الملازم محمد قائد سيف ، الأستاذ أحمد محمد نعمان والمقدم أحمد يحيى الثلايا (فبراير ١٩٥٥) .



السيد محمد أنور السادات بصافح الملازم محمد قائد سيف (فبراير ١٩٥٥)

كان ذلك التقرير بخط محمد قائد سيف وتوقيعه ، وبعد أن قرأه السادات سلمه محمد قائد سيف تقريراً آخر منسوباً للأستاذ أحمد محمد نعمان ، الذى كان يقيم فى نفس دار الضيافة فى ذلك الوقت ، لكنه لم يكن بخط الأستاذ نعمان ولا بتوقيعه ، وهو تحفظ طبيعى من الأستاذ نعمان عندما خرج من سجن حجة بعد حبس مظلم استمر نحو سبع سنوات .

كانت رسالة الأستاذ نعمان تنحصر فى شرح أحوال اليمن وبعض أمور أخرى لا تتعلق بمستقبلها .

سلمنى السادات رسالة خطية من محمد قائد سيف يشرح فيها ما جرى بينه وبين السادات ويطلب منى الاطلاع على التقرير الشامل الذى سلمه إليه (الوثيقة رقم ٣) .

حكى لى السادات أن الإمام قد طلب منه إبلاغ الرئيس جمال عبد الناصر برغبته فى سحب البعثة العسكرية المصرية من اليمن زاعماً أنه حريص على راحة أعضائها الذين قد وصلوا إلى حالة نفسية مرهقة .

وأكمل السادات تلك القصة بقوله أن سيف الإسلام عبد الله حاول أمامه وبكل جهده ، أن يقدم نفسه كداعية إصلاح يسعى إلى توطيد أقوى العلاقات مع مصر .

ثم علق السادات على هذه القصة قائلاً أنه يشم رائحة انقلاب فى اليمن .

قلت للسادات أن المنطق الوطنى والقومى يقتضى عدم تأييد أى انقلاب يستهدف الإنقضااض على الإمام فى تلك الأيام .

شرحت تفاصيل وجهة نظرى وكيف أن الحد الأدنى للعناصر والمقومات اللازمة لنجاح الإصلاح فى اليمن لم تكتمل حتى تلك اللحظة ، وإن أى انقلاب يمكن أن يقوم على تلك الصورة فى اليمن لن يزيد عن كونه صراعاً على السلطة وحادثاً عرضياً محصوراً فى مكانه .

كان ذلك فى نفس الوقت هو رأى السادات ، وكان كل منا يقول رأيه للآخر كما تعودنا فى الحديث عن اليمن وأزمة الأمة العربية .

بعد هذا اللقاء بنحو إسبوعين وقع انقلاب المقدم أحمد يحيى الثلاثيا يوم الخميس ٣١ مارس سنة ١٩٥٥ ، الذى اشترك فيه الملازم محمد قائد سيف ، وأعلن رجال الانقلاب أن سيف الإسلام عبد الله قد تولى الحكم خلفاً للإمام أحمد الذى تنازل لأخيه عبد الله عن منصب الإمامة .

تألمت أشد الألم لأننى كنت واثقاً فى أن مثل ذلك الانقلاب لا بد أن يفشل ، وعندئذ تخسر القوى الوطنية المقدم أحمد يحيى الثلاثيا والملازم محمد قائد سيف من صفوفها المتقدمة المتطلعة إلى الإصلاح .

خشيت أن يتورط غيرهم من عناصر القوى الوطنية فتزيد خسارة الوطن ، ولم يكن فى استطاعتى وأنا بعيد عن اليمن أن أقدم نصحاً لأحد .

لم تؤيد مصر الانقلاب وكذلك البعثة العسكرية المصرية التي كانت لا تزال في تعز لم تحرك ساكنا ، والتزمت الصمت المطبق كما تقتضيه الحكمة في مثل تلك الظروف .

في مساء يوم الاثنين ٤ أبريل ١٩٥٥ أذاعت وكالات الأنباء خبر انتصار الإمام أحمد والقبض على أخيه سيف الإسلام عبد الله بعد أن عاش الانقلاب أربعة أيام فقط ثم سقط في اليوم الخامس .

وفي صباح يوم الخميس ٧ أبريل ١٩٥٥ وصلتني برقية من الإمام يطلب فيها وصولي إلى تعز ، ولم يساورني أى قلق من مضمون البرقية ، لأنه بالرغم من معرفة الإمام بمدى صداقتي بالمقدم أحمد يحيى الثلايا فإنه كان يعرف موقفى الثابت من سيف الإسلام عبد الله .

توجهت إلى تعز بعد أن التقيت بالسيد محمد أنور السادات في القاهرة . ودرسنا الموقف على ضوء هذه التطورات المرتجلة والحزينة .

وقبل أن انصرف من بيته قدمت له التعزية في وفاة المقدم أحمد يحيى الثلايا والملازم محمد قائد سيف .

لقد ارتكبا خطأ دون أدنى شك ولم يستمعا لما نصحتهما به ، لكنهما كانا فوق كل ذلك من العناصر الوطنية التي وهبت حياتها لليمن دون أن تفكر في أية مصلحة ذاتية ، بل دون أن تفكر حتى في سلامتها الشخصية .

كانت المفاجأة الكبرى التي هزتنى من كل أعماقى وانشرح لها صدرى أنه أخبرنى قبل انصرافى بأن محمد قائد سيف قد هرب ، وقد وصل فعلا إلى عدن .

حمدت الله أعظم الحمد لنجاة أحدهما محمد قائد سيف وقرأت الفاتحة على روح الآخر الشهيد أحمد يحيى الثلايا . وأرسلت إلى عدن رسولا إلى محمد قائد سيف أعرض عليه اللجوء إلى القاهرة وكان السادات قد وافق على ذلك .

استأنفت سفرى إلى اليمن وكان السيد حسين الشافعى عضو مجلس قيادة الثورة المصرية قد سبقنى إليها على رأس وفد مصرى لتهنئة الإمام أحمد ، وربما كان وصوله إلى اليمن على نحو تلك السرعة سببا في إقدام الإمام على الإسراع بإعدام أخويه سيف الإسلام عبد الله وسيف الإسلام العباس ، خشية أن ترجو مصر لهما الرحمة فتتشفع لهما لدى الإمام الذى كان قد أعدم قبلهما معظم الذين اشتركوا في الانقلاب معهما .



من اليمين : السيد محمد الحوثى أمير الجيش ،
السيد حسين الشافعى والأمير (السابق)
الهدر . (أبريل ١٩٥٥)

بعد وصولى إلى تعز ذهبت لمقابلة الإمام فوجدته وكأنه استرد شبابه ونشاطه ، واستشهد بى أمام الحاضرين عن كيف كان كريما مع الثلايا وكيف أحضرته معى ، ذات يوم ، لمقابلته فأقسم الولاء له وللبدر .

انتهت المقابلة ولم أعرف لماذا طلب حضورى من ألمانيا ، ثم علمت من البدر أن الإمام كان ينوى تشكيل محكمة لمحاكمة المتمردين ومن بينهم أخويه عبد الله والعباس ، وأنه طلبنى لأكون أحد أعضائها ثم صرف النظر عن هذه الفكرة وأمر بإعدامهم .

حمدت الله على نجاتى من ذلك الموقف الحرج .

أثناء وجودى فى تعز عرفت حقيقة ما جرى ، عرفت كيف تطورت الأمور حتى قام الانقلاب وكيف تصرف القائمون عليه حتى فشل .

خرج بعض الجنود من تعز ليجمعوا الحطب من قرية الحوبان بالقرب من هذه المدينة ، فقطعوا أشجار المواطنين من شدة حاجتهم إليها . ولم تكن حاجتهم تلك مبررا لقطع أشجار المواطنين ، فتصدى لهم عدد من الزراع وتطور النزاع ، حتى تحول إلى قتال فيما بين الزراع والجنود . احتاج الجنود إلى مزيد من السلاح فعداوا ثائرين إلى ثكناتهم فى تعز وكان المقدم أحمد يحيى الثلايا ومعه عدد من الضباط يتأهبون لاستغلال أية فرصة لهم كى ينقضوا على الإمام ، فوجد الثلايا ومن كان معه من الضباط أن الفرصة قد لاحت لهم ، فأقنعوا الجنود الثائرين بأن شدة حاجتهم وبؤسهم ليس للزراع ذنب فى خلقهما وإنما هما من نتائج فساد حكم الإمام أحمد الذى لابد أن يعاقبهم على ما فعلوه مع أولئك الزراع . وبعد أن أقنعوهم أخذوهم إلى حيث حاصروا الإمام بعد أن زدوهم بالأسلحة من ثكنات الجيش .

وفى رسالة محمد قائد سيف ، الذى اشترك فى ذلك الانقلاب ثم هرب إلى عدن عندما تأكد من فشله (الوثيقة رقم ٤) ، يقول أنه قبل قيام هذا الانقلاب بأسبوع التقى بالأستاذ أحمد محمد نعمان فى دار الضيافة بتعز بتكليف من المقدم أحمد يحيى الثلايا ، لسؤال الأستاذ نعمان عما إذا كان الأحرار اليمينيون فى داخل اليمن وخارجها مرتبطين بالبدر ، أو أنهم غير مرتبطين به ، فأجاب الأستاذ نعمان بأنه تلقى أخيرا رسالة من عدن من الأستاذ عبد الله عبد الوهاب نعمان (المعروف بلقب الفضول) يقول فيه أن الأحرار فى الخارج لا يراهنون على جواد خاسر ، فاستوضحه محمد قائد سيف عن ذلك الجواد الخاسر فأجاب الأستاذ نعمان بأنه البدر ، ثم وجه سؤالا إلى محمد قائد سيف ليعرف ما إذا كان الجيش قد ارتبط بسيف الإسلام عبد الله أو لم يرتبط .

عاد محمد قائد سيف إلى المقدم أحمد يحيى الثلايا وأبلغه رأى نعمان ممثلا للأحرار وهو أنهم غير مرتبطين بالبدر وأنهم يعتبرونه جوادا خاسرا ، كما أبلغ الثلايا بسؤال الأستاذ نعمان عن سيف الإسلام عبد الله فكلفه الثلايا بأن يعود إلى الأستاذ نعمان ويبلغه أن الجيش لم يرتبط بأحد .

ذهب محمد قائد سيف إلى الأستاذ نعمان وأبلغه رأى الثلايا الذى يفيد بأن الجيش لم يرتبط بأحد لا بالبدر ولا بعبد الله فإذا بالأستاذ نعمان يكاد يصصره الخوف ، ولعله تأهب

فورا للهرب إلى عدن ، فلما استوضحه محمد قائد سيف عن سبب ذلك الذعر أخبره بأنه قد تورط صباح ذلك اليوم وأرسل رسالة ولاء لسيف الإسلام عبد الله ، الذى كان يزاول أعماله فى ذلك الوقت فى تعز ، وقد كتب الأستاذ نعمان تلك الرسالة معتقدا أن سؤال محمد قائد سيف عما إذا كان الأحرار مرتبطين بالبدر يعنى أن الجيش لا يؤيد البدر ، فكتب رسالة تأييده للأمير عبد الله .

يستطرد محمد قائد سيف وهو يصف أحداث الانقلاب قائلاً أنه وزملاء قادوا الجيش إلى مقر الإمام وحاصروه وأطلقوا النار على بيته من عدة جوانب وأحكموا عزل الإمام داخل بيته بصفة تامة . وقرر الضباط وعلى رأسهم المقدم يحيى الثلايا إحضار العلماء وأهل الحل والعقد الموجودين فى تعز إلى ثكنات الجيش لمحاكمة الإمام وإصدار حكم شرعى بإعدامه ، ثم النظر فيما يحسن اتخاذه بعد ذلك .

أثناء المناقشات بين العلماء وأهل الحل والعقد تحدث القاضي يحيى السباغى حاكم تعز (وعضو اليمين فى محكمة الأجانب التى كنت رئيسا لها) وأسهب فى شرح مبررات إعدام الإمام واقترح حضور الأمير عبد الله إلى ثكنات الجيش ليحضر الاجتماع ، وافق المجتمعون وتوجه أمير الجيش السابق السيد محمد الحوثى والأمير الحسن بن على (ابن شقيق الإمام) والقاضى محمد عبد الله الشامى إلى القصر وأحضروا معهم الأمير سيف الإسلام عبد الله .

وعندما نوقشت مسألة تنازل الإمام أحمد عن العرش لأخيه الأمير عبد الله قال القاضي محمد عبد الله الشامى أن تنازل الإمام عن العرش أمر لا تقبله عقول القبائل ، وإن الأفضل من ذلك أن ينوب الأمير عبد الله عن الإمام فى أعماله .

أيد الأستاذ أحمد نعمان هذا الاقتراح وأضاف عليه أن يعلن الإمام حل الوزارة السابقة التى عجزت عن صنع أى شيء ، وأن يسند رئاسة الوزارة الجديدة للأمير عبد الله الذى يتولى اختيار وزرائه ، على أن يبقى الإمام أحمد رمزا للإمامة ، فوافق الأمير عبد الله على اقتراح الأستاذ أحمد نعمان وتساءل الأمير عن مصير ولاية العهد فأجاب الأستاذ نعمان بأنه يحسن تأجيل البت فى هذه المسألة إلى حين الإنتهاء من معالجة المشكلة العاجلة ، وهنا صاح الملازم محمد قائد سيف فى وجه الأستاذ نعمان طالبا منه السكوت حتى يترك غيره يتكلم إذ أن الجيش يعرف رأيه من قبل وصاح أيضا المقدم الثلايا قائلاً (ليس غير التنازل أو الرصاص) .

عاد القاضي يحيى السباغى حاكم تعز الشرعى إلى الاسهاب فى شرح مبررات إقصاء الإمام نهائيا وخلعه تماما ومبايعة الأمير عبد الله كطلب الجيش وهذا ما يريده المقدم الثلايا ، فوافق عليه كما رحب به ومن كان معه من الضباط وسأل عن كيفية إعلان ذلك شرعا .

بعد مناقشة اتفق الحاضرون على إرسال وفد إلى الإمام يطلب منه التنازل لأخيه عبد الله .

ذهب الوفد إلى الإمام وكان يتكون من القاضى يحيى السباغى والقاضى محمد عبد الله الشامى والأمير الحسن بن على ، وبعد حوار قصد منه الإمام أن يتعرف على حقيقة وقوة ما يدور حوله ، وافق على التنازل فقام القاضى السباغى بكتابة وثيقة التنازل . ولعل الإمام هو الذى أملى على السباغى صيغة التنازل التى اختار الفاظها لأنها استخدمت الفاظ التنازل وأحتوت فى نفس الوقت على مضمون التوكيل .

وقع الإمام وثيقة التنازل لأخيه عبد الله وعاد الوفد إلى حيث اجتمع أهل الحل وأهل العقد ، ثم عزفت الموسيقى السلام الملكى وتقدم الحاضرون لمبايعة الإمام الجديد أمير المؤمنين الإمام عبد الله .

كان سيف الإسلام الحسن فى أمريكا فأظهر تأييده لأخيه عبد الله لأنه يعتقد أنه خير من البدر .

وكان البدر فى الحديدة وبدأ يفكر فى مستقبل ولاية عهده .

أراد الأمير عبد الله أن يتفادى الصدام مع الأمير البدر فقرر أن يرسل إليه وفدا يطلب منه البيعة أو إلقاء القبض عليه . فتطوع الأستاذ نعمان لرئاسة هذا الوفد وسافر إلى مدينة الحديدة والتقى بالبدر ، وبدلاً من أن يطلب منه البيعة لعبد الله اتفق معه على العمل ضده ، ثم سافر مع البدر إلى مدينة حجة وهى المدينة الحصينة التى سبق أن توجه إليها والده الإمام أحمد عندما قام انقلاب ١٩٤٨ .

نصح الأستاذ نعمان الأمير البدر بأن يصدق على القبائل بالمال ويوزع عليهم السلاح الذى كان فى متناول يده .

تعاقبت الساعات والإمام الجديد عبد الله ملتزماً بمقعده فى وزارة الخارجية فى تعز لا يحرك ساكناً ، بينما أخذ الإمام أحمد الماكر يواصل تحصين مقر إقامته فى بيته (العرضى) وتخزين الطعام والماء وترحيل النساء إلى قصر صالة فى تعز .

وقامت نساء الإمام بأحد الأدوار الحاسمة فى إجهاد الانقلاب حيث قمن بقص شعورهن ، وإرساله فى العديد من الرسائل إلى شيوخ القبائل ، لا سيما المجاورة لتعز ، يستنجدن بهم لحماية نساء الإمام بنات رسول الله .

فعلت هذه الرسائل فعل السحر لدى شيوخ القبائل ، حيث أثارت نخوتهم القبلية وهيجت حبهم لأهل البيت ، فاندفعوا بقبائلهم لنجدة الإمام وإنقاذ بنات رسول الله .

إستطاع الإمام أحمد أن يشتري ولاء الشاويش المحجاني وحفنة الجنود الذين كان معهم المدفع العتيق الثقيل الوحيد فى تعز ، والذى كان منصوباً فوق جبل صبر المطل على المدينة والمشرف على بيت الإمام وتكنات الجيش . كما استطاع أن يرسل من قام بتفجير ماسورة المياه التى تغذى منطقة بيت الإمام وتكنات الجيش بالماء ، ثم بدأ الإمام فى توزيع الطعام والماء على الجنود الذين كانوا يحاصرونه ، ولم ييخل على من توسم فيهم قبول المال فأغدق عليهم بالذهب والفضة ، وهم يوجهون بنادقهم إلى صدره .

. كان المقدم أحمد يحيى الثلايا ومن معه من الضباط حيارى يلاحظون ما كان يجري حولهم دون أن يقوموا بأى رد فعل من جانبهم ، ولعلمهم كانوا مقتنعين بنصيحة الرائد كمال أبو الفتوح رئيس البعثة العسكرية المصرية التى كانت لا تزال فى تعز ، بعدم المساس بحياة الإمام أحمد .

غير أنه بعد أن أدرك المقدم الثلايا خطر الموت يقترب من صدره وافق على رأى الملازم محمد قائد سيف بضرورة إعدام الإمام أحمد ، لكنه اشترط أن يحصل على الأمر بذلك من الإمام الجديد عبد الله ، الذى رفض المساس بشخص أخيه الإمام أحمد مكتفياً بتنأزله .

ظل الإمام أحمد يعمل بكل طاقته على استرداد ثقة جنود الانقلاب وشراء ولائهم ، وعندما عرف عن وصول طلائع القبائل التى هبت لنصرته أصدر أمره إلى الشاويش المحجاني المرباط مع المدفع العتيق والوحيد فى جبل صبر بأن يطلق قذائف مدفعه على ثكنات الجيش ، ولا جناح عليه إن هو أصاب الإمام أحمد نفسه ، حيث كانت ثكنات الجيش شديدة القرب من بيت الإمام ، وكانت المسافة بينهما وبين ذلك المدفع الثقيل تزيد على ثلاثة آلاف متر .

أزهلت مجازفة الإمام أحمد جنود الانقلاب عندما أصابت قذائف المدفع ثكنات الجيش وحدها ، دون غيرها ، فانضم معظمهم إليه ، وعندئذ خرج الإمام أحمد من فناء بيته راكبا فوق حصانه ، شاهرا سيفه واتجه إلى مبنى وزارة الخارجية وأمر بالقبض على الإمام الجديد عبد الله وجميع من كانوا معه فى مبنى الوزارة .

تمكن الإمام أحمد من استخدام جنود الانقلاب فى القبض على الإمام الجديد والضباط حسين الجنائى ومحمد الصعر وحسين الغفارى وعلى حمود السمه وقائد معصار وأحمد الدفعى وعبد الرحمن باكر والعلماء السيد محمد حسين عبد القادر شرف الدين والقاضى يحيى السباغى والقاضى حمود السباغى والمشايخ على حسن المطرى والجدرى وغيرهم .

ثم أرسل الإمام طائفة خاصة إلى صنعاء لإحضار أخيه العباس الذى كان قد تورط فى تأييد أخيه الأمير عبد الله ، وعندما وصل إلى تعز دعاه الإمام مع أخيه عبد الله إلى تناول طعام الغذاء معه ، وبعد انتهاء حفل الغذاء أمرهما الإمام بالسفر إلى مدينة حجة على أن يكون كل منهما فى سيارة خاصة مع جنود الإمام .

وبمجرد وصولهما إلى مدينة حجة استقبلهما نائب حجة الذى نفذ فيهما أمر الإمام بقطع رأسيهما على الفور .

أعدم الإمام من قبض عليهما من الضباط والعلماء والمشايخ ، وكان المقدم أحمد يحيى الثلايا والملازم محمد قائد سيف قد تمكنا من الهرب .

وكما اختلف الثلايا ومحمد قائد سيف فى خطة الانقلاب اختلفا فى خطة الهروب .

ففي مساء اليوم الخامس للانقلاب ، عندما تأكد فشل الانقلاب ، رأى محمد قائد سيف أن يهربا معا إلى عدن عن طريق الحوبان لأنه طريق غير ممهد وغير مأهول بالسكان .
رفض الثلايا رأى محمد قائد سيف واختار الهروب إلى عدن عن طريق صاله (طريق السيارات بين تعز وعدن) وهو طريق مأهول بالسكان مزدحم بالسيارات .
تفرق كل منهما إلى طريق .

وكان ذلك مساء يوم الاثنين ٤ أبريل ١٩٥٥ .

شاءت الأقدار أن يقبض الأهالي على المقدم أحمد يحيى الثلايا صباح الأربعاء ٥ أبريل ١٩٥٥ وهو في طريق صاله متجها إلى عدن ، وسلموه في نفس اليوم إلى الإمام الذي أخرجه على الفور لقطع رأسه في الميدان حيث وجه إليه الإمام كلاما قاسيا معاتبا إياه أمام الناس لغدره بعد أن كان لا يرد له طلبا ، وكان يعطيه المرتب الذي يفوق كل أمثاله ، وكان لا يتوقف عن مساعدته كلما شعر بأنه في حاجة إلى أى غال أو رخيص .
فرد عليه الثلايا قائلا أنه كان سعيدا حقا في حياته الشخصية ، ومرتبته الكبير ، لكنه ثار من أجل الشعب البائس الذي غدر به الإمام وخدعه وهو يتظاهر بالعمل على إصلاحه .

خشى الإمام أن تتأثر الجموع البشرية التي احتشدت في ساحة الإعدام فأمر سيافه الذي كان يسمى بالوشاح بأن يقطع رأسه فلا يتم كلامه .

أما الملازم محمد قائد سيف فقد شاء القدر أن يحفظه فكتب نجاته وحرسه حتى وصل إلى عدن .

ولله حكمة لا يعلمها إلا هو سبحانه .

وصل البدر والأستاذ أحمد نعمان إلى تعز بعد انتصار الإمام أحمد . وأذكر أنني حضرت مأدبة غداء في دار الضيافة حضرها الإمام وكان البدر يجلس على يمينه والأستاذ أحمد نعمان يجلس على يساره .

أثناء حفل الغداء سمعت الإمام يقول هذا عيني اليمنى مشيرا إلى البدر ، وهذا عيني اليسرى مشيرا إلى الأستاذ أحمد نعمان .

تصور الحاضرون ، وكنت من بينهم ، أن الأستاذ أحمد نعمان قد لاحت له الفرصة التاريخية كي يتحرك بالإمام أحمد نحو إصلاح اليمن ، فقد أصبح محلا لثقته بعد أن أثبت له ولاءه المطلق عندما كان الإمام أعزلا من كل سلاح ، مجردا من كل سلطان ، معرضا للحكم عليه بالموت في كل لحظة .

ولعل الأستاذ نعمان أعتقد ذلك مثل ما اعتقدنا جميعا وهيا نفسه للقيام بدور الناصح الأمين للامام ، المبشر بالفجر الجديد في اليمن ، وكان قد أمضى سبع سنوات مع زعماء اليمن المصلحين في ظلمات سجن حجه ثمنا لتطلعه إلى هذا الفجر الجديد فقطع معهم زهرة شبابه ليشم الشعب رائحتها التي تفوح بالوطنية والمثالية وذرورة التضحية .

سافر البدر ومعه الأستاذ نعمان إلى المملكة العربية السعودية ثم إلى مصر لشكر حكومتيهما على موقفهما النبيل عندما أرسلت كل منهما وفدا لتهنئة الإمام فور انتصاره على الانقلاب .

وفى القاهرة صرح البدر للصحفيين بأن الإمام أحمد عازم على إصلاح الأوضاع اليمنية مستفيدا من كنوز الإمام يحيى التى كان قد ادخرها للشعب اليمنى ، وإن الإمام على وشك إجراء تغييرات وزارية للانتفاع بالكفاءات الوطنية فى تحقيق هذا الإصلاح .

عاد البدر والاستاذ نعمان إلى تعز وكان الإمام يعتقد أن الأستاذ نعمان هو الذى أوحى للبدر بهذه التصريحات التى كانت لا تتفق مع عقليته .

استدعى الإمام الأستاذ نعمان وطلب منه أن يقدم له قائمة بأسماء من يرى أنهم صالحون لعضوية الوزارة الجديدة ، ثم قال بيتا من الشعر كان يحلو له أن يردده فى مثل هذه المناسبات وهو :

إنى لأغضض عينى ثم أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا
ثم التفت الإمام إلى البدر وقال (والله لن تجدوا غير سيفى هذا) .

تحطمت آمال الأستاذ أحمد نعمان وندم على عودته مع البدر بعد أن وصل إلى شاطئ الأمان فى القاهرة ، حيث يقيم رفيق نضاله القاضى محمد محمود الزبيرى الذى كان اسمه ضمن الوزراء فى انقلاب ١٩٤٨ وكان فى المملكة العربية السعودية عندما فشل الانقلاب فلم يتمكن الإمام أحمد من إلقاء القبض عليه فلجأ إلى باكستان ثم إلى مصر بعد قيام الثورة المصرية .

تجمدت الميول الإصلاحية التى ترددت على لسان الإمام أثر انتصاره على الانقلاب ، فاكتمى بأن يعيش على نشوته ، ولعل ما ساعده على ذلك مبالغة الشعب اليمنى فى تهنيئته بمناسبة انتصاره والدعاء له والصلاة عليه ، على النحو الذى كانت تختتم به التهانى والشكاوى والرسائل الموجهة إلى الإمام ، حيث كان من الضرورى أن يكون ختامها عبارة (صلوات الله عليكم ورحمته وبركاته) .

كان البدر يعتقد أن انتصاره على منافسه ، الذى بقى على قيد الحياة وهو عمه الحسن ، لن يتحقق إلا على أساس الشعارات الإصلاحية التى يطلقها كمدفعية ثقيلة فى مواجهة مواقف عمه التقليدية التى كفر بها معظم أبناء الشعب اليمنى .

اتفق الإمام والبدر على مفاوضات مع المملكة العربية السعودية ومصر بقصد إبرام حلف عسكرى معهما . فذلك مما لا يضير الإمام فى شئ لكنه يخلق قاعدة سياسية لعلاقة خاصة تزيد من مكانة البدر فى كل من المملكة ومصر ، بعد أن تبين للإمام أن لهما تأثيرا خاصا فى مجرى الأحداث فى اليمن .

سافر البدر ومعه الأستاذ نعمان إلى المملكة العربية السعودية وأثناء المفاوضات مع الملك سعود استغل الأستاذ نعمان الفرصة وسافر إلى القاهرة والتجأ إلى مصر .

عاد البدر إلى تعز بدون الأستاذ نعمان وسقط الأمر فى يد الإمام حيث انضم نعمان إلى الزبيرى فى عرين ثورة ٢٣ يولية ، ولعل إحساس الإمام بالخطر من قيام معارضة فى القاهرة تناهض حكمه فى اليمن جعله يسرع إلى جده ويوقع الحلف الثلاثى مع الملك سعود والرئيس جمال عبد الناصر فى ١٨ أبريل سنة ١٩٥٦ .

كان البدر سعيدا بتوقيع هذا الحلف وهو يبشر أبناء الشعب بأنه يعمل بقدر ما تسمح به ظروف والده الإمام من أجل الخروج باليمن من عزلتها ، وتوسيع دائرة علاقاتها الخارجية العربية والعالمية ، مؤكدا أنه يتحين كل فرصة لتحقيق الإصلاحات الداخلية .

سواء كنت مقتنعا بكلام البدر أو غير مقتنع ، فلقد كانت عقيدتى الراسخة والعقلانية أنه لا بديل عن البدر ، على حاله وما كان عليه ، فتلك كانت قدرته وطاقته ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، ويكفى أنه كان يوسع دائرة علاقات اليمن الخارجية ويطلق شعار الإصلاحات الداخلية . وكانت تلك خطوات ضرورية على طريق الإصلاحات الجذرية .

ولنعتبر شعارات البدر الإصلاحية الكلامية بمثابة منشورات يوزعها البدر بنفسه ، لأنها توحى لأبناء الشعب اليمنى بأنه حتى البدر نفسه يسعى إلى الإصلاح ، أى أنه حتى هو شخصا ، لم يكن موافقا على بقاء الظروف الداخلية على ما كانت عليه .

وتلك شهادة شاهد من اهلها .

بدأت الدعوة العلنية الرسمية إلى تنصيب البدر وليا للعهد تأخذ طريقها إلى حيز التنفيذ . اجتمع عدد كبير من العلماء والتجار في الحديدة ووقف السيد أحمد محمد الشامى يخطب فى الحاضرين وألقى قصيدة يدعو فيها إلى مبايعة البدر وليا للعهد وكان من بين أبياتها موجهها خطابا للبدر :

إذا لم تكن أنت الخليفة بعده وفاء وشكرا بل قضاء محتما
فلا نبضت للشعب روح ولا علت له راية حتى يكب جهنما

وبدأت البيعة تؤخذ للبدر من كبار العلماء والمشايخ والتجار والموظفين ، وكانت الوفود تطوف بمعظم مدن اليمن وقراها تنادى للبدر وتجمع توقيعات أعيان الشعب على بيعته .

بينما زاد نشاط أنصار الحسن وحاولوا تشويه سمعة البدر ونشروا الدعاية ضده محذرين الشعب اليمنى من نتائج سياسة انفتاح البدر على الدول الأجنبية شارحين أنه لا تتحقق فيه شروط الإمامة من العلم والعدل والتقوى والاجتهاد وغير ذلك من الشروط الرائعة المعروفة ، والتي لم تتحقق فى أى أمام حكم اليمن على وجه الاطلاق .

غنى عن القول أن الحسن نفسه لم تتوفر فيه هذه الشروط إلا مجرد إدعائه بأنه ينتسب إلى الرسول ﷺ ، ولو كان ذلك حقا وصدقا لكان شرفا نغبطه عليه ونجله من أجله ، لكن ذلك لم يكن ولن يكون مؤهلا وحيدا لولاية أمر المسلمين .

لم يخف الحسن عداؤه لأى إصلاح وكان ينتقد الإمام سرا وعلانية متهما إياه بأنه عندما يكسر أسوار اليمن ويفتح أبوابها للحضارة الأجنبية فإنه يقضى تدريجيا على الامتيازات العنصرية السائدة فى اليمن ، والتي هى الركيزة الأساسية لنظام الحكم الإمامى ، مما يؤدى حتما إلى القضاء على امتيازات الأسرة المالكة وغيرها من الأسر الهاشمية المؤهلة لتولى الإمامة فى اليمن ، وبذلك يتعرض الإسلام نفسه للخطر كما كان يحلو له أن يقول دائما .

بهذا المنطق كان فى وسع الحسن ان يجمع حوله معظم الأسر الهاشمية وعددا من شيوخ القبائل الذين يهبون لنصرة من يتستر خلف الإسلام بغير أدنى مناقشة .

كان الموقف على هذا النحو خطيرا جدا ، ولم يكن فى الإمكان الاعتماد على أية مجموعة من الجيش اليمنى لتأييد البدر إذا ما وقع حادث مفاجئ للإمام ، فلم يكن الجيش موجودا فى اليمن بمعنى كلمة جيش بل كان مجموعة من أفراد غير ملتزمين بنظام (لا تنفيذ رغبات الإمام والاتصال به مباشرة ، وكانوا ينقسمون إلى عدة أنواع لا تجمع بينهم أية صلة ، وكان أعظم هدف لهم هو التسلط على الرعايا ونهب أموالهم باسم تنفيذ أوامر الإمام . وكان سلاح أفراد الجيش عبارة عن بنادق قديمة ، شأنها فى ذلك شأن معظم السلاح الذى يحمله تقريبا كل فرد من أفراد الشعب اليمنى ، ولذلك كان يسهل على الإمام أن يستخدمهم فى أن يضرب بعضهم بعضا ، كما كان يفعل عادة بين القبائل .

لم يكن هناك بد من التفكير فى كيفية إحضار أسلحة حديثة إلى اليمن تتفوق على البنادق والرشاشات التى فى أيدي القبائل ، مع التفكير فى تدريب عدة كتائب من الجيش على هذه الأسلحة وإعادة تنظيمها وفق الأنظمة العسكرية الحديثة ، مع نشر الوعي فيما بين أفرادها لتكون سندا للبدر مع رجال القبائل وغيرهم من أبناء الشعب عندما يدافعون عن الإصلاح .

كانت فى ذهنى الأسلحة الروسية التى بدأت قبل ذلك ببضعة أشهر تصل إلى مصر منذ سبتمبر ١٩٥٥ تنفيذا لصفقة الأسلحة التى عقدها جمال عبد الناصر .

وسرح خيالى إلى حد إمكانية حصول البدر على مثلها لا سيما وقد كان نشاط الحسن بمثابة المناخ المناسب لإقناع الإمام بالسعى إلى الحصول عليها .

اتفقت مع البدر على أن أتولى عرض اقتراح بهذا الشأن على الإمام ، لكننى لم أجد الفرصة المناسبة حيث أننى كلما ذهبت لمقابلته وجدت فى مجلسه رجالا أعرف أنهم من أعوان الحسن ، أو أنهم من مدرسته المتخلفة .

كانت هناك مشكلة أخرى لا تقل خطورة عن مشكلة حاجة الجيش اليمنى إلى الأسلحة الحديثة والتدريب ونشر الوعي ، كانت تلك مشكلة ميناء الحديد وهو الميناء البحرى الرئيسى فى اليمن .

كان الميناء لا يصلح إلا للسفن الصغيرة التى كان عليها أن ترسو على بعد مئات الأمتار من الشاطئ الضحل وبعد ذلك تتجه إليها الزوارق الصغيرة (التى تسمى السنايك بلغة اليمن) لتقوم بنقل البضائع والركاب إلى القرب من الشاطئ ، حيث يكون الحمالون فى الانتظار لحمل البضائع والركاب فوق أكتافهم وسط المياه إلى رصيف الميناء الرملى .

كان الميناء الآخر فى الصليف وكان بحكم طبيعته العميقة نسبيا مجهزا لشحن الملح اليمنى على البواخر الصغيرة التى تصل إليه لهذا الغرض وحده لحساب اليابان .

فكان لابد عند التفكير فى كيفية الاتفاق على أسلحة ثقيلة باسم الدفاع عن البدر أن أبحث عن كيفية إحضارها إلى اليمن .

وشاء القدر أن يأتى بالجواب .

وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَكُمُ
عَنْهُ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ
وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ
وَإِلَيْهِ أُنِيبُ

قرآن کریم

الطريق إلى الإصلاح

الفصل الثالث



كانت العلاقات الاقتصادية تكاد تنقطع بين اليمن واليابان فأمر الامام بتشكيل وفد يمني برئاسة للسفر إلى طوكيو لإجراء مفاوضات إقتصادية مع الحكومة اليابانية ، وفوضني بتوقيع الاتفاقية التي استطيع التوصل إليها هناك . وعندما استلمت الملف الخاص بموضوع الخلاف بين اليمن واليابان تبين أن ينحصر في توقف اليابان عن استيراد الملح اليمني الذي كان يهم الإمام بصفة شخصية ، لأن التاجر اليمني الشيخ علي محمد الجبلى كان يبيعه لليابان لحساب الإمام .

سافرت على رأس الوفد اليمني إلى اليابان وفهمت أن اسباب توقف اليابان عن استيراد الملح اليمني هي عدم وجود علاقة تجارية مباشرة بين اليمن واليابان . فالسلع اليابانية المتداولة في الأسواق اليمنية يتم تصديرها إلى عدن وباسم عدن ، حيث لا يوجد في اليمن ميناء لا استقبال السلع اليابانية أو غير اليابانية ، كما لا يوجد في اليمن بنك يقوم بإجراء المعاملات المصرفية .

محصله القول أن اليابان تستورد الملح من ميناء الصليف لكنها لا تتبع لليمن شيئاً ، لأن جميع مبيعاتها إلى الأسواق اليمنية تصل إلى عدن .

فضلا عن ذلك قامت السلطات الإستعمارية في عدن بإنشاء ملاحات بحرية ، وهددت اليابان بإغلاق أسواق عدن في وجه السلع اليابانية إذا لم تستورد اليابان الملح العدنى الذي كان يغنيها عن الملح اليمني .

أثناء المفاوضات أقنعت الحكومة اليابانية بأنها إذا لم تشتتر الملح اليمني فإنه في وسع الحكومة اليمنية أن تغلق أسواقها في وجه السلع اليابانية التي تصلها إليها عن طريق عدن ، وعندئذ لن تستطيع اليابان الحفاظ على مستوى صادراتها إلى عدن التي يصل معظمها إلى الأسواق اليمنية .

وكنا نتحدث في ذلك الوقت عن مائة ألف طن من الملح في السنة كان ثمنها مائة ألف جنيه استرليني ، لكن الإمام كان حريصا على تصديرها إلى اليابان حيث كانت البلد الوحيد في العالم الذي يستورد الملح .

قلت للحكومة اليابانية أنها لو اشترت من اليمن هذه المائة ألف طنا من الملح وألقتها في البحر الأحمر على شاطئ اليمن كي توفر تكاليف شحنها إلى اليابان لكان ذلك عملا

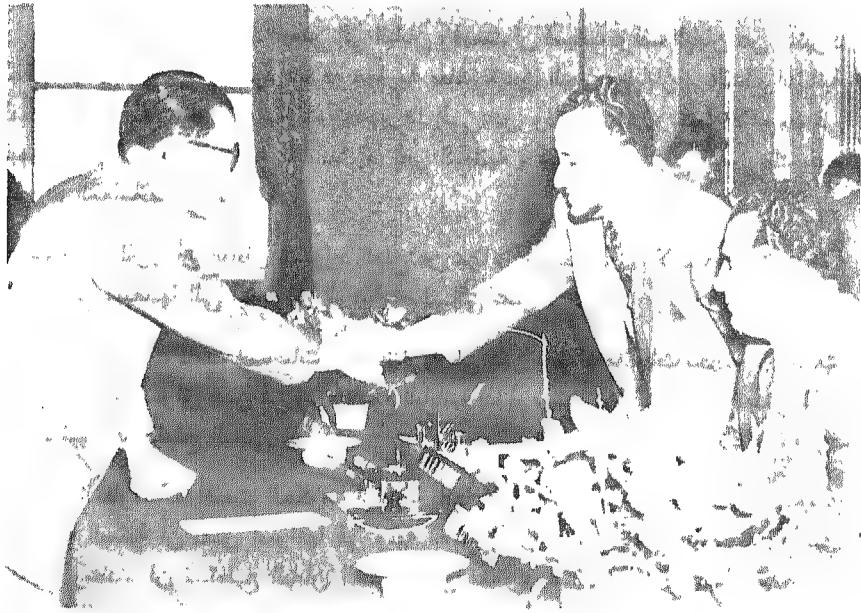
اقتصاديا ، لأنها تتحمل فقط مائة ألف جنيهها إسترلينيا سنويا يمكن اعتبارها نفقات دعاية حفاظا على السلع اليابانية فى الأسواق اليمنية ، وكانت قيمة هذه السلع تبلغ أكثر من ثلاثة ملايين من الجنيهات الإسترلينية سنويا .

وافقت الحكومة اليابانية على وجهه نظرى ، وبينما كنا نصوغ مواد الاتفاقية الخاصة بذلك اقترحت على الجانب اليابانى أن يضع فيها شرطين لتنفيذها .

الشرط الأول أن تتعهد الحكومة اليمنية بتوسيع وتعميق ميناء الحديدة وجعله صالحا للملاحة الدولية .

والشرط الثانى أن تتعهد الحكومة اليمنية بإنشاء بنك فى الحديدة يتولى الشؤون المصرفية اليمنية الدولية ، حتى تنشأ علاقة تجارية مباشرة بين اليمن واليابان .

وتم ذلك فعلا ووقعت الاتفاقية على هذا النحو باسم الحكومة اليمنية وكان من الغرائب أن تتضمن اتفاقية تجارية مثل هذه الشروط .



المؤلف يصافح وزير الاقتصاد اليابانى بعد توقيع أول إتفاقية إقتصادية بين اليمن واليابان
(أبريل ١٩٥٦)

كان هدفي من اقتراح هذين الشرطين استغلال حرص الإمام على تصدير الملح اليمني إلى اليابان فيضطر إلى بناء ميناء يمني في الحديدة حتى يصبح صالح للملاحة الدولية ، وكنت كلما اقنعت الإمام بذلك من قبل كان يسرع إلى العدول عنه ، عندما يهمس في أذنه بعض المغرضين يحذرون من مغبة إصلاح ميناء الحديدة بدعوى أن ذلك يسهل على الغزاة الأجانب إنزال مدرعاتهم وعرباتهم الثقيلة وإدخالها إلى الأراضي اليمنية .

عدت من اليابان رأساً إلى مقر عملي في ألمانيا الغربية بعد أن أرسلت الاتفاقية التجارية إلى الإمام . فوصلتني برفقة منه يشكرني فيها على جهودي مع الحكومة اليابانية ، ويخبرني بأنه وافق على فكرة إصلاح ميناء الحديدة ويكلفني ببحث تكاليفه مع الشركات الألمانية .

قدمت إلى كلية الاقتصاد بجامعة بون شهادات ليسانس الحقوق ودبلوم الدراسات العليا في الاقتصاد السياسي ، ودبلوم الدراسات العليا في الشريعة الإسلامية ، التي سبق أن حصلت عليها من جامعة القاهرة ، وشهادة من هذه الجامعة تثبت أنني سجلت لديها رسالة دكتوراه عن الاقتصاد الإسلامي . وكان الغرض من تقديم هذه المستندات إلى كلية الاقتصاد بجامعة بون أن أسجل لديها هذه الرسالة كي يتولى الأساتذة الألمان المختصون مراجعتها حتى أقدم لمناقشتها والحصول على شهادة الدكتوراه .

أدهشني كثيراً ما علمته من جامعة بون أنها لا تعترف بالشهادات النظرية التي تمنحها الجامعات خارج ألمانيا الغربية ، وأنها تعتبرني مجرد طالب حاصل على شهادة الثانوية العامة ، وينبغي أن أقضى أربع سنوات في كلية الاقتصاد بجامعة بون كي أحصل على شهادة (بكالوريوس) في الاقتصاد السياسي وبعد ذلك أسجل رسالة الدكتوراه .

كان ذلك هو الأمر الواقع الذي لا مفر منه ، والذي رحبت به مادام سيؤدي إلى حصولي على المزيد من المعرفة فالتحقت بالسنة الأولى في كلية الاقتصاد بجامعة بون في دورة ربيع ١٩٥٦ إلى جانب عملي في السفارة .

وبدأت اتصل بالشركات الألمانية المختصة ببناء الموانئ تنفيذا لتعليمات الإمام ، وأخذت أبحث معها التيسيرات التي أطلبها في شروط الدفع ، وبينما كنت أعطى تأشيرات دخول اليمن لطلّاع المهندسين الألمان ، الذين اختارتهم إحدى الشركات الألمانية للسفر إلى اليمن لإعداد الدراسات الأولية عن ميناء الحديدة ، إذا ببرقية عاجلة تصلني من الإمام في مايو ١٩٥٦ يأمرني فيها بأن أتوجه إلى القاهرة للاشتراك مع القاضي محمد الحجري رئيس المالية والسيد أحمد الشامي سكرتير أول السفارة اليمنية بالقاهرة لإجراء مفاوضات اقتصادية مع الحكومة المصرية .

كانت دهشتي عندما فوجئت بأن رئيس الوفد الاقتصادي المصري هو الاستاذ مصطفى حسن مدير الإدارة الاقتصادية بوزارة الخارجية ، وكان هو ناظر مدرسة التجارة المتوسطة بالظاهر سنة ١٩٤٥ الذي سمح لي بالغياب عن المدرسة حتى أستفيد من كل لحظة في دراسة منهاج شهادة الثقافة العامة نظام الأربع سنوات وكان يظن إنني أطلب المستحيل .

ترددت في أن أكشف له عن شخصيتي وكنت أرتدى الملابس اليمنية حيث كانت هذه عادتنا في ذلك الوقت عندما يشترك اليمنيون في أعمال رسمية خارج اليمن .

استمرت المفاوضات عدة أيام دون أن أكشف له عن شخصيتي ، وكان القاضي محمد الحجري والسيد أحمد الشامي قد تركا لي (بحكم التخصص) التصدي لجميع المناقشات وإقرار ما يتناسب مع مصلحة اليمن .

في اليوم الأخير من أعمال الوفد دعانا الوفد المصري إلى حفل عشاء تكريما لنا في نادي محمد علي وكان الأستاذ مصطفى حسن رئيس الوفد المصري يجلس أمامي على مائدة العشاء فكتبت له ورقة أشير فيها إلى قصتي معه سنة ١٩٤٥ وأشكره على مساعدته لي ، وعندما قرأها وقف يحتضني ويغمرنى بعواطفه وقبلاته حتى استغرب الحاضرون اليمنيون والمصريون هذا المشهد المفاجيء بعد ما سبق بيننا من مناقشات حامية أثناء المفاوضات .

وقف الأستاذ مصطفى حسن يلقي كلمة يشرح فيها قصتي معه وإعجابه بها ووقفت بعده أشكره عليها وأعبر له عن فضله الذي يطوق عنقي حتى آخر عمري .

عدت إلى مقر عملي في ألمانيا الغربية وبدأت أطلع مقررات السنة الأولى بكلية الاقتصاد بجامعة بون ، واستأنف الاتصال بالشركة الألمانية المختصة ببناء الموانئ البحرية ، وبعد أن أتممت الاتفاق المبدئي معها بشأن ميناء الحديد ، أرسلت برقية إلى الإمام استأذنه في وصول خبرائها إلى اليمن ، فرد الإمام ببرقية عاجلة يأمرني بالسفر فورا إلى موسكو للانضمام إلى الأمير البدر مستشارا ومترجما له أثناء زيارته الرسمية للاتحاد السوفيتي ، وكان ذلك في يونيو ١٩٥٦ .

اشترك في عضوية هذا الوفد عدد من اليمنيين على رأسهم القاضي محمد عبد الله العمري وكيل وزارة الخارجية والقاضي عبد الرحمن السياغي وزير المعارف والشيخ علي محمد الجبلي والباكري من التجار اليمنيين والمقدم عبد الله الضبي المرافق العسكري للبدر .

لاحقت الفرصة الذهبية التاريخية لإدخال أسلحة حديثة إلى اليمن ، وما يترتب على ذلك من تدريب الجيش اليمني عليها ، ثم تنظيمه وتثقيفه ونشر الوعي بين أفرادها ، فأقنعت البدر بأهمية السعي إلى الحصول على أسلحة من روسيا وكان القاضي محمد عبد الله العمري حاضرا معي مؤيدا لوجهة نظري . وأثناء إحدى جلسات المفاوضات التي كانت تنحصر في صفقات السكر والخشب والمعدات الزراعية ، التي كان التجار من أعضاء الوفد يلحون عليها لحسابهم وحساب الإمام الشخصي تحت ستار المفاوضات الرسمية بين الحكومتين اليمنية والسوفيتية ، نفذت مااتفقت عليه مع البدر وقلت أن اليمن تعاني من سلسلة إعتداءات بريطانية على قراها ومدنها الجنوبية الملاصقة للمناطق التي تحتلها بريطانيا ، وأنها في حاجة ماسة إلى أسلحة للدفاع عن مدنها وقرانا أكثر من حاجتنا إلى السكر والخشب والمعدات الزراعية .



المؤلف مع الأمير (السابق) البدر في موسكو (يونية ١٩٥٦)

كنت أجلس بجوار الأمير البدر الذى أيد هذا الطلب للدفاع عن ولاية عهده فى مواجهة عمه الحسن ، وعلى أثر ذلك تولى القاضى عبد الله العمرى الاسهاب فى شرح الحاجة إلى السلاح ، وكان من أقوى المتحمسين للعمل على إيجاد جيش يمنى قوى منظم ومدرّب . فأجاب خروشوف رئيس الوفد السوفيتى بأنه ينتظر منا قائمة بالأسلحة المطلوبة وأنه على استعداد لتلبية طلبنا كهدية من الإتحاد السوفيتى .

كنت أعلم مقدما أننا إذا طلبنا سلاحا من الإتحاد السوفيتى فإنه سيرحب بالاستجابة له لأنه كان يسعى جاهدا إلى توسيع دائرة نشاطه ، بعد أن تمكن من اختراق الحصار الغربى عندما أوحى إلى تشيكوسلوفاكيا بأن تعقد مع مصر صفقة الأسلحة المشهورة . ولم يساورنى أدنى قلق على مصلحة الشعب اليمنى إذا ما وصل السلاح الروسى إليها ، لأننا طالما كنا نعرف هدفنا من طلب السلاح فإننا نستطيع الحرص على تحقيقه ، مع المحافظة على حصار المذاهب السياسية والأفكار الشيوعية التى لا نقرها ولا نسمح بها .

كان فى يقينى فى ذلك الوقت أننا إذا حصلنا على السلاح من روسيا فإننا نستطيع الحصول على المدربين من مصر ، ولم يكن فى حسابى أن روسيا ستتمسك بإرسال مدربين روس وهى تعلم ظروف اليمن وشكوك الإمام ، وما دامت هى التى ستدرب المصريين على السلاح الشرقى فلن يضيرها أن يقوم المصريون بتدريب اليمنيين عليه . فإذا ما وقع فى اليمن رغم كل ذلك ، أى قدر من النتائج غير المستحبة فإنه يمكن احتواؤها وعلاجها .

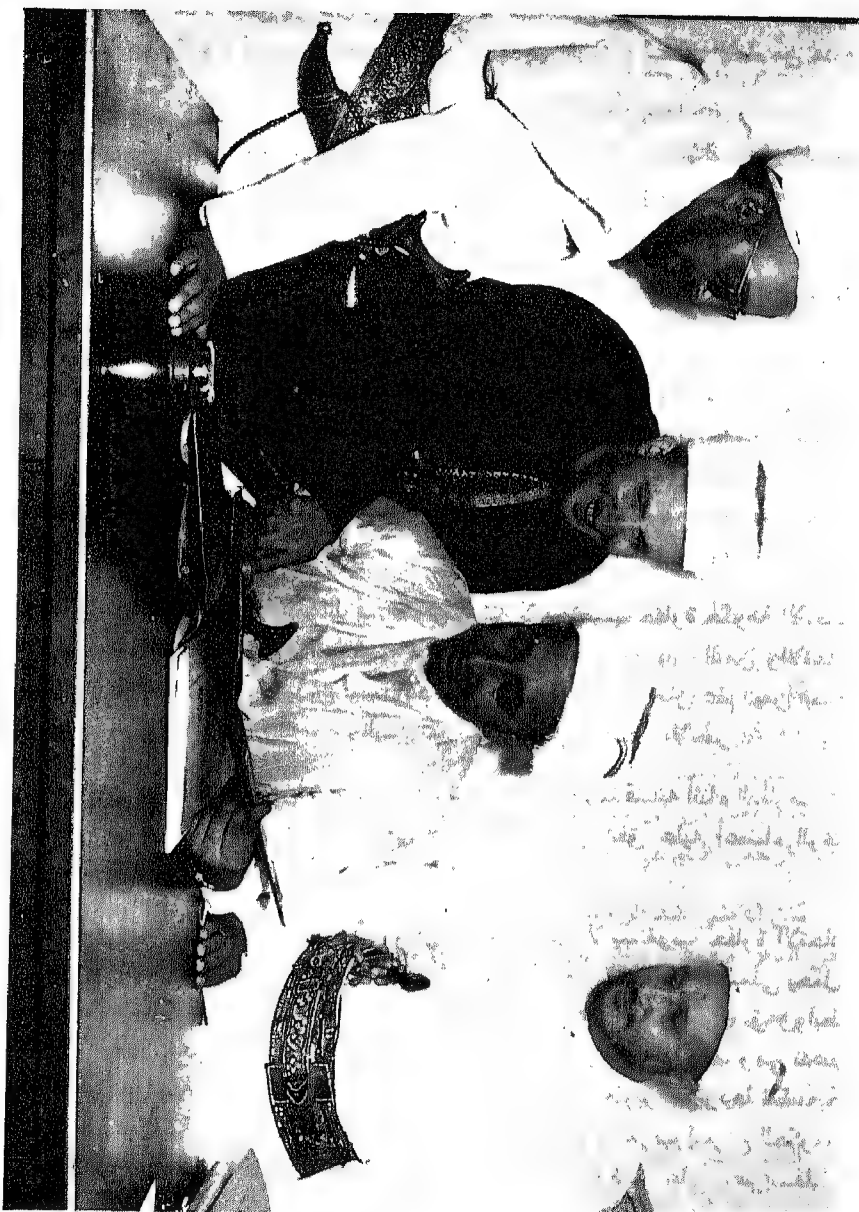
والسياسة على كل الأحوال أخذ وعطاء ، وهى تعتمد على عملية حسابية تجمع المصالح وتطرح منها المضار ، وبعد عملية الجمع والطرح والقسمة والضرب يخرج الجواب النهائى ، فيما أن يقبل رجل السياسة الاتفاق بكل سرور ، وأما أن يعتذر عنه بكل أدب .

كان إصلاح اليمن يتوقف على الحصول على السلاح الثقيل والحديث وما يعقب ذلك من تدريب ونشر الوعي الوطنى .

وفى اليوم التالى قدم البدر إلى خروشوف قائمة باحتياجاتنا من الأسلحة التى سهرت مع القاضى محمد عبد الله العمرى على إعدادها طول الليل .

أذاعت موسكو أنها أهدت إلى اليمن أسلحة للدفاع عن نفسها ضد الاعتداءات التى تواجهها من الجنوب .

التقطت وزارة الخارجية البريطانية هذا الخبر وكان السيد حسن إبراهيم سفير اليمن فى لندن فى مقابلة مع المستر إيدن رئيس وزراء بريطانيا الذى أبدى انزعاجه الشديد من هذه المفاجأة .



الموافق بشرح للأمير (السابق) البدر بنود إتفاقية الأسلحة الروسية ووقف عنى بين
الصورة القاضي عبد الله عبد الإله الأخرى ، و علم ، اليسار القاضي محمد عبد الله المعري
وكيل وزارة الخارجية (يونيو ١٩٥٦)

كان السيد حسن إبراهيم على خلاف شديد مع القاضي محمد عبد الله العمرى لمنافستهما على منصب وكيل وزارة الخارجية ، ومنافستهما على القرب من قلب الإمام أحمد ، كما كان السيد حسن إبراهيم من الهاشميين المتطلعين إلى منصب الإمامة وعلى علاقة وثيقة ببريطانيا ، فسافر في نفس اليوم متوجها إلى اليمن ، ليحذر الإمام من هدية الأسلحة الروسية .

قبل سفره من لندن أبرق إلى السيد عبد الرحمن عبد الصمد أبو طالب سفير اليمن بالقاهرة كي يلتقى به في المطار لينسق معه إشاعة الذعر في قلب الإمام حتى يرفض هذه الأسلحة .

وصل السيد حسن إبراهيم إلى اليمن وكنا لا نزال في موسكو في طريقنا إلى ألمانيا الشرقية .

وفي حفل العشاء الذي أقامه المارشال بولجانين والرفيق خروشوف ، في قاعة الاحتفالات الكبرى في الكرملين تكريما للوفد اليمنى ، وقف البدر يلقي كلمة ارتجالية وكنت واقفا إلى جواره اترجم فقرات كلمته إلى اللغة الانجليزية ، وكان يقف أمامي من الجهة الأخرى المترجم السوفيتي عبد الرحمن سلطانوف الذي أصبح فيما بعد سفيراً للاتحاد السوفيتي في اليمن .

وإذا بالبدر يقول موجهها كلامه للوفد السوفيتي أنه لا يستغرب حفاوة حكومة الاتحاد السوفيتي به ، والتفاف الشعب السوفيتي من حوله ، حيث تجمع بين اليمن والاتحاد السوفيتي صفات مشتركة ، فكما أن علم الاتحاد السوفيتي لونه أحمر فإن علم اليمن أيضا لونه أحمر ، بل وأكثر من ذلك ، ان اليمن تقع على شاطئ البحر الاحمر .

سقط الأمر في يدي ، وتصرفت كعادتي عند ترجمة خطبه ومناقشاته أثناء المفاوضات بما يخدم الغرض الذي كان يقصده ، وفي إطار ما سبق أن اتفق عليه أعضاء الوفد اليمنى .

تصرفت في ترجمة هذه العبارة وقلت أن الأمير البدر لا يستغرب حفاوة الاتحاد السوفيتي به شعبا وحكومة لأنه جاء إلى موسكو مع زملائه أعضاء الوفد اليمنى يحمل معهم رغبة الشعب اليمنى الصداقة وعزم الإمام أحمد الأكيد على توطيد أوثق روابط الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتي ، الذي تنتظر منه اليمن أن يقف معها وهي تدعم استقلالها في مواجهة الاعتداءات البريطانية ، ويساعدها على تطوير مواردها الطبيعية والبشرية في مواجهة تخلفها الاقتصادي ، وأن الوفد اليمنى لم يستغرب إسراع الحكومة السوفيتية إلى تلبية طلباته لأنه يعرف مدى حرص الاتحاد السوفيتي على دعم استقلال الشعوب وتنمية مواردها ورفع مستوى معيشة أبنائها .

صنف خروشوف وبولجانين ومن كان معهما من الحاضرين السوفيت مدة طويلة غير معتادة للأمير البدر ، وانصرف المدعوون وكان اخرهم خروشوف الذي شد على يد البدر وأكد له تأييده المطلق .

أثناء عودتنا إلى قصر الضيافة كان يجلس بجوارى المترجم الروسى عبد الرحمن سلطانوف ، وإذا به يقول ، باللغة العربية الفصحى وبطلاقة ، إننى لم أترجم كلمات البدر وإننى أحسنت كثيرا حين تجاهلت العلم الأحمر والبحر الأحمر .

كنت فى ذهول بعد أن عرفت أن عبد الرحمن سلطانوف من خريجي الأزهر الشريف فى مصر ، وإنه أخفى عنا ذلك حتى انتهت زيارة البدر وأتم خطبه ومناقشاته التى كنت أترجمها بما يتفق مع أهداف الوفد ونية البدر ، وإن كانت ترجمتى تبتعد كل البعد عن كلماته .

لا شك فى أن سلطانوف قد نقل إلى الروسية كلام البدر أثناء تلك الزيارة الرسمية رغم أنه حاول إقناعى بأنه نقل فقط إلى الروسية ترجمتى الانجليزية ، قائلا أننى كنت أنقل فى ذلك وجهة نظر الوفد اليمنى حيث كنت أحد أعضائه كما كنت أمثل وجهة نظر البدر باعتبارى مستشاره السياسى .

شكرته على حسن ظنه وحرصه على توطيد العلاقات بين البلدين ، واعتذرت عن البدر بأنه حديث العهد بالخطب السياسية والمفاوضات مع الدول الأجنبية ، وأكدت أنه يتجه بكل أحلامه إلى الإصلاح فى اليمن ويسعى جهد طاقته إلى توسيع دائرة علاقات اليمن الخارجية . وأكدت أن كل ماقلته على لسانه كنت أعرف أنه يحمله فى قلبه .

كان عبد الرحمن سلطانوف شديد السيطرة على أعصابه ، وكان مرافقا للوفد مختلطا بنا طيلة الزيارة الرسمية التى طغنا خلالها بالعديد من المناطق والبلاد السوفيتية ، وكنا نتحفظ فى أحاديثنا كلما وجدناه معنا ظنا منا أنه من رجال المخابرات السوفيتية ، ولا شك فى أنه كان كذلك ، ولم يشعرنا قط بأنه يفهم شيئا مما نقول بلغتنا العربية ، بل كان لا يبتسم ولا يعبس من أية كلمة أو حركة أو موقف يثير الضحك أو العبوس ، حتى أنه لم يضحك معنا من أى موقف من المواقف الحرجة التى كان أحد أعضاء الوفد القاضى عبد الرحمن السياغى يرضعنا فيها من حين إلى آخر .

كان القاضى عبد الرحمن السياغى وزير المعارف ووزير الداخلية فيما بعد رفيقا متعبا فى السفر ، وعقلا جامدا فى المناقشة ، وعينا نافذة للإمام .

رفض أن يتناول الطعام فى حفل غداء فى قصر الكرملين لأن الملاحق كانت من ذهب وهذا حرام . وتوقف الحفل نصف ساعة أو يزيد حتى أبلغونا بأنهم لم يجدوا فى القصر ملاحق غير ذهبية فاستأذنت له كى يأكل بيده .

أثناء انتظار الملاحق غير الذهبية شرح القاضى عبد الرحمن السياغى أسباب رفضه ، وكان لا بد من أن أترجم لأصحاب الحفل ما رواه عن النووى قائلا أن الإجماع منعقد على تحريم استعمال إناء الذهب وإناء الفضة فى الأكل والشرب والطهارة والاكل بملعقة من أحدهما والتجمر بمجرة منهما والبول فى الإناء منهما وجميع وجوه الاستعمال ، كما ألح على أن استمر فى الترجمة لاسيما عندما استشهد بحديث الرسول ﷺ الذى قال (من يشرب فى إناء من ذهب أو فضة فإنما يجرجر فى بطنه نارا من جهنم) .

لم يدرك القاضي عبد الرحمن السياغى إننا كنا ضيوفا على قوم ملحدين لا يعترفون بالسماء وأنه كان فى وسعه أن يأكل بتلك الملاعق مكرها وقلبه عامر بالإيمان فيرفع عنا وعنهم الحرج .

وعندما كنا فى مدينة لننجراد التى هى فى أقصى شمال الاتحاد السوفيتى ، وكان ذلك فى منتصف الصيف حيث يكاد الفارق بين الليل والنهار يتلاشى ، أيقظ السياغى الوفد اليمنى كله ، ومعنا البدر وقال إن عنده مشكلة تحتاج إلى حل حاسم وسريع ، وهى أنه أراد صلاة العشاء لكنه رأى فى الأفق الشمس والقمر ، ولا يدرى أيهما الشمس وأيهما القمر ، الإثنان فى الأفق ، ولا فرق بينهما .

ولا يدرى هل يصلى العشاء أو الفجر .. فقلت مازحا .. لا العشاء ولا الفجر .. لأنه لا تجوز صلاة العشاء مع وجود الشمس .. ولا تجوز صلاة الفجر بعد أن طلعت الشمس .

ثم قلت له إننى صليت العشاء حسب توقيت أقرب بلد إسلامى .

ومن الذكريات ذات الطابع الخاص عن تلك الزيارة ان سكرتير الوفد الأستاذ زكى نخلة (فلسطينى الجنسية) أراد أن يلتقط صورة للعمال الروس وهم يؤدون أعمالهم ويظهر عليهم العناء والشقاء ، لا سيما النساء منهم اللاتى كن يقدن عربات النقل العام والروافع الثقيلة .



من اليمين : أحد الفنانين الروس ، الأستاذ زكريا نيل ، الأمير (السابق) البدر ، أحد أعضاء الوفد ثم المؤلف (يونية ١٩٥٦)

إستأذن من عبد الرحمن سلطانوف كي يلتقط صوراً بآلة التصوير التي كان يحملها أين يذهب فأذن له وأهداه عدداً من الأفلام الملونة ، وقبيل إنتهاء زيارة الوفد الرسمية عرض عليه سلطانوف أن يتولى تجميع تلك الأفلام في معمل التجميع الحكومي فأخذها منه ، ثم أعادها إليه في اليوم التالي ساعة رحيلنا من موسكو وهو يعتذر بأنها قد تعرضت كلها للضوء بطريق الخطأ فلم يظهر منها شيء .

كان المستشار الصحفي للوفد الأستاذ زكريا نيل (رئيس الإدارة السياسية بجريدة الأهرام الآن) أكثر ذكاء ودهاء من صاحبنا زكي نخلة لأنه سجل بقلمه تفاصيل ما شاهده ، والتقط ما شاء من صور خارج المصانع حتى لا يثير حفيظة الروس وكان لا يفارق آلة التصوير التي كانت معه ، وعندما كان يدخل معنا أى مصنع لزيارته كان يعلقها على كتفه دون أن يستخدمها على وجه الإطلاق ، وكان يذيع التصريحات الصحفية على لسان البدر بأعلى العبارات وأدق المعاني بما يتفق مع الاهداف اليمنية السوفيتية التي استهدفتها الزيارة الرسمية .

أذاعت موسكو والصحف السوفيتية هذه التصريحات البليغة وهى فى قمة الإعجاب بالأمير الذى جاءها من أعالي البحار يفتح ذراعيه للصداقة ويطرق قلبها بالمحبة ، من الباب الذى فتحه جمال عبد الناصر .

قيل الكثير على لسان الأمير ، ومثلما كنت أعرف ضمير الأمير وأترجمه ، كان زكريا نبيل يقرأ فكره ويذيعه .

وصلنا إلى ألمانيا الشرقية فى زيارة رسمية ، وكان البدر فى قمة نشوته وفرحته بما حققناه فى موسكو ، فقد حصلنا على هدية السلاح وتم الاتفاق على إصلاح ميناء الحديد إلى جانب الصفقات التجارية التى فرح بها التجار من أعضاء الوفد اليمنى .

وفجأة وجدت البدر حزينا أشد الحزن وهو يجلس بجوار القاضى محمد عبد الله العمرى وكان على رأسيهما الطير . قضيت لحظات الصمت على أحر من الجمر بعد أن سألت عن سبب الحيرة والقلق والحزن . قال البدر أنه تلقى برفية شديدة اللهجة من والده الإمام يستنكر فيها إقدامنا على طلب الأسلحة الروسية دون تفويض منه ، وسأل الإمام فى برفيته عن المسئول منا عن طلب هذه الأسلحة .

كان لا بد من إبعاد البدر عن هذه المسئولية حتى لا تهتز ثقة الإمام فيه فيمنعه من الاستمرار فى نشاطه ، الذى يساعد على خلق الظروف التى تمهد للإصلاح ، من أجل ذلك اقترحت عليه أن يرد على الإمام بأن الأسلحة ليست سوى هدية من الاتحاد السوفيتى وبغير ثمن ، وإن استخدامها أو عدم استخدامها أمر مرهون بإرادة الإمام بعد وصولها إلى اليمن .

قال القاضى العمرى أنه باعتباره كبير السياسيين فى الوفد بعد البدر فإنه يتحمل وحده هذه المسئولية ، وأن الإمام سوف يحمله هذه المسئولية كاملة مهما حاولنا الاشتراك فيها ، وأضاف قائلاً إن رحلة السيد حسن ابراهيم المفاجئة إلى اليمن ثم وصول برفية الإمام

بمثل هذه السرعة فور اجتماعه معه أمور ينبغي أن يستخلص منها العارفون بطبيعة الإمام نتيجة منطقية خلاصتها أنه ، أى العمرى ، قد أصبح فى خطر من غضب الإمام عليه .

طلب العمرى من البدر ألا يواصل معه زيارته لتشيكوسلوفاكيا وأن يتوجه إلى باريس لإجراء فحوص طبية بعد الانتهاء من الزيارة الرسمية فى ألمانيا الشرقية ، على أن يسافر بعد ذلك إلى اليمن بعد أن يقيس ردود فعل الإمام بعد هدية الأسلحة الروسية .

تألمت كثيرا لنبرات الأسى التى صاغ بها القاضى العمرى حديثه ، وكرهت أن نتركه يذهب بمفرده إلى باريس فاستأذنت من البدر حتى أذهب مع العمرى وبعد أن اطمئن على نتائج فحوصه الطبية أتوجه مباشرة إلى اليمن .

أذن البدر لى بذلك بعد أن أفترحت عليه أن يتولى الترجمة له المستشار القانونى للوفد الدكتور حسن بغدادى (كان عميدا لكلية الحقوق بالاسكندرية) .



على اليسار المقدم عبد الله الضنى والأمير (السابق) البدر ثم المؤلف في إحدى جلسات
المفاوضات في ألمانيا الشرقية (يولية ١٩٥٦)



الأمير (السابق) البدر يوقع اتفاقية مع رئيس جمهورية ألمانيا الشرقية ، وعلى يمينه المؤلف ووقف خلفها المقدم عبد الله الضني والقاضي عبد الرحمن السباعي ثم عضوان من أعضاء الوفد اليمني (يولية ١٩٥٦) .



بعد إطمئناني على صحة القاضي محمد عبد الله العمرى في باريس سافرت إلى اليمن والتقيت بالإمام أحمد في قصر صالة عندما كان البدر واقفا يتأهب للانصراف .

صافحني البدر وقال موجها كلامه للإمام أنه يشكر القاضي الوجيه (يقصدني بالاصطلاح اليمنى) لأننى أثناء المفاوضات مع الحكومة السوفيتية تذكرت حاجة اليمن للسلاح ، فركله الإمام فى ساقه حتى كاد يسقط على الأرض من شدة الضربة ، وقال الإمام أن العمرى هو الذى (شوق) لكم ، أى أوعز إليكم ، بطلب الأسلحة من الروس وأنه يعرف مراد العمرى على حقيقته ، وأنه قد عزله من وزارة الخارجية وعين بدله السيد حسن ابراهيم نائبا لوزير الخارجية .

اشتدت حرارة اللقاء وتجلت خطورة الحديث .

لعل البدر عندما نسب إلى الفضل فى طلب الأسلحة كان يريد أن يهرب بنفسه بعيدا عن هذه المسئولية ، أو لعله أراد أن يبعد القاضي العمرى عنها معتقدا أننى إذا تحملتها وحدى فإن أقصى ما أتعرض له من عقاب من الإمام هو أن يأمرنى بسرعة العودة إلى مقر عملى فى ألمانيا الغربية .

غير أن الإمام كان قد أمتلأ قلبه غضبا على القاضي العمرى بعد أن استخدم السيد حسن ابراهيم (الهاشمى)^(١) سلاح العنصرية فى منافسته مع القاضي العمرى (القحطانى)^(٢) فأقنع الإمام بأن القاضي العمرى يسعى من وراء هذه الأسلحة إلى تقوية شوكة القحطانيين فى اليمن وهذا ما لا يغفر عنه الإمام أو يسكت عليه .

حاولت تهدئة ثورة الإمام فقلت أن الأسلحة عندما تظل مفككة داخل صناديقها فإنها تظل مجرد قطع من حديد ، وإنها لا تصبح أسلحة إلا بعد إخراجها من صناديقها وتركيبها ثم تدريب البشر على استخدامها ، وكل ذلك مرهون بإرادة الإمام ، ولا أحد غير الإمام ، إلى آخر الأعدار التى اقترحتها على البدر فى ألمانيا الشرقية وقال عنها القاضي العمرى ، بحكمته ، أنها لن تقنع الإمام .

(١) الهاشمى نسب ينتمى إلى بنى هاشم شجرة نسل الرسول ﷺ وهم وحدهم المؤهلون لمنصب الإمامة طبقا لنظرية المذهب الزيدى السياسية .

(٢) القحطانى نسب ينتمى إلى قحطان أصل جميع أهل اليمن من غير الهاشميين وهم تسعة وتسعون فى المائة من شعب اليمن .

استطردت قائلاً أنه عندما تعرف بريطانيا أن اليمن قد بدأت تحمل السلاح المضاد للسلاح البريطاني دفاعاً عن عرضها وأرضها تحت ضغط الاعتداءات البريطانية المتكررة على المواطنين اليمنيين المقيمين في المناطق المتاخمة للأجزاء اليمنية المحتلة فإنها سوف تعيد حساباتها ، عدة مرات ، قبل أن تطلق لنفسها عنان القيام بمثل تلك الاعتداءات المتكررة .

ومعنى ذلك أن هذه الأسلحة ، بمجرد أن تصل إلى اليمن ، فإنها تحدث أثرها السياسى فى عدن حتى ولو بقيت فى صناديقها فى ميناء الحديدة .

ربما صادف قولى هذا صدى حسناً لدى الإمام ، لأنه كان فى ذلك الوقت غاضباً على بريطانيا أشد الغضب لتكرار عدوانها على مواطنية وأراضيه ، وكان الإمام لا يقر بشرعية إحتلالها لجنوب اليمن .

كان منكراً عليها حقها فى الوجود ، ولم يكن مختلفاً معها على مجرد الحدود ، بين أرض الإمام وأرض الأنجليز .

كان الانجليز حديثى العهد بالجلاء عن مصر ، ولعلمهم أدركوا حجم خسارتهم بعد جلائهم عن منطقة قناة السويس ، وكان المستر ايدن رئيس وزراء بريطانيا يكره جمال عبد الناصر من أعماق قلبه ويسعى إلى افتعال أية فرصة لاسقاطه ، وأطلع صديقه السيد حسن ابراهيم على نيته هذه عندما التقى به ونحن فى موسكو وبشره بقرب نهاية جمال عبد الناصر وفوضه بنقل هذه البشرى إلى الإمام أحمد .

تنازعت الإمام عواطف مختلفة وتجاذبت مشاعر متعارضة .

كان يكره اعتداءات الانجليز العسكرية من عدن ، ويكره نداءات عبد الناصر القومية من القاهرة .

كان وطنياً فى مواجهة الانجليز وانعزالياً فى مواجهة عبد الناصر .

اقتضى دهاء الإمام أن يحتضن السيد حسن ابراهيم صديق الانجليز ، ولا يعاتب الأمير البدر صديق الروس ، ويبتسم لعبد الرحمن البيضانى صديق المصريين .

ودفع القاضى العمرى كل الثمن .

عدت إلى مقر عملى وزيرا مفوضا فى المانيا الغربية ، وبعد بضعة أيام سحب المستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية العرض الأمريكى للاسهام فى تمويل مشروع السد العالى رداً على قيام عبد الناصر بعقد صفقة الأسلحة مع تشيكوسلوفاكيا ، مما أوحى للغرب بأن عبد الناصر قد أخذ يتجه إلى الانزلاق نحو الشرق ، فرد عبد الناصر على القرار الأمريكى بقرار تأميم قناة السويس فى ٢٦ يولية ١٩٥٦ .

لعل المستر إيدن كان يضع فى حسابات بريطانيا نتائج هذه التطورات منذ وقت مبكر عندما عقد عبد الناصر تلك الصفقة ، ويعرف أن عبد الناصر عندما يثار بمثل قرار سحب تمويل السد العالى فإن رد فعله الفورى يمكن أن يخلق الذريعة المناسبة لعودة بريطانيا إلى احتلال ما يعينها من الأراضى المصرية ، فتسقط زعامة عبد الناصر بين العرب حتى إذا لم تسقط رئاسته بين المصريين .

وأغلب الظن أن بريطانيا التى درست شخصية جمال عبد الناصر وحللت نفسيته قد سعت أو شجعت قرار البنك الدولى والقرار الأمريكى بسحب تمويل السد العالى انتظارا لرد فعل جمال عبد الناصر .

بعد نحو ثلاثة أشهر وقع العدوان الثلاثى على مصر الذى اشتركت فيه بريطانيا مع فرنسا واسرائيل فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ وظن رأى العام العالمى أن جمال عبد الناصر قد انتهى ، وهكذا تصور الإمام أيضا الذى وفرت فى أذنه كلمات السيد حسن ابراهيم .

كانت خطة العدوان الثلاثى قد وزعت الأدوار فيما بين الغزاة . وكان دور إسرائيل أن تدمر القوات المصرية فى سيناء وتصل إلى الشاطئ الشرقى لقناة السويس أثناء قيام الطيران البريطانى والفرنسى بتدمير الطيران المصرى على أرض المطارات المصرية ، فيتم بذلك تجريد مصر من قواتها العسكرية بينما تقوم القوات البريطانية والفرنسية باحتلال مدينتى بورسعيد وبورفؤاد ، ثم تقوم باغلاق طريق بورسعيد دمياط وتتجه صوب مدينة الاسماعيلية وتحتلها ، وعندئذ يتجه قسم من هذه القوات غربا لاحتلال منطقة التل الكبير وبلبيس ويتجه القسم الآخر جنوبا لاحتلال مدينة السويس ، ثم يتجه نحو القاهرة عن طريقين ، الأول طريق السويس أوماظة والثانى طريق السويس القطامية .

عندئذ تكتمل حلقة حصار القاهرة فتسقط حكومة عبد الناصر .

وزع الغزاة الغنائم فيما بينهم .

نصيب اسرائيل من الغنيمة أن تحتل سيناء فتفرض ارادتها على العرب .

ونصيب بريطانيا ، نصيب الأسد ، أن تعود إلى احتلال منطقة قناة السويس وتهدم كيان الثورة المصرية فتقطع لسان الأمة العربية الذى انطلق من القاهرة وتقتل ضميرها الذى ظهر فى مصر ، وتضمن استمرارها فى عدن وجنوب اليمن وتحكم سيطرتها على البحر الأحمر ، وتملى ارادتها على مناطق البترول فى الخليج ، وتحكم نفوذها فى العراق والأردن

أما جى موليه رئيس وزراء فرنسا فقد كان يعتقد أن إسقاط الثورة فى مصر يؤدى حتميا وتلقائيا إلى إخماد الثورة فى الجزائر ، حيث كانت الثورة المصرية تمددها بالسلاح والمال والمدربين وتسخر لها كل وسائل الأعلام المتاحة لها مصرىا وعربيا ودوليا .

أرادت فرنسا أن تحسم معركتها فى الجزائر على ساحة القتال فى مصر .

اعتقد الغزاة استنادا إلى تقارير مخابراتهم أن مجرد وصول الإسرائيليين إلى مشارف قناة السويس من الشرق واحتلال الانجليز والفرنسيين لبورسعيد وبورفؤاد من الشمال سيجعل المصريين ينفذون من حول حكومة عبد الناصر فيستسلم أو يهرب أو ينتحر .

وكان عبد الناصر الذى لمح الطائرات البريطانية والفرنسية فى سماء مصر قد أدرك أنه لا يحارب إسرائيل وحدها فى سيناء ، وإنما يواجه غزوا بريطانيا وفرنسيا فى عمق مصر ، فأمر قواته بالانسحاب الفورى والمنظم إلى غرب القنال تأهبا للتصدى للقوات البريطانية والفرنسية فى صورة حرب عصابات وأعمال فدائية فى شتى أنحاء العمق المصرى الذى يمكن أن يصل إليه الغزاة البريطانيون والفرنسيون .

أثناء الإنزال الجوى للقوات البريطانية والفرنسية فى بورسعيد أرسل عبد الناصر قطارا مملوءا بالأسلحة والذخائر وأمر بفتح صناديقها وفتح أبواب القطار كي تصبح الأسلحة والذخائر فى متناول كل من يريد أن يأخذ منها مايشاء فيدافع به عن نفسه وعرضه ووطنه .

خرج عبد الناصر فى سيارة مكشوفة ليخطب فى الناس من فوق منبر الأزهر الشريف معلنا أن مصر ستقاتل وتقاتل ولن تستسلم .

واصل عبد الناصر توزيع السلاح على الفدائيين والمتطوعين المتأهبين لحرب العصابات والدفاع المدنى .

وتحولت مصر إلى قلعة للكرامة المصرية والعربية ومقبرة للغزاة المعتدين .

حدث ما لم يتسع له خيال الانجليز والفرنسيين فلم يدخلوه فى الحساب قبل العدوان . خرج الشعب المصرى عن بكرة أبيه يتصدى للغزاة ويلتف حول عبد الناصر ، الذى أخرج لهم الانجليز دفاعا عن استقلالهم السياسى ، وأمم لهم القناة تدعيما لاستقلالهم الاقتصادى .

خرجت شعوب الأمة العربية من الخليج إلى المحيط تشق عنان السماء تأييدا لمصر ودفاعا عن قلب العروبة النابض ولسانها الفصيح والصريح ، الذى يعبر عن مشاعرها ، ويرسم لها الطريق إلى تفسير أحلامها وتحقيق أمنيتها التى عاشت تتطلع إليها طوال القرون التى مضت وانقضت منذ انهيار صرح الحضارة الاسلامية والعربية ، التى ملأت السمع والبصر ثم أصبحت مجرد ذكريات فى كتب التاريخ أو قصائد فى دواوين الشعراء وقصصا يرويها الممثلون فى المسارح والنوادر .

تجاوبت شعوب الأمة العربية مع صيحة عبد الناصر حين أعلن فى الأزهر الشريف قائلا (سنقاتل ونقاتل ولن نستسلم) فاندلع البركان العربى الذى تراكمت عليه صخور الصبر طوال هذه القرون ، وانطلق ينسف أنابيب البترول ويدمر المنشآت البريطانية والفرنسية فى العالم العربى .

توقفت إسرائيل عند مشارف القناة ولم تستطع الوصول إلى شاطئها الشرقى كما توزعت الأدوار .

احترق الانجليز والفرنسيون في جهنم بورسعيد حيث قاتلهم أهلها رجالا ونساء ، شيوخا وأطفالا بالقتال والبنادق والمدافع والأحجار والأواني النحاسية ، وعندما كان بعضهم يقع في الأسر كان يقاقل بأظافره وأسنانه حتى يظفر بالشهادة .

تولى عضو مجلس قيادة الثورة كمال الدين حسين قيادة الجيش الشعبي ، وقام كمال رفعت أحد الضباط الأحرار بقيادة قوات الصاعقة والفدائية ومعه الرائد جلال هريدى . بينما تمكن عضو مجلس قيادة الثورة صلاح سالم من تحويل مدينة السويس إلى قلعة عسكرية .

حاولت القوات البريطانية والفرنسية أن تستكمل خطتها فانطلقت نحو الجنوب في اتجاه الاسماعيلية ، وكان عليها أن تنحصر في شريط ضيق تحيطه قناة السويس من الشرق وبحيرة المنزلة والمستنقعات المائية من الغرب ، فوقعت صيدا سهلا بين حراب قوات الصاعقة والجماعات الفدائية المصرية التي كانت تنتظرها في أماكن متعددة على هذا الشريط الضيق ، كما قام الفدائيون بالتسلل عبر المسطحات المائية غرب هذا الشريط وأنزلوا خسائر جسيمة بالقوات الغازية مما جعلها تسرع بجر ذيولها عائدة إلى جهنم بورسعيد وتأكد الغزاة من فشل العدوان الثلاثي على مصر . فلم تستطع إسرائيل تدمير القوات المسلحة المصرية في سيناء حيث سحبها عبد الناصر في الوقت المناسب وبطريقة منظمة . ولم تستطع الطائرات البريطانية والفرنسية تدمير الطائرات العسكرية المصرية على أرض مطاراتها حيث فرقها عبد الناصر وأبعدها خارج مصر فأنفذ الكثير منها . ولم تستطع القوات البريطانية والفرنسية التقدم نحو الاسماعيلية وأصبحت محشورة في مصيدة بورسعيد . وخابت تقارير المخابرات التي أوهمت دول العدوان ، بأن الشعب المصرى سوف ينفذ من حول حكومة عبد الناصر بمجرد وصول إسرائيل إلى مشارف القناة واحتلال بريطانيا وفرنسا لبورسعيد . وسجلت شعوب الأمة العربية صفحة خالدة في التاريخ العربى حين التفتت حول مصر بقيادة عبد الناصر . دفاعا عن الأمنى العربية وإيدانا بميلاد فجر عربى جديد مشرق .

وكان الرئيس أيزنهاور غاضبا أشد الغضب على بريطانيا وفرنسا . ربما كان غاضبا عليهما لأنهما وزعا الأدوار فيما بينهما على ضوء قائمة توزيع الغنائم فى المنطقة العربية ، وكأنهما قد استخدمتا أمريكا فزيئا لها اصدار القرار المشهور بسحب تمويل السد العالى دون إعطائها أى نصيب فى الغنيمة .

وربما كان غاضبا عليهما لأنهما أغفلا الكثير من الظروف الموضوعية والعوامل النفسية سواء فى مصر أو العالم العربى مما يجعل نجاح مثل ذلك العدوان فى تحقيق أغراضه أمرا مستحيلا ، فرغب الرئيس الأمريكى فى أن يكون صمام الأمان للمصالح الغربية فى الشرق الأوسط إذا ما فشل هذا العدوان طبقا لمقاييس العقل والمنطق وبعيدا عن تقارير المخابرات .

أو لعله كان غاضبا عليهما لإسباب مثالية وخلقية فرفض مبدأ العنف كوسيلة إلى تحقيق الأهداف التى يمكن الوصول إليها عن طريق الحوار . وقد يكون من المفيد أن نضع فى الاعتبار أن أمريكا كانت فى ذلك الوقت حديثة العهد بالحرب الكورية .

ولا ندرى فلربما كان الرئيس الأمريكى ايزنهاور غاضبا على بريطانيا وفرنسا لكل هذه الأسباب مجتمعه .

مهما كان الأمر ، عارض الرئيس اينهاور دول العدوان ، وتؤكد الروس من صدق موقف الرئيس الأمريكى ومن وقوع بريطانيا وفرنسا فى ذلك المأزق الخطير ، فاستثمر الاتحاد السوفيتى هذا المناخ العربى والدولى وقرر الظهور بمظهر البطل فأصدر بولجانين انذاره الشهير الذى يقول البعض أنه كان السبب فى وقف العدوان ، متجاهلين فى هذا القول كل الظروف الموضوعية المصرية والعربية والدولية التى حتمت فشل العدوان وقضت بأن يولد ميتا .

انتصر جمال عبد الناصر .

وخرج آخر جندى من القوات البريطانية والفرنسية من بورسعيد يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦ .



بدأ الإمام أحمد يتكيف بالاموضاع العربية والدولية الجديدة .

عزل السيد حسن ابراهيم من منصبه كنائب لوزير الخارجية وأعادته إلى العمل سفيرا لليمن في لندن ، ووقف يخطب في الناس في مدينة الحديدية قائلا (انتظروا صيحتي الكبرى) وكان يقصد الزحف على عدن حيث كان متأثرا بالمناخ العربى القومى الذى أظهر بأسه فى مواجهة العدوان الثلاثى على مصر ، وكان القاضى أحمد السياغى نائب الإمام فى لواء أب قد أقنعه بأن غزو عدن لا يستغرق من جيش الإمام ورجال القبائل أكثر من مسيرة يوم أو أزيد قليلا . وكان القاضى السياغى يقوم بأمر من الإمام بتوزيع المال والسلاح على المجاهدين ، ووقعت فعلا معارك على أطراف اليمن من الجنوب والشرق .

وكننت أتلقى فى المانيا كل يوم برقية من الإمام يشرح فيها عدوان الطائرات وسقوط البيوت والأنقاض فوق الضحايا ومعظمهم ، كما كان يقول الإمام ، من النساء والأطفال والشيوخ .

وكننت أذيع هذه الأخبار فى مؤتمرات صحفية فى السفارة اليمنية بالمانيا الغربية .

فإذا بالصحف والإذاعات تردد هذه الأخبار ، وإذا بسيل من طلبات التطوع يغمر دفاتر السفارة . وكانوا من رعايا دول الكتلتين الغربية والشرقية الذين يريدون السفر إلى اليمن لوضع حد لهذه المأساة البشرية .

لم يمتنع السيد عبد الرحمن أبو طالب سفير اليمن بالقاهرة عن إعداد دفاتر للمتطوعين العرب الذين سدوا منافذ السفارة مطالبين بتسفيرهم إلى اليمن لإنقاذ أخوانهم اليمنيين .

استعدادت وكالات الأنباء هى الأخرى نشاطها بعد أن ارتاحت قليلا من حرب السويس .

ولم يقصر مجلس العموم البريطانى فى مناقشة العدوان البريطانى على اليمن . وطلبت المعارضة من رئيس الوزراء بيانا عن الموضوع ، لكنه كان اخر من يعلم ، فأحال الطلب إلى وزير الخارجية الذى أحاله بدوره إلى وزير المستعمرات الذى أعلن فى المجلس أن ذلك العدوان كان من نسج خيال السفارة اليمنية فى المانيا ، وأن علاقة

بريطانيا مع حكومة الإمام على خير ما يرام ، وأن الحكومة البريطانية على سبيل الاحتياط قد أرسلت مذكرة إلى رئيس مجلس الأمن تحيطه علما بالموضوع وتلفت نظره إلى خطورة الموقف الناتج عن فتح أبواب التطوع للقتال في اليمن .



المؤلف يلقي بيانا في مؤتمر صحفي في مكتبه بالمفوضية اليمنية في بون بألمانيا الغربية وحوله السفراء العرب (يناير ١٩٥٧)

في نفس اليوم وصلتنى كما وصلت إلى السيد عبد الرحمن أبو طالب برقيتان من الإمام تضمنتا عبارات واحدة تأمرنا نحن الاثنين بالكف عن عداوة بريطانيا وإيقاف الحملة الصحفية فورا وعدم التصريح بشيء .

وفى اليوم التالى وصلتنى برقية من الإمام تستدعينى إليه .

ووصلت إلى اليمن فى ٢٤ يناير ١٩٥٧ .

وجدت الإمام غاضبا لغضب بريطانيا ، وقال انه ما كان ينبغي على أن أحمل عليها كل هذه الحملة ، وأنه يستعد لمهاجمتها فى قلب عدن ، ولا يريد أن يلفت نظرها بالدعاية الصحفية . وكان يتكلم بصراحة معبرا عن عزمه على غزو عدن .

قلت إننى لم أفهم ذلك من برقياته الصريحة التى كان من المفروض أن أقوم بنشرها بكل الوسائل الممكنة . ثم أوضحت رأيى فى موضوع عدن فى تقرير شامل مطالبا بإعادة النظر فيه على أسس سياسية عسكرية .
ثم ركزت كلامى على النقاط التالية :

- ١ - الأسلحة التي حصلنا عليها من روسيا خزنتها الحكومة ولم تدرب عليها الجيش اليمنى ويلزم إتمام ذلك قبل البدء بالمعركة .
- ٢ - ليس عندنا وسائل دفاع . فلا مدافع مضادة للطائرات ولا طائرات مقاتلة ولا رادار ولا شيء غير ذلك من الوسائل المضادة .
- ٣ - ليس عندنا وسائل إسعاف ولم تصل بعد الباكسة المصرية التي تحمل معونة الهلال الأحمر المصرى كى نستفيد منها فى إنشاء محطات الإغاثة فى المناطق المتاخمة للمعارك .

شرحت للإمام الحالة النفسية انقلقة التي يعانها الشعب نتيجة لظروفه الاقتصادية الصعبة وتطلعه المستمر إلى الإصلاح ، الأمر الذى لا يعتبر مناخا سياسيا مناسباً لبدء ذلك الغزو الشامل ، وأن الذين يأتون اليه من أهالى المناطق المحتلة يحرضونه على ذلك الغزو ينقسموا إلى قسمين :

قسم يريد السلاح والمال ليبيع السلاح وينتفع بالمال .

وقسم واقع تحت تأثير الدعاية الوطنية وبريق الوحدة اليمنية ، لكنه بمجرد وصوله إلى اليمن يطلع على الأحوال الداخلية فينقلب على الحكومة ويضمحلها الشر .

كانت المصادر الموثوق بها تفيد بأن القائمين على توزيع الأموال والأسلحة اليمنية على المجاهدين يستولون على معظم السلاح والمال ويضعون الباقي فى غير موضعه .

اقترحنا على الامام ضرورة البدء أولاً بتدريب الجيش اليمنى على الأسلحة الحديثة التى وصلت طلائعها الخفيفة من الاتحاد السوفيتى ، مع القيام ببعض الإصلاحات التى تمتص غضب المواطنين وتثير حماسهم وولاءهم ، وإننا إذا كنا قد صبرنا على الوجود البريطانى فى عدن أكثر من قرن وربع قرن فلن نصبر عليه خمس سنوات أخرى حتى يتم تدريب الجيش على الأسلحة الحديثة ، وإقامة وسائل الدفاع ومحطات الإغاثة والإصلاحات الضرورية ، التى يحسن أن يكون من بينها استعجال الاتحاد السوفيتى للقيام باصلاح ميناء الحديد وتوسيعه وتعميقه وتجهيزه بالمعدات الحديثة تنفيذاً للاتفاقية التى اتفقنا عليها عندما كنا فى موسكو ، وهو ما كنا فى أشد الحاجة اليه لاستقبال الأسلحة الثقيلة من الاتحاد السوفيتى كى نستطيع أن نتصدى بقوة فى وجه أى عدوان بريطانى ، حتى لا نتعرض للفشل الذريع الذى يؤثر على مكانة الإمام الشخصية .

كذلك يحسن بنا أن نستعجل الحكومة الصينية حتى تنتهى فى أسرع وقت ممكن من بناء الطريق بين ميناء الحديد والعاصمة صنعاء حتى يمكننا الدفاع عن العاصمة إذا اتسعت رقعة القتال مع المستعمرين البريطانيين ، أو هاجمتها القبائل الموالية للأمير الحسن ، وكنا قد وقعنا إتفاقية مع حكومة الصين الشعبية لهذا الغرض .

كان من ضمن من اطلعوا على هذا التقرير وأيدوه قبل تقديمه إلى الإمام القاضى محمد عبد الله الشامى نائب الإمام فى لواء صنعاء فى ذلك الوقت .

فى نفس الأسبوع وصلت بعثة الجامعة العربية برئاسة الأستاذ عبد الخالق حسونة
وكنّت مكلفا بمرافقتها وعرض تفاصيل العدوان عليها فسافرنا إلى مناطق الاعتداء .
ولما وصلنا إلى مدينة البيضاء بلغنا أن غارة قد شنت على مشارف المنطقة .
لم أملك نفسى وأنا بين أهلى وعشيرتى .

فطلبت حصانا وبندقية وأخذت معى عددا من الأهالى المسلحين الذين كان من بينهم
الشيخ سالم حسين الرماح شيخ مشايخ البيضاء فى ذلك الوقت ، وأطلقنا العنان متجهين
إلى تلك المنطقة فتبعنى بعض أعضاء وفد الجامعة العربية والقاضى أحمد السياغى نائب
الإمام فى لواء أب حتى لا يتهم بالقعود وقت الحرب .

وهناك تبادلنا طلقات الرصاص مع المغيرين ولم أدر إلا وأحد اصحابى من خلفى
يدفعنى إلى الأرض لأن رصاصة مرت بعمامتى البيضاء التى دلت الأعداء على
مكاننا ..

فأثلا إننى كان ينبغى على أن أخلعها أولا ، ثم ظهر شخص من الذين تعودوا إجراء
الصلح بين الطرفين وصاح فأثلا لقد قتلتم الشيخ فلانا .. وهنا عرفت أن المعركة بين
يمنيين بعضهم من المناطق المحتلة والآخرين من الأهالى الذين يحكمهم الإمام ، وأن هذه
ليست معركة نتشرف بأن نكون أطرافها .

قد يكون هذا الشيخ وأمثاله مدفوعين من الإعداء ، لكننا نحن المخطئين لأننا قصرنا
فى نشر الوعي الذى يشعر كل فرد من أفراد المنطقتين المستقلة والمحتلة بأن اليمنيين
جميعا أخوة وأصحاب مصلحة واحدة فى وطنهم الواحد .

عدنا إلى البيضاء وأخبرت الأستاذ حسونة بما حدث ورأى الحقيقى فى الموضوع كى
ينصح الإمام بنفس نصيحتى التى دونتها فى تقريرى إليه .

كانت أخبار المعركة قد سبقتنى إلى الإمام الذى استقبلنى بابتسامة عريضة فأثلا
(الحمد لله موقعش لكم خزقى) أى الحمد لله لم تصبنى الرصاصة التى مرت بالعمامة .
كان هذا الحادث دليلا على أننى وإن كنت انصح به باتباع طريق الإصلاح فإننى لا أتأخر
عن الحرب إذا رأيت بلدى هدفا للعدوان .

اقتنع الإمام بأهمية تدريب الجيش اليمنى على الأسلحة الحديثة التى وصلت من الاتحاد
السوفيتى كمخرج من المأزق الذى وضع نفسه فيه عندما أعلن للناس قائلًا (انتظروا
صبيحتى الكبرى) لأن تدريب الجيش سيحتاج إلى وقت يتحكم فيه الإمام كما يشاء فضلا
عن أن الانتظار حتى يتم بناء ميناء الحديد لاستقبال الأسلحة الثقيلة يحتاج إلى وقت
أكثر .

من جهة أخرى كان أخوه الحسن ، الذى تألم لإعدام أخويه عبد الله والعباس وازداد
غضبه من مواصلة تأييد الإمام لابنه البدر ، قد ضاعف من نشاطه بين المتزمتين من



السيد حامد المحضار ، المؤلف ، الأستاذ عبد الخالق حسونة
الأمين العام لجامعة الدول العربية ، مندوب لبنان ، القاضي
محمد الزهيري والقاضي عبد الملك العمري في مدينة البيضاء
(يناير ١٩٥٧)



من اليمين : الشيخ صالح علوي القريني ، الشيخ سالم الرماح ،
المؤلف ، شقيق الشيخ الرماح في مدينة البيضاء (يناير
١٩٥٧) .

رجال الدين والقبائل كى يخلق منهم جبهة تعارض الإمام وابنه ، وتساعده على تنصيبه إماما عندما تحين الفرصة المناسبة . فوافق الإمام على فتح صناديق الأسلحة الحديثة والبدء فى تدريب أفراد يختارهم من بين قوات الجيش اليمنى من أجل أن يقوى مركزه العسكرى وشوكة ولى عهده البدر ، ويضعف الروح المعنوية لدى الذين انحازوا إلى أخيه الحسن بعد أن نجح فى إغرائهم .

فى ذلك الوقت كان البدر فى زيارة القاهرة فأبرق إليه الإمام يأمره بإبلاغ مصر بأنه موافق على وصول مدربين عسكريين مصريين ، وعندما قرأت هذه البرقية التى كان يحولها سكرتير الإمام القاضى عبد الملك العمرى إلى رموز شفرية فرحت أعظم الفرح . واندفعت على يد الإمام أقبلاها مع رغبة شديدة فى تقبيلها ، وكنت قبل هذه المرة أقدم على تقبيل يده مشمزا من نفسى مكرها مضطرا كعادة جميع اليمنيين عندما يصادفون الإمام .

أكد الإمام ثقته فى مصر وفى بعثاتها العسكرية ، وذكر لى تقديره لموقف البعثة العسكرية المصرية أثناء إنقلاب المقدم أحمد يحيى الثلاثيا فى تعز فى نهاية مارس ١٩٥٥ حيث رفضت البعثة تقديم أية مساعدة لرجال الانقلاب الذين لم يعرفوا استخدام الأسلحة المصرية الجديدة التى أحضرتها البعثة معها هدية من قيادة الثورة المصرية .

وكان الثلاثيا ومحمد قائد سيف ، عندما تأزمت الأمور فى اليوم الرابع ، قد طلبا من الرائد كمال أبو الفتوح رئيس البعثة العسكرية المصرية أن يأمر صف الضباط المصريين بمساعدة الجنود اليمنيين على استخدام هذه الأسلحة أثناء الانقلاب فرفض الرائد كمال أبو الفتوح هذا الطلب ، كما سبق أن رفض القائم بالأعمال المصرى الأستاذ حسين شعيب التورط مع رجال الانقلاب .

ذكر الإمام هذه الذكريات عندما كان القاضى عبد الملك العمرى يحول برقية الإمام إلى رموز شفرية ، وأضاف ضاحكا أنه لا داعى لاستخدام الشفرة حيث له أصدقاء فى المخابرات المصرية وأنه لا يخفى عليهم شيئا .

كان الإمام يقصد بذلك السيدى عزت سليمان وفتحى الديب وكيلى رئيس المخابرات المصرية ، اللذين كان الإمام على صلة مباشرة بهما عن طريق كاتبه الخاص وأمين سره الأستاذ صالح محسن ، وأحيانا عن طريق القاضى محمد عبد الله العمرى وكيل وزارة الخارجية اليمنية ، وفى كثير من الأحيان عن طريق البدر مباشرة . وكان الإمام يعتقد إن صلته الشخصية بهما تجعله فى مأمن من أى نشاط يمكن أن يقوم به الأحرار اليمنيون المقيمون فى مصر ، وعلى رأسهم الأستاذ أحمد محمد نعمان والقاضى محمد محمود الزبيرى ، بل كان يتصور أنه فى وسعه أن يحصل عن طريقهما على كافة المعلومات عن نشاط هؤلاء ، ولذلك كان يعتمد عليهما أكثر من اعتماده على السفارة اليمنية بالقاهرة .

وصلت البعثة العسكرية المصرية إلى مدينة الحديدة فى منتصف فبراير ١٩٥٧ برئاسة العقيد أركان حرب حسن فكرى الحسينى وعضوية النقيب صلاح الدين المحرزى والملازم أول عادل السيد ، وكنت مكلفا من قبل الإمام باستقبالهم والترحيب بهم والعمل على راحتهم .



المؤلف بين العقيد حسن فكرى الحسينى رئيس البعثة العسكرية المصرية والتقيب صلاح
المحرزى عضو البعثة وكبير المعلمين (فبراير ١٩٥٧)

كنا نقيم معا فى غرف متجاورة فى دار الضيافة ، ومرت أيام دون أن أستطيع الحصول على موافقة الإمام بمقابلتهم كى يبدأوا مهمتهم . وبدأت ألاحظ تغييرا فى موقف الإمام من تدريب الجيش اليمنى . وجاءنى عراف الإمام محمد حلمى الذى تعود الإمام على أن يستشيريه ويأخذ برأيه الفلكى فى جميع قراراته وتحركاته ، وأبلغنى أن بعض الكبار من رجال الدين زرعوا فى قلب الإمام الشك فى نتائج تدريب الجيش ، ولاسيما على أيدي الضباط المصريين الذين تعلموا الثورة من جمال عبد الناصر ورفاقه ، والذين سوف يحملون روحها إلى أفراد الجيش اليمنى مما يجعلهم ينقلبون على الإمام .

كنت قد وطدت صداقتى بعراف الإمام محمد حلمى قبل ذلك بةعدة سنوات لأننى كنت شغوفاً بمعرفة أسرار الحكم الإمامى فى اليمن ، وكان يطلعنى على رسائل الإمام واستعماله لمعرفة أحكام النجوم عندما يتأخر محمد حلمى أحيانا فى الرد عليه . وبقدر ما كان الإمام محتاجا إلى محمد حلمى أشد الحاجة كان بخيلا عليه أشد البخل ، وكنت كثير التردد بين اليمن والمانيا الغربية مرورا بمصر فكنت أحمل إليه من الأدوية ما يحتاج إليه منى ولا يحصل عليه من الإمام . وأغلب الظن أن الإمام قد تأخر فى السماح لرجال البعثة العسكرية المصرية بمقابلته انتظارا لمعرفة حكم النجوم ، وكان قد طلب معرفة ذلك فعلا من محمد حلمى .

قدمت محمد حلمى لرجال البعثة العسكرية المصرية وكانوا يتناولون الشاي فى غرفتي ، ودار الحديث حول الاعتداءات البريطانية المتكررة على المواطنين اليمنيين والأراضي اليمنية إلى جانب الحاجة الماسة إلى تدعيم البدر صديق عبد الناصر ، الأمر الذى لا يمكن تحقيقه بغير تنظيم وتدريب بعض المخلصين من أفراد الجيش اليمنى على النظم والأسلحة الحديثة ، وأسهب النقيب صلاح الدين المحرزى فى شرح مدى إعجاب المصريين بالبدر وثقة جمال عبد الناصر فى الإمام ، الذى يقف بكل ثقله ضد الاستعمار البريطانى فى جنوب اليمن.

أطلعنى محمد حلمى على تقريره الذى أعده ردا على استفسار الإمام بشأن حكم النجوم على نشاط البعثة العسكرية المصرية ، ونظرا للصدقة المتينة التى تجمع بيننا سلمنى صورة من هذا التقرير الذى سلمتها بدورى إلى رئيس البعثة العسكرية المصرية بحضور النقيب صلاح المحرزى .



الفلكى محمد حلمى (عراف الإمام السابق أحمد) (عام ١٩٥٧) . لا يزال على قيد الحياة حتى إصدار هذا الكتاب ، وهو الآن يناهز المائة عام ويمارس أعماله الفلكية فى اليمن .

على أثر ذلك استدعاني الإمام وأبلغني بموعد استقبله لرجال البعثة العسكرية المصرية الذين عندما زاروه أبدى لهم كامل ثقته في عملهم ، وطلب من رئيسهم إعداد تقرير يتضمن مقترحاتهم الخاصة بمهمتهم ، وكان العقيد حسن فكرى الحسينى قد أعطاني تقريراً شاملاً يتضمن كافة المقترحات الرئيسية فقدمته إلى الإمام متولياً شرح بنوده .

وقد تضمن هذا التقرير مراحل وخطوات تنظيم وإعادة بناء الجيش اليمنى ، مع منح البعثة العسكرية المصرية صلاحية إستلام الأسلحة والذخيرة التى وصلت من الاتحاد السوفيتى ، وكان لا يزال بعضها فى ميناء الحديد وبعضها الآخر فى ميناء الصليف المخصص لتصدير الملح اليمنى إلى اليابان ، وقد وافق الإمام على كل ما جاء فى ذلك التقرير وطلب من البعثة أن تكتفى بالاحتفاظ فى الحديد بكمية من الأسلحة تكفى لأغراض التدريب ، وتخزين ما يزيد على ذلك فى قصر غمدان فى صنعاء .

كانت البعثة العسكرية المصرية قد امضت نحو شهرين حتى تمت تلك المقابلة ، واعتبرت أنها قد أتمت خطواتها الأولى ، وأما خطواتها الثانية فإنها تحتاج إلى أفراد أكثر للقيام بأغراض التدريب والتنظيم ، فعادت البعثة إلى القاهرة لتقديم تقريرها إلى اللواء حافظ اسماعيل قائد القوات العربية المشتركة فى ذلك الوقت . وسافرت مع البعثة إلى القاهرة متجهاً إلى مقر عملى فى ألمانيا الغربية .

فى أوائل مايو ١٩٥٧ عادت البعثة المصرية إلى مدينة الحديد بعد أن انضم إليها العقيد أحمد أبو زيد والنقيب محمود عبد السلام مع عدد من ضباط الصف وعدد من معلمى مدرسة المشاه الذين كان أبرزهم الرقيب أول حسن مأمون .

فى نفس الوقت استدعاني الإمام من ألمانيا الغربية ، وعندما وصلت إليه علمت أن مندوب الرئيس أيزنهاور سيصل إلى اليمن لإجراء مباحثات مع الإمام بشأن الفراغ الذى تركته بريطانيا وفرنسا فى الشرق الأوسط ، وكانت الولايات المتحدة تسعى فى ذلك الوقت إلى إقامة حلف برعايتها لمواجهة خطر التغلغل الشيوعى لا سيما بعد أن استطاع عبد الناصر أن يفسد حلف بغداد . وكان عبد الناصر معارضاً لنظرية الفراغ الذى أراد أيزنهاور أن يملأه .

عندما قابلت الإمام سألتني عن مهمة مندوب الرئيس أيزنهاور فى اليمن وموقف مصر منها فقلت أنه بعد أن تحسنت سمعة الولايات المتحدة الأمريكية بين العرب على أثر وقوفها ضد العدوان الثلاثى على مصر أخذت تسعى إلى إقامة حلف يرث حلف بغداد ، وأن المعروف عن مصر أنها تعارض هذه الأحلاف حرصاً منها على سياسة عدم الانحياز ، وأنها ترى أن التضامن العربى يستطيع التصدى لأى خطر شيوعى دون الحاجة إلى وصاية دولية من إحدى الدول العظمى .

كان من المقرر أن يصل المستر ريتشارد مندوب الرئيس أيزنهاور على متن طائئره الخاصة إلى مطار الحديد ويقابل الإمام ويغادر اليمن فى نفس اليوم طبقاً لبرنامج ارتباطاته الأخرى . لكنه عندما وصل إلى الحديد كان الإمام نائماً مخدراً بحقنة مورفين

كعادته منذ أن أجرى له ، قبل ذلك بعدة سنوات ، الطبيب الإيطالي توفولون عملية جراحية في مؤخرة ظهره ، أصابت بعض أعصابه فجعلته يتعاطى حقن المورفين بصفة مدمنة .

كانت العادة عندما ينام الإمام لا يجرؤ أحد على إيقاظه مهما كانت الأسباب ، واتصلت عدة مرات بمقره في قرية السخنة حيث يقيم الإمام ، وهي تبعد عن الحديدة بحوالى ثلاثين كيلو متر تقطعها السيارة في الطريق الوعر في نحو ساعتين ، وكان الجواب بصفة مستمرة أن الإمام نائم ، واستمر الحال يومين على هذا النحو حتى أصر المستر رتشارد على مغادرة اليمن دون حاجة إلى مقابلة الإمام ، لكن أحدا منا لم يكن في استطاعته أن يأذن له أو لغيره أو لنفسه بالسفر من اليمن بدون إذن من الإمام .

في اليوم الثالث استيقظ الإمام واستدعاني مع المستر رتشارد لمقابلته وأثناء المقابلة عرض مندوب الرئيس أيزنهاور أن تقوم أمريكا بمساعدة اليمن في بناء الطرق التي تحتاج إليها في نظير أن تنضم اليمن إلى اتفاق مع غيرها من دول الشرق الأوسط لمواجهة الخطر الشيوعي على المنطقة .

سأله الإمام عن سبب اختيار أمريكا بناء طرق في اليمن كمساعدة منها ولم يقع اختيارها على مشروعات أخرى غير الطرق . ولعل الإمام كجميع أسلافه من الأئمة كان شديد الحساسية من سيرة الطرق والموانئ لأنها تنهى عزلة اليمن الداخلية والخارجية فيتعرض نظام الحكم الإمامي نفسه للخطر ، وكرر الإمام سؤاله عن سبب اختيار أمريكا مساعدة اليمن ببناء الطرق ، فأجاب المستر رتشارد قائلًا أن معلومات الولايات المتحدة عن اليمن تقطع بأنها في حاجة ماسة إلى بناء طرق ، وأن هذه الحاجة الماسة تأتي في المقام الأول في قائمة احتياجات اليمن ، وبطبيعة الحال كان المستر رتشارد لا يعلم ما يدور في رأس الإمام .

رد الإمام أنه يستغرب حصول أمريكا على مثل هذه المعلومات عن اليمن ، وأنه لا يتفق معها على ترتيب أهمية مشروع الطرق بالنسبة إلى احتياجات اليمن ، وعرض على مندوب الرئيس أيزنهاور أن ترصد الولايات المتحدة اعتمادا معينًا لليمن وعندئذ تتولى الحكومة اليمنية تخصيص الأوجه التي تراها للاستفادة منه .

وأما عن الخطر الشيوعي الذي يهدد المنطقة العربية فقد أوضح الإمام أن اليمن لا تشعر به على الإطلاق ، بينما الخطر الذي تراه بعينها كل يوم وكل ساعة هو العدوان البريطاني على المواطنين والأراضي اليمنية ، فإذا كانت الولايات المتحدة مستعدة لعقد حلف مع اليمن للتصدي للخطر البريطاني فإنه على استعداد لتوقيعه فوراً .

سقط الأمر في يد المستر رتشارد وعاد معي إلى الحديدة وغادر اليمن .

في تلك الأثناء تعرضت البعثة العسكرية المصرية لاحتتمالات تجميد نشاطها الذي لم يكن قد بدأ ، رغم إقامتها في دار الضيافة بضعة أسابيع قضاها رجالها في صيد الغزال في صحراء تهامة ، وكنت اشترك معهم في معظم هذه الرحلات لقضاء وقت الفراغ ونفاديا للقلق والممل من طول الانتظار .

وبعد حوار جديد مع الإمام ، استطعت الحصول على موافقته على اقتراح كاتبه الخاص وأمين سره الأستاذ صالح محسن بأن تبتعد البعثة العسكرية المصرية عن الحديدة وتقوم بأعمالها في قرية الزيدية وتقيم هناك بصفة دائمة .

لم يكن في استطاعتي الحصول على موافقة الإمام على مكان لعمل البعثة أفضل من ذلك ، لأن الإمام كان قد وافق على قيام البعثة بأداء مهمتها في قرية الزيدية وهو واثق في أنها عندما تذهب إلى هناك سوف تلج في اليوم التالي على سرعة عودتها إلى القاهرة .

وأحمد الله أن العقيد حسن فكرى الحسينى كان وزملاؤه متأهبين لتحمل كل المتاعب من أجل النجاح في مهمتهم التاريخية .

تقع قرية الزيدية شمال مدينة الحديدة ، وهي المركز الرئيسى لقبائل الزرانيق ومقر الحاكم (المحافظ) وكانت توجد بها قلعة من بقايا الأتراك . وتصل درجة الحرارة هناك إلى حوالى ٥٠ درجة مئوية نهارا ، وتقع في منسوب منخفض عن منسوب البحر مع درجة رطوبة عالية وأوبئه لا تفارقها أبدا ، وقد أبادت قرى بأكملها بالقرب من الزيدية في وقت معاصر لوصول البعثة ، ولم تكن في الزيدية أية إمكانيات للحياة العادية .

تحملت البعثة العسكرية المصرية كل هذه المشاق طوال ستة أشهر متصلة بادئة بتدريب كبار السن من أفراد الجيش الذين اختارهم حاكم الزيدية بأمر من الإمام ، ثم أخذت تدرب بعض الشباب من قبائل الزرانيق الذين اختارهم الحاكم أيضا .

كان التدريب يبدأ مع أول ضوء للفجر ويستمر حتى الساعة السابعة صباحا أى حوالى أربع ساعات فقط ثم يستأنف مع غروب الشمس لمدة ساعتين أخريين . وكان يرافق البعثة من الجانب اليمنى العقيد محمد حجر الذى أثناء تفقده لأحد الأسلحة انطلقت منه رصاصة خطأ نفذت بين ساقى رئيس البعثة .

بعد أن اكتوت البعثة العسكرية المصرية بحرارة الصيف في ساحل تهامة نقلها الإمام لتعانى برودة الشتاء فوق جبل صنعاء ، وكان أمر الإمام أن يتم نقلها إلى عمران شمال صنعاء واستطاع البدر أن يحصل على موافقة الإمام على قيام البعثة بتدريب كتيبة حرس ملكى في صنعاء سميت بفوج البدر . وشمل هذا الفوج عناصر من سرايا المشاه وسرايا الأسلحة المعاونة وسرية مدافع مضادة للطائرات مع العناصر الإدارية لخدمة الفوج .

كان رئيس الفوج العقيد حميد الدين كما كان من بين أفراد الملازم عبد الله السكرى والملازم على العلفى والملازم عبد الرحمن الترسى والملازم حسن سوار والملازم عبد الله اللقيه والملازم النهemy الذين تم تدريبهم في دورة خاصة كى يتمكنوا من شغل رتبهم في الفوج . وكان من بين ضباط الصف الممتازين في هذا الفوج قاسم منصر .

قامت البعثة بوضع برنامج تدريب مكثف يحتاج إلى إثني عشر شهرا فأتمته في ثلاثة أشهر فقط ، لأنها كانت في سباق مع الزمن حيث كان لزاما عليها أن تكمل تدريب هذا الفوج قبل أن يوسوس المغرضون في أذن الإمام مرة أخرى فيأمر بوقف التدريب ، ومما

ساعدها على ذلك شوق أفراد الفوج للتدريب وإقبالهم عليه وتحملهم ساعاته المتواصلة التي كانوا يقضونها في التدريب على ضرب النار والمناورات والهجوم على المواقع الحصينة والهجوم على الدشم إلى جانب التدريب على الحرب النظامية وحرب العصابات أثناء النهار والليل .

احتفل البدر بتخريج أول فوج على يد البعثة العسكرية المصرية ، فوج البدر ثم عمل على إعادة فتح الكلية الحربية قرب نهاية ١٩٥٨ بعد أن أغلقها الإمام أحمد سنة ١٩٤٨ على إثر إنقلاب عبد الله الوزير .

تولى العقيد العلفى تنظيم الكلية الحربية بالاشتراك مع البعثة العسكرية المصرية وتم اختيار أول دفعة للالتحاق بالكلية من أبناء مشايخ القبائل ، ثم كانت الدفعة الثانية من المتقنين من أبناء الشعب من خريجي المدارس الثانوية اليمنية ، وكان من أبرزهم على عبد المغنى^(١) وحمود بيدر^(٢) وعلى الجائفى ومحمد الأريانى^(٣) ومحمد مطهر^(٤) . وبعد عدة أشهر أمر البدر بتعيين العقيد حمود الجائفى^(٥) رئيساً للكلية الحربية كما أمر بتعيين الضباط اليمنيين الذين تخرجوا من الكلية الحربية في القاهرة أعضاء في هيئة التدريس في الكلية ، وكان من بينهم محمد الأهنومى وعبد اللطيف ضيف الله وعبد الله جزيلان وعلى سيف الخولانى .

وعندما تخرجت دفعة المتقنين كان ترتيب على عبد المغنى الأول وحمود بيدر الثانى ومحمد الأريانى الثالث ومحمد مطهر الرابع .

تمكنت البعثة المصرية من إقناع الإمام عن طريق البدر ، بإنشاء مدرسة لضباط الصف ومركز لتدريب الجنود على الأسلحة المختلفة وتولى الملازم نبيل الوقاد تدريبهم على أعمال الصاعقة . وبعد ذلك تم إنشاء مدرسة أسلحة للتدريب على المدرعات بعد أن استغنى الإمام عن المدربين الروس واستبدلهم بضباط البعثة العسكرية المصرية .

كذلك أنشأت البعثة مدرسة الطيران التى تخرج منها حسين المسورى وإبراهيم الحمدي والتي كان العقيد عبد الله السلال مسئولاً عنها إلى جانب عمله كرئيس لحرس البدر .

وإلى جانب قيام البعثة العسكرية المصرية بأعمال التدريب والتنظيم كانت تقوم بنشر الوعي الوطنى والقومى بين الضباط والجنود اليمنيين ، وكان البدر يرحب بذلك لأنه ينتهى إلى صالحه في مواجهته الحتمية مع غريمه عمه الحسن ، وكانت تصلنى تقارير دورية عن نشاط البعثة المصرية ونجاحها والتفاف الضباط والجنود اليمنيين حولها ورضاء البدر عنها وعدم غضب الإمام عليها .

(١) محرك الفراع العسكرية للثورة وعضو مجلس القيادة .
 (٢) رئيس أركان حرب القوات المسلحة في وقت لاحق لقيام الثورة . وحاليا سفير اليمن في المانيا الشرقية .
 (٣) القائد العام للقوات المسلحة في وقت لاحق لقيام الثورة .
 (٤) رئيس أركان حرب القوات المسلحة في وقت لاحق لقيام الثورة .
 (٥) عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الدفاع عند قيام الثورة ورئيس الوزراء في وقت لاحق .

وكان كبير المعلمين المصريين النقيب صلاح الدين المحرزى يقوم بنشر الوعى الوطنى والقومى بين الضباط والجنود ، ويبدل جهدا مضاعفا مع طلبة الكلية الحربية ، وهو الذى اختار على عبد المغنى وعينه رقيبا أول (باش شاويش) على طلبة الكلية الحربية بعد أن اكتشف فيه ذكاء حادا وعقلية غير عادية وشخصية قيادية ونزاهة مطلقة واقتناعا راسخا بحتمية الاصلاح فى اليمن .

كان على عبد المغنى عظيم التأثير فى زملائه على اختلاف اتجاهاتهم وقادرا على كسب ثقة كل من يتصل به ، وكانت مسئولية رقيب أول (باش شاويش) الكلية الحربية التى كلفه بها كبير المعلمين صلاح المحرزى هى إدارة شئون طلبة الكلية والسهر على انضباطهم .



الإحتفال فى مقر السفارة المصرية فى صنعاء بتخريج أول دفعة من الكلية الحربية
اليمنية دربتها البعثة العسكرية المصرية . ويرى فى الصورة العقيد حسن فكرى الحسينى
رئيس البعثة العسكرية المصرية ، ووقف خلفه ضباط سبق أن تخرجوا من مصر ، ومن
بينهم الملازم أول عبد الله جزيلان ثم الملازم أول محمد الأهنومى ، بينما جلس فى أقصى
الييمين الأستاذ محمد عبد الواحد السكرتير (أنلذ) بالسفارة المصرية (تصوير المؤلف
١٩٥٨) .

مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ
وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ

قرآن کریم

وراشة النبی

الفصل الرابع



فجأة ، تأهب التاريخ ليبدأ صفحة جديدة فى تاريخ اليمن .

فى صيف ١٩٥٩ وصلنى أمر من الإمام بأن ألحق به فى روما حيث قرر أن يصل إليها والإقامة فيها حتى يتم علاجه من الأمراض المستعصية التى كان يعانى منها .

وصلت إلى روما وقمت مع حاشية الإمام بمرافقته والجلوس من حوله وهو طريح الفراش وكنا جميعا نواصل قراءة الفاتحة وآيات القرآن الكريم كى يخفف عنه الله الامة المبرحة . وبلغنى هناك أن الإمام قد أسند أعمال الدولة إلى البدر ، وبدأت تصلنى بصفة سرية الأخبار عن نشاط البدر الذى كان يعتقد أن الإمام لن يعود مرة أخرى إلى اليمن بعد أن اشتد عليه المرض وأقعدته كلية عن الحركة .

ولعل الأخبار عن حالة الإمام الصحية فى روما كانت قد وصلت إلى البدر وأكدت له أن الإمام قد دخل فى غيبوبة سكرات الموت . وكنا عندما نجلس حول الإمام نظن فعلا أنه فى ساعاته الأخيرة .

وإذا بالأخبار تصلنى من اليمن تفيد بأن البدر قد ألقى خطابا فى حفل أقامه الجيش تكريما له فندد بسياسة والده الإمام وهاجم الأوضاع المتخلفة التى يعانى منها الشعب ، وأعلن عن تأسيس أول مجلس نيابى فى تاريخ اليمن برئاسة القاضى أحمد السياغى المعروف بقوة شخصيته وعدائه للامتيازات الهاشمية ، وكان البدر يريد أن يثبت للشعب أنه ضد الامتيازات الهاشمية ، وأنه سوف يحقق الوحدة الوطنية بالمساواة المطلقة فى المعاملة ، والمساواة التامة فى الوظائف ، بين جميع أبناء الشعب ، وهذا ما سبق أن تحدثت عنه مع البدر واتفقنا عليه وكان السبب الأهم فى ولائى له ودفاعى عنه .

لكنه تسرع فى إعلان ذلك ولم يصبح إماما بعد ، وقد علمتنا التجارب أن العديد من قطاعات الشعب لا تبدى تأييدها العلنى والإيجابى لاي قرار تتصور أنه لا يرضى الإمام ، ما دامت تعلم أنه لا يزال على قيد الحياة . وكان الإمام لا يزال فعلا على قيد الحياة والأعمار بيد الله سبحانه وتعالى ولكل أجل كتاب .

قام العقيد السيد شرف المرونى بقيادة بعض الجنود وأمرهم بقصف بيت القاضى أحمد الجبرى حاكم تعز وانتهى القصف إلى قتله مع شقيقه القاضى على الجبرى .

كذلك اندلعت في صنعاء شرارة سخط أشد خطراً إذ شملت معظم أنحاء صنعاء وانتهت باحراق بيت عامل (محافظ) صنعاء القاضي يحيى العمرى واحراق مكتبة القاضي حسين العمرى .

اشترك في هذه المظاهرات الساخطة عدد من طلبة مدارس الأسلحة ومجموعات من فوج البدر ، الذى كان أول مجموعة عسكرية تم تدريبها وتنظيمها ، وكان الملازمون عبد الله اللقيه^(١) وعبد الكريم السكرى ومحمد صالح العلفى^(٢) وعبد الرحمن التريزى^(٣) يحرضون هذه المجموعات ، من خلف ستار ، للقيام بتلك الأعمال العنيفة ، مقتنعين بأنهم بذلك يلهبون حماس الجماهير ويحفزون عزيمة أصحاب الحل والعقد على طرح البديل .

أما طلبة الكلية الحربية فقد التزموا الصمت ولم يشتركوا فى تلك الأعمال مقتنعين برأى زميلهم ورقيبهم الأول (باش شاويش الكلية) على عبد المغنى ، الذى رأى بثاقب بصره أن من صالح اليمن أن يستكمل هؤلاء الطلبة دراستهم فى الكلية الحربية ويخرجوا منها ضباطاً فى أسرع وقت ممكن ، الأمر الذى يستلزم عدم التورط فى الاشتراك فى تلك الأحداث غير المدروسة التى لا تستهدف هدفاً وطنياً محدداً .

كذلك كان من رأى على عبد المغنى عدم التورط بإظهار تأييد طلبة الكلية الحربية لأحد ، لا للبدر ولا لغيره ، وأن يكون شعارهم هو التفرغ للدراسة والتدريب وتقديم النحية والولاء لشخص الحاكم أياً كان ذلك الحاكم .

غير أن هذه السياسة لم تمنع على عبد المغنى وزملاءه من مواصلة الحديث فيما بينهم عن أحوال البلاد وضرورة البحث عن مستقبل أفضل ، وقد ساءهم أن تصل أخبار هذه الأحاديث الشخصية الهامة إلى أذن البدر ، وكانوا يعتقدون أن الذى يقوم باستراق السمع فى جلساتهم الخاصة وينقلها بعد تحريفها إلى البدر هو أركان حرب الكلية النقيب عبد الله جزيلان ، الأمر الذى جعلهم يسعون إلى التخلص من إشرافه التدريبي عليهم فطلبوا من مدير الكلية العميد حمود الجائفى أن يقتصر التدريب فى الكلية الحربية على الضباط المصريين أعضاء البعثة العسكرية وحدهم ، وبذلك يتخلصون من عبد الله جزيلان ، ولو أدى ذلك إلى تنحية بقية الضباط اليمنيين الموثوق فيهم والذين تخرجوا من الكلية الحربية فى مصر وعادوا إلى اليمن مع عبد الله جزيلان أمثال محمد الأهنومى وعبد اللطيف ضيف الله وعلى سيف الخولانى الذين كانوا محل ثقة الطلبة فى الكلية الحربية .

تجاوب العميد حمود الجائفى مع رغبة طلبة الكلية الحربية التى نقلها إليه على عبد المغنى ، وتصرف بهدوئه المعتاد وكلف هؤلاء الضباط بالتدريس فى مدارس الأسلحة ، كما حصر نشاط عبد الله جزيلان فى الشؤون الإدارية للكلية بعد أن أصر البدر على بقاءه للعمل كأركان حرب الكلية ، وكان هو الذى اختاره وعينه فى هذه الوظيفة بينما كانت البعثة العسكرية المصرية قد اقترحت على البدر أن يعين فيها على سيف الخولانى .

(١) أحد ثلاثة اشتركوا فى محاولة إغتيال الإمام أحمد فى مستشفى الحديدة ، ثم أعدم .

(٢) أحد ثلاثة اشتركوا فى محاولة إغتيال الإمام أحمد فى مستشفى الحديدة ، ثم أعدم .

(٣) القائد الجمهورى لمنطقة صعدة أثناء القتال بعد قيام الثورة .

لعل البدر كان لا يطمئن إلى على سيف الخولاني الذي كانت تظهر عليه ملامح يقلد بها عبد الناصر ، وكان لا يكتفم أراءه عن إصلاح اليمن ، أو ربما استمع البدر لنصيحة العميد عبد الله السلال قائد حرسه الذي زكى له تعيين عبد الله جزيلا بدلا من على سيف الخولاني .

على أية حال ، استطاع على عبد المغنى وزملاؤه من طلبة الكلية الحربية أن يتجنبوا احتكاك عبد الله جزيلا بهم واقترابه من شئون تدريبهم حتى يتجنبوا شكوك البدر فيهم ، وكان الفضل في ذلك يرجع إلى العلاقة الروحية التي كانت تجمع بينهم وبين قائد الكلية العميد حمود الجائفى .

كان العميد حمود الجائفى يحظى بإعجاب جميع طلبة الكلية الحربية ومدارس الأسلحة ، لأنه كان شديد التحفظ عند الحديث في الأمور السياسية ، ويرى أن أعظم خدمة يمكن أن يؤديها الطلبة العسكريون للوطن هي التفرغ للدراسة والتفوق فيها والابتعاد عن الأمور السياسية وتجنب الانزلاق في متاهات المغامرات غير المحسوبة ، وكان يستشهد بما حدث مع جمال جميل مدير الكلية الحربية أيام انقلاب ١٩٤٨ . كان الجائفى يعتقد أن الضباط أو الجندي عندما يتم تدريبه سيكون بمثابة سفير لقبيلته أو قريته ، والمشعل المضىء الذى على هديه ينتشر الوعى الوطنى فى أرجاء اليمن .

كانت أراء الجائفى تمثل قمة الحكمة الوطنية ، وكان لا يفصح عن تأييده أو عدم تأييده للبدر أو للحسن أو لغيرهما ، وإنما يلتزم فقط بأداء وظيفته الوطنية بالسهر على انتظام التدريس فى الكلية الحربية وتخريج دفعات الضباط اليمنيين ، مشاعل النور فى اليمن .

لم يكن للجائفى مرشح جدير بثقته يعمل من أجل تنصيبه ، وكان يرى ان اختيار منهاج المستقبل الأفضل يقع على عاتق المثقفين اليمنيين الذين يخرجون من الجامعات فى الخارج ، وانهم لن يستطيعوا ذلك إلا إذا كانت فى اليمن قيادات عسكرية منظمة تحقق ميلاد هذا المنهاج ثم تحميه بعد ميلاده .

غرس الجائفى هذه الأفكار الوطنية فى ذهن على عبد المغنى وزملائه من الذين وصفهم الجائفى بأنهم مشاعل النور فى اليمن ، فالتفوا حوله والتزموا بتوجيهاته ، ولذلك كان طبيعيا ومنطقيا ألا يشتركوا فى أعمال العنف التى شملت صنعاء .

كانت البعثة العسكرية المصرية تسعى بكل ثقلها وطاقتها إلى كسب ثقة جميع عناصر إصدار القرارات أو التوجيهات فى اليمن ، أو كانت تعمل على عدم إغضاب أحد من الذين يملكون العمل على تجميد أعمالها ، حرصا منها على إنجاز مهمتها التاريخية بتدريب وتخريج ضباط وصف ضباط وجنود يمنيين مدربين ومنظمين ، يملأ قلوبهم حب الوطن ، ويغمر صدورهم حب التطور .

وزعت البعثة أدوار العلاقات العامة على أعضائها .

تولى رئيس البعثة العقيد أركان حرب حسن فكرى الحسينى توطيد علاقاته الشخصية مع الإمام وأمير الجيش السيد على بن إبراهيم والسيد على زبارة ورئيس الإستاناف السيد محمد يحيى الشهارى وأمثال هؤلاء من المدرسة القديمة .

وتولى كبير المعلمين الرائد صلاح المحرزي توثيق علاقاته الشخصية مع الضباط والجنود وطلبة الكلية الحربية ومدارس الأسلحة .

وتولى المقدم أحمد أبو زيد الاتصال الدائم والمستمر بالبدر ، وكان يلتقى به يوميا ويمضى معه معظم الأوقات فى جلسات خاصة ، يحضرها عادة جمع من رجال البدر كان أبرزهم العميد عبد الله السلال رئيس حرسه وحسن العمرى مدير اللاسلكى وأحمد جابر عفيف سكرتير البدر والمقدم عبد الله الضبى مدير مكتبه وعبد الله ضميم خادمه الخاص . وكانوا يمضون أوقاتهم فى قصر البدر ، وأحيانا فى بيت أحمد جابر عفيفى ، وأحيانا فى استراحة الروضة ، وفى أغلب الأحيان كانوا يقضون هذه الأوقات فى بيت المقدم أحمد أبو زيد .

على نقيض التحفظ الذى كان سمة من سمات الجائفى كان هؤلاء يصرحون بولائهم المطلق للبدر ، فكان من المنطق أن يتصدى حرس البدر لأعمال العنف التى حدثت فى صنعاء والتى انتشرت فى العديد من أنحائها وظهرت كما لو أنها انتفاضة شبه عسكرية ، ولا يستطيع أى مؤرخ أن يتجاهل دور أنصار الحسن فى الاستزادة منها والنفخ فيها سعيا وراء استثمارها ضد البدر سواء بغرس الرعب فى قلبه فيعرف قدر نفسه ، أو بغرس الشك فى قلب الإمام فيعرف قدر البدر .

فى تلك الأثناء وصل إلى صنعاء الشيخ حميد بن حسين الأحمر نجم القبائل الساطع وفجرها المشرق المضىء مع والده الشيخ حسين الأحمر شيخ مشايخ قبيلة حاشد وأقوى شخصية قبلية فى اليمن ومعهما المئات من رجال قبائل حاشد وبكيل ، وكان شيوخ ورؤساء القبائل قد اتفقوا فيما بينهم على تفويض الشيخ الشاب حميد بن حسين الأحمر لدخول صنعاء لتمثيلهم لدى البدر والتعبير عن مطالبهم وإصرارهم على الإصلاح الذى يريده الشعب .

كانت عشرات الألوف من رجال القبائل يعسكرون فى القرى القريبة من صنعاء ينتظرون إشارة من الشيخ حميد الذى كان يسأله الشيخ عبد اللطيف بن راجح والشيخ سنان أبو لحوم .

اختلف الرواة عن سبب وصول الشيخ حميد ورجال القبائل إلى صنعاء .

يقول الدكتور محمد على الشهارى فى كتابه (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال - صفحة ١٠٨) كانت الخطة أن يحكم اليمن شيخ يستند إلى عصبية قبلية يحررها من الإمامة وأن ينوب عنه فى الرئاسة القاضى أحمد السياغى كمرشح أول ثم القاضى عبد الرحمن الأريانى كمرشح ثان ، ويستطرد الشهارى قائلاً أن هذا الجناح الإقطاعى المعارض لم تكن الجمهورية لديه تختلف عن مملكة معين وقتبان وسبأ وحمير أى مجرد سلطنة إقطاعية قبلية ، وقد نسب الشهارى هذا القول إلى القاضى محمد محمود الزبيري . ثم وصل الشهارى وهو هاشمى العنصرية إلى أن قال فى صفحة ١٠٩ أنه قد وجدت أوراق عند الشهيد حميد تدل على أنهم كانوا يريدون قتل الهاشميين أو طردهم) .

على نقيض رواية الشهابي يقول القاضي عبد الله عبد الوهاب الشماحي في كتابه (اليمن الإنسان والحضارة - صفحة ٣٠٧) أنه (ماكاد الإمام يستقر في روما إلا وقام أصحاب الحسن بإثارة الاضطراب يساعدهم أحمد السياغي وأمثاله ذوى الميول الحسينية فإذا بالجيش النظامي يتمرد بتعز وصنعاء ويثير الرعب والذعر .. مما دفع البدر إلى أن يستنجد بالقبائل . ثم استطرد الشماحي قائلاً أن القبائل استجابت لنداء البدر ولى العهد حتى دخل منهم إلى صنعاء فى أيام قلائل أكثر من خمسين ألف فازداد الموقف تعقيداً .. ولذلك أرسل أصحاب الحسن إلى الإمام فى روما يحذرونه من أن الشيخ حميد ومن معه من المشايخ يحاولون دفع البدر إلى إقامة حكومة جديدة متحررة وخلع الإمام) .

رواية الشماحي تناقض رواية الشهابي .

فبينما يروى الشهابي أن وصول القبائل إلى صنعاء كان بقصد إقامة جمهورية أو سلطنته تحرر اليمن من الإمامة ثم تقتل الهاشميين أو تطردهم ، أى أن القبائل قد وصلت إلى صنعاء بغير إرادة البدر والعمل على خلع هو ونظام الإمامة من جذوره ، يروى الشماحي أن القبائل قد وصلت إلى صنعاء بإرادة البدر الذى استغاث بها وطلب وصولها فجاءت إلى صنعاء تنصره وأن المغرضين من أصحاب الحسن هم الذين أشاعوا أن القبائل أوعزت إلى البدر بأن يخلع الإمام ويقيم حكومة متحررة فى ظل إمامة البدر بطبيعة الحال .

وفى رأى أن كلا من هاتين الروايتين لا يتفق مع الحقيقة .

لقد كنت أحد رجال الإمام الملازمين له والمحيطين به فى روما وكنت أطلع على كل ما يصل إليه عن اليمن شأنى فى ذلك شأن جميع رجاله المحيطين به وهو على فراش المرض .

لو أن الشيخ حميد بن حسين الأحمر كان قد دخل صنعاء لإعلان قيام جمهوريته أو سلطنته كما يقول الشهابي لما خرج من صنعاء قبل أن يتم ذلك ، فقد كان يحظى بتأييد كل شيوخ ورؤساء القبائل وكان معه (كما يقول الشهابي) القاضي أحمد السياغي أقوى شخصية يمنية فى ذلك الوقت .

أما الغرض من قول الشهابي أن هدف الشيخ حميد بن حسين الأحمر ورجال القبائل الذين كانوا معه هو العمل من أجل قتل الهاشميين أو طردهم فإنه غرض واضح الدلالة ، جاء على لسان الشهابي المتعصب للامتيازات العنصرية الهاشمية وإن كان يتظاهر بأنه ماركسي العقيدة شيوعي المذهب الذى لا يعترف بالله ولا بحق سلالة فاطمة فى إحتكار السلطة والتحكم فى المسلمين ، وهو يتظاهر بتعصبه للشيوعية ليخفى تعصبه للامتيازات الهاشمية والتفرقة العنصرية .

اراد الشهابي أن يلصق هذه التهمة بالشيخ حميد ورجال القبائل لإثارة ضمائير الوطنيين ضدهم وضد من يدعو إلى العدالة والمساواة فى اليمن ، كما لو أنه يريد أن يقول أن كل من يدعو إلى العدالة والمساواة هو عدو للهاشميين ، يريد قتلهم أو طردهم .

لا يتصور عاقل أن يستهدف الشيخ حميد أو غيره من دعاة العدالة والمساواة بين جميع أبناء الشعب أن يعمل أحدهم على قتل هاشمي أو طرده من وطنه ، لأن من يدعو إلى العدالة والمساواة لا يمكن أن يدعو في نفس الوقت إلى التفرقة والتمييز ، والذي يدعو إلى الوحدة الوطنية لا يمكن أن يدعو إلى الإمتيازات القحطانية بدلا من الامتيازات الهاشمية ، لأنه لو فعل ذلك لكان قد استبدل الداء الذي يشكو منه الشعب بداء مثله لا يقل عنه خطرا ويؤدي إلى الاستمرار في تمزيق الأمة وتفتيت وحدتها الوطنية .

لذلك أثق في أن الشيخ حميد ورجال القبائل الذين كانوا معه لم يسعوا إلى ذلك أبدا .

كذلك ليس صحيحا مارواه الشماحي قائلًا أن البدر هو الذي طلب وصول الشيخ حميد ورجال القبائل لحمايته في صنعاء ، إذ لو كان الأمر كذلك لخرجوا من صنعاء عندما طلب البدر منهم الخروج منها . لكنهم لم يخرجوا من صنعاء إلا بعد نحو أسبوعين من إلحاح البدر عليهم بالعودة إلى بلادهم وبعد أن تولى القاضي أحمد السياغي إقناعهم بأن البدر مصمم على تنفيذ الإصلاحات التي أعلن عنها ، وكان في مقدمتها إنشاء مجلس نيابي لأول مرة في تاريخ الإمامة في اليمن وتعيين القاضي أحمد السياغي نفسه أول رئيس له وإلغاء التفرقة العنصرية ، أي إلغاء الإمتيازات الهاشمية وتحقيق المساواة التامة بين جميع أبناء الشعب ، وهذا ما كان ينادي به الشيخ حميد بن حسين الأحمر معبرا بذلك عن مطالب شيوخ القبائل ومشاعر السواد الأعظم من أبناء الشعب . وقد أعطى البدر للشيخ حميد كمية كبيرة من الأسلحة وخمسة ملايين ريالاً للصرف منها على رجاله أثناء عودتهم إلى بلادهم .

إذن وصلت القبائل إلى صنعاء من تلقاء نفسها ، وخرجت منها بعد أن تأكدت من عزم البدر على تنفيذ ما أعلنه من إصلاحات جذرية ، وبعد أن عرضت عليه مساعدتها له ووقوفها معه .

ولهذا أعتقد أن أحداث تعز وصنعاء والتي كان ضحاياها الرئيسيون أربعة من غير الهاشميين ، اثنان منهم من بيت الجبري واثنان من بيت العمرى ، قد أثارت الظن بأنها استهدفت فقط الفتك بالقحطانيين ، ردا على إعلان البدر إلغاء التفرقة العنصرية وتحقيق العدالة والمساواة وإنشاء المجلس النيابي برئاسة أحد القحطانيين المتعصبين للمساواة وهو القاضي أحمد السياغي ، الأمر الذي في أغلب الظن قد أثار رجال القبائل بزعماء الشاب الوطني المتحرر حميد بن حسين الأحمر ووالده الشيخ حسين الأحمر ، فاتفق حميد مع مشايخ القبائل الأقوياء على التوجه إلى صنعاء لحماية أهلها والتأكد من قدرة البدر على تنفيذ ما أعلنه من إصلاحات . فتوجه حميد إلى صنعاء ومعه عشرون ألفا من رجال القبائل المسلحين يؤيدون الإصلاح ، وأدخل معه إلى العاصمة نحو خمسمائة منهم وأبقى بقيتهم في القرى المحيطة بها ، فأدرك البدر أنني كنت على حق حين ذكرت له ، أكثر من مرة ، أن التفرقة العنصرية لا يمكن أن تستمر في اليمن وأن السواد الأعظم من الشعب قد بدأ يعبر عما في نفسه من سخط على هذه الإمتيازات التي ليس لها مبرر ، وأننا لسنا في زمن الاختلاف حول أيهما أحق بالخلافة (على أو معاوية) وأنه ليس لهذه الإمتيازات من أثر سوى تعميق جذور الثورة على نظام الحكم الإمامي نفسه .

أدرك البدر أنني كنت على حق حين نبهته إلى هذه الحقيقة ، وأننى كنت فى قمة الإخلاص حين نصحته بأن يكون أول إمام يدعو إلى العدالة ويطبق المساواة بين جميع أبناء شعبه . لذلك استقبل البدر الشيخ حميد بن حسين الأحمر ووعده بتنفيذ كل ما أعلنه من إصلاحات .

وقبل أن تصل أخبار ما جرى فى صنعاء إلى الإمام فى روما واصلتني رسالة من أحد الأصدقاء فى صنعاء كان قد التقى بالبدر بحضور الرائد صلاح المحرزى وسمع البدر يقول أن الوقت قد حان كى يخرج الشعب اليمنى من سجن الباستيل ، يقصد السجن الفرنسى الذى حطمت الثورة الفرنسية ، وقال أنه لا بد من تحقيق العدالة والمساواة من أجل تحقيق الوحدة الوطنية ، وأنه لا بد من القضاء على الخرافات التى يروجها الجهلاء أصحاب المصالح الشخصية الذين مازالوا يتباكون على دم الإمام على بن أبى طالب بينما يسعون فقط إلى الاحتفاظ بالإمتيازات العنصرية .

وصلتني هذه الرسالة وكنت فى طريقى المعتاد للجلوس حول الإمام مع رجاله الذين اختارهم لصحبته ، وفى هذه المرة جاءت إلينا أخبار ما حدث فى اليمن . وكانت الأخبار مختصرة ومركزة فى أحداث تعز التى قادها العقيد السيد شرف المرونى ، والتي انتهت بقتل القاضيين أحمد وعلى الجبرى ، وأحداث صنعاء التى انحصرت فى إحراق بيت عامل (محافظ) صنعاء القاضى يحيى العمرى وإحراق مكتبة القاضى حسين العمرى (عم القاضى محمد عبد الله العمرى وزير الدولة ونائب وزير الخارجية) .

ترددنا جميعا فى إبلاغ الخبر إلى الإمام حرصا على عدم إزعاجه وهو يعانى من شدة المرض والألم ، ففتطوع السيد أحمد عباس بإبلاغ الإمام وكنا نجلس حوله ، وكان معنا من أخوة الإمام الأمير الحسن والأمير اسماعيل والأمير على وعدد من أولاد أخت الإمام والقاضى محمد عبد الله العمرى والسيد أحمد زبارة زوج ابنة الإمام (مفتى اليمن الآن) والقاضى عبد الملك العمرى .

بدأ السيد أحمد عباس يروى للإمام ما حدث بالأربعة من آل الجبرى وآل العمرى وكان يقول كلمة ثم يصمت برهة من الزمن ليختار الكلمة التى تتلوها حتى يتم رواية الحادث على مهل دون إزعاج الإمام .

ولعل الإمام ، قوى الملاحظة ، أدرك من وراء تردد السيد أحمد عباس أحداثا خطيرة وقعت فى اليمن . فما أن أتم رواية الخبر وتأكد الإمام أن ضحايا الأحداث هما إثنان من آل الجبرى وإثنان من آل العمرى حتى صاح الإمام رغم مرضه قائلا (شغلتنى .. ماذا وقع ؟ وقعت فى رأس أربعة فقهاء) أى أربعة من غير الهاشميين . وكان الإمام لا يهتم إلا بسلامة أبناء الشعب الهاشميين وحدهم ، وأن غيرهم من أبناء الشعب لا وزن لهم عند الإمام .

سالت الدموع على وجنتى القحطانى القاضى محمد عبد الله العمرى يد الإمام اليمنى فى الشئون الخارجية ومساعدته ووزير دولته ونائب وزير خارجيته . سالت دموعه التى حاول أن يحبسها حتى لا يراها الإمام أو يلحظها أحد غيرى من رجال الحاشية ، الذين كانوا جميعا من أخوة الإمام وأسرته بما فيهم السيد أحمد عباس .

ولعل أعصاب الإمام كانت قد بلغت ذروة الضعف والمرض لأنه لو كان في حالته الطبيعية لاستطاع أن يتحفظ في التعبير عما يدور في نفسه من تعصب عنصري ، ويتحكم في مشاعره التي لا تعترف بحقوق الأغلبية الساحقة من أبناء شعبه .

كانت هذه نظرة الإمام إلى أبناء الشعب من غير الهاشميين ، مقلدا نظرة جميع الأئمة الذين سبقوه ، متبعا نفس سياستهم التي فرضوها على اليمن منذ عدة قرون . خرجت هذه العبارة الجارحة على لسان الإمام بينما كان من عادته أن يغلف سياسته المعلنة بلغائف الحريز التي تخفي تحتها أشواك التفرقة العنصرية .

هذه المرة لم يغلف مشاعره بالحريز وإنما رمى بأشواك التفرقة العنصرية في وجه وزيره وخليله القاضي محمد عبد الله العمرى ، ومما زاد في هياج الإمام ما رواه بعد ذلك ، السيد أحمد عباس للإمام عن تعيين البدر للقاضي أحمد السياغي رئيسا للمجلس النيابي الذي أنشأه البدر لأول مرة في تاريخ اليمن ، ثم ما رواه عن دخول الشيخ حميد بن حسين الأحمر وقبائل حاشد إلى صنعاء فحقق قلب الإمام خوفا على الامتيازات الهاشمية ، وكأنه أراد أن يعلن وعيده وانذاره للقاضي السياغي والشيخ حميد فأخذ يتلو بيتين من الشعر قائلا :

ولو أنى بليت بهاشمى خولته بنو عبد المدانى
لهان على ما ألقى ولكن تعالوا وانظروا بمن ابتلانى

والمعنى أنه كان أشرف للإمام وأهون عليه أن يمتحنه الله بالتصدي لأحد الهاشميين ، أما أن يبتليه الله بمن هو دون هذا الشرف كالحقطناني أحمد السياغي أو القحطاني حميد بن حسين الأحمر فإن هذا هو البلاء الأعظم الذي جعل الإمام يندب حظه حيث يتصدى لمن هم دونه شرفا ويتحدى من هم دون الهاشميين منزلة .

شاركت القاضي محمد عبد الله العمرى حزنه ، فقد كنت معه ثاني اثنين من القحطانيين عندما كنا نحيط بالإمام ندعو له بالشفاء وانتفاء العناء ، فإذا بمولانا وحبينا الإمام يذبح قلبينا بأبيات الشعر ويحطم كبريانا بقذائف التفرقة . وكأني والقاضي العمرى لسنا من رعاياه ولا من خلصائه المخلصين ، وجلسائه المحبين ، ووزرائه المرموقين ، ورجاله البارزين الذين مثلوه في شتى بقاع الأرض .

فجأة ، قذف بنا مولانا وحبينا الإمام تحت أقدام زملائنا الحاضرين من الهاشميين وداس على شرفنا أمامهم بنعال التفوق العنصرى الهاشمى ، وكأني والقاضي العمرى لسنا من أبناء الشعب اليمنى الذى تحدث القرآن عن أمجاده عندما لم تكن في الدنيا حضارة أعرق من حضارة اليمن.

ولعلنا كنا نعزى انفسنا بذكرى أمجاد اليمن وماضيها العريق ، شأننا في ذلك شأن المستضعفين الحيارى الذى ليس معهم حاضر يفخرون به ولا مستقبل يأملون فيه ، سوى الماضى الذى يلتسمون منه الشرف والكرامة .

أمضيت برهة أو دهرًا لا أدري كيف طال ، ثم تنبهت على صوت الإمام وهو يقرر تشكيل محكمة لمحاكمة الذين أثاروا الفوضى أو الفتنة في اليمن ، وأعلن أنني سأكون رئيسًا لهذه المحكمة كما كنت رئيسًا لمحكمة الأجانب من قبل ، وسأل القاضي محمد العمري عن رأيه في ذلك فاستحسن القاضي العمري هذا الرأي معتقدًا أنني سأقتصص له ولأبناء الشعب من الذين قتلوا القحطانيين آل الجبري في تعز وأحرقوا ممتلكات القحطانيين آل العمري في صنعاء ، ولم يبد الحاضرون أية ملاحظة على هذا التعيين .

أراد الإمام أن يقلد المحكمة التي شكلها الرئيس العراقي عبد الكريم قاسم في تلك الأيام والتي كانت تسمى بمحكمة المهداوي ، والتي كانت تمنع في إزالال المتهمين والتشهير بهم ثم تحكم عليهم بالإعدام فيأمر عبد الكريم قاسم بإطلاق الرصاص عليهم في نفس يوم النطق بالحكم أو في اليوم التالي على أكثر تقدير . وكانت هذه المحكمة من أدوات عبد الكريم قاسم في نشر الإرهاب والذعر واسكات الخصوم ، فأراد الإمام أن يستخدم نفس الأسلوب وأن يتسرب خبر تشكيل هذه المحكمة قبل وصول الإمام إلى اليمن لتحدث أثرها النفسي على من وصفهم بالمفسدين .

أثناء تلك الجلسة ، وبينما كان الإمام يبدي أعجابه بمحكمة المهداوي العراقية استطرد قائلاً إن رئيس المحكمة لا يتكلم كثيراً وإنما يوجه أسئلته وينطق بالحكم ، وإنما الذي يمسك بتلابيب المتهمين ويخطب ضدهم ويشهر بهم ويكشف نواياهم هو المدعي العام ، ولذلك قرر أن يعينني مدعياً عاماً بدلاً من تعييني رئيساً للمحكمة ، وأمرني بالاستعداد للسفر معه إلى اليمن حيث أوشك أن يعود إليها ، وطلب أن أستأجر له من ألمانيا يختاً بحرياً ينقله من إيطاليا إلى اليمن حيث لم يتمكن من العثور في روما على يخت يقوم بهذه الرحلة .

سافرت إلى ألمانيا وأبلغت طلب الإمام إلى وزير الخارجية الألماني الهرفون برنتانو الذي أفادني بأن رجال الأعمال الألمان لا يضيعون وقتهم في نزاهات بحرية ونصحنى بالبحث عن مثل هذا اليخت في اليونان .

عدت إلى روما كي أطلع الإمام على ما وصلت إليه في ألمانيا فأبلغوني أن صحة الإمام قد تدهورت إلى أقصى درجة ، وأنه لم يعد في وسعه استقبال جلسائه حتى وهو نائم على الأرض كما هي العادة ، لأن الغيبوبة بدأت تداهمه بصفة تكاد تكون مستمرة .

انصرفت من مقر الإمام دون أن أحظى بمقابلته وأخذني معه الأمير الحسن (عم البدر ومنافسه في الإمامة) وذهبنا إلى السوق ليشتري عقداً من الأحجار العادية الصناعية لإحدى قريباته ، وكان معنا القاضي محمد العمري والسيد حسن إبراهيم ، وأذكر أنه قضى نحو ساعتين وهو يساوم تاجر العقود كي يخفض ثمن العقد وكان الفارق بين الأمير والتاجر لا يزيد عن خمسة عشر جنيهاً .

أثناء عودتي من الفندق حدثتني نفسي بالعودة إلى مقر الإمام لعلني أختلس منه دقيقة أشرح له فيها نتيجة مهمتي في ألمانيا بشأن اليخت ، فدخلت إلى غرفة نومه ولم يكن حراسه الإيطاليون مجهولون شخصيتي ، فإذا بالإمام الذي أبلغوني في الصباح أنه يعاني

من سكرات الموت أجده أمامي وجها لوجه يمشى فى غرفته كأقوى ما يكون صحة وأكثر ما يكون عافية ، وعندما أخذتني الدهشة وهممت بالانصراف أمرنى بالجلوس واستمع إلى نتيجة مهمتى ، وقال انه ليس فى عجلة من أمر السفر لأن حالته الصحية تتغير بين ساعة وأخرى وأنه يفضل البقاء فى إيطاليا لفترة أطول .

لم آخذ كلام الإمام على علاته ، وأفهمه على ما قاله ، وإنما حاولت أن استنتج الباعث من وراء هذا التغيير المفاجيء فى قرار عودة الإمام إلى اليمن ، مع التظاهر باشتداد المرض عليه ، فعلمت أن رسالة وصلت إليه من اليمن أخبرته أن البدر قد سيطر تماما على مقاليد الأمور بمساعدة القاضى أحمد السياغى والقبائل ، وأن مصر تقف بكل ثقلها معه وأن البدر قد اتفق مع جمال عبد الناصر على التحفظ على الإمام فى مصر عند وصوله إليها فى طريقه إلى اليمن ، وإيداعه فى إحدى المصحات العصبية وإعلان مرضه الذى يقعده عن مزاولة عمله كإمام لليمن ، وعندئذ يتولى البدر الوصاية على العرش (منصب الإمامة) أو يجمع أهل الحل والعقد لإعلان خلع الإمام بسبب تدهور حالته الصحية إستنادا إلى تقارير الأطباء التى وعد جمال عبد الناصر بإرسالها إلى البدر .

رغب الإمام فى أن يترث فى إيطاليا حتى يعرف المزيد من هذه المعلومات التى كان يثق فى صحتها ثقة مطلقة ، ولا أدرى من الذى أرسلها إليه . وكانت فيما أعلم عارية تماما عن الصحة جملة وتفصيلا لكنها أثرت فى نفس الإمام أعماق تأثير .

وجدت أن من واجبي أن أرسل إلى البدر أخبره بما وصل إلى الإمام ، وأنصح به بأن يقتصد فى تصريحاته ويتأنى فى خطواته الإصلاحية ، مؤكدا أن صحة الإمام جيدة وأنه لا صحة لما يقال عنه ، ويشيعه بنفسه عن نفسه من أنه يعانى سكرات الموت .

كذلك أرسلت إلى السيد محمد أنور السادات بواسطة الملحق العسكرى المصرى فى روما رسالة تتضمن نفس هذا المعنى ، ورجوته أن يطلع الرئيس جمال عبد الناصر على مضمونها كي يقوم بما يراه نحو بث الطمأنينة فى قلب الإمام وإزالة أوهامه التى لا أساس لها من الصحة على وجه الإطلاق .

كنت قد أشعرت القاضى محمد العمرى اننى سأتهرب من العمل كمدعى عام كما أراد الإمام وقلت أننى لو حاكمت السيد شرف المرونى سأجد من يتهمنى بأننى ضد الهاشميين ، وإذا حاكمت القاضى أحمد السياغى الذى ينوى الإمام تصفيته جسديا مع غيره من الضباط والجنود سأجد من يتهمنى بأننى ضد القحطانيين ، وأضفت أننى لا زلت فى حاجة إلى وقت حتى أتبين موقف البدر من أبيات الشعر التى سمعناها من فم الإمام حتى نعرف نظرته الحقيقية إلينا ، نحن أبناء الشعب القحطانيين وهل يرانا كما يرانا الإمام من طبقة العبيد ؟ أو أنه صادق فى تحقيق العدالة والمساواة بين أبناء اليمن جميعا .

هذه هى القضية .

وليست أحداث تعز وصنعاء سوى مجرد أعراض للمرض الاجتماعى المزمن الذى تعهد البدر بمعالجته واستئصاله من جذوره .

وافقني القاضي العمري بعد أن كان متحمسا لمحاكمة من أحرقوا مكتبة عمه وبيت ابن عمه . استأذنت من الإمام للسفر إلى مقر عملي في ألمانيا الغربية لإعداد لوازم سفري معه إلى اليمن على أن أعود إلى روما للإقامة فيها حتى يحل موعد سفره إلى اليمن .

اتفقت مع القاضي محمد العمري على ألا أعود إلى روما حتى لا أسافر مع الإمام إلى اليمن للقيام بمهمة المدعى العام ، وبمجرد وصولي إلى بون أجريت فحوصا طبية حيث كنت أشعر بحالة صحية غير عادية ، فإذا بالطبيب يكتشف إصابتي بمرض السكر .

وكان الطبيب الألماني في غاية الدهشة لأنه سبق أن فحصني قبل شهر من ذلك الوقت وكنت سليما معافا ، الأمر الذي جعله يعلل ظهور السكر عندي فجأة بأنني قد مررت بأزمة نفسية حادة أو اضطراب عصبي شديد .

ولا يخالجنى أدنى شك في ان احتقار الإمام لي وللقاضي العمري مع بقية القحطانيين وهم أكثر من تسعة وتسعين في المائة من مجموع أبناء شعب اليمن قد أصاب من كبريائي مقتلا ، وأوقد في أعماقي نارا ، كانت في أغلب الظن ، السبب المباشر الذي استعجل إصابتي بذلك المرض .

نصحتني الطبيب بالإقامة في المستشفى الجامعي في بون مدة أسبوعين حتى يتم ضبط نوع وكمية العلاج المضاد للسكر ، وهذه طريقتهم في ضبط علاج السكر . ولازلت ، حتى الآن ، أعانى من مرض السكر الذى أعاننى الله على الالتزام بشروط صداقته الثقيلة والمفروضة حتى آخر العمر ، الذى حدده الله سبحانه جل شأنه وتعالى قدرته .

أبرقت إلى الإمام أعتذر عن عدم عودتي إلى روما معللا ذلك بإقامتي بمستشفى الجامعة في بون وأرسلت إليه تقريرا طبيا من هذه المستشفى . استاء الإمام من اعتذاري ولعله ظن اننى افعلت ذلك العذر حتى أهرب من القيام بمهمة المدعى العام أمام المحكمة التى أراد أن ينشر عن طريقها الذعر والإرهاب .

ولا شك في أن بعض أخوته وأبناء أخته الذين كانوا يجالسونه قد لاحظوا حزنى وحزن القاضي محمد العمري من موقف الإمام من أبناء الشعب القحطانيين ، لأننا لم نستطيع أن نحبس دموعنا التى خرجت من مآقينا رغما عنا ، بعد أن وجدنا أنفسنا فجأة من طينة أقل من طينة بقية الحاضرين الجالسين معنا حول الإمام ، وكانوا ينظرون إلينا يتطلعون فينا إلى التعرف على مشاعرنا التى لم يكن فى وسع أحدنا أن يخفيها على الآخر .

لا شك في أن البعض من هؤلاء الذين يعرفون صلتى بالبدر قد فسر للإمام اعتذاري عن عدم العودة إلى روما للسفر معه إلى اليمن بأننى قد استأنت من احتقار الإمام للقحطانيين ، وكان ذلك آخر ما يظنه الإمام بى لأنه يعرف أننى نشأت في مصر ولم أضع من لبن التعصب في اليمن ، ولفرط ثقة الإمام وإيمانه بالحق الإلهي للهاشميين كان يعتقد أنه ليس من حق غيرهم أن يعترض على التعصب للإمتهيازات الهاشمية ، بل لعله كان يستغرب مطالبة غيرهم بمثل حقوقهم ويندهش من تناول القحطانيين وتتطلعهم إلى المساواة مع الهاشميين .

على أى حال اقتنع الإمام بأننى قد افتعلت عذر المرض حتى لا أعود معه إلى اليمن وأتولى مهمة المدعى العام فأمر على الفور بنقلى من ألمانيا إلى السودان وزيرا مفوضا بدلا من الشيخ صلاح المصرى الذى كثرت شكاوى اليمنيين ضده . تضمن أمر الإمام أن أغادر ألمانيا فى الحال لاستلام عملى فى السودان وأرسل إلى ألمانيا ابن اخته السيد عبد الوهاب الشامى ليتسلم منى السفارة فى بون وكان من بين الذين يجلسون معنا حول الإمام فى روما .



المؤلف بين سفيرين من سفراء الدول الذين أقاموا له حفل توديع بمناسبة نقله إلى السودان . (سبتمبر ١٩٥٩)

غادر الإمام روما على متن طائرة متجهاً إلى اليمن ، وفى منتصف الطريق فى سماء البحر الأبيض المتوسط أمر الإمام بعودة الطائرة إلى روما ، وبعد ذلك استقل إحدى بواخر الركاب المتجهة إلى البحر الأحمر مروراً ببورسعيد كى يصل إلى الحديدة عن طريق البحر .

اختلف الرواة حول تفسير هذا التصرف .

بعضهم يقول أن الإمام اكتشف فى الطائرة غياب إحدى نساته التى تخلفت فى روما عن قصد منها ، فأراد أن يعود إلى روما لأخذها معه وهى سميحة المرأة الجارية السورية الحسنة التى كان الملك سعود قد أهداها إلى الإمام .

رواة هذا التفسير يستندون إلى اختفاء هذه المرأة فى آخر لحظة قبيل إقلاع الطائرة وكانت قد ضاقت ذرعاً بالحياة فى قفص الإمام . وآخرون يقولون أن الإمام قد شعر بتعب من السفر بالطائرة فأراد أن يستبدلها ببخرة .

ولا أعتقد فى صحة شيء من ذلك .

فالإمام كان ينوى منذ البداية السفر بالبخرة وأرسلنى إلى ألمانيا لاستئجار أحد اليخوت الألمانية . وأغلب الظن عندى أن الإمام عندما قرر السفر بالطائرة وأعلن ذلك على الملأ كان ينوى فى نفس اللحظة أن يعود من منتصف الطريق إلى روما ثم يسافر إلى الحديدة على ظهر باخرة .

أظن ذلك لأنه يتفق ، فى نظرى ، مع كيفية تفكير الإمام التى اتصور أننى درستها دراسة جيدة خلال عملى معه نحو عشر سنوات متصلة .

أظن أن الإمام كان يريد أن يصل إلى علم البدر ، ومن حوله ، موعد وصوله بالطائرة . حتى يستدرجهم إلى القيام بالأعمال المعادية التى أبلغه الوشاة المغرضون بأن البدر ورجاله سوف يقومون بها عند نزول طائرة الإمام على أرض اليمن . فإذا ما عاد الإمام إلى روما واستقل البخرة فإنه يكون فى وسعه أن يفكر فى كيفية الرد على هذه الأفعال المعادية التى يظن أن يكون البدر ورجاله قد تهيأوا لها ظناً منهم أن الإمام سيصل فى ذلك الموعد بالطائرة .

وأظن أن الإمام كان لا يريد مطلقاً أن يسافر بالطائرة التى تجعل من السهل على مصر إنزالها فى أحد المطارات المصرية وإدخاله فى إحدى المصحات كما قال الوشاة المغرضون .

وصلت باخرة الإمام إلى بورسعيد فى طريقها إلى الحديدة ، ورفض النزول من البخرة وكان جمال عبد الناصر فى استقبال الإمام على رصيف الميناء ، فصعد جمال عبد الناصر لمصافحة الإمام الذى كان جالساً فوق مقعده لم يتحرك منه بتاتاً وقلبه ملىء بالغضب على مصر والخوف من جمال عبد الناصر ، بسبب ما جرى فى اليمن على يد البدر ونسبه المغرضون إلى مباركة مصر وتأبيدها .



الإمام أحمد يستقبل الرئيس
جمال عبد الناصر على ظهر الباخرة
(عام ١٩٥٩) .

يقول الرواة إن عبد الناصر عندما زار الإمام فوق ظهر الباخرة عرض عليه النزول منها لزيارة القاهرة والاستجمام فيها بعض الوقت ، لكنني لا أظن ذلك لأن شكوك الإمام في مصر كانت قد بلغت إلى سمع عبد الناصر عن طريقى وكان الإمام لا زال في روما ، ولم يكن من المتوقع أن يقبل الإمام مثل هذه الدعوة ، فكان من المنطق ألا يعرض عبد الناصر على الإمام دعوة يعلم مقدما أن الإمام سوف يرفضها ، كما يعلم أنها سوف تعمق الشك في قلبه .

إستنادا على ما أعرفه من ذكاء عبد الناصر ، أظن أنه لم يوجه إلى الإمام مثل تلك الدعوة وإنما اكتفى بتقديم التحية إليه والدعاء له بالصحة والعافية ، كما تمنى لليمن كل توفيق واستقرار ضمن ما تمناه من استمرار ثقة الإمام في ابنه وولى عهده الذى ، بناء على موافقة الإمام ، لا تتأخر مصر عن تقديم المساعدة إليه وتوجيه النصيح له .



وصل الإمام إلى ميناء مدينة الحديد فذهب إليه البدر يستقبله في عرض البحر وقيل ، كما أجمع الرواة ، أن الإمام صفع ابنه البدر على وجه أمام من حضروا ذلك الاستقبال ، ولما وصل إلى القاضي أحمد السياغي نظر الإمام إليه نظرة قاسية وأعلن قراره بحل المجلس النيابي وكان البدر قد أمر بتعليق الزينات على جميع المباني في الحديد كما حشد المواطنين لاستقبال والده الإمام الذي وصل إلى قصر البوني بمشقة كبرى وسط الزحام الرهيب .

ومن إحدى شرفات القصر وقف الإمام يلقي خطابا ناريا فيما يلي أهم ما جاء فيه :

(كان ما كان من بعض السفهاء والأشرار المغرورين المخدولين فأخافوا الأمن وقتلوا النفس الحرام ونهبوا الأموال وأخافوا السبيل وأخافوا بيضة الإسلام التي يلجأ إليها الخائفون ولا قوة إلا بالله وما أنا الآن عازم على تنفيذ أحكام الله في أولئك أهل الفتنة ، منهم من سيضرب عنقه عملا بكتاب الله وشريعة رسول الله ، ومنهم من ستقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، شريعة الله شريعة محمد بن عبد الله الذي جاءنا بهذا الدين ، دين الإسلام .

وأحذر الحاضرين ، والحاضر يعلم الغائب ، إنني أقسم بالله قسما لا هواده فيه ، أنه لا يرفع إلى بحق من أي شخص أبيض أو أسود يسعى للإخلال بالأمن ومخالفة الأوامر والتنكب عن شريعة الله ، إلا شددت رأسه بالسيف وأقول مكررا من كذب فليجرب . وهذا الفرس وهذا الميدان .

أما علمتم أن النصاري وأذنابهم وخدمة الكافرين يسعون بكل جهدهم بلا كلل ولا ملل يقصدون تفريق الكلمة وتشتيت الجماعة وقطع السبيل ومخالفة الإمام ومخالفة شريعة الله . هل ترضون للسفهاء والأشرار أن يتحملوا المستعمرين على ظهورهم إلى وطننا العزيز يريدون إذلال اليمن الباسل ؟) .

أثار هذا الخطاب ، الذي كانت تذييعه إذاعة صنعاء الذعر ، والخوف في نفوس المواطنين لا سيما عندما أخرج الإمام سيفه من غمده ولوح به في يده وهو يعلن أنه سيشدخ رأس أي شخص كائنا من كان ومن كذب فليجرب (وهذا الفرس وهذا الميدان) وبعد أن وزع درجات العقاب على من وصفهم بالسفهاء فمنهم (من سيضرب عنقه) ومنهم (من ستقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) . هرب من صنعاء من كان باقيا فيها من رجال القبائل .

كان الإمام يقصد بـ (بيضة الإسلام) نظام الإمامة الهاشمي ويقصد بـ (السفهاء) أولئك الذين نادوا بالإصلاح والعدالة والمساواة ، ويقصد بـ (النصارى) الإنجليز في عدن والمصريين في القاهرة ، وهذا وصف يطلقه الإمام عادة على كل من ليس يمنياً حتى ينفر أبناء اليمن من التيارات الإصلاحية التي تهب على اليمن من الخارج .

التفت الإمام إلى القاضي أحمد السياغي وقال (أهلاً برئيس المجلس القحطاني) ثم أرسله إلى صنعاء لإحضار الشيخ حسين الأحمر والعودة معه إلى قرية السخنة بالقرب من مدينة الحديدة حيث يقيم الإمام .

ذهب القاضي أحمد السياغي إلى صنعاء ومنها هرب إلى عدن .

نفذت أمر الإمام بانتقاله من ألمانيا الغربية وكنت قد حصلت قبل ذلك على بكالوريوس الاقتصاد السياسي والعلوم المالية من جامعة بون وسجلت رسالة الدكتوراة عن (إصلاح اليمن الاقتصادي) وتوجهت إلى السودان ومارست عملي هناك وكان الإمام قد وصل إلى الحديدة قبل ذلك بنحو إسبوع واحد .

تابعت من السودان أخبار الإمام في اليمن .

وعلمت أنه أرسل ابنه البدر إلى صنعاء وكلفه بالقبض على الشيخ سنان أبو لحوم بينما كان قد هرب إلى عدن ، كما أبرق الإمام إلى الشيخ حسين الأحمر برقية لينة اللهجة يدعوه إلى الوصول إلى السخنة لمقابلته بعد أن طمأنه ووعدته (بالسلامة) .

وفي نفس الوقت سهر الإمام على إثارة رجال القبائل والعشائر التي كانت تنافس الشيخ حسين الأحمر واستمالها بالمال ووزع عليها السلاح ، وأرسل بعض الشخصيات من قبيلة حاشد لاستمالة الشيخ حسين واستدراجه إلى السخنة ، إلا أنه لم يستجب لدعوة الإمام حيث كان مجرباً لعوده فأمر الإمام محافظ حجة السيد عبد الملك بحشد جيوش من رجال القبائل الذين وزع عليهم المال والسلاح ، وتولى قيادتهم ممثل الإمام في منطقة حوث السيد محمد سامري الذي توجه بهذه الجيوش إلى عقر دار الشيخ حسين الأحمر في مدينة خمر وغيرها من المناطق التي كان يسيطر عليها .

كذلك حرك الإمام الجيش الدفاعي من صنعاء بقيادة السيد عبد القادر أبو طالب والجيش النظامي بقيادة السيد (الشريف) محمد الضسيم فتوجه الجيشان إلى منطقة ريده للقبض على الشيخ حميد بن حسين الأحمر ووالده الشيخ حسين .

وبينما كنت أتابع أخبار الإمام وما فعله بالبدر وما هدد به اليمنيين جميعاً وصلتنى برقية منه تأمرني بالوصول فوراً إلى اليمن لأمر هام وتحذرنى من التأخر .

في نفس ذلك الوقت وصلتنى رسالة من السيد محمد أنور السادات بواسطة السفير محمود سيف الزيل سفير مصر في الخرطوم ينصحني باسم الرئيس عبد الناصر بعدم السفر إلى اليمن ، حيث وصلت إليه معلومات تفيد بأن الإمام يتهمني بأنني من بين الذين

حرضوا البدر على إعلان ما أعلنه أثناء غيابه في روما ، ولعله قد علم أيضا بأمر الرسالة التي أرسلتها من إيطاليا إلى البدر والتي شرحت له فيها حالة الإمام الصحية على حقيقتها وكانت على نقيض ما كان الإمام يرجو له أن ينشر .

خلوت إلى نفسي .. ودرست موقفى ..

وجدت أنني إذا ذهبت إلى اليمن فمن المحتمل أن يقتلني الإمام . (وهذا احتمال) .

وإذا رفضت الذهاب فإننى أكون قد قتلت آمالى فى الإصلاح (وهذا يقين) .

وكعادتى عندما أقوم بتحليل سلوكى واختيار منهجى فإننى أتأشى التهلكة بالخطر اليقين وأقبل المجازفة بالخطر المحتمل .

على نقيض نصيحة عبد الناصر والسادات قررت الذهاب إلى اليمن تنفيذا لأمر الإمام أملا فى إنقاذ ما يمكن إنقاذه مع البدر ولم أكن قد أمضيت فى الخرطوم أكثر من ثلاثة عشر يوما .

وصلت إلى الحديدة وكان الإمام فى قرية السخنة ولم أتمكن من مقابلة البدر الذى كان قد سافر إلى صنعاء . جاءتنى سيارة الإمام لتتقلنى إلى السخنة حيث يقيم الإمام الذى أسرف فى إعدام الكثيرين من أبناء الشعب وأخذ يتخلص سرا ، ممن يشك فى ولائهم ولا يملك الدليل على إدانتهم ، عن طريق قتلهم فى الطريق الوعر بين الحديدة والسخنة الملىء بالخبث (الأشجار الصغيرة) .

حذرنى أصحابى من السفر فى سيارة الإمام وأخذونى فى سيارة خاصة إلى السخنة ، وعندما التقيت بالإمام ظهرت على وجهه علامات الاستغراب إذ وجدنى أمامه ولا زلت على قيد الحياة ، فسألنى عن رحلتى من الحديدة إلى السخنة فشكرته على اهتمامه براحتى وسألته عن الأمر الهام الذى طلبنى من أجله فقال أنه سيبحثه معى فى وقت آخر وأمرنى بالعودة إلى الحديدة انتظارا لأوامره .

بينما كنت فى السخنة علمت أن الجيش الذى أرسله الإمام بقيادة السيد عبد القادر أبو طالب والجيش الذى أرسله بقيادة السيد محمد الضميم قد وصلا إلى ساحة القتال ضد القبائل التى كانت مع الشيخ حميد ووالده الشيخ حسين .

وكان الإمام قد أجاد استخدام وسائل الحرب النفسية حيث أرسل عدة برقيات غير رمزية (غير شفرية) إلى قائد جيشه السيد عبد القادر أبو طالب يشد بها أزره ويقوى من عزيمته ، زاعما أنه جهز له تعزيزات جبارة قوامها عشرات الألوف من المخلصين المزودين بأحدث الأسلحة .

كانت وسيلة الشعب اليمنى إلى التعرف على سير المعركة ضد آل الأحمر هى الاستماع إلى ما كان موظفو اللاسلكى يتناقلونه ، وكان هؤلاء يرصدون برفيات الإمام وردود قواد جيوشه وكان الإمام يعرف ذلك ، فأراد أن يستغل موظفى اللاسلكى المنتشرين فى معظم أنحاء اليمن وهم ينشرون ما يريد أن يشيع به الذعر فيغرس الهزيمة فى قلوب المعارضين الذين تحدوا أوامره .

كان ذلك السلاح النفسى من ضمن الأسباب الرئيسية ، أو لعله السبب الأهم الذى جعل الكثيرين من رجال القبائل الذين كانوا مع آل الأحمر ينقلبون عليهم وينضمون إلى قوات الإمام ، وعندئذ لم يجد الشيخ حسين الأحمر مفرا من أن يصدق وعد الإمام الذى قطعه على نفسه ، بأنه إذا ما وصل إلى السخنة وقابل الإمام فإن دمه يصبح حراما وعرضه حراما وماله حراما ، فاستجاب لدعوة الإمام وتوجه إلى السخنة والتقى بالإمام بعد أن طمأنه البدر على مصيره ، لكن الإمام نفذ ما فى نفسه وأمر باعتقاله .

أما ابنه الشيخ حميد فقد ذهب مع بعض أصحابه إلى منطقة الجوف ونزل فى مدينة الحزم وانضم إليه النقيب على بن ناجى الشايف ، وكان الجيش الذى بقيادة السيد عبد القادر أبو طالب قد أحرق بهذه المدينة ، وأطلق النار على الشيخ حميد ورجاله حتى نفذت زخيرتهم وقوتهم فانسحب الشيخ حميد إلى مدينة الزاهر معقل الأشراف ونزل ضيفا فى دار السيد على الضميم محتما به كمادة القبائل والأشراف على وجه الخصوص ، إلا أنه سلمه إلى قائد جيش الإمام السيد عبد القادر أبو طالب الذى أرسله إلى الإمام فى السخنة ومعه النقيب على بن ناجى الشايف وغيرهما .

وما أن وصل هؤلاء إلى السخنة حتى أمر الإمام ابنه البدر بأن يرسلهم مع الشيخ حسين الأحمر من سجن الحديدية إلى سجن حجه .

قضيت ليلتى فى دار الضيافة بالسخنة ساهرا على استيعاب هذه الأخبار ، مفكرا فى ما وصلت إليه أحوال اليمن ، وما تعرض له أبطالها الوطنيون من آل الأحمر ومن كان معهم من رجال القبائل الأشداء ، ومن هرب من الزعماء المصلحين كالقاضى أحمد السياغى والشيخ سنان أبو لحوم .

عجبت من انهيار البدر واسراعه إلى تسليم أصحابه إلى الإمام ثم قيامه بتشديد الحراسة عليهم وهم مقيدون بالأغلال وهو يسوقهم إلى سجن حجه ، وذنبتهم أنهم وقفوا معه يأيدونه ويبيعونه ويستعدون للموت وهم يؤازرونه على تحقيق نواياه الإصلاحية عندما كان الإمام فى روما .

كدت لا أصدق أن ذلك ما قدر عليه البدر ، فلم ينفع صديقا ، ولم يجر نصيرا ، ولم يشفع لأحد .

كان الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر شقيق الشيخ حميد يقيم فى الغرفة المجاورة لغرفتى فى دار الضيافة فى السخنة ، وكان يحاول استعطاف الإمام لإنقاذ أخيه ووالده الشيخ حسين الأحمر . وبالرغم من أن اليأس من البدر كان قد بدأ يراود عقلى فقد وعدت الشيخ عبد الله بأن أحاول إقناع البدر بالشفاعة لهما ولغيرهما عند الإمام ، وكان البدر قد عاد من صنعاء ونزل فى دار البونى فى الحديدية .

وفى الصباح غاقت سيارة الإمام التى كان من المقرر أن تأخذنى إلى الحديدية تنفيذا لأمره واستخدمت سيارة أحد الأصدقاء ووصلت إلى الحديدية والتقيت بالبدر .

كان لقاء حارا .

أقسم البدر أنه يصر على تنفيذ نواياه الاصلاحية لكنه لا يستطيع أن يعصى للإمام أمرا أو يرد له طلبا ، كما لا يقدر أن يشفع عنده لأحد ، وقال أن ما جرى في اليمن في غياب الإمام يؤكد نيته في الاصلاح ، أما ردود فعل الإمام فهي قدر من الله الذي إذا كان في علمه أن يموت الشيخ حميد ووالده الشيخ حسين بسيف الإمام فهذا قدرهما لا يقدر على رده أحد ، وليكونا شهيدين من شهداء اليمن الذين امتلأت بهم صفحات التاريخ .

لم يكن في خاطري أن أتحدث مع البدر في تلك الساعة عن الاصلاح ، بينما كان سيف الإمام يحيط برووس الرجال من أبطال اليمن ، ويتحفظ لقتلى في الطريق من وراء أشجار (الخبت) كما قتل غيرى في تلك الأيام ، وكان عدد قتلاه بهذه الطريقة قد تجاوز الأربعين رجلا .

كان حديثي كله مع البدر محصورا في كيفية إنقاذ الذين وقفوا معه وشدوا من أزره وكان الشيخ حميد وأصحابه لا يزالون في سجن الحديدة على مقربة من البدر وكان بعض الأعوان على إستعداد لتهريبهما إلى خارج اليمن .

سال العرق على وجه البدر وأنهى الحديث معى حتى لا يسمعه أحد فينقله إلى الإمام الذي كانت أعصابه قد بلغت ذروة الهياج .



عندما وصلت إلى غرفتي في دار الضيافة بالحديدة وجدت في انتظاري برقية من الإمام تأمرني بسرعة العودة إلى السخنة ، وكانت سيارة الإمام تنتظرني أمام دار الضيافة ، كما كانت سيارات النقل تقوم بنقل معونة القمح التي وردت إلى ميناء الحديدة ، فتطوع بعض أصحاب هذه السيارات وكان معظمهم من أبناء البيضاء أن يصحبوا سيارة الإمام التي حملتني إلى السخنة وكانهم ذاهبون إليها بحكم أعمالهم .

توجهت لمقابلة الإمام الذي أظهر غضبه وأمرني بالبقاء في السخنة حتى يطلبني ، فالتقيت في دار الضيافة بالشيخ عبد الله بن حسين الأحمر وأخبرته بما دار بيني وبين البدر ، وقلت له أنه لا أمل في إنقاذ حياة والده وشقيقه واقترحت عليه أن يهرب من اليمن كما فعل القاضي أحمد السياغي والشيخ سنان أبو لحوم ، لكنه رفض ذلك وأصر على البقاء في السخنة مع العديد من شيوخ القبائل الذين وصلوا إلى السخنة يشفعون لآل الأحمر لدى الإمام .

وصل في نفس الوقت أحد عشر شيخاً من شيوخ القبائل الذين هربوا إلى المملكة العربية السعودية وأعادهم الملك سعود إلى اليمن ، بعد أن أخذ وعداً قاطعاً من الإمام بالعفو عنهم وإكرامهم ، لكنهم بمجرد أن وصلوا إلى السخنة أمر الإمام بالقبض عليهم وأرسلهم إلى البدر كي يلقي بهم في سجن حجة لقطع رؤوسهم .

وكان حرس الإمام قد تذرروا من عدم إستلام مرتباتهم حيث قرر الإمام إذلالهم بعد أن خرج عن وعيه وأصبح يشك في كل من حوله ، فاضطر أفراد حرس الإمام إلى أن يتقدموا إليه بشكوى يطلبون فيها إما أن يعطيهم مرتباتهم أو يأذن بتسريحهم ليعودوا إلى بلادهم لزراعة أراضيهم ورعاية أغنامهم ، فخرج الإمام إليهم في الفجر عارى الرأس حافى القدمين وأمرهم جميعاً بالمثل بين يديه وطلب منهم تحديد أسماء أربعة من المشوقين (المحرضين) وأمر بتنصيب أربعة مشانق (منصات) لإعدامهم ، وأعطاهم مهلة أربع ساعات لتحديد أسماء الأربعة المحرضين .

كان عدد كبير من مشايخ القبائل يقيم في دار الضيافة في السخنة وبينما كنا نصلى الفجر جاءنا أفراد من حرس الإمام يطلبون شفاعة المشايخ لدى الإمام ، غير أن المشايخ أشفقوا على أنفسهم من غضب الإمام واعتذروا عن عدم تحملهم مغبة الشفاعة لديه .

وهنا تطوع للشفاعة محافظ الحديدة السيد محمد أحمد باشا وكان وطنيا غيوراً وشجاعاً مقداماً ، وذهب إلى الإمام واستعطفه وظل يسترحمه حتى اكتفى الإمام بحبس أربعة من أفراد حرسه دون أن يعدمهم .

عاد السيد محمد أحمد باشا من بيت الإمام إلى دار الضيافة وأبلغ أفراد الحرس بما ظفر به من الإمام الذي كان قد أحاط نفسه بحماية أفراد من قبائل الزرانيق الذين يرأسهم الشيخ يحيى منصر ، وهى قبائل تهامة الباسلة القوية التى تقع قرية السخنة فى قبضة يدها ، واستغنى الإمام عن حرسه الملكى وإن أبقاهم لديه بغير سلاح .

أثناء إقامتى فى السخنة شاهدت عددا كبيرا من مشايخ وزعماء قبيلة حاشد وهم يستعطفون الإمام للعفو عن الشيخ حميد بن حسين الأحمر ووالده الشيخ حسين والشيخ عبد اللطيف بن راجح فرد عليهم الإمام بقوله (البقاء لله) ثم صاح فيهم قائلا (والله لأملأ هذه السيارة برؤوسكم إذا لم تعيدوا لى الخمسة ملايين ريالاً التى أعطاهم لكم البدر) كما طالبهم بإعادة الأسلحة التى كان البدر قد وزعها عليهم .

أمر الإمام بالخطاط على قبيلة حاشد (الخطاط نظام إمامى يقضى بتسليط قبيلة على أخرى والإقامة فى بيوتها ونهب ممتلكاتها حتى يأمر الإمام بالعفو عنها) كما أمر بمصادرة ممتلكات الشيخ حسين الأحمر وأسرته والاحتفاظ بابنه الشيخ عبد الله رهينة تحت الحراسة .

ثم أرسل الإمام بعض هؤلاء المشايخ إلى الحديدة التى لم يصلوا إليها قط حيث قتلهم رجال الإمام فى شعب من شعوب جبل برع ، ثم كان الإمام يأمر بطلبهم من الحديدة وهو يعرف أنهم لقوا مصرعهم ، وكان يتظاهر بطلبهم لينفى عن نفسه مسئولية اختفائهم وانقطاع أخبارهم وكان ذلك ما ينوى الإمام أن يفعله معى .

كان من المألوف فى السخنة أن تخرج منها سيارة من سيارات الإمام وعليها عدد من ضيوفه ومعهم جنود لحمايتهم ثم تعود هذه السيارة إلى السخنة بعد بضع ساعات وعليها جنود الإمام بغير الضيوف .



أجمع القوم على أن الإمام قد فقد عقله وأصبح يتصرف بأسلوب لم يكن معهودا منه ولا معروفا عنه . وبينما كنت في مجلسه أعيش قصته وأتحسس رأسي ، ولعلني كنت أشك في أنها لا تزال فوق عنقي ، أمرني الإمام بالتوجه إلى الحديدية وانتظار أوامره هناك ، زاعما أن إقامتي في دار الضيافة بالحديدية أكثر راحة من إقامتي في دار الضيافة في السخنة فشكرته على اهتمامه براحتي وسافرت إلى الحديدية بطريقتي الخاصة .

كانت تربطني بالسيد محمد أحمد باشا صداقة قوية واحترام متبادل وكنت أمضي عنده الكثير من الوقت بصفة تكاد تكون يومية . كان من هواة رياضة الشطرنج وكنا نتبارى في هذا المجال ، وكان معي جهاز لتحليل نسبة السكر في الدم وهو مصاب مثلي بمرض السكر فكنت أقوم بفحص نسبة السكر في دمه عدة مرات كل يوم ، وكنت أنصحه بالتزام تعليمات الطبيب والإقلال من تناول النشويات والامتناع عن السكريات ، وكان يتظاهر باتباع هذه التعليمات غير أنه كان يخفي أطباق الحلوى التي تسمى في اليمن (بنت الصحن) ولتتبعها من وراء ظهرنا بعيدا عن عيون أهل بيته . وكنت دائما ما أشكوه لأولاده السادة أحمد ويحيى ومحمد باشا الذين لم يكن في وسعهم إلزام والدهم باتباع التعليمات الطبية .

عندما نجح السيد محمد أحمد باشا في الشفاعة لدى الإمام فأُنقذ أربعة من رؤوس حرسه ، وهو هاشمي من المذهب الشافعي الذي لا يؤمن بالتفرقة العنصرية تشجع وتحث على لدى الإمام مؤكدا براءة ساحتي من كافة ظنونه .

وذكره بموقفى ضد انقلاب الثلاثا وحرصى على سمعته عندما حاكمت الأطباء الهولنديين ، وأعاد على سمعه الأعمال السياسية والاتفاقات الاقتصادية وتمثيلي للحكومة في المؤتمرات الدولية بما رفع شأن اليمن وأعز كرامتها وحقق مصلحتها ، وكانت قد وصلت إلى الحديدية بعثة أمريكية لتوقع اتفاقية للتنقيب عن البترول وإقامة بنك أمريكي في اليمن ، وكان الإمام قد شكل لجنة لمناقشة ودراسة هذه الاتفاقية برئاسة السيد محمد أحمد باشا وعضوية السيد يحيى عبد القادر وزير الأشغال والسيد عبد الرحمن عبد الصمد أبو طالب وزير الاقتصاد والشيخ عبد العزيز عقلا مدير المحاسبة العامة ، ولم تستطع هذه اللجنة دراسة أبعاد تلك الاتفاقية فاقترح رئيسها السيد محمد أحمد باشا أن يكلفني الإمام بدراستها بحكم تخصصي ، ولعله أراد بذلك أن يستعيد ثقة الإمام بي ، فأصدر الإمام قرارا بتعييني مستشارا اقتصاديا له بدرجة وزير بناء على اقتراح السيد محمد أحمد باشا .

استدعاني السيد محمد أحمد باشا وأبلغني بهذا القرار وأشهد أن قلبه كان يعتلى فرحا وبهجة وهو يعتقد أن مزاج الإمام قد اتجه نحو الإصلاح الذي يمكن أن يشغله عن ذبح رعاياه .

أبلغني قرار الإمام فأردت أن أضع بين يديه خلاصة أحوال اليمن الاقتصادية تمهيدا لممارسة عملي لديه كمستشار إقتصادي .

قدمت للإمام تقريرا إقتصاديا بعد أن قرأته على الأمير الحسن بن علي وعدد من كبار موظفي الدولة والحاشية ومن بينهم القاضي عبد الله الحجري وزير المواصلات والسيد يحيى عبد القادر وزير الأشغال والشيخ عبد العزيز عقلان مدير المحاسبة العامة ، وقد أبدوا جميعا إعجابهم بالتقرير الذي قبل أن أقدمه إلى الإمام فمت بزيارة البدر وقرأته عليه فأقره بأكمله ، وبعد ذلك ذهبت إلى الإمام وسلمته إياه بحضور السيد محمد أحمد باشا الذي كان في قمة السعادة بنجاح شفاعته لي وتعييني للعمل لدى الإمام في منصب هام داخل اليمن أكثر فائدة لليمن من عملي كوزير مفوض في الخارج .

إنتهى هذا التقرير الذي قدمته إلى يد الإمام في السخنة في ٣٠ أكتوبر ١٩٥٩ والذي تم نشره فيما بعد في كتيب صادر عن الاتحاد اليمني بالقاهرة (أغسطس ١٩٦١) إلى وصف العلاج التالي :

(عندنا في اليمن حالة ينبغي الالتفات إليها وهي نمو الوعي والثقافة عن طريق الإذاعة والصحف العربية واستماع الناس إلى أخبار التقدم الاقتصادي في الدول الأخرى التي كانت إلى عهد قريب متخلفة عن اليمن ، بينما تسير الأحوال الاقتصادية في اليمن في اتجاه عكسي مما ينذر بالخطر على الأمن الداخلي ، ويجعل من المستحيل استمرار الوضع السياسي الحالي الذي أصبح لا يتفق مع نمو الوعي القومي في البلاد .

إن المرض الاقتصادي في اليمن ليس مرضا طارئا وقتيا يمكن علاجه بإجراءات حاسمة وسريعة لأنه مرض مزمن متأصل في جذور عميقة ولذلك أصبح العلاج الناجح محتاجا إلى تغيير شامل لمرافق الحياة العامة في البلاد وفي أسلوب الحكم وهو ما يعتمد على ما يلي :

أولا : إنشاء جهاز اقتصادي .

ثانيا : بعد إنشاء هذا الجهاز توضع خطة اقتصادية شاملة بواسطة خبراء فنيين ثم تنفذ هذه الخطة بالتدريج بحسب موارد الدولة وفرص إشراك الأفراد في تمويل هذه المشروعات وبحسب ما تبدو أهميته من القروض الدولية .

ولدينا خطة إقتصادية شاملة وضعناها للنهوض باقتصاد البلاد بعد أن درسنا أوضاعها وظروفها خلال العشر سنوات الماضية وقد تبادلنا حولها الرأي مع اساتذة الاقتصاد الألمان خلال ست سنوات حتى لا نترك أية جزئية إلا أدخلناها

فى حسابنا ومع كل ذلك نرى من الضرورى عرض هذه الخطة على الخبراء الذين يعينون بعد إنشاء هذا الجهاز الاقتصادى لدراستها مرة أخرى ثم تعرض على جلاتكم .

ثالثا : إنشاء بنك يمنى تحت إشراف هذا الجهاز ليتولى إصلاح النقد اليمنى وإجراء التحويل إلى الخارج والداخل والتسليف الزراعى والتجارى بشكل يتفادى الربا ويوجد مصلحة للبنك من قيامه بالاقراض وإقامة الشركات . وإصلاح العملة اليمنية مهم للغاية وله عندنا تقرير مفصل سبق تقديمه إلى جلاتكم عندما درس المشروع بواسطة الخبير السعودى الأستاذ راسم الخالدى وخبير الأمم المتحدة المستر سيمسكى .. ونحن نعتقد أنه لا جدوى من التفكير فى الإصلاح النقدى قبل إنشاء الجهاز الاقتصادى المقترح .

رابعا : استعادة الثقة التجارية فى البلاد بإعلان أنظمة وقواعد تكفل حماية رؤوس الأموال الوطنية وحريتها فى الاستثمار فى حدود الأنظمة التى ستعلن . وبذلك يوقف تيار هروب الأموال والأشخاص الذين سبق لهم أن هاجروا فعلا .

خامسا : إعادة النظر فى شئون الاستيراد والتصدير والجمارك ووضع نظام يكفل تشجيع الإنتاج المحلى والدعاية لتسويقه فى الخارج والحد من استيراد الكماليات وقصر الاستيراد على السلع المنتجة الأخرى الضرورية .

دفعنى إلى هذه الصراحة ما أوضحتكم من رغبة فى الإصلاح فلزم أن أوضح لجلالتكم أسباب الحالة الحاضرة وأسباب عدم نجاح الأعمال التى قامت بها الحكومة حتى الآن حتى تكون المحاولة الجديدة مبنية على دراسة علمية صريحة) .

علمت بعد ذلك أن الإمام قرأ التقرير بحضور الشيخ عقلا مدير المحاسبة العامة الذى هاجمنى هجوما مرا وقاسيا عند الإمام وأعاد إليه الشكوك فى نيتى ولم ينفذنى من ذلك الموقف إلا السيد محمد أحمد باشا الذى أخذ يهدىء من روع الإمام وهو يشرح له أننى كتبت هذا التقرير إنطلاقا من واقع دراستى الاقتصادية ، مستهدفا لفت النظر إلى المشاكل الاقتصادية التى تعاني منها اليمن ملتزما بولائى المطلق للإمام أمير المؤمنين ، وأنه فى وسع الإمام أن يختار من اقتراحاتى ما يشاء أو يضرب بها كلها عرض الحائط . ولعل الشيخ عبد العزيز عقلا مدير المحاسبة العامة والفيلسوف الاقتصادى لدى الإمام خشى على مستقبل وظيفته إذا ما اتجه الإمام نحو الأخذ بما جاء فى التقرير أو بأى جزء منه . وكان على صلة وثيقة وعلاقات مالية وتجارية خاصة مع التجار اليمنيين الذين كانوا يحتكرون تجارة اليمن ويسؤهم تنظيم أمورها التجارية والاقتصادية ، ويضرهم إصلاح اليمن الاقتصادى ضررا بليغا

وجدت تقبلا وإقبالا واسعا على قراءة هذا التقرير من جانب عدد كبير من إخوانى اليمنيين بعد أن ذاع صيته فى الحديدة عندما غضب عليه الإمام فى السخنة ، فاعتقدت أن هذا الحديث عن الإصلاح الاقتصادى وهو لا يسوق بالضرورة صاحبه إلى سيف الإمام فإنه يودى حتما إلى خلق المناخ المناسب للإصلاح السياسى ويمهد الطريق إليه .

ان المهم عندي أن تظل شعلة الحماس الوطني ملتهبة تنير الطريق أمام الذين
مون إلى مستقبل أفضل ، بعد أن محى الإمام نور ولى عهده البدر وأطفأ فجر
بلاح الذى دفع ثمنه آل الأحمر ورجال اليمن الأبطال .

مأنى الأستاذ عبد الله الصيقل مندوب صحيفة الطليعة اليمنية التى كانت تصدر فى
(وهو صحفى لامع الآن فى اليمن) وطلب أن يجرى معى حديثا صحفيا إنطلاقا من
رى الذى قدمته إلى الإمام وعلى أساس ما جاء فيه .

افقت على الفور ونشره الأستاذ عبد الله الصيقل فى هذه الصحيفة فى عددها التاسع
يخ الأحد ٢٠ جماد الثانى سنة ١٣٧٩ الموافق ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٥٩ وكنت لا أزال
أ فى الحديدة . (الوثيقة رقم ٥)

جاء فى ذلك الحديث ما خلاصته :

(إن التقدم الاقتصادى يعتمد على عناصر أساسية كثيرة إدماجها فى ثلاثة
عناصر رئيسية ..

- ١ - إرادة التقدم الاقتصادى .
- ٢ - زيادة المعرفة .
- ٣ - زيادة رأس المال .

أولا - إرادة التقدم الاقتصادى :

إرادة التقدم الاقتصادى معناها الرغبة فى الرقى بمعيشة الإنسان وبشروط
أن يؤيد المجتمع هذا التقدم الاقتصادى ويغير هذه الإرادة قد يعيش فى ظلمات
بعضها فوق بعض رضى بذلك أم أبى ، وتحول دون هذه الإرادة أسباب كثيرة
منها الجهل بما هو أحسن والتعصب لما هو مألوف ، ومنها استماتة أصحاب
المصالح فى الاحتفاظ بمصالحهم ، ومنها النفوذ الأجنبى الذى يستهدف بقاء
الجمود لأغراض سياسية .

ولكن التطور التاريخى أثبت أن إرادة التقدم لا تلبث أن تظهر وتفرض
نفسها على الوجود فرضا .

وعندما تتوفر إرادة الإصلاح تكون قد ظهرت نقطة البداية للعمل الجدى
المثمر .

والإرادة هنا إرادة المجتمع وتعبر عنها القيادات المسؤولة عنه المتجاوبة
معه ، ولا يشترط أن تتوفر الإرادة لدى جميع أفراد المجتمع ، بل يكفي أن
تكون لدى الأغلبية أو لدى فئة قادرة على قيادة المجتمع .

ثانيا : - زيادة المعرفة :

التقدم معناه التطور أى الانتقال من طور إلى طور . ومعنى ذلك أن
المعرفة الموجودة عند بداية التقدم تكون كافية فقط لمجرد إدراك حاجة

المجتمع إلى التقدم وليست كافية لإحداث التقدم ذاته .. فيلزم أن تنتقل هذه المعرفة من طور إلى طور ليتقدم المجتمع وينمو فينتج أقصى ما يمكن من ثمرة بأقل ما يمكن من نفقة .

والإنتاج هنا لفظ عام يشمل جميع مرافق الحياة ، فالزراع منتج والصانع منتج والتاجر منتج والموظف منتج ، والمنتج الأكبر هو الحكومة لانها هي التى تحرك كل وسائل الإنتاج .

ثالثا - زيادة رأس المال :

أقصد برأس المال معناه العام لتبسيط العرض على القارىء العادى حتى يشمل الموارد الطبيعية والبشرية ووسائل الإنتاج ورأس المال النقدى .

فعندما يراد التقدم الاقتصادى يجب العمل على زيادة الثروة زيادة أفقية أى التوسع فى المساحة ، وزيادة رأسية أى زيادة انتاج نفس المساحة ، والموارد البشرية هى الأيدى العاملة والرؤوس المفكرة ، وهذه الموارد ذات أهمية كبرى فى زيادة الثروة ويجب أن تتطور أساليب الاستفادة من هذه القوى البشرية باتباع برنامج زيادة المعرفة السالف الذكر . (

وختمت حديثى الصحفى قائلا أن :

(المشكلة الاقتصادية اليمنية أكثر تعقيدا مما يظنه الكثيرون وهناك مشاكل فنية أخرى لا تشرح على صفحات الجرائد وقد أنفق آلاف العلماء أعمارهم فى دراستها منذ قرون عديدة ولا يزال العلماء حتى يومنا هذا يبحثونها ويستخرجون لها النظريات والآلاف المعادلات .. فليس الإصلاح الاقتصادى كلمة يلقيها أحد الأنبياء أو عصاة تأتى بمعجزة أو شركة أجنبية مخلصه تقوم بعمل .. إنما الإصلاح الاقتصادى تفكير علمى وتخطيط فنى وعمل عام يعتمد على إرادة ومعرفة رأس المال) .

بعد أن نشر هذا الحديث فى صحيفة الطليعة اليمنية أخذ الناس يتداولونه ويدرسونه ويستنتج كل منهم ما يحلو له أن يستنتجه فيعيش على أمل تحقيقه ، وأصبح ذلك هو موضوع حديثهم فى جلسات ما بعد الظهيرة .

فسره الوطنيون بأنه نقطة إنطلاق نحو مستقبل أفضل وأنه حجر الأساس لصرح النهضة فى اليمن ، وأن تكرار الحديث حوله سوف يخلق المجال لإثارة الآمال البراقة والأحلام العريضة . وكانت هذه أول مرة فى تاريخ اليمن ينشر فيها مثل هذا الحديث ، على اتساع أربع صفحات ، وبهذه الجرأة وفى صحيفة يمنية يتم طبعها داخل اليمن على مرأى ومسمع من الإمام .

وكنيت أعتقد بأن ذلك قدرى باعتبارى أول يمنى تخرج من الجامعة ثم تولى منصب المستشار الاقتصادى للإمام فرأيت أن جدية الحديث تقتضى نشره أثناء وجودى فى اليمن ورقبتي فى متناول يده .

فسر المغرضون هذا الحديث أنه دعوة صريحة للثورة على الإمام واثام واضح له ولرجالهم بأنهم ضد إصلاح اليمن واستندوا في ذلك التفسير على فقرة وردت فيه تحت عنوان (إرادة الإصلاح) والتي كان نصها (يشترط أن يؤيد المجتمع هذا التقدم الاقتصادي ، وبغير هذه الإرادة قد يعيش في ظلمات بعضها فوق بعض رضى بذلك أم أبى ، وتحول دون هذه الإرادة أسباب كثيرة ، منها الجهل بما هو أحسن والتعصب لما هو مألوف ، ومنها إستماتة أصحاب المصالح فى الاحتفاظ بمصالحهم ، ومنها النفوذ الأجنبى الذى يستهدف بقاء الجمود لأغراض سياسية) .

قال المغرضون للإمام إننى أقصده وأعوانه وأصفهم بأنهم أصحاب المصالح الذين يعارضون الإصلاح كى يحتفظوا بمصالحهم .

ثم استندوا على فقرة أخرى نصها (والإرادة هنا إرادة المجتمع وتعبّر عنها القيادات المسئولة عنه المتجاوبة معه ، ولا يشترط أن تتوفر الإرادة لدى جميع أفراد المجتمع ، بل يكفى أن تكون لدى الأغلبية ، أو لدى فئة قادرة على قيادة المجتمع) .

فقالوا للإمام أننى أدعو للثورة عليه واناذى بقيام فئة قادرة على قيادة المجتمع كى تتولى قيادته للثورة وتكون مسئولة عنه متجاوبة معه .

كان الإمام كثير الشك متوتر الأعصاب ، يفتح أذنه لكل لسان يخيفه ، ويغلقها فى وجه كل رأى ينصحه .

كان الإمام يريد الإصلاح الذى يقطع الطريق على المعارضين . ويخشى من الإصلاح الذى يتم على يد المصلحين العصريين .

كان يريد الإصلاح الذى يرفع من مستوى الشعب . ويخشى من مستوى الشعب الذى يرفض نظام الإمامة .

وبدأت تصلنى من السخنة أخبار غضب الإمام من ذلك الحديث الصحفى ، وأثناء ذلك عاد البدر إلى الحديدة وطلبنى لمقابلته وأبلغنى أن الإمام قد أمر بتعيينى ضابطاً لمكافحة الجراد فى صحراء تهامة (ساحل اليمن) وكان ذلك بمثابة عزلى من منصبى كوزير مفوض فى السودان وعزلى من منصبى كمستشار اقتصادى للإمام برتبة وزير ، فضلاً عن كونه ابعاداً لى عن الحديدة وعن السخنة كى يتمكن من قتلى فى صحراء تهامة كما فعل بغيرى .

ولعله قد طفح به الكيل وحزم أمره على الخلاص منى ، ولاشك فى أن المتمزمتين من أصحاب الامتيازات الهاشمية ، الذين أثارت حفيظتهم إصلاحات البدر عندما كان الإمام فى روما ، قد نجحوا فى حصار الإمام بالعزف على نقطة ضعفه ، وهى نظام الإمامة الهاشمية فتمكنوا من سيفه ، وأخذوا يضربون به أعناق المتطلعين إلى الإصلاح والمساواة فى اليمن ، فتخلصوا من الشيخ حميد ووالده والعشرات من أبرز مشايخ القبائل ، كما طاردوا القاضى أحمد السياغى والشيخ سنان أبو لحوم ، ومن كان معهما حتى هربوا إلى عدن ، ثم جاء دورى وظنوا أنه قد حل أجلى وهم يلحون فى طلب رأسى ، ولا يعلمون أن يد الله فوق أيديهم .

بحث مع البدر عن مخرج لى من هذا المأزق فقال أنه نفسه يبحث لنفسه عن مخرج من الإمام ، وأخذ يقص على الكثير من تصرفات والده الشاذة والخطيرة ، فقلت أنه طالما يوجد إجماع عام على وصف تصرفات الإمام بالشذوذ فلماذا لا يقوم البدر بتحديد إقامته فى السخنة ثم يرسله إلى العلاج فى مصر ، ويعلن نفسه نائبا للإمام حتى يتم علاجه ، وبعد استقرار الأحوال يعلن نفسه إماما دستوريا على اليمن وقدمت إليه نسخة من الدستور الذى يمكن أن يكون أساسا لحكم إمامى مستنير يلتف حوله الشعب .

وتعهدت للبدر بأن أهمس بذلك فى أذن الذين يرجون الإصلاح ، والذين يخشون على رؤوسهم من جنون الإمام وشذوذه ، وكان أفراد وحرس الإمام يتمنون الانتقام منه والفتك به وكانت قبائل الزرانيق التى تحرس الإمام تطيع شيخها يحيى منصر الذى طفع به الكيل من تصرفات الإمام ، كما كان نائب الإمام فى الحديدة السيد محمد أحمد باشا من عظماء رجال اليمن الأحرار وكان يسعى حقيقة إلى الإصلاح ولا يبالي بالامتيازات الهاشمية وكان المتعصبون لهذه الامتيازات ينتقدون سلوكه وهو هاشمى السلالة ويفسرون ذلك بأنه شافعى المذهب ، وليس زيدا يتمسك بشروط الإمامة الزيدية وفى مقدمتها الامتيازات الهاشمية .

وافق البدر على اقتراحى فسلمته بندقيتى رمزا للاتفاق معه والولاء له . وهى بندقية آلية عليها منظار مكبر وكانت هدية من أحد الأصدقاء الألمان من هواة صيد الوعول الضخمة فى الغابة السوداء فى ألمانيا الغربية .

وعند خروجى من مقر البدر ، وبينما كنت قريبا من الفناء الخارجى صاح على الأستاذ هاشم طالب مدير مكتبه وطلب عودتى لمقابلة البدر .

هرولت إليه ظنا منى أنه سيحملنى رسائل إلى أعوانه الذين كنت لا أعرف الكثيرين منهم ، فإذا به يعيد إلى بندقيتى بينما يسيل العرق على خديه ويقول أن أعصابه لا تتحمل هذه المجازفة ، وأنه يدعو الله أن ينجح المخلصون فى تنفيذ هذا الاقتراح ، فإذا نجحوا فهو معهم إماما دستوريا وإذا فشلوا فإنه لن يفشى سرا للإمام مهما تأزمت الأمور .

فى تلك اللحظة صرفت النظر نهائيا عن البدر ، وكان هذا آخر لقاء بيننا وكان الإمام قد قبض على أحد زملائنا الذى اندفع من تلقاء نفسه وبغير اتفاق مسبق وذهب إلى الإمام ومعه قنابل يريد أن ينسفه بها .



وصلتني برقية عتاب وتهديد من الإمام قال فيها (ماكان هذا أملنا فيكم بعد أن أكملنا تعليمكم ومنحناكم ثقتنا ووليناكم أعلى المناصب وقربناكم منا فما كان لمثلكم أن يشوق الناس إلى الفتنة التزموا ما عهدناه فيكم الله الله) معنى (الله الله) في اليمن الإسراع إلى تنفيذ الأمر .

فهمت من هذه البرقية أن أعداء الإصلاح قد أوغروا صدر الإمام واستفزوا أعصابه المتوترة وهم يلحون عليه في طلب رؤوس المتطلعين إلى الإصلاح .

كنت أعرف نفسية الإمام ، وأعرف أنه كلما تذكر خدماتي الشخصية المخلصة التي أديتها إليه ، وعلى وجه الخصوص الأطباء الألمان الذين كنت أرسلهم إليه لمعالجته في تعز ، والعقاقير الطبية المستحدثة التي كنت أطوف من أجلها أوروبا سعيا وراء شفاؤه ، فإنه كان لا بد من أن يشق عليه أن يأمر بقتلي فأدهشني إصراره عليه ، مما جعلني أتأكد من انحيازه النهائي إلى جانب أعداء الإصلاح ، قدر يأسى من احتمال النجاة من سيفه ، الذي استسلم لهم حتى اقتربوا به من رقبة البدر ذاتها باسم انقاذ الإمامة وبيت حميد الدين .

فهمت من برقية الإمام أنه يمن عليّ إكمال تعليمي وثقته التي منحني إياها فأرسلت إليه ردى في برقية قلت فيها (لا تظنوا جلالتيكم أنني أنعم بما عرفت ، ولكم وددت أن لم يخرج أبى من البيضاء وعاش في مراد فأغنانى برعى الإبل عن ألم المعرفة) .

مراد قبيلة انحدر منها أبى تبعد شيئا ما عن مدينة البيضا .

وكانت برقيتي استشهدا بقول الشاعر :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخ الجهالة في الشقاوة ينعم

كان الأستاذ فارح سعيد ابليس يجتمع أحيانا معنا في بيت الوطني الناصر هاشم طالب مع الثوار السيد حسين المقدمي مدير مستشفى الحديدية والاستاذ محمد حمزه مدير مكتب محافظ الحديدية والشيخ محمد يحيى منصر ابن شيخ قبائل الزرانيق التي كانت تحرس الإمام والاستاذ محمد رفعت مدير الجوازات بالحديدية وأحيانا الاستاذ أمين عبد الواسع نعمان .

وعندما كنت أحضر هذه الاجتماعات فى جلسات بعد الظهر كنت أصحب معى عراف الإمام محمد حلمى الذى كان الإمام يثق فى حساباته الفلكية ثقة مطلقة ولا يتحرك ولا يتصرف ولا ينطق إلا بمقتضاها .

وبطبيعة الحال كانت الجلسات تنتهى عند الغروب دون أن يتحدث أحدنا عن أمر غير الأمور العادية .

وعندما كان يعاتبنى الأستاذ هاشم طالب على هذا التصرف كنت أقول له أن وجود عراف الإمام معنا من شأنه أن يصرف انتظار الإمام عنا ، وبعد أن ينصرف العراف عند الغروب نستطيع أن نتكلم بحريتنا .

اندفع زميلنا الأستاذ سعيد فارح إبليس بقنابله لينسف الإمام مطمئنا أنه أبلغ الشيخ محمد يحيى منصر بأنه سيقتل الإمام بهذه القنابل وليكن بعد ذلك ما يكون .

علمت فيما بعد أن الشيخ محمد يحيى منصر كان ، بحسن نية ، قد أبلغ والده الذى كان هو الآخر فى غاية السخط على الإمام ويسعى إلى الخلاص منه فى أسرع وقت ممكن . غير أن الوالد الشيخ يحيى منصر وهو شيخ المشايخ الذى استجار الإمام به لحمايته ، أبى أن يتم قتل الإمام وهو فى ضيافة قبيلته ويقوم على حراسته لما فى ذلك من مساس بالشهامة القبلية ، فما كان منه سوى أن أبلغ الإمام بنية زميلنا بعد أن تعهد له الإمام بالعفو عنه ، لكن الإمام قبض عليه وأذاقه صنوف العذاب كى يعترف على شركائه . وقد أعدمه الإمام دون أن ينطق بكلمة واحدة عن الذين كانوا يتحدثون معه حول اليمن والتخلص من الإمام .

لكن الإمام كان على علم بالاجتماعات التى كان يحضرها هذا الزميل فى بيت الأستاذ هاشم طالب فأمر بالتحقيق ، الذى تولاه عراف الإمام صديقنا محمد حلمى وقائد حرسه على مرعى وزميله محمد مانع ، مع كل من كان يحضر هذه الاجتماعات .

جاء محمد حلمى محققا معى وكان يصحبه حينئذ محمد مرعى قائد الحرس الملكى المقرب من الإمام وبطبيعة الحال أنكرت علمى بما حدث ، وكنت صادقا فى ذلك لأننى لم أكن أعلم أن أحدا سوف يقتل الإمام ، ولأننى لو كنت أعلم ذلك لأقنعت المندفع بالتزام العقل والحكمة ، لأننا لا نسعى إلى قتل الإمام وإنما نسعى إلى تغيير نظام الحكم ، وذلك لا يتم إلا وفق خطة مدروسة ومتكاملة الأمر الذى لم يكن جاهزا حتى تلك الساعة .

عاد إلى صديقى عراف الإمام فى اليوم التالى وقال لى أن الإمام مصمم على التخلص منى وأنه فى غاية الغضب على الذين كلّفهم بقتلى ولم يتمكنوا منى وأنه حدد موعدا لقتلى بعد يومين إثنين وأننى أصبحت سجيناً فى غرفتى ، ثم قال أنه حسب النجوم فوجد أن محاولة أخرى لقتل الإمام سوف تقع فى القريب العاجل وأنها محاولة فاشلة ، لكننى سأشارك فى ثورة جذرية فى وقت لاحق سوف يكفلها الله بالنجاح وسوف يكون لى منصب قيادى مؤثر ، أما هو فإنه يتوقع أن تحكم هذه الثورة الناجحة عليه بالإعدام .

أصغيت إليه حتى انتهى من رواية حساباته الفلكية بعد إصرارى على الإنكار وإبداء دهشتى مما قال . سألته نصيحته فقال أنه سينفى لدى الإمام أية تهمة تحوم حولى وحول

جميع الزملاء الذين كانوا يجتمعون في بيت الأستاذ هاشم طالب ، وأنه سوف يساعدني على الهرب من اليمن إذا قرأت معه فاتحة الكتاب الكريم متعهدا له بأنني سوف أطلق سراحه عندما تنجح الثورة القادمة وتكون في يدى سلطة إصدار القرارات بإطلاق سراحه .

لست من الذين يصدقون الحسابات الفلكية لكنني كنت أحب الرجل كإنسان وصديق لم يغدر بى طوال عشر سنوات ، عمر صداقتى معه ، ولم أجد مانعا من التعهد بإطلاق سراحه إذا نجحت ثورة قادمة بعد أن كان همى كله ينحصر فى الهروب من اليمن ، عندما اكتمل بأسى من تحقيق أى إصلاح على يد البدر وأصبح عنقى معلقا على كلمة من الإمام ، ورأسى هدفا معلنا يطلبه الكثيرون من الخصوم .

قرأت معه الفاتحة ، وأرسلت وصيتى إلى زوجتى مع أحد المدرسين المسافرين إلى القاهرة لتُنشر فى الصحف أسباب إعدامى فى اليمن على يد الإمام الذى أردت حياته فأراد قتلى ، وعلى مشهد من البدر الذى أخلصت فى تأييده لولاية العهد فخاّن العهد .

أعطانى عراف الإمام (شفرة) كى يرأسنى بها عن طريق عدن ويطلعنى على كل أسرار الإمام حتى انتفع بهذه الأسرار فى إثارة الشعب اليمنى على نظام الحكم الإمامى إذا أنقذنى الله بالهرب من اليمن .

هربت إلى القاهرة وساعدنى فى ذلك عراف الإمام والسيد حسين المقدمى مدير مستشفى الحديدة^(١) والسيد أحمد زبارة زوج ابنة الإمام وعضو الهيئة الشرعية العليا (مفتى اليمن حاليا) والأستاذ محمد رفعت مدير الجوازات بالحديدة والنقيب محمد الرعيني^(٢) ضابط مطار الحديدة .

(١) وزير الصحة فى وقت لاحق لقيام الثورة .
(٢) وزير الزراعة فى وقت لاحق لقيام الثورة ثم قائم بأعمال رئاسة الجمهورية ثم أعدهم السلطان مظلوما .



العائلات الهاشمية كلها طبقة
متعالية متميزة عن الشعب كأنها
أجنبية عنه دخيلة عليه

محمد محمود الزبيري
مصلح يمني
من كتبه (الإمامة وخملها على وحدة اليمن)

الأحرار القدامى

الفصل الخامس



وصلت إلى القاهرة والتقيت بالسيد محمد أنور السادات الذى هنأنى على سلامة وصولى إليها ونجاتى من غدر الإمام ، ورويت له كل ما جرى فى اليمن وأطلعته على فقدانى كل أمل فى البدر الذى يحمل نوايا طيبة بغير شخصية تستطيع أن تحققها .

وأصبحت مقتنعا بأن البدر إذا ما تولى بعد والده فإنه لن يكون قادرا على الإمساك بزمام الحكم ، وإنما سيتركه لغيره طائعا مختارا لا حول له ولا قوة ، ولست أدرى من يكون ذلك الغير ، كما لست أدرى مال الصراع الذى سوف يدور حتما بين أعوانه الذين سوف يحيطون به ويتصارعون من حوله أثناء القضاء عليه .

اقتنعت بأن الرهان على البدر رهان على جواد خاسر كما قال الأستاذ أحمد محمد نَعْمَان للنجيب محمد قائد سيف عند قيام انقلاب الثلاثا سنة ١٩٥٥ ولو أنه فى نفس الوقت أيد البدر وساعده فى الانتصار على الانقلاب . وبعد أن تبين له أنه لا أمل فيه هرب إلى القاهرة وبدأ يعمل ضده .

شرح الأستاذ محمد أحمد نعمان هذا الموقف فى كتيب بعنوان (الحركة الوطنية فى اليمن) أصدره الاتحاد اليمنى سنة ١٩٥٩ حيث قال فى صفحة (٢١) ما يلى :

(الجدير بالذكر أن الأحرار كانت قد استقرت فى أذهانهم منذ مطلع الحركة فكرة راسخة ذلك أنه لا بد من استخدام شخصية ترأس الحركة المعارضة تكون على نفس النمط الذى عليه شخصية الإمام أى أنه لا بد من هاشمى يرشح للإمامة ويكون متفاهما مع الأحرار على الإصلاح الحكومى ..

وقد كان البدر أكثر الأمراء براعة فى التضليل ، وأنه كان الأمير الوحيد الذى يمكن أن يتعامل معه فى وضوح دون خشية من الإمام ، نظرا للمناقشات بين الإمام نفسه وأخوته على السلطة .. كما وقف بجانب البدر فى هذه المعركة السياسية جمال عبد الناصر) .

عندما وصلت إلى القاهرة هاربا من اليمن وجدت أمامى هذا الكتيب الذى أصدره الاتحاد اليمنى قبل وصولى إلى مصر بثلاثة أشهر وكنت لا أزال فى اليمن أكتب خاتمتى مع الإمام وأنهى علاقتى بالبدر .

والتقيت بالقاضى محمد محمود الزبيرى الذى هنأنى على نجاتى من الإعدام واقتناعى ببلالة البدر وانضمامى علنا إلى حركة الأحرار .

وأخذت أدرس مع زعيمى أحرار اليمن الاستاذ نعمان والقاضى الزبيرى جذور المأساة فى اليمن على ضوء تجاربهم الثورية السابقة ، ومن خلال وجهات نظرهم الشخصية ، قبل أن أعلن عن وجهة نظرى التى استخلصتها بعد أن تفاعلت مشاعرى واستقرت فى وجدانى ، ساعة من بعد ساعة ، ويوما فى أثر يوم ، بينما كنت أعمل جاهدا ومخلصا وأجوب الأرض شرقا وغربا من أجل إصلاح اليمن فى ظل الإمام وتحت راية البدر .

أعطانى القاضى الزبيرى ، وهو من زعماء الأحرار وزيدى المذهب كتابه الذى سبق أن نشره بعنوان (الإمامة وخطرها على وحدة اليمن) والتى صرخت صفحته العاشرة بقولها :

(انسحقت شخصية اليمنيين فى ظل الإمامة وحرمت عليهم قيادة بلادهم وصار التفكير فيها جريمة دينية وسياسية فى وقت واحد وشوهت التاريخ اليمنى فأصبحنا لا نقرأ فيه إلا أسماء القديسين الآلهة من الأئمة وأذناهم وأشياهم أما شخصية الشعب فما كاد يرفع رأسه للعزة والكرامة بطل من أبطالها حتى يسرع به الأئمة الأطهار وبيعنوا به مشيعا بلعناتهم إلى قبره ثم لا يذكرونه فى التاريخ إلا على أنه الباغى عدو الله الفاسق الملحد الكافر التأويل إلى آخر هذه الألقاب ..)

ويستطرد القاضى الزبيرى فى فضح أسرار الإمامة ومهمة الإمام فيقول فى صفحة (١٣) أن مهمته هى :

(تدعيم مركزه الروحي بين القبائل تحت ستار التشيع لآل البيت حتى يرسخ فى عقلية الشعب بالقسم الأعلى أن الإمام ظل الله ونائبه حقا وأن منزلته كمنزلة رسول الله . فكل ما ورد فى طاعة الله ورسوله ينطبق على الإمام لأنه نائب الله وخليفته وتقتزن هذه التعاليم الروحية فى القسم الأعلى بالحملات الطائفية ضد ما يسمونه - كفار تأويل - الذين لا يدينون بالمذهب الإمامى وهم كثيرون فى اليمن الأسفل وتهامه .)

وشرح القاضى الزبيرى تاريخ نشأة الإمامة فى اليمن فقال فى صفحة (١٥)

(إن المذهب الهادوى المسمى بالزيدى استطاع أن يقيم على أصول الدين نظرية سياسية لا يعترف بها الأئمة الآخرون . وهى أن الخلافة لا يجوز أن تكون إلا فى العلويين من أبناء فاطمة .. إذن فالهدف الرئيسى للمضطهدين الطامحين من العلويين هو استرداد حق العلويين فى الخلافة) .

ثم حدد القاضى الزبيرى نتائج التقسيم الذى فرضه نظام الإمامة على الشعب فكتب فى صفحة (٢٠)

(إن نظرية الشافعية ترى أن الإمامة سلطة فريدة وأن الزيدود جميعا هم الذين يحكمون الشوافع و يتسلطون عليهم ويستغلونهم ، ولكننا إذا جئنا إلى الزيدود وجدناهم لا يرون هذا الرأى ولا يضعون أنفسهم فى هذا الموضوع بل أنهم يحسون إحساسا عنيفا مريرا بأن طبقة معينة من العائلات الهاشمية هى التى تتمتع بحق الحكم الالهى وتتميز به وتتبادل بين الطامعين من رجالها جيلا

بعد جيل وتستشعر الترفع والتميز على سائر أبناء الشعب . ثم إذا ذهبنا إلى الهاشميين وجدنا فيهم البائسين والمنكوبين والمحرومين ووجدنا عائلة واحدة من الهاشميين وهى العائلة المالكة) .

وتنبأ الزبيرى بوجه الصراع اليمنى فقال فى صفحة (٢٤)

(سوف يتجه الصراع حول هذه المشكلة الرئيسية الكبرى مشكلة الحق الآلهى فى حكم الشعب ، لمن يكون هذا الحق ومن الأولى به ، هل هناك طبقة من البشر مختارة من السماء للحكم ، هل يجوز أن تبقى فى اليمن طائفة مذهبية تحكم طائفة أخرى إلى الأبد ؟ تلك هى مشكلة المستقبل الكبرى ستدور عليها معارك المستقبل وأحداثه) .

وأراد القاضى الزبيرى أن يطمئن الهاشميين على مستقبلهم فى ظل المساواة فقال فى صفحة (٢٥)

(قد يقال أو يتبادر إلى الأذهان لأول وهلة أن إلغاء الإمامة المذهبية إنما يكون على حساب الهاشميين وضد مصلحتهم ولكن هذا رأى خاطيء فما من خطر يهدد الهاشميين فى الحاضر والمستقبل كخطر الإمامة .. فإن الشعب كله يشعر أن العائلات الهاشمية كلها طبقة متعالية متميزة على الشعب منفصلة عنه كأنها ليست من الشعب فى شيء بل وكأنها أجنبية عنه ودخيلة عليه ، فإذا كان التمييز فى عصور الجهل ميزة للسلاطات الممتازة فإنه سيكون فى المستقبل خطرا كبيرا على هذه السلاطات وباعثا على نفور الشعب منها وتعصبه ضدها ووصمة إياها بالرجعية ، وبالتالي ستصبح على مر الأجيال معزولة عن الشعب كأنها جالية فيه وليست جزء منه وبعد ذلك لن توجد قوة على ظهر الأرض تستطيع أن تخضع الشعب إلى الأبد لأقلية ضئيلة ، تلك هى النتيجة المحتومة المنتظرة لمضاعفات خطر الإمامة واحتفاظ السلاطات الهاشمية بالتميز على الشعب) .

تمهلت فى الإعلان عن وجهة نظرى حول محور الصراع الذى يلزم إقناع الجماهير اليمنية به كى تلتفت حوله وتستमित من أجله عندما ترى أمالها مجسدة فيه .

التقيت مرة أخرى بانشط كتاب الأحرار اليمنيين الأستاذ محمد أحمد نعمان وتحدثنا عن جذور المأساة فى اليمن ، وحاولت أن أعرف منه آراء الأحرار اليمنيين البارزين حول جذور هذه المأساة وكيفية علاجها أو خلعها بعد أن عرفت وجهات نظر الأستاذ أحمد محمد نعمان والقاضى محمد محمود الزبيرى فأجابنى بأنه سبق له فى أغسطس ١٩٥٣ أن وجه أسئلة حول هذا الموضوع إلى بعض الشخصيات اليمنية من المعتقلين فى ذلك الوقت فى سجن حجه ، وبدأ يطلعنى على جواباتهم وردودهم التى أرسلوها إليه وهم فى سجن حجه (والتى نشرها فيما بعد فى كتابه بعنوان : (من وراء الأسوار) .

كان جواب الأستاذ محمد أحمد صبره يمثل حالة اليأس السائدة فى اليمن ويعبر عن الإستسلام للذل والعبودية حيث قال :

(إننا يا عزيزي لا نزال ذرات دم العبودية والضعف في عروقنا أكثر من ذرات الدم الحر القوي .. إننا عبيد ضعفاء وعبيد نفوسنا وأمزجتنا ، فالعبد مهما كان ذكاؤه ومهما كان توثبه ، فإن شعوره بالعبودية يحول بينه وبين الإبداع والابتكار) .

أما الأستاذ محمد عبد الله الفسيل فقد اجاب بأن اليمن :

(في حاجة إلى أمير هاشمي وإلا فإنها تنقسم إلى قسمين : المنطقة الشافعية وتحكمها حكومة الأحرار الدستورية ، والمنطقة الزيدية وتحكمها إمام ، ويمكن بعد ذلك استعادة الوحدة اليمنية عندما تقوى شوكة حكومة المنطقة الشافعية أو يستطيع زعيم عربى توحيد الأمة العربية) .

أما الأستاذ على ناصر العنسى فقد حذر في إجابته من تكرار الخطأ باختيار شخصية هاشمية توافق الأحرار كما جرت العادة ثم تنقلب عليهم .

ولفت الاستاذ محمد أحمد السياغى النظر إلى فساد الاعتقاد السائد فى سيادة الهاشميين فقال :

(هناك قوتان هائلتان لا بد من التفكير مقدما فى هدمها : الأولى .. الأسياد الذين يفرضون سيادتهم على الأمة باسم الدين والعقيدة والمذهب . والثانية .. الجهل المخيم على أدمغة الأمة ، والوهم المعشعش فى أفكارهم ، فلا بد من تلقيح الدم اليمنى الفاسد بدم لا عبودية فيه حتى يشعر اليمنى بكرامته ، ويؤمن بحقه فى الحياة) .

وقد أكد هذا المعنى بذاته الهاشمى الحر السيد أحمد حسين المرونى ثم اقترح :

(تقسم اليمن إلى منطقتين : المنطقة الشافعية التى يجب أن يبدأ بها الأحرار والمنطقة الزيدية التى على الأحرار أن يعزلوها حتى تستيقظ من غفلتها) .

وكان جواب القاضى عبد السلام صبرة واضحا فى رفض السياسة الهاشمية وتحميلها مسئولية المأساة التى تعيشها اليمن فقال :

(كيف يغيب عنا أن اليمن أعظم بلاد أصيبت فى رجالها وأصبحت ما بين قبيلة تقس الشخصيات المزيفة التى تحكم باسم الدين والشرعية ، وتتخذ منها إلهة تقدسها وتسبح بحمدها فى الوقت الذى تجول عليها بسياطها المحرقة ، ثم تصول بها على العاملين على إنقاذها ، فهى كالآلة العمياء يجمعها طبل من الدجل والتضليل ، ويفرقها سوط من الطغيان والجبروت) .

وكان جواب القاضى عبد الرحمن الأريانى مؤكدا أنه :

(لا يمكن أن ينهض الشعب اليمنى إلا إذا حطم الأصنام التى أذلته واستعبدته باسم الخلافة الهاشمية واقتراح تقسيم اليمن إلى منطقتين : المنطقة الشافعية وتكون قاعدة لحركة الأحرار والمنطقة الزيدية التى يجب أن يستهدف الأحرار إرغامها ، فيما بعد ، على قبول الوضع الجديد) .

أما جواب العميد عبد الله السلال فإنه حدد جذور المأساة فى اليمن ورسم أيضا الطريق العلمى إلى استئصالها بنشر الوعى فقال :

(رأى أن هذا السؤال الأخرى به أن يوضع على منصة مجلس بين أعضائه الخبير الاقتصادى ، والبارع فى علم السياسة ، والزعيم العبرى ، والمتخصص بالشئون الاجتماعية والقائد العسكرى المقدم .. ومن أين لنا برجال هذه صفاتهم وأحرارنا يعدون على الأصابع ، ومن صدق منهم فهو مثقل بالمخلفات والرواسب التى أكسبته عقم التفكير وأورثته عدم الثقة والإستسلام لأول صدمة) .

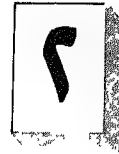
إذن .. أجمع الأحرار وهم فى سجن حجه ، كما ورد فى إجابتهم السابق نقلها حرفيا ، أن النظام الإمامى الهاشمى بما جاء به إلى اليمن من تعاويذ وشعوذة وزيف وتضليل هو جذور المأساة فى اليمن ، التى أهلكت الشعب وقتلت أحراره ومصلحيه وزعماءه ومحاربيه وألقت بهم فى غياهب النسيان ، بعد أن وصمتهم بالخيانة والكفر والإلحاد .

وكان الرأى السائد لدى الأحرار هو الاعتماد على المنطقة الشافعية مضطرين إلى تقسيم اليمن ولو بصفة مرحلية ، حتى ينمو الوعى الوطنى فى المنطقة الزيدية وحتى يكون فى الإمكان إخضاعها لحكومة المنطقة الشافعية وإجبارها على قبول الأمر الواقع عندما يشند ساعد هذه الحكومة .

هذا هو رأى أحرار اليمن الذى لم أقنع به حرصا منى على الوحدة الوطنية وإذا كان النظام الإمامى الهاشمى هو سبب المأساة فلنعمل على استئصاله من جذوره مع الحفاظ على الهاشميين وعلى الوحدة الوطنية ووحدة اليمن من أقصى شمالها الزيدى حتى جنوبها وشرقها وغربها الشافعى .

لقد وضع الأحرار أيديهم على جذور المأساة فى اليمن ، وبقي عليهم أن يعلنوا الصيحة الكبرى كى يتكاتف أبناء الشعب اليمنى من أجل خلعها ، وحتى تلتف حولهم أغلبية الشعب تحرسهم أثناء الثورة ، وتدافع عنهم إذا ما تصدت لهم قوى أخرى تستهدف بقاء هذه المأساة البشعة فى اليمن .





أديت واجبى الوطنى . ففى الوقت الذى كانت تدرس فيه الطلائع اليمنية فى المدارس والجامعات المصرية قمت بالعمل على بناء ميناء الحديد وبناء الطريق بين الحديد وصنعاء بواسطة المعونة الصينية والحصول على الأسلحة من الإتحاد السوفيتى وتدريب الطلائع اليمنية العسكرية عليها على يد البعثة العسكرية المصرية التى قامت بنشر الوعى الوطنى والقومى بين أفرادها .

هذه هى المقدمات الضرورية والأساسية للتغيير الجذرى فى اليمن التى تمكنت من إيجادها فى اليمن لأول مرة فى تاريخها .

وقد تمكنت من ذلك لأننى كنت أعمل من أجلها علنا فى وضوح النهار باسم تطوير اليمن وحماية ولاية العهد للبدر الذى كنت مخلصا له كل الإخلاص ، كما أنه هو بنفسه قد أسهم بقسط كبير فى تحقيقها .

بقى علينا بعد ذلك أن ننتظر فترة من الزمن لا تقل عن عام بأكمله حتى يتحقق لنا ما يلى :

١ - إقتناع مصر بأنه لا جدوى من وقوفها مع البدر بعد أن اتضحت تصرفات الإمام وسلوك البدر وتطرف غلاة المتعصبين والهاشميين ، الذين تمكنوا من السيطرة على عقل الإمام وأسرعوا بالعمل على انهيار البدر ، إلى غير ذلك من الحقائق الواضحة التى تقنع أبسط العقول بأنه لا يمكن أن يتحقق أى قدر من إصلاح اليمن وإنقاذ شعبها فى ظل النظام الإمامى الذى يعتمد على التفرقة العنصرية والمذهبية وتخلف الظروف الاقتصادية والعزلة عن سائر الشعوب سواء كانت عربية أو أجنبية . وكان كل ما نحتاج إليه هو عنصر الزمن حتى يكتمل اقتناع مصر بذلك بصورة تلقائية وطبيعية وبصفة نهائية .

٢ - اكتمال ميناء الحديد واكمال الطريق من هذا الميناء إلى صنعاء ، وكان العمل فيها قد بدأ سنة ١٩٥٨ ولن يكتمل إلا سنة ١٩٦١ أى بعد سنة من ذلك اليوم الذى هربت فيه من اليمن مقتنعا بحتمية إعلان الثورة الجذرية . وكانت الثورة فى حاجة إلى الميناء والطريق كى تصل عن طريقهما أية إمدادات عسكرية من الخارج لمساعدة الثوار فى اليمن .

بعد ذلك ، وليس قبل ذلك .. أى بعد اكتمال الميناء والطريق وتخلي مصر عن البدر .. نستطيع أن ننشر الدعوة إلى الثورة عن طريق إذاعة صوت العرب التي كانت قد أصبحت جزءا عضويا من شخصية رجل الشارع في اليمن ، فضلا عن الطلائع اليمنية العسكرية والقبلية والشباب في سائر أنحاء البلاد ، وكان رجال القبائل يذهبون إلى عدن لشراء أجهزة الراديو ويطلبون من البائع أن يضبطها لهم على موجة صوت العرب .

خلال سنة الإنتظار نستطيع أن نقوم بتوحيد صفوف الأحرار وجمع شملهم على رأى واحد .

لم أبح بما دار في نفسى لأحد غير السيد محمد أنور السادات صديقى وسكرتير المؤتمر الإسلامى فى ذلك الوقت كى ينقله إلى الرئيس عبد الناصر طبقا للنظام الذى وضعه سيادته وما دام الإعلان عن الثورة الجذرية فى اليمن سيتأخر خلال هذه الفترة فقد كان من المحتم أن أعطى للزمن حقه فى أن يقوم بدوره وعلى طريقته ، حتى لا يفتن الإمام فيعرق عقارب الساعة عندما يعرقل العمل فى الميناء أو فى الطريق ، أو يعود إلى مغالطة مصر ويرتمى شكلا بين أحضان عبد الناصر بينما يحمل له ولكل مصلح أقصى درجات الحقد والكراهية ، وكان للإمام أصدقاء فى المخابرات المصرية يستخدمهم فى تبرير سلوكه وإثبات ثقته فى مصر ، وافئاع عبد الناصر باستحالة قيام ثورة فى اليمن المتخلفة ذات الشعب المتشرف بالركوع تحت أقدام الأئمة من أولاد رسول الله .

فى تلك الأثناء زارنى الأمير الحسن بن على وكان ممثلا للإمام فى مصر فى ظل الاتحاد اليمنى المصرى السورى ، وأبلغنى عرض الإمام تعيينى رئيسا للجانب اليمنى فى ذلك الاتحاد . وكان من الواضح أن الإمام الذى أزعجه هروبى من تحت سيفه فى اليمن يريد أن يجمد نشاطى فى مصر فاعتذرت للأمير ، وأشهد أنه كان من دعاة الإصلاح فى اليمن ، وبصرف النظر عن كونه أميرا من بيت حميد الدين فقد كان يرحب بحكومة شعبية لا تشترط لعضويتها غير الكفاءة الوطنية ، ولذلك حزننت عليه أشد الحزن عندما بلغنى أن عبد الله جزيلان قتله بيده ضمن من قتلهم على أثر قيام الثورة .

كانت تجمعنى صداقة خاصة مع القاضي محمد الخالدى الوزير اليمنى فى مجلس الاتحاد اليمنى المصرى السورى ، وهو من أبرز الشخصيات الزيدية المتحررة وكان له الفضل فى إطلاعى على كتب التاريخ اليمنى والوثائق التى سجلت مذابح الأئمة الهاشميين لأبناء الشعب اليمنى وأوضحت كيف يتكون الشعب اليمنى من طبقتين : طبقة الأسياد الهاشميين وهم واحد فى المائة أو أقل من مجموع الشعب . وطبقة العبيد وهم بقية أبناء الشعب المغلوب على أمره .

جاء الهاشميون إلى اليمن أول ماجاءوا إليها فى القرن الثالث الهجرى بعد أن فشلوا فى تجاربهم السياسية التى انتهت جميعها بقتل دعائها وصلبهم والتمثيل بجثثهم مما أدى إلى انصرافهم إلى النزعة العلمية التى أكسبتهم عطف الشعب اليمنى .

لم يكن فى وسع أهل اليمن سوى إكرام الهاشميين المهاجرين إليهم ، وكان رائدهم الإمام زيد (صاحب المذهب الحاكم فى اليمن) يقول (انى يادعو إلى كتاب الله وسنة نبيه وإحياء السنن وإماتة البدع فإن تسمعوا يكن خيرا لكم ولى . وأن تأبوا قلست عليكم بوكيل) . وكان ينشر بين الناس أنه يدعو إلى وحدة أمة محمد .. وكان الإمام الهادى يدعو الناس إلى الجهاد ويقول أنه (إمامهم فى الميدان ووراثهم فى الغنائم) .

كان من الطبيعى أن يتسابق أهل اليمن إلى إكرام هؤلاء الهاشميين بينما هذه دعواهم التى هى وحدة أمة محمد ، لا سيما والإمام الذى يدعوهم إلى الجهاد يقول أنه الأول فى الميدان والآخر فى الغنيمة .

استتب الأمر فى اليمن للأئمة الهاشميين من الذين أسسوا المذهب الزيدى ثم حرفوه بأن اشترطوا أن يكون رئيس الدولة هاشميا فاطميا وإلا كان مغتصبا للسلطة .

فاحتكر الشيعة من الهاشميين اتباع الإمام زيد الحكم فى اليمن وأغلقوا الطبقة الحاكمة على أنفسهم وحدهم . ولما كان ذلك منافيا لطبيعة البشر ومصادما للدين نفسه فإنهم كانوا يتوقعون ، منذ استيلائهم على السلطة فى اليمن ، اليوم الذى تبطل فيه دعواهم فيسترد الشعب حقوقه المغصوبة فيتحول الهاشميون الأسياد إلى رعايا مثلهم مثل أبناء الشعب جميعا دون تفرقة ولا تمييز .

لذلك عملوا على إعاقة نمو الوعى الوطنى فى اليمن . أحتقروا التعليم وحرموه بسبب خطورته الكبرى على سلطانهم . أوجدوا التفرقة فى المعاملة بين الزيود الذين اتبعوهم وبين بقية أبناء الشعب من السنيين الشوافع الذين لا يقرون هذا الشرط الدخيل على الدين . سلطوا القسم الزيدى على القسم الشافعى حتى تتفرق كلمة الشعب .

نشروا البغضاء والكراهية وأسالوا الدماء بين القبائل الزيدية حتى تشغل عن الحكومة . نهبوا الرعايا وأقاموا العراقيل أمام الكفائيات حتى لا يلتفت الشعب إلى حقوقه المسلوقة . خضبوا أرض اليمن بدماء عباقرتها ومصالحها الذين يظهرون من جيل إلى جيل يهدون القلوب إلى الحق ويلفتون العيون إلى النور . شجعوا البطالة والعقم الفكرى واحتقروا العمل الشريف مفضلين عليه العرق والنسب .

وإمعانا من الأئمة الهاشميين فى استئلال الشعب وإشعاره بأنه طبقة دونهم فى الحسب والنسب والكفاءة حرموا تزوج الهاشمية بأى رجل من أبناء الشعب حتى ولو كان وزيرا أو عالما ، بينما أباحوا تزويج الهاشمى من بنات الشعب شأنهم فى ذلك شأن الكتابيات .

ولما صدمتهم سابقة زواج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بأمة كلثوم بنت أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنهما أدعوا أن عمر بن الخطاب كان قد اغتصب أم كلثوم بالرغم من أبيها ، ثم تدخل العباس ليتلافى الفضيحة فعقد لعمر . وقال بعضهم أن عمر بن الخطاب لم يدخل بها .

وتأسيسا على هذا المبدأ أجاب الإمام أحمد على سؤال أحد العلماء عن رأى الإمام فى زواج الهاشمية بعظيم من علماء الشعب فقال الإمام (أنه كزواج الهاشمية بالحمامى) والحمامى هو الشخص الذى يعاون المستحمين ويدلّكهم . وهذه المهنة تعتبر فى نظر الإمام أخطر وأحق مهنة ينزل إليها آدمى . وربما كان الإمام يشير بذلك إلى مواطن اسمه الحمامى كان مشهورا بالفسق فى تعز .

لم يكتف الأئمة الهاشميون بهذا في اليمن بل فرضوا على أبناء الشعب عندما ينادون أو يخاطبون أى هاشمى أن يسبقوا اسمه بـ (سيدى) ومن أخطأ من أبناء الشعب وخاطب أحد الهاشميين قائلاً (أخى) حلت عليه اللعنة وعزل من وظيفته أو حبس مدى الحياة أو قطعت رأسه لأنه يتهم عندئذ بأنه معارض لنظام الحكم .

فى عهد الإمام يحيى أصدر أحد الحكام الهاشميين حكماً فى قضية ثم رفع هذا الحكم إلى هيئة الاستئناف التى بعد أن اطلعت عليه كتبت فى صدر تعليقها عليه (كانت المطالعة لما قرره الحاكم الأخ فلان) .

ولما عرض هذا الحكم على الإمام للتصديق عليه ولاحظ هذه العبارة وتذكر أن بعض أعضاء الهيئة الاستئنافية قضاة من أبناء الشعب ، كثر عليه أن يلقبوا الحاكم الهاشمى بالآخ فلان حيث كان يلزمهم أن يقولوا (كانت المطالعة لما قرره الحاكم سيدنا فلان) فأعاد الإمام الحكم إلى هيئة الاستئناف بعد أن أشر عليه بالعبارة التالية (أخ من يا سبل ؟) والسبل جمع سبلة وهى ذيل الحمار .

وهذه نظرة الإمام يحيى لأبناء الشعب اليمنى من غير الهاشميين .

إنه لم يتفضل على الحكام الشرعيين من أبناء الشعب أعضاء هيئة الاستئناف أن يكونوا حميراً . فوصفهم بأنهم ذبول الحمير إمعاناً فى تحقير الشعب وإذلاله .

وإمعاناً فى التفرقة الطبقيه أسس الأمير الحسن شقيق الإمام مدرسة فى صنعاء خاصة بالهاشميين لا يدخلها غيرهم كما يفعل الأوروبيون فى جنوب أفريقيا ، وكما يفعل بعض الأمريكيين فى الولايات المتحدة الأمريكية المتعصبة ضد الزواج .

أطلعنى الصديق الزيدى القاضى محمد الخالدى على كتاب آخر عن مأساة اليمن فى عهد المطهر بن شرف الدين الذى قتل ألفاً ومائة شاب من أبناء الشعب فى قرية موكل فى اليمن ، لأن واحداً منهم جاهر بالمطالبة بحقوق الشعب فى المساواة مع الهاشميين ، ثم أمر هذا الهاشمى السفاح ألفاً ومائة رجل من أبناء نفس القرية أن يحملوا رؤوس القتلى إلى صنعاء فساروا فى طابور وهم مقيدون بالسلاسل من أعناقهم إلى أقدامهم وعندما وصل الطابور إلى صنعاء أمر الجلادين بقطع رؤوس هؤلاء الألف والمائة وهم يحملون رؤوس زملائهم الذين قتلهم الأمير السفاح فى قريتهم .

كان يتلذذ من منظر سقوط رأسين أثر كل ضربة سيف وهكذا أستشهد الفان ومائتا شهيد من أبناء الشعب لأن واحداً من هذه القرية الخالدة فكر فى حقوق الشعب وجاهر بالتعبير عن أمل الأمة فى تحقيق العدالة والمساواة بإلغاء التفرقة العنصرية .

كانت وثائق القاضى محمد الخالدى تفيض كالسيل العرم وهى تلتخ تاريخ الحكم الإمامى بكل ألوان العذاب والقهر وتغرس فى الصدر جذور الثورة على الجبروت والظلم والذل والعبودية .

لم يدهشنى ذلك أبداً ، لأننى كنت أشعر بنفس ما يشعر به القاضى الخالدى ، وهو نفس ما يعصر أحشاء كل يمنى من سلالة قحطان التى أذلها الحكم الإمامى الهاشمى رغم أنها أغلبية شعب اليمن الساحقة .

لم يدهشنى ذلك أبدا ، وإنما أدهشنى خوف الزعماء أحرار اليمن الذين يعرفون حق المعرفة جذور المأساة فى اليمن ويرددونها فى مجالسهم المغلقة ويكتبونها فى رسائلهم السرية ، ثم لا يجرؤون على صياغتها فى عقيدة ثورية يعلنونها عالية مدوية ، ولا يصرخون بدعوة الشعب إلى الثورة كي يسترد كرامته وأدميته عندما يخلع هذه الجذور من أعماقها مطالبا بتحقيق العدالة والمساواة بين جميع أبناء الشعب .



أدهشني ما يقوله زعماء الأحرار سرا ولا ينطقون به علنا ، وكأنهم يناجون أنفسهم خوفا من أن يسمعون أبناء الشعب من المظلومين المسجونين المعذبين في الأرض .

ازداد يقيني بأن التسلط الإمامي العنصري والمذهبي الذي خلق الظروف الموضوعية المتخلفة في اليمن لم يكن يسمح لزعماء الأحرار بأكثر مما دعوا اليه وقاموا به من انقلابات استبدلوا بها إماما بإمام ، على نفس الجذور العنصرية والمذهبية التي انبثت المأساة ، مادامت التربة اليمنية لم تكن تصلح لغيرها .

هكذا تتزايد الحاجة الملحة إلى تغيير التربة في اليمن ، تغيير الظروف الموضوعية السائدة فيها ، بنشر الوعي الثوري الذي يحدد عقيدة الثورة ويخلق جذور المأساة من أعماقها .

والثورات الجذرية لا تقوم بصفة عفوية عشوائية ، وإنما تنجح بعد إجهاد الذهن في دراسات وحسابات لكل الإيجابيات والسلبيات حتى يتحقق أكبر قدر من النجاح الممكن بأقل قدر من الخسائر المحتملة .

كان الرائد صلاح المحرزي قد عاد من اليمن فسأله عن مستوى الروح المعنوية الثورية لدى طلبة الكلية الحربية وغيرهم من الضباط والجنود الذين كان يشرف على تدريبهم ونشر الوعي الوطني والقومي بينهم ، فسلمني رسالة وصلته قبل اسبوع (فبراير ١٩٦٠) من طالب الكلية الحربية على الجانفي (الوثيقة رقم ٦) كان من ضمن ما جاء فيها :

(يا قائدنا ومثلنا الأعلى وقدوتنا الحسنة .. تركتنا هنا كالأيتام على مائدة اللثام .. لقد رحلت من بلدنا العزيز المكبل بسلاسل الظلم والطغيان والنائم على شفا الهاوية .. وإذا شاء القدر أن ندخل المعركة الفاصلة بين الحياة والموت ، بين الحرية والاستبداد ، بين السجون ودك القيود سنذكرك .. إننا لنتشوق إليك .. تشوق المظلوم المكبوت المكبل بقيود الظلم والعبودية إلى رؤية طلوع فجر الحرية .. نقبل تحيات كل الأخوان فردا فردا وأرواحهم معك وأفئدتهم حائمة حولك وأفواههم تنطق دائما بالثناء عليك .. فأرجو قبول تحيات أبنائك وتلاميذك شباب الكلية الحربية اليمنية ..)

ثم سلمني الرائد صلاح المحرزي رسالة أخرى من طالب الكلية الحربية حمود بيدر (الوثيقة رقم ٧) مؤرخة في ٥ فبراير ١٩٦٠ كان من ضمن ما جاء فيها :

(نراكم غدا فى اليمن الجديدة يمن القومية العربية والوحدة العربية . أما أحوالنا نحن الطلبة اليوم الضباط فى الغد فلا تسألوا عن أحوالنا وحياتنا البائسة سيفصل لكم عبد الفتاح كل شيء عن حياة ما وراء عصور الغاب .. إن جميع طلبة الكلية الحربية يهدوكم ألف مليون سلام ..)

أكد لى الرائد صلاح المحرزى أن الوعى الوطنى بين طلبة الكلية الحربية والضباط والجنود قد بلغ الذروة وإننا نستطيع أن نبدأ الثورة .

قلت : هذا حسن ، ولكن ميناء الحديد لم يكتمل بعد والطريق بين هذا الميناء وصنعاء لم يتم حتى تلك الساعة ، وعلينا أن ننتظر حتى يتم ذلك لأننا سوف نحتاج حتما إلى مساعدات عسكرية من مصر ولو بصفة رمزية ، الأمر الذى لن يكون ممكنا إلا بعد اكتمال هذا الميناء وذلك الطريق ، وفى هذه الأثناء يتخرج طلبة الكلية الحربية ويتولون مواقعهم فى وحدات الجيش ونكون قد أفنعنا الرئيس جمال عبد الناصر بحتمية التخلّى عن البدر وإمكانية نجاح الثورة الجذرية ، وبعدئذ يمكن البدء فى اعلان الدعوة إلى الثورة لإثارة الوعى الوطنى بين القبائل كى يلتف أكبر عدد منهم حول قادة الثورة عند قيامها .

كنت أتحدث بصراحة مع الرائد صلاح الرائد لأنه كان رائد الدعوة الوطنية والقومية بين طلبة الكلية الحربية ، وأحد الشرايين التى كانت تربطنى بقلب الشباب اليمنى (الوثيقة رقم ٨) .

زارنى الشيخ سالم حسين الرماح شيخ مشايخ لواء البيضاء الذى بعد أن تناول معى طعام الغذاء فى بيتى أعطانى لفافة صغيرة بها مسحوق أبيض اللون يميل قليلا إلى الزرقاء ، وقال أنه سم أعطاه له الإمام كى يدسه فى طعامى أو شراى لعلمه بمدى الصلة الوثيقة التى تجمعنا ، وإنه قد منحه لتنفيذ هذه المهمة عشرين ألف ريالاً (نحو ستة آلاف جنيه فى ذلك الوقت) ، فسألته كيف يبرر للإمام عدم قيامه بتنفيذ مهمته ، فقال إنه سيبلى الإمام أن بيتى ، كما هى الحقيقة ، تحرسه قوة من حرس الوزراء وأننى لا أتحرك من مجلسى بعد أن يصل الطعام بحضورى ثم الشاى ثم القهوة ، ثم لا أتناول بعد ذلك أى طعام ولا شراب ، فاضطر إلى اللقاء ما يحمله فى الحمام خوفا من ارتباكة وافتضاح أمره عند مغادرته .

شكرت له موقفه المخلص الكريم ، فأحزنه شكرى له لأنه فعل ذلك من أجل اليمن ، من أجل الوطن الذى فى سبيله نضحي جميعا برؤوسنا وأموالنا ، وإن كان ما فعله الصديق المخلص لا يخلو من مودة ورحمة .

أنزل الله السكينة على قلبى لإزداد إيمانا ، فهو الذى يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الظالمين ويفعل ما يشاء .

وصل إلى القاهرة الصديق أحمد عبد الله زيد المحضار وهو من كبار تجار البيضاء المقيمين فى تعز ، وكان يحمل معه ترخيصا بتوقيع الإمام يستورد بمقتضاه ثلاثة آلاف بندقية وألفا وخمسمائة صندوق ذخيرة ، مقابل أن يعطى نصفها للإمام كضريبة عينية ثم يتصرف فى النصف الآخر كيف يشاء فى سوق السلاح فى اليمن .

أخذت هذا الترخيص وذهبت لزيارة أنور السادات راجيا أن يسهل الاسراع ببيع هذه الصفقة من مخازن الجيش المصرى بالثمن الذى تراه الجهات العسكرية المختصة .

قلت للسادات إن زملاءنا فى اليمن يستطيعون شراء نصفها الذى يبيعه صديقنا فى السوق ، ثم يستولون على النصف الآخر من مخازن الإمام عندما تقوم الثورة .

وعندى الصديق الوطنى أحمد عبد الله زيد بأن يتبرع للثورة بنصف ما يتبقى له من البنادق والذخيرة . وذهبت معه إلى مخازن الجيش المصرى فى وادى حوف بين المعادى وحلوان وحملنا سيارات الشحن واتجهنا بها إلى ميناء السويس ولم أتركه حتى غادرت الباخرة إلى اليمن .

عدت إلى الحديث مع زعيمى الاحرار الاستاذ أحمد محمد نعمان والقاضى محمد محمود الزبيرى وابلغتهما بأننى مقتنع معهما بكل ما كتب الزبيرى فى كتابه (الإمامة وخطرهما على وحدة اليمن) وأنه لا مفر من الدعوة إلى إسقاط نظام الإمامة وخلعه من جذوره لتحقيق العدالة والمساواة بين جميع أبناء الشعب ، الأمر الذى يؤدى إلى النهوض باليمن على أيدي رجالها الكفاء وأحرارها الوطنيين .

وتكررت لقاءاتى معهما وبقية الأحرار المقيمين فى مصر .

اتفقنا على الدعوة إلى إسقاط النظام الإمامى فى اليمن ، وابلغتهما بأننى ساسافر إلى بون فى ألمانيا الغربية لاستكمال طبع رسالة الدكتوراه ومناقشتها وأداء الامتحانات المقررة بشأنها ، وكنت قد تأخرت عن اتمام ذلك عندما أمر الإمام بنقلى إلى السودان ثم طلبنى إلى اليمن حيث عشت رهينة عنده بين الحياة والموت أربعة أشهر (من ١٥ أكتوبر ١٩٥٩ حتى ١٤ فبراير ١٩٦٠) . وأخبرتهما بأننى سأنتهز فرصة وجودى فى ألمانيا ، حيث أعرف الكثيرين من الأصدقاء الألمان المسئولين ، عسى أن أتمكن من عقد مؤتمر صحفى أو إلقاء محاضرة لتحقيق الاهداف التالية :

أولا : القيام بحملة إعلامية ضد نظام الحكم المتخلف فى اليمن ، حيث لم يكن ممكنا القيام بحملة إعلامية ضد ملك اليمن فى مصر ولا فى أية دولة عربية أخرى نظرا للعلاقات التى كانت سائدة فى ذلك الوقت بين الإمام وبين هذه الدول . وكان من الضرورى أن تبدأ الحملة الإعلامية ضد الإمام والنظام الإمامى من أى مكان ، وهى عندما تبدأ فإنها تنتشر وتصل إلى قلب اليمن وتبدأ فى ولادة الأنصار الأحرار الذين يستسيغون العقيدة الجديدة التى تقوم على أساسها الدعوة إلى الثورة الجذرية .

ثانيا : خلق مناخ عالمى يتعاطف مع قضية الشعب اليمنى حتى نكسب له أصواتا دولية إذا ما وصل صدام ما بعد الثورة إلى منصة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولى .

ثالثا : اقناع الرئيس جمال عبد الناصر باكتمال العناصر الضرورية للقيام بثورة يمنية جذرية حتى يتشجع على مساعدتنا لإسقاط النظام الإمامى الفاسد بكل مقوماته .



أثناء تأهبي للسفر إلى ألمانيا بلغني أن السيد محمد أنور السادات قد أصيب بأزمة قلبية ، فحزنت لذلك أعرق الحزن ، فالرجل صديق صدوق ، وطنى مصرى وقومى عربى منذ نعومة أظافره ، وفوق ذلك فإنه مسلم مؤمن بالله لا يقر ما يدعيه الحكام الهاشميون فى اليمن من امتيازات لا يقرها الإسلام بل يحرمها الله ورسوله . كما أنه هو المسئول المصرى ، الذى كلفه الرئيس عبد الناصر بمواصلة الاتصال بى ومتابعة تطورات اليمن معى ، وكان قد أحس بوجيعة الشعب اليمنى وأدرك أسباب المأساة التى دفنت أمجاده .

بقيت إلى جوار أنور السادات حتى شفاه الله واطمأن الأطباء على صحته ثم سافرت إلى ألمانيا فى ٢ يونيو ١٩٦٠ .

وبعد اسبوعين من إقامتى فى بون فى فندق بجوار الجامعة اتصل بى صديقى الهرفون برنتانو وزير الخارجية الألمانية ، وأبلغنى أن لدى الشرطة الألمانية تقرير يفيد بأن الحكومة اليمنية تدبر محاولة لاغتيالى ، وأنها أرسلت فعلا بعض العناصر لهذا الغرض الشرطة تتعقبهم وتخشى من عدم التوصل إلى القبض عليهم لأنهم قد يستخدمون جوازات سفر غير يمنية ، لاسيما أن أى عربى يمكن أن يدخل إلى الأراضى الألمانية بدون تأشيرة دخول . وقال أنه قد لفت نظر القائم بالأعمال اليمنى السيد عبد الوهاب الشامى إلى ضرورة الالتزام بالقانون . ثم نصحنى بأن أقبل قيام الشرطة الألمانية بحراستى حتى تنتهى إقامتى فى ألمانيا فقبلت ذلك شاكرًا له وللحكومة الألمانية كرم ضيافتها وحرصها على سيادة القانون على أراضيها .

جاءنى قائد الشرطة الألمانية ونصحنى بتغيير محل إقامتى واختيار مكان يسهل حمايته ، كما نصحنى بأن ابلغ المباحث الألمانية بتحركاتى كى تكتمل حلقة حراستى . اخترت الإقامة لدى الأستاذ عبد المنعم عامر المستشار الثقافى بالسفارة المصرية فى بون وهو صديق مخلص وشقيق المشير عبد الحكيم عامر .

علم السيد إبراهيم صبرى سفير مصر فى بون بحديث وزير الخارجية الألمانية معى وقيام الشرطة الألمانية بحراستى وإننى لهذا السبب أقيم فى بيت الأستاذ عبد المنعم عامر فخشى أن تعلم الحكومة اليمنية بهذا الأمر فتسوء العلاقات بين مصر واليمن . نسى السفير المصرى أننى كنت قبل ذلك بأقل من عام وزيرا لليمن وزميلا له فى بون ، وكنت أتبنى

القضايا العربية وأنصدي للدفاع عنها ممثلاً لجميع السفراء العرب في ألمانيا الغربية . مع ذلك طلب السفير إبراهيم صبرى من مستشاره الثقافى عبد المنعم عامر أن يتخلص من إقامتى لديه حرصاً على حياته وحفاظاً على العلاقات المصرية اليمنية .

رفض الصديق عبد المنعم عامر ذلك واعتبر إقامتى عنده مسألة شخصية تخصه وحده ، وقال للسفير أنه ليس من الشهامة أن يتخلى عن صديقه فى محنته .

أخفى عنى عبد المنعم عامر كل هذه القصة حتى وصلت إلى السفير إبراهيم صبرى برقية من السفير المصرى فى لندن ، التى كان يعالج فى إحدى مستشفياتها السيد محمد أنور السادات رئيس مجلس الأمة المصرى . طلبت هذه البرقية من السفير إبراهيم صبرى حجز ثلاث غرف نوم فى فندق بارك أوتيل بالقرب من مصحة بادناوهايم فى جنوب ألمانيا الغربية ، حيث كان من المقرر أن يصل أنور السادات لاستكمال العلاج والنقاهة فى تلك المصحة ثلاثة أسابيع .

يوم الخميس ١١ أغسطس ١٩٦٠ ذهب رجال السفارة المصرية إلى مطار فرانكفورت لاستقبال أنور السادات وذهبت معهم ولم أعرف أن ذلك يؤدى شعور السفير المصرى إبراهيم صبرى . نزل السادات من الطائرة وخلفه السيدة زوجته وابنته لبنى ومدير مكتبه فوزى عبد الحافظ .

وبعد مراسم الاستقبال تأهبت للانصراف وصافحت السادات مودعا فإذا به يقول ضاحكا (اركب معى لنقيم معا فى مصحة بادناوهايم) فاعتذرت قائلاً أنه لا توجد غرفاً خالية فى الفندق يمكن حجزها بمثل هذه السرعة ، فقال أمام السفير ورجال السفارة المصرية إنه أمر فعلاً بحجز ثلاث غرف ، واحدة له ولزوجته وابنته الطفلة لبنى والثانية لى والثالثة للاستاذ فوزى عبد الحافظ .

ذهبنا إلى بادناوهايم وخلفنا رجال السفارة المصرية ومن بينهم الصديق عبد المنعم عامر .

وما إن وصلنا إلى الفندق تذكرت أننى لم أصحب معى أية لوازم شخصية وكانت جميعها فى بيت الصديق عبد المنعم عامر فى بون فأردت أن أذهب إلى بون لأخذ أمتعتى غير أن الصديق عبد المنعم عامر رفض بإصرار أن أترك مكانى بجوار السادات وتطوع بأن يذهب إلى بون ويرسل حقيبتي الشخصية مع إحدى سيارات السفارة المصرية ، فلما استوضحت منه سبب إصراره على بقائى بجوار السادات بدأ يقص علىّ ، لأول مرة ، دعر السفير المصرى من إقامتى لديه خوفاً على العلاقات المصرية اليمنية وقال أن إقامتى مع السادات رئيس مجلس الأمة ستعطى للسفير إبراهيم صبرى درساً لا ينساه فى العلاقات الشخصية والشهامة العربية .

أمضيت مع الرئيس السادات وقتاً طويلاً خلال تلك الفترة ، انحصر كله فى أحوال اليمن ولماذا يلزم التخلّى عن البدر والدعوة إلى إقامة جمهورية يمنية ، وكانت مصر حتى تلك اللحظة متمسكة بالبدر وتعتبر أنه المصلح الذى يمكن تطوير اليمن على يديه .



الرئيس السادات بين زوجته السيدة جيهان وابنته لبنى (التقط المؤلف الصورة في مطعم الفندق في بادنا وهايم أثناء اختيار السادات لرحلة اليوم على الخريطة (أغسطس ١٩٦١) .

شرحت للسادات ، وبإسهاب ، جذور المأساة اليمنية من أعماقها بعد أن أمضيت ، حتى ذلك الوقت ، أكثر من عشر سنوات أدرس أحوال اليمن الاجتماعية والاقتصادية والسياسية واستخلص الدروس المستفادة من الأحداث والانقلابات السابقة وحركات الإصلاح عبر تاريخ اليمن الطويل ، دون أن أتأثر بأى موقف شخصى أو أية حساسية عنصرية أو طائفية حيث ولدت فى مصر وعدت إلى اليمن وعمرى أربعة وعشرون عاما أحمل شهادة جامعية يحصل عليها لأول مرة فى تاريخ اليمن أحد أبنائها من المقيمين فيها أو المغتربين عنها .

فلم تكن عندى حساسية زيدية أو شافعية ولا قحطانية ولا هاشمية .

لقد ذهبت إلى اليمن وكل أملى أن أنتشر بالوطن الذى انتمى إليه وأحمل جنسيته . لا عيب فى أن يكون هذا الوطن فى حاجة إلى إصلاح وتطور وإنما العيب فى أن يستمر مقهورا تحت ظروفه المتخلفة يعبد أصنامة التقليدية التى تشل حركته وتعوق نهضته وتجعله أسيرا للماضى دون أن يكون له مستقبل .

رويت للسادات ما كتبه القاضى محمد محمود الزبيرى فى كتابه « خطر الإمامه على وحدة اليمن » ورويت له ما أطلعنى عليه الأستاذ محمد أحمد نعمان من إجابات بخط القاضى عبد الرحمن الارياى والعميد عبد الله السلال والقاضى عبد السلام صبره والأستاذ على ناصر العنسى والسيد أحمد حسين المرونى والأستاذ محمد عبد الله الفسيل والأستاذ محمد أحمد السياغى .

حكيت للسادات ما قاله القاضي محمد الخالدي وما أطلعني عليه من كتب ومجلات ومخطوطات تحدد أسباب المأساة في اليمن . ثم اسهبت للسادات في شرح تجربتي الخاصة مع الإمام وما سمعته منه بأذني وهو يحتقر أبناء الشعب ، الأمر الذي أبكى القاضي محمد عبد الله العمرى وأفقدني قدرتي على احترامي لذاتي التي فوجئت بأنها لا تساوي خردلة في إطار النظام الإمامي وفي نظر السادة المتعصبين من الهاشميين .

نقلت إلى السادات ما اتفقت عليه مع زعمي الأحرار الأستاذ أحمد محمد نعمان والقاضي محمد محمود الزبيري من حتمية التخلي عن البدر والدعوة إلى قيام ثورة جمهورية .

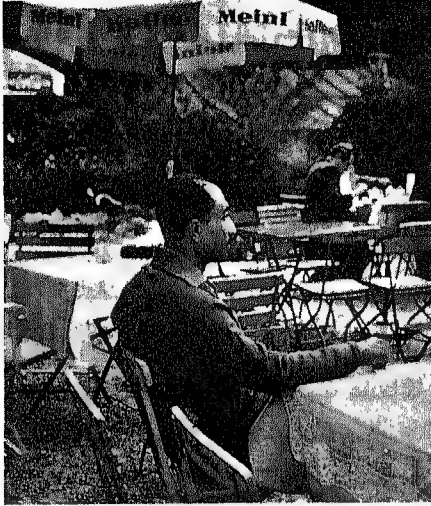
اقتنع السادات بهذا الرأي وأخذ يناقشني في الإمكانات اليمنية المتاحة والتي يمكن تعبئتها لهذا الغرض ، فشرحت له ما وصلت إليه الروح المعنوية بين طلبة الكلية الحربية الذين أوشكوا على التخرج واستلام مواقعهم في وحدات الجيش ، وعرضت عليه ما أبلغني عنه الرائد صلاح المحرزي من اقتناع طلبة الكلية الحربية برفض النظام الإمامي ، وأحاديثه حول هذا الموضوع مع قائد هؤلاء الطلبة على عبد المغني . كذلك عرضت عليه ما وصل إليه السخط العام بين الضباط والجنود ورجال القبائل لا سيما بعد أن غدر الإمام بالشيخ حسين الأحمر وابنه الشيخ حميد والشيخ عبد اللطيف بن راجح والعشرات من المشايخ .

واوضحت للسادات أن ميناء الحديدة كان على وشك أن يتم بناؤه وكذلك الطريق بين هذا الميناء وصنعاء .
ثم ناشدت السادات أن يساعدنا على تحقيق أمرين :

الأمر الأول : اقناع مصر بوجهة نظري وهي الدعوة إلى ثورة جذرية وإقامة الجمهورية اليمنية .
الأمر الثاني : تمكين من نشر العقيدة الجديدة التي يلتف الناس حولها .

ذلك لأنه في اليمن حيث لا يوجد جيش منظم منضبط يفرض الإصلاح بقوة السلاح ، ولا توجد أحزاب ذات قواعد شعبية تستطيع أن تفرض الإصلاح بقوة الشعب ، فإن الإصلاح يتوقف عندئذ على نشر عقيدة جديدة تشرح للشعب أسباب تخلفه وتحدد له وسائل تخلصه من هذا التخلف . وعندما ننشر هذه العقيدة الجديدة المستخلصة من ضمير الشعب وآلامه المعبرة بصدق عن نفسيته وأحلامه ستلتف الجماهير حول هذه العقيدة ، وتقف خلف دعائها فيبدأ التكتل الشعبي وتظهر العناصر الشعبية المعقنة بعقيدة الإصلاح الجذري ، خلال ذلك نستطيع أن نختار من بين هذه العناصر الشخصيات القوية والفدائية التي عندئذ يمكن أن يتم من بينها تشكيل التنظيم الثوري .

أظهر السادات اقتناعه بكل ما قلت ووعدني خيرا عندما يعود إلى القاهرة ، وإنه سيحاول اقناع الرئيس جمال عبد الناصر بمساندة التغيير الجذري في اليمن بعد أن يثبت له عدم جدوى مساندة البدر . كما وعدني بأنه سوف يسعى إلى الحصول على موافقة الرئيس جمال عبد الناصر كي يتيح لي المجال لنشر أفكارى في إحدى المجلات المصرية مع إذاعتها من صوت العرب .



الرئيس السادات في بادناوهايم
في رحلة مع المؤلف الذي التقط
الصورة (أغسطس عام ١٩٦١) .

في يوم الجمعة ٢٦ أغسطس ١٩٦٠ استقبل السادات ثلاثة من رجال الصحافة الألمانية ، ولاحظت أثناء حديثهم أن لكتنتهم ليست ألمانية ولاحظ السادات أنهم يسألونه عن تفاصيل ليس من المعتاد السؤال عنها ، مثل نية الجمهورية العربية المتحدة تجاه إسرائيل بعد أن قامت الوحدة مع سوريا . وشهية الرئيس جمال عبد الناصر العسكرية بعد حصار إسرائيل بين ذراعي كسارة البندق المصرية السورية ، وموقف مصر من نظام عبد الكريم قاسم في العراق وهل تشارك العراق الجمهورية العربية المتحدة في موقفها من إسرائيل ؟

والأدهى من ذلك أنهم عندما استأذنوا في الانصراف نسوا أن يأخذوا معهم حقيبة أوراق صغيرة فذكرتهم بها فأخذوها ، ولعلمهم كانوا قد تعمدوا نسيانها ويعلم الله ما كان بها .

جريت الاتصال بهم بنفس أرقام التليفون التي كتبوها في بطاقتهم فأتضح أنها لا تمت إليهم بصلة فتوجست شرا يستهدف حياة السادات رئيس مجلس الأمة المصري وأحد رجال عبد الناصر .

وكان من المقرر أن يسافر من مطار فرانكفورت بألمانيا الغربية إلى القاهرة يوم الخميس أول سبتمبر ١٩٦٠ حيث كانت السفارة المصرية قد أعدت ترتيبات ومراسم سفره في ذلك اليوم فنصحته بأن يقدم موعد سفره مع كتمان ذلك بيننا .

وافق السادات وتوجهنا معاً إلى زيورخ في سويسرا مع زوجته السيدة جيهان وابنته لبنى وتركنا الأستاذ فوزى عبد الحافظ وحده في الفندق في بادناوهايم مع معظم الحقائق أمعانا في التمويه . وفي زيورخ حجزت أربعة مقاعد على الطائرة المصرية القادمة من لندن يوم الثلاثاء ٣٠ أغسطس ١٩٦٠ بأسماء أربعة يمينيين مسافرين إلى القاهرة .

وعند وصول الطائرة إلى مطار زيورخ كان الأستاذ فوزى عبد الحافظ قد وصل من ألمانيا فأبلغت مدير مكتب شركة مصر للطيران بالأسماء الحقيقية للركاب الأربعة ، وهم السادات والسيدة حرمه وابنته لبنى والأستاذ فوزى عبد الحافظ ، وأبلغته توصية السادات بعدم قبول أى راكب جديد غير الركاب الذين كانوا مقعدين من قبل وكذلك عدم قبول أية حقائب أو طرود جديدة غير التي تم تفتيشها وتحميلها على الطائرة .

وبعد إقلاع الطائرة إلى القاهرة اتصلت تليفونيا بالسفير المصرى فى بون أخبره عن سفر السادات كى يلغى ترتيبات سفره وتوديعه فى مطار فرانكفورت .

كان الإمام قد أمر بتعيين الأستاذ هاشم طالب مستشارا فى السفارة اليمنية فى بون لإبعاده عن الحديدية التى كان يقيم فيها عندما كان مديرا لمكتب البدر ، وبعد وقوع محاولة اغتيال الإمام التى قام بها الشهيد سعيد فارح الذى كان يتردد على اجتماعاتنا فى بيته .

كنت سعيدا بلقاء هاشم طالب فى ألمانيا حيث كنا نلتقى يوميا نتدبر أحوال اليمن ومصير شعبها ، وعرفت منه أن الإمام قد أرسل برقية إلى القائم بالأعمال اليمنى السيد عبد الوهاب الشامى يأمره باغلاق السفارة أو القيام بمتابعة نشاطى فى ألمانيا والعمل على وقفه وإبعادى منها ، بعد أن أبلغه سكرتير أول السفارة الأمير يحيى بن الحسين باننى قد رفضت مرة أخرى عرض الإمام بتعييني رئيسا للوفد اليمنى بمجلس الاتحاد المصرى السورى اليمنى فى القاهرة . وكان الأمير يحيى قد التقى بى قبل وصول السادات وعرض على ذلك فاعتذرت له بشكل قاطع .

ولم تكن الحكومة الألمانية تحمل أى تعاطف نحو الحكومة اليمنية ، لا سيما بعد أن أصدر الإمام أحمد مرسوما بتعيين أخيه الأمير سيف الإسلام عبد الرحمن وكيلا لوزارة الخارجية . بعد أن طردته الحكومة الألمانية من أراضيها لتكرار قيادة سيارته وهو فى ذروة السكر ، ولم يكن قد بلغ العشرين من عمره .

وكان الأمير السابق قد وصل إلى ألمانيا للدراسة عندما كنت سفيرا لديها ، وكان معه خمسين ألف جنيه استرليني كهدية أخذها من الملك سعود أثناء مروره بالمملكة العربية السعودية فى طريقه للدراسة فى ألمانيا .

ولكنه كان عزوفا عن الدراسة ، شغوفا بالرحلات الخاصة التى أراد أن أصاحبه فيها فاعتذرت له ، ورشحت لمصاحبته حسن مكى^(١) الطالب اليمنى الذى كان يدرس فى إيطاليا ، فرافقه عدة أشهر أنفق الأمير خلالها كل ما لديه ، ولم يبق معه سوى سيارته والاعتماد على مرتبه كطالب يمنى رغم عدم التحاقه بأية مدرسة فى ألمانيا حتى طردته الحكومة الألمانية من أراضيها حرصا على سلامة مواطنيها فعينه الإمام وكيلا لوزارة الخارجية .

(١) رئيس وزراء اليمن فى وقت لاحق بعد الثورة .

رفضت وزارة الخارجية ابعادى عن أراضها رغم الحاح السيد عبد الوهاب الشامى ، وبدلا من ذلك نصحنى قائد الشرطة الألمانية بأن اشترى سلاحا (مسدسا) ووعد بمنحى تصريحاً رسمياً بذلك اشترى المسدس وحصلت على ذلك التصريح يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٦٠ . (الوثيقة رقم ٩) .

وأخذت اتصل بالصحافة الألمانية ووكالات الأنباء العالمية لتزويدها بأخبار اليمن الحقيقية وتسابقت الصحافة العالمية على نشر هذه الأخبار المفردة فى غربتها التى فاقت ظلمات القرون الوسطى ، مما جعلها الحديث المشوق فى محطات الإذاعة وانتشرت هذه الأخبار بين السفارات العربية والأجنبية .

فى شهر نوفمبر ١٩٦٠ كانت العلاقات المصرية العراقية قد بلغت ذروة الصراع فقرر الإمام أن يتبادل السفارات مع العراق للضغط على مصر التى بدأت تسمح بنوع من نشاط الأحرار اليمنيين المقيمين فيها ، ولعل سفارته فى بون قد فسرت للإمام مدلول إقامتى مع السادات فى جنوب ألمانيا طوال شهر أغسطس ١٩٦٠ ونشاطى الإعلامى الذى أعقب ذلك مباشرة .

عندما انتشرت أحاديثى عن اليمن جاءنى الدكتور كندرماني وهو صديق ألماني من كبار رجال السياسة ، وقدم الىّ دعوه من هيئة العلاقات الخارجية الألمانية لزيارة مدينة دورتموند العاصمة الصناعية لألمانيا الغربية وإلقاء محاضره فى قاعة هنزلر هاوس . قبلت الدعوة وقامت الهيئة المذكورة بدعوة نحو ثمانمائة من رجال الدولة ورجال الأعمال وممثلى الدول العربية والأجنبية والصحافة الألمانية ووكالات الأنباء العالمية .

كان موضوع المحاضره « ماذا يجرى فى اليمن » وتحدد موعدها يوم الأربعاء ٧ ديسمبر ١٩٦٠ .

علم بذلك صديقى الاستاذ هاشم طالب مستشار السفارة اليمنية فى ألمانيا فأصر على أن يذهب معى ليشترك فى هذه المناسبة الثورية التى تشرح للعالم بأساة اليمن لأول مره فى تاريخها القديم والحديث ، كما أصر على أن يجلس فى الصف الأول بين المدعوين المستمعين مضحيا بوظيفته فى سبيل أن يقف بجانبى يشد من أزرى ليعلن على الملأ أن كل ما أنطق به هو الحق المطلق الذى يصف بأساة الشعب ، ويعبر عن أوجاعه وعزمه على التخلص من هذه الأساة

صباح ذلك اليوم توجهت إلى مدينة دورتموند وهى تبعد عن بون مسافة تقطعها السياره فى ثلاث ساعات ، وكان معى فى السيارة الدكتور كندرماني والاستاذ هاشم طالب والعقيد عمرو هريدى الملحق العسكرى المصرى فى ألمانيا ، وعندما وصلنا دورتموند وجدنا فى انتظارنا سيارتين من سيارات الشرطة وعددا من راكبى الدراجات البخارية ، ووصلنا على هذا النحو إلى الفندق حيث كان فى انتظارنا محافظ المدينة الذى ذهب معنا لزيارة بعض المصانع الكبرى .

وفى تمام الساعة الثامنة اتجهنا جميعا إلى قاعة هنزلر هاوس التى امتلأت بالمدعوين وغيرهم من الذين قرأوا بيان السفارة اليمنية فى اليوم السابق على إلقاء المحاضرة والذى

قالت فيه السفارة أن عبد الرحمن البيضاني الذي كان وزيرا لليمن في ألمانيا الغربية لا يزال سجيناً في اليمن ، ولعل ذلك ، جعل محافظ المدينة ينصحني بأن أضع حول رقبتي وسام الاستحقاق الأعظم الذي كان رئيس الجمهورية الألمانية قد منحني إياه .

وكان من بين من جلسوا في الصف الأول محافظ المدينة والأستاذ هاشم طالب والملحق العسكري المصري والملحق الصحفي الروسي ومستشار السفارة الأمريكية والوزير المفوض البريطاني .

وقف رئيس هيئة العلاقات الخارجية الألمانية يقدمني للمدعوين قائلاً « إنني لا أقدم للحديث وزيرا يمنيا سبق أن مثل حكومته عندنا ، وإنما أقدم إليكم ضميئرا وطنيا يمثل شعبه » ثم وقف الدكتور كندرماني وتحدث عن ضرورة التضامن العالمي لمساعدة الشعوب المتطلعة إلى النهضة والحياة الكريمة ، كما تحدث عما كان يسمعه منى خلال السنوات الست الماضية عن حتمية الإصلاح في اليمن والذي عندما عجزت عن تحقيقه عن طريق الإمام قررت أن أسعى إلى تحقيقه عن طريق الشعب » .

بعد ذلك وقفت القى محاضرتي التي استغرق القاؤها ثلاث ساعات ونشرها الاتحاد اليمني فيما بعد في كتاب بعنوان « الأعيب متوكليه » وكان من بين فقراتها أن :

(اليمن صاحبة ماض مجيد وحضارة من أعظم الحضارات التي يمكن أن يذكرها الانسان . وقد ذكر القرآن مجدها الخالد ، ولكن اليمن اليوم .. يمن أخرى يفنى فيها الشعب جوعا بالرغم من موارد البلد الطبيعية الغنية وأنه إذا بدأ من أمة من الأمم سلوكان متعارضان في مراحل مختلفة من مراحل تاريخها ستجدون تفسير ذلك في صميم تاريخها وبيئتها . وإذا تعرضت أمة من الأمم لصعاب قاسية فوجدت في ذلك بأسا وتدهورا ، أو استمدت منه قوة وتشجيعا وأملا في اجتياز هذه الصعاب ، فإن ذلك يرجع إلى تكوين هذه الأمة العضوى وبنائها الاجتماعي ليس فقط في وقت المأساة بل منذ عدد من القرون عندما بدأت تقاليدها تتكون .

وهذا يرجع بنا في اليمن إلى اثني عشر قرنا خلت عندما أدعى أفراد من نسل النبي محمد اقتصار الإمامة عليهم حتى يصبحوا ملوكا باسم الدين .

هذه الدعوة لم تقبلها أغلبية المسلمين في ذلك الوقت فقتل كثير من هؤلاء واسيئت معاملة بقيتهم حتى لجأ بعضهم إلى اليمن حيث وجد ترحيبا واستقبالا قلبيا ، فاستوطن هؤلاء اليمن وعملوا تدريجيا على تحويل هذا الترحيب إلى نفوذ سياسي حتى احتكروا الحكم وأغلقوا الطبقة الحاكمة على أنفسهم وحدهم وباسم الدين .

لقد كان الأئمة الذين تعاقبوا على حكم اليمن يعلمون أن مثل هذا الشرط ماهو إلا شرط دخيل غريب على الإسلام وعلى منطق الدين وكانوا يتوقعون أنه سيأتي

اليوم الذى يلفظ فيه الشعب اليمنى هذا الشرط الدخيل فعملوا بكافة السبل على إعاقه نمو الوعي القومى والرأى العام فى البلاد .

لقد دأبوا على تسليم الوظائف الحساسة لأبناء هذه الأسرة ومن يتبعهم من العلويين بثقة عمياء .. لقد احتقروا التعليم ومسخوه بل وحرموه بسبب خطورته الكبرى على سلطانهم .. لقد حولوا الدين إلى حزبية ووقفوا فوق التفرقة الطبقية ، ونشروا الكراهية والبغضاء والخلافات بين الطوائف الدينية ، نهبوا الرعايا ، وأقاموا العراقل أمام الكفاءات ، شجعوا البطالة والعقم واحتقروا العبقريه مفضلين عليها النسب . من ذلك التاريخ بدأ تدهور اليمن) .

وختمت محاضرتى قائلا :

(إن الكثيرين من أتباع المذهب الزيدى الذى ابتكر هذا الشرط الغربى على الدين وهو حصر الإمامة فى الأسرة الهاشمية قد أصبحوا يرحبون بالتغيير الجذرى من أجل تطور البلاد ونهضتها لأنهم قد أصبحوا هم أيضا ضحايا هذا الوضع الاجتماعى الفاسد فى اليمن .

لذلك فإننى أنادى بالثورة الجذرية ..

أما إذا كان هناك من يعتقد فى اليمن أن الموت خير من الحياة وأن الأفضل ألا يولد فإنه لن يهमे أن يستمع إلى ندائى ولا إلى دعوة أى مصلح) .

كان جميع الحاضرين يصغون إلى هذه الكلمات وهم يستنكرون أن يكون ذلك هو حال شعب اليمن فى القرن العشرين وبعد أن ملأت أمجاده كل صفحات التاريخ بجميع اللغات الحية والميتة .

ولا شك فى أن وجود الأستاذ هاشم طالب مستشار السفارة الرسمى فى ألمانيا الغربية كان له أعظم الأثر فى نفوس الحاضرين ، فقد كان يصفق بكل قوته مع سائر المصنفين للثورة ، الذين أقنعهم وجود هاشم طالب معنى بأنه لا تزال فعلا فى هذه الدنيا ، شعوب تصدق من يتاجر بالجنة ويستغل صلة القربى بالرسول ويقتل الشعب باسم الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أذاع راديو لندن خلاصة هذه المحاضرة ونشرت الصحف الألمانية مقتطفات منها ، وكان من بينها صحيفة وست دوتش تاجه بلات فى ٩ ديسمبر ١٩٦٠ حيث جاء من بين ما نشرته « لقد رسم المحاضر وهو يثير العواطف صورة مؤثرة ومنذرة بالخطر لأحوال وطنه . وألقى اللوم على فساد نظام الحكم الذى أخر البلاد . فالمملكة يحكمها منذ قرون عديدة أشخاص يدعون أنهم من سلالة الرسول محمد وهذه الحكومات لا تسمح بالاصلاحات لأنها تخشى على سلطانها السياسى » .

كما نشرت صحيفة رور ساخرىشتن فى ٩ ديسمبر ١٩٦٠ ما جاء فيه « إن خطاب السفير السابق فى ألمانيا الذى حصل على وسام الاستحقاق الأعظم من رئيس جمهورية ألمانيا قد أثر فى نفوس المستمعين ومشاعرهم حيث نقلهم إلى قلب الأماسة بصوته الحزين الباكى » .





تحدد لمناقشة رسالة الدكتوراه يوم ٢٨ فبراير ١٩٦١ فاستحسننت أن أمضى فترة الانتظار في مصر تخفيفا على الشرطة الألمانية التي أحاطتني بعنايتها بعد رعاية الله سبحانه وتعالى فوصلت إلى القاهرة في ٢٠ ديسمبر ١٩٦٠ والتقيت بالأستاذ أحمد محمد نعمان والقاضي محمد محمود الزبيرى ورويت لهما أخبار المحاضرة وسلمت إليهما ترجمتها باللغة العربية . وقد أبديا استحسانهما لكل ما جاء فيها وقالوا إنها تمثل وجهات نظرهما تمثيلا دقيقا محكما فقررا نشرها في كتاب من كتب الاتحاد اليمني باسم « الأعياب متوكلية » وكتب الأستاذ أحمد محمد نعمان مقدمة لهذا الكتاب الذي صدر يوم الأحد ١٥ يناير ١٩٦١ .

وكان من بين ما كتبه الأستاذ نعمان في مقدمته مايلي :

(إن الأستاذ عبد الرحمن البيضاني وزير اليمن المفوض في ألمانيا الغربية ثم في السودان فالمستشار الاقتصادي للدولة والذي نقدمه اليوم للأحرار جميعا أعاد إلى ذاكرتي ما كان قد ابتلى به من التفاؤل وحسن الظن بمن تفاؤلنا بهم من قبله ، وأحسنا بهم الظن ، بل ورفعناهم إلى السماء ، وجعلناهم وسيلتنا إلى الله ، ودعونا لهم بالهداية والتوفيق في السر والعلن .)

(ومن غريب الصدفة أن يعلن الأستاذ البيضاني صيحة الحرية عالية مدوية في ألمانيا الغربية ، وينطلق في فضاء الله الرحب حرا طليقا .. في نفس الوقت الذي يقع صالح محسن شرف الدين السكرتير الخاص لجلالة الإمام ، والخادم اللصيق به الذي قضى عمره كله في خدمته يقع في السجن ، ويشاع خبر إعدامه .)

(لقد كان الأستاذ البيضاني أشد حذرا ويقظة ، وكان أذكى من أن يستبد به التفاؤل بعد اضطبغت أرض بلاده بدم الشباب الثائر حميد بن حسين الأحمر ووالده الشيخ حسين بن ناصر الأحمر وزميلهم البطل الشيخ عبد اللطيف بن راجح) .

(وأننى لأذكر جيدا بالغ تفاؤلي عام ١٩٥٥ وقد وقع الإمام في الحصار ، وأنقذته الصدفة من الموت المحقق .. أريد أن أقول الصدفة ولن أقول البلاء والغفلة والجهل ، أو التفاؤل ممن حاصروه وأمطروا قصره بوابل من الرصاص .)

(لقد قال لى الإمام إنه لا يوجد ما يقابل به نعمة الله عليه بعد أن أنقذه هذه المرة ، وأفرج عنه إلا أن يهب بقية حياته وكل ما يملك لإسعاد اليمن) .

(وفى هذه الفترة نفسها التقيت بالأستاذ عبد الرحمن البيضانى وتعرفت عليه لأول مرة ووجدته أشد منى حماسا وأكثر تفاؤلا وعنده عدة مشاريع اقتصادية بحكم اختصاصه ودراساته ، وقد شجعه على تقديم مقترحاته ما أعلنه الإمام صراحة من عزمه على تغيير الوضع فى اليمن وأنه لم يبق أمامه سبيل غير الإصلاح الشامل) .

(ولكن لسوء حظ هذه المشاريع والمقترحات والنصائح والتفاؤل انها اقترنت بقدوم شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن) .

(وانتهت بنهايته كل المشاريع وتبددت الاحلام وتوعد بسيفه كل من يحاول تعكير صفو الحياة الحاضرة أو يدعو للتغيير . أو يفكر بأى تفكير غير عبادة الله والصلاة والصيام وطاعة الإمام طاعة عمياء . وكان فى مجلسه ولى عهده ووجوه دولته وأنا من الشاهدين ، وقد أعلنت توبتى من الدنيا ومتاعها وزخرفها وتضامنت ولزمت الصمت إلى يوم أسعدنى القدر بالخروج فى قصة طويلة .)

(أما أخى الأستاذ البيضانى فقد استبد به التفاؤل بالرغم من مصارع الأولين ولعل حبه لبلاده ضاعف من تفاؤله . ومضى فى التفاؤل بالرغم من مصارع الأولين إلى أن أعلن صيحته المدوية ورمى المنصب الرفيع ، والمرتب الضخم ليعيش فى صفوف إخوانه الأحرار حتى تنتصر قضية الشعب التى لا بد أن تنتصر ولو كره الظالمون) . أحمد محمد نعمان . (الوثيقة رقم ١٠) .

استمع أنور السادات إلى شريط تسجيل المحاضرة وقرأ تعليقات الصحف الألمانية وكان قد وصله تقرير صحفى من الجهات المسؤولة عن ردود الفعل الدولية لهذه المحاضرة السياسية التى دعت إلى الثورة على نظام الإمامة فى اليمن ، كذلك قرأ السادات المقدمة التى كتبها أحمد محمد نعمان فى كتاب « الأعبى متوكلية » .

وقال السادات أن هذا التصرف العلنى من جانب الأستاذ نعمان والقاضى الزبيرى سوف يقطع عليهما خط الرجعة إذا ما عدلا عن هذا الموقف وعادا إلى موقفهما الأول وهو تزكية البدر . ففهمت صراحة أنهما كانا ، حتى تلك اللحظة ، على صلة بالبدر وكانا ينتظران منه خيرا عندما يموت الإمام .

حمدت الله الذى هدانا جميعا إلى الاتفاق على إسقاط الحكم الإمامى الهاشمى والتخلى عن كل مرشح للإمامة ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . ورجوت أن يكون ذلك الاتفاق عنصرا مساعدا للسادات كى يقنع الرئيس جمال عبد الناصر هو الآخر بالتخلى عن البدر فيفسح لنا مجال الدعوة إلى الثورة من قلب القاهرة .

ووصل إلى القاهرة (العقيد) حسن العمرى مدير اللاسلكى اليمنى قادما من ليبيا وكان يرأس وفد اليمن فى مؤتمر وزراء المواصلات العرب ، وما أن وصل إلى القاهرة حتى زارنى فى بيتى بصفة سرية وكان متحمسا لدعوتى إلى الثورة وخلع نظام الإمامة فى اليمن وإعلان الجمهورية ومؤيدا كل ما جاء فى محاضرتى فى ألمانيا وطلب عدة نسخ من كتاب « الأعيب متوكلية » وأخبرنى بأنه التقى بالأستاذ أحمد محمد نعمان والقاضى محمد محمود الزبيرى فى حديقة الأندلس ، وقال أن الزبيرى أخذه إلى الأسكندرية حيث قابل السفير المصرى فى صنعاء الأستاذ على الدسوقى الذى كان يمضى أجازته هناك ، وكان غرض العقيد حسن العمرى من زيارته للدسوقى إقناعه بالتخلى عن البدر .

ثم اتفقنا على أن نتبادل الرسائل السرية بكلمات رمزية اتفقنا عليها وسافر إلى اليمن بعد أن هيات له زيارة سرية للسادات أكد له فيها تأييده لدعوتى إلى خلع النظام الإمامى .
(الوثيقة رقم ١)

عدت إلى ألمانيا فى ٢١ يناير ١٩٦١ حيث التقيت بالاستاذ هاشم طالب الذى أبلغنى بأن الإمام قد عزله من وظيفته فى السفارة وأنه سوف يستقر فى القاهرة وينضم علنا للأحرار والاتحاد اليمنى .

بدأت تصلنى رسائل من الأحرار فى اليمن وعدن والمهاجر اليمنية يؤيدون فيها دعوتى إلى الثورة كما ورد فى كتاب « الأعيب متوكليه » الذى انتشر بشكل واسع بين اليمنيين وأصبح صلب حديثهم ومحور مناقشاتهم . وأخذت راية الثورة الجذرية ترتفع فى اليمن ، وقلوب الأحرار تتأهب لساعة الخلاص من الحكم الإمامى الفاسد وقيام الجمهورية اليمنية .

فى ٢٨ فبراير ١٩٦١ أديت الامتحان الخاص بشهادة الدكتوراة فى كلية الاقتصاد بجامعة بون ووفئنى الله وحصلت عليها مع درجة الشرف وأسرت بعودتى إلى القاهرة
(الوثيقة رقم ١١) .

كان السخط على نظام الحكم الإمامى قد بلغ ذروته فى اليمن وكاد كل وطنى من أبناء الشعب يفتك بالإمام وليكن بعد ذلك ما يكون . غير أنه حتى تلك اللحظة لم تكن هناك خطة للثورة ولا برنامج لعمل ما بعد الثورة ولا دراسة للاحتتمالات المختلفة والمضاعفات المتوقعة .

كان فى اليمن مجرد سخط شامل ومنتشر بين أبناء اليمن ، لكنه لم يكن سخطا منظما .

كان فى اليمن سباق إلى الفداء والتضحية ، ولكنه لم يكن فداء مرتبطا بهدف وطنى محدد ، ولا تضحية مؤدية إلى ثورة جذرية .

والسخط غير المنظم كالبخار غير المنظم . كلاهما لا يولد طاقة .

والذى اكتشف الطاقة البخارية لم يخترع البخار وإنما أدخله فى إطار محكم ثم نظم أسلوب خروجه من هذا الإطار فنتجت طاقته بعد أن تم إحكامه وتنظيمه .

إذن :

كان لا بد من العمل على إشعال المزيد من السخط وتركيزه فى عقيدة ثورية تنبثق من ضمير ووجدان أبناء اليمن ثم تنظيم هذا السخط من أجل تحويله إلى طاقة ثورية مؤثرة .

فى يوم الأحد ٢٦ مارس ١٩٦١ أذاعت وكالات الأنباء أن محاولة اغتيال الإمام قد وقعت مساء ذلك اليوم .

كان الإمام قد تعرض لمحاولة اغتيال سابقة عن طريق الاصطدام مع سيارته ولم يسفر ذلك إلا عن إصابة سائق الإمام وقائد حرسه على مانع الذى نقلوه إلى مستشفى الحديدة ، فاتفق ثلاثة من الثوار اليمنيين هم الضباط عبد الله اللقيه ومحمد صالح العلفى (ضابط المستشفى) ومحسن الهندوانه على قتل الإمام فى أول فرصة عندما يصل الإمام إلى المستشفى لزيارة قائد حرسه الذى كان بين الحياة والموت .

لاحقت تلك الفرصة عندما اتصل الإمام تليفونيا فى ذلك اليوم بمدير المستشفى السيد حسين المقدمى وأخبره بأنه سيزور المستشفى بعد صلاة العشاء فى نفس اليوم .

وعندما وصل رجال حرس الإمام إلى مدخل المستشفى قابلهم ضابط المستشفى محمد العلفى ومنعهم من الدخول خشية إزعاج المرضى ، وأفهم أن تلك أوامر الإمام الذى كان قد وصل فعلا داخل المستشفى .

أحكم الضابط محمد صالح العلفى إغلاق الباب الخارجى للمستشفى ، ثم اتجه الضباط الثوار الثلاثة إلى الإمام الذى كان قد دخل إلى جوار غرفة التبريد وأطفأوا أنوار المستشفى وقال العلفى للإمام (هذا الفرس وهذا الميدان ياعدو الشعب) .

وكان العلفى يستخدم بذلك نفس ألفاظ الإمام الذى هدد بها الشعب عندما عاد من روما . وما إن أنتهى العلفى من إسماع هذه العبارة للإمام حتى انهال بالرصاص على رأس الإمام وصدره وسائر جسده فسقط على بحر من دمائه لا ينطق بكلمة ، ولا يتحرك بنفس ، فظن الثوار أنهم قد أجهزوا عليه وقتلوه وعندئذ داس العلفى بنعله رأس الإمام الذى لم يتحرك . خرج الثوار الثلاثة من المستشفى وقد أشفوا غليلهم بقتل الإمام وليكن بعد ذلك ما يكون .

لكن الإمام الذى أصيب بسيل من الرصاص فى معظم أنحاء جسده وتدفق دمه حتى غطى أرض الغرفة كان يتظاهر للثوار بأنه قد مات ، فخدعهم بضبط نفسه وعدم تحركه وكتمان أنينه حتى تركوه . وعندما دخل حرس الإمام ورجاله إلى المستشفى تحرك الإمام وسط بركة من دمائه ، فأسرع الأطباء إلى معالجته ، كما أسرع الضابط محمد صالح العلفى إلى الانتحار وتم القبض على الضابطيين الآخرين عبد الله اللقيه ومحسن الهندوانه .

وعندما أطمأن البدر على حياة والده وصل من روما بعد ثلاثة أيام وطلب أطباء من إيطاليا وروسيا وألمانيا الغربية ، وكان أطباء الحديدة قد أسعفوا الإمام ونقلوا إليه الدم الذى أحضره من عدن . وقرر الأطباء نقل الإمام إلى تعز وهو فى حالة خطيرة لا تسمح باستخراج الرصاص من جسده .

ألقى البدر القبض على الكثيرين من الشباب وفى مقدمتهم مدير المستشفى السيد حسين المقدمى ومدير الجوازات الأستاذ محمد رفعت وهما من الزملاء الأحرار الذين كانوا يحضرون الجلسات التى كنت اشترك فيها فى بيت الأستاذ هاشم طالب فى الحديدة .

فى ٨ مايو ١٩٦١ أى بعد حوالى أربعين يوما من محاولة اغتيال الإمام استطاع أن ينطق بصعوبة فوجه خطابا بصوت ضعيف إلى الشعب أذاعه من إذاعة صنعاء حتى ثبت أنه لا يزال على قيد الحياة جاء فيه :

(شعبى العزيز . كم أذاع المذيعون وكم نشر الناشرون وكم كذب الكاذبون وكم نمق المنافقون ، وقالوا وزعموا أن الإمام أحمد يحكم شعب اليمن بالقسوة والحديد والنار .

لقد أردت بهذه الكلمة أن اسمعكم صوتى الذى تعرفونه لما قد روجه أعداء الله من أن الإمام قد قتل أو أنه قد مات أو نحو هذا ، فكونوا على بصيرة من الأمر فإنى بحمد الله فى خير وعافية وبقي شئ من أثر الجراح التى احتسبها عند الله سبحانه وتعالى سيزول فى بضعة أيام ولا نية فى الخروج إلى الخارج للتداوى .

وكان لى مطمع فى أن أزيد من القول ولكنى اكتفيت بهذا الآن . المراد إعلامكم بالحقيقة وأنى فى خير وأن لا تصدقوا أعداء الدين الذين يكذبون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) .

وكان الأمر قد صدر بتشكيل هيئة لمحاكمة الضابطيين الثائرين عبد الله اللقيه ومحسن الهندوانه برئاسة السيد عبد الله عبد الكريم رئيس ديوان الإمام وزوج ابنة الإمام ، وعضوية السيد أحمد زبارة رئيس الهيئة الشرعية وزوج ابنة الأمام ، والسيد يحيى عبد القادر نائب الإمام فى الحديدة ، والسيد يحيى الكبس عضو الهيئة الشرعية ، والسيد على بن إبراهيم أمير الجيش ، والقاضى محسن المحبشى حاكم الحديدة ، والعميد عبد الله السلال مدير ميناء الحديدة . وتولى مهمة المدعى العام السيد أحمد الشامى وزير اليمن فى لندن . ثم أصدرت هذه الهيئة الحكم بإعدامهما الذى تم تنفيذه على النحو الذى سيأتى ذكره فيما بعد .

كان الأحرار اليمنيون المقيمون فى القاهرة مختلفين فيما بينهم بالرغم من أنهم جميعا يسعون إلى إسقاط حكم الإمام أحمد ، فبذلت كل ما فى وسعى حتى أصلحت بين زعيمى الأحرار الأستاذ أحمد محمد نعمان والقاضى محمد محمود الزبيرى ، وإن كنت قد فشلت فى التوفيق بين الأستاذ أحمد محمد نعمان والأستاذ محسن العينى .

انتهت مناقشات الأحرار فى القاهرة إلى إعادة تشكيل الاتحاد اليمنى باستثناء الأستاذ محسن العينى الذى صمم على عدم عضوية الاتحاد متمنيا له كل التوفيق .

وفى مايو ١٩٦١ ثم انتخاب مجلس إدارة الاتحاد من الأستاذ أحمد محمد نعمان رئيسا ، وانتخابى نائباً للرئيس للشئون السياسية ، والقاضى محمد محمود الزبيرى نائباً للرئيس للشئون الداخلية والمهاجرين ، والأستاذ أحمد المعلمى مديراً تنفيذياً لمكتب الاتحاد بالقاهرة ، والأستاذ محمد على الأكوع أميناً للشئون المالية ، والأستاذ هاشم طالب مسئولاً عن شئون الطلبة ، والأستاذ حسن السحولى سكرتيراً للمجلس ، والأستاذ محمد أحمد نعمان سكرتيراً لشئون الإعلام وجنوب اليمن .

وبدأ الاتحاد فى تنظيمه الجديد يتولى مهمة نشر الدعوة إلى الثورة الجذرية . وأخذ يتصل بالسلطات المصرية وممثلى الدول العربية يشرح أحوال الشعب اليمنى وحتمية التغيير فى اليمن ، وكان الاتحاد يضبط نشاطه بالقدر الذى لا يقلق سلطات الأمن فى القاهرة حيث كان جمال عبد الناصر لا يزال محتفظاً بالحد الأدنى من علاقة الاتحاد مع إمام اليمن .

عندما اهتدى الأحرار إلى عقيدة الثورة الجذرية وأمكن التوفيق بين زعماء الاتحاد اليمنى الأولين ، وبعد إعادة تنظيمه بما يحقق تجميع طاقات الأحرار كى تنجح جميع الجهود المخلصة نحو إيقاظ الشعب اليمنى حتى يلتف حول قيادة الثورة التى ، وبعد أن بدأنا نعمل من أجل قيامها بخلع جذور المأساة اليمنية من جذورها ، إذا بى أشعر بتيارات خفية تستهدف هدم ما تم ترميمه فى بناء الاتحاد اليمنى .

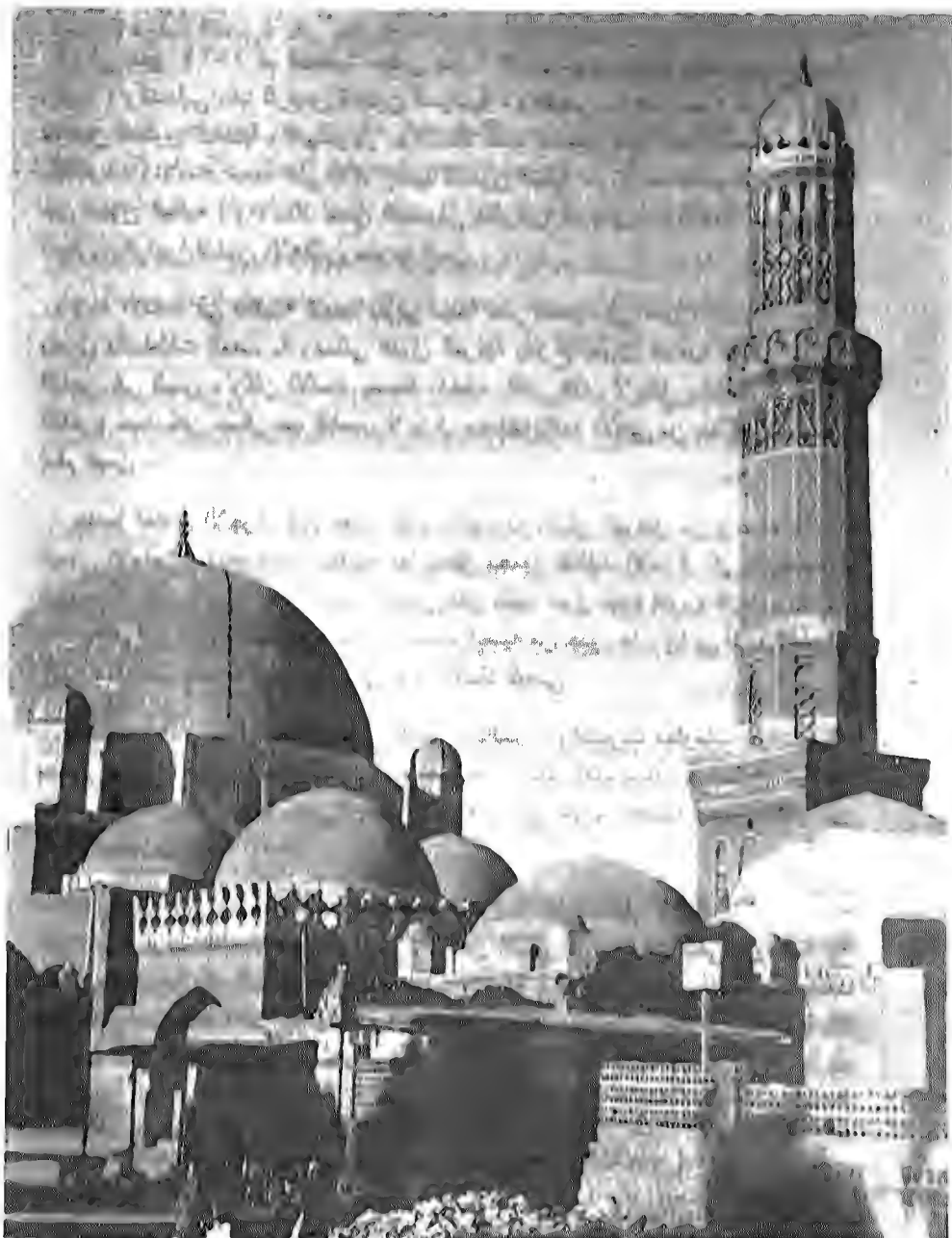
انطلقت أخبار حول اتصال بعض الأحرار بالبدر ، وانتشرت معلومات حول تمسك بعض الأحرار بنظام الحكم الإمامى مع إصلاحه باختيار إمام دستورى صالح . وكانت دهشتى فى ذروتها عندما بلغنى أن هذه الاتجاهات هى النوايا الحقيقية لبعض الكبار من أعضاء مجلس إدارة الاتحاد .

وفى عدن نشرت إحدى الصحف هجوما صريحا على تشكيل الاتحاد اليمنى وقدرته على تمثيل إرادة الشعب مما دفع الأستاذ محسن العينى إلى زيارتى لينفى عن نفسه أية صلة بما نشرته تلك الصحيفة ، وكتب أمامى رسالة إلى رئيس تحريرها الأستاذ محمد على باسراحيل تعقيبا على ما جاء فى ذلك المقال ثم كتب صورة من هذه الرسالة بخط يده ووقعها أمامى وسلمها لى ، وجاء فيها :

(أرجو أن يكون معلوما للجميع أننى لا أكن للصديق الدكتور عبد الرحمن البيضانى إلا كل تقدير ، وأننى لاشيد بوطنيته وإخلاصه) .

محسن العينى

(١٩٦١/٦/١٣) (الوثيقة رقم ١٢)



هَذَا بَلَّغُ النَّاسِ وَلِيُنْذِرُوا بِهِ
وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ هُوَ إِلَهُ وَحْدُ
وَلِيَذْكُرُوا الْأَلْبَابَ

قرآن كريم

الصيحة الكبرى

الفصل السادس



أحزنني أشد الحزن ما علمته من أن بعض الكبار من أعضاء الاتحاد اليمني قد عقدوا فعلاً اتفاقاً مع البدر على تجميد نشاط الاتحاد اليمني في القاهرة مع تصفية فرعه في عدن الذي كان يرأسه الأستاذ محمد علي الأسود .

وكنيت قد سلمت الأستاذ أحمد محمد نعمان نص التقرير الاقتصادي الذي قدمته إلى الإمام قبل هروبي منها ونسخة من مجلة الطليعة التي نشرت حديثي عندما كنت لا أزال في الحديدة ، وسألت الأستاذ أحمد محمد نعمان عن موعد نشر التقرير الاقتصادي والحديث الصحفي في كتاب باسم الاتحاد اليمني بعنوان (إقتصاد اليمن) الذي كان الأستاذ نعمان قد كتب فعلاً مقدمته كما سبق أن كتبت مقدمة كتابي « الاعيب متوكليه » الذي تضمن المحاضرة التي ألقيتها في ألمانيا الغربية .

وجدت لهجة الأستاذ نعمان قد تغيرت وحماسه قد تبدل ، وقال أن القضية اليمنية راکدة وأن ركودها يستدعي أن يتريث الأحرار .

عجبت من أمر ذلك الموقف الذي نزل كسيف الإمام على رقبتى وهزنى من كل أعماق .

كيف ركدت قضية الشعب اليمني ولم يمض على مجازفة الضباط الثوار الثلاثة ، اللقيه والعلفى والهندوانه أكثر من ثلاثة أشهر . وقد انتحر العلفى ، ولا يزال اللقيه والهندوانه يصارعان كل أنواع التعذيب مقيدتين بالأغلال ، تقطع سيوف الإمام لحومهم عسى أن يقول أحدهم ما يرضى البدر فلم ينطق أحدهم إلا بما يرضى الله والوطن والتاريخ .

كتمت حسرتى بين ضلوعى وحرصت على مظهر الاتحاد اليمني المعارض لنظام الحكم في اليمن ، عسى أن يهدينا الله إلى إصلاح جوهره .

صبرت شهراً ونصف ، وبعد أن ذاعت الأخبار عن صلة البدر بالاتحاد اليمني مارست حتى كنائب لرئيس مجلس إدارته للشئون السياسية واستعدت نصوص كتاب « اقتصاد اليمن » من الأستاذ أحمد محمد نعمان وأصدرته باسم الاتحاد اليمني في أغسطس ١٩٦١ وكتبت في مقدمته ما يلي :

أيها الأحرار

منذ بضعة أشهر حتى زميلي وصديقي الأستاذ أحمد نعمان على إصدار كتيب باسم الاتحاد اليمني يعالج مشاكل اليمن الاقتصادية .. ثم مرت الشهور والصديق نعمان يتراجع رويدا رويدا حتى أعلن صراحة وبحضور بعض زملائي من أعضاء مجلس قيادة الاتحاد اليمني أنه لا يوافق على نشر أى شيء في الوقت الحاضر لأن الركود الحالي للقضية اليمنية يستدعى صمت الأحرار ..

أيها الأحرار

استفدنا من دروس الكونغو أن قضية الشعب اليمني نحتاج إلى تعريف العالم بها ، فاليمن مقبله على أحداث ستشابه إلى حد كبير إحداث الكونغو لأنه توجد تيارات عديدة تتنازع فيما بينها داخل اليمن وخارجها ، ولكل تيار أنصار وأتباع ، وليس من المحتمل أن يستقر الأمر بسرعة لفئة معينة عندما ينفجر البركان) .

(فيجب على الاتحاد اليمني أن يسعى إلى توحيد صفوف اليمنيين والقضاء على أسباب تشتت شملهم وبواعث إنصراف البعض عنه حتى تتوحد كلمة الشعب ، فيسد بذلك المنافذ أمام التيارات الأجنبية والأخرى التي لا تمثل قضية الشعب ، وبذلك تنجح قضية الإصلاح بأقل خسائر) .

(لا يجوز أن نستغرق في النوم بينما أحرارنا في الداخل لا ينامون أبدا ، انهم في حاجة إلى أن نشد أزهرهم ، نبرر تضحياتهم ، نشعل نار الوطنية في قلوب أنصارهم ، حتى تتجاوب الأغلبية معهم فتنتج قضية الشعب بأقل خسارة) .

(كذلك لم أفهم أن يصمت الأحرار في الخارج عندما تبدو أحوال الداخل هادئة ، ثم يتحركون عندما يتحرك أحرار في الداخل) .

(لا أفهم ذلك لأننى أفهم أولا وأخير أن عمل أحرار في كل مكان هو تحريك الأحداث وليس انتظار الأحداث) .

ولعل أكثر ما لفت نظر قراء « اقتصاد اليمن » ما نشرته في وسط صفحة كاملة جاء فيها :

(لم يعجبني مسعى البعض إلى مصالحة الحكومة بعد أن وضعوا أنفسهم في مركز القيادة الشعبية) .

كانت هذه العبارة مثارا للجدل الشعبي واستنتج الأحرار في داخل اليمن وخارجها أن زعماء الاتحاد اليمني في القاهرة منقسمون على أنفسهم ، وبدأت تصلني خطابات التأييد التي تحثني على استكمال مسيرة الدعوة إلى الثورة الجذرية وإقامة الجمهورية اليمنية ، مهما صادفت من عقبات وتلقيت من طعنات ، سواء من جانب الأعداء ، أو من جانب الأصدقاء ، الذين تزعموا الحركة الوطنية عندما كانت قاصرة على مجرد استبدال إمام بإمام .

وتنفيذا للمخطط الذي رسمه البعض من خلف ظهري تصدع بنيان فرع الاتحاد اليمني في عدن ، ووصلتني رسالة من رئيسه الأستاذ محمد علي الأسود^(١) بتاريخ ٢٢ سبتمبر ١٩٦١ كان من ضمن ما جاء فيها ما يلي :

(أطلعت على كتيبكم الأول - ألاعيب متوكلية - ولا اعد الحقيقة أن قلت أنه اسم على مسمى وأنه أحسن ما ألف في القضية ولاغربة في ذلك فأنت قد عرفت أكثر من غيرك دخائل أولئك الناس ، وكذا (اقتصاد اليمن) يحوى من الحقائق ما لا يدركها كثير من الناس فأرسلوا حوالى الفين نسخة ، وإذا لزم الأمر بطلب أعداد أخرى سنشعركم) . (الوثيقة رقم ١٣) .

وصلتني هذه الرسالة يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ ، وكانت سوريا قد قامت بالانقلاب على الوحدة مع مصر ، الأمر الذي يؤدي إلى إغراء الإمام بتحدي عبد الناصر ، وكان تقديري لتأثير الانقلاب السوري على أهدافنا الثورية في اليمن ينحصر في أحد أمرين :

إما أن يضعف عبد الناصر في مواجهة إمام اليمن ويتمسك أكثر بالبدر حتى لا تكون مصر معزولة عربيا بعد أن اتضح له تأييد معظم الدول العربية للانقلاب السوري . وفي هذه الحالة سيجد الأستاذ نعمان فرصته الذهبية لتطويع الاتحاد اليمني لتأييد البدر بعد أن يتضح على الملأ وقوف مصر الصريح والمعلن والمؤيد له .

وإما أن يشدد ساعد عبد الناصر في مواجهة الإمام وتقوى عزمته القومية في الساحة العربية كرد فعل قومي لتلقائي للانقلاب السوري المناقض لأحلام الأمة العربية ، وعندئذ يتخلص عبد الناصر نهائيا من عقدة البدر ويفتح أبواب مصر للثورة الجذرية في اليمن لإعادتها إلى الأسرة العربية المتحضرة .

كان واجبي الوطني والقومي أن أعمل على ترجيح الاحتمال الثاني مع عدم إسقاط الاحتمال الأول كلية من الحساب .

ثم بلغني في شهر نوفمبر ١٩٦١ أن بناء ميناء الحديد قد اكتمل والطريق من هذا الميناء إلى صنعاء قد تم ، وتخرج طلبة الكلية الحربية الثوار وتولوا مواقعهم في وحدات الجيش .

(١) وزير شئون الجنوب في وقت لاحق بعد الثورة .

للإنصاف اعترف أنني لم أقل شيئا للأستاذ نعمان ولا للقاضي الزبيرى عما كنت أعرفه وأتابعه وأعمل من أجل نضجه فى اليمن ، كما لم أقل لهما شيئا عن أحاديثى السرية مع أنور السادات التى كانت تنتظرها أذن عبد الناصر .

كنت غير مطمئن إلى اقتناع الأستاذ نعمان بالثورة الجذري ، وهو الذى يتصل ببيتى الحين والحين بالمسؤولين بالمخابرات المصرية يروج لهم فكرة التمسك بالبدر ، وأما القاضي الزبيرى فإنه وبكل تأكيد كان قد تخطى نهائيا عن البدر ولكنه كان مترددا فى اختياره النهائى لبديله ، ولفرط طيبته وحسن ظنه كان لا يكتفم سرا على أصدقائه وهم كثيرون .

فى نفس ذلك الشهر (نوفمبر ١٩٦١) بلغتني أخبار من اليمن تشير إلى أن الإمام قد تدهورت حالته الصحية إلى حد بعيد وأنه يفكر فى استعادة ثقة مصر وزيارتها حتى يأمن جانب الساخطين فى اليمن الذين يلتمسون منها مباركة التغيير الجذرى .

صدمتني تلك الأخبار صدمة شديده لأنها لو صحت وجاء البدر إلى القاهرة لأدى ذلك إلى تمكين الأستاذ أحمد محمد نعمان من فرصة ذهبية كى يثبت وجهة نظره التى كررها على أذان المسؤولين المصريين .

ولم أتوقع من القاضي الزبيرى أن يعارض هذا الاتجاه إذا تشبث به نعمان ورجحته مصر .

لذلك ناقشت هذا الموقف بكل وضوح وصراح مع الأستاذ نعمان والقاضي الزبيرى وطرحت عليهما سؤالا محددا خلاصته أنه إذا كان لا مفر من قبول البدر إذا أيدته مصر أليس من الحكمة الوطنية والقومية أن نطلب منها مواصفات معينة تشترطها عليه من أجل حماية الأهداف الوطنية والقومية التى تبنتها وترعاها ؟

وأقنعتهما بأن نقوم نحن الثلاثة بصياغة وتوقيع خطاب إلى الرئيس جمال عبد الناصر نقترح فيه هذه المواصفات ، وفعلا أرسلنا ذلك الخطاب إلى الرئيس جمال فى ١١ نوفمبر ١٩٦١ .

وافق عليه الأستاذ نعمان لأنه اختار بنفسه صياغة بعض البنود التى اعتقد من جانبه أنها تفيد ضمنا اتفاقنا على تأييد البدر .

ووافقت عليه من جانبى لأننى اخترت بنفسى صياغة البنود الأخرى التى اعتقدت أن تفيد صراحة رفضنا للبدر .

ووافق القاضي الزبيرى عليه لأنه جمع بين ما اختاره أحمد نعمان وما اختاره عبد الرحمن البيضاني .

جاء في خطابنا المشترك إلى الرئيس عبد الناصر أنه (المؤكد المعروف هو أن الإمام يكره الجمهورية العربية بينما يقف البدر منها موقفا عائما ، فهو يؤيدها أمام أنصارها من الوطنيين المصلحين اليمنيين ، كما يلعنها أمام أعدائها الرجعيين الفاسدين . وكما يقال أنه يتخذ هذه السياسة ليأمن جانب الرجعيين حتى يستتب له الأمر فإنه يمكن القول أيضا إنه متردد مذبذب لا يؤمن جانبه) . ثم أضفنا أن (النظام الإمامي في اليمن يعتمد على التفرقة العنصرية ولا يقبل أية مساواة بين المواطنين ولذلك فإنه طليعة حرب على القومية العربية ومبادئها التي تستلزم المساواة بين أبناء الشعب) . (لذلك نعتقد أنه يجدر بالجمهورية ألا تمنحه صك الغفران وقبلة البركة دون مقابل ودون ضمان . أما المقابل فلا يقل عن تنفيذ مبادئ القومية العربية وأخصها إعلان المساواة بين عناصر الأمة وطوائفها والبدائية الحقيقية للإصلاح الإقتصادي والاتفاق على تطوير الاتحاد القائم بما يحقق الوحدة الشاملة في المستقبل وأما الضمان فلا يقل عن اشتراط إحاطة البدر بأشخاص أكفاء مؤمنين بالمبادئ المذكورة ليقوموا بتنفيذها) .

القاهرة في ١١ نوفمبر سنة ١٩٦١

أحمد محمد نعمان محمد محمود الزبيري عبد الرحمن البيضاني
(الوثيقة رقم ١٤)

عندما قرأ جمال عبد الناصر رسالة الاتحاد اليمني بتوقيع الأستاذ نعمان والقاضي الزبيري وتوقعي بدأ يعيد النظر في موقف مصر من البدر بعد أن وصفه نعمان الذي كان يعمل لحسابه بأنه (يعتمد على التفرقة العنصرية ولا يقبل أية مساواة بين المواطنين) وأنه لذلك (يعتبر طليعة حرب على القومية العربية ومبادئها التي تستلزم المساواة بين أبناء الشعب) .

ولا شك في أن جمال عبد الناصر كان في حيرة من أمره عندما وجد توقيع الأستاذ نعمان على رسالة تؤكد أن الإمام يكره مصر وأن البدر يؤيدها أحيانا أمام أنصارها ، ويلعنها دائما أمام أعدائها ، وإن وجود البدر في معسكر القومية العربية يمثل نقطة ضعف تعرقل انطلاق ثورتها الصريحة .

كانت هذه الرسالة بمثابة قنبلة نسفت ، كل ما كتبه الأستاذ نعمان مؤيدا للبدر ومروجا لبيعته ومدافعا عنه أمام جمال عبد الناصر ولدى المخابرات المصرية حتى ذلك التاريخ . وعندما التقيت بأنور السادات بعد أن اطلع جمال عبد الناصر على تلك الرسالة هنأني قائلا (كسبت الجولة يا عبد الرحمن . لقد شهد لك شاهد من أهلها) ثم أوضح لي أنه يرجح أن يكون جمال عبد الناصر قد بدأ في إعادة حساباته مع البدر وأصبح يشك في عقلية وسلوك زعماء اليمن التقليديين ، وإنه لن يأخذ بعد ذلك بنصائحهم ، ليس بسبب توقعهم على تلك الرسالة فحسب وإنما كنتيجة حتمية لسيل المعلومات التي أخذت تتدفق عليه من داخل اليمن تؤكد اشتعال السخط الشعبي على نظام الحكم الإمامي ، فضلا عن الرسائل العديدة التي أخذ اليمنيون يسلمونها سرا إلى السفارة المصرية في صنعاء ينتقدون فيها استمرار مصر في الحفاظ على الاتحاد الوهمي والشكلي مع الإمام وحكومته ، علاوة على ضعف البدر الواضح الذي لا يحتاج إلى برهان .

تنفست الصعداء عندما أبلغنى أنور السادات ذلك لأننى كنت ، وبكل عقلانية وواقعية ، أعتقد أن إقتناع جمال عبد الناصر بالثورة الجذرية فى اليمن هو نقطة الإنطلاق والوثوب إليها ، لأنه :

أولا : يفتح لنا مجال الصحافة والإذاعة من القاهرة لإعلان الدعوة إلى الثورة فى اليمن مع نشر العقيدة التى تقنع الجماهير اليمنية بالثورة الجذرية .

ثانيا : يودى إلى اطمئنان الاحرار الثوار فى اليمن إلى مساعدة مصر السياسية والعسكرية عند قيام الثورة .

ولامجال للكذب أو المبالغة بادعاء القدرة اليمنية الذاتية على القيام بثورة جذرية لا تستند سياسيا وعسكريا على مصر وسيأتى شرح ذلك فى موضعه فى هذا الكتاب إنشاء الله .

ثالثا : يجعل فى مقدرننا أن نستعين بمصر ونحن نستكمل حاجة الثوار فى اليمن إلى الأسلحة والذخيرة اللازمة للقيام بالثورة .

شرح الله صدرى ويسر أمرى بما أبلغنى به السادات وجعلنى أطمئن إلى أنه سبحانه وتعالى سوف يحل عقدة من لسانى ، الذى احترق شوقا إلى صحافة القاهرة الساهرة وإذاعتها القومية الثائرة .



نصحنى السادات بأن أحافظ على علاقاتي مع زعماء الأحرار القدامى ما أمكننى الحفاظ عليها ، لأطول فترة ممكنة ، لعلهم يندمجون بمرور الوقت مع الدعوة إلى الثورة الجذرية الجمهورية ، وينسون البدر ولا يبحثون عن مرشح إمامى آخر ينتظرون منه الإصلاح على يديه . قلت أن أحدا لا ينسى دورهم الوطنى فى معارضة الإمام يحيى ثم معارضة الإمام أحمد ، وقد أفنوا زهرة شبابهم دفاعا عن حقوق الشعب ، ولعلهم قد بدأوا حياتهم نطفة فى رحم النظام الإمامى ، ثم رضعوا من ثديه الكهنوتى ، وعاشوا طفولتهم بين أحضان المقدسة ، وتأصلت فى نفوسهم طقوسه العنصرية ، وتقاليد الطائفية ، ولذلك فإنهم لا يتصورون سقوطه ويكتفون بأن يسرحوا بخيالهم فى مجرد إصلاحه .

هكذا حاولوا .. وهكذا فشلوا .

أوضحت للسادات أن الجيل الثانى من أحرار اليمن يؤمن بالثورة الجذرية ويتطلع إلى قيام الجمهورية ، وأعدت عليه تلاوة ما جاء فى رسالة الأستاذ محمد على الأسودى رئيس الاتحاد اليمنى فى عدن الذى سعى الأستاذ نعمان إلى خلعه وتنصيب الأستاذ على محمد الأحمدي بدلا منه . وقرأت عليه رسالة أخرى كانت قد وصلتني فى نفس ذلك اليوم من الأستاذ على محمد الأحمدي^(١) مرشح الأستاذ نعمان وصفيه وكاتم سره وخليفه ، ومؤرخة فى ٢٣ نوفمبر ١٩٦١ وحملها لى من عدن الزميل محمد قائد سيف جاء فيها :

(أكتب لكم أيها الأخ الكريم هذه الرسالة وأنا أحمل لكم من المشاعر أسماها ومن الود والتقدير والأعجاب ما لا أستطيع التعبير عنه ، لأننى بدأت أشعر بالثقة والأمل بمجرد إعلانكم الصريح الثورة ضد الطغيان ، وأدركت أن حركتنا قد كسبت بكم طودا من الأطواد وعملقا من عمالقة الفكر ومخططا إقتصاديا ثوريا لا يمكن أية حركة اجتماعية إقتصادية وسياسية أن تنجح بدونه . ومع ذلك فلم أحاول إظهار اغتباطى أو الإفصاح عن مشاعرى نحوكم لأننى كنت أنانيا حقا ، أريد أن لا يشاركنى فى سرورى وإرتياحى بكم أحد حتى أنتم مصدر كل ذلك بالذات .. ودائما أشرح للأخوان هنا بعدن عن كسب الحركة بوجودكم .. حتى بلغ بى الحماس فى بعض الحالات إلى القول إذا كان لى غرض فى القاهرة أى غرض فهو زيارة الأخ الدكتور عبد الرحمن البيضانى .. اطلعت بمزيد من الاهتمام على كتابكم الممتاز (إقتصاد اليمن) الذى ترقيبت صدوره بفارغ صبر .. إنكم بالفعل تساهمون فى تحريرنا وتحرير بلادنا بأسلوب هو أسلوب العصر ..)

(١) عضو مجلس السيادة عند قيام الثورة

(أرجو أن تعتبروا أنفسكم جنوداً مجندين لقضية عادلة لم يعرفها العالم الخارجي المعرفة الكاملة الحقيقية ، وأن تتحملوا في سبيل ذلك كل عناء وكل عناء سواء صدر لكم من الخصوم أو من الأنصار والرفاق ، لا يمكن أن يعوقكم عن تأدية رسالتكم أى عائق مهما كبر أو صغر ، بل استمروا فى العمل وواصلوا النضال وقلوبنا ومشاعرنا كلها معكم) . (الوثيقة رقم ١٥)

سلمنى الزميل محمد قائد سيف رسائل كثيرة من الأحرار اليمنيين الذين أعربوا عن تأييدهم للثورة الجذرية والدعوة إلى الجمهورية ، كما أبدوا أسفهم لما جاء فى كتابى (إقتصاد اليمن) عن موقف الذين (سعوا إلى مصالحة الحكومة بعد أن وضعوا أنفسهم فى مركز القيادة الشعبية) . ثم أطلعنى محمد قائد سيف على نشاط الأحرار فى اليمن ومن بينهم الزميل عبد الغنى مطهر^(١) ، أحد التجار المقيمين فى تعز .

أوضحت للزميل محمد قائد سيف أننا لا نزال ننتظر نقطة الانطلاق الثورى وهى اقتناع جمال عبد الناصر بالتخلي عن الاتحاد مع حكومة الإمام وما يتلو ذلك من حصولنا على مساعدات سياسية وعسكرية لا يمكن أن تنجح الثورة بدونها . ولذلك طلبت منه أن ينقل وجهة نظرى إلى الأحرار داخل اليمن كى يستمروا فى استعداداتهم التى تعتبر من أهم العناصر التى ترجح جانب الثورة الجذرية فى نظر جمال عبد الناصر ، على أن ينتظروا حتى تتاح لنا فرصة نشر العقيدة الثورية وأهداف الثورة الجذرية كى نفصح أساليب الحكم الإمامى ، ونخلع جذور الخرافات المتأصلة فى نفوس أغلبية الشعب اليمنى فى المناطق الشمالية القادرة على ترجيح نجاح الثورة أو فشلها .

وقلت للزميل محمد قائد سيف أنه لا مفر من أن يكون ترتيب خطواتنا كما يلى :

أولاً : إقناع جمال عبد الناصر بالتخلي عن الإمام والبدل والنظام الإمامى ومساعدتنا على خله من جذوره .

ثانياً : إثارة الشعب اليمنى ضد النظام الإمامى بالضغط على أوجاعه بأسلوب صادق ومؤثر يضغط على جروح أبناء اليمن كى ينتزعهم من غفلة ألف ومائة عام .

ثالثاً : إعلان دستور الجمهورية اليمنية الذى يلتف الشعب حوله .

رابعاً : تنسيق العمل بين الجماعات الثورية المتعددة داخل اليمن فى إطار عمل ثورى موحد حتى تتكامل الجهود ولا تتعارض أو يضرب بعضها بعضاً .

خامساً : استكمال ما يلزم للثوار من أسلحة وذخائر سواء بشرائها من السوق داخل اليمن أو من عدن أو بالحصول عليها من مصر .

(١) عضو مجلس قيادة الثورة ووزير التجارة عند قيام الثورة .

طلبت من الزميل محمد قائد سيف أن يسرع بالعودة إلى عدن ويكلف الزميل محمد مهيوب ثابت^(١) بالسفر إلى تعز لإبلاغ ذلك إلى الزميل عبد الغنى مطهر ليقوم بدوره بإبلاغه إلى الزميل حسن العمرى^(٢) فى صنعاء الذى يعمل هو الآخر على اختزان الأسلحة والذخائر فى بيته ويوزعها على الثوار .

سافر محمد قائد سيف إلى عدن لتنفيذ هذه المهمة ثم عاد إلى القاهرة فى ٢٢ ديسمبر ١٩٦١ وكان الإمام قد أذاع قصيدة ضد الاشتراكية يهاجم فيها شخص جمال عبد الناصر .

فى الواقع لم يكن الإمام فى حاجة إلى إثارة جمال عبد الناصر الذى لم يشترط عليه تنفيذ نصوص الاتحاد الفيدرالى الذى وقعه فى ٨ مارس ١٩٥٨ عندما كان جمال عبد الناصر مجتمعا مع شكرى القوتلى لإعلان الجمهورية العربية اليمنية بين مصر وسوريا فأبرق إليهما الإمام برقية قال فيها (بالله عليكم لا ينفذ المجلس حتى يدخل اليمن فى اتحاد فيدرالى) .

لكن أراد الله أن يسهل على الثوار اليمنيين مهمتهم بعد أن حان قدرهم فأذاع الإمام تلك القصيدة .

دعوت محمد قائد سيف إلى زيارتى فى اليوم التالى كى يحضر إجتماع أعضاء الاتحاد اليمنى الذى كان من المتفق عليه أن ينعقد فى بيتى للإستماع معنا إلى خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى بورسعيد بمناسبة عيد النصر (٢٣ ديسمبر ١٩٦١) . وقبل خطاب الرئيس قلت للمجتمعين أننى أتوقع من جمال عبد الناصر أن يرد فى خطابه على قصيدة الإمام ، وأنه لو تم ذلك لكان فى وسعنا أن نصدر بيانا باسم الاتحاد اليمنى ندعو فيه الشعب اليمنى إلى الثورة الجذرية وإقامة الجمهورية ، ولا شك فى أن السلطات المصرية لن تمنع فى ذلك ، أما إذا مانعت فى نشره وإذاعته فإننا لن نخسر شيئا .

رفض الأستاذ أحمد محمد نعمان هذا الاقتراح ولم يترك فرصة للقاضى محمد محمود الزبيرى لإبداء رأيه ولم يظن الأستاذ نعمان إلى أننى ما كنت أتوقع أن يعلن الرئيس جمال عبد الناصر شيئا من ذلك لولا أننى كنت أعلم ، من قبل ، أن مصر سوف تنهى إتحادها الشكلى مع إمام اليمن . إستمعنا إلى خطاب جمال عبد الناصر ، وهاجم عبد الناصر إمام اليمن بكل شدة .

همست فى أذن محمد قائد سيف أنهنى على نجاح الخطوة الأولى . وكنت قد أطلعتة بصراحة على ما بلغنى قبل أن يلقى الرئيس عبد الناصر ذلك الخطاب . لكنه كعادته فى السيطرة على أعصابه لم يظهر على وجهه أى مظهر من مظاهر الدهشة عندما لاحظ الحزن قد سيطر على الأستاذ نعمان بينما استغرق القاضى الزبيرى فى التأمل .

(١) عضو مجلس قيادة الثورة ووزير شئون المغتربين عند قيام الثورة .

(٢) عضو مجلس قيادة الثورة ووزير المواصلات عند قيام الثورة ثم رئيس الوزراء والقائد العام فى وقت لاحق .

في ٢٥ ديسمبر ١٩٦١ رد الإمام على جمال عبد الناصر ببيان أذاعته محطة صنعاء كان أهم ما جاء فيه ما يلي :

(شعبي العزيز .. أنه لما كان ديننا الحنيف يدعونا إلى عدم التنازع فيما بيننا والاهتمام بشئون عامة المسلمين .. ولما لنا من الزعامة الروحية التي تربطنا بعامة المسلمين ، شعرنا أن المسئولية كما تخص كل فرد من أفراد المسلمين فإنها بحسب شعورنا عظيمة ومضاعفة بالنسبة إلينا ، ولما رأينا من الاختلاف القائم بين بعض إخواننا من رؤساء وملوك الدول العربية الشقيقة .. وجهنا إلى الجميع نصيحة) .

ثم تلى الإمام نص القصيدة التي تضمنت تلك النصيحة باعتباره صاحب الزعامة الروحية التي تربطه بعامة المسلمين .

في اليوم التالي أى في ٢٦ ديسمبر ١٩٦١ أعلنت مصر إنهاء أعمال (اتحاد الدول العربية) أى إنهاء علاقة الاتحاد الفيدرالى مع اليمن . ونشرت صحيفة الأهرام القاهرية في ٢٧ ديسمبر ١٩٦١ أسباب انتهاء أعمال ذلك الاتحاد بقولها

(إنه لا يوجد فى طبيعة أى من الحكومتين ما يجعل قيام مثل هذا الاتحاد أداة سياسية فعالة قادرة على الإسهام فى تطوير النضال العربى .. ومن حيث أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة أقبلت على خطوة الاتحاد العربى تملؤها الآمال بأن تستطيع هذه الخطوة أن تكون أداة فى خدمة الشعب اليمنى وفى خدمة قضايا العادلة ولكن تجارب السنوات الماضية أكدت بما لا يقبل مجالا للشك فى أن الشعب اليمنى لم يستفد من التجربة ..)

هكذا حقق الله لنا النجاح فى الخطوة الأولى وتخلّى جمال عبد الناصر عن الإمام والبدر فكان علينا أن نسرّع بالخطوة الثانية ، وهى نشر الأسباب الحقيقية للمأساة اليمنية حتى نهيب جموع الشعب اليمنى للتخلّى عن نظام الحكم الذى أوجد هذه المأساة .

أوضحت للأستاذ أحمد محمد نعمان والقاضى محمد محمود الزبيرى أهمية الاسراع بعقد المؤتمر الوطنى للأحرار الذى قررت اللجنة الخماسية التى تولت إدارة الاتحاد اليمنى فى عدن أن تعقده فى القاهرة . كما جاء فى رسالة الأستاذ على محمد الأحمدي الذى تولى قيادة هذا الاتحاد بتكليف من الاستاذ نعمان نفسه بدلا من الأستاذ محمد على الأسودى رئيسه المنتخب . (الوثيقة رقم ١٥) .

شرحت للأستاذ نعمان والقاضى الزبيرى أهمية توحيد صفوف الأحرار من خلال ذلك المؤتمر الوطنى المقترح عقده فى القاهرة والذي يجب أن نعمل جميعا على نجاحه فى تحديد الجذور الحقيقية للمأساة اليمنية ، واختيار العقيدة الثورية التى يرى المؤتمر الوطنى أنها تتكفل بالتخلص منها ، وإعلان الأهداف الوطنية والقومية التى يقرر المؤتمر أن يدعوا الشعب اليمنى إلى التمسك بها والعمل على تحقيقها .

اتفقنا على أن نناقش هذا الموضوع في أول جلسه يعقدها مجلس إدارة الاتحاد اليمني . وإن هي إلا بضعة أيام حتى بلغني أن الأستاذ أحمد محمد نعمان والقاضي محمد محمود الزبيرى قد اتفقا على إعلان عزلى من عضوية الاتحاد ، وإنهما بعد أن أعلننا ذلك قاما بإبلاغ السلطات المصرية بأننى لم أعد نائبا لرئيس الاتحاد للشئون السياسية .

ربما أزعجهما إلتفاف الأحرار فى داخل اليمن وخارجها حول الصراحة الثورية أو الوضوح العقائدى الذى تضمنته كتبى « ألعيب متوكليه » ثم « إقتصاد اليمن » مما عبر عما يدور فى نفس كل يمنى حر يتطلع حقيقة إلى مستقبل أفضل .

أو لعلهما بعد عمر طويل أمضياه فى محاولات الإصلاح السطحى قد أدركا أنهما لم يصبحا مؤهلين لقيادة الإصلاح الجذرى .

وأغلب الظن أنهما تصورا أن عزلى من عضوية الاتحاد اليمنى من شأنه أن يحد من نشاطى الثورى والإعلامى .

وكانت النتيجة على نقيض ما دخل إلى ظنهم .

سمحت مصر بأن أكتب ما أشاء فى مجلة روز اليوسف ، وهى المجلة السياسية التى ذاع صيتها فى العالم العربى منذ أن بشرت بالثورة المصرية ، ومهدت لها عندما بدأت تنشر حملة الأسلحة الفاسدة ضد حكومة الملك فاروق محملة إياه المسئولية الكاملة عنها وتلفت النظر إلى ضرورة التغيير الجذرى فى مصر .

قدمنى أنور السادات إلى رئيس تحريرها الأستاذ إحسان عبد القدوس فتفاءلت خيرا عندما قال السادات لإحسان « أوصيك بإحسان بالبيضانى ، فكما بدأنا ثورة مصر من عندك سيبدأ البيضانى ثورة اليمن من عندك إنشاء الله » .



تجمد نشاط نعمان والزبيري وبدأ تاريخ اليمن في إضافة صفحة جديدة من صفحاته ،
يكتبه بلغة العصر الذى كانت تعيشه اليمن سنة ١٩٦٢ .

على الفور نشرت أول مقال فى مجلة روز اليوسف فى ٢٢ يناير ١٩٦٢ وكنت
لا أخاطب فيه شعب اليمن وحده ، وإنما أناشد به الأمة العربية والإسلامية ، وأنىق باب
الضمير الإنسانى ، واضعاً نصب عيني أننى أستميل به جمال عبد الناصر والمسؤولين
المصريين والشعب المصرى العريق كى يهبوا إلى نجدة أهلى وعشيرتى أبناء شعب
اليمن .

والمصريون هم منارة العروبة والإسلام وقلعة الحضارة العربية الحديثة ، لا يختلف
على ذلك منصف .

أهم ماجاء فى أول مقال بعنوان « جذور المأساة »

(إن أخوانى أبناء الشعب اليمنى أصبحت أغلبيتهم الساحقة تصارع من أجل
لقمة العيش الجافة .

وبصراع عنيف يستخلص هؤلاء البؤساء من الأرض ومن الإمام النزر
اليسير الذى يبقى بعضهم على قيد الحياه ، بينما يموت البعض الآخر جوعاً إلى
أن تتبرع الدول الصديقة للشعب اليمنى بمعونة الدقيق وبمعونة الشتاء التى
يستولى الإمام على أكثرها ظلماً وعدواناً ويبيع الباقي منها إلى الشعب الجائع
بأفدح الأثمان .

فى كل عام تزور اليمن المجاعات لعدة أشهر .

بينما الأوبئة لا تفارق اليمن ، الجدرى ، الملاريا ، الحمى الصفراء ،
السل .

وحكومة الإمام لا تحاول مجرد التفكير فى تخليص الشعب اليمنى من هذه
الأوبئة الفتاكة ، بل أكثر من ذلك إنها لا تراعى الأنظمة الدولية بإخطار
منظمة الصحة العالمية كى تسهم فى مكافحتها أو على الأقل كى تخطر الدول
الأخرى حتى تتخذ من جانبها الاحتياطات الوقائية فى أراضيها .

نصف أولاد الشعب اليمنى يموتون قبل سن العاشرة .

وعند الأربعين تتجدد النساء اليمنيات وتخور قواهن من عناء العمل الذى يذهب عائده فى أغلب الأحيان إلى الإمام وأعوانه المرتزقة .

البطالة منتشرة وآخذة فى الإزدياد ليس فقط بين طبقة الزراع وإنما كذلك بين طبقة المثقفين والفقهاء من رجال الدين وموظفى الإمام .

المواصلات بدائية وقد أقام الإمام حواجز مرور على طول الطريق لتدفع السيارات ووسائل النقل الأخرى ضرائب عند كل حاجز حتى بلغ عدد الحواجز على الطريق بين صنعاء وعدن أكثر من أربعين حاجزا ، وبذلك تدفع السيارة أربعين ضريبة بينما طول الطريق حوالى ثلثمائة كيلو مترا .

لا يوجد نظام للتعليم ولا منهاج للدراسة ، ومواد الدراسة تختلف من مدرسة إلى أخرى ، وتتبدل عند تغيير كل مدرس دون هدف أو خطة اللهم إلا منع التعليم وتحريمه مع التظاهر بنشره .

رقعة الأرض الزراعية تنكمش تدريجيا لفقدان أصحابها مصلحتهم فى زراعتها نتيجة لبطش الإمام وأعوانه الذين يستولون على أرزاق المزارعين .

لا يوجد قانون فى اليمن يحدد حقوق الفرد وواجباته وإنما القانون الوحيد هو أمر الإمام الذى تراه وتصيغه حريمه وجواريه وهو فاقد الوعي لإدماجه المخدرات . كما لا يحتاج الإمام إلى محاكمة أحد ممن يريد إعدامهم أو سجنهم مدى الحياة .

مستوى المعيشة يزداد انخفاضا يوما بعد يوم ، وهجرة السكان تتضاعف من حين إلى حين رغم قيود الهجرة التى فرضتها الدول التى يهاجر إليها اليمنيون .

الشعب ساخط ، الجيش والحرس الملكى والشرطة والموظفون متذمرون ، أهل بيت الإمام حريمه وجواريه ، أولاده وبناته ، إخوانه وأخواته ، كلهم وجميعهم ساخطون .

جميع أبناء اليمن محكومين وحكاما ينتظرون تغيير الوضع القائم .

السخط قائم وذائع ومنتشر .

أما أحرار اليمن القدامى فهم يأملون فى تغيير الأوضاع الحالية ، ما فى ذلك شك ، ولكن ليس عندهم تخطيط ثورى سوى المهاترة مع الإمام ، وليس عندهم عقيدة سياسية إقتصادية إجتماعية ، فلم يأتوا بجديد على الشعب سوى الاستزادة من السخط الموجود تلقائيا فى جميع أنحاء اليمن . لم يأتوا بجديد سوى احتراف المعارضة والتمسك بالأساليب القديمة للعمل الحزبى ، حتى

أغلقوا قيادتهم على أنفسهم بدعوى أحقيتهم وحدهم في التصدي للقيادة لأقدميتهم في الكفاح الذي فشل حتى الآن ، فادعوا بذلك ما يدعيه الإمام ونظام الحكم الإمامي الهاشمي من أحقية أهل البيت في الخلافة . لذلك عزلوا أنفسهم عن التطور وعن الشعب مما أدى إلى ظهور قيادات شعبية جديدة .

وقبل أن ندخل في التفاصيل يلزم أن أوضح أنه لا يعنينا مجرد حماية التاريخ في سقوط الحكم القائم الآن ، لأن هذا السقوط الحتمي لا منازعة في حتميته . وإنما يعنينا كيان الوضع الجديد الذي نود أن يؤول إليه الوضع الحالي ، ولذلك يلزم من أجل الوصول إلى الوضع الصالح الذي نسعى إليه أن نؤثر في عناصر الوضع الراهن لأنها مقدمات الوضع المقبل .

من عناصر الوضع الراهن : التركيب الاجتماعي للشعب اليمني ، وبنائه الاقتصادي ، الأمر الذي يعيش في ظله الوضع السياسي الظالم المتخلف .

هذه العناصر هي التي يلزم تحليلها تحليلًا جذريًا أمينًا لإيضاح سيئاتها ومفاسدها ، وخلايا الرجعية الكامنة فيها ، التي تشد المجتمع إلى الوراء كلما تطلع المصلحون من أبناء الشعب إلى مستقبل أفضل) .

وبعد أن أوضحت في ذلك المقال التركيب الاجتماعي والبنيان الاقتصادي في اليمن وشرحت كيف اعتمد نظام الحكم الإمامي على التفرقة العنصرية ، وكيف حصر حقوق السيادة على العنصر الهاشمي وحده الذي لا يزيد عن واحد في المائة من مجموع الشعب اليمني بينما يحرم منها العنصر الثاني من عنصرى الشعب وهو القحطاني (نسبة إلى قحطان جد العرب) السائد في اليمن ، وبعد أن ضربت الأمثال التاريخية والأخرى المعاصرة التي يعاني منها أبناء الشعب اليمني يوما من بعد يوم ، أوضحت الحقيقة التي يعتنقها نظام الحكم الإمامي حيث يعتبر أرض اليمن أرضا خراجية إفتتحها الأئمة بسيوفهم ، كما روى العلامة المقبلي في كتابه « العلم الشامخ صفحة ٣٣٧ » حيث روى أن أحد الأئمة الهاشميين في اليمن قال « اليمن دار كفر إستفتحناها بسيفنا فنصنع ما شئنا كخبير ونحوها » .

ثم قلت في ذلك المقال :

(إن الأئمة الهاشميين في اليمن في حاجة إلى من يذكرهم بالبيعة التي خرج إمامهم زيد كرم الله وجهه يدعو المسلمين على أساسها حين قال : إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين ، وقسم هذا الفء بين أهله بالسواء ورد المظالم ، ونصر أهل الحق ..) .

لقد كان يرسل من ينادى الناس بقوله (أخرجوا من الذل إلى العز أخرجوا إلى الدين والدنيا . فإنكم لستم في دين ولا دنيا ..) .
وتساءلت في ذلك المقال :

(هل خرج أهل اليمن تحت سلطان الأئمة الهاشميين من النذل إلى العز ؟
هل خرجوا إلى الدين والدنيا ؟

الجواب لا .. لا ..

لقد تحول الأئمة الهاشميون من دعاة إصلاح ووحدة عربية وإسلامية إلى
جلادين وطغاة ودعاة تفرقة .

وكل ذلك في حماية شريعة الغاب التي يحكمون بها الشعب دون وازع من
ضمير ولا سند من الدين) .

وفي ٢٩ يناير ١٩٦٢ كتبت في مجلة روز اليوسف المقال الثاني بعنوان « المورفين
يحكم اليمن » شرحت فيه كيف بدأ الإمام قبل ذلك بسبع سنوات في تعاطي حقن
المورفين ، بعد أن أجرى له الطبيب الإيطالي (توفولون) عملية جراحية أصابته بالشلل
في مؤخرة ظهره ، وكيف كان الإمام يصدر قراراته في ظل تأثير المورفين الذي استبد
بمزاجه العام أخطر استبداد .

كما شرحت كيف لا يقدم الإمام على أي قرار إلا بعد حساب الطالع الفلكي . وله في
ذلك معلمون ومستشارون فضلا عن قيام الإمام بنفسه بالحساب وضرب الرمل .

الإمام من مواليد برج العقرب ولا يتحرك إلا في ساعة حلول الشمس بالمريخ الذي
يقول الفلكيون أنه كوكب برج العقرب ، ولا يرتبط الإمام بأى شخص إلا إذا حسب طالع
أولا .

والى جانب إدمان الإمام للمورفين ووقوعه في حبال الكواكب والنجوم كان الإمام
يعانى من عقدة نفسية خاصة ، تلك أنه يرى نفسه قد عاش طوال حياته حبسا في قصره
بين أوراقه في اليمن المتأخرة ، وأنه إذا أراد القيام بأى إصلاح لزم عليه الاستعانة
بغيره ، فينال ذلك من كبريائه ، وحتى إذا تغاضى عن كبريائه فإنه لن يعيش حتى يرى
ثمار الإصلاح وقد بلغ من العمر أكثر من سبعين عاما .

لذلك كان الإمام يقول قوله المأثور « أتم البورى حتى ثم شالط على مالت » أى يتم
الإمام أخذ أنفاس البورى (الشيشة) ثم بعد ذلك يقع ما يقع .

والمعنى أنه يفعل ما يشاء في حياته للتمتع بها بكل وسيلة وهذه الوسائل لا تخرج عن
مجرد إرضاء غروره وكبريائه .

وبعد أن يموت تحترق الدنيا ومن عليها بمن فيهم أهله وولده .

إنه يعتبر المستقبل تركة ، وهو لا يريد أن يترك تركة تفيد الشعب أو من يأتي من
بعده ولو كان إبنة البدر .

انتشرت هذه المقالات داخل اليمن وخارجها وكانت بمثابة الناقوس الذى دق للشعب
ساعة الخلاص من المأساة .

أخذت رسائل الأحرار الثوار تنهال على عنواني بمجلة روز اليوسف تشدد من أزرى وتقوى من عزمي وتعطيني المزيد من الأخبار والمعلومات لنشرها وإذاعتها ، فتبينت أننا نجتاز الخطوة الثانية بنجاح وتوفيق من عند الله جلّت قدرته .

وبينما كنت في حماس الكتابة بلغني أن الأحرار القدامى بدأوا يتهمونني بالعنصرية ، وبأنني أدعو إلى التفرقة العنصرية عندما دعوت إلى العدالة والمساواة بإسقاط الإمتيازات الهاشمية ، التي يقوم على أساسها نظام الحكم الإمامي الهاشمي في اليمن . ونسوا أنهم هم بأنفسهم الذين سبق أن زودوني بوثائق ادانته الحكم الهاشمي الذي يعتمد على التفرقة العنصرية والتي سبق نقلها عنهم في هذا الكتاب .

لذلك نشرت ردى على الأحرار القدامى في مجلة روز اليوسف يوم ٥ فبراير ١٩٦١ وكان أهم ما جاء فيه أنه :

(عندما أتعرض للحكم الهاشمي في اليمن فإنني لا أدعو إلى تفرقة عنصرية بين أبناء الشعب والهاشمين .

فهذه التفرقة موجوده فعلا وهي أساس الحكم الهاشمي نفسه ، ولا يمكن للشعب أن يصل إلى المساواة والعدالة الاجتماعية إلا إذا تكتل ليواجه هذا الظلم الاجتماعي .

والشعب لا يكتل إلا إذا خلقنا له رأيا عاما وعقيدة جماعية نستلخصها له من شعور أغلبته الساحقة ، ومن واقع حياته ، ومن ضمير العدالة الذي ففده الظالمون الطغاه .

ولم يتفق الكتاب الذين كتبوا عن اليمن على أمر أكثر من اتفاقهم على بشاعة التفرقة العنصرية ، التي من أجل المحافظة عليها مزق الحكام الشعب وأفقره وأماتوا مقوماته ، حتى أصبح الشعب بأسره - الهاشميون وغير الهاشميين - ضحايا لسياسية إفقار اليمن وعزلها عن الحضارة ، فتحول أفراد الشعب إلى هياكل ادمية وبقايا أمة مزقتها الأحقاد الموروثة بأمر الحكومة ، وبعثرتها الشكوك المتبادلة باسم الدين .

جاء في كتاب « التاريخ الاثم » بقلم الأستاذ محمد أحمد نعمان صفحة ٦ « أن اليمن منذ بداية القرن التاسع الميلادي تعيش وهي مسرح للحروب الطاحنة التي أثارها الدعوه العنصرية الرامية لحصر حق السلطة في السلالة الهاشمية . وقد شملت هذه الحروب المتلاحقة كل أجزاء اليمن ، وأثارت الأحقاد بين القبائل في كل منطقة من المناطق » .

وجاء في كتاب « معارك ومؤامرات ضد قضية اليمن » للأستاذ محسن العيني صفحة ٧٠ (تاريخ اليمن خلال هذا الحكم الهاشمي ما هو إلا صراع وحروب أهلية يزكيها الأسياد بالاحاديث النبوية والايات القرآنية الكريمة ،

يستباحون بها الدماء وينتهكون الأعراض وينهبون الأموال ، إلى أن قال :
ويكفى لفساد هذا النظام أنه يقوم على التعصب السلالي والعرقى والمذهبي
والقبلي ، وهى كلها أمور أثبتت على مر التاريخ أنها لا تتفق مع كرامة
الإنسان كإنسان ولا مع رخاء الشعوب واستقرارها .

ويمضى الأستاذ محسن العيني فى كتابه قائلا (ويبدو أن الإنسانية فى
تاريخها الطويل لم تشهد نظاما بشعا كهذا ، يحل الحروب الأهلية والقبلية ،
وأن يقتل المواطنون بعضهم بعضا دفاعا عن نزوات هذا أو ذاك من المضللين
الدجالين ذوى الأغراض والأهواء ، بل ويحل أن تقتل العائلة فيما بينها . وأن
يقتل الأخ أخاه ويذبحه ذبحا ، ويجرى كل هذا باسم الإسلام المفترى عليه ،
وباسم محمد بن عبد الله وعلى بن أبى طالب ، عليهما صلوات الله وسلامه .)
هذا إلى جانب ما سبق ذكره بأقلام أحرار اليمن القدامى .

ثم ختمت ذلك المقال مستنكرا التناقض الذى سيطر على عقول زعماء اليمن القدامى
فكتبت :

« ينكرون أن فى اليمن تفرقة عنصرية .. وأنها من نسج خيالى وأنى أريد
قلب الأوضاع .

يصدقون أنفسهم ..

ولهم كامل الحق .. والعذر ..

لعلمهم يرون ما يجرى فى اليمن الان امرا عاديا لا يستحق أن يثير دهشة
أحد ، فهم قد نبثوا فى أحضان هذه الأوضاع الاجتماعية ، فأصبحت بالنسبة
إليهم أمرا مألوفا طبيعيا لا غرابة فيه .

إننى حقيقة .. أسعى إلى قلب الأوضاع .

لأن الأوضاع فى اليمن قد قلبت منذ أكثر من ألف سنة .

ولا يمكن تصحيحها إلا بقلبها الان كى تعود إلى وضعها الطبيعى .

هذه هى المشكلة الحقيقية للمجتمع اليمنى .

أردنا أم لم نرد .

وأنا لا أجرم الهاشميين جميعا ، فمن بينهم مصلحون يرفضون أن نلقبهم
باللقاب هاشمية كسيدى ومولاي) .

وكان فى ذهنى وأنا أكتب هذه العبارة الزملاء الثوار من الهاشميين بصفة عامة ،
وعلى وجه الخصوص الزميل الثائر السيد حسين المقدمى .

وفى ١٩ فبراير ١٩٦٢ نشرت مقالا فى هذه المجلة بعنوان « حكم شمهورش » شرحت فيه كيف يحكم الإمام اليمن بعد إستشارة النجوم والأرواح والعفاريت جاء فيه :

(عندما يخضع الحكام لقضاء النجوم ، وأوامر العفاريت ، يتسكع المصلحون فى الطريق ، وتذهب الكفريات إلى المقصلة ، ليحكم الدجالون باسم شمهورش .

، هكذا يحكم الإمام اليمن ، فكلما أراد أن يحكم فى أمر ولا يدري ما يفعل ، يعقد جلسة لدراسة أمور الدولة ، لا باستحضار الخبراء والمستشارين وأهل الحل والعقد ، وإنما باستحضار الأرواح والعفاريت ومناجاة النجوم والكواكب السيارة ، يحتكم إليها فى الأمر ويستلهم منها الرشد والصواب .

ويتقرب الانتهازيون إلى الإمام بتصديق هذه الخرافات . بل ويتنافسون على تأكيدها واختراع الحوادث التى ينسبونها إلى الإمام ، كى يستقر فى أذهان العامة أنه يستخدم الجن والعفاريت فى معرفة خصومه ومن يتآمرون عليه ، وأنه يحتمى فى هذه العفاريت من طلقات الرصاص وطعنات الخناجر والأطعمة المسمومة .

والإمام يكافئ من ينسب إليه هذه القوة الخارقة بتعيينه فى مناصب الدولة الكبرى أو يمنحه الهدايا النقدية الثمينة ، أو برفع الضرائب عنه أو بإعطائه تراخيص عقد صفقات الحكومة .)





عاد من اليمن الزميل محمد قائد سيف ومعه حقيبة من الرسائل والأخبار والمعلومات والإقتراحات التي كتبها الأحرار اليمنيون ، كى أصوغها وأنشرها فى مجلة روز اليوسف فاخترنا منها موضوع الضرائب التي يصرخ منها أبناء الشعب . بعد أن قرأت رسالة من أحد المواطنين اليمنيين يحكى فيها قصته مع جنود الإمام .

هزت هذه الرسالة مشاعرى وهيجت ذكرياتى وفجرت الدموع من عيناى ، فكتبت مقالا بعنوان « ضرائب الإمام » وعندما قرأته على الزميل محمد قائد سيف لاحظت على وجه رعشة التأثر أو غضبة الثورة ، وبكاء المظلوم ، لأنه كان يمثل ترجمة ثورية لمشاعر الغضب واليأس والحسرة التي تطفح بها قلوب أبناء اليمن عندما يجلدهم زبانية الإمام وهم يسلبون أموالهم أمام أعينهم ويخطفون قوت يومهم من بين أيديهم ، ولو شاءوا لبقروا بطونهم ينتزعون منها ما نزل إليها ، ثم يدوسون رؤوسهم بالنعال .

نشرت هذا المقال فى مجلة روز اليوسف فى ٥ مارس ١٩٦٢ جاء فيه :

(أنا جائع يا أبى .
لطموا خدى وشربوا اللبن من كأسى .
أوقعوا أمى ونزعوا من فمها اللقمة .
مزقوا ظهر أختى بالسياط كى تدلهم على مكان السمن والعسل والدقيق .
ثم داسوا جدتى تحت أقدامهم وهم يقتحمون علينا الدار .
أطردهم يا أبى .
أخرجهم من بيتنا .

لا .. لا .. قال الأب .. انهم جنود الإمام ، نزلوا ضيوفا علينا بأمره الشريف لأننا عجزنا عن تسليم الأقداح العشرة المفروضة زكاة على أرضنا التي لم تثمر سوى خمسة أقداح ، ذهب معظمهما رشوة إلى موظفى الإمام ، ولم نحصد نحن سوى العرق الذى ينهك قوانا ويبلل جباهنا فيدل الإمام على أننا مازلنا أحياء ختى يفرض علينا زكاة أخرى ، زكاة الأنفس .

هيا بنا ياولادى نترك الدار والأرض . نترك اليمن الإمام .

هيا .. فأرض الله واسعة .

هيا بنا .. نهاجر إلى حيث نعمل ونعرق ، ثم نجد لعملنا أثرا في بطوننا ، ولعرفنا شينا بين أيدينا .

تهاجر الأسرة من اليمن وتترك أرضها بورا ، فتنقل زكاتها بأمر الإمام إلى الأراضي المجاورة فتتضاعف أعباؤها وتكرر الأحداث .. تقتحم البيوت .. يعلو صياح الأطفال .. تنتهك حرمان النساء .. تقعد عزائم الرجال .. ويحدث ما حدث .. صورة منكورة .. قصة مسنمة .. مأساة ليس لها آخر . مأساة الضرائب في اليمن . تستر تحت اسم الزكاة .. وتنفذ تعاليم القراصنة .. يجلدون الظهور باسم الإمام .. يهبون الأموال باسم الدين ..

يخربون البيوت باسم الله . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ضرائب لا تستهدف تدبير الوارد للدولة لتسد نفقاتها في فترة معينة وبحسب خطة مدروسة .. كما يسميها الإقتصاديون ميزانية .. وإنما تستهدف إرهاب الناس وابتزاز أموالهم .

يسميها الإمام إسلاما .. لكنها في الحقيقة قطع طريق .

نعم قطع طريق .

فالإمام لا يعد خطة للإنفاق على قدر الموارد .

وإنما يمتص من الشعب ما يقدر على امتصاصه منه ، ثم يفعل بالموارد ما يشاء ، وكيف يشاء ، واثقا من أنه على كل شيء قدير .

فلا دفاع وطني ..

لأن الإمام لا يسمح بإنشاء جيش منظم حتى لا يحس بوجيعة الشعب فيثور من أجله .

ولا أمن داخلي .

لأن الحكم الإمامي يعتمد في بقائه على الإرهاب ، لا على الأمن ، يريد الإمام أن ينام كل فرد من أبناء الشعب غير أمن على رأسه حتى مطلع الفجر .

ولا قضاء ..

لأن الإمام لا يشبع بطون القضاة حتى يضطروهم إلى قبول الرشوات فتسود المظالم ، وبانتشار الفساد يشيع الانحلال ويحتمى الحكم الفاسد .

ولا منهاج للتعليم .

لأن حكومة الأميين تحفر قبرها بيدها عندما تسمح بتطور العقول وانتشار عدوى الإصلاح .

ولا محافظة على صحة الشعب ..

لأن الحكم المريض المتعفن يدق مسامير نعشه عندما يسمح بالوسائل العلاجية الحديثة ويصرف نظر الشعب عن الاحاجى والتعاويذ والخرافات التى هى أساس هذا الحكم .

إذن ..

على ماذا ينفق الإمام ؟ ولماذا يجنى الضرائب بشراسة ووحشية ؟

وعندما يتأخر أحد الرعايا عن تسليم الزكاة المفروضة عليه يرسل إليه الإمام عددا من هؤلاء الجنود ليحتلوا بيته ، وينهبوا طعامه وشرابه ، ويناموا على فراشه ، حتى ولو كان غائبا ، ويستمر ذلك إلى ما شاء الإمام ، إلى أن يسلم هذا المواطن ما فرضه عليه من الزكاة .

وهو فى سبيل وضع حد لهذه الضيافة الثقيلة يبيع ماشيته أو أرضه وما عليها ويرحل . ويسمون ذلك « التنافيذ » أى تنفيذ أوامر الإمام .

هذه الزكاة ليست الزكاة الشرعية . لأن الزكاة الشرعية هى تلك التى تراعى حدود الله . وتلتزم النصاب الذى أنزله على لسان رسوله . أما هذه الزكاة الإمامية ، فإنها جزافية ، يرسل الإمام مأموره (المخمن) كى يقدر ما ستثمره الأرض بحسب مزاجه ثم يقدر العشر (وهو المقدار الشرعى) ويدونه فى الدفاتر وإذا شكوا المواطن من هذا التقدير أرسل الإمام إليه الكاشف (المفتش) فينزل ضيفا على هذا المواطن بنفس الكرم الذى يتحلى به جابى الزكاة .

وابتكر الحكم الإمامى نظام اخر سماه (الخطاط) وهو أن يأمر قبيلة زيديه لتنتقل بكامل هيئتها وأفرادها ، لينزلوا ضيوفا على صدور أبناء القبيلة المذنبة أو التى لم تسلم الزكاة إلى الإمام . وعند وصول أفراد القبيلة يقسمون أنفسهم على جميع أفراد القبيلة المذنبة . ينامون فى بيوتهم ويأكلون طعامهم بل ويفرضون عليهم حظر التجول بأمر الإمام . ولا تستطيع القبيلة المذنبة المقاومة ، وإلا أرسل إليها الإمام قبيلة ثانية وثالثة أو جيشا من عنده .

وأنشأ النظام الإمامى فى كل مدينة صندوقا سماه صندوق الخيرية يتبع فيه نظام (الصبرة) أى الالتزام ، ويطلق الإمام يد الملتزم فى فرض الضرائب على السيارات ووسائل النقل والسلع التى تصل إلى المدينة .

والمفروض أن تذهب هذه الأموال إلى أعمال الخير لكنها تذهب إلى جيب الإمام .

كما فرض النظام الإمامي ضريبة تسمى ضريبة (الخمس) وهي ضريبة تقدر بخمس قيمة أجرة النقل على جميع وسائل النقل كلما وصلت من جهة إلى أخرى .

كذلك فرض النظام الإمامي ضريبة (النفوس والرؤوس) يفرضها على كل انسان حى فى اليمن ولا يهتم بالوفيات عند حساب الضريبة المقررة .

وهناك ضرائب أخرى كزكاة الأغنام والفضة وما إلى ذلك ، وكلها على منوال واحد ، هو التفتن فى امتصاص دماء الشعب . لا أكثر ولا أقل .

وإلى جانب الضرائب ابتكر النظام الإمامي وسيلة السخرة لقضاء مصالحه . فإذا أراد إقامة بيت أو طريق ، أو أية منشأة ، فإنه يأمر جنوده كى يجمعوا الأمالي المجاورين لهذا العمل ليقوموا به مجانا دون أى أجر ، سوى السياط التى تلهب ظهورهم والقيود التى تشلهم عن الحركة) .

ثم ختمت ذلك المقال بقولى :

(وأخيرا كلمة حق يجب ذكرها فى هذا الشأن :

إن الزيود قد أدركوا حقيقة أن نظام الحكم الإمامي الهاشمي يستخدمهم فقط من أجل تحقيق أغراضه فى غرس الاحقاد والكرامية بينهم وبين إخوانهم الشوافع ، كى يظل هذا الحكم ممسكا برقاب الأمة زيودها وشوافعها .

لذلك أخذ الزيود يتجهون إلى تجريم هذا الحكم كى تعود المحبة بين جميع أبناء الشعب .

الان :

لقد التقى الشعب كله ، زيوده وشوافعه والمتحررون من الهاشميين . وبدأت قبائل الشمال الزيدية ترفع أعلام الإصلاح الثورى ، وبدأ الإمام يقابلها بقطع رؤوس شيوخها . فلا تزال دماء الشهداء الشيوخ حسين بن ناصر الأحمر شيخ مشايخ قبيلة حاشد وابنه الشيخ حميد تذكر أبناء الشعب جميعا بوحدة الأمة ، فى شمالها وجنوبها ، وشرقها وغربها .

لا تزال ترفع علم الوحدة ، وحدة الأمة ، ووحدة المصير ، وإن الضباط الأبطال الشهداء ، العلفى واللقية والهندوانة ، الذين دأبوا الإمام برصاصهم فى مارس الماضى ، كلهم من الزيود .

فأهلا بالوحدة الوطنية ..

أهلا بالثورة الجذرية ..)



وصل الزميل الثائر محمد ميهوب ثابت من عدن يحمل معه مجموعة أخرى من رسائل الأحرار الثوار اليمنيين . وكان الزميل الثائر محمد قائد سيف لا يزال في القاهرة ، وأخذنا نجمع خيوط التنظيمات الثورية التي بدأت تلتقى في اليمن ، وكان من أهم المعلومات التي وصلتنا من اليمن تلك التي أوضحت صلات الزميل الثائر عبد الغنى مطهر مع الضباط الثوار الذين كانوا قد تخرجوا من الكلية الحربية في صنعاء وتولوا قيادة مواقعهم في وحدات الجيش .

ذهبنا معا إلى أنور السادات وعرضنا عليه هذه المعلومات ، وكنا في حاجة شديدة إلى وسائل اتصال سرية تمكن الجماعات الثورية في تعز وصنعاء والحديدة من الإتصال فيما بينها ، ورجونا أنور السادات أن يساعدنا في الحصول على هذه الوسائل من السلطات المصرية .

اقتنع السادات بطلباتنا ووعدنا بإعداد ما يلزمنا .

وفي اليوم التالي طلبني السادات لزيارته ومعى محمد قائد سيف ومحمد ميهوب ثابت ، وعندما التقينا به أبلغنا بأنه قد حدد لنا موعدا لزيارة وكيل المخابرات المصرية السيد عزت سليمان حتى يدرس معنا إحتياجاتنا ويلبى طلباتنا التي يمكن أن يلبيها لنا .

كان الزميل محمد ميهوب ثابت مضطرا للعودة إلى اليمن حتى لا ينكشف أمره في القاهرة ، فذهبت مع الزميل محمد قائد سيف إلى مبنى المخابرات المصرية في كوبرى القبة والتقىنا بالسيد عزت سليمان . شرحنا له موقف الأحرار الثوار في اليمن وكميات الأسلحة والذخائر التي أمكنهم تدبيرها مقارنة بما لدى جنود الإمام من أسلحة وذخائر يمكن للثوار أن يستولوا عليها ساعة الصفر .

إستمع عزت سليمان إلى شرحنا المستفيض ، ثم قال إنه غير مقتنع بإمكانية قيام ثورة في اليمن ، علاوة على أنه إذا أعطانا أجهزة اتصال ووزعناها على مجموعات تعز وصنعاء والحديدة فإن الإمام في وسعه أن يلتقط إشاراتنا ، ويتعرف على أماكننا ويقبض على أصحابها ، وأنه إذا لم يكن عند الإمام الخبراء الذين في وسعهم التقاط هذه الإشارات فإن الانجليز في عدن يلتقطونها ويبلغون الإمام بها .

انصرفنا من مكتب عزت سليمان ، وأثناء توديعه لنا بالقرب من باب المصعد مال على الزميل محمد قائد سيف وهمس في أذنه بكلمات عرفت فيما بعد أنه دعاه بها إلى زيارته في صباح اليوم التالي علي أن يجيء إليه وحده . استشارني الزميل محمد قائد سيف ماذا يفعل ؟ هل يذهب إليه أو يمتنع ؟ قلت إننا لن نخسر شيئاً إذا ذهب إليه بمفرده وإنما سوف نكسب معرفة ما يدور في رأسه حتى نضعه في حسابنا ونحن نخطط للثورة .

في الموعد المحدد ذهب محمد قائد سيف إلى مبنى المخابرات العامة فأوقفوه بالباب نحو عشرين دقيقة حتى تأكدوا من شخصيته وبطاقته واسم الشخص الذي يريد أن يقابله . بعد ذلك تمكن من مقابلة عزت سليمان الذي حاول أقناعه باستحالة قيام ثورة في اليمن وأنه بدلاً من ضياع الجهود في عمل فاشل فإنه يعرض عليه العمل مع جهاز المخابرات فيشارك مع غيره من عناصر المخابرات المصرية في عدن في نفس منشآت البترول البريطانية هناك ، باعتباره من المقيمين عادة فيها وبأحبذا لو أمكنه تجنيد بعض الأحرار اليمنيين لهذا العمل القومي .

بعد أن أكمل عزت سليمان حديثه قال له الزميل محمد قائد سيف أنه يستغرب كيف يطلب منه أن يقوم بهذا العمل في عدن بينما أبقاه حراس مبنى المخابرات على الباب نحو عشرين دقيقة ، وهم يعلمون أنه من المتوقع أن تكون عيون المخابرات الأجنبية ترافق زوار المخابرات المصرية ، وتساءل لماذا لم يحافظ عليه عزت سليمان في القاهرة بينما يطلب منه القيام بهذا العمل الفدائي في عدن ؟

ثم شرح له محمد قائد سيف وجهة نظره في الثورة اليمنية قائلاً أنه يتبع مخططات مدرسة عبد الرحمن البيضاني التي تعمل من أجل تحرير اليمن الطبيعية كلها من الحكم الإمامي في الشمال والحكم الاستعماري البريطاني في الجنوب وأنه يرى كما يرى عبد الرحمن البيضاني إنه لا يمكن تحرير جنوب اليمن من الاستعمار البريطاني إلا بعد تحرير شمالها من النظام الإمامي المتحالف مع هذا الاستعمار .

وأكد محمد قائد سيف حتمية قيام ثورة في اليمن ، واعتذر عن مجرد القيام بأعمال نصف وتخريب تؤدي فقط إلى مجرد إزعاج الإنجليز وكشف تحركات ثوار اليمن في عدن .

إنصرف محمد قائد سيف وجاءني يحكي هذه القصة فذهبنا معا إلى أنور السادات الذي أبدى أسفه الشديد على ما جرى ووعدنا بإبلاغ الرئيس عبد الناصر بما حدث . وفي اليوم التالي أخبرنا بأنه سوف يتولى شخصياً جميع إتصالاتنا بمصر بناء على تعليمات جديدة من الرئيس عبد الناصر . ثم اعتذر لنا عن عدم إمكانية تزويدنا بوسائل الاتصال الحديثة اللازمة بين التجمعات الثورية في اليمن ، ونصحنا بمواصلة الاتصال بوسائلنا التقليدية التي تتوفر فيها عوامل الضمان ولو كانت على حساب عوامل السرعة .

شرح محمد قائد سيف للسادات الآثار الإيجابية التي أوجدتها مقالاتي في مجلة روز اليوسف التي أصبحت تباع بأضعاف ثمنها في السوق السوداء في عدن ، وكانت إدارة المجلة قد خصصت عشرين ألف نسخة للتوزيع هناك وهي لا تكفي لإلحاح الطلب عليها ، فوعد السادات بأن يوصي الأستاذ إحسان عبد القدوس بزيادة الحصة المقررة لعدن ، وفعلنا ذهب محمد قائد سيف لزيارة إحسان عبد القدوس الذي استجاب لطلبه بناء على توصية السادات .

أثناء ذلك وصلتني رسالة من أحد المواطنين اليمنيين يشرح فيها قصة تنفيذ حكم الإعدام في والده .

قرأت هذه الرسالة فضاعفت حزني على شعب اليمن الذي كان بعض كبار المسؤولين المصريين لا يزالون يحلمون بإصلاحه من خلال صداقتهم الشخصية مع البدر ولي العهد الذي أفرط في استمالتهم إليه ، ولا يثقون في إمكانية قيام هذا الشعب بالثورة على مأساته التي ليس لها مثيل في التاريخ ، فكتبت مقالا صورت فيه كيف يذبح الإمام المصلحين من أبناء شعبه ونشرته في مجلة روز اليوسف في ١٩ مارس ١٩٦٢ . جاء فيه :

(أمى ..

أوقفى دمعك الحزين ..

الذى ذهب بعينيك حتى كدت ترين الدنيا ظلاما ، والناس أشباحا ، والحياة ذكرى .

ارفعى رأسك المهموم المحموم الذى يكاد يلتصق بالأرض من فرط الحسرة والكمد ، ومن هول الحزن والألم والبكاء .

دعى يا أمى هذه الذكرى التى تعتصر الحشا وتزهق الروح ، أو تذيب لفائف القلب .

لا .. لا .. يا ولدى .. قالت الام ..

أنسيت يوم أن قيد الجلادون يداى خلف ظهري ؟ ساقونى إلى وسط الميدان ، أزاحوا الحجاب عن وجهى .

رفعوا رأسى ..

ثم فتحو جفونى كى أرى أباك الشيخ وهم يذبحونه من قفاه .

أرأيت إلى رأس أببك حين تدلت على صدره . وتعلقت على طرف رفيع من أطراف عنقه الهرم ، والجلاد يمعن فى الإبطاء عليه ، كى يزيده ضربات من سيفه إمعانا فى إيلاسه ، لأننا عجزنا عن إعطائه هديته المقدرة ليدق عنق أببك دقة واحدة فلا يطيل عليه العذاب ؟ أرأيت إليهم يحملون رأس أببك تقطر دما وهم يقدمونها إلى الإمام ؟

حتى إذا نظر إليها علقها على شجرة من أشجار الميدان لتزورها الحشرات وجوارح الطيور وعيون المارة .

فيهدأ الإمام ..

ويشفى غليله من قطع الرؤوس ، ويروى ظمأه من دماء الشهداء فيطمئن على حكم الأئمة فى اليمن .

أرأيت إلى الناس يبكون أباك سرا .. ويهتفون للإمام جهرا ؟

تهتف السنتهم مضطرة ، وقلوبهم تلعن الطاغوت ، وحكم الطاغوت ، وعزائمهم تلتقي كي تنتزع الفجر من الظلام الذى طال ، وتستخلص الأمل من اليأس الذى تحكم .

تسلل الحكام الأئمة إلى حكم اليمن باسم الدين ، ليقيموا شريعة الإسلام ..

لبسوا العمائم ، أطلقوا اللحي ، علقوا المسابح ، كحلوا العيون ، عطروا الثياب ، أحرقوا البخور ، تمتعوا بالأحاجى والتعاويز ، ثم نفثوا فى العقد ، وعلقوا الأسحار وأدعوا صحبة الجن ، وقالوا أنهم أولياء الله ، ورثة النبى ، وسيوف الاسلام .

فتسلطوا على الأرزاق ، ودقوا مفاصل الأعناق .

وخدعوا الشعب بصكوك الغفران وجوازات السفر إلى الجنة .
ولكن وأسفاه ..

عندما يفتش الباحث عن شريعة الإسلام فى ظل الحكم الإمامى لا يجد لها ظلا ، ولا يعثر منها على أثر .

واجبات على الرعايا وليس لهم حقوق .

عليهم السمع والطاعة ، ولا تقبل منهم مناقشة .

تصدر الاحكام فى المعاملات (المدنية) لمن يدفع للحكام أكثر من خصمه ، وطريق الاستئناف لا ينصف المظلومين وإنما يتخم أعضاء الاستئناف الذين يبنون ثراءهم العريض من أرزاق الضعفاء ويدفعون منها فرائض الإمام والأمراء ، وحاشية الإمام .

حتى إذا خرجت أحكام الاستئناف أخذت تجرى إلى منتهى الطريق ، طريق العرض على الإمام ، كما يسمونه النظر الشريف ليثرى الإمام وحاشيته ، مرة بعد أخرى.

أما أصحاب الحقوق من الضعفاء المظلومين :

فليس لهم من حول أو طول ، إلا التوسل والضراعة وتقبيل الأقدام وتراب الأقدام كما تجرى العادة فى اليمن ، وهذه وسائل لا ترجمة لها فى السوق عند الحكام ولا أثر لها فى العرض والطلب ولا تقاوم إغراء الهدايا المعلومة والفرائض المفهومة .

والأحكام ..

تظل تتأرجح سنين طوالا . كى تفسح المجال الإمامى للمتخاصمين حتى يدلوا بكل ما عندهم من وسائل الدفاع الشرعى فى جيوب الحكام وأعضاء الاستئناف والإمام والأمراء وسماسة أولئك وهؤلاء .

أما إذا أفلس أحد المتخاصمين أو توقف عن الدفع ، فهذا بمثابة تسليم منه بحق غريمه ، وعندئذ يتولى الحكام رفع يد هذا الغريم إعلانا لفرزه وإشهارا لانتصاره ، كما يفعل الحكام فى حلقات الملاكمة والمصارعة .

ويتبع القضاء الجنائى نفس الأسلوب ..

مع نوع من التمييز ..

ذلك أنه لكل حاكم وموظف كبير وصاحب عمل الحق فى أن يحبس من يشاء ويجاد ، ويقيد بالأغلال ويربط بالسلاسل ، بذنب وبغير ذنب ، أما إذا أراد أحد هؤلاء إطلاق من حبس فهذا أمر آخر يحتاج إلى موافقة من الإمام الذى لا يتسع وقته لقراءة عرائض المساجين وشكاوى المظلومين .

وهو على كل حال ..

نائم مخدر لا يرد على أحد ، فتنولى ذلك نساؤه وجواريه حتى أصبحت العدالة فى اليمن مهزلة .

هذا هو نظام القضاء فى اليمن ، إنه هو نظام الحكم الإمامى نفسه .

يلخصه الإمام أحمد فى قوله المأثور المشهور .. « أطيعوا أمرى ولو كان أعوج من ذنب الكلب » .

لم يأت الإمام بجديد غير أنه استصحب شريعة أبائه وأجداده ، شريعة الائمة فى اليمن .

فلا هى شريعة من عند الله . ولا هى قانون يناقشه الشعب فأصبح الأمر فوضى ، والفردوس مقبرة ، وجنات سبأ أرضا قاحلة وشعبا ينام على خوف والطوى .

أصبح قتل الأبرياء أمرا معتادا لا غرابة فيه .

وحبس المظلومين عادة مألوقة لا تثير دهشة أحد . والأمثلة على ذلك لا تعد ولا تحصى ..) .

وختمت ذلك المقال بقولى :

(إن الثورات الإصلاحية الإجتماعية كالدعوات الدينية لا تقوم على أكتاف
الأسياذ ، وإنما تقوم على اكتاف العبيد ، تقوم بسواعد المظلومين ، المتعبين ،
التائهين ، الخائفين أمثال أصحاب النبی ، صهيب وبلال وعمار وخباب ، الذين
ليس لهم مأوى ، ولا ملاذ ، ولا حق ، ولا حرمة .. الذين لا يجدون لقمة
العيش ولا شربة الماء .

فعلى أعناق هؤلاء ينتصر الحق ، وبدمائهم تكتب وثائق النصر ، وعلى
جماجمهم تسير مواكب الحرية .

هذه الحرية التى تسعى إليها القبائل وطلائع الإصلاح فى اليمن .
إنها إقامة الجمهورية .

والعودة إلى شريعة الله التى أهدرها الأئمة السابقون خلال الألف والمائة
عام الماضية ..)



على أثر انتشار دعوتى إلى الثورة واهتزاز دعائم الحكم الكهنوتى وافتضاح الحقيقة التاريخية التى أوهمت الشعب بالخرافات والطقوس الإمامية ، ومع تدهور صحة الإمام ، وتطلع أخيه الحسن إلى خلافته ، استجاب الإمام إلى نصيحة أنصار البدر سواء أولئك الأنصار المتعصبين للنظام الإمامى ، وهؤلاء الأحرار المتطلعين إلى إصلاحه ، فأصدر الإمام بياناً رسمياً للشعب بمناسبة عيد جلوسه الرابع عشر أذاعه من فراش مرضه يفوض به البدر للقيام بالسلطة حال حياته ويخلفه فيها بعد مماته وقال :

(شعبى العزيز .. قد علمتم ما كان بعد مؤامرة الاغتيال من قلق وخوف وتحرك ذوى لأطماع ومحبى الفتنة .

وقياماً بما يجب علينا لأمتنا وشعبنا استخرنا الله سبحانه وأخذنا على الولد البدر محمد بن أمير المؤمنين حجة الله العظيمة وعهده الشديد فى استقامته وقيامه بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونصبناه نائباً عنا بعدنا فى المستقبل إماماً للشعب ودرءاً للفتنة .

وبعد هذا فإننا ندعوكم جميعاً علماء وفضلاء وعقالاً ومشايخ ورعية بدعوة كتاب الله وعدم التفرقة والاختلاف ، ونحملك حجة الله وموآثيقه الشديدة باعتماد هذا والاتفاف حول الولد محمد واعتماد أوامره ونواهيه .

ونحملك حجة الله وموآثيقه ثانياً وثالثاً ورابعاً فى منع كل الاختلاف وعدم الاعتزاز بأقوال أعداء الدين واليمن الذين يحبون أن يدخل العدو والمستعمر إلى بلادهم .

ومن خالف هذا أو حاد عنه فإنه حاقق ناكث مجانب لأوامر الله ونواهيه . واعلموا أن كثيرين من أهل الفساد والطغيان قد برموا من الخلافة الإسلامية وهم يريدون زعزعة مركزها وخذلان القائم بها .

وإننا نحذركم من الاعتزاز بالأقوال الزائفة ولو حسنوها وعظموا أمرها فهى كسراب بقية الظمان ماء حتى إذا جاء لم يجد شيئاً) .

أراد الإمام من هذا البيان أن يقطع الطريق على أخيه الحسن وأنصاره ، ولم يكتف الإمام بإعلان ابنه وليا للعهد بعد وفاته بل حمله بمقتضى هذا البيان مسئولية الحكم نيابة عنه أثناء حياته .

ولعل الإمام قد أراد أيضا أن يقنع الشعب بشخصية البدر وأن يتعودوا على الخضوع لسلطانه في ظل جبروت والده الذى ينقاد له الشعب انقيادا أعمى .

ربما أدرك الإمام أنه فى آخر حياته كان هو بنفسه الجانى الأول على ابنه البدر منذ بداية حياته ، فقد كان الإمام يهزأ به ويسخر منه أمام جلسائه ، ويحتقر قدراته أمام الشعب ، حتى كان يصفه أمام الصحفيين الأجانب بأنه مجرد « منديل يد » وهو ما ذكره Dana Adams Schmidt فى كتابه "Yemen, the Unknown War" فى صفحة ٤٦ .

كذلك أراد الإمام من هذا البيان أن يندد بحكومات الدول العربية والإسلامية ، وفى مقدمتها حكومة مصر العربية مخاطبا أبناء شعب اليمن بقوله « إعلموا أن كثيرا من أهل الفساد والطغيان قد برموا من الخلافة الإسلامية وهم يريدون زعزعة مركزها وخذلان القائم بها » وقد كان الإمام يعتبر نفسه أمير المؤمنين والخليفة على المسلمين .

ولم يستطع الإمام إخفاء قلقه وذعره من مقالاتى فى مجلة روز اليوسف التى انتشرت فى سائر أنحاء اليمن فظهر ذلك الذعر بصفة عفوية فى بيانه المذكور حيث ناشد أبناء اليمن قائلا (ونحلمكم حجة الله ومواثيقه ثانيا وثالثا ورابعا فى منع كل الاختلاف وعدم الاعتزاز بأقوال أعداء الدين واليمن الذين يحبون أن يدخل العدو والاستعمار إلى بلادهم) .

ثم كرر تعبيره عن ذلك الذعر قائلا (وإنا نحذركم من الاعتزاز بالأقوال الزائفة ولو حسنوها وعظموا أمرها) فاعترف أيضا بهذه العبارة بأن الأقوال التى تضمنتها مقالاتى فى روز اليوسف قد استحسنها الشعب اليمنى فأراد الإمام أن يصفها بأنها مزيفة وإنها كسراب بقيعه يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجد شيئا) .

على أثر إذاعة بيان الإمام تجمع بعض الناس يعبرون عن فرحهم للبدر ، كما جرت العادة فى كل مناسبة ، وأقيم حفل كبير فى تعز القيت فيه الكلمات الكبار والقصائد العصماء ، ولعل أبلغ تلك القصائد كانت قصيدة الشاعر على بن على صبره وجاء فيها :

لبيك لبيك عن حب وإكبار	فى عزم جدت فى إيمان عمار
البدر بدر سمانا كيف ندركه	وذاك لولاه فينا ما سرى سارى
البدر إنسان عين الشعب كيف ترى	من دون إنسانها عين لمحتار
البدر حبة قلب الشعب لا قلق	لموضع السر محفوف باستار
فالبدر إن قلت نغزوه سنصرعه	لجا بلج وإعصار بإعصار
وأن تشر للسماء جئنا بأنجمها	مشكولة لك إكليلا من الغار
مر يا محمد إنا جند وحدتنا	وبالحديد سنحميها وبالنار
تالله تالله إن كلت صوارمنا	لننهش بأنياب وأظفار
وليشهد الله أن لن يزحزحنا	عن نصره الحق إغراء لغدار

وكما انتشرت مقالاتي في روز اليوسف ضد النظام الإمامي محذرة من كل حاكم يتولى سلطانه في اليمن على نفس جذور المأساة التي أهلكت الشعب ، انتشرت في نفس الوقت ، في سائر أنحاء اليمن كلمات الخطباء وقصائد الشعراء التي هتفت للبدر وتوعدت الثوار « بالحديد والنار .. والأنياب والأظافر » حتى لا يتزعزع شعب اليمن عن النظام الإمامي وينصرف عن البدر « إغراء لغدار » .

كان لا بد والحال هذه أن أسرع بالرد على بيان الإمام وحفلات تأييد البدر من أجل الحفاظ على الروح المعنوية لدى الأحرار والثوار ، وبالشكل الذي يضيف إليهم الأعوان والأنصار .

فنشرت في روز اليوسف في نفس الأسبوع مقالا بعنوان « صراع الالهة » صدر في ٢٦ مارس ١٩٦٢ جاء فيه :

« أخى ..

لاتعجب .. فهذه سيرتنا منذ أن ولى الأئمة أمرنا ، ليس فيها جديد ، شبح الموت لا يفارق اليمن ، ذبحوا مئات الألوف من أبناء الشعب بغير ذنب ، دفنوا جموعا لا تحصى ولا تعد من أبناء الشعب ، في سجونهم المظلمة وهم أحياء تحت الأرض .

في كل بيت مأمم ، بكل أسرة أرملة ، ومع كل أرملة أيتام ، وليس للأئمة من عمل سوى حبك الأغلال ، صك القيود ، دبغ السياط ، صقل السيوف ، إقامة السجون .

ثم ملئ التاريخ بما تضيق به الانسانية ، وتقشعر منه الأبدان . أما الشعب فلا يملك سوى أن يقدم أبناءه في صراع الالهة الهاشميين وهم يتصارعون على العرش .

إن الذين فروا من سيوف بني أمية ولجأوا إلى اليمن قتلوا أنفسهم بسيوفهم وهم يتنازعون الملك ، حتى إذا فتشنا في تاريخهم في اليمن منذ ألف ومائة عام ، لا نكاد نعثر على إمام مات على فراشه موتا طبيعيا ، كل متنافس هاشمي قتل الآخر إعتقادا منه بأنه أحق بالخلافة ، بصرف النظر عن كفاءته للحكم ، ما دام من أولاد فاطمة .

وإننا إذا نشرنا أسماء الأئمة الذين قتلوا بأيدي بعضهم لضائق صفحات التاريخ على اتساعها ، لكننا نذكر بعض هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر .

الإمام المختار القاسم بن ناصر .. قتل سنة ٣٤٥ هـ فقام ابنه المنتصر محمد بن القاسم وأخذ الثأر لأبيه ، وظلت صنعاء وملحقاتها طوال القرن الرابع الهجري تخضع لمن يغلب من الهاشميين المتصارعين .

الإمام المهدي الحسين بن القاسم .. قتل سنة ٤٠٣ هـ فاعتقد أصحابه (ويقال لهم الحسينية) إنه لم يموت وأنه المهدي المنتظر .

الإمام محمد بن القاسم ... قتل سنة ٤٠٣ هـ .

الإمام أبو الفتح الديلمي .. قتل سنة ٤٤٤ هـ .

الإمام القاسم جعفر بن الإمام القاسم .. قتل سنة ٤٥٨ هـ .

الإمام حمزة بن أبي هاشم .. قتل سنة ٤٦٨ هـ .

الإمام المحسن بن الحسن .. قتل سنة ٤٦٨ هـ .

الإمام علي بن زيد .. قتل سنة ٥٣١ هـ .

الإمام محمد بن الإمام المنصور .. قتل سنة ٦٣٠ هـ .

الإمام المهدي أحمد بن الحسين .. قتل سنة ٦٥٦ هـ .

الإمام المؤيد بالله محمد بن الناصر .. قتل سنة ٩٠٨ هـ .

الإمام محمد بن علي الوشلي .. قتل سنة ٩١٠ هـ .

الإمام الحسن بن علي بن داود .. قتل سنة ٩٩٤ هـ .

الإمام المهدي لدين الله أحمد بن الحسن .. قتل سنة ١٠٩٢ هـ .

٥ الإمام الناصر لدين الله عبد الله بن الحسن .. قتل سنة ١٢٥٦ هـ .

الإمام المتوكل علي الله يحيى بن محمد حميد الدين .. (والدالإمام أحمد) قتل سنة ١٣٦٧ هـ . ومعه ولده الحسين والمحسن .

الإمام الهادي عبد الله بن أحمد الوزير .. أعدم هو وكبار أسرته سنة ١٣٦٧ هـ .

الإمام عبد الله بن يحيى حميد الدين (شقيق الإمام أحمد) .. أعدم سنة ١٩٥٥ م .

الأمير العباس بن يحيى حميد الدين (شقيق الإمام أحمد) .. أعدم سنة ١٩٥٥ م .

وأثناء حكم الإمام الحالي أطلق الشعب عليه الرصاص ووضع له الديناميت في الطريق ثم حاول أبناء الشعب قتله في مارس الماضي حيث أطلقوا عليه الرصاص فخر صريعا على الأرض مضرجا بدمائه ثم أسعفه الطب الحديث ، وأخيرا قرر الأطباء الأمريكيون والأيطاليون والألمان ضرورة قطع رجله وذراعه لخطورتهما على حياته . فرفض الإمام ذلك حتى لا يتشبه بقطاع

الطرق الذين يفرض الدين قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف .. وكأن الله أراد لهذا الإمام أن يقطع يده بيده ، وأن يقطع رجله بسكينه ، ليكون عبرة للتاريخ ونموذجاً لعادلة القدر .

وليس بخاف على أحد أن الإمام يعاني الآن سكرات الموت متأثراً من طلقات الرصاص النافذة ، وبموت الإمام سينضم إلى القائمة المذكورة . وبذلك يفسح المجال كي ينضم إليها أعضاء جدد هما شقيقه الحسن وابنه الأمير البدر ولى العهد فكلاهما يتربص بالآخر ، وكلاهما يبيت أعوانه فى حاشية غريمه .

ذلك لأن لكل أمير منهما أعوانا ، وأعوان الحسن هم معظم المتعصبين من الهاشميين ، لأن الحسن يمثل الرجعية المتعصبة فى اليمن ، والهاشمية المستميتة المتحجرة ، المتشبثة بالتفرقة العنصرية كى تحتفظ بجميع امتيازاتها العنصرية التى اغتصبتها عبر القرون السحيقة .

أما البدر ولى العهد ، فقد انفض الناس من حوله ، بعد أن سلم معظم أنصاره إلى السجون والمقاصل والتشرد خوفاً من الإمام وخضوعاً للمتعصبين من الهاشميين ، ولم يبق مع البدر سوى يحيى حرثى .

ذلك الضابط اللحجى الذى هرب من سيطرة الإنجليز فى لحج مع كامل جيشه ومعداته ليشترك مع جيش الإمام فى تحرير الجنوب اليمنى فأستولى الإمام على أسلحة الجيش اللحجى وشرّد أفراداه .

واستولى البدر على قائد ذلك الجيش يحيى حرثى وتزوج من ابنته ذات السنين التسع ، ثم سلم البدر زمام أمره إلى المذكور ، وكفى الله المؤمنين القتال .

انفض الأحرار من حول البدر بعد أن تثبتوا من أنه غير مصر على الكفاح ، ولا متشبث بالنصر ، ولا مستميت من أجل تحقيق أهداف الأمة .

هذا هو صراع الالهة فى اليمن .. لم يجن الشعب منه سوى العذاب والجحيم .

هكذا منذ ألف ومائة عام .

وأئمة اليمن يدعون القداسة ، يعتبرون أنفسهم فوق مستوى البشر ، وفوق شريعة الله ، أمزجتهم أوامر إلهية ، نزواتهم إرادة ربانية ، وسقطاتهم رحمات بالبشرية .

ولو أن الأمر قد اقتصر على ذلك لهان الخطب على اليمن ، فقد كانت فى الجاهلية الهة لا تضر ولا تنفع .

كانت هناك اللات والعزى ، وبقية أصنام قریش التى كان الأعراب يصنعونها بأيديهم ، ينحتونها من الأحجار الصلبة الصماء ، ثم يركعون تحتها ، يسألونها الرحمة والغفران ، والخير والبركة . ثم يغضبون عليها ويحطمونها ويصنعون بدلها .

كانت هذه الأصنام الآلهة تحترم إرادة الشعب ، تتشكل بإرادته ، تنصب بإرادته ، تعبد بإرادته ، ثم تحطم بإرادته . لا تعترض على شيء من ذلك أبداً ، ولا تشغل نفسها بشيء ، وتسأل لماذا صنعت ومتى ؟ ثم لماذا حطمت وكيف ؟

كانت آلهة الجاهلية آلهة وديعة ساذجة ، لا تتمسك بحقوقها ، لا تخرج عن طبيعتها ، فلا تقطع رأساً ، ولا تسجن بريئاً ، ولا تأكل من لحوم الضعفاء . فلو أن آلهة اليمن الهاشمية كاللات والعزى وأصنام الجاهلية لهان الخطب على اليمن .

لأنها عندئذ ستخضع لإرادة الشعب . إن شاء وضعها على العرش ، وإن شاء عبدها ، وإن شاء بدلها وأتى بحكام آخرين . فى سلام ، وهدوء ، وطيب نفس .

وأكثر من ذلك .. لو كانت آلهة اليمن الحكام كأبقار الهند التى تعبدتها طائفة من الهنود يفسحون لها الطريق باسم القانون لهان الخطب على اليمن ، لأن البقرة لا تضر أحداً ، لا تصنع السلاسل ، لا تصقل السيوف ، لا تعلق المشانق ، لا تعتدى على الحرمات .

ولكن وأسفاه .. آلهة اليمن تمشى على الأرض ، تأكل وتشرب ، تنستر فى ثياب البشر ، تمسك بالسيف ، تقبض على الذهب ، ثم تتصارع فيما بينها فتصرع معها جموعاً لا تحصى ولا تعد من أبناء الشعب فى معاركها الشخصية التى لا ناقة للشعب فيها ولا جمل .

ولا ندري كيف تغفل هذه الآلهة عن مصالح الشعب وما يحل به من نكبات وما يعيش فيه من محن .

وهو الشعب الوديع المتفانى فى عبادتها والركوع تحت أقدامها . فمثلاً فى هذه الأيام التى مضت ، والشهر الذى لم يكتمل ، مات نصف أطفال اليمن من السعال الديكى . وفى العام قبل الماضى هلكت قرية بأكملها من وباء الجدرى . أما بقية أهل اليمن فهم يعانون مما لا يدخل تحت الحصر من الامراض والأوبئة المألوفة المعروفة المتوارثة .

فأين بركة الآلهة ؟

يا آلهة ؟

لا .. لا .. لا بركة ..

لأن آلهة اليمن غافلة عن الشعب .

فهي لا تحتاج إليه إلا عندما تتصارع على العرش .

لا تتقرب إلى الشعب بالإصلاح والعمل من أجل مستقبل الأجيال القادمة ، بعد
أهلك هذه الآلهة الأجيال الماضية ، ولم يبق من الجيل الحاضر سوى عظام
متهاكة تكسوها لحوم هزيلة من بقايا البشر .

يا هذه الدنيا ..

لماذا تصمين آذانك فلا تسمعين ؟ وتعمين عينوك فلا ترين ؟

وكأنك لا يعينك من يموت في اليمن أو يحيى ..

يزور السائحون اليمن فلا يرون فيها سوى بقايا آدمية تتحرك في بطيء
كاليأس ، واهتزازات كسكرات الموت .

تتصدرهم علائم الأمراض ، تميزهم آثار السياط ، تربطهم حلقات القيود ،
يشلهم هزال السهر ، والخوف ، والجوع ، والحرمان .

هذه الحياة حياة اليمن ..

شفاؤها أمراض ، حريتها سجون ، أمنها مذابح ، خيرها ذل ، وهوان ،
وانتظارا للموت .

يقينها شك ، أملها يأس ، نعيمها شقاء .

أحيائها يحاولون الحياة ، يعيشون في بيوت كأنها مقابر ، يحيون فيها
أمواتا تنتظر ساعة الحشر .

حرمهم الأئمة من الدنيا فأصبحوا يستعجلون الآخرة .

لا يحسون بلوعة الفراق ، لأنهم لا يحسون بلذة الوجود .

هذه الحياة .. حياة اليمن ..

لحنها حزن ونشيدها أنين ، وشعبها يتمزق فيتشتت في متاهات الأرض ،
ثم يلتقى فيلتئم في نعوش وجناز ومقابر .

يا هذه الحياة ..

إذا كنت أنت الحياه فلا كنت . ولا كانت الخرافات الإمامية التي تحمى
الأسياذ وهم يجلدون العبيد ، وتركع لمن ينهش لحوم المستضعفين وتصفق
لمن يرقص على جماجم الاحرار المصلحين ، ثمن تقدر من يتاجر بملكية
الجنة ووراثه النبی ..

يا هذه الحضارة .. إذا كنت أنت الحضارة فلا كنت .

ولتحى شريعة الغاب .. حيث ينتزع كل كائن حقه بيده ، يقتله بأظافره ،
يقبض عليه بأسنانه وأنياه ، يصارع ويصرع ، يغالب ويغلب ، ينتصر أو
ينهزم ، فيشعر على أى حال بحقيقة الحياة وطبيعة الوجود ، ويستمتع بلذة
الدفاع وشهوة الثأر وغريزة الانتقام .

ولا يستسلم أبدا للخرافات التي تروض الشعوب على اليأس والحرمان والذل
والهوان ، وقطع الرؤوس وتسليم الأعراض) .

ثم ختمت ذلك المقال مخاطبا كل حر يسعى إلى الخلاص من العبودية الإمامية ومناديا
كل نائر يتأهب للتضحية من أجل اليمن فقلت :

(أخى ..

أنا أشعر ..

بأن قلبك يتمزق ..

ونفسك تحترق ..

وعقلك يذهب ..

وصدرك يمتلىء حقدا .. وثورة ..

على الذين جعلوا أبناء الشعب اليمنى العريق ..

أشباحا ..

وهياكل ..

وبقايا أمة ..

تعيش فى متحف من متاحف الآثار ..

كأنه مقبرة من مقابر ما قبل التاريخ ..)



سلمنى الزميل الثائر الاستاذ قاسم غالب مدير كلية بلقيس الذى وصل من عدن رسالة من نادى شباب العدين بتوقيع الاستاذ قائد فرحان نائب رئيس النادى جاء فيها :

(يسرنى أن أبعث إليكم تأييدا كاملا لما تكتبه فى روز اليوسف ، وبالإصالة عن نفسى ونياية عن زملائى نؤيدكم مرة أخرى من صميم قلوبنا على كشفكم عن الظلم والظالمين فى اليمن يا مدرسة اليمنيين ولا فخر إننا مدينون لكم جميعا نحن اليمنيين . وقد ناصرنا القدامى ولم نظفر بشيء إلا الضلال ودمتم يا بطل اليمن) . (الوثيقة رقم ١٦) .

طلب الأستاذ قاسم غالب^(١) زيارة أنور السادات ، وأثناء الزيارة شرح الأستاذ قاسم الطاقات الثورية الهائلة التى فجرتها مقالاتى فى روز اليوسف .

وفجأة انتقل الأستاذ قاسم غالب إلى الحديث عن الأستاذ أحمد محمد نعمان ، فأكد للسادات أنه من غلاة أنصاره المتشيعين له ، ثم أعطى للسادات كتابه « رسالة من الجحيم » الذى أصدره قاسم غالب فى عدن سنة ١٩٥٨ بعد أن خرج من السجن قال من ضمن ما قال فيه « إن أحمد نعمان أنزه رجل عرفته قضية من قضايا الشعوب » .

وصف الأستاذ قاسم غالب نفسه بأنه اليد اليمنى للأستاذ نعمان فى عدن والذى اختاره ليكون مديرا لكلية بلقيس التى أسسها الاستاذ نعمان من أموال المهاجرين اليمنيين ، ثم قال إنه مع ولائه المطلق للاستاذ نعمان فإنه لا يقره على خلافه مع عبد الرحمن البيضانى بشأن الثورة الجذرية ، التى أصبحت حلما يتشبث به كل أبناء اليمن باستثناء الفئة المتعصبة التى لم تدرك بعد أن الثورة الجذرية فى مصلحتها هى أيضا ، وأكد أن مقالات روز اليوسف كانت أشبه بالاستفتاء الشعبى على الثورة الجذرية ، وأن أغلبية أبناء الشعب اليمنى قد أجمعوا على الترحيب بها لأنها تعبر عن حقيقة مأساتهم وترسم الطريق إلى الخلاص منها فلم يعد هناك مجال للخلاف حول الثورة الجذرية .

أما السؤال عن إمكانية تحقيق الإصلاح عن طريق البدر فإنه لم يعد له محل بعد أن أجاب عليه الشعب الذى رحب بمقالات روز اليوسف ، وبعد أن أثبتت التجارب خيبة ظن الأحرار فى أى مرشح يقع عليه إختيارهم ليكون إماما مصلحا .

(١) وزير المعارف فى وقت لاحق بعد الثورة .

استمع السادات بكل انتباه إلى حديث قاسم غالب ، ثم قال أنه مقتنع بكل ما قاله ، ولولا ذلك ما بذل كل الجهود للسماح لعبد الرحمن البيضاني كي يكتب في روز اليوسف ولو أنه لا يزال يتمنى أن تتوحد صفوف الأحرار وتتفق كلمتها لمصلحة شعب اليمن .

ثم جاء من عدن محمد قائد سيف ومعه الزميل النائب عبد القوى إبراهيم حاميم^(١) وكان يعمل مديرا لشركة المحروقات في اليمن ، ويستطيع أن يتنقل بحكم وظيفته بين مدن اليمن دون أن يلفت إليه النظر . وكان أبوه الشيخ إبراهيم حاميم شيخ مشايخ منطقة الراهدة التي تفصل ما بين اليمن من جهة تعز وجنوب اليمن المحتل من جهة عدن ، وكان يعمل مديرا لجمرك الراهدة وهي النقطة الجمركية الوحيدة بين تعز حيث الإمام وعدن حيث الإنجليز .

يمتاز عبد القوى حاميم بالهدوء وقوة الأعصاب ، فإذا أضفنا إلى ذلك عقيدته الثورية مع قدرته على التنقل بين المدن اليمنية وتحكمه المطلق في نقط التفقيش في جمرك الرهده ، لعرفنا أنه يعتبر من أعظم الركائز التي يمكن الإعتماد عليها في توصيل الأسلحة والذخائر إلى الثوار في اليمن ، عندما نجح في الحصول عليها من مصر لاستكمال ما يلزم أن يكون في يد الثوار من أسلحة وذخائر .

عقدت عدة جلسات في بيتي حضرها محمد قائد سيف وعبد القوى حاميم واقتُرحت عليهما أن ندعو إلى هذه الاجتماعات الطيار اليمني عبد الرحيم عبد الله^(٢) ، الذي كنت أعرف حقيقة مشاعره الثورية والذي كان يتنقل هو الآخر بين اليمن دون أن يلفت إليه النظر لأنه يفعل ذلك بحكم وظيفته وإقامة عائلته في مصر . كان الغرض من ذلك أن يتولى نقل الرسائل فيما بيني وبين الزملاء عبد الغنى مطهر وعبد القوى حاميم في تعز ، والزميل العقيد حسن العمرى^(٣) في صنعاء فوافق محمد قائد سيف وعبد القوى حاميم على إقتراحى ودعونا الطيار عبد الرحيم عبد الله إلى هذه الاجتماعات التي كان الغرض منها تجميع ما أمكن الحصول عليه من معلومات وبيانات عن التجمعات الثورية في اليمن ، قبل البدء في وضع مخطط ثورى والتعرف على ما يحتاج إليه من مساعدات إضافية .

ذهبنا جميعا لزيارة أنور السادات الذى أبدى إرتياحه إلى ما حصلنا عليه من معلومات ، وتبين أننا نسير في الطريق الصحيح وأننا على وشك تجميع بقية الخيوط الثورية اللازمة .

اقترح الطيار عبد الرحيم عبد الله أن نعتد في صنعاء علي نسييه (زوج شقيقة زوجته) المقدم عبد الله جزيلان بدلا من العقيد حسن العمرى ، لأن جزيلان يعمل مديرا للكلية الحربية ، بينما يعمل (العقيد) حسن العمرى مديرا للاسلكى وفي وظيفة مدنية بعد أن خرج من الجيش فقلت أننى أرحب بالتعاون مع جزيلان بشرط أن نتمسك بالعمرى الذى يجمع في يده كل خيوط الضباط الثوار في صنعاء ، بالإضافة إلى القاضى عبد السلام صبره مدير بلدية صنعاء الذى يجمع في يده كل خيوط الثوار من القبائل والمدنيين .

(١) عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الشؤون البلدية والقروية عند قيام الثورة .

(٢) عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الطيران عند قيام الثورة .

(٣) عضو مجلس قيادة الثورة ووزير المواصلات عند قيام الثورة ثم نائب رئيس الجمهورية والقائد العام في وقت لاحق .

شرحت المعلومات الخاصة التي كانت قد وصلتني عن اختلاف جزيلان مع الضباط الذين تخطاهم في الرتبة العسكرية بمساعدة البدر ، وكيف أن الضباط المهمين الذين يتولون المواقع الحساسة بعد أن تخرجوا من الكلية الحربية غير مطمئنين إلى جزيلان ، ولا واثقين في استعداده الشخصي للاحتفاظ بصداقة الاصدقاء وحماية ظهرهم مما جعلهم يطلبون من مدير الكلية الحربية السابق العميد حمود الجائفى إبعاده عنهم ، عندما كانوا طلبة في الكلية الحربية على نحو ما سبق ذكره في هذا الكتاب .

أكدت لعبد الرحيم عبد الله أننى أرحب بعبد الله جزيلان وأعتبر التعاون معه كسباً لقضية الثورة ، إذا استطاع أن يحل مشاكله مع زملائه الضباط الذين في مثل مستواه ، وغيرهم من حديثي التخرج من الكلية الحربية ، الذين يمثلون القوة الضاربة للثورة ، وعلى وجه الخصوص إذا استطاع عبد الله جزيلان أن يظفر بثقة العقيد حسن العمرى والقاضى عبد السلام صبره فى صنعاء ، وعبد الغنى مطهر وعبد القوى حاميم فى عدن ، واستطاع أن يخلق علاقة ثورية صادقة مع الملازم على عبد المغنى الذى استطاع بسعة الأفق وبعد النظر وإخلاص العزم وصدق القول وطهارة النفس أن يحظى بإحترام وثقة وتأييد معظم الضباط الأحرار .

أيد محمد قائد سيف وعبد القوى حاميم هذا الرأى على أن يكتم عبد الرحيم عبد الله جميع المعلومات عن عبد الله جزيلان حتى نتفق على إبلاغه بها فى الوقت المناسب عندما نعرف حقيقة موقفه وعلاقته مع هؤلاء .

ذهب الزملاء إلى اليمن وعدن وانصرفت إلى قراءة رسائل الأحرار اليمنيين ، التي تبينت منها أن غلاة المتعصبين من الهاشميين قد بدأوا ينظمون صفوفهم للعمل من أجل الحسن ، خوفاً على النظام الإمامي الذي لا يستطيع البدر حمايته ، وإنهم أنشأوا صندوقاً لجمع التبرعات بالإضافة إلى الأموال التي أرسلها إليهم الحسن من الخارج ، وإنهم يتأهبون للقيام باغتيالات ضد العناصر التي يشتبهون فى ميولها نحو الثورة والعناصر الأخرى التي يتوقعون منها أن تؤيد البدر عندما يموت الإمام .

أزعجنى احتمال الخطر الذى أصبح يتعرض له الأحرار الثوار فى اليمن ، الذين يؤمنون بالثورة الجذرية . ومما ضاعف الإحساس عندى بالخوف عيهم ما أعرفه من الظاهره السانده فى اليمن ، وهي عدم القدرة على كتمان الأسرار على الإمام لمدة طويلة ، لأن جذور الخوف التي تأصلت فى نفوس اليمنيين خلال ألف ومائة عام تجعل إفشاء الأسرار إليه بمثابة القاعدة العامة ، وكتمان الاسرار عنه بمثابة الإستثناء الذى لا يقاس عليه ولا يطمأن إليه . وكان كل ما يمر يوم لا يعرف الإمام فيه شيئاً عن أخبار الثوار أنتفس الصعداء وأتبين أننا أصبحنا فعلاً على موعد مع القدر .

دفعنى خوفى على ثوار اليمن من خطر التصفيات الجسدية التي أخذ غلاة المتعصبين من أنصار الحسن يتأهبون للقيام بها إلى اسراعى بنشر تحذير للثوار على صفحات روز اليوسف فكتبت مقالا بعنوان « العصابة السوداء » فى يوم ٩ أبريل ١٩٦٢ جاء فيه :

(ما أشبه اليوم بالامس .. وما أمثل الليلة بالبارحة .

الذى يجرى الآن فى اليمن .. هو ما كان يجرى فى قريش . فى مطلع
الفجر .. فجر الإسلام .

فأسياد اليمن فى ظل الشريعة الإمامية .. كأسياذ قريش فى أيام الجاهلية ..

لا يطبقون العدالة ، لا يفهمون المساواة ، فلا يرجعون عن ظلمهم فى
سهولة ، لا يقلعون عن بطشهم فى يسر ، لا ينزلون عن إمتيازاتهم بمحض
اختيار ، بل يكيدون للإصلاح ، يأترون على المصلحين ، ويعاندون الوعد
الحق .

قال عكرمة بن أبى جهل لعمه الحارث بن هشام ، وصفوان بن أمية ،
وخالد بن الوليد : أشهد إنى لم أعجب قط كما عجبت من أمر ذلك الشيخ
اليمنى ، الذى من قحطان ويقال له ياسر حين مزقت جسده سياط قريش
واشتعلت فى أطرافه النيران ، وكأنى به حين تتنازعه الفتية وهم يمسكون
بأطرافه يتنافسون على اقتسامه كى يذكر ألهتنا بالخير فلم ينتزعوا منه سوى
شتم الآلهة والتنكر لها والصلاة على محمد . وكانت ضربات السياط حين
تختلط بصياح القوم تصم الأذان وكأنها مزيج من رعد مدمر وعواصف
ضارية ، ثم لا يلبث أن يذوب كل شيء ، كل الأصوات ، فى صوت ياسر
الهادئ المطمئن ، إذ هو يهتف بالحرية والعدالة والمساواة .

أما ابنه عمار ..

فلمست أعقل كيف كان يستعذب العذاب ، ويستعجل السياط والرماح
والسيوف ، وكأنه يتمنى شيئا حلوا ، عذبا ، عزيز الرجاء ، صعب المنال ،
وهو يتمتع بعبارات لا أكاد أذكر منها سوى .. لا إله إلا الله .. لا سيد إلا
الله .. لا ولى إلا الله .. الله أكبر .. أكبر من أبى جهل وأصحابه .. أكبر من
أسياد قريش .. ومن الناس أجمعين ..

وإذا به يرفع صوته قليلا وينظر إلى جلاديه ، نظرة هى مزيج من
الاستخفاف والتحدى فيقول :

« وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما
استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد
خوفهم أمنا » .

هذا ما كان فى فجر الإسلام ، حين دعا إلى تحرير العبيد وتحقيق الحرية
والعدالة والمساواة وتكافؤ الفرص ، فكان من الطبيعى والدين الجديد هكذا أن
يستमित الأسياد لينعموا فى الدنيا دون جهد أو عناء ، وليذهب العبيد
والمستضعفون والمصلحون إلى الجحيم .

كان من الطبيعي والدين الجديد هكذا أن يجتمع الأسياد في قريش يحاربون محمد وأصحابه ، يقيمون لهم المذابح ، يشعلون فيهم النار ، ويثيرون ضدهم الفتنة ، للدفاع عن امتيازاتهم غير المشروعة ، غير العادلة ، التي توارثوها أبا عن جد في حماية الآلهة والأصنام والتقاليد الجاهلية باسم العرف والنسب واللون ، لا الكفاءة والعبقرية والمقدرة .

إذن فليجتمع أسياد قريش للقضاء على بدعة الدين الجديد ، بدعة الحرية والعدالة والمساواة وتكافؤ الفرص ، وليجتمع العبيد والأجراء والمستضعفون والمعذبون في الأرض ، أصحاب المصلحة الأولى من الدين الجديد ، ولتبدأ المعركة في سبيل الوعد الحق . وانتصر الحق وأمنت اليمن كلها بالدين الجديد .

ولكن وأسفاه ..

لم تستمتع اليمن طويلا بهذا الدين الجديد ، إذ لجأ الأئمة إليها إلتماسا لحماها وتحت شعار الدين ، حتى إذا استولوا على الحكم في اليمن لم يحرروا العبيد كما أمر الله ، وإنما استعبدوا الأحرار كما سولت لهم نفوسهم .

عطلوا أحكام الدين ، إنتهكوا مبادئ الشريعة .

وأخذ التاريخ يعيد نفسه ، تفاقمت المظالم الاجتماعية ، عادت الامتيازات الطبقية ، ساد الظالمون الجاهلون ، فتكوا بأبناء الشعب ، قتلوا أصحاب الحقوق والمصلحين .

فلم يرجعوا باليمن إلى عصر الجاهلية فحسب ، وإنما إلى عصر لم يعرف له التاريخ نظيرا ولا مثيلا ..

إذ لم يعد لأحد من أبناء الشعب حرمة ، ولا حق ، ولا مال ، ولا عرض ، ولا حياة . أحتكرت الأسر الإمامية وأذنبها كل الحقوق ، وكل الأرزاق ، نهشت الأعراض ، إستباححت المحرمات ، فطمست بذلك أبسط معاني الإنسانية .

ولم تجن اليمن من الحكام الجدد خلال الألف والمائة عام الماضية سوى أنها أسلمت نفسها إلى الطغاة والجلادين الذين باسم النظام العنصرى الطائفى أبادوا الشعب وحولوا مجد اليمن إلى ذكريات وأطلال .

فى مثل هذه المرحلة من التاريخ تلج الحاجة إلى الثورة لتعود بالشعب المؤمن بالله إلى دين الله الحق ، الذى يحمى الأعراض والحرمات ، يصون الأرزاق والأرواح ، يفرض الحرية والعدالة والمساواة وتكافؤ الفرص فينهض بالشعب ويقتص من القتل والصوص وقطاع الطرق ، ولو كانوا أئمة .

وعملا بمبادئ الهاشمي أبي جهل أيام النبي ، وتقليدا لمنظمته الارهابية التي ألفها في تلك الأيام من فتية قريش ، عبدة الأصنام ليحارب الدين الجديد ويقضى على قائده النبي وأصحابه المؤمنين أقام المتعصبون من غلاة الهاشميين في أيامنا عصابة سوداء هي منظمة ارهابية في اليمن ، غرضها القيام باغتيال أعيان الشعب ودعاة الإصلاح والمؤمنين بالعودة إلى دين الله الصحيح ، وترك النظام الإمامي المحرف .

وفرضت هذه المنظمة ضربا عجيبة من السرية ، وألوانا صارمة من الكتمان ، حتى لا يصل أمرها إلى القوى الشعبية المتحررة في اليمن .

غير أن أمرها قد وصل إلى الشعب اليقظ ، الذي يرقب كل ما يدور حوله ليقف في وجه أعدائه .

ولا شك أن أغلبية الهاشميين الساحقة في اليمن تدرك خطر الإستمرار في هذه التفرقة العنصرية ، بعد أن استيقظ الشعب على دعوة الإصلاح الجذري الحقيقي ، لا الهتافات والشعارات التي كانت في الماضي لا تقدم ولا تؤخر ولا تغير من الأمر شيئا ، بل تنفيذ الإمام والحكم الإمامي أكثر مما تضره .

تدرك أغلبية الهاشميين أن المساواة ستفرض نفسها لا محالة ، يفرضها الشعب عندما ينفض عن وجهه غبار القرون السحيقة لذلك فإن هذه الأغلبية الهاشمية لا تقر الأقلية من غلاة الهاشميين في سلوكها الذي يحاول أن يوقف مسيرة الحضارة في اليمن .

لأنه من غير المعقول أن تقف حفنة من غلاة الهاشميين في وجه الشعب بأسره ، في وجه سبعة ملايين ولو كانوا حفاة عراة ، عزلا من كل سلاح ، إلا سلاح العقيدة والإيمان .

العقل السليم يفرض على غلاة الهاشميين الاندماج مع الشعب والبدء فوراً بإعلان المساواة وإسقاط الامتيازات الهاشمية ، وإعلان الأنظمة التي تكفل عودة الشعب إلى مجده ، وتحقيق له السير في ركب الحضارة والتقدم والنهضة)

ثم ختمت ذلك المقال قائلا :

(لقد القت السلطات القبض على عشرات من أبناء الشعب في تعز وصنعاء وبعض المدن اليمنية ، إنهم يبحثون في كل مكان عن الذين يهربون روز اليوسف إلى أعماق اليمن ، وإلى السجون ، يبحثون عن المطابع التي تنقل هذه المقالات فتتسخها لتوزعها في جميع أنحاء اليمن ، يفتشون عن الرواة الذين يحفظونها غيبا ليرويها أبناء الشعب في المساجد ، والمدارس ، والمستشفيات ، ودور الحكومة ، وقصور الإمام ، ومجالس القات ، والأزقة ومضارب الإبل ، وفي كل مكان .

يبحثون عن الشمس في وضوح النهار ، وهى معلقة فوق رؤوسهم ظاهرة للعيان ، تكشفهم على الملأ ، إنهم لا يعلمون أن الشمس لا يقطع رأسها سيف ولا تخنق عنقها مشنقة ولا تدفن نورها سجون ، ولا يبرد لهيبها إغتيال . فإذا قبضوا على رجل أخذ مكانه رجال ، وإذا عثروا على مطبعة حلت محلها مطابع ، وإذا سجنوا راوية أصبح المساجين والحراس كلهم رواه .

وباختصار ..

إذا قتلوا مصلحا فالشعب الآن كله مصلحون . لن يفلت الظالمون ولن يسكت الثوار ، ولن يرتد الشعب من بعد إيمان .

والشعب الذى قدم ياسرا وعمارا أيام النبی ﷺ .. لينشر الحرية والعدالة ، والمساواة فى أنحاء الأرض هو الذى قدم فى أيامنا الشهداء الثلاثا وحميد والدة الشيخ حسين وعبد اللطيف بن راجح وسعيد فارح والعلفى واللقية والهندوانه لينشر الحرية والعدالة والمساواة بين أرجاء اليمن .

وإذا كانت فتية قريش الظالمة قد ضاعت وتاهت من التاريخ ، وظلت أسماء ياسر وعمار وصهيب وبلال وخباب خالدة فى تاريخ الإسلام ، فكذلك سيضيع الطغاة الغلاة من الهاشميين وستبقى أسماء الشهداء اليمنيين والمعذبين المسجونين خالدة فى تاريخ اليمن .

حقيقة ..

إن الشعب اليمنى الآن شعب مستضعف مستذل مغلوب على أمره ، لكن العبيد المعذبين المستضعفين هم الذين حرروا الأسياد القرشيين فأرغموهم على تحطيم الأصنام .

وأضطروهم إلى الإيمان بالله وبحقوق الشعوب ..

والشعب اليمنى الذى كان فى طليعة الجيوش الإسلامية التى عمرت الأرض بالإيمان والعزة والكرامة لن يعجز عن إعادة الإيمان والعزة والكرامة إلى أبنائه وفلذات أكباداه .

هذا منطق التاريخ ..

التاريخ القاسى فى عدالته .. العادل فى قسوته ..

التاريخ الذى سيكتب عن اليمن :

إن الشعب الذى حرر الشعوب .. لم يعجز عن تحرير نفسه ..)



الشهيد المقدم أحمد يحيى الثلايا في ساحة الإعدام (قبيل إعدامه بلحظات أبريل ١٩٥٥)



لم يتطور معظم الأحرار القدامى المقيمين في مصر فلم يتأثروا بهذا المد الثورى العنيف ، الذى هز أرجاء اليمن وتجاوبت معه قطاعات الشعب العسكرية والمدنية والقبلية حتى كانت الشعارات الجمهورية تجد طريقها على جدران المساجد والبيوت فى صنعاء وتعز وغيرها من المدن اليمنية .

كان بعض هؤلاء الأحرار القدامى لا يزال يحصر مشكلة اليمن فى شخص الإمام الحاكم ويبشر بالإصلاح على يد البدر المنتظر . وكان فى الأجهزة المصرية الرسمية من كانوا يتقبلون هذه الآراء بصدر رحب إما يأسا من قدرة الشعب اليمنى على القيام بثورة جذرية ، وإما صداقة شخصية مع البدر الذى إتقن إستغلال الصداقة المصرية وأرسى فيها جذور العلاقات الشخصية . لكن هؤلاء المسئولين لم يستطيعوا مساعدة الأحرار القدامى على نشر أفكارهم الإصلاحية السطحية فى الصحافة المصرية أمام الطوفان الثورى الجارف والمتدفق على صفحات روز اليوسف .

لا شك فى أن هذه الأجهزة كانت تتلقى تقاريرها من داخل اليمن تؤكد لها أن العاصفة الشعبية قد أخذت تتحرك لتقتلع النظام الإمامى من أعماقه ، إلا أنه كان يحلو لهذه الأجهزة أن تفسر تبشير العاصفة الثورية بأنها ليست أكثر من زوبعة فى فنانج .

استطاع الأحرار القدامى المعارضون للثورة الجذرية أن ينشروا فى عدن بعض المقالات المدعمة لوجهات نظرهم الإصلاحية ضمن إطار النظام الإمامى نفسه وعلى ذات ركائزه الأساسية ، وإن أضافوا إليها الثورى والدستور وتوزيع السلطات واحترام العهود والمواثيق ووحدة الصف العربى ، وما إلى ذلك من الشعارات اللغوية الإنشائية التى تخدع الأبصار وتخدر العقول ، ثم لا تلبث أن تتوارى تحت التراب عندما يستقر الإمام الذى يعتقد أنه يستمد سلطانه من السماء ولا يقبل أن يشاركه فيها أحد من أهل الأرض .

فى هذه الأثناء وصل الزملاء محمد قائد سيف وعبد القوى حاميم ومحمد مهيبوب ثابت وعبد الرحيم عبد الله وتناقشنا فيما جاءوا به من أخبار ومعلومات من اليمن ومن عدن ، وحتى نفلت من رقابة الأحرار القدامى وممثلى الإمام فى القاهرة ذهبنا لاستكمال المناقشة فى بيتى فى شاطيء المعمورة بالإسكندرية .

أمضينا هناك عشرة أيام لم يخرج أحد منا خلالها إلى الطريق ، أو يطل برأسه من النافذة ، وكان مما توصلنا إليه أن بعض المعلومات الثورية التي أتوا بها من اليمن كان مصدرها الزميل عبد الغنى مطهر فرأيت أن التقى به شخصيا حتى أسمع منه مباشرة وأناقشه في تفاصيل ما عنده من معلومات ، وأحصى ما لديه وما لدى الزميل العقيد حسن العمرى من أسلحة وذخائر وما وزعاه منها على الضباط وغيرهم من الثوار ، وما ينقصهم من ذلك حتى يمكن البدء في وضع خطة الثورة .

إلى جانب ذلك كان هدفي من وصول الزميل عبد الغنى مطهر إلى القاهرة أن يزور أنور السادات فيزيده اقتناعا بجدية العمل الثوري في اليمن .

رسمت خطة وصول عبد الغنى مطهر بعد أن وافق عليها الرئيس عبد الناصر عندما عرضها السادات عليه ، وكانت تتلخص في وصوله إلى عدن وهو أمر مألوف لا يثير دهشة أحد باعتباره أحد التجار في اليمن . وعند وصوله إلى عدن يدعى المرض ويقيم في بيت الزميل محمد مهيب أو في أي بيت من بيوت أقاربه ، ثم يصل إلى مطار القاهرة حيث يتم إحضاره إلى بيتي دون أن يختم على جواز سفره بعلامة دخوله إلى القاهرة . وفي اليوم التالي أسافر معه إلى جنوب ألمانيا بعيدا عن كل الأنظار كي نمضي معا الوقت الكافي للدراسة وإعداد المخطط الثوري الذي يحدد ما نحتاج إليه من مصر . ثم نعود إلى القاهرة والإقامة في بيتي حتى نلتقى بأنور السادات . ولن يظهر على جواز سفره تأشيرة دخوله إلى القاهرة ولا تأشيرة خروجه منها ، وأما الدخول إلى ألمانيا الغربية والخروج منها فإنه كان في ذلك الوقت لا يحتاج إلى تأشيرة بالنسبة لبعض الدول ومن بينها الدول العربية .

ذهب الزملاء إلى اليمن وعدن لتنفيذ هذه المهمة ، وفي انتظار وصول الزميل عبد الغنى مطهر تفرغت للرد على أفكار الأحرار القدامى الإصلاحية السطحية ، والانتقال إلى الخطوة التالية من الخطوات الثورية الخمس التي سبق أن شرحت ضرورة تحقيقها قبل قيام الثورة .

فنشرت في ٢٣ أبريل ١٩٦٢ مقالا في روز اليوسف بعنوان « مخالف الثوار » أرد فيه على ما نشره الأحرار القدامى من الأفكار الإصلاحية السطحية ، كما أركز العقيدة الثورية التي تتضمن إنقاذ الشعب اليمني من مأساته التاريخية ، وأعلن دستور الجمهورية اليمنية التي أدعو الشعب اليمني إلى الثورة من أجل إقامتها .

وكان أهم ما جاء في ذلك المقال ما يلي :

(في مواسم سقوط الأئمة ..)

يروج المرشحون الهاشميون عقيدة يضللون بها الشعب . ملخصها أن الإمام الحاكم هو كل المشكلة ، كل الفساد ، كل المأساة ، كي تؤمن طلائع الشعب الثورية بأن نهاية الإمام الحاكم هي نهاية المأساة . وبداية الإصلاح .

وتحت تأثير هذه العقيدة المضللة لا تفكر طلائع الشعب فى رسم المستقبل كما يجب أن يكون ، وإنما تحصر كل همها فى القضاء على الإمام ، وليكن بعد ذلك ما يكون .

تتكرر المأساة .. نفس المأساة .. عبر التاريخ .

يصقل الثوار خناجرهم ، يحشون بنادقهم ، يبرزون أنيابهم للإجهاز على الإمام الحاكم ، حتى إذا ما انتهوا من القضاء عليه وجدوا أنفسهم فى قبضة إمام جديد لا يقل خطرا عن الإمام الذى قتلوه .

هكذا دواليك .. منذ ألف ومائة عام ، وكأن الشعب لا يريد أن يستفيد من تجاربه ، من تاريخه ، من ضحاياه .

فقبل مصرع كل إمام فى اليمن ينشط الثوار الناقمون عليه المعارضون له ، لكنهم بحكم التقاليد الموروثة والمفاهيم المحدودة لا يتأملون فى حقيقة مأساة الشعب ، فلا ينتبهون إلى أصل الداء وحقيقة البلاء ، وهى التفرقة العنصرية التى يخلقها الأئمة الذين لا يستندون إلى إرادة الشعب وإنما إلى دعواهم الباطلة بأنهم أحق بالخلافة والفتك بأمة محمد .

فينصرف الثوار إلى البحث عن مرشح إمامى جديد .

لا يمتاز عن الإمام الحاكم إلا بأنه يستطيع إغراء الثوار بأسلوب أو بآخر حتى ينفقوا إلى جانبه ، يكرسون له حياتهم وجهدهم وخطبهم نثرا وشعرا ، ينثرون على مناقبه باقات الزهور ، يفرشون فى طريقه مواكب الرياحين ، يضعون على صدره نياشين البركة وصكوك الغفران ، يسترون وجهه بقناع الثورة والإصلاح ، وكأنه البطل المنقذ فارس الأحلام السعيدة .

حتى إذا وصل إلى العرش إستخدم مخالف هؤلاء الثوار فى الفتك بالشعب ، ثم لا يلبث أن يقتل أصحابه ومن جاءوا به إلى الحكم كى لا يكون لأحد عليه من فضل ، فيسهل عليه بعدئذ أن يدعى القداسة والكهنوت ، ويجد من يناديه بولى الله ومبعوث العناية .

تتكرر فصول المسرحية .. بنفس التسلسل .

يضيق الشعب بالإمام الحاكم ، فيظهر مرشح إمامى جديد ، يغرى بعض المعارضين للإمام ، يستخدمهم فى إقناع الجماهير ، وعندما يصل إلى الحكم يقتلهم ويشنت شملهم .

نفس القصة .. نفس المناظر .. نفس المسرح .. نفس الشعب .
حدث كل ذلك .. لأن طلائع الشعب لم تكن ترسم خطط الإصلاح وصورة المستقبل قبل أن تنفض على الحاضر وتتكرر للماضى ، فإذا بها تعيش دائما فى الماضى الذى لا يتغير ولا يتبدل ولا يأتى بجديد .

والمرشحون الإماميون يفهمون طبيعة الظروف ، وطبيعة المعركة .

فيحصى كل مرشح إمامي من معه من الأحرار الثوار كما يحصى لاعب الشطرنج ما معه من الجنود والقيله ، ثم يصل إلى العرش مدعياً أنه قد وصل إليه بإرادة الأمة ، بينما لا يخرج واقع الحال عن مجرد تمثيلية مسرحية يقوم فيها المرشح الإمامي بدور البطل العاشق ، ويقوم الزعماء بدور الزوجة الخائنة ، ويقوم الشعب بدور الزوج المخدوع ، الذي عندما يعلم بالمأساة تتصدى له زوجة جديدة وبطل عاشق جديد .

ويظل التاريخ يعيد نفسه .

وتفاديا لاختطاء الماضي رسمت طليعة الشعب الجديدة أهدافا محدودة ليكون بناء المستقبل على أساسها^(١) نوجزها فيما يلي :

أولا : العودة إلى شريعة الاسلام الحقة بعد أن أهدرها الأئمة خلال الألف والمائة عام الماضية .

وإزالة الاحقاد بين جميع عناصر الأمة .

وإلغاء التفرقة العنصرية والطائفية بين جميع أبناء الشعب .

وإصدار قانون يوضح حقوق المواطنين وواجباتهم فلا جريمة إلا بنص ولا عقوبة إلا بعد محاكمة عادلة تتم على أساس قانون ينظم الاجراءات الجنائية ويكفل حرية الدفاع .

ثانيا : إقامة الجمهورية اليمنية .

والتمهيد لإجراء انتخاب حر في جميع أنحاء اليمن لانتخاب المجلس النيابي الذي يختار رئيس الجمهورية .

ثالثا : تحقيق أهداف القومية العربية من أجل أن تستعيد الأمة العربية مجدها العظيم فتتبوأ مركزها الخلاق في طليعة الأمم الناهضة .

رابعا : تحقيق العدالة الاجتماعية .

خامسا : إقامة جيش وطني قوى يكون درعا لليمن وللامة العربية .

سادسا : إلغاء جميع المظالم التي يشكو منها الشعب على أن يتم فور قيام الدولة الجديدة ما يلي :

١ - إطلاق جميع الرهائن من أولاد شيوخ ورؤساء القبائل وغيرهم ونقلهم إلى ذويهم على نفقة الدولة .

(١) نص دستور الثورة الذي صدر عند قيامها .

٢ - إلغاء الخطاط والتنافيد واعتبار الزكاة أمانة في جميع أنحاء اليمن يدفعها المواطن بمحض إرادته وبحسب تقديره .

٣ - توفير المواد الغذائية وتشجيع تصدير البن وكافة سلع التصدير .

٤ - إلغاء جميع رسوم العلاج في المستشفيات وضرائب الصحة .

٥ - إلغاء السخرة .

٦ - إلغاء ضرائب الخمس والخيرية وحواجز المرور المقامة على الطرقات في جميع أنحاء اليمن .

سابعا : رفع مستوى معيشة الشعب بالبدء فورا بما يلي :

١ - وضع وتنفيذ خطط اقتصادية لاستثمار كافة موارد الدولة البشرية والطبيعية مع خلق أوجه للنشاط الاقتصادي في المناطق الجذباء الآهلة بالسكان .

وتشجيع الزراعة والصناعة والتجارة والأعمال الأخرى المنتجة .

٢ - تحسين حالة جميع رتب الجيش والشرطة والموظفين كي تندفع الدولة بكل قواها نحو العمل والإنتاج والبناء .

٣ - وضع سياسة تعليمية على أساس الخطة الاقتصادية وفتح المدارس ومراكز التدريب المهني لجميع أبناء الشعب في جميع المناطق مجانا مع تخصيص مرتبات للطلبة الذين لا يمكنهم لأسباب مالية أن يفرغوا للدراسة والمران المهني ومنح مكافآت تشجيعية للمتفوقين .

٤ - تزويد أصحاب المشروعات الخاصة بالخبرة والمال والحماية الجمركية بما يتفق مع الصالح العام .

٥ - خلق الفرص والمساعدات وإصدار النظم والقوانين التي تجذب اليمنيين المهاجرين إلى العودة لليمن .

٦ - إيجاد عمل لجميع العاطلين مع صرف معاشات لكل منهم حتى توجد الدولة أعمالا كافية للجميع .

ثامنا : العمل تدريجيا على أن تعتمد الدولة على مواردها من الأوجه التالية :

١ - إستصلاح وزراعة المساحات الشاسعة من الأراضي الصالحة

للزراعة المهجورة حاليا والغير المملوكة لأحد .

٢ : مصادرة الأراضي التي إغتصبها الأسرة الحاكمة .

٣ : دخل الموارد البترولية والمعدنية والمائية والمشروعات التى تنشئها الدولة مما لا يقبل عليه الأفراد .

٤ - الرسوم الجمركية العادلة وضرائب الدخول الكبيرة التصاعدية التى تتجاوز حد الإعفاء .

هذه أهداف الشعب اليمنى باختصار ، تحت سمع وبصر الأنمة الذين يرشحون أنفسهم للحكم ، فماذا هو موقفهم منها .. ؟

الأمير الحسن شقيق الإمام مرشح غلاة المتعصبين من الهاشميين لا يؤمن بأى حرف من هذه الأهداف ..

وإنما يؤمن فقط بضرورة إستعادة هيبة الأسر الإمامية فى اليمن ، وبقاء التفرقة العنصرية رغم أنف الشعب ، أما الإصلاح الجذرى وحقوق الشعب وإيمانه بالقومية العربية والعدالة الإجتماعية والنهضة فإن ذلك كله لا يخطر له على بال .

هذا عن الحسن .. أما المرشح الإمامى الآخر وهو البدر ، فإنه لا يعارض أى هدف .

ويدعى الأيمان بكل هدف منها ، ما دام يصل عن طريقه إلى العرش وهذا أخطر ما فى أمره ، لأنه عندما يصبح إماما فإنه سوف يفتك بأصحابه ، وينقض على أنصاره . لا سيما المؤمنين بهذه الأهداف فتتأخر قضية الإصلاح . وقد ثبت ذلك بعد أن تخلى عن أنصاره بمجرد أن هز له الإمام حاجبه ، عندما عاد من روما فى العام قبل الماضى .

فقد الشعب ثقته بالحسن والبدر وجميع المرشحين الإماميين .

ويدل على ذلك ما حدث فى أيام عيد الفطر الماضى فى صنعاء حيث أمثلأت شوارع العاصمة والمساجد ودور الحكومة بالمنشورات التى تنادى بسقوط الإمامة ، وتطالب بحكومة شعبية من أبناء الشعب تحقق أهداف الأمة ، وهذا ما كتب أيضا على جدران البيوت بالخط الأحمر العريض فى الأماكن العامة والشوارع الرئيسية . (

ثم ختمت المقال بقولى :

(إن عقلية الشعب قد تغيزت منذ إنقلاب ١٩٤٨ حيث أصبح لدى الشعب عدد من خريجي الجامعات وآلاف من الشباب المثقف الثائر .

وأصبحت إذاعة صوت العرب تدق الأسماع منبهة إلى النهضة ، وتهز القلوب لافتة إلى التقدم ، فتشد الأبصار نحو النور والإصلاح .

لقد أصبح للشعب هدف محدد ، ليس مجرد تغيير شخص الإمام ، وإنما تغيير كل نظام الحكم ، تغيير كل الأوضاع الاجتماعية الظالمة . تحقيق الحرية والعدالة والمساواة .

لقد أصبح الشعب مؤمنا بالثورة الجذرية .

فترك وراءه الإماميين يحلمون بالعرش المشيد فوق الشمس ، يندبون حظهم ومن معهم من المعارضين المحترفين ، بعد أن وجدوا أنفسهم في مفترق الطرق ، ونقطة التحول من السطحية إلى الجذرية ، والتطور من الأوهام إلى الحقائق ، والانتقال من القديم إلى الجديد ، من مجرد تغيير فرد بفرد إلى استبدال نظام بنظام ، ووضع جديد يستهدف تحقيق آمال الأمة في النهضة والتقدم .

الأمر الذي يعتمد على الكفاءات لا الشعوذة . على قدرة العمل في المستقبل ، لا على فن الإتجار بالماضي . ولذلك أخذ الإحرار القدامى يكرهون الجديد فيعترضون التطور .. يباركون الماضي فيعطفون على العرش .

ويخشون الحاضر فيلعنون المستقبل .. وكأنهم والإمام سواء ..)

كان للدعوة إلى الثورة الجذرية رد فعل خاص على الإمام والبدر وبقية المتعصبين اليمنيين لأنها أشعرت الجميع بأن خطة الثورة قد استكملت كل حلقاتها ، وأن الإعلان عن دستور الجمهورية اليمنية يعنى أن الثوار قد اقتربوا من ساعة القيام بها فبدأت حاشية الإمام تفكر فى الهرب من اليمن .

ودار حديث بين الإمام ونسائه وجواريه حضره عراف الإمام الفلكى الصديق محمد حلمى ، الذى سبق أن تحدثت عنه فى هذا الكتاب ، وكان الإمام قد استدعاه ليحسب له طالع النجوم لمعرفة مصير الحكم الإمامى فى اليمن ، وما سوف يؤدى إليه نشاط عبد الرحمن البيضانى فى مصر ، وما إذا كان من الأصلىح له أن يغادر اليمن أو يبقى فيها ، إلى جانب الأسئلة الأخرى التى كان الإمام لا يتحرك إلا بعد أن يجيب عليها عرافه الفلكى الخاص .

خرج الصديق محمد حلمى من مخدع الإمام وكتب إلى رسالة بالرموز الرقمية التى سلمها إلى قبيل هروبي من اليمن فصغتها فى مقال بعنوان (القصر الحزين) نشرته فى روز اليوسف فى ٧ مايو ١٩٦٢ محاولا إلقاء الرعب فى قلب الإمام عندما أنشر أحاديثه الخاصة مع نسائه وجواريه التى لم يطلع عليها غير عرافه الذى لم يكن يشك فى أمره على الإطلاق ، وبذلك تدور رأس الإمام بالأوهام والظنون والقلق والحيرة وهو يبحث عن أنصارنا الملتفين حوله ، المتسللين بين جدران مخدعه .

جاء فى ذلك المقال :

(صدر الأمر الشريف .. فاختار رئيس الحرس الملكى شيخا سجيئا من شيوخ القبائل ، وأسرع به إلى قصر صالة (فى مدينة تعز) وفتح الباب الكبير ، ثم اتجه إلى أسفل القصر مع عدد من الجنود ، وفتح بابا ضخما من الحديد السميك .

وفجأة دفع الشيخ إلى الغرفة المظلمة وأغلق من خلفه الباب فانتهت مهمته الرسمية ، ليتمها غيره ممن ينتظرون داخل الغرفة على أحر من الجمر لينفذوا أمر الإمام فى لحظات معدودات .

من مخدع الإمام فى تعز ننقل صورة ما حدث فى الأيام الماضية . وليس لنا سوى إختيار الأسلوب ، وانتقاء الألفاظ كى يسهل على القارئ أن يتصور الموقف .

.. مولاي

صاحت زيتونه جارية الإمام المتسلطة عليه (٥٥ سنة) : هل سنحبس أنفسنا داخل هذا القصر حتى يهجم علينا الثوار فيقطعوا رؤوسنا ويلقوها فوق الأشجار شأن الدهماء من أفراد الشعب ؟ . لماذا يا مولاي لا نترك القصر ونرحل إلى حيث الأمان والإطمئنان فننعم بخيرائنا فيما بقى لنا من حياة . ؟

خافتى بصوتك يازيتونة .. قال الإمام .. أية حياة بقيت لى يازيتونه ؟ . هاتى ذراعى المكسور المتقيح وضعيه فوق صدرى ، أتنى بساقى الهزيلة المتحطمة وضميها إلى جسدى ، ثم اثنيها قليلا وضعى تحتها وسادة ، واسنديها بأخرى كى لا تسقط . ثم ادفعى رأسى إلى الأمام قليلا لأضع يدى تحت عنقى فأراك وأتحدث إليك ، ثم أسألك بالله أية حياة بقيت لى بعد هذا الذى ترينه يازيتونه ؟ .

كفى يا مولاي .. لا يبكى أمثالك من الأئمة .. لكن زيتونه لا تملك نفسها فتبكى ثم تمسح دموع الإمام ، هذه الدموع التى لم يستطع الجن حبسها بعد أن عجز عن حماية الإمام من رصاص الشعب فى مستشفى الحديد فى العام الماضى .

وماكادت زيتونه تمسح دموع الإمام حتى اندفعت إليه سميحه زوجته السورية (٢٢ سنة) وكانت جارية بيضاء أهداها الملك سعود إلى الإمام .

قالت سميحة .. مولاي .. لا بد أن نخرج من اليمن . إن رائحة البارود تفوح من كل مكان . والله إننى عندما أمرق بسيارتى فى شوارع تعز ألمح من خلف الحجاب عيون الناس وقد إمتلأت حقدا على القصر ومن يتصل بالقصر حتى كدت أحس بهم ينشبون أظافره فى أعناقنا ، فلماذا لا نسرع بالخروج من اليمن ؟ . ولدينا فى الخارج أموال ليس لها حصر يمكن أن يعيش عليها ألوف الناس حتى آخر أعمارهم . فمنذ أن خرج مولاي البدر إلى روما العام الماضى وأخذ معه أربعين صندوقا مليئا بالجنيهاات الذهبية ونحن نضم إليها كل شهر نحو خمسة صناديق ، فمن ذا الذى سيعيش على هذه الثروة إذا كنا سنبقى رهائن داخل الأسوار التى تحيط بالقصر الحزين ؟

كذلك ظهرى يا مولاي قد أكله السل بعد أن تمكن من أسفل عظام العمود الفقرى ، ولم ينفع العلاج الذى أجريناه فى روما لأنه جاء متأخرا ، أما زوجة مولاي البدر فهى الأخرى توشك أن تموت من سل الرئة وقد عجزت مستشفى تعز عن علاجها ، ثم هذه النسوة اللاتى يعشن حولك يا مولاي قد أصبحن كلهن مزرعة للسل ينتظرن الموت البطيء .. انقذهن يا مولاي .

هيا نرحل من اليمن قبل أن يبطأ الثوار رؤوسنا ، قبل أن يربطونا بالسلاسل والأغلال . قبل أن نبتلع التراب ، ونشرب من الوحل ، ونعض أصابعنا من الندم .

أهدنى ياسميحة .. قاطعها الإمام .. وشد إليه رأس زوجته الأخرى الطفلة ذات العشر سنين وأخذ يتأمل في الحاضر والمستقبل ، ويقول : ما لهذه الدنيا تظلم من حولي ثم تمنع في ظلمتها ، فأتخبط كمن يضل الطريق . صدرى يطبق على أنفاسي ، حتى أصبحت أستعجل الموت الذي يبطله ، ثم يبطله ، ثم يسرف في بطله .

وكان الموت قد أصبح أبعد مثالا من الدنيا ، واعز رجاء من الحياة . ضربات قلبي تخفت وتكاد تنقرض فلا أسمع سوى أنات أحشائي . ماذا فعلت بأهل اليمن ؟

ألم أسلك نهج أبائي وأجدادي ؟ ماذا يريد الشعب ؟ هل منعبت أحدا من الطعام والشراب ؟

ماذا يريد الناس بعدئذ من الدنيا ؟ . ماذا يطلب الشعب من المساواة ؟ . هل يتساوى أولاد الشارع بأولاد النبي ؟ . هل يستوى يحيى متصر (شيخ من مشايخ تهامة) بابني البدر ؟ أو يستوى الفاشق (شيخ آخر) بأخي الحسن ؟ . أو يستوى الزرائق (قبائل تهامة) سادة شهارة ؟ . أو يستوى أهل تعز بأشراف الجوف ؟ .

ألا أيتها الأرض .. إبلعي الجبال .. وادفني الدنيا . فلا خير في حياة يتساوى فيها الناس بالناس . فيستوى المحكوم بالحاكم ، والعبيد بالأسيد ، وأبناء قحطان ببني هاشم ، وتتعلق إرادة الإمام على رغبات الشعب ، ويخضع أمير المؤمنين للمؤمنين ، انفطرى يا سماء ، تبعثري يا نجوم . اسقطي يا شمس .

ويستغرق الإمام في البكاء ، ويهذى بالفاظ غير مفهومة ، ويأتى بحركات تشنجية ، ثم يكف عن كل ذلك إذ هو يسبح في غيبوبته المعتادة .

وتدخل أمة السلام .. (بنت حجر المسماه بسيدى عبد المحسن) ، تحمل إلى الإمام حقنته المعتادة من المورفين كي يهدأ ويستريح ، وتبكي النسوة حول الإمام إلى أن يعود إلى صوابه فتقول أمة السلام :

مولاي ..

لماذا لا تسقط علينا الشمس ونحن في إيطاليا أو سويسرا ؟ . هيا يا مولاي مر بالرحيل فقد أعددنا كل شيء ولم يبق في المغارة من المال سوى ما يقرب من مليون ونصف المليون من الجنيهات الذهبية . فهل أعطيتني المفتاح لأنفذ الباقي قبل فوات الأوان ؟ .

ويدفن الإمام يده السليمة في صدره ، ويخرج حبلا كان معلقا حول رقبته يتدلى منه مفتاح من حديد ، طوله ٤٠ سنتيمترا وفطره نحو سنتيمترا ، ويعطيه لأمة السلام سيدى عبد المحسن قائلا : خذى معك بنت نصار (إحدى

زوجات الإمام) وانقذا الباقي من الذهب ، أما الرحيل فلي فيه رأى سأخبركن عنه بعد أن أستشير .

وفى الحال طارت أمة السلام سيدى عبد المحسن مع بنت نصار على متن سيارة وصعدا فوق جبل صبر المطل على مدينة تعز ، ودخلا إلى المغارة ونقلتا منها ما أمكنهما نقله إلى القصر حيث يرقد الإمام .

أما الإمام فقد هم بالإستشارة ، فأمر بإحضار البخور ، وإغلاق النوافذ والأبواب وإطفاء المصابيح ثم أخذ يتمتم بعبارات سرية يستحضر بها روح والدته المدفونة تحت القصر يستشيرها فى الأمر ، لكنها لا تحضر ، فيعيد الإمام الترتيل لكنها لا تحضر ، فيعيد الإمام الترتيل ولا تحضر ، فيزيد من البخور ولا تحضر .

فبكى الإمام وهو يستعطف ولا تحضر ، حتى إذا نيس من حضورها التمس لها شتى الأعذار ، وفطن إلى أنها تنتظر القربان فيصبح فى الجوارى والنساء ليحضرن على مانع رئيس الحرس الملكى . ويأمره بأن يلقى بأحد المساجين بين أنياب الأسود السبع التى تجوع بأمر الإمام طيلة الأسبوع تنتظر قربانه فى أسفل قصر صالة بمدينة تعز ، كى ترضى روح والدته فتحضر وتقدم إليه المشورة .

ثم ختمت هذا المقال معلقا على ما جاء فى رسالة الصديق العراف محمد حلمى فقلت :

(إن كنوز الإمام يحيى (والد الإمام أحمد) التى اعتصرها من نماء الشعب خلال ٤٠ سنة تبلغ ٤٠٠ مليون جنيه ، كما جاء على لسان البدر نفسه فى مؤتمره الصحفى الذى عقده فى القاهرة سنة ١٩٥٥ على أثر فشل الإنقلاب الذى قاده ابن الشعب المقدم أحمد يحيى الثلايا ، حيث قال البدر أنه اتفق مع والده الإمام على إخراج كنوز الشعب التى تبلغ هذا القدر للإنفاق منها على إصلاح اليمن بحسب الخطة التى سترسمها الحكومة الجديدة التى ستألف من رجال الشعب .

ولما عاد البدر إلى اليمن سحب كل كلمة قالها فى القاهرة ، ولم تتألف الحكومة الشعبية ، ولم ترسم الخطة الاقتصادية ، ولم يخرج ريال واحد من أموال الشعب لإصلاح اليمن . وإنما أخذ الإمام وإبنه يهربان الأموال إلى الخارج . ثم أعلننا أخيرا أن خزانة الدولة فارغة تماما ولم يعد بها ما يكفى لمجرد دفع مرتبات الموظفين أو حتى مخصصات الطلبة اليمنيين فى الخارج . ولذلك أمر بمضاعفة الضرائب وإمتصاص كل ما بقى مع الرعايا دون قيد شرعى ، أو رادع خلقى .

ثم أخذنا يمدان أيديهما للدول الصديقة لتقرضهما ما يتيسر ، وبعد كل ذلك يستوليان على الضرائب المعصرة من عرق الشعب الجائع والمساعدات التى تتبرع بها الدول إلى هذا الشعب اليمنى المسكين .

ويجوع من جوع . ويحيا من شاء أو يموت . ولا بأس في شيء من ذلك على الإطلاق ما دم الطريق إلى حساباتهما في إيطاليا وسويسرا سهلا ميسرا . ثم يعود الرسل محملين بقوارير الخمر الحلال الذي ذهب ثلثاه بالطهى . كما هي فتوى الإمام عندما كان يعالج في روما .

ويتبارى القوم في وصف الحال . يتفنون ويختلفون . لكنهم يجمعون على أن هذا العمل ليس إلا قرصنة مجردة من أبسط قواعد الإجرام ، التي يتحلى بها اللصوص ، ويلتزم بها قطاع الطرق الذين يترفعون عن نهب المساكن ، ويتعففون عن سلب الضعفاء ، وعندما يسرقون الضحايا يتركون لهم ما يمكك الرمق .

فلو أن أئمة اليمن كانوا يتحلون بأخلاق اللصوص وقطاع الطرق لكان الخطب على اليمن ، ولما وصلت حالة الشعب إلى ما وصلت إليه من بؤس وبأس وشقاء .

وليس الذى يحدث في اليمن الآن جديدا عليها . فطالما كانت آمال الشعب تغوص في الوحل تحت أقدام الطغاة ، أو تفرق في أعماق اليأس ، أو تحترق من جهالة الزعماء ، وتهافتهم على موائد الأئمة ، وقبولهم أنصاف الحلول بدعوى أنهم يختصرون الطريق الوعر . طريق الثورة الجذرية التي تحقق كل عناصر الحرية والعدالة والمساواة .

فلم تأت أنصاف الحلول سوى بتوسيع الجراح ، وتأصيل المآسى ، وتمكين الأئمة من الفتك بالشعب، حتى كاد يفنى جيلا من بعد جيل . فسقط من عمر اليمن أحد عشر قرنا ، تبرد فيها التاريخ فتجمدت عقارب الزمن .

فإذا بحاضرها كماضيها ، ويومها كأمسها ، وزعمائها كأئمتها ، وأحرارها كجلاديتها ، حتى اختلط الأمر على الشعب ، هل هو حي أو ميت ؟ . هل يعيش في عالم الدنيا ؟ . أو يسبح في ملكوت الآخرة ؟ .

هل يسكن البيوت أو يفترش المقابر ؟ .

وبعدئذ لا يكاد يدرك هل هو ساكن أو متحرك ؟ .

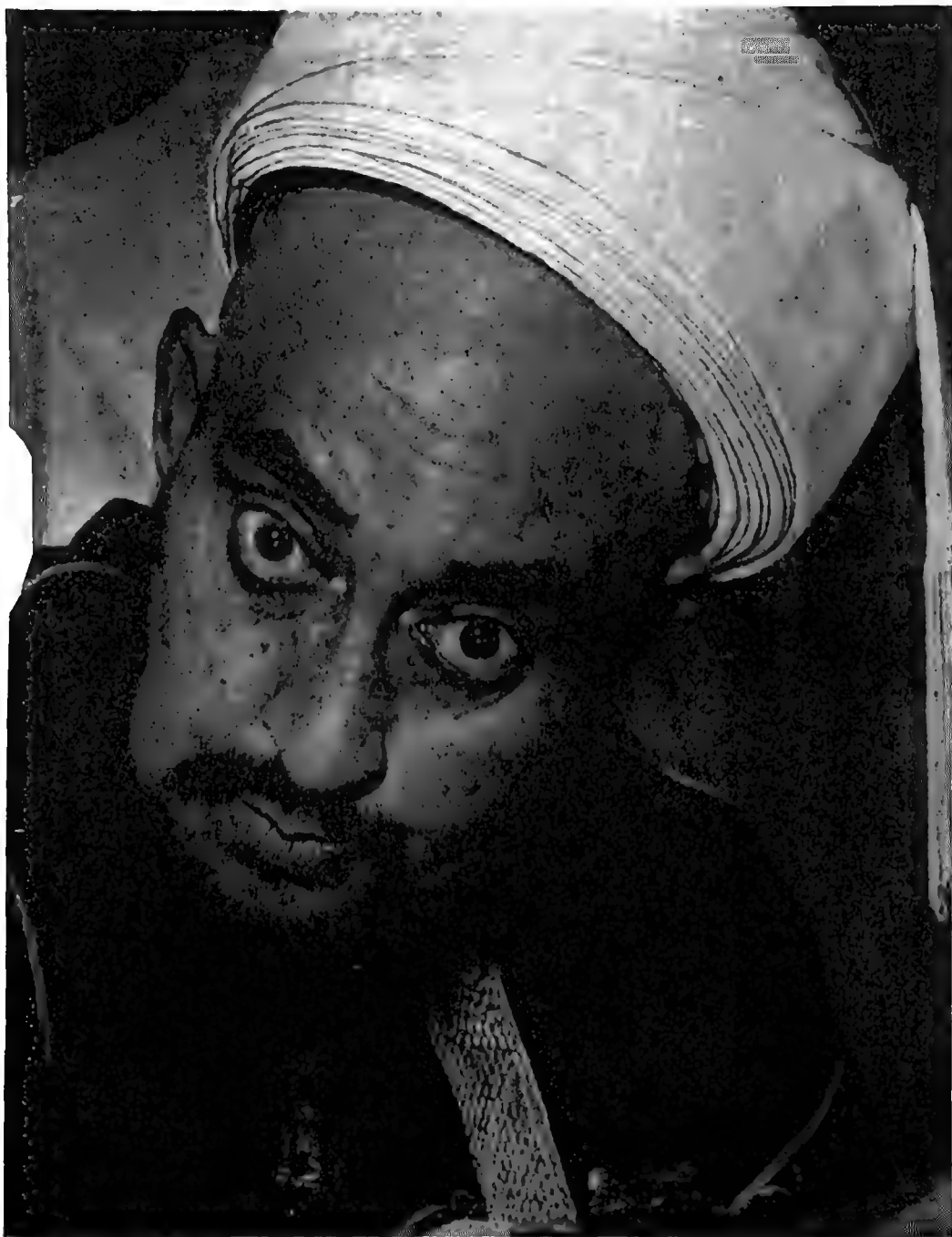
ما دامت صورته عبر القرون السحيقة لم تخط إلى الأمام ، بل تقهقرت إلى الخلف ، ثم لم تلبث في مكانها بل هوت إلى الحضيض .

ثم أخذ الكيل يطغح بما فيه ، والشعب يفلن إلى جذور النكبة ، فتنبه الغافل ، وأستيقظ النائم ، والتفت التائه ، فدبت الحياة ، وتهامس الناس ، وتناجى الثوار ، وتجاوب الشعب ، فالتأم الشمل .

وهنا أخذت الشمس تهذب من طباعها ، وتعديل من سيرتها ، فلا تحرق
رمال الصحراء ثم تدفن نورها تحت الأرض وتختفى خلف الأفق ، وإنما تنشر
رداءها الرقيق على أرض سبأ ، فتحمل إليها كلمات الحق ، وتجارب الماضي ،
وصورة المستقبل .

حبس الشعب دموعه في مآقيه ، لأن الدموع لا تصنع شيئا سوى تبريد
الحقد وإطفاء الثورة . كف الشعب عن البكاء . وأخذ يتحفز للحاضر ، ويتسمم
للمستقبل .

ولكن .. فئة من الناس يأتي دورها لتبكي فبكي الإمام ومن هم حول الإمام .
هذه حكمة القدر ، وعدالة الله ، وعبرة التاريخ . (



الإمام السابق أحمد بن يحيى حميد الدين آخر الأنمة الذين حكموا اليمن بالحديد والنار وكان
لقبه الشعبي (أحمد ياجناه) تشبيها له بالجن .

أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ
وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

قرآن كريم

تنظيم الشورة

الفصل السابع



كانت القوة الثورية المدنية والعسكرية في تعز تشمل عددا كبيرا من الشباب الناصر ورجال القبائل الأحرار وعددا من العلماء والتجار ، وكان في مقدمة هؤلاء القاضي عبد الرحمن الإيراني نائب رئيس الهيئة العليا الشرعية الذي يتمتع بصلات جيدة مع رجال الدين والقبائل ، وعبد الغنى مطهر أحد التجار في تعز الذي وهب الكثير من أمواله لمساعدة التنظيمات الثورية وتزويدها بالسلاح والذخيرة والمال الذي تستكمل به ما تحتاج إليه من معدات . والملازم سعد الأشول قائد الدبابات ، والملازم عبد الله عبد السلام مساعد قائد الدبابات وكان معهما سبعون فردا من صف الضباط والجنود . والملازم محمد الخاوي قائد المدفعية وكان معه مائة وعشرون فردا من صف الضباط والجنود . والنقيب علي الكهالي مفتش الأسلحة والذخيرة والملازم عبد الله الحيمي نائب قائد شرطة تعز وكان معه ثلاثون ضابطا وجنديا ، والملازم أول محمد مفرح مدير شرطة المخا وكان مستعدا للإشراف على تنفيذ خطة الثورة في تعز ، والرقيب أول (شاويش) حمود سلامة قائد بلوك مسلم وكان معه مائة وعشرون جنديا يحرسون الطريق ما بين قصر صالة حيث توجد مخازن الأسلحة والذخيرة وقصر العرضى حيث يقيم الإمام . والرقيب أول (شاويش) عبد الله ناجي قائد بلوك صياد وكان معه مائة وثلاثون جنديا يحرسون مطار تعز والسفارات الأجنبية ، كما كان الرقيب أول عبد الله ناجي متفاهما ومرتبطا ارتباطا ثوريا مع نحو تسعين جنديا من جنود بلوك حرس الأسرى داخل قصر الإمام .

كان هناك تسعة جنود يحرسون غرفة نوم الإمام بالتناوب ، كل نوبة تتكون من ثلاثة جنود وقد أمكن الاتفاق ثوريا مع ثلاثة منهم يشتركون في نوبة واحدة كي يفتحوا أبواب قصر العرضى وإفساح الطريق إلى غرفة الإمام وهم على واصل وحמיד الحاشدى وصالح البوركى .

وكان عبد الغنى مطهر يحتفظ في بيته بمائة قنبلة يدوية وأربعة آلاف طلقة مدافع رشاشة من التي يمكن تركيبها على سيارة أو استخدامها بمدافع الدبابات الموجودة لدى الإمام في مخازن تعز والتي لم تكن بها ذخيرة . وكذلك كان يحتفظ في بيته بعشرين مسدسا وأربعة مدافع رشاشة صغيرة مع كل منها خمسمائة طلقة ، وثلاثين قنبلة زمنية في حجم قلم الحبر وكان من بينها ما ينفجر بعد ست ساعات وما ينفجر بعد ساعة واحدة .

أما أسلحة الإمام فكانت ثمان دبابات خفيفة عليها مدافع رشاشة ولكن بغير ذخيرة ولا مفاتيح لمحركاتها ، وأربع دبابات ثقيلة بدون ذخيرة وبغير مفاتيح ، وثلاثون مدفعا كبيرا بدون ذخيرة ، وثمان وعشرون مصفحة بدون ذخيرة وبغير مفاتيح ، وثمان سيارات من سيارات الجيب خارج القصر بدون ذخيرة ، وجهاز لاسلكي داخل القصر ، وسيارتان من سيارات اللاسلكي ، وكانت مجموعة تعز الثورية تستخدمهما في الإتصال الرمزي مع المجموعات الثورية في كل من صنعاء والحديدة .

كان مجموع جنود الجيش في تعز ستمائة جنديا ومائتين من العكفة (الحرس) فإذا طرحنا من هذا المجموع حوالي خمسمائة وسبعين فردا مرتبطين بالثورة لكان من تبقى مشكوكا في ولائهم للثورة نحو مائتين وثلاثين فردا .

كذلك كان مع العكفة (الحرس) ثلاثة مدافع كبيرة قديمة في قلعة القاهرة تعز ، ومدفعان كبيران قديمان بجوار تلك القلعة ، أما المخازن فكانت تحتوي على مدافع رشاشة وبنادق لم يتمكن من معرفة عددها . وكان في إمكان الثوار أن يقتحموا هذه المخازن ويستولوا على ما كان فيها من أسلحة وذخائر بموجب أوامر من الزميل النقيب على الكهالي مفتش الأسلحة والذخيرة ، كما كان في وسعهم تحريك الدبابات والمصفحات بطريقة لا تحتاج إلى مفاتيح .

وكانت القوة الثورية المدنية والعسكرية في صنعاء تشمل أيضا أعدادا كثيرة من الشباب الثائر ورجال القبائل وكبار الضباط الأحرار والعلماء والتجار وفي مقدمتهم العقيد حسن العمرى نائب وزير المواصلات ومدير اللاسلكي والذي كان الضباط الثوار يجتمعون في بيته وعلى رأسهم الملازم على عبد المغنى والملازم أحمد الرحومى والملازم صالح الأشول . وكان القاضي عبد السلام صبرة رئيس بلدية صنعاء يحضر هذه الاجتماعات ويتولى مع العقيد حسن العمرى تنسيق الإتصال فيما بين زعماء القبائل الأحرار وتنظيم الحركة الثورية في صنعاء وتزويد الأحرار بما يحتاجون إليه من أسلحة وذخائر من تلك التي كان يخبئها العقيد حسن العمرى في بيته والأخرى التي كانت تصل إليه من الزميل عبد الغنى مطهر من تعز .

وكان العميد عبد الله السلال قائد الحرس الملكي يتابع ، من بعيد ، هذه الاتفاقات والتحركات الثورية عن طريق القاضي عبد السلام صبرة والعقيد حسن العمرى وكذلك كان من ضمن قوة الثوار في صنعاء العقيد عبد الله الضبى مدير الأمن في صنعاء ونائبه العقيد محمد عبد الواسع اللذان كانا على استعداد لتجنيد قوات الأمن لصالح الثورة عند قيامها .

كذلك استطاع القاضي عبد السلام صبرة إقناع الضباط الأحرار في صنعاء بضم المقدم عبد الله جزيلان مدير الكلية الحربية ، بعد أن اشترطوا عليه عدم اطلاعه على أية تفاصيل إلا قبيل القيام بالثورة تجنباً لتسرب أخبارها إلى البدر .

أما القوة الثورية في الحديدة فكانت تشمل الأب الروحي للضباط وهو العميد حمود الجانفي ، وكان يعمل في ذلك الوقت مديرا لميناء الحديدة ومعه الرائد أحمد الجرهمزي قائد الجيش في الحديدة الذي كان على صلة وثيقة وارتباط ثوري مع كل من الزميل عبد الغني مطهر في تعز والقاضي عبد السلام صبره والعقيد حسن العمري في صنعاء .

وفيما يتعلق بقبائل القسم الأعلى فقد كانت أغلبيتها الساحقة تحترق شوقا إلى التخلص من النظام الإمامي ، وكان محور الالتقاء فيما بين العناصر الثورية القبلية يعتمد على العقيد حسن العمري والقاضي عبد السلام صبره والزميل الناصر الأستاذ على المطري مدير مكتب البدر^(١) وناصر الكميم أحد تجار صنعاء الذي انفق معظم أمواله على التمهيد للثورة وكان فوق ذلك يحتفظ بالأسلحة والذخيرة في بيته لحساب الثورة .

وإذا اتجهنا نحو قبائل القسم الأسفل نجد الزملاء عبد الغني مطهر وعبد القوى حاييم وعبد الرحمن الحكيمي ومحمد عبد الواسع حميد قد عقدوا الروابط الثورية مع جميع مشايخ هذا القسم في نطاق لا أبالغ إذا وصفته بأنه كان يخلو من أي استثناء .

وأما قبائل المشرق (شرق اليمن) فقد كانت تلتقي على اقتلاع جذور النظام الإمامي وكان يمثلها الزميلان الشيخ سالم حسين الرماح والشيخ سالم عبد القوى الحميقاني .

وفي عدن لم تجد نشرات الأستاذ أحمد محمد نعمان والقاضي محمود الزبيري الإصلاحية السطحية أي رواج بين الأحرار سوى أنها أدت إلى إنصراف الأحرار عنهما والارتباط بدعاة الثورة الجذرية والجمهورية اليمنية . وكنت قد دعوت الزميل الأستاذ عبد الرحمن الحكيمي نائب رئيس الإتحاد اليمني في عدن والزميل الأستاذ محمد عبد الواسع حميد عضو اللجنة المشرفة على الإتحاد ، والتقيت معهما في بيتي في القاهرة بحضور الزميل محمد قائد سيف ، ووضعنا خطة لتعبئة الشعور الوطني الجارف الذي التف حول مقالات روز اليوسف ، وتفاديا للخلاف على منصب رئاسة الإتحاد اليمني في عدن اتفقنا على الغائه وأن يتولى الزميل عبد الرحمن الحكيمي أمانته العامة ، وأن يكون الزميل عبد الواسع حميد نائبا له ويقوم بتمثيل الإتحاد في القاهرة . وبعد ذلك يقوم الإتحاد اليمني في عدن بإرسال وفود إلى المهاجر اليمنية لتهيئة اليمنيين المهاجرين للعودة إلى اليمن فور قيام الثورة لتأييدها والدفاع عنها .

وعندما عاد الزميلان عبد الرحمن الحكيمي ومحمد عبد الواسع حميد إلى عدن تلقيت رسالة من الزميل الناصر محمد على الأسودى رئيس الإتحاد والزميل الناصر محمد أحمد شعلان يباركان الثورة الجذرية والجمهورية اليمنية ، ويؤيدان التخطيط المقترح لنشاط الإتحاد اليمني في عدن وإرسال الوفود إلى المهاجر اليمنية ، فأرسلت إليهما دعوة لزيارتي في القاهرة حيث أقاما ضيوفا في فندق مينا هاوس على حساب السيد أنور السادات .

كانت هذه خريطة القوى الثورية على الساحة اليمنية وفي عدن والقاهرة والمهاجر اليمنية ، سواء من حيث الثوار المدنيين والعسكريين أو من حيث الأسلحة والذخيرة وإمكانات الاتصال فيما بين الثوار .

(١) أمين عام رئاسة الجمهورية حاليا .

وكانت مدينة تعز هي مركز الثقل الثوري حيث يقيم الإمام الذي تقتضى خطة الثورة أن تنطلق منها الضربة الثورية الأولى ثم تتجاوب معها صنعاء والحديدة .

وفى يوم ١٨ مايو وصل الزميل الثائر عبد الغنى مطهر حسب الخطة المتفق عليها واستقبله فى المطار السيد فوزى عبد الحافظ مدير مكتب السيد أنور السادات . وكنت فى انتظارهما فى بيتى ، وفى اليوم التالى حضر السيد فوزى عبد الحافظ واصطحب معه الزميل عبد الغنى مطهر إلى الطائرة المتجهة إلى مطار ميونخ فى جنوب ألمانيا الغربية وكنت أنتظره فى المقعد المجاور لمقعده على نفس تلك الطائرة .

ومن ميونخ توجهنا إلى قرية جارميش فى التيرول الألمانى بالقرب من مدينة انسبروك على حدود النمسا .

سألت الزميل عبد الغنى مطهر عن مدى تعاونه مع الزميل العقيد حسن العمرى فأكد لى أنه متعاون معه إلى أبعد الحدود ، وسلمنى برفقة كانت قد وصلت إليه من العمرى يطلب فيها مبلغا من المال لشراء أسلحة وذخيرة للثوار فى صنعاء وهى بكلمات رمزية ونصها (الأخ عبد الغنى مطهر - تعز سبقت برفقة من مدير دار الضيافة . عجل إرسال الفلوس . كان القطع فى المحل الذى طفتة . اللبنة مائة وثمانين ريال . عجل التحويل مع مطلوبنا . أخوكم حسن العمرى) .

صنعاء
على
الأخ عبد الغنى مطهر تعز
سبقت برغبته من مدير دار الضيافة عجل إرسال الفلوس كما اتفق
فى المحل الذى طفتة اللبنة مائة وثمانين ريال عجل التحويل مع مطلوبنا
أخوكم حسن العمرى

نص البرقية بالتاريخ الهجرى وخاتم إدارة اللاسلكى فى تعز .

وسألته عن علاقته مع الزميل الملازم على عبد المغنى فقال انه التقى به عدة مرات فى تعز قبل أن يعود إلى صنعاء ويستقر هناك ويصبح ضمن قوة الثوار فى العاصمة الأولى لكنه لم يصارحه بشيء مما فى نفسه ، فأوضحت له أن الملازم على عبد المغنى يتمتع بشعبية كبيرة بين الضباط وأنه من الضروري إطلاعه على كل شيء والتعاون معه

ومحاولة تحسين علاقاته مع المقدم عبد الله جزيلان مدير الكلية الحربية سعياً إلى توحيد الصفوف ، مع ملاحظة أنه في مجال المقارنة وحتمية المفاضلة بينهما علينا أن نختار التعاون مع الملازم على عبد المغنى لأنه يحظى بثقة معظم الضباط الذين يتولون فعلاً قيادة المواقع الضاربة في الجيش سواء في صنعاء أو في تعز .

أثناء لقائى البالغ السرية مع الزميل عبد الغنى مطهر في قرية جارميش في جنوب ألمانيا الغربية لم أتمكن من التعرف بصفة دقيقة على احتياجات الثوار من أنواع الذخائر التي تحتاج إليها : الأسلحة التي يمكنهم الاستيلاء عليها من مخازن الإمام ، والأسلحة الأخرى التي تركها الإمام خارج المخازن بغير ذخيرة ، فطلبت منه أن يكلف النقيب على الكهالى مفتش الأسلحة والذخيرة بكتابة قائمة تفصيلية بهذه الاحتياجات ، إلى جانب القوائم التي سيتلقاها من الزميل العقيد حسن العمرى من صنعاء حتى أسعى إلى الحصول عليها من مصر إذا تمكنت من إقناع الرئيس عبد الناصر بالإطار العام لخطة الثورة ، بعد عرضها على السيد أنور السادات عندما نعود إلى مصر .

كان المفروض أن نتفق على الإطار العام لخطة الثورة وأن نترك تفاصيلها للثوار الذين سوف يقومون بتنفيذها بحسب ظروفهم وما يرونه على ساحة المعركة .

ويتلخص الإطار العام لخطة الثورة الذي قمت بوضعه فيما يلى :

عندما يستكمل ضباط الثورة في تعز احتياجاتهم الضرورية من الأسلحة والذخيرة ، ويكتمل تكوين الفرق الفدائية من الشباب الثائر المزود بالقنابل اليدوية والأسلحة الخفيفة ، وبعد إخطار المجموعتين الثورتين في كل من صنعاء والحديدة ، يبدأ الترقب لنوبة الثوار الثلاثة حراس قصر الإمام (في تعز) وهم الرقباء على واصل وحמיד الحاشدى وصالح البوركى ، فيتم اقتحام قصر الإمام مع أول ضوء في الفجر ويجرى القبض على جميع المسؤولين اليمنيين غير المشتركين في الثورة كإجراء وقائى حتى تستقر الثورة ، وكذلك القبض على جميع نساء البيت المالك دون استثناء تفادياً لأسباب الفشل التي أصابت إنقلاب الشهيد المقدم أحمد يحيى الثلايا ، والذي كان من بين أسباب فشله قيام نساء أسرة الإمام باستشارة حمية القبائل لإنقاذ بنات رسول الله .

وإذا كان هؤلاء الرقباء قد تفرقوا إلى أماكن أخرى ولم يتمكن رجال الثورة من الإنفاق مع من يحل محلهم تقوم الثورة أيضاً ما دام الثوار قد استكملوا بقية احتياجاتهم الضرورية ولم تعد مهمة اقتحام قصر الإمام صعبة على قوات الثورة .

وأثناء اقتحام قصر الإمام يتم الاستيلاء على جميع الأجهزة السلوكية واللاسلكية أو تدميرها إذا لم يتم الاستيلاء عليها ، بينما يتولى النقيب على الكهالى توجيه الثوار مع أفراد بلوك مسلم للاستيلاء على الأسلحة والذخائر التي في المخازن وتوزيعها على الثوار العسكريين والمدنيين ورجال القبائل الذين يصلون إلى تعز في الوقت المناسب للمساعدة على إحكام السيطرة على الموقف ، وإغلاق منافذ الاقتراب من تعز وتدعيم بلوك صياد وهو يسيطر على منطقة المطار .

تنتظر المجموعة الثورية فى صنعاء حتى تصلها إشارة من المجموعة الثورية فى تعز تعلن تمام السيطرة على الموقف والتخلص من الإمام . وبعد ذلك ، وليس قبل ذلك ، يقوم العميد عبد الله السلال بصفته قائد الحرس الملكى فى صنعاء والعقيد عبد الله الضبى بصفته مديراً للأمن بالتوجه إلى البدر وإظهار تأييدهما له وينصحانه بالالتجاء إلى مبنى ثكنات الجيش لتجهيز حملة ضد ثوار تعز ، وفى نفس الوقت يصدر العميد عبد الله السلال أمراً إلى أمير مفرزة قصر السلاح بفتح باب القصر وتسليم السلاح والذخيرة لضباط الجيش (الثوار) باسم العمل على حماية العاصمة ومحطة الإذاعة .

فى هذه الأثناء يقوم الضباط الثوار بتوزيع قواتهم على المراكز الهامة فى صنعاء وتعيين مجموعات لحراسة جميع المسؤولين والخطرين على الثورة .

وفى اللحظة التى يراها الثوار مناسبة تصدر قيادة الثورة أمرها باعتبار البدر مقبوضاً عليه إذا كان قد استمع إلى النصيحة والتجأ إلى ثكنات الجيش ، وإذا كان لم يستمع إلى نصيحته وبقي فى قصر البشائر (قصر البدر) فإن الأمر لن يختلف كثيراً لأن الثوار يكونون قد أحاطوا به داخل قصره باسم حمايته ، وتحت قيادة قائد حرسه الملكى العميد السلال ، كما يكونون قد اتموا السيطرة على جميع المراكز الهامة فى العاصمة بما فى ذلك محطة الإذاعة ومطار صنعاء ، كما قد أحاطوا بجميع المسؤولين والخطرين باسم حراستهم .

وفى لحظة إعلان قيادة الثورة القبض على البدر تقوم المجموعات الثورية المكلفة بحراسة المسؤولين والخطرين على الثورة بالقبض عليهم جميعهم ونقلهم إلى ثكنات الجيش ، ويكون العقيد حسن العمرى قد احتل الإذاعة باسم حراستها بصفته نائباً لوزير المواصلات ومديراً للاسلكى بالاشتراك مع قوات الثورة فيقوم بإذاعة بلاغات الثورة أو يكلف أحد المذيعين بإذاعتها .

على إثر إذاعة البلاغ الأول من إذاعة صنعاء تبدأ فوراً مهمة المجموعة الثورية فى الحديدة وهى القبض على جميع المسؤولين والخطرين على الثورة واحتلال المراكز الهامة وتأمين الميناء والمطار .

أما إذا فشلت مجموعة صنعاء فى القيام بمهمتها لأى سبب من الأسباب رغم نجاح مجموعة تعز ، فعلى مجموعة صنعاء أن تقوم على الأقل بتدمير محطة الإذاعة حتى لا تنطق باسم المملكة اليمنية . ويمكن تحديد موجه لاسلكية فى تعز لربطها بإحدى محطات الإذاعة فى مصر كى تتولى إذاعة بلاغات الثورة التى يذيعها المسئول عن ذلك من تعز باسم إذاعة الجمهورية اليمنية .

كما تقوم مجموعة الحديدة بأداء مهمتها حتى إذا فشلت مجموعة صنعاء ، وذلك لتأمين الميناء والمطار والقبض على المسؤولين والخطرين على الفور .

عند قيام مجموعة تعز بواجبها سوف أصل إلى مطار تعز ومعى محطة إذاعة أخرى باسم الجمهورية اليمنية ، ويبدأ العمل الثورى فى الزحف من تعز إلى بقية مناطق اليمن

بالاشتراك مع المجموعات الثورية الأخرى فى صنعاء وغيرها التى لم تتمكن لأى سبب من الاسباب من تنفيذ مهمتها بعد نجاح مجموعة تعز ، وعندئذ يمكن أن تصل المساعدات العسكرية المصرية الرمزية بواسطة ميناء الحديدة ومطارها ومطار تعز وميناء المخا بدعوة من الجمهورية اليمنية التى قامت فى تعز .

وحيث أن الثورة اليمنية سوف تحتاج إلى دعم عسكرى من مصر إلى جانب الدعم السياسى المعنوى فقد كان من الضرورى أن تكون مصر على علم مسبق بساعة الصفر قبل قيام الثورة ، لذلك وضعت فى الخطة أن يرسل إلى الزميل عبد الغنى مطهر ثلاث برقيات بواسطة الزميل محمد قائد سيف فى عدن ، على أن يكون الفاصل الزمنى بين كل برقية عدة ساعات ، تقول الأولى (اشحنوا البضاعة) وتقول الثانية (هل وصلت الحوالة) وتقول الثالثة (انتظروا الأخ فى المطار) .

وعندما تصلنى برقية من هذه البرقيات الثلاث سأفهم أن تجهيزات الثورة قد اكتملت وأنها ستقوم خلال أسبوعين . وكانت وجهة نظرى من إرسال ثلاث برقيات هو التأكد من وصول واحدة منها على الأقل ، وبمجرد إستلامى إحدى هذه البرقيات أقوم بالاتصال فوراً بأنور السادات الذى يتولى بحث الأمر مع الرئيس جمال عبد الناصر (لأنه حتى تلك اللحظة كان يرفض الحديث المباشر عن الثورة اليمنية باعتباره رئيساً للجمهورية العربية المتحدة وكنت أشترط أن أعرف رأيه منه شخصياً ، وليس بواسطة السادات تفادياً لأى احتمال لخطأ فى النقل أو التفسير) .

فإذا أبلغنى الرئيس عبد الناصر بأن مصر على استعداد للدعم العسكرى الرمزى للثورة اليمنية (إذا وافقت مصر على هذه الخطة بعد عرضها عليه) فإننى أقوم بإرسال الرد على الزميل محمد قائد سيف فى ثلاث برقيات أيضاً ، أقول فى الأولى (البضاعة فى الطريق) وفى الثانية (وصلت الحوالة) وفى الثالثة (سننتظر الأخ) وعندئذ يقوم الزميل محمد قائد سيف بإبلاغ هذا الرد للزميل عبد الغنى مطهر .

أما إذا كانت مصر غير مستعدة للدعم العسكرى الرمزى فى ذلك الوقت بالذات الذى حدده الزميل عبد الغنى مطهر فإننى أرسل إلى الزميل محمد قائد سيف ثلاث برقيات أقول فى الأولى (ستتأخر البضاعة) وفى الثانية (لم تصل الحوالة) وفى الثالثة (لا يوجد سرير فى المستشفى) . وعندئذ يتولى الزميل محمد قائد سيف إبلاغ هذا الرد للزميل عبد الغنى مطهر الذى يتشاور مع بقية الثوار ، فإما أن يقرروا تأجيل القيام بالثورة حتى يأتى الوقت المناسب الذى توافق فيه مصر على دعم الثورة عسكرياً بصفة رمزية ، أو يقرروا القيام بالثورة إذا كانت فرصة القيام بها جيدة جداً وتحتاج فقط إلى دعم سياسى ومعنوى من مصر .

فإذا رأى الزميل عبد الغنى مطهر والثوار أن الفرصة المتاحة أمامهم فرصة عادية ويفضلون تأجيل القيام بالثورة فعليه أن يكلف الزميل محمد قائد سيف بإبلاغى بذلك فى ثلاث برقيات يقول فى الأولى (استعجلوا البضاعة) وفى الثانية (ستحول القيمة) وفى الثالثة (المريض يلح على السفر) .

وعندما يبلغني أنور السادات أن مصر جاهزة للدعم العسكى الرمى أرسل ذلك إلى الزميل محمد قائد سيف فى ثلاث برقيات أقول فى الأولى (البضاعة فى الطريق) وفى الثانية (وصلت الحوالة) وفى الثالثة (سننتظر الأخ) .

ويكون وصولى إلى تعز بطائرة خاصة ومعى محطة إذاعة صغيرة ومهندسون لتشغيلها ، وضابط مصرى لحصر الأسلحة والذخيرة الموجودة لإعداد قائمة بما تحتاج إليه الثورة بعد قيامها ، ومعى أيضا أسلحة وذخائر تستكمل حمولة الطائرة .
وفىما يتعلق بتشكيل مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء وبقية التنظيمات العسكرية والإدارية فبعد أن استعرضت أسماء جميع المرشحين مع الزميل عبد الغنى مطهر استحسن أن يتفق الزميل عبد الغنى مطهر على التشكيل النهائى مع الزملاء الثوار فى اليمن عندما يعود إليها ، على أن يبلغنى بما يستقر عليه الرأى النهائى مع ملاحظة أمرين طلبت أن يدرسهما الثوار بكل عناية .

الأمر الأول : أننى أرى ترشيح القاضى عبد الرحمن الإريانى ليتولى رئاسة مجلس قيادة الثورة لما كنت أعرفه عنه من الالتزام المطلق بالوحدة الوطنية وتحقيق العدالة والمساواة بين جميع أبناء اليمن ، والأيمان بحتمية إلغاء كافة أنواع التفرقة والتمييز بين اليمنيين سواء كانت التفرقة عنصرية أو طائفية أو إقليمية ، فضلا عن كونه معروفا بالتدين والتمتع بالصلات الوثيقة مع العلماء ورجال القبائل .

الأمر الثانى : ليس عيبا أن نعترف فيما بيننا بأننا جميعا بغير استثناء من أبناء عامة الشعب اليمنى العاديين ، وعندما نظهر على مسرح الحكم فى اليمن لن نستطيع ، فى أول الأمر ، أن نملأ الفراغ النفسى لدى الجماهير التى تعودت منذ ألف ومائة عام على تقديس الأسماء اللامعة التى تدعى الانتساب إلى الرسول .

ولذلك اقترحت حلا لهذه المشكلة أن يشترك معنا فى السلطة بعض العلماء وجميع رؤساء وزعماء القبائل . فإلى جانب مجلس قيادة الثورة الذى يتكون من عدد محدود من المدنيين والعسكريين الذين يتولون ممارسة سلطات السيادة فى اليمن ، وإلى جانب مجلس الوزراء الذى يتكون من عدد من القادرين على إدارة شئون الدولة تحت إشراف مجلس قيادة الثورة الذى يعينهم ويعزلهم وليس هناك ما يمنع من أن يكون بعضهم من أعضاء مجلس قيادة الثورة لا سيما بالنسبة للوظائف العسكرية ، إلى جانب هذين المجلسين أكدت ضرورة تشكيل مجلس ثالث بأسم مجلس الدفاع الأعلى ، ويتكون من بعض العلماء وجميع شيوخ الضمان وهم معروفون فى قوائم المالية لأنهم المسئولون عن زكاة مناطقهم ، وبالنسبة إلى المناطق التى ليس فيها شيوخ ضمان يمكن اختيار أبرز شيوخها لعضوية هذا المجلس الذى اقترحت أن يتقاضى أعضاؤه نفس مرتبات الوزراء ، ويختص هذا المجلس فى النظر فى شئون أمن الدولة لمعاونة مجلس قيادة الثورة على أداء رسالته ، ويجتمع بناء على دعوة من رئيس مجلس قيادة الثورة الذى يتولى رئاسة هذا المجلس ويشترك معه إلى جانب العلماء والشيوخ رئيس مجلس الوزراء بصفته نائبا لرئيس هذا المجلس ، وكذلك القائد العام للقوات المسلحة ووزير شئون القبائل ، ورئيس هيئة أركان القوات المسلحة ، ووزير الدفاع ، ووزير الداخلية ، والقائد العام للحرس الوطنى ، ووزير الطيران .

واقترحت أن يتولى الزملاء القاضى عبد السلام صبره والعقيد حسن العمرى والاستاذ على المطرى اختيار شيوخ ضمان القسم الأعلى وتهمة لارتباطهم الوثيق بهم ، وأن يتولى الزملاء عبد الغنى مطهر وعبد القوى حاميم اختيار شيوخ القسم الأسفل وشيوخ المشرق لنفس هذا السبب ، ثم إدراج جميع أسماء الشيوخ والعلماء أعضاء مجلس الدفاع الأعلى فى قائمة واحدة يتم إعلانها مع بلاغات الثورة حتى يشعر كل رؤساء وزعماء القبائل والعلماء أنهم أصبحوا شركاء فى السلطة وخلفاء للنظام الإمامى الذى كان يقوم على رجل واحد يحتكر السلطة ويذل الشعب باسم الدين .

هكذا أوصيت بوضع حجر الأساس لبناء الديمقراطية والقيادة الجماعية فى اليمن .

واتفقت مع الزميل عبد الغنى مطهر على تدبير مبلغ من المال ليقوم بتوزيعه على الثوار لمواجهة بعض احتياجات الثورة إلى جانب الأموال التى قدمها من حسابه الخاص وأنفقها على الأسلحة والذخائر .

أما إذا مات الإمام أثناء تجهيز الثورة فإن موته المفاجيء يعتبر ساعة صفر ايا كانت حالة التنظيم الثورى ، وعندئذ يختار التنظيم أحد حلين : أما أن تبدأ مجموعة تعز بالضربة الأولى عنما تتدفق الشخصيات الهامة على قصر الإمام ، وأما أن تترك ضربة البداية لمجموعة صنعاء إذا لم تستطع تعز أن تستوعب عناصر المفاجأة بالسرعة اللازمة .

بالإضافة إلى هذا التقرير المفصل الذى وضعته تلخيصا لكل المعلومات التى توفرت عندي سلمت للزميل عبد الغنى مطهر ورقة صغيرة (الوثيقة رقم ١٧) تحدد خطوات العمل ونصها مع تفسير رموزها كما يلى :

المطلوب :

أولا : تقرير عن نتائج الاتصال ومواصلة ذلك وتحديد موجة لاسلكية وموعد للتجربة قبلها بإسبوع (كى نربطها بمحطة إذاعة مصر إذا اضطررنا إلى تدمير محطة الإذاعة فى صنعاء) .

ثانيا : قائمة بالمطلوب بحسب الأهم فالمهم .

ثالثا : إفهام الجماعة (الثوار) بتفاصيل المباحثات (التى جرت بيننا) ثم إفادتهم بما يلى :

١ - تخصص ٥٠٠٠ ريالاً لمنطقة الجنوب بنظر محمد قائد سيف لعملية الاتصال و ٥٠٠٠ ريالاً لمنطقة الشمال بنظر الجماعة فى صنعاء لعملية الاتصال . وإذا لزم أثناء فترة التجهيز شيء آخر فبحسب التقارير . ويخصص الباقي لتعز باعتبارها نقطة البداية ويكون بنظر الأخ (عبد الغنى مطهر) والقاضى (عبد الرحمن الإريانى)

٢ - ستتولى (مصر) صرف معاشات مدى الحياة لكل من يصيبه ضرر له أو لأسرته وذلك سواء فى حالة النجاح أو الفشل .

٣ - يلزم قطع الاتصالات مع كل شخص ليس داخلا فى القوائم لضمان السرية ويمكن الانتفاع بكل شخص آخر بعد النجاح . وكذلك تنحصر المعلومات فى أضيق نطاق حتى بالنسبة للأشخاص المذكورين فى القوائم ولا تعطى المعلومات لأى منهم إلا بحسب الحاجة .

٤ - إعداد نحو مائة برقية تأييد توقع بأسماء مختلفة من الأشخاص المهمين لتذاع بمجرد قيام العمل (الثورة) وتعلنون باسم « مجلس قيادة الثورة » .

٥ - إذا لاحت فرصة أثناء فترة التجهيز فيلزم انتهازها بعد الاتصال فيما بين المراكز الرئيسية . أما إذا أمكن تحديد الموعد فيكون إرسال البرقية المتفق عليها بواسطة محمد قائد ثم تعاد فى اليوم التالى ونصها « سنفتح الاعتماد خلال كذا » ويحسن فى هذه الحالة إدخال محمد قائد قبل الموعد بنصف يوم ليشارك فى التنفيذ والقيادة .

(المفروض أن ترسل هذه البرقية فى حالة عدم الحاجة الفورية إلى المساعدات العسكرية المصرية الرمزية التى يمكن أن تتأخر بضعة أيام أو اسبوع بعد قيام الثورة) .

٦ - فى حالة وفاة الإمام أو قيام إنقلاب آخر فعلى أفراد تنظيمنا الإتصال فيما بينهم لاسلكيا والسيطرة على الموقف وضرب الإنقلاب الآخر والقضاء على (الإمام والبدور وزعماء الإنقلاب الآخر) وإذاعة البلاغات المتفق عليها .

٧ - فى حالة قيام العمل (الثورة) وعدم السيطرة على الموقف لأى سبب تستمر المقاومة باستماته وسأصل حسب الخطة وتتبعنى المساعدات المتفق عليها ويجب أن نسيطر على أية بقعة ونعلن قيام الحكومة وتستمر المعركة حتى النهاية وسيكون معنا (خبير عسكرى مصرى للتعرف على احتياجاتنا العسكرية) .

٨ - بمجرد قيام العمل (الثورة) يتوجه (الخبير العسكرى المصرى) إلى تعز بعد التأكد من سيطرة (حمود الجانفى) على الحديدة ويتولى كل شخص غير عسكرى الإشراف على القبائل المتفاهمة معه والسفر إليها إذا لزم الأمر . وواجبات القبائل هى السيطرة على مناطقها هى ، وعدم السماح بمرور أية قبيلة أخرى من أراضيها أو أية قوات مهما كانت إلا بإذن من مجلس القيادة . ويلزم عدم دخول القبائل المدن إلا إذا لزم الأمر وبدعوة من الحاكم العسكرى المشرف على المدينة .

٩ - يلزم تعيين المناطق التى للحسينيين (أنصار الأمير الحسن) سيطرة عليها كصعدة وغيرها ثم الاتفاق مع القبائل المجاورة على ضرورة اقتحام هذه المناطق بمجرد أول بلاغ من الإذاعة أو إشارة من أفراد التنظيم المختصين بذلك ، على أن تبقى هذه القبائل داخل هذه المناطق والسيطرة عليها إلى حين صدور أوامر أخرى من مجلس القيادة .

١٠ - يلزم الاستحكام فى الحدود فى الشمال والجنوب وستصل مع (الخبير العسكرى المصرى) الألغام وخبراء بثها لإحكام إغلاق الحدود والسيطرة عليها .

١١ - موضوع العدوان الخارجى ومعالجة الموقف الدولى تترك للبعضانى وقد وضع الخطط المناسبة لجميع الاحتمالات مع (عبد الناصر) .

١٢ - بمجرد العمل (الثورة) يستمر الاتصال بين المراكز الرئيسية لاسلكيا وإذا استجد ما يلزم معه إصدار بلاغات ثورية جديدة فيمكن الاتفاق عليها لاسلكيا وإذاعتها .

١٣ - تلزم السيطرة تماما على الإذاعة وبيوت السلك واللاسلكى والمطارات وميناء الحديد والمخا وإعداد الطائرات فى حالة تاهب ليصل اليها الطيارون مع (الخبير العسكرى المصرى) .

١٤ - إشارة نزول (البعضانى) هى (المصباح) .

١٥ - الاتصال بواسطة محمد قائد . ورأسا فى حالة الاستعجال ، وتصدر بلاغات الثورة من الإذاعة فى صنعاء وفى حالة تدميرها يتم إذاعة البلاغات من محطة اللاسلكى فى تعز التى تكون قد تم وصلها بإحدى محطات الإذاعة المصرية على الموجة المتفق عليها ويكون ترتيب البلاغات الثورية على النحو التالى :

البلاغ الأول

(باسم الله وباسم الشعب اليمنى الخالد قامت الثورة الشعبية من أجل الإطاحة بالعهد البائد الذى أهلك الشعب وأحال مجده العظيم إلى خرائب وأطلال ومآسى يتندر بها العالم كلما ذكر اليمن واليمنيين)

وقد سيطرت الثورة على جميع الأراضى اليمنية تحقيقا للأهداف الشعبية التالية :
(وهنا تذاع أهداف الثورة حرفيا كما سبق أن نشرتها فى مجلة روز اليوسف بتاريخ ٢٣ أبريل ١٩٦٢ بعنوان (مخالف الثوار) وسبق ذكرها فى هذا الكتاب (صفحة ٢٣١) .

البلاغ الثانى

يعلن مجلس قيادة الثورة إحترامه لجميع المعاهدات والاتفاقات التى أبرمها العهد البائد والتى عقدت طبقا للأصول الدولية المرعية ، كذلك يتمسك المجلس بميثاق الأمم المتحدة وميثاق الجامعة العربية .

البلاغ الثالث

يعلن مجلس قيادة الثورة إلغاء التفرقة العنصرية والمذهبية واعتبار المواطنين جميعا سواء أمام القانون فى الحقوق والواجبات .

البلاغ الرابع

يعلن مجلس قيادة الثورة إطلاق جميع الرهائن والمساجين لأسباب سياسية وتكليف مأمورى السجون بتنفيذ ذلك فورا والعمل على نقلهم إلى مقر المجلس تمهيدا للنظر فى تعيينهم فى المناصب المناسبة ونقل من يبقى منهم إلى ذويهم .

البلاغ الخامس

يعلن مجلس قيادة الثورة تأليف مجلس الوزراء على النحو التالي :
(وتعلن أسماء رئيس ونائب رئيس وأعضاء المجلس)

البلاغ السادس

تحقيقاً لإرادة الشعب في الوحدة العربية قرر مجلس قيادة الثورة أن يطلب إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر إعادة الاتحاد الفيدرالي الذي وقعه العهد البائد ولم ينفذه ، وتنفيذاً لهذا القرار كلف مجلس القيادة مجلس الوزراء أن يتولى اتخاذ الاجراءات اللازمة لذلك .

البلاغ السابع

قرر مجلس قيادة الثورة تعيين الحكام العسكريين الآتية أسماؤهم :
(وهنا تذاغ أسماء الحكام العسكريين لمحاافظات صنعاء وتعز والحديدة وحجة وحوث واب وصعدة والبيضاء)
ويتولى هؤلاء الحكام العسكريون ممارسة كافة السلطات كل في محافظته تنفيذاً لأوامر مجلس قيادة الثورة .

البلاغ الثامن

قرر مجلس قيادة الثورة تعيين المحافظين الآتية أسماؤهم :
(وتركت اختيار هذه الأسماء للزملاء الثوار عندما يعود الزميل عبد الغنى مطهر إلى اليمن) ويقوم كل محافظ بأعمال منطقته طبقاً للتعليمات التي يتلقاها من الحاكم العسكري التابع له ومن مجلس قيادة الثورة إذا لزم الأمر .

البلاغ التاسع

قرر مجلس قيادة الثورة عزل جميع النواب (أمراء المحافظات أو الأولوية) وأيقاف جميع العمال (المديرين) والحكام من أعمالهم وعلى كل منهم تسليم أعماله إلى المحافظ التابع له ، وعلى المحافظين تنفيذ ذلك مع استخدام كافة الاجراءات الضرورية بما في ذلك القوة المسلحة .

(يلاحظ في هذا البلاغ أنه يقضى بعزل جميع المحافظين والمديرين والحكام الذي سبق أن عينهم الإمام إلا الذين يختارهم الزملاء الثوار ويترجون أسماءهم ضمن قائمة المعينين الجدد ، لأنه ليس كل من سبق أن عينهم الإمام تستغنى الثورة عن خدماتهم ، فمنهم من كانوا ثائرين على الإمام يتحنون الفرصة إلى التخلص منه وهؤلاء يجب أن يختارهم الثوار ويقتوهم في مراكزهم ، ولكن بإسم مجلس قيادة الثورة) .

البلاغ العاشر

قرر مجلس قيادة الثورة تشكيل مجلس الدفاع الأعلى للنظر فى شئون أمن الدولة ومعاونة مجلس قيادة الثورة على أداء رسالته ويتكون المجلس على النحو التالى :

(وتعلن أسماء العلماء ورؤساء وشيوخ القبائل الذين سبقت الإشارة إليهم قبل ذلك)
ويجتمع مجلس الدفاع الأعلى بناء على دعوة من رئيس مجلس قيادة الثورة أو نائبه .

البلاغ الحادى عشر

قرر مجلس قيادة الثورة تعيين نواب الوزراء الآتية أسماؤهم :

(وتعلن أسماء الذين يقع عليهم اختيار الزملاء الثوار لهذه المناصب)

البلاغ الثانى عشر

(ويختص بتعيين مدير المخابرات الحربية ونائبيه، ومدير المخابرات العامة ونائبيه)

البلاغ الثالث عشر

(ويختص بتعيين مدير عام الامدادات الحربية وقائد منطقة باب المندب والمخا ومدير عام الشرطة ونائبه ونائب رئيس أركان حرب القوات المسلحة ونائب مدير الأمن العام ومدير عام الطيران المدنى وقائد حرس مجلس قيادة الثورة ومدير عام الجوازات والجنسية) .

البلاغ الرابع عشر

ويقضى بتعيين الأستاذ أمين عبد الواسع نعمان رئيسا لمجلس إحياء التاريخ اليمنى وتعويض المجاهدين وتعيين أربعة لمساعدته .

(الهدف من ذلك هو إعادة صياغة التاريخ اليمنى الذى زيفه الأئمة السابقون ، وقد اخترت الأستاذ أمين نعمان لسابق معرفتى بقدرته الفائقة على تسجيل التاريخ اليمنى الذى يكاد يحفظه عن ظهر قلب) .

البلاغ الخامس عشر

قرر مجلس قيادة الثورة تشكيل محكمة الثورة على النحو التالى :

(وقد رشحت الزملاء الثوار حمود الجائفى وعبد الله السلال وعبد الله الضبى وعبد الله حسين الأحمر وأمين عبد الواسع نعمان كما رشحت الزميل الثائر حسن العمرى ليكون المدعى العام ، إلى جانب مهامهم الأخرى)

وتختص محكمة الثورة فى نظر القضايا التى يحيلها إليها مجلس قيادة الثورة . وترفع أحكام هذه المحكمة إلى مجلس القيادة للتصديق عليها .

البلاغ السادس عشر

قرر مجلس قيادة الثورة إعتبار الزكاة أمانة في جميع أنحاء اليمن وإلغاء جميع البقايا من الضرائب المتأخرة التي عجز أصحابها عن تسليمها وإلغاء ضرائب الخمس والخيرية وحواجز المرور (ضرائب الخشب) على أن ينفذ هذا فوراً .

البلاغ السابع عشر

قرر مجلس قيادة الثورة فرض الحراسة على جميع أموال الأسرة الحاكمة البائدة (وتذكر أسماء أفراد هذه الأسرة بالتحديد الذي يتفق عليه الزملاء الثوار بعد عودة الزميل عبد الغنى مطهر إلى اليمن) .

ويحظر من تاريخ هذا كل تعامل على هذه الأموال ويكون التعامل في هذا الشأن مع الحارس العام على الأموال المصادرة .

(ورشحت الزميل محمد حسن صبره ليكون حارساً عاماً للأموال المصادرة والزميلين محمد جمال وهاشم طالب ليكونا نائبين له ، لمعرفة هؤلاء معظم مفردات هذه الأموال داخل اليمن .

البلاغ الثامن عشر

قرر مجلس قيادة الثورة تكليف وزير المالية والاقتصاد بحصر القروض التي منحها العهد البائد (لبعض الشخصيات) للنظر في شأنها . وتكليف وزير العدل بتشكيل اللجان اللازمة لإعداد تقارير عن جميع الأحكام المعلقة وعرضها عليه للفصل فيها فوراً . وتكليف وزير الداخلية بإعداد تقارير عن جميع المساجين غير السياسيين للبت في شأنهم فوراً .

البلاغ التاسع عشر

تحقيقاً لاستمرار القيادة الشعبية بصفة جماعية من أجل سلامة الشعب وأهدافه السامية ، ومنعاً من أي انحراف يقع فيه أي شخص مسئول مهما كانت درجته القيادية قرر مجلس قيادة الثورة أنه إذا انحرف أي عضو من أعضائه عن أهداف الثورة أو عمل على عرقلة تنفيذ قرارات المجلس يحاكم حضورياً أمام المجلس بناء على طلب كتابي من خمسة أعضاء ويصدر الحكم بموافقة ثلاثة أرباع المجلس .

ويحاكم الوزراء ونوابهم أمام المجلس بناء على طلب من رئيس مجلس الوزراء أو نائبه أو خمسة وزراء ، وتصدر الأحكام بالأغلبية المطلقة . ويحاكم جميع موظفي الدولة عدا ما ذكر أمام محكمة الثورة بناء على إحالة من مجلس قيادة الثورة بالأغلبية المطلقة .

ويسرى ذلك أثناء فترة الانتقال إلى أن يتم انتخاب المجلس النيابي الذي يختار رئيس الجمهورية ويتم فصل السلطة التشريعية عن السلطة التنفيذية عن السلطة القضائية .

البلاغ العشرون

يذاع بلاغ بإعلان عودة الاتحاد الفيدرالى بين الجمهورية العربية اليمنية والجمهورية العربية المتحدة بمجرد وصول موافقة الرئيس جمال عبد الناصر على طلب مجلس الوزراء اليمنى .

تذاع ، بين هذه البلاغات الثورية ، موسيقى عسكرية وأناشيد حماسية وبرقيات التأييد ، تلك البلاغات التى اعتقدت أنه من شأنها أن تملأ الساحة اليمنية بالأمل فى المستقبل الأفضل ، وتشعر رؤوس وأعيان اليمن بأنهم شركاء فى السلطة الجديدة رغم تركيز سلطات السيادة فى يد مجلس قيادة الثورة .



المؤلف وبجواره الأستاذ عبد الغنى مطهر فوق سطح جبل من جبال قرية جارميش
بألمانيا الغربية (يونية ١٩٦٢)



أمضيت مع الزميل عبد الغنى مطهر فى قرية جارميش بجنوب ألمانيا الغربية أسبوعين وبعد الانتهاء من وضع هذه الخطة الثورية عدت معه إلى القاهرة يوم ٢ يونيه ١٩٦٢ وعنما راجعنا هذه الخطة مع الزميل محمد قائد سيف اقترح أن نوصى بإضافة الشيخ على محمد مهيوب شيخ الوبرة والشريحة إلى قائمة الثوار وهو الذى تعهد بتجهيز مائتى رجل مسلح من قبيلته لإحتلال منحنى طريق تعز - الراعدة الذى يقع فى منطقته كما تعهد بإرسال تعزيزات مسلحة إلى تعز إذا لزم الأمر .

وفى تلك الأثناء وصلتني رسالة من الأستاذ محمد على مرجان وهو محامى فى لندن من أهالى البيضاء ومقيم فى الصومال ، وكان والده الشيخ على مرجان صاحب اليد الطولى فى حرب استقلال الصومال ، فهو رجل الأعمال اليمنى الذى أنفق على حركات التحرير الصومالية التى جاءت برئيس جمهورية الصومال إلى السلطة فى ذلك الوقت ، بعد أن كان يعمل موظفا لدى على مرجان ، وجاء فى تلك الرسالة أنه يعرض علينا تجنيد وتسليح ألفى رجل من اليمنيين الذين يعملون فى الصومال وإرسالهم إلى اليمن عند قيام الثورة للدفاع عنها ، فاقترحت ضمه إلى قائمة المرشحين لعضوية المجالس الثورية التى سيعود بها الزميل عبد الغنى مطهر لدراستها مع الزملاء الثوار فى اليمن ، وإبلاغى بما يتفق عليه الرأى بصفة نهائية بالنسبة إلى جميع التشكيلات .

وضعت تقريرا شاملا يتضمن كل ما سبق شرحه عن إمكانيات وأسماء الثوار فى اليمن وخطة الثورة المقترحة وبلاغاتها وما تحتاج إليه من مصر ، وسلمت هذا التقرير إلى الزميل عبد الغنى مطهر ليحمله إلى الزملاء الثوار فى اليمن إذا وافق عليه الرئيس عبد الناصر واحتفظت بصورة منه ، وذهبت مع الزميلين النقيب محمد قائد سيف وعبد الغنى مطهر لمقابلة أنور السادات وسلمناه أصل من هذا التقرير الشامل يوم أول محرم ١٣٨٢ الموافق ٤ يونية سنة ١٩٦٢ .

كان أملى أن يقتنع السادات بهذا العرض الشامل وجدية العمل الثورى فى اليمن حتى يعرضه على الرئيس جمال عبد الناصر فيقتنع بدعم الثورة اليمنية معنويا وسياسيا ، مع تقديم المساعدات العسكرية الرمزية التى اقترحناها فى صلب خطة الثورة ، والتى بدونها لن يقتنع الثوار اليمنيون بوقوف مصر إلى جانبهم مما يمثل عندهم الساعد الأيمن للقيام بالثورة . أما إذا نصحنا الرئيس عبد الناصر بأن نترقب وقتا أكثر ملائمة فإننا لن

نخسر شيئاً إذا كتمت حسرتى مع الزميلين محمد قائد سيف وعبد الغنى مطهر ثم ننتظر حتى يأتى الوقت الذى يراه الرئيس عبد الناصر مناسباً للقيام بالثورة ، بشرط أن تدفعنا هذه الحسرة إلى مزيد من الأمل والعمل وليس إلى شئ من الحزن واليأس .

وبعد يومين دعانا السادات إلى زيارته فى بيته وأبلغنا موافقة جمال عبد الناصر على ما جاء فى التقرير الذى سلمناه إلى السادات .

وفى المساء أخذنى السادات إلى منزل الرئيس عبد الناصر حيث كان مجتمعاً مع المشير عبد الحكيم عامر وصلاح نصر . وبعد مناقشة تفاصيل خطة الثورة وافق عليها جميع الحاضرين وطلب الرئيس عبد الناصر أن ناقش بعض تفاصيل المساعدات المصرية مع صلاح نصر فى اليوم التالى فى مكتبه بالرئاسة .

جاءت موافقة جمال عبد الناصر على مساعدة الثورة اليمنية مصداقاً لما ذكره فى الميثاق الوطنى الذى لم يكن قد جف مداده ، والذى كان قد قدمه قبل ذلك بأسبوعين (يوم ٢١ مايو ١٩٦٢) إلى المؤتمر الوطنى لمناقشته وإقراره ، وقال فى صدر بابه الثالث وتحت عنوان « جذور النضال المصرى » إنه (منذ زمان بعيد فى الماضى لم تكن هناك سدود بين بلاد المنطقة التى تعيش عليها الأمة العربية الآن . وكانت تيارات التاريخ التى تهب عليها واحدة ، كما كانت مساهمتها الإيجابية فى التأثير على التاريخ مشتركة . ومصر بالذات لم تعيش حياتها فى عزلة عن المنطقة المحيطة بها ، بل كانت دائماً بالوعى ، وباللاوعى فى بعض الأحيان ، تؤثر فيما حولها وتتأثر به كما يتفاعل الجزء مع الكل . وكان الفتح الإسلامى ضوئاً أبرز هذه الحقيقة وأنار معالمها وصنع لها ثوباً جديداً من الفكر والوجدان الروحى . وفى إطار التاريخ الإسلامى ، وعلى هدى رسالة محمد ﷺ ، قام الشعب المصرى بأعظم الأدوار دفاعاً عن الحضارة الإنسانية) .

ويمضى الميثاق الوطنى حتى يصل بابه التاسع فيؤكد تحت عنوان « الوحدة العربية » قائلاً (إن مسئولية الجمهورية العربية المتحدة فى صنع التقدم وفى دعمه وحمايته تمتد لتشمل الأمة العربية كلها . إن الأمة العربية لم تعد فى حاجة إلى أن تثبت حقيقة الوحدة بين شعوبها .

لقد تجاوزت الوحدة هذه المرحلة وأصبحت حقيقة الوجود العربى ذاته . يكفى أن الأمة العربية تملك وحدة التاريخ التى تصنع وحدة الضمير والوجدان . ويكفى أن الأمة العربية تملك وحدة الآمال التى تصنع وحدة المستقبل والمصير .

من هذا المنطلق الثورى ، والوضوح الفكرى ، والارتباط التاريخى ، والالتزام الإنسانى ، والوفاء الوطنى ، والانتماء القومى وافق جمال عبد الناصر على مساعدة ثورة اليمن التى تسعى إلى إيقاظ شعبها من غياهب القبور المظلمة ، وتفك أسرهم من قيود التخلف الغليظة ، حتى يسترد هذا الشعب اليمنى العملاق مكانه الخلاق بين أبناء الأمة العربية الذين يسعون إلى إحياء وحدتها وبناء مجدها وصنع حضارتها الحديثة واليتصدى الجماعى للاطماع الدولية ، التى يسرها أن يستمر تفتيت الأمة العربية ، ويستقر قلبها

على النمط الذى أفرزته سموم التجزئة ، وأسكرته خمور الشعارات الإقليمية المتخلفة ، التى أذلت رأس الأمة العربية ، وقطعت عنقها على مذبح الصراعات الدولية ، فأسلمت جسدها من الخليج إلى المحيط لقمة سائغة على مائدة الأطماع الأجنبية .

كان عبد الناصر يدرك ، بحق ، أن أمن الأمة العربية كل لا يتجزأ ، وأن مصلحتها المشتركة حقيقة لا تقبل التجزئة ، وأن البحر الأحمر يمثل القصبه الهوائية بالنسبة لرقبة الأمة العربية ، والشريان التاجى للقلب العربى الذى من أجله هبت الحملة الفرنسية على مصر فتفتحت شهية بريطانيا حتى احتلت عدن وجنوب اليمن فى طريقها إلى استعمار وادى النيل ، وهكذا اقتسمت فرنسا وبريطانيا وأسبانيا وإيطاليا معظم أرجاء العالم العربى على رفاة السلطنة العثمانية وتفكك السواعد العربية وانتشغال العرب بالكيانات الاقليمية الهزيلة فى دنيا الوحوش الكاسرة .

كان عبد الناصر يدرك بحق ، أن مصر ، وأية دولة عربية أخرى ، لا تستطيع أن تحمى أمنها الإقليمى إلا من خلال حماية أمنها القومى ، ولا تستطيع أن تبني رخاءها الوطنى إلا من خلال الاشتراك فى بناء صرح نهضتها العربية الشاملة .

هذا ما أدركه عبد الناصر ، وما أفرزه التاريخ القديم ، وأثبتنه التاريخ المعاصر - إنه حكمة الماضى ومعركة المستقبل .

لذلك لم يكن السادات يضيع وقته عندما كان يتحدث معى عن ثورة اليمن ، أياما وليالى ، شهورا وسنوات . فقد كان يدرك دروس الماضى وهو ينظر إلى حقائق المستقبل .

أما أنا ، فلم أكن أجروء على مناشدة مصر أن تساعد ثورة اليمن لو لم أكن قد درست تاريخ اليمن من خلال التاريخ العربى كله ، الذى تعتبر فيه مصر العقل المفكر واليد القادرة على تغيير مجراه .

ما كنت أقدم على مناشدة مصر أن تساعد ثورة اليمن لو لم أكن قد عرفت عن قيادة الثورة فى مصر إستيعابها الكامل لأبعاد التاريخ العربى الذى يتأهب لميلاد المستقبل العربى ، وإدراكها العميق للأبعاد الضرورية لرسم الاستراتيجية السياسية والعسكرية المستخلصة من واقع الظروف الجغرافية العربية .

إننى لم أدع مصر إلى نزهة بحرية على سطح البحر الأحمر ، ولم يوافق عبد الناصر على الاشتراك فى هذه النزهة ترفيها عن زميله السادات ، ولم يقبل عبد الناصر والسادات دعوة البيضانى إستملاحا لصحبته .

لقد كان الأمر جاداً وخطيراً .

كان الأمر يتعلق بإنقاذ سبعة ملايين من أبناء شعب اليمن وإعادتهم إلى تعداد الأمة العربية ، ثم الحاقهم بسكان الأرض .

كان الأمر يستهدف السيطرة على باب المندب كما فعل رمسيس الثاني منذ أكثر من ثلاثة وثلاثين قرناً حين خرج بحملته البحرية المشهورة إلى مياه باب المندب حيث قضى على القراصنة الذين كانوا ينتهكون حرمة التجارة المصرية ، وإذا كان رمسيس الثاني قد أراد حماية التجارة المصرية من وراء هذه الحملة فلقد كان هدفنا أسمى من ذلك غاية وأجل شأنًا لأنه كان لا يتوقف عند السيطرة على باب المندب فحسب وإنما يمتد ليشمل تحرير عدن وجنوب اليمن من الاستعمار البريطاني ، حتى يصبح البحر الأحمر بحيرة عربية تحمي مصر والسودان واليمن والمملكة العربية السعودية والأردن ، بعد أن أحكمت مصر قبضتها على شمال هذا البحر حتى ميناء بورسعيد . ولقد أثبتت حرب رمضان أكتوبر ١٩٧٣ صحة هذه النظرية عندما قامت اليمن بعد الثورة بإغلاق باب المندب وبوغاز عدن بناء على طلب من مصر ، الأمر الذي لم يكن ممكناً في ظل الوجود البريطاني والحكم الإمامي إذا لم تقم الثورة في شمال اليمن مما أدى إلى تحرير جنوبها .

كان الأمر يتطلع إلى إستعادة بهجة الشعوب العربية التي طمسها الانقلاب السوري على الوحدة العربية ، تلك البهجة التي كان من الضروريّات التاريخية أن نعمل على النقاطها من تحت تراب الانفصال ، حتى لا تنطفئ جذوتها تحت أقدام جيلنا ، الذي أردنا إيقاظه من بين أنقاض المخلفات النفسية المروعة التي غرست اليأس في صدره فأثبتت اللامبالاة في سلوكه .

من أجل ذلك تشجعت على مناشدة مصر أن تساعد ثورة اليمن .
ومن أجل ذلك تحمس جمال عبد الناصر وسهر أنور السادات .

ثم وافق الرئيس عبد الناصر على أن أقوم بإذاعة مقالاتي من إذاعة صوت العرب بعد نشرها في روز اليوسف عى أن تعاد إذاعتها مرتين كل اسبوع صباحاً ومساءً ، إشعاراً للشعب اليمني بأن مصر قد تبنت فكرة الدعوة إلى الثورة الجذرية في اليمن حتى تلتف أغلبية الشعب اليمني حول الثوار عندما يقومون بها .

عدت إلى الزملاء محمد قائد سيف وعبد الغنى مطهر وحمدت الله الذي وفقنا إلى اجتياز الخطوتين الأخيرتين من الخطوات الثورية الخمس ، التي كان علينا أن نجتازها تمهيداً لقيام ثورة جذرية ناجحة في اليمن ثم ذهبنا نحن الثلاثة إلى مبنى رئاسة الجمهورية لمقابلة صلاح نصر بصفته المسئول التنفيذي الذي كلفه الرئيس جمال بدراسة احتياجات الثورة وتلبية طلباتها ، وكان معه بعض الخبراء المصريين الذين رحبوا بنا وابدؤا استعدادهم لبذل أى جهد معنا فضلاً عن تزويدنا باحتياجات الثوار في اليمن من خلال تنظيماتنا .

وكان صلاح نصر متفائلاً مقتنعاً بنجاح الثورة اليمنية وضرورة مساندة مصر لها على عكس ما سبق أن لقيناه من وكيله عزت سليمان قبل ذلك ببضعة أشهر .

وتم الاتفاق على أن أفضل وسيلة سرية للإتصال بين خلايانا الثورية في اليمن وبينى في القاهرة هي استخدام المداد السرى .

وبدأ أحد مساعدي صلاح نصر يشرح لعبد الغنى مطهر كيف يستخدم المداد السرى ، غير أنه أثناء ذلك التدريب اقترح المساعد أن يتولى عبد الغنى مطهر اختيار أحد الشبان الأحرار المتقنين ليتم تدريبه على ذلك فوقع اختياره على الشاب سلطان أحمد عمر الذى كان يعمل معه فى خلية تعز ، إلا أن سلطان لم يصل من اليمن بعد أن تم الاكتفاء بالرسائل التى يحملها فيما بيننا الزملاء عبد القوى حاميم ومحمد مهيبوب ثابت ، مع إمكانية استخدام بعض الرموز عند المراسلة بواسطة البرقيات ، فمثلا كان اسمى (المصباح) وعبد الغنى مطهر (المدير) ومحمد قائد سيف (المقاس) وساعة الصفر (فتح الاعتماد) وهكذا . وقد تم الاتفاق على تسليم نسخة من كل هذه الرموز إلى العقيد حسن العمرى فى صنعاء ليستخدما فى الاتصال بى إذا رأى لزوما لذلك .

بعد أن ناقشنا تفاصيل خطة الثورة مع صلاح نصر وخبرائه أصدر الرئيس عبد الناصر تعليماته إلى المشير عبد الحكيم عامر بأن يأمر اللواء صلاح الحديدى مدير المخابرات الحربية بأن يزودنى بجميع الاحتياجات من الأسلحة والذخائر التى يمكن أن أقوم بإرسالها إلى اليمن .

وكانت الخطة التى اقترحتها لإرسال هذه الأسلحة إلى اليمن تتلخص فيما يلى :

١ - أذهب بنفسى إلى مكتب اللواء صلاح الحديدى مدير المخابرات الحربية وأسلمه قائمة بالأسلحة والذخائر المطلوبة ومفتاح سيارتى ، وبينما أتحدث معه وأشرب فنجان القهوة يكون ضباطه قد أخذوا الحقائب الفارغة الموجودة فى سيارتى وملأوها بالاحتياجات المطلوبة بموجب تلك القائمة .

٢ - أعود إلى بيتى الذى يتولى حراسته عدد من جنود حرس الوزراء حيث أحتفظ بهذه الحقائب فى غرفة نومى حتى يحين موعد سفر محمد قائد سيف إلى عدن ، فتسبقة زوجتى إلى المطار ومعها الحقائب .

٣ - يكون فى انتظارها فى المطار أحد رجال مكتب أنور السادات والمخابرات للاطمئنان على عدم فتح هذه الحقائب فى الجمرک .

وقبيل قيام الطائرة يظهر فى مقصف (بوفيه) المطار محمد قائد سيف الذى يكون قد وصل إلى المطار بغير حقائب إمعانا فى التعمية ، وتنتهى مهمة زوجتى عند ظهور محمد قائد سيف فى مقصف المطار ، ويتجه إلى حيث كانت تجلس فيجد تحت طبق القهوة تذاكر هذه الحقائب التى تكون قد سبقته إلى الطائرة .

وعند وصول محمد قائد سيف إلى مطار عدن يجد فى انتظاره الزميل محمد مهيبوب ثابت الذى يكون قد أعد كافة الاحتياطات لإخراج هذه الحقائب دون تفتيش فى مطار عدن ، ويكون فى جيبه خمسة آلاف شلن بصفة دائمة ينقذ بها الموقف إذا تأزمت الأمور فى المطار ، وتلك كانت عادة المسؤولين هناك .

بعد أن يستقبل محمد مهيب ثابت محمد قائد سيف يتجهان إما إلى بيت الأول أو إلى بيت الثاني حيث يكون في انتظارهما الزميل عبد القوى حاميم الذى عندما يتسلم تلك الحقائق يكون قد ضمن وصولها إلى بيت عبد الغنى مطهر فى عز عن طريق جمر ك الراهدة الذى يتحكم فيه والده الشيخ إبراهيم حاميم .

وعندما تصل حقائق الأسلحة والذخائر إلى عبد الغنى مطهر يتولى توزيع بعضها على الضباط والثوار فى عز و يرسل منها ما يحتاج إليه الثوار إلى صنعاء عن طريق العقيد حسن العمرى والتاجر ناصر الكميم بواسطة أحد الرجال الموثوق فيهم .

وأذكر أننى ترددت عند اقتراحى هذه الخطوة الأخيرة التى تحتاج إلى رجل هادئ الأعصاب مثل الزميل عبد القوى حاميم الذى لا تظهر على وجهه أية علامات عاطفيه والذى تنتهى مهمته فى عز .

اقترح محمد قائد سيف أن يكون ذلك الرجل هو الزميل على محمد سعيد^(١) أحد التجار البارزين فى عز والذى كان له نشاط تجارى فى صنعاء ومن الذين تعودوا على مساعدة الثوار بالمال . وافقت على اقتراح محمد قائد سيف مشروطا عليه أن التقى به أولا قبل تكليفه بهذه المهمة فوعد بإحضاره لمقابلتي بالقاهرة .

سافر الزميل عبد الغنى مطهر إلى عدن بعد أن استلم من صلاح نصر مساعدة مالية رمزية لتضاف إلى ما يوزعه عبد الغنى على المجموعات الثورية فى اليمن لشراء بعض اللوازم التى يمكن شراؤها من هناك . كانت تلك المساعدة الرمزية عبارة عن خمسة وثلاثين ألف فرنك سويسرى صرفها فى عدن بسبعة آلاف ريال اليمنى أى حوالى ألفى جنيه مصرى .

ذهبت إلى مكتب اللواء صلاح الحديدى مدير المخابرات الحربية واستلمت أول دفعة من الأسلحة والذخائر بالطريقة التى اقترحتها وسافر بها الزميل محمد قائد سيف طبقا للخطة المتفق عليها .

وقد شهد على ذلك اللواء (الفريق فيما بعد) صلاح الحديدى فى مجلة روز اليوسف بتاريخ ٢٦ مايو ١٩٨٠ حيث قال (إن أبناء اليمن لم يكن لها ذكر كثير فى صحفنا إلى أن جاء يوم فى الشهور الأولى من عام ١٩٦٢ طالعنا فيه أحد المجلات الاسبوعية (روز اليوسف) بسلسلة من المقالات بتوقيع الدكتور عبد الرحمن البيضانى ، يشرح فيها نظام الحكم فى بلده اليمن ، وينقده ، ويحاول أن يلقي الضوء على هذا القطر الشقيق وعن سير الأمور فيه .

ولم يكن لهذه المقالات فى حقيقة الأمر أثر فى رأى العام المصرى رغم إعادة إذاعتها من صوت العرب ، فقد كان المواطنون وقتئذ مشغولين بمشاكل وطنهم الداخلية ، ومع ذلك فلا شك أن ما كتبه الدكتور البيضانى قد سلط بعض الأضواء على وطنه ، كما

(١) عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الصحة عند قيام الثورة .

أضاف بعض المعلومات العامة عن هذا القطر الذى لم يكن يسمع عنه الكثير ، كما نجحت هذه المقالات فى إزالة ما كنا نتخيله عن بقايا حضارة هذه المنطقة ، بسد مأربها العظيم وملكتها الفاتنة بلقيس .

ويبدو أن الدكتور البيضانى كان على صلة بكبار المسؤولين فى مصر فى هذه الفترة حتى أن مقالاته لم تمنعها الرقابة التى كانت مفروضة على الصحافة رغم أنها كانت تهاجم نظام حكم فى دولة منضمة رسميا إلى جامعة الدول العربية فى ذلك الوقت ودليل آخر على وجود هذه الصلة أن المرحوم المشير عبد الحكيم عامر قد قدم الدكتور البيضانى فى صيف عام ١٩٦٢ إلى أحد الأجهزة المسئولة بمصر مسرا إليه أنه سيكون على رأس الحكم فى اليمن عند اشتعال الثورة فيها والإطاحة بالإمام أحمد ومعاونيه ، وطلب من هذا الجهاز (يقصد المخابرات الحربية) تقديم كل التسهيلات للدكتور البيضانى فيما يطلبه من عون أو مساعدة . وقد أوضح الدكتور البيضانى موقفه بكل صدق وبلا أى تحفظ ، وإن كل ما يتطلبه يتلخص فى تدريبه ومجموعته على استخدام السلاح مع إجادة الرمي به ، وإرسال بعض الأسلحة إلى معاونيه فى صنعاء وتجهيز كمية محدودة منها لترافقهم عند انتقالهم إلى اليمن على طائرتين عقب اندلاع الثورة .

ومن الطبيعى أن توضع طلبات الدكتور البيضانى كما حددها محل التنفيذ ، إضافة إلى الاطمئنان لحسن الاتصال اللاسلكى بينه وبين البعض فى صنعاء) . (الوثيقة رقم ١٨) .

ولعمري ، إن هذه والله لشهادة تاريخية من أحد كبار المسؤولين فى مصر وهو مدير المخابرات الحربية يقرر فيها حقيقتين :

الحقيقة الأولى : تنفى مزاعم بعض اليمنيين الذين حاولوا عبثا تزييف التاريخ فנסبوا إلى أنفسهم أنهم هم الذين اتصلوا بمصر وحصلوا على موافقة عبد الناصر على مساعدة الثورة اليمنية .

الحقيقة الثانية : أنه حتى ذلك التاريخ (الشهور الأولى من عام ١٩٦٢) لم يكن لأنباء اليمن ذكر يناسبها فى الصحف المصرية ، حتى جاءت مقالاتى فى روز اليوسف فألقت الضوء على اليمن وعن سير الأمور فيها ، مما يعتبر وثيقة تاريخية بإدانة جميع الأحرار القدامى الذين لجأوا إلى مصر وأقاموا فيها قبل ذلك التاريخ بعشر سنوات دون أن يشرحوا قضيتهم وينشروا على الملأ مأساة بلادهم فلم يقدموا لشعبهم طوال هذا العهد شيئا مذكورا .





أخذت معي الزميل الطيار عبد الرحيم عبد الله الذي كان يمضي أجازته السنوية في مصر وتدرّبنا في معسكر أبو قير بالإسكندرية على استخدام الرشاشات والأسلحة الخفيفة والقنابل اليدوية والزمنية وحرب العصابات .

كان تدريّبا شاقا يبدأ مع أول ضوء من الفجر وينتهي مع آخر خيط من الشمس ، حيث تبدأ المحاضرات المسائية عن الأمور العسكرية .

كان برنامجا مضغوطا ومكتثا يتناسب مع ضرورة سباقنا مع الزمن .

كان ذلك الجهد الشاق المنطلق من فداية لا تقدر العواقب الذاتية ، ووطنية لا تعترف بالطاقة البشرية ، من العوامل النفسية التي كانت تصوغ مقالاتي الحماسية في روز اليوسف ، وتضبط ثورة صوتي ، وتضغط نغمة أنيني ، وتسيل دموعي عندما كنت أذيعها من صوت العرب حتى توقف العقول النائمة ، وتحرك السواعد المستسلمة ، فتحيى مسرح اليمن للثورة الجذرية .

كنت أذيع المقال المنشور في روز اليوسف مرتين كل أسبوع من صوت العرب حتى جاء نصر الله والفتح وانهارت على بيتي رسائل التأييد من الزملاء اليمنيين من داخل اليمن وخارجها كما تدفقت على زيارتي أعداد لا حصر لها من الأحرار من مختلف المهاجر اليمنية .

وتزايد الحماس الثوري في صدور أبناء اليمن حتى ظهرت بشائر المعجزة حين خرج طلبة المدارس في صنعاء لأول مرة في تاريخ اليمن ، في حشود هائلة ومظاهرات صاخبة تهتف بسقوط الحكم الإمامي في اليمن ، وتنادى بالجمهورية اليمنية وترفع صورة جمال عبد الناصر وتردد شعارات الوحدة الوطنية وسقوط التفرة العنصرية والمذهبية .

انطلقت هذه المظاهرات يوم ٢٧ يونية من المدرسة الثانوية بصنعاء وتجاوب معها طلبة المدرسة العلمية والابتدائية ، وبدأت من وزارة المعارف حتى قصر البشائر (قصر البدر) وسارت جموع حاشدة من أبناء صنعاء البواسل خلف أكثر من ألف طالب من الطلبة الأحرار تردد نفس الهتافات التي كانت تعبر عن ضمير الشعب اليمني . ومضت المظاهرات من شارع إلى آخر ولم يتصد لها أي مسئول ، بل توارى عن الأنظار وزير المعارف القاضي محمد عبد الله عاموه وكذلك مدير المدرسة الثانوية السيد على الفضيل خوفا على حياتهما .

أصدر البدر أمره إلى قائد حرسه العميد عبد الله السلال بتفريق المظاهرات بالقوة ، فهب الأحرار إلى تحذير السلال من استخدام القوة وتمكنوا من إقناع الطلبة بإنهاء المظاهرات بعد أن أكملت الشمس طريقها إلى مغربها ووصلت أهداف المظاهرات إلى غايتها .

عندئذ أرسل الإمام برقية عاجلة إلى ابنه البدر يؤنبه على تساهله ويزجره على تراخيه ، ويسخر من ضعفه أمام الطلبة فقال في برقيته (لقد ساءنا تصرف الطلاب وموقفكم ازاءهم وكان الأحرى أن تطلقوا النار عليهم ولا تدعوا لهم المجال لمثل هذا وابحثوا عن المشوق) أى ابحثوا عن المحرض .

عندما قرأ البدر هذه البرقية قام السلال بالقبض على الكثيرين من الطلبة وإرسال بعضهم إلى سجن حجه ثم رمى ببقية المعتقلين في سجن رادع بينما هرب إلى عدن أولئك الذين استطاعوا الفرار من صنعاء .

عندما بلغ ذلك إلى طلاب تعز قاموا بمظاهرات ثورية عارمة يوم ٣٠ يونية ١٩٦٢ ، وخرجوا في موكب مهيب طافوا به شوارع تعز يهتفون بالوحدة الوطنية وسقوط الحكم الإمامي ، وينادون بالجمهورية اليمنية ، وافتحموا السوق الكبير حتى وصلوا إلى العرضى حيث قصر الإمام الذى توترت أعصابه وفقد رويته وأمر الجيش والعكفة (الحرس الملكى) بإطلاق الرصاص على المتظاهرين وإغلاق المدسة الثانوية فى تعز ، التى كان الطلبة المتظاهرون قد عادوا إليها واعتصموا فيها ، فتجاوب معهم الكثيرون من عمال تعز الأحرار وغيرهم من أبناء الشعب المتعطشين إلى سقوط الظلم والطغيان والتخلف الرهيب الذى كان يسود اليمن .

استجاب الإمام لنصيحة بعض المسؤولين فى تعز فأمر بمحاصرة المدرسة الثانوية بقوات الجيش ومنع دخول الماء والطعام إلى الطلبة لإجبارهم على إنهاء الاعتصام والخروج من المدرسة حتى يتم القبض عليهم دون حاجة إلى رميهم بالرصاص ، الأمر الذى يزيد من التوتر الشعبى الذى لا يأمن الإمام جانبه .

استمر الإعتصام فى مدرسة تعز ثلاثة أيام حتى نجح القاضى عبد الرحمن الأريانى فى إقناع الإمام برفع الحصار عن المدرسة والاستماع إلى شكوى الطلاب فكلفه الإمام بهذه المهمة . ولعل القاضى عبد الرحمن الأريانى قد أقنع الطلبة بالإكتفاء بتقديم طلبات تتعلق بالشئون الطلابية دون التطرق إلى الشئون السياسية ، لا سيما أنهم قد رفعوا الشعارات السياسية التى أرادوا رفعها ورددوا الهتافات الوطنية التى قصدوا ترديدها ، فاكتمت الطلاب بحصر طلباتهم فيما يلى :

- ١ - الافراج عن المعتقلين من زملائهم طلاب صنعاء .
- ٢ - تحسين حالتهم المعيشية .
- ٣ - تزويد الطلاب بالكتب الدراسية والمدرسين .
- ٤ - اشتراك طلاب تعز فى البعثات الخارجية دون تمييز أو تفرقة عنصرية أو طائفية .

فاستحسن القاضي عبد الرحمن الأرياني هذه الطلبات وقدمها إلى الإمام الذي رفضها جملة وتفصيلا ، وإن كان مجرد تقديمها إليه قد أدى إلى فض الاشتباك المسلح بينه وبين الطلبة .

ذلك الاشتباك الذي حقق كل أغراضه لأنه أعلن على الملأ أن الشعب اليمني لم يعد يحبس طاقاته الثورية في صدره ، كما أنه لم يعد ذلك الشعب الذي خدرته الخرافات الكهنوتية التي توارثها أبا عن جد ، بل أصبح العملاق الذي أخذ يتأهب للإنطلاق من القمقم ، وأصبح الأيدى القوية والأذرع الفتية التي تساند الثوار عندما يطلقون قذيفتهم الأولى على صدر النظام الفاسد ويضربون فؤوسهم الأخيرة في جذعه المتعفن .

أخذت الاستعدادات الثورية تتطور نحو ساعة الحسم والخلاص من المأساة ، ووصل من اليمن الزميل محمد مهيبوب ثابت يحمل رسالة من الزميل عبد الغنى مطهر تتضمن قائمة ثانية بالأسلحة والذخيرة المطلوبة فقت بتجهيزها ، واحتفظت بها في غرفة نومى كالمعتاد حتى عاد الزميل محمد مهيبوب فى اليوم التالى إلى عدن ، فأرسلتها معه بنفس الطريقة السابق شرحها وكان الزميل محمد قائد سيف هذه المرة فى استقباله فى مطار عدن .

وفى ١٠ يوليه ١٩٦٢ وصل الزميل محمد قائد سيف ومعه رسالة من الزميل عبد الغنى مطهر تتضمن قائمة ثالثة بالمطلوب من الأسلحة والذخيرة وتبلغنى بأنه قد عرض على الزملاء فى اليمن كل الوثائق التى عاد بها من القاهرة وإنهم قد أقروا ما جاء فيها واتفقوا على تشكيل التنظيمات الثورية (الوثيقة رقم ١٩) على النحو التالى :

مجلس قيادة الثورة

القاضى عبد الرحمن الأريانى رئيسا للمجلس . الدكتور عبد الرحمن البيضانى . عبد السلام صبره . عبد الغنى مطهر . عبد القوى إبراهيم حاميم . محمد ميهوب ثابت . النقيب محمد قائد سيف . محمد على عثمان . العميد عبد الله السلال . العقيد عبد الله الضبى . العقيد حسن العمرى . المقدم عبد الله جزيلان . الطيار عبد الرحيم عبد الله . الملازم أحمد الرحومى . الملازم محمد مفرح . الملازم سعد الأشول . على محمد سعيد أنعم . النقيب عبد اللطيف ضيف الله .

مجلس الوزراء

الدكتور عبد الرحمن البيضانى رئيسا للمجلس . عبد الغنى على أحمد ناجى وزيرا للخارجية . عبد السلام صبره وزيرا للإرشاد القومى . عبد الغنى مطهر وزيرا للإقتصاد . محمد قائد سيف وزيرا للداخلية . العميد عبد الله السلال القائد العام للقوات المسلحة . محمد على عثمان وزيرا للصحة . العقيد عبد الله الضبى وزيرا للدفاع . المقدم عبد الله جزيلان رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة . الطيار عبد الرحيم عبد الله وزيرا للطيران . محمد محمود الزبيرى وزيرا للمعارف . على محمد سعيد وزيرا للصناعة . القاضى عبد الرحمن الأريانى وزيرا للعدل . على محمد عبده وزيرا للزراعة . محمد مهيبوب ثابت وزيرا لشئون المهاجرين . أحمد قائد بركات وزيرا للشئون المعدنية . أحمد المرونى وزيرا للأوقاف . عبد الله الكرشى وزيرا للأشغال .

نواب الوزراء

عبد القوى ابراهيم حاميم نائبا لوزير الدفاع . هاشم طالب نائبا لوزير الداخلية . أحمد محمد ثابت نائبا لوزير الزراعة . القاضي على الجرافى نائبا لوزير الخارجية . على المطرى مديرا للعلاقات بوزارة الدفاع . أحمد القعطرى مديرا للعلاقات بوزارة الخارجية . الشيخ سنان أبو لحوم مديرا لإدارة شئون القبائل . الدكتور حسن مكى نائبا لوزير الاقتصاد للشئون المالية . محمد عبد الله عبده نائبا لوزير الاقتصاد للشئون التجارية . شائف محمد سعيد نائبا لوزير المواصلات . محمد عبد الواسع حميد نائبا لوزير الأشغال . محمد أنعم غالب نائبا لوزير الشئون البلدية . الدكتور على عبده سيف نائبا لوزير الصحة . حسين المقدمى مديرا عاما للمستشفيات . عبد الرحمن الحكيمى مديرا عاما لمطابع الجمهورية . حسين الحبشى نائبا لوزير المعارف . القاضي عبد الله الشماحى نائبا لوزير الإرشاد القومى . محمد سلام نائبا لوزير الثروة المعدنية . السيد محمد المطاع نائبا لوزير العدل . القاضي محمد الرباعى نائبا لوزير الأوقاف . قاسم غالب مديرا للعلاقات بوزارة الإرشاد القومى . أحمد طاهر نائبا لوزير الصناعة . أحمد عبده سعيد رئيسا لوفد الجمهورية اليمنية لدى الأمم المتحدة . محمد مفرح أمينا عاما لوزارة الداخلية .

الحكام العسكريون

العميد عبد الله السلال حاكما عسكريا لمنطقة صنعاء . سعد الأشول حاكما عسكريا لمنطقة تعز . أحمد الجرmozى حاكما عسكريا لمنطقة الحديدة . على لطفى الثور حاكما عسكريا لمنطقة حجة . على بن عبد الله مناع حاكما عسكريا لمنطقة صعده . الشيخ سالم الرماح حاكما عسكريا لمنطقة البيضاء . الشيخ عبد القوى ابراهيم حاميم حاكما عسكريا لمنطقة الحدود الجنوبية ، محمد عبد الواسع حميد مديرا للأمن العام . المقدم غالب الشرعى مديرا لشرطة صنعاء . عبد الله الحيمى مديرا لشرطة تعز . محمد الرعيني مديرا لشرطة الحديدة . السيد محمد هاشم قائد للحرس الوطنى .

عندما قرأت هذه القوائم لاحظت أن تشكيل مجلس قيادة الثورة لم يتضمن إسم الملازم على عبد المغنى وهو أحد الأعمدة الرئيسية للثورة ، والشاب الذى ينتظر أن يقوم بدور حاسم مع زملائه الضباط حديثى التخرج من الكلية الحربية الذين تولوا مواقع هامة فى وحدات الجيش . ساورنى القلق لأننى فسرت إغفال اسمه من تشكيل مجلس قيادة الثورة بأنه إما أن يكون ذلك نتيجة لعدم استشارته فى هذا التشكيل ، أو لأنه لا يثق فى بعض الاسماء التى وردت فيه .

لم يكن تشكيل مجلس الوزراء فى أهمية تشكيل مجلس قيادة الثورة ، لأن الوزراء غير الأعضاء فى مجلس القيادة لا يطلعون على أسرار الثورة إلا بعد قيامها ، أما أن يغيب عن تشكيل مجلس القيادة أحد أقطاب الثورة وهو الملازم على عبد المغنى فإن هذه هى المشكلة بعينها .

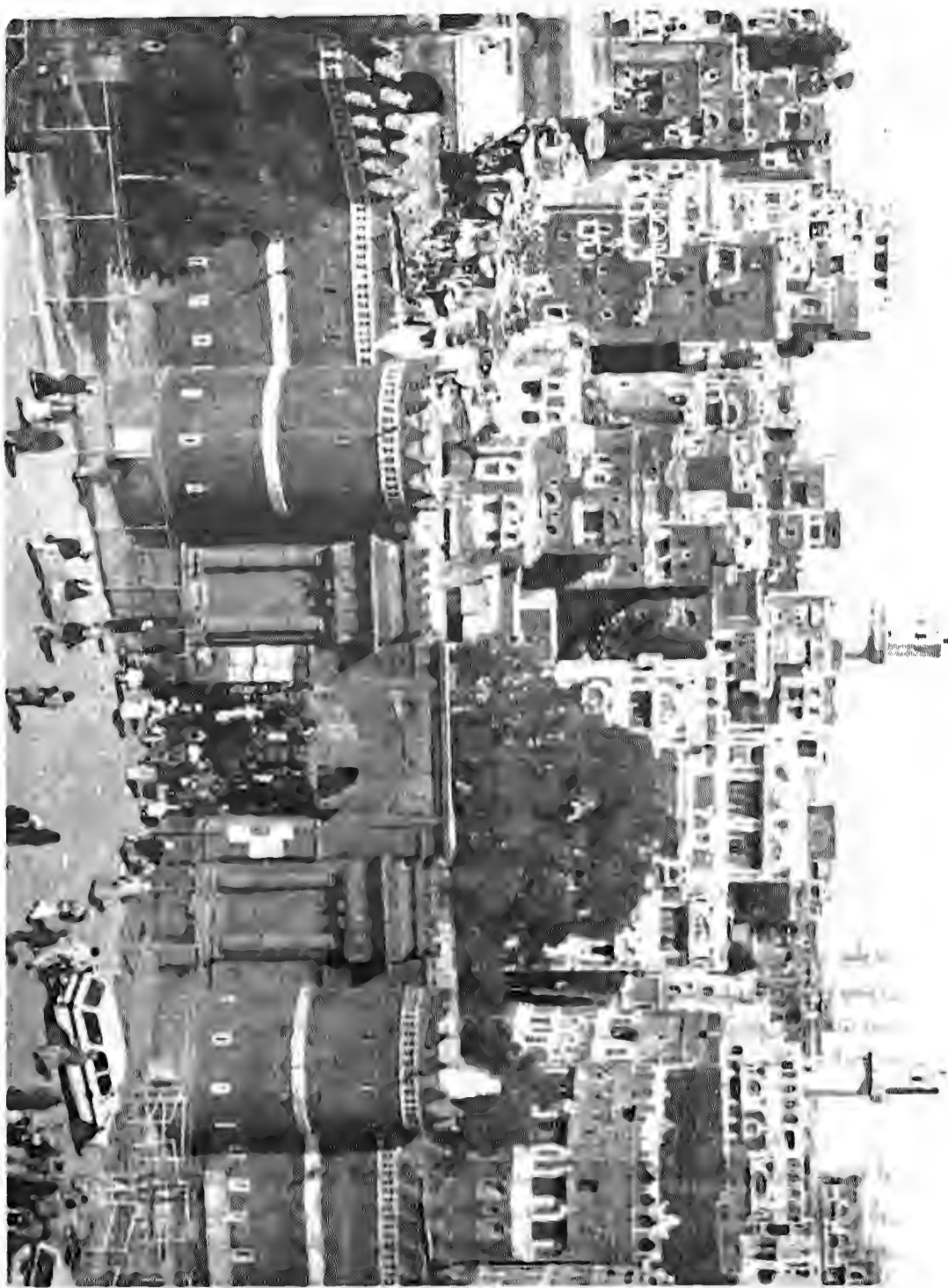
كذلك لاحظت تعيين القاضي عبد الرحمن الأرياني وزيرا للعدل في وزارة أتولى رئاستها وهو رئيس مجلس قيادة الثورة .

وكان الموقف حرجا لا يحتمل الانتظار حتى يجلو غموض موقف الملازم علي عبد المغني ، ولم تكن أمامي فرصة للأيعاز بوضع الأمور في نصابها الصحيح ، لأن الزميل محمد قائد سيف قد أبلغني أن ساعة الصفر قد تحددت وأنها سوف تكون في أول ضوء مع فجر ٢٣ يولية ١٩٦٢ أى بعد أسبوعين من استلامى هذه القوات ، وأبلغني ببيان الموجة اللاسلكية التي سوف نوصلها بإحدى محطات الإذاعة في مصر كي تذيع من تعز باسم الجمهورية اليمنية إذا ما فشلت مجموعة صنعاء في السيطرة على العاصمة واحتلال محطة الإذاعة بصفة صالحة للتشغيل ، كما سلمني الزميل محمد قائد سيف قائمة ثالثة بالأسلحة والذخيرة التي يحتاج إليها الثوار في تعز ، وهى الساحة الرئيسية للثورة ، وأبلغني أنه سوف يزورنى مساء ذلك اليوم ومعه الزميل على محمد سعيد الذى كنت قد طلبت وصوله من اليمن حتى أتحدث معه شخصيا فأتبين مدى قدرته النفسية وتحكمه فى أعصابه وكتمان عواطفه والسيطرة على ملامح وجهه قبل أن نكلفه بنقل الأسلحة والذخيرة من تعز إلى صنعاء وتسليمها أما إلى العقيد حسن العمرى أو إلى الزميل على ناصر الكمى ، وهو أحد تجار صنعاء الذى كان يعتبر بمثابة أمين صندوق الثورة فى صنعاء كما كان يخزن فى بيته الأسلحة والذخائر بالاتفاق مع العقيد حسن العمرى والقاضى عبد السلام صبرة كما سبق ذكره .

عندما وصل الزميل على محمد سعيد إلى بيتى لم يكن يعرف من ذا الذى سوف يلتقى به ، لأن الزميل محمد قائد سيف لم يطلع على اسمى وإنما قال له أنه سيزور محرك الثورة اليمنية إمعانا فى السرية . تحدثت ساعتين مع الزميل على محمد سعيد واقتنعت بأنه الشخصية المثالية للقيام بهذه المهمة فوافقت محمد قائد سيف على تكليفه بها ، وعندما هم بالانصراف عرضت عليه مساعدة مالية تعينه على أداء هذه المهمة فعاد إلى مقعده وقال (الآن والله اقتنعت بأن هذه ثورة ناجحة لأننى أمضيت عمرى أدفع للاحرار اشتراكات ومساعدات مالية دون أن يقوموا بأى عمل جدى ، الآن خذوا عمرى واكملوا تجهيز الثورة) .

ذهبت إلى أنور السادات وطلبت رأى مصر فى ساعة الصفر هذه كما سبق الاتفاق على إبلاغ مصر قبل قيام الثورة بنحو أسبوعين ، للتعرف على مدى مناسبة تلك الساعة لقيام مصر بتقديم المساعدات العسكرية الرمزية للثورة اليمنية بعد قيامها .

فى نفس اليوم حصلت على موافقة الرئيس عبد الناصر فعاد الزميل محمد قائد سيف فى الحال إلى عدن حيث كان فى انتظاره الزميل عبد القوى حاميم ، وفى اليوم التالى ذهبت إلى اللواء صلاح الحديدى الذى ملأ حقائبى بالأسلحة والذخائر التى وردت فى تلك القائمة ، وتوجهت إلى بيتى حيث تولت زوجتى الذهاب فى نفس اليوم بهذه الحقائب إلى المطار ، وتولى هذه المرة الزميل الطيار عبد الرحيم عبد الله حملها إلى عدن بنفس الكيفية التى سبق شرحها فى هذا الكتاب وكان فى انتظاره فى عدن الزميل محمد مهيوب ثابت .





كان البدر ، منذ بداية شهر يونية ١٩٦٢ ، قد أخذ يطوف بالعديد من المدن والقرى اليمنية ، يبشر بطلوع فجر جديد ويسرف في منح الهبات والهدايا قدر إسرافه في تخدير الجماهير بالإصلاحات الجذرية . ونظرا لاقتراب ساعة الصفر أردت أن أشد من أزر الثوار وأرد على وعود البدر ، فألقيت حديثا من صوت العرب يوم الخميس ١٩ يولية ١٩٦٢ ولم انتظر نشره قبل إذاعته كما جرت العادة ، لأن مجلة روز اليوسف كان موعدها يوم الاثنين فأردت أن اسرع بإذاعة ذلك الحديث الذي تكررت إذاعته مرتين قبل نشره في روز اليوسف يوم ٢٣ يولية ١٩٦٢ حيث كنا في صراع مع الزمن . كان ذلك الحديث بعنوان (الفجر الكاذب) وكان أهم ماجاء فيه ما يلي :

(إذا أعلن الظالمون الجهاد ..

وقاد الطغاة الثورة ..

فليبشر الأحرار بالمشانق ..

ولتشبع الذئاب من لحوم الشهداء ..

ولتحى الأمة .. بين المقابر ..

طوال الشهر الماضى .. والأمير البدر ولى عهد والده الجلاء ، يطوف بالمدن والقرى اليمنية ، ومن خلفه ذيل طويل من الخطباء والشعراء ، ينادون به جلادا من بعد والده ، ولعل البدر قد أحس حقيقة بأن الأرض قد أخذت تميد من تحت قدميه ، وأن الشعب قد ثاب فعلا إلى رشده ، وأمن بالثورة الجذرية فاتجه إليها .

فماذا فعل البدر ؟ عاد إلى سيرته الأولى .. كان كلما وصل إلى مدينة أو قرية أمر المسؤولين عن المال فأفرغوا الخزائن بين يديه ، يبذل منها القليل إلى من يظن أنهم قد باعوا ضمائرهم ، ثم يستولى على بقية المال ليرسله قناطير مقنطرة إلى حساباته في أوروبا بينما كانت جيوب أعوانه المرتزقة تشق عنان السماء تهتف بحياته ونزاهته .

أما عن آماله في الإصلاح .. فالحق يقال أنه لم يقصر في شرحها ، ذلك لأنه كان يدعو الناس إلى أن يستمروا في تقديس والده والخشوع للأسرة الإمامية ، محذرا الناس من التفكير في التطور والتعليم لأنه يؤدي ، كما قال ، إلى الشيوعية التي ارتى في أحضانها الأخوة العرب في غير اليمن من البلاد العربية عندما خرجوا عن تقاليدهم الإسلامية ، بإسم العدالة الاجتماعية . ثم انتهى بهم المطاف إلى الاتحاد . كان يشير إلى دعاة الإصلاح في اليمن مؤكدا أنهم شيوعيون مدمرون يستخدمون الصحافة الهدامة والإذاعة الملحدة .

فوق أحد الخطباء يشكر البدر على نصائحه الغالية مؤكدا أن الشعب اليمني لا يعترف بغير زعامته الخالدة بينما لم تكن في المدينة التي كانت تتشرف بزيارة البدر مدرسة واحدة ولا مستشفى ولا أى مرفق من المرافق العامة ، وسكانها أكثر من عشرين ألف مواطن لا يتمتعون في مدينتهم إلا بمركز لجباية الضرائب ، ومسبك لصنع السلاسل ، وسجن كبير لمن يعجز عن تسليمها . ثم طالب الخطيب بإنشاء مدرسة ووضع خطة إصلاحية لليمن . وما أن نزل الخطيب من فوق المنبر حتى صعد غيره وقدم إلى البدر واثق تدين بعض رجال الدولة بالاختلاس والرشوة وظلم الرعية ، وطالب بالتحقيق فيها وإنزال العقاب بمن تثبت ضده التهمة .

وبدلا من أن ينشئ البدر مدرسة من مال الدولة أمر بإنشاء مدرسة على حساب الأهالي وفرض عليهم مبالغ باهظة أخذت صورة أشنع من الضرائب (الزكاة) التي لا يتحملها الناس . وأما عن المختلسين فقد أمر البدر بحبس كل من اشترك في إعداد هذه الوثائق ضدهم ، لأن البدر يحمي المختلسين ويحمي المرتشين ، فهم وحدهم الذين يقفون خلفه ، وهم وحدهم الذين يروجون دعايته ، وهم وحدهم الذين يصدقون أكاذيبه ويقبلون انحرافه .

وفي مدينة أخرى أعلن البدر أنه ضد التفرقة العنصرية وأنه يعتبر نفسه قحطانيا من أبناء الشعب ، ولما وصل في رحلته إلى مدينة حريب المحاذية لحدود إمارة بيجان ، أجرى اتصالات مع أميرها ومستشاريه الإنجليز انتهت بعقد اجتماع معهم . ومراد البدر من هذا الاجتماع أن يضمن تأييد الإنجليز لعرشه عندما يجلس فوقه . وهذا يفسر أيضا هجوم البدر على الإصلاح ، ووصف كل إصلاح بالشيوعية . حتى أصبح في نظره كل مصلح ملحدا .

سياسته مكشوفة .

فإنه إذا انفرد بالهاشميين لعن القحطانيين . وإذا اختلى بالقحطانيين لعن الهاشميين . وإذا قابل سفيرا من الشرق . لعن الغرب . وإذا زار سفيرا من الغرب لعن الشرق . وإذا تحدث مع الاحرار لعن الإمام . وإذا جلس مع الإمام لعن الاحرار . فلا يثبت على مبدأ إلا إذا نظر إلى المرأة فهتف بحياة نفسه . لأنه جمع بين زعامة الرجعية وزعامة الإصلاح . زعامة المنحرفين وقيادة المنافقين .

ولا ينكر المنصفون أن البدر يتمتع بمقدرة هائلة على سحب وعوده وخرق عهوده والتخلي عن الأصحاب والأنصار ، وإفشاء سرهم وإشاعة الفرقة والوحشة فيما بينهم ثم يتمتع بطاقة أكبر تجعله يتحمل أن يرى الإمام يسوق أعوانه مكبلين بالحديد فى طريقهم إلى المذابح والسجون .

وأخيرا ..

إن البدر لن يسمح بتعليم . لن يترك حرية . لن يبتسم لنزاهة. لن يرحب بكفاءة . لن يريد الإصلاح .

أما الطليعة الثورية

فهى .. لا تؤمن بالشيوعية .. لكنها لا ترضى الإقطاع .

لا ترحب بحرب الطبقات .. لكنها لا تسكت على التفرقة العنصرية ..

لا تريد الإضرار بأى هاشمى .. لكنها لن تغفل عن حقوق الشعب . (

لم أذق طعم النوم منذ غروب الشمس يوم ٢٢ يولية ١٩٦٢ حتى طلوعها فجر يوم ٢٤ يولية ١٩٦٢ منتظرا إشارة قيام الثورة فى تعز وكنت ملازما لأنور السادات فى بيته ، الذى ما كاد يفارقنى عندما ذهب إلى عبد الناصر للإشتراك فى مراسم الإحتفال بعيد الثورة حتى عاد ليشارك معى فى الإنتظار الذى طال ، ثم طال ، حتى ياسنا من قيامها فى ذلك اليوم الموعود .

وفى مساء ٢٤ يولية ١٩٦٢ وفى بيت السادات تبادلنا التهانى بإطلاق الصاروخ الظافر والقاهر ، وفجأة تقلصت أعصاب صلاح نصر رئيس المخابرات العامة وقال (يا أخ عبد الرحمن يجب أن تصرف النظر عن ثورة اليمن ، وأن توقف كتاباتك فى مجلة روز اليوسف ، وكذلك أحاديثك من إذاعة صوت العرب) .

قلت : وما سبب هذا القرار المفاجيء ؟

قال : لقد عرفت المخابرات الأمريكية جميع التفاصيل عن خطة الثورة من خلال حديث جرى بين أحد مصادرها وبين القاضى عبد الله الإريانى الذى يعالج فى مستشفى الجامعة الأمريكية فى بيروت ، وكانت هذه التفاصيل قد وصلت إليه من تعز فى رسالة كتبها إليه شقيقه القاضى عبد الرحمن الإريانى .

قلت : هل نقول أن المخابرات الامريكية قد عرفت جميع التفاصيل ؟

قال : نعم عرفت جميع التفاصيل .

قلت : هذا أدعى إلى الاستمرار وليس إلى التوقف لأن المخابرات الأمريكية لن تصدق قيام ثورة فى اليمن على نحو هذه التفاصيل . ثم تساءلت لماذا لا نستمر حتى تصلنا معلومات عن ردود فعل المخابرات الأمريكية ؟ لا سيما أن عيوننا اليمنية متيقظة ومطلعة على معلومات وتحركات الإمام أحمد وولى عهده البدر وشقيق الإمام الأمير

الحسن وأنصارهم كما نتابع تحركات تنظيمي بريطانيا وأمريكا اللذين يعمل كل منهما على انتزاع العرش من أسرة حميد الدين ، وهم جميعا يقرأون منشوراتي في روز اليوسف وإذاعاتي من صوت العرب ، ويتوقعون الانفجار بين لحظة وأخرى ، ولم يتخذوا حتى الآن أى إجراء وقائي أو مضاد .

ومن جانبى سألفت نظر الثوار فى اليمن كى يتوقفوا عن إعطاء معلومات أخرى للقاضى عبد الرحمن الأريانى وأن يعطوه بدلا منها معلومات مضللة كى تصل عن نفس الطريق إلى المخابرات الأمريكية ومع ذلك أننى لا أفترض أن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تبكى على رجال تنظيمها إذا سبقناهم من أجل النهضة باليمن لأنها لا تعارض التغيير فى اليمن فى الوقت الذى يعلن فيه الرئيس كنيدي أنه يؤيد نقطة الشعوب النامية . وعلينا أن نضع فى اعتبارنا أننا قد شجعنا الكثير من الأنصار فى اليمن ، وأننا إذا توقفنا فجأة مع احتمال وصول هذه المعلومات إلى الإمام لكان ذلك معنا أننا نسلم رقاب هؤلاء إلى سيوف الجلاد .

قال صلاح نصر :

لماذا لا نتوقف مؤقتا حتى نتأكد من عدم وجود ردود فعل أمريكية بعد أن عرفت أمريكا جميع التفاصيل ؟

قلت :

لماذا نترك الساحة لبريطانيا وأمريكا لتقيم إحداها أسرة إمامية أخرى لا تلبث أن تنقلب على الشعب ؟ لماذا نتوقف أثناء السباق مع الزمن ؟

إننا إذا فعلنا ذلك فإن خسارتنا تصبح خسارة مؤكدة لأننا نتوقف بينما يستمر غيرنا فى السباق .

أما إذا بقينا فى حلبة السباق ثم أجبرتنا ظروف محتملة على التوقف فإن خسارتنا تعتبر خسارة محتملة .

والإختيار التاريخى الآن هو :

هل نختار الخسارة المؤكدة فننتوقف ؟

أو نختار الخسارة المحتملة فنستمر ؟

إن الأسلحة والذخيرة التى أخذناها منكم لن تذهب هدرا ولن يدفنها الثوار ليأكلها الصدا فى صحراء اليمن ، وأننى وإن كنت لا أعرف لماذا لم يتحرك الثوار فى تعز فجر الأمس فإننى أعرف أنهم سوف سيتحركون غدا أو بعد غد ، وأعرف أننا لن يطول بنا الانتظار .

يا سادتى :

دعونا نستمر ونحن على مقربة من تغيير التاريخ .) .

وافقتى أنور السادات ، وأيدنى جمال عبد الناصر وتراجع صلاح نصر .

أغلب الظن أن عدم قيام الثورة اليمنية فى تعز فى موعدها الذى حدده الثوار اليمنيون أنفسهم كان العامل الرئيسى الذى جعل صلاح نصر يميل إلى وقف نشر مقالاتى فى روز اليوسف وإذاعاتى من صوت العرب ، بعد أن أصبح من الراجح عنده أن مصر قد تورطت مع ثوار اليمن الذين ليس فى وسعهم أن يقوموا بثورة ، بينما يعرضون مصر لمضاعفات دولية دون جدوى إذا ما تحركت الولايات المتحدة الأمريكية فى الاتجاه المضاد ، لا سيما وقد أصبح من الراجح أن تنجح سوريا فى تجميع العديد من الدول العربية للوقوف فى وجه مصر تحدياً للتيار الشعبى العربى الجارف الذى ينطلق من القاهرة ، فاستخلص صلاح نصر من هذه الظروف أنها لم تكن مناسبة لظهور مصر على مسرح أحداث اليمن ، بينما استخلص جمال عبد الناصر من نفس هذه الظروف أنه لم يكن هناك مفر من ظهورها على مسرح تلك الأحداث .

نظر صلاح نصر إلى مسرح اليمن « غير المؤكد » من منطلق السرية والتزام رجال المخابرات وهم يكتبون التقارير ، ونظر عبد الناصر إلى نفس هذا المسرح « غير المؤكد » من منطلق الاستراتيجية والتزام رجال القدر وهم يصنعون التاريخ .

تبين أن واجبى نحو التاريخ اليمنى والعربى لا ينحصر فى مجرد نشر الدعوة إلى الثورة الجذرية بين أبناء اليمن ، وتوحيد جهودهم الثورية وتزويدهم بالإطار العام لخطة الثورة والأسلحة والذخيرة التى تساعدهم على القيام بها ، لأن كل ذلك وكل ما هو أكثر من ذلك لا يمكن أن يؤدى إلى قيام ثورة جذرية ناجحة فى اليمن إذا لم تقف مصر إلى جانبها ، وإذا لم يتأكد ثوار اليمن من مساندة مصر قبل أن يقدموا على القيام بالثورة . فوجدت أنه من واجبى نحو التاريخ اليمنى والعربى أن أبذل كل ما فى وسعى للحفاظ على فئاعة القادة المصريين بجذبة الثوار اليمنيين .

ومن خلال هذه الضغوط النفسية الهائلة التى ضغطت على أعصابى وجدتنى أرثى فى نفسى شهداء اليمن الذين قدموا أرواحهم فداء لشعبها ، وهم واثقون من أن تضحياتهم بأنفسهم لن تؤدى مباشرة إلى قيام الثورة الجذرية ، وإنما ستؤدى فقط إلى تذكير الأحرار من أبناء هذا الشعب بواجبهم نحو مصير بلادهم .

اكتفى هؤلاء الشهداء بأن يكونوا مجرد مشاعل مضئئة على طريق الثورة الجذرية ، ولعمري ماذا يكون أعلى مرتبة من هذه الروح الفدائية ؟ وما هو أعظم من ذلك دليلاً يقنع قادة مصر بجذبة العمل الثورى فى اليمن ؟

وجدتنى فى خضم الأعاصير النفسية التى اعتصرت أحشائى وهيجت أشجائى أكتب مقالاً بعنوان (الشهيد) يشرح للتاريخ كيف استقبل الشهيد الملازم عبد الله اللقيه سيف الجلاذ وهو مرفوع الرأس لا ينطق إلا بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . وأنه لا سيد فى اليمن إلا شعب اليمن .

نشرت هذا المقال فى روز اليوسف يوم ٣٠ يولية ١٩٦٢ وأذعته فى نفس اليوم من صوت العرب ، وكنت لا أتوجه به إلى شعب اليمن بقدر ما توجهت به إلى جمال عبد الناصر وصلاح نصر أثبت إيمانهم بثورة اليمن وأزيدهم وثوقا بجدية ثوارها .

وجاء فى هذا المقال :

(لا .. لا .. يا أبى ..)

أنت تفعل هذا مكرها مغلوبا على أمرك .

لكنك لا ترضى أن اطأطىء رأسى ولو كان ذلك ما يختصر الطريق .

نفذ الأمر يا أبى .. أضرب عنقى ورأسى مشدودة إلى السماء فى عزة جديرة بالاحرار . وكرامة خليفة بشعب اليمن .

ولا يهمنى أن تطيش الضربات فتدق عنقى مرات ، ومرات ، ومرات . فأنا لا أحس بألم ، ولا أشعر بخوف ، بل أرحب بكل الذى فى انتظارى ما دميت قد نفذت إرادة هذا الشعب الخالد .

أسمه .. عبد الله محمد اللقيه ..

ضابط يمنى عمره ٢٦ سنة . واحد من ألوف الشهداء اليمنيين ، الذين جادوا بأرواحهم من أجل أمتهم عبر الألف والمائة عام الماضية ، عمر المأساة البشعة فى اليمن . لم يقرأ العالم عنه إلا سطرًا واحدًا أذاعه الإمام فى العام الماضى حين أعلن أنه أعدم المجرم عبد الله محمد اللقيه وزميله ، ثم علق رأسيهما فوق الأشجار وألقى بجسديهما للكلاب والطيور الجارحة .

فتناقلت صحافة العالم هذا الخبر .

والعالم لا يعلم ماذا يجرى فى اليمن على أيدي المفسدين الجلادين الطغاة ، بل يجهل العالم ، فيما يجهل عن اليمن ، ما يسجله شهداؤها من كفاح مستمر لا يعرف الملل ، وإصرار مستميت لا يعترف بالهزيمة .

والعالم معذور لأن أئمة اليمن قد عزلوها عن الدنيا ، حتى أصبحت قصتها خرافة ، ومأساتها أسطورة ، تتحرك فى صندوق مسحور ، لا يطل منه سوى الإمام ، لا يعرف عنه القوم سوى ما يأتيه الإمام من حركات يخدع بها الناظرين ، وإشاعات يروجها أعوانه ، وهم ينسبون إليه خوارق السحر والجن وغرائب الأفعال والأحوال .

فتقدم هذا الشهيد وزميله ليثبتوا للشعب أن الجن لا يحرسون الإمام . فحصروا الإمام فى غرفة مظلمة وأوسعوه ضربا بالرصاص حتى سقط على الأرض مضرجا بدمائه فاقد النطق مشلول الحركة ، ويشاء أهدم أن يهدى إليه الضربة الأخيرة بنعله قائلا (لتكن أول ملك تقتله النعال) .

ويستمررون فى ذلك حتى تمزق جسمه من الرصاص وتهشمت رأسه من النعال . ولما ظنوا أنه قد رحل عن اليمن إلى غير رجعه خرجوا إلى الناس ، فاستقبلوهم بالغبطة والسرور ، لكنهم لم تكن معهم خطة مدروسة ولا تنظيم معد ، فهم لم يستهدفوا القيام بثورة . وإنما أرادوا فقط مجرد صرف الجن عن أرض اليمن وليكن بعد ذلك ما يكون ، استصحبوا لعقيدة الأحرار من قديم الزمان الذين لم يدركوا المشكلة فلم يحددوا الهدف ، فطاشت ضربات الشعب دون بلوغ المراد .

اتقن الإمام تمثيلية موته حتى تركه الثوار ثم تسابق القوم إلى إسعافه وإلقاء القبض على الثوار . وحدث ما حدث . انتحر أحدهم ولم يستسلم . وقبض أعوان الإمام على الآخرين لتبدأ قصة من أروع القصص .

فلم يكن الشهيد عبد الله محمد اللقيه كغيره من الشهداء الذين ينقشون أسماءهم فى صحائف الخلود ثم يتحولون إلى ذكرى ، وماضى ، وتاريخ . بل كان اسطورة لا يكاد يصدقها خيال . عاش وحيد أبويه وسط شعب حرمة الأئمة العنصريون من الحياة .

وجد الشهيد أن الشعب مستسلم للخرافات والشعوذة ، يتمنى الخلاص من الاثمة الظالمين لكنه لا يستطيع أن يقف أمامهم . ولم يجد الشهيد قيادة شعبية واعية ترسم له الطريق فرسمه لنفسه ، على قدر طاقته ، وبحسب إدراكه ، ثم أثبت عند محاكمته وعند جلده وعند صلبه وعند موته أنه فعلا رسول الشعب .

خذ ساعتى بعها .. وأعطى ثمنها لأمى .. فأنا أعلم أنهم قد يتخلون عنها عندما يؤثرون الحياة . أما أنا فقد وهبت نفسى لليمن . ويعطى الشهيد الشاب الملازم عبد الله محمد اللقيه ساعتى للسيد محمد بن يحيى الذارى عضو الهيئة الإمامية التى أمر البدر ولى العهد بتشكيلها ، لا للتحقيق مع الشهيد وإنما للحكم عليه بالإعدام بعد أن تفنن فى إيلائه وتعذيبه .

لم يستطع الإمام ولا ابنه البدر حبس الشهيد فى سجونهما الغليظة المظلمة على كثرتها وانتشارها فى أنحاء اليمن فأمرأ بوضعه فى قفص الأسد فى بيت الإمام فى الحديدة بعد أن طردا منه الأسد إلى مكان آخر . وإذا بالشعب الذى تعود أن يشاهد الأسد الحبشى فى قفصه خلف القضبان يفاجأ إذ هو يرى بطلا من أبطاله وعملقا من عمالقه ، وقد كبلوه بالحديد ، وبنوا من فوق قفصه بناء جديد حتى لا يحطم القفص .

وتجتمع هيئة المحكمة الإمامية وتنفض .

وتأمر بتعذيب الشهيد البطل كما لم يعرف التاريخ للتعذيب شبيها ولا مثيلا . فهم يخرجونه من قفصه ويصلبونه على الأرض ، وينهلون عليه بالسياط والعصى الغليظة والأسياخ الملتهبة ، وهو لا يقول إلا .. الله .. الله .. الله . فتتشعر أبدان القضاة الإماميين من هول المشهد ، وجلال الموقف ،

وربهة الصمود و قدسية الدعاء . حتى إذا ما وقع بعضهم مغشيا عليه ووضع الباقون أيديهم على عيونهم يتوقف الجنود عن تعذيب البطل ، ثم يعيدونه إلى قفص الأسد وهو يمشی على قدميه يسخر من جلاديه كأن شيئا لم يكن .

ويتحلى القضاة بالشجاعة عندما يرون حريم الإمام يتلهين بالمنظر خلف نوافذ المقام (قصر الإمام) . وهن على أية حال أشجع من هيئة المحكمة لأنهن كن يطقن أن برين كل العذاب الذى يجرى على الشاب البطل . فهن عانس حاقدة ، أو فاقدة الوعي من الخمر الإمامى الحلال ، أو محقونه بالمورفين ، أو تاكل من أسرة الإمام ذبح الإمام ابنها ، أو أرملة ملكية قطع الإمام رأس زوجها ، أو جاسوسة منتهزة اندست فى حريم الإمام وابنه وأسرته لتتربى من دماء الشعب .

وبطلوع كل صباح تتكرر نفس المناظر .

وبعد كل تعذيب تبدأ محاكمة تلو محاكمة ، يحضرها الأمراء يرفهون فيها عن أنفسهم ويحكون فيها إنتفاخا صولة الأسد .

وذات يوم .. يصبح البطل الشهيد قائلا : إننى أشم رائحة الخمر تزكم أنفى . أخرجوا هذا الأمير السكران فلسنا فى حانة من حاناته ، ولا فى قصر من قصور الإمام أو بيت من بيوت الأمراء . ويخرج الأمير سيف الإسلام على شقيق الإمام يطأطئ رأسه واضعا يده على فمه ، يسمح لعبه الذى كان يسيل على خديه ، مبللا صدره ، متساقطا على مسبحته ، ممزوجا بالخمر الذى اشتهر به وأدمن عليه .

ويطعم الأمير البدر ولى العهد فى تمثيل دور البطولة التى افتقدها فيه الشعب فيأمر بإحضار البطل الشهيد إلى قصره فى تعز ، وما أن يراه فى غرفته أسيرا مقيدا من حوله الحراس حتى يطعنه الأمير بسيفه طعنة نجلاء فى فخذه . فيفزع الأمير وينزع سيفه من جسد الفتى فتسقط قطعة من لحمه تغرق المكان من دمه الطاهر الزكى .

والبدر مخمور كعادته حين يقضى فى عظيم الأمور .

وعندئذ يصبح الأمير فى الفتى قائلا : والله لأقطعك قطعة قطعة حتى تعترف على شركائك .

والبطل يبتسم ويسخر إذ يقول : إن شركائى تعرفهم يا سمو الأمير ، إنهم الشعب .. كل الشعب ..

ويفقد البدر صوابه ويلتفت إلى الجنود صائحا « لا تسمحوا له بشربة ماء .. وليذهب إلى الجحيم نجسا » .

فينظر إليه الشهيد البطل قائلاً : ما أشجعك يا سمو الأمير . وأنت تنقض كالأسد الكاسر .. ولكن أين .. ؟ فى غرفتك المكيفة الهواء ، المفروشة بالحريير ومن حولك الحراس عن يمينك وعن شمالك ، ثم من خلفك رجالك الأشداء من أصحاب المزاج .

أنا سأذهب يا سمو الأمير إلى الله طاهراً وإن لم أتوضأ ، ولن أموت بل سأظل حياً فى وجدان الشعب لأننى فعلت ما فعلت لا أنتظر جاهاً ولا مالا وإنما من أجل الشعب اليمنى الخالد .

أما أنت ياسمو الأمير .. فكما أنت .. كما تعلم .. أن حبيب فستحيى ميتا .. وعندما تموت فلسوف تموت إلى الأبد .. لتصبح نسياً منسياً .

إننى كنت أعلم أننى لن أعيش حتى أشارك فى رفع أعلام الشعب وهو يحتفل بأعياد الثورة . ولكننى صممت ، فى إصرار ، على أن أضمر رأسى إلى قائمة الشهداء لأشهد التاريخ على أن أبناء قحطان ما زالوا يفرسون ، كعادتهم ، بذور الحرية فى أرضهم الطيبة .

وفى كل صباح يشقون جسد الشهيد بخناجرهم وسيوفهم ثم يضعون فى هذه الشقوق مواد حارقة ملتهبة ، لعلهم يظفرون منه بكلمة تشفى غليلهم . لكن الشهيد البطل لا يعبأ بما يقطعون بخناجرهم ولا يحفل بما يشقون بسيوفهم ، وإنما يقبل التراب الذى يحشرونه فى فمه .. تراب اليمن .. الخالدة .

اليمن ..

التي من أجلها ضحى الشهيد بشبابه ، ضحى بحياته ، ضحى بعمره ، ضحى بأمه ، من أجل أن يتحرر أهل اليمن من الذل والعار والعبودية .

وذات صباح .. يجرون الشهيد إلى ميدان تعز .

يتقدم السيف .. وكانت هذه أول مرة يقطع فيها رأساً .. بعد أن عجز البدر عن العثور على جلاد متمرن ، ويخاطب الشهيد قائلاً : إحن رأسك يا ولدى كى أتمكن من ضرب عنقك ضربة واحدة ، فلا يشق عليك العذاب ، فوالله إنى أرحمك .

فينظر إليه الشهيد قائلاً :

لا .. لا .. يا أبى ..

أنت تفعل هذا .. مكرها .. مغلوباً .. على أمرك ..

لكنك لا ترضى .. أن اطأطأ رأسى .. ولو كان فى ذلك ما يختصر الطريق ..

نفذ الأمر يا أبى .

اضرب عنقى .. ورأسى مشدودة إلى السماء .

فى عزة جديرة بالاحرار .

وكرامة خليفة بشعب اليمن .

وعندئذ يصيح العقيد أحمد الأنسى فى السيف ليبدأ فى ضرب عنق الشهيد حتى لا يتم حديثه فتحدث بين الجنود فتته تقلب مجرى الأمور .

ويأخذ السيف فى ضرب عنق الشهيد ثلاث مرات إلى أن سقطت رأسه على الأرض لترتفع إلى ما فوق التاريخ .

وبعد :

فقد تعود شعب اليمن . أن يقدم رؤوس أبنائه . رأسا فى إثر رأس . من بعد آلاف الرؤوس . دون أن تحفل بها الدنيا . وكأنها أوراق الخريف حين تسقط على الأرض . أو ربما هى دون ذلك . فهى لا تثير مواهب الرسامين . ولا خيال الشعراء .

وكان الله قد أراد لهذا الشعب الصابر المكافح . أن يكرم جراحه بين صدره كى لا ترتعش منها الدنيا . أو يدفن أمجاده فى رماله كى لا يضيق بها العالم ، من كثرة ما فيها من صور الفداء ونماذج الشهداء ..

الذين لا يدخلون فى حصر ، ولا يتقيدون بأحصاء ، ولا يتشبثون بالتاريخ . من أجل أن يلحق شعب اليمن بالناس .. فيصبح من سكان الأرض . (

بكى أحمد سعيد مدير صوت العرب عندما كنت أذيع هذا الحديث وكذلك المذيع سعد غزال . كما تحركت دموع إحسان عبد القدوس عندما قرأه قبل نشره فى روز اليوسف . وأشهد أننى لم أفعل سوى أن رويت قصة اليمن بصرخات أبناء اليمن ، وكتبته بدموع حسرتى على أمجادها التى هوت من عليائها ، وتحطمت فى كبريائها ، فهوت واندثرت تحت ترابها ، الذى كان الشهداء يتسابقون على تقبيله عندما يذبحون ، كما يسجد عليه الخاشعون المصلون عندما يضرعون إلى الله أن يكشف عنهم البلاء ، ويحرر وطنهم من الخرافات التى خدرت اليمنيين ، وجردتهم من عقولهم وأبسط حقوقهم وهى تباع لهم الجنة فى السماء بينما تحرم عليهم ما أحل الله لهم فى الأرض ، وكأنها دين جديد جاء ناسخا لشريعة الاسلام التى نزلت على لسان محمد



وصلتني في ذلك اليوم برقية من تعز بتوقيع الزميل عبد القوى إبراهيم حاميم على عنوان (القاهرة - المصباح) وهو إسمى الرمزي (في خطة الثورة) قال فيها (سأصلكم الخميس ٢ أغسطس في طريقى إلى موسكو) . وكان الواضح من هذه البرقية أنها لا تحدد ساعة صفر جديدة وإنما تخطرني فقط بوصول الزميل عبد القوى كي أستعد لا نظاره في بيتي بالقاهرة حيث كان معروفا أنني سأكون في الإسكندرية قريبا من السادات في ذلك الوقت .

المسلكة المتوكلة اليمنية
وزارة المواصلات
مصلحة البريد

إيصال رقم ٤٦٦٢٣

رقم البرقية ١٥٢
طريق الإرسال القاهرة
العنوان المصباح
عدد الكلمات ١٦
القيمة المحصلة ١١.٠٠
ملاحظات

إيصال برقية الزميل عبد القوى حاميم من تعز .

أذكر أن الأستاذ إحسان عبد القدوس دعانى لتناول العشاء في بيته حيث كان من بين المدعوين أنور السادات والسيدة زوجته والموسيقار محمد عبد الوهاب والسيدة زوجته والأستاذ الأديب كامل الشناوى . وما أن قدمنى السادات للأستاذ كامل الشناوى حتى صاح في وجهى قائلا (لقد أبكىتنى بمقالك عن الشهيد اليمنى) فضحك السادات وقال (لست وحدك الذى أبكاك هذا المقال .. كنت مع الرئيس جمال وهو يستمع إلى صوت الأنخ عبد الرحمن وهو يبكى أثناء إذاعته من صوت العرب فرأيت عيون الرئيس قد أغرورقت بالدموع) .

وصل الزميل عبد القوى حاميم وأبلغنى أن قيام الثورة فى تعز قد تأجل لأن مجموعة الثوار فى صنعاء عرضت أن تزود مجموعة تعز بقذائف دبابات حتى لا تنفذ القذائف التى كانت موجودة فى تعز قبل إكمال مهمتها بعد قيام الثورة ، وأنه عند وصول هذه القذائف من صنعاء سوف يبلغوننى بساعة الصفر الجديدة ، ثم أعطانى قائمة رابعة بأسلحة وذخيرة مطلوبة للثوار لتدعيم قوتهم ، كما أبلغنى أن الزميل القاضى عبد الرحمن الإريانى يريد أن يكون رئيسا لمجلس الوزراء فقط ، ويرفض بشدة أن يكون رئيسا لمجلس قيادة الثورة وأنه يطلب أن نبحث عن غيره لتولى هذا المنصب ، فطلبت من الزميل عبد القوى أن يسافر إلى الإسكندرية فى نفس اليوم على أن ألتقى به فى المساء فى بيتى فى الإسكندرية حتى نذهب معا لزيارة السادات فنقص عليه تلك المعلومات .

بينما كنت أتأهب للسفر إلى الاسكندرية فى ذلك اليوم وصل من عدن الزميل محمد قائد سيف فصحبتة معى إلى الاسكندرية حيث التقينا بالزميل عبد القوى حاميم وتوجهنا معا إلى (كابينة) السادات فى المنتزه .

كان تعليق السادات على تخلصى القاضى عبد الرحمن الإريانى عن رئاسة مجلس قيادة الثورة أنه لا يريد أن يكون مسئولاً عن الثورة فى حالة فشلها ، وأن منصبه الذى يريده كرئيس لمجلس الوزراء سوف يتيح له الفرصة إذا فشلت الثورة أن يدعى أنه لم يكن شريكا فيها ، وأن يدعى أن الثوار هم الذين اختاروه ليكون رئيسا لمجلس الوزراء دون أن يعرف عن ذلك شيئا ، أما إذا نجحت الثورة فإنه يعتقد أن منصبه كرئيس لمجلس الوزراء وكمرشح سابق لرئاسة مجلس قيادة الثورة للمواصفات التى يتحلى بها من شأنه أن يسهل عليه الجمع بين المنصبين بعد نجاح الثورة .

قال السادات أن القاضى عبد الرحمن الإريانى سوف يكون من بين العوامل التى سوف تثير المتاعب للثورة بعد نجاحها .

قلت إننى يمكننى القول إستنادا على ذلك التحليل أن شخصية القاضى الإريانى غير مؤهلة للمجازفة التى هى شرط أساسى للاستمرار فى الواجهة الرئيسية للثورة ، لا سيما فى أشهرها الأولى ، ولذلك فإننى أتوقع أن يهرب من عاصمة الثورة ولن يعود إليها إلا عندما تستقر أمورها ، وفى تلك الأثناء تكون شخصيات الثوار قد استقرت فى المواقع المؤهلة لها ، فإذا لم يملأ أحدهم منصب الرئيس فلا بد إذن من أن يملأه القاضى الأريانى ويكون ذلك فى صالح الثورة ، أما إذا عاد الأريانى إلى عاصمة الثورة وقد ملأ منصب الرئيس رجل قوى فعندئذ يكون من الصعب على الأريانى أن يرحل من مكانه إلا إذا انتقل إلى الجانب المعارض للثورة .

كنت أعرف من السادات أن الرئيس عبد الناصر يشترط للثورة ، أية ثورة ، أن يكون رئيس مجلس قيادتها رجلا عسكريا ، ولذلك قاومت إغراء بروز إسمى فى هذا المنصب ، كما كنت مقتنعا بأهمية رئاسة القاضى عبد الرحمن الإريانى معتقدا أنه الشخصية التى تتفق مع ظروف اليمن ، فهو على علاقات وثيقة مع العلماء والقبائل ، ومعارض للفرقة العنصرية والطائفية ، ولذلك شعرت بحرج عظيم عندما بلغنى أن الأريانى قد تنحى عن رئاسة مجلس قيادة الثورة ، مما جعلنى أقترح أن يحاول الزملاء

الثوار إقناع الزميل العميد حمود الجائفى كى يوافق على أن يكون رئيسا لمجلس قيادة الثورة ، كما يحاولوا إشراك الزميل الملازم على عبد المغنى فى الثورة وفى اختيار رئيس مجلس قيادتها لأنه يمثل قاعدة عريضة من الضباط الثوار .

سافر الزميل عبد القوى حاميم إلى موسكو فى مهمة رسمية تتعلق بوظيفته كرئيس لشركة المحروقات اليمنية ، وسافر الزميل محمد قائد سيف إلى عدن يحمل معه الشحنة الرابعة من الأسلحة والذخيرة المطلوبة .

لم يتوقف الأستاذ أحمد محمد نعمان والقاضى محمد محمود الزبيرى عن التشهير بدعوتى إلى الثورة الجذرية واستمرا برفعان الشعارات الإصلاحية ، الأمر الذى دفع الزميل محمد قائد سيف إلى دعوة زعيمى الأحرار فى عدن الأستاذ محمد على الأسودى والأستاذ محمد أحمد شعلان إلى زيارة القاهرة لمحاولة إقناع نعمان والزبيرى بالثورة الجذرية وإقامة الجمهورية اليمنية .

وصل الأسودى وشعلان واستضافهما السادات بموافقة الرئيس عبد الناصر فى أحد فنادق القاهرة ثم ذهبا إلى نعمان والزبيرى ونقلًا إليهما وجهة نظر الأحرار فى عدن والمهاجر اليمنية وحددا معهما موعدا كى نجتمع نحن الخمسة فى حديقة النهر بجوار حديقة الأندلس بالقاهرة .

انتهى هذا الاجتماع بوثيقة وقع عليها الأستاذ أحمد محمد نعمان والقاضى محمد محمود الزبيرى والأستاذ محمد على الأسودى والأستاذ محمد أحمد شعلان إلى جانب توقيعى . جاء فى هذه الوثيقة أننا اتفقنا باسم جميع أحرار اليمن على الدعوة إلى إسقاط الحكم الإمامى فى اليمن وإلغاء التفرقة العنصرية والمذهبية وإقامة الجمهورية اليمنية ، وطلب الموقعون عليها أن أتولى إذاعتها من صوت العرب . وقد أذعتها فعلا يوم الاثنين ١٣ أغسطس ١٩٦٢ .

وفى يوم الأربعاء ١٥ أغسطس وصل من عدن الزميل محمد قائد سيف ومعه رسالة تفيد بأنه تحدد يوم الثلاثاء ٢٨ أغسطس لقيام الثورة فى تعز وأعطانى قائمة خامسة لأسلحة وذخيرة مطلوبة للثوار فى اليمن ، فذهبت كالمعتاد لمقابلة اللواء صلاح الحديدى ومعى فى سيارتى الحقائب الفارغة كى يتولى الضباط ملأها بما تضمنته القائمة فإذا به يعتذر عن ذلك بقوله أن فى وسع الثوار شراءها من السوق فى اليمن .

صحبت معى إلى الإسكندرية الزميل محمد قائد سيف وكنت مدعوا على تناول الغذاء فى « كابينة » أنور السادات بالمنتزه . أبلغنا السادات بساعة الصفر الجديدة كما أبلغناه باعتذار اللواء صلاح الحديدى عن تزويدنا بالأسلحة والذخيرة بدعوى أن فى وسع الثوار شراءها من السوق فى اليمن ، ولم يكن ذلك ممكنا بعد أن ثقل العبء المالى الذى ألقاه الزميل عبد الغنى مطهر على نفسه حتى أوشك على إنفاق كل أمواله على الثورة .

اتصل السادات تليفونيا بالرئيس عبد الناصر من الغرفة المجاورة ثم بالمشير عبد الحكيم عامر وعاد إلينا قائلا لى (سيكون اللواء صلاح الحديدى فى انتظارك غدا لتسليمك الأسلحة والذخيرة المطلوبة) .

ذهبت إلى اللواء صلاح الحديدى وكانت زوجتى تنتظرنى فى الطريق حتى تذهب فوراً بالحقائب إلى المطار كسبا للوقت الحرج وعاد الزميل محمد قائد سيف يوم الجمعة ١٧ أغسطس ١٩٦٢ إلى عدن ومعه الاحتياجات التى طلبها الثوار ، مع ترحيب مصر بتقديم المساعدات العسكرية الرمزية بعد قيام الثورة فى تعز يوم الثلاثاء ٢٨ أغسطس ١٩٦٢ الذى حدده الثوار .

كان من المتفق عليه أن أصل إلى تعز على أثر قيام الثورة هناك بطائرة مصرية صغيرة من طراز (داكوتا) كى تستطيع أن تهبط فى مطار تعز الذى كان عبارة عن أرض ممهدة بين جبال وعرة ، ومعى ، كما سبق الشرح ، خبير عسكري مصرية لحصر احتياجات الثورة من الأسلحة والذخائر على ضوء ما فى مخازن السلاح بعد جردها ، كما يكون معى جهاز إرسال واستقبال لاسلكى بعيد المدى يمكن استخدامه كمحطة إذاعة ، مع استكمال بقية حمولة الطائرة بالأسلحة الخفيفة والذخائر .

ولم يكن فى وسع هذا الطراز من الطائرات أن يقطع المسافة بين القاهرة وتعز دون توقف ولذلك تقرر تجهيز هذه الطائرة بما عليها فى مطار أسوان على أن أسافر إليها من القاهرة على طائرة نفائة إختصارا للوقت .

وقد تم تجهيز هذه الطائرة بحمولتها قبل يوم ٢٨ أغسطس ١٩٦٢ .

وفى يوم ٢٢ أغسطس ١٩٦٢ بدأت أتماعات مجلس جامعة الدول العربية فى دورته الإستثنائية فى بلدة شتورا ببلبنان للنظر فى شكوى حكومة سوريا ضد الحكومة المصرية ، وقد استخدم الوفد السورى أقسى عبارات الهجوم على مصر ، بالقدر الذى لقى ترحيبا واسع النطاق لدى الكثيرين من وفود الدول العربية الأخرى ، الأمر الذى زاده اشتعالا هروب الملحق العسكرى المصرى فى بيروت إلى سوريا وإعلانه أنه سيعقد مؤتمرا صحفيا ضد جمال عبد الناصر ، وكان ذلك بتحريض من سوريا مما دفع الوفد المصرى إلى التهديد بانسحاب مصر من الجامعة ما لم يقم مجلس الجامعة بالتحقيق الكامل فى أمر الأكاذيب والإهانات التى رددتها بعض الوفود فى المجلس .

وفى يوم ٢٥ أغسطس وصل الزميل محمد مهيوب ثابت وأبلغنى بأن بعض العناصر قامت بتوزيع منشورات فى عدن واليمن تحمل توقيعى الأستاذ نعمان والقاضى الزبيرى يتنصلان فى هذه المنشورات من البيان الذى أذعته من صوت العرب ، والذى كان بتوقيعهما وتوقيع الأستاذين الأسودى وشعلان وتوقيعى .

سأئنى ما سمعت من الزميل محمد مهيوب ثابت ونحن على مقربة من ساعة الصفر التى لم يبق عليها سوى ثلاثة أيام . ولا يخفى على عاقل أن التفاف الجماهير حول الثوار فى اليمن سوف يكون السلاح الحاسم الذى يحسم المعركة لصالح الثورة . وكان حرصى على استمرار الجماهير اليمنية فى الإندفاع نحو الإيمان بعقيدة الثورة الجذرية هو الذى جعلنى أواصل السعى إلى تحقيق وحدة الصف مع الأستاذ نعمان والقاضى الزبيرى ، الأمر الذى حققناه فى البيان الذى وقعناه جميعا وأذعته من صوت العرب بناء على موافقتهم على إذاعته وهو لا يزال من وثائق صوت العرب .

ردا على الأستاذ نعيمان والقاضي الزبيري وحرصا منى على الاحتفاظ بحماس الجماهير اليمنية وإشعالا لعزيمة الثوار ليلة قيام الثورة أذعت من صوت العرب حديثا يوم الاثنين ٢٧ أغسطس ١٩٦٢ بعد أن نشرته روز اليوسف فى نفس اليوم بعنوان « المعركة الفاصلة » .

وكان أهم ما جاء فيه ما يلى :

(شعب اليمن .. حان موعده مع القدر .. ليقضى على معاقل الفساد ، وينسف قلاع التخلف ، ويستأصل المأساة من أعماق جذورها .

شعب اليمن . ليس أمامه وقت بضيعه فى الحيرة والتردد ، أنه يسير فى الطريق الذى لا مفر منه ، طريق الثورة الجذرية ، بعد أن مضت عهود السياسة ، وفشلت دعاوى الإصلاح .

بعد أن يؤس من ترقيع الثوب الممزق ، الملوث ، وفقد الأمل من جدوى اللف والدوران حول السبب الحقيقى للمأساة ، بعد أن انتهى عهد السياسيين الذين يختلقون المناورات لينتفعوا منها وبدأ عهد الثوار الذين يفتحون المعارك ليستشهدوا فيها .

ولقد رحب الشعب بالعهد الجديد لأنه يريد من يضحى من أجله ، لا من ينتفع من ورائه .

والثوار ..

فى كل الأوقات ، وفى جميع البلاد ، لا يحتاجون إلى إنتخاب ، لا ينتظرون تزكية ، لا يخضعون لأقدمية ، وإنما يعرضون أنفسهم على الشعب ويقحمون أرواحهم فى المعارك ليدقوا أسماءهم بين الشهداء .

ومؤملاتهم كلها أنهم يحسون بوجبة الشعب ، يجراؤن على التعبير عنها ، يستشهدون من أجل القضاء عليها ، لا ينتظرون تكريما فى حياتهم ولا رثاء عند موتهم .

ضاع من عمر اليمن الف ومائة عام أجتهد السياسيون خلالها ليخلقوا ثورة بدون معركة ، بدعوى أنهم يحرصون على جمع الشمل ووحدة الصف فاجتمع معهم فى شملهم معظم الطغاة ، والتحق بهم فى صفوفهم أغلب المفسدين فلم تقم معركة بين الخير والشر ، بين مصلحة الشعب ومصالح أعدائه .

لم تحدث معركة من أجل الشعب وإنما حدثت انقلابات فيما بين الطغاة والمفسدين . لم يكن للشعب فيها ناقة ولا جمل . على هذا النحو قامت الانقلابات فى اليمن ، واستعارت اسم الثورة دون مقوماتها الأساسية . وهى تحديد طبيعة المعركة ، وتعيين أطرافها .

ففى سنة ١٩٤٨ وقع الانقلاب المشهور بثورة عبد الله الوزير . بدأ الانقلاب بقتل الإمام الحاكم يحيى وانتهى بإعدام المنقلبين عليه ، وفيما بين قتل الإمام يحيى وإعدام المنقلبين عليه استولت حكومة الانقلاب على السلطة فى اليمن . ولكن على نفس الجنور التى انبثت المأساة ، وعلى ذات الدعائم التى قام عليها الظلم ، والطغيان ، والجبروت.

فلم تشعر اليمن بأى تغيير ، أو تبديل ، لأن ما حصل كان مجرد حلقة من حلقات الصراع حول السلطة . صراع فيما بين الذين يحرصون على اصطياذ الشعب . صراع فيما بين الذين يتنافسون على ابتزاز أمواله . صراع فيما بين الذين يتباهون بإزهاق أرواحه .

وفى سنة ١٩٥٥ قام إنقلاب مرتجل سلم زمام أمره للسياسيين الذين أعتقلهم الثوار فخدعوا الثوار بالحكمة التى يحرصون عليها ، وبالعقل الذى يدعونه ، فأقنعوا الثوار بالحفاظ على النظام الإمامى وعدم المساس بشخص الإمام الذى كان فى قبضتهم والإكتفاء بتنازله عن السلطة من اليد اليمنى إلى اليد اليسرى ، كما جاء فى وثيقة التنازل عنها .

وانخدع الثوار بحكمة السياسيين وعقلهم ، حرصا على وحدة الصف .

وبعد بضعة أيام أفلت الإمام من قبضة الثوار ، وتولى السياسيون أكبر المناصب مع الإمام الذى انتصر على الثورة ، بفضل حكمة السياسيين وعقلهم .

ومضى الشعب يندم على الثوار ، ويبكى الثورة .

ومضى الإمام يفتك بالأحرار ، ويدفن الثورة .

وأخذ الشعب يرسف فى الأغلال .

والسياسيون .. يجتمعون وينفضون .. ينفقون ويختلفون .. بالحكمة التى يحرصون عليها .. وبالعقل الذى يدعونه .. ولو بقيت الأمور على هذا النحو لعاشت المأساة الف سنة أخرى بحكمة السياسيين وعقلهم ..

لكن الأمور لا يمكن أن تبقى على هذا النحو لأن الأمة العريقة تنبت ثوارا كما تنبت سياسيين . فكلما هلك ثوار ظهر ثوار ، وظهر معهم سياسيون يحاولون الانتفاع من ثورتهم .

ويمضى مرة أخرى الخلاف بين الثوار والسياسيون . حول الأفكار الإصلاحية ، والحلول الوسطى ، واختصار الطريق ، ووحدة الصف ، وجمع الشمل ، إلى آخر الألفاظ البراقة التى يتقنها السياسيون ليخدعوا بها الثوار .

وثوار هذا الجيل قد فطنوا إلى هذه الحقيقة وسوف يمضون إلى آخر الشوط ، إلى نهاية المعركة ، أنهم يريدون تحويل ما يدور في قلب كل فرد من أفراد الشعب إلى شعارات واضحة ومحددة يرفعونها على رؤوس الشهداء حتى تبدأ المعركة .

والسياسيون يكتفون بأن يبقى ما في القلب في القلب ، مع رفع شعارات عامة مزخرفة ، لا تغضب أحدا فلا تحدث معركة . والذي يدور في قلب كل فرد من أبناء الشعب هو القضاء على التفرقة العنصرية ، وسقوط الحكم الإمامي الذي يعتمد عليها ، وإعلان المساواة بين جميع سكان اليمن ، دون تفریق أو تمييز بسبب العرق والنسب والخرافات .

الثوار ينقلون مشاعر الأمة إلى ميدان القتال ليقف الشعب في مواجهة أعدائه .

والسياسيون يبحثون عن الحلول الوسطى مع أعداء الشعب على موائد المساومات . بالحكمة التي يحرصون عليها . وبالعقل الذي يدعونه .

فكان لا بد من أن يتصدع الحلف بين الثوار والسياسيين .

وكان من مصلحة الشعب أن يتصدع هذا الحلف حتى لا تتكرر مأساة عام ١٩٥٥ مأساة النائب أحمد يحيى الثلاثي وزملائه الذين ذهبوا ضحية الوهم الكبير . حكمة السياسيين وعقلهم .

والآن يصيح السياسيون ويصرخون قائلين أن وضوح الثوار قد جعل غلاة المتعصبين من الهاشميين يكتلون ضد الشعب .

وهذا القول قد يصح من قوم غرباء عن اليمن ، لم يقرأوا التاريخ ، لم يلمسوا المأساة ، لم يعرفوا اليمن ، بل جاءوها زائرين ، سائحين ، لأول مرة .

فعندما يقول السائحون هذا القول يعذرهم الشعب ، لأنهم لا يعلمون أن غلاة المتعصبين من الهاشميين الفاسدين مكتلون منذ أن وطأت أقدامهم أرض اليمن . لا يعلمون أن نظام الحكم في اليمن يعتمد أساسا على هذا التكتل منذ ألف ومائة عام . لا يعلمون أنه لولا هذا التكتل لسقط هذا الحكم منذ أن استولى على اليمن . غلاة المتعصبين من الهاشميين مكتلون الآن ، ومنذ مئات السنين ، ولتكشف الآن عن أحد الأسرار .

إننا لم نرفع هذا الشعار الواضح الصريح المحدود إلا بعد أن يثسنا من العمل الثوري مع غلاة المتعصبين من الهاشميين السياسيين .

لم نرفع هذا الشعار إلا بعد أن تأكدنا من أنهم أسسوا جمعية سرية يتبرع لها كل منهم بعشرة في المائة من دخله بصفة منتظمة وشهرية .

وإنهم وضعوا خطة لإغتيال أعيان الشعب المعروفين بالصلاح والتقوى واحترام حقوق الرعية . الذين لا يقبلون الرشاوى ، ولا يقرون المظالم ، ويحكمون بين الناس بالعدل .

فكان لزاما علينا أن نكشف أسرار الغلاة من الهاشميين المتعصبين لعلهم يدركون خطورة عملهم قبل أن يضربوا الشعب ضربتهم الانتحارية اليائسة التى ستكون بمثابة حكمهم على أنفسهم بالإعدام .

ولقد اتضح لنا أن خطة العمل الثورى فى اليمن تعتمد على أحد طريقين لا ثالث لهما .

الطريق الأول : أن نقنع غلاة المتعصبين من الهاشميين بأن يفضوا تكتلهم ليندمجوا مع الشعب .

الطريق الآخر : أن نقنع الشعب بأن يتكتل ليواجه التكتل الهاشمى المتعصب .

وبعد أن عجزنا عن إقناع المتعصبين من الهاشميين لجأنا إلى إقناع الشعب .

وعندما لجأنا إلى إقناع الشعب ظهر السياسيون مرة أخرى يحاولون إقناعنا بخطورة هذا الطريق ، الذى يغضب الهاشميين الأحرار . ولم نقنع بحكمة السياسيين وعقلهم هذه المرة لأننا نعتقد أن الهاشميين الأحرار الحقيقيين لا يغضبون من إسقاط الحكم الهاشمى ما داموا أحرارا حقيقيين يؤمنون بالمساواة .

الهاشمى الحر يجب أن يعدل عما منه ويلفها كما يلف الشعب عما منه حتى لا تكون فوق رأسه شارة مميزة عن أبناء الشعب . الهاشمى الحر يجب أن يرفض أن يناديه أبناء الشعب بلقب « سيدى » و « مولاي » .

الهاشميون الأحرار كثيرون يعملون فى صفوف الثوار ، ينادون بهذه الشعارات الواضحة الصريحة ، ولا يخافون الثورة . بل يعملون من أجلها . من أمثالهم الهاشمى الثائر محمد هاشم زعيم الثوار الذين أعلنوا ثورتهم على الإمام منذ عيد الأضحى الماضى فى منطقة ماوية .

ولا يزال محمد هاشم ورجاله معتصمين فى منطقتهم ينتظرون سقوط هذا الحكم الهاشمى الآثم .

والطلبة الثوار فى صنعاء والحديدة وتعز الذين قاموا بالمظاهرات هذه الأيام يهتفون بسقوط التفرقة العنصرية وبحياة الجمهورية اليمنية كان من بينهم هاشميون أحرار ثوار ينادون بسقوط الحكم الهاشمى ، بصراحة ، ووضوح ، وإصرار ..

وأصحاب النبي الذين كانوا يعبدون الأصنام قبل الإسلام لم يفضبوا بعد إسلامهم عندما أمر الرسول الكريم بتحطيم الأصنام التي كانوا يعبدونها .

كذلك .. الهاشميون الأحرار .. لا يفضبون عندما نعلن فساد الحكم الذي سمى نفسه بالحكم الهاشمي ، فجعلنا نستصحب هذه التسمية أردنا أو لم نرد عندما ترفع الشعارات الواضحة التي تحدد معالم الطريق ..

والثورة لن تسحل الهاشميين كما يدعى السياسيون ، وإنما ستحطم ، فقط وبكل اختصار ، جماجم من يعترضون طريقها ، سواء كانوا هاشميين أو غير هاشميين .

وعندما ينتصر الشعب سينتصر كل من اشتركوا في الثورة ، هاشميون أو غير هاشميين .

لأنه بعد نجاح الشعب لن يكون هناك هاشمي وغير هاشمي ، سيكون كل سكان اليمن أسرة واحدة .

ولن يكون في المستقبل سياسيون وغير سياسيين .

لأن المستقبل يحتاج إلى شعب ثائر يقوم بنهضة ثورية ، وبؤدي أعمالاً ثورية ، بروح ثورية ، كي يسترد شعب اليمن في بضع سنين ما فقده عبر القرون السحيقة .

سيحتاج المستقبل إلى قفازات ثورية لا إلى مناورات سياسية . فعلى أبناء اليمن أن يؤهلوا أنفسهم للروح الثورية ، وعلى السياسيين أن يندمجوا في صفوف الثوار ، لينقلوا عنهم روح الثورة ، لا لينقلوا إليهم عدوى السياسة .

وبعد ..

فإننا نرحب بتكتل غلاة المتعصبين من الهاشميين السياسيين بأى عدد ، وبأى مبلغ ، وبأى سلاح .

نرحب بإقدامهم على قتلنا ، وقتل غيرنا من أبناء الشعب بأى عدد ، وبأية صورة ، وفي أى مكان .

فهذا .. وهذا وحده .. مايجعل بالمعركة .. المعركة الفاصلة .

يجعل بالثورة .. لا بموت بالثوار ..

فالثوار لا يموتون .. لأنهم يحيون في مبادئهم .. والمبادئ لا تموت ..)



الشهيد الملازم محمد العلي



الشهيد الملازم عبد الله اللقي

انتظرت مع الزميل محمد مهيب ثابت إشارة الثورة في فجر اليوم التالي (٢٨ أغسطس ١٩٦٢) وعند الظهيرة ذهبت معه إلى أنور السادات الذي بادرني بقوله « أنهم لم يتحركوا ، لكنك يا أخ عبد الرحمن ستقول ، كمادتك ، إنك واثق في أنهم سوف يتحركون في يوم من الأيام » .

قلت صبرا جميلا ، إنهم سوف يتحركون قريبا إن شاء الله .

وفي يوم الأربعاء ٢٩ أغسطس صليت المغرب في مسجد السلطان حسين بالقلعة مع الأستاذ أحمد محمد نعمان والقاضي محمد محمود الزبيرى والشيخ سنان أبو لحوم الذى شهد معى بأن الحل الوحيد لانتشال الشعب اليمنى من المأساة هو الثورة والدعوة إلى الجمهورية اليمنية ، وقد بذل كل جهده للتوفيق بينى وبين نعمان والزبيرى وتوحيد صفنا تحت شعار الثورة الجذرية . وبعد أن أدينا صلاة المغرب قرأنا جميعا فاتحة القرآن الكريم بنية الإخلاص لهذا الهدف والعمل من أجله صفا واحدا ، كل فى مجاله ويقدر ما يستطيع ، وعفا الله عما سلف بيننا من خلاف.

أذكر أن الشيخ سنان عاد إلى عدن وهو غاضب على الأبهتاذ نعمان لأنه رفض ان يقدم إلى الأحرار اللاجئين إلى عدن أية مساعدة من الأموال التى سبق أن جمعها باسم القضية اليمنية ، وانه اكتفى بتقديمه إلى أحد المسئولين برئاسة الجمهورية المصرية الذى تبرع باسم مصر بمبلغ خمسمائة جنيه لهؤلاء الأحرار من شيوخ القبائل والطلبة وسلمه للشيخ سنان قبيل سفره إلى عدن .

وفي يوم الخميس ٣٠ اغسطس ١٩٦٢ وصلتنى برقية من الزميل الملازم على عبد الغنى عن طريق مكتب السادات برموز السفارة المصرية فى صنعاء قال فيها (أرجو وزملائى الإشتراك معكم فى الثورة أما جزيلا فلا يمثل تنظيما . ننتظر تعليماتكم) .

أجبت عليه فى الحال ببرقية من مكتب أنور السادات برموز السفارة المصرية فى صنعاء قلت فيها (من عبد الرحمن البيضانى إلى الأخ الحر الضابط على عبد الغنى بصنعاء ، وصلت إفادتكم أرحب بالعمل معكم ومع زملائكم ومن أجل تنسيق العمل أرجوكم الاتصال بعبد الغنى مطهر وستجدون لديه ما يلزم وأفيدونا بالمتجدد) .

كما أرسلت في نفس الوقت برقية من مكتب السادات وبرموز السفارة إلى الزميل عبد الغنى مطهر قلت فيها (من عبد الرحمن البيضاني إلى عبد الغنى ، سيتصل بكم الضابط على عبد الغنى في صنعاء إطلعوا على ما عنده وأدخلوه في المجلس ونسقوا العمل معه وأعطوه ما يلزم حسب تقديركم وأفيدونا عن موقف جزيلان الحقيقي .) الوثيقة رقم ٢٠) وهى بخط المسئول في مكتب السادات .

أشار إلى هذه الوثيقة الأستاذ محمد عبد الله الفسيل^(١) في صفحتي ١٦٢ ، ١٧٣ من كتاب (ثورة سبتمبر - دراسات وشهادات تاريخية) الذى أعده مركز الدراسات والبحوث بصفة رسمية في صنعاء ، الطبعة الأولى ١٩٨١ - ١٩٨٢ ، فقد اعترف الأستاذ الفسيل ببرقية الملازم على عبد الغنى التى أرسلها إلى القاهرة برموز السفارة المصرية في صنعاء ، ولو أن الأستاذ الفسيل قد أظهر إستيائه الشخصى من وصول الرد على برقية على عبد الغنى بتوقيعى وبرموز هذه السفارة .

ولعل سبب إستيائه الفسيل وعدد من البعثين من قيامى بالرد على الملازم على عبد المغنى أنهم لا يعرفون أن برقيته كانت موجهة إلى وباسمى الصريح ، كما يرجع هذا الاستياء إلى عدم معرفتهم جذور ثورة ٢٦ سبتمبر وكيف نمت بذرتها بين صخور المستحيل فى اليمن حتى أصبحت ممكنا فى ذهن القيادة السياسية فى مصر .

لقد تصوروا أنه بمجرد أن يتجمع عشرة أو مائة أو ألف من الأحرار العسكريين والمدنيين يمكن أن يؤدى إلى قيام ثورة جذرية فى اليمن يسيل لها اللعاب فى مصر .

وكأنهم لم يقرأوا تاريخ اليمن ، ولم يعرفوا ظروفها الموضوعية ، ولم يدركوا شخصية عبد الناصر التى لا يسيل لها لعاب ولا تستدرجها برقية .

كان لا بد من إخفاء أهداف الجهود المضنية التى سبقت ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ بتسع سنوات ، أمضيتهما فى تهيئة الرأى العام اليمنى للإصلاح السلمى ثم للثورة الجذرية ، وتم خلالها الحصول على السلاح الثقيل وإنشاء الكلية الحربية ومدارس الأسلحة وتدريب الضباط والجنود ، إلى جانب بناء ميناء الحديد وشق الطريق من الحديد إلى صنعاء .

كان لا بد من المبالغة فى فرض نطاق السرية على كل ما يتعلق بالجهود الثورية ، وأذكر أنه عندما أبدى الرئيس عبد الناصر إقتناعه بفشل هذه الجهود بسبب تكرار عدم تحرك الثوار فى ساعات الصفر المتعددة ، كنت أقنعه بإننى وزملائى قد نجحنا ، على الأقل ، فى تكوين نواة لمجموعة من الأحرار يحفظون الأسرار . وضربت له مثلاً أنه كان فيما مضى كلما اتفق خمسة من الأحرار على القيام بأى عمل ضد الإمام فإن أربعة من هؤلاء الخمسة يسرعون إليه يطلعونه عليه ، فسألنى عبد الناصر عن خامسهم فقلت أن الأربعة عندما يصلون إلى الإمام يجدون خامسهم قد سبقهم عنده .

أعتبرت برقية الزميل على المغنى فتحاً جديداً ونصراً من عند الله مباركا طيباً لأنه إضافة ثورية صادقة ، وقوة معنوية هائلة ، إنه شجاعة وإقدام ، وعزم بغير تردد ، وفداء لا يعرف المساومة .

(١) سفير اليمن فى ألمانيا الشرقية فى وقت لاحق بعد الثورة .

وفى يوم الخميس ٦ سبتمبر وصل الزميل محمد قائد سيف يحمل أخبارا من اليمن تفيد بأن الزميل على عبد المغنى ذهب إلى تعز والتقى بالزميل عبد الغنى مطهر وأبلغه بأن العميد حمود الجانفى قد وافق على الاشتراك فى الثورة وفى منصب رئيس مجلس قيادتها ، وأن الخلاف لا يزال قائما بين المقدم عبد الله جزيلان من جهة والملازم على عبد المغنى وبقيّة الضباط من جهة أخرى ، وأنه لا يزكى جزيلان سوى القاضى عبد السلام صبره الذى يحاول تسوية خلافاته مع الضباط ، كما أبلغنى الزميل محمد قائد سيف بأنه قد تم الاتفاق على إعادة تشكيل مجلس قيادة الثورة على النحو التالى :

العميد حمود الجانفى رئيسا وقائدا عاما للقوات المسلحة . الدكتور عبد الرحمن البيضانى نائبا للرئيس . العميد عبد الله السلال . النقيب عبد اللطيف ضيف الله . عبد الغنى مطهر . النقيب محمد قائد سيف . النقيب محمد المأخذى . الملازم على عبد الغنى . العقيد حسن العمري . عبد السلام صبره . عبد القوى إبراهيم حاميم . على محمد سعيد . الملازم محمد مفرح . الملازم سعد الأشول . محمد على عثمان . الطيار عبد الرحيم عبد الله . المقدم عبد الله جزيلان . عبد الرحمن الأريانى . محمد مهيوب ثابت .

كما سلمنى قائمة أخرى تتضمن إعادة تشكيل مجلس الوزراء على النحو التالى :

الدكتور عبد الرحمن البيضانى رئيسا ووزيرا للخارجية . العميد عبد الله السلال وزيرا للدفاع . النقيب عبد اللطيف ضيف الله وزيرا للداخلية . النقيب محمد قائد سيف وزيرا للدولة لشئون رئاسة الجمهورية . عبد الغنى مطهر وزيرا للاقتصاد . محمد محمود الزبيرى وزيرا للمعارف . العقيد حسن العمري وزيرا للمواصلات . عبد القوى إبراهيم حاميم وزيرا للشئون البلدية والقروية . المهندس على محمد عبده وزيرا للزراعة . الدكتور عبد الغنى أحمد على وزيرا للخزانة . على محمد سعيد وزيرا للصحة . عبد السلام صبره وزيرا للأوقاف والشئون الإجتماعية . النقيب محمد الأنومى وزيرا للشئون البلدية . احمد حسين المرونى وزيرا للإرشاد القومى . المهندس عبد الله الكرشمى وزيرا للأشغال العامة . محمد مهيوب ثابت وزيرا للدولة لشئون المهاجرين . عبد الرحمن الإريانى وزيرا للعدل . الطيار عبد الرحيم عبد الله وزيرا للطيران .

ذهبت مع الزميل محمد قائد سيف إلى السادات وأبلغناه بما استقر عليه رأى الثوار فى اليمن ، وكانت مع الزميل قائمة سادسة بأسلحة وذخيرة مطلوبة لليمن فعذت من الإسكندرية مع الزميل وأجريت اللازم مع اللواء صلاح الحديدى وسافر الزميل كالمعتاد بحقائب الأسلحة والذخيرة إلى عدن .

فى يوم الأحد ١٦ سبتمبر ١٩٦٢ عاد الأستاذ أحمد محمد نعمان والقاضى محمد محمود الزبيرى إلى إصدار بيان ضدّى فى صحيفة العمال فى عدن جاءت فقراته متناقضة فيما بينها ، إذ بينما تعلن إحدى فقرات البيان براءتها من العصبيّة الهاشمية والقحطانية والزيدية والشافعية ، وهو جوهر دعوتى إلى الثورة الجذرية لتحقيق العدالة والمساواة بين جميع أبناء اليمن ، تتضمن فقرة أخرى مهاجمتى لأننى أنادى بالمساواة وإلغاء التفرقة فتقول (وجاء على آخر الزمان طارئ جديد على صفوف الحركة يطالبنا بالمنكر ويدعونا إلى إعلان جريمة الإنشقاق بين أبناء الشعب) أى أن دعوتى إلى العدالة والمساواة بيم جميع أبناء الشعب تعتبر عندهما مطالبة بالمنكر ودعوة إلى جريمة الإنشقاق بين أبناء الشعب .

لا أدري كيف فات المنطق عليهما ، ولا كيف نسيا ما سبق أن كتبه كل منهما ضد العنصرية الهاشمية وما كتبه الزبيرى بصفة خاصة فى كتابه (الإمامة وخطرها على وحدة اليمن) حيث قال فى صفحة ٢٨ (من الخطأ الكبير والمنطق المقلوب أن يظن بالذين ينادون بالحكم الشعبى أنهم يثيرون عصبية عنصرية) إلى أن قال أن (النزعة العنصرية هى أخطر شئ على الهاشميين وعلى مستقبلهم سواء عاشوا فى اليمن أو فى أى قطر عربى آخر) .

لا أدري كيف يشترك الزبيرى فى مهاجمتى وأنا أنادى بالحكم الشعبى فيقع بنفسه فيما وصفه بالخطأ الكبير والمنطق المقلوب ؟ .



وصل الزميل عبد القوى حاميم يوم الثلاثاء ١٨ سبتمبر ١٩٦٢ من تعز يبلغنى أن ساعة الصفر قد تحددت للمرة الأخيرة وأنها سوف تكون فجر يوم الأحد ٢٣ سبتمبر ١٩٦٢ وسلمنى صورة من رسالة أرسلها فى نفس ذلك اليوم الزميل عبد الغنى مطهر إلى الزميل العقيد حسن العمرى يخطر فيها بهذا الموعد حتى تكون مجموعة صنعاء على أهبة الاستعداد للقيام بدورها وحتى يقوم ، باعتباره نائبا لوزير المواصلات ومدير اللاسلكى الذى لا يراقبه أحد ، بالإتصال بى برقيا إذا لزم الأمر بإسمى الرمزى وهو (القاهرة المصباح) (الوثيقة رقم ٢١) ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المكرم الأخ حسن العمرى المحترم

بعد التحية...٠٠٠

أخى كنا قد أفدناكم بأن الأخ عبد الله يصلكم يوم الأربعاء ولكن مع الأسف تأخر عزمه إليكم وذلك بسبب كثرة الأشغال معه وإنشاء الله يكون وصوله إليكم يوم الأحد بدون تأخير هذا وأخيرا لكم أطيب تحياتى ،،،

المخلص

عبد الغنى مطهر

١٩٦٢/٩/١٨

ذهبت مع الزميل عبد القوى إبراهيم حاميم على الفور إلى صوت العرب وأذعت حديثا فى مساء ذلك اليوم للإستمرار فى تعبئة الروح المعنوية الثورية لتذكير الثوار بصفة خاصة وجموع الشعب بصفة عامة بثورة الشباب التى تحدثت النظام الإمامى ورفعت شعار الجمهورية فى صنعاء وتعز لأول مرة فى تاريخ اليمن ، وقد نشرته روز اليوسف فى موعد صدورها (٢٠ سبتمبر ١٩٦٢) تحت عنوان « ثورة الشباب »

جاء فيه :

(ليس الذى يرى الآن فى اليمن سوى أضواء الفجر وهى تبدد أستار

الظلام .

الظلام الذى طال فى اليمن .. الظلام الذى خيم على شعب اليمن نحو ألف ومائة عام .

إن أضواء الفجر تكاد تمزق هذا الظلام عندما صمم شعب اليمن على أن ينفذ عن نفسه لعنة التاريخ ، وعار التخلف ، وصمم على تحطيم القيود ونسف الأغلال .

وليس الذى يجرى الآن فى اليمن من مظاهرات وإضرابات سوى الشرارة الأولى التى ستفجر البركان ، ستفجر الثورة . الثورة التى تغلى فى كل قلب وتضغط على كل صدر .

الثورة التى يحس بها الشعب عندما ينظر إلى الحاضر فلا يذكر عنه سوى القيود ، والأغلال ، والمذابح .

الثورة التى يحس بها الشعب عندما ينظر إلى الحاضر فلا يغتم منه إلا الجوع ، والذل ، والألم ، والحسرة .

الثورة التى يحس بها الشعب عندما يتطلع إلى المستقبل ، فيجد فيه الخير والبركة ، والمجد والرفعة ، والأمل والرجاء . يجد فيه النهضة التى تنتظره لتضعه فى مصاف الأمم الناهضة والخلافة .

والشعب لا يصل إلى هذا المستقبل إلا إذا سار فى الطريق الصحيح ، الطريق الذى لا مفر منه ، طريق الثورة ، ليقضى على معاقل الفساد والإستبداد ، ويحطم قلاع التخلف والرجعية ، فيقطع رأس الماضى البغيض ، ويمزق جسد الحاضر الفاسد ، من أجل أن تصفو صورة المستقبل المشرق .

فلا يمكن أن يتم إصلاح على حجور الفاسدين . ولا يمكن أن يرتفع علم الحرية على أيدي الجلادين السفاحين . ولا يمكن أن يأتى الجديد الناهض بإرادة القديم المتخلف .

كما لا يمكن أن يأتى ضوء النهار إلا إذا تمزقت أستار الليل البهيم .

والشعب اليمنى يعلم هذا حق العلم .

طافت المظاهرات فى أنحاء اليمن تهتف بالثورة ، تهتف بسقوط الإمام الجاهل السفاح ، وسقوط ولى عهده الكاذب المنحرف ، وسقوط جميع الأمراء الذين يعيشون فى ظل الخرافات والدجل والشعوذة ، ويمتصون دماء الأمة باسم العرق والنسب ، ثم ينفقون أموال الشعب على عبثهم ومجونهم وخلاعتهم فى أوروبا وأمريكا .

إن هذه المظاهرات الشعبية التي طافت في أنحاء اليمن تهتف بسقوط هؤلاء المنحليين ، الجلادين ، وتهتف بحياة الجمهورية اليمنية لم تكن عبثا ، لم تكن بنت ساعتهما وإنما كانت تعبيرا حقيقيا ، تعبيرا صادقا ، لما تحس به جماهير الشعب اليمني ، وما تؤمن به ، وما ستضحى من أجله ، من أجل أن يسترد الشعب كرامته وأدميته ومكانه بين الأمم .

لقد كان الشباب اليمني معبرا عن إرادة الأمة بأسرها ، وكان مع الشباب أطفال في السابعة والثامنة من أعمارهم يهتفون بسقوط الرجعية ، يهتفون بموت الخونة الذين استبدوا بالشعب ، وحطموا مقوماته ، وعرقلوا مستقبله .

ولا تزال أصوات هؤلاء ، على نعومتها ، تدق الأسماع وهي تزار كالأسد الكاسرة لتعبر عن هذا الجيل الصاعد .

الجيل الذى لا يستسلم للخرافات .

الجيل الذى لا يصدق الشعوذة .

الجيل الذى يؤمن بنفسه ، وبحقوقه ، ويريد أن يفرض مستقبله .

هذا الجيل الذى هو على موعد مع القدر . إنه ليس كالأجيال الماضية . لقد أصبح أطفاله يتصدرون المظاهرات فى إصرار لا يعرف اليأس ، ويستقبل بصدوره طلقات الرصاص فى استماته لا تقبل الهزيمة .

كان الأطفال يقحمون أنفسهم فى السجون تضامنا مع زملائهم الكبار ، الذين قيدوا بالسلاسل وطعنوا صدورهم بأسلحة البنادق ، ولم يتراجعوا أمام الموت لأنهم لا يرون خيرا فى حياة فرضها الحكم الإمامى بغير عدل ، ولا حرية ، ولادين .

هذه الحياة التى ليس من معالمها إلا قتل الأبرياء ، حبس المظلومين ، وتشريد الشعب ، وحرمانه من العلم ، حرمانه من الصحة ، حرمانه من خيرات بلاده ، حرمانه من الرزق الحلال الذى يشقى من أجله الشعب بعرق الجبين ، ثم ينتزعه الحكام باسم الزكاة وباسم الدين والدين منهم برىء .

إن الشعب قد ضاق بهذه الحياة التى أصبح الموت خيرا منها ، وأصبح قطع الرأس أشرف من أن يستسلم المرء بإرادته للذل والهوان ، والعار والعبودية .

لذلك أعلن الشباب الثورة ، والشباب هم دائما وفى كل الأوقات وفى جميع البلاد الطليعة الثورية التى تتصدى للطغيان ، وتتحدى السيوف ، وتسخر من المشانق .

إن الشباب هم السلاح الحاسم الذى يقضى على المأساة .

ويستأصل جنورها ، ويفرض إرادة الشعب .

أعلن الشباب الثورة من أجل الشعب ، وفى سبيل الشعب .

من أجل الجنود والضباط ، من أجل القبائل والمعممين ، من أجل الموظفين والتجار ، من أجل النساء والرجال ، من أجل الكهول والأطفال ، من أجل الأمة كلها . كى يلحق شعب اليمن بالناس فيصبح من سكان الأرض .

إن هؤلاء الشباب هم الذين يكتبون تاريخ اليمن .

وإنهم ، وإن كان بعضهم داخل السجون ، فإن هؤلاء المساجين لأقوى من سجانهم ، إنهم أقوى من الطاغية الجلاد ، لأنهم سيخرجون من السجون ليبنوا مجد اليمن . أما الطاغية وزبانية الطاغية فسيعلقون على الأشجار كما فعلوا بالأحرار .

إن الأمة لا تنسى شهداءها وإن طال بهم الزمن .

إن الأمة لا تغفل عن الثأر ولا تسكت عن الانتقام . فسيأتى اليوم الذى ينتفض فيه شعب اليمن ، يقضى على الخونة ، ومصاصى الدماء ، الذين نهبوا الشعب وأفقروه ، واستباحوا دمه .

أما الطلبة الذين وصلو إلى عدن بعد هذه المظاهرات ولم يجدوا من أغنياء اليمنيين فى عدن المساعدة المنتظرة فإننى أقول لهم .. أقول لهؤلاء الطلبة .. لستم وحدكم فى المعركة .

إننا معكم والأمة العربية كلها معكم ، تشد أزركم وتقف جواركم وتؤيد كفاحكم .

إننى أقول لهؤلاء الطلبة .. لقد أرسلت لكم المساعدة . أرسلها إليكم اتحاد طلبة الجمهورية العربية المتحدة ، تعبيرا عن تضامنه مع الحركات التحررية التى تستهدف إنقاذ الشعوب العربية من العار والعبودية . وستصلكم هذه المساعدة بوساطة الاتحاد اليمنى فى عدن .

فإلى الأمام يا شباب اليمن .

يا أشبال الحاضر وأسد المستقبل .

يا نجوم اليوم وشموس الغد .

إلى الأمام أيها الجنود والضباط .

لترفعوا راية الشعب .

وتطأوا بنعالكم أعناق الجلادين السفاحين الطغاة .

وإننى لن أكتفى بالكلام من صوت العرب .

وإنما سأكون معكم فى المعركة الفاصلة () .



فى اليوم التالى (١٩ سبتمبر ١٩٦٢) أعلنت إذاعة صنعاء نبأ موت الإمام أحمد فى تعز .

وكان من المتفق عليه أن موت الإمام أثناء تجهيز الثورة يعتبر ساعة صفر أيا كانت حالة التنظيم الثورى ، أى تقوم الثورة حتى ولو لم يكن التنظيم الثورى قد أكمل جميع أحتياجاته ، تفاديا لاحتمال أن تتغير الظروف فى اليمن إذا ما نجح البدر فى تخدير الشعب مرة أخرى ، شأنه فى ذلك شأن جميع الأئمة فى أول عهدهم بالسلطة ، لا سيما وقد عرف البدر مطالب الشعب وأصبح من السهل عليه أن يتشدد بها دون أن ينفذ منها شيئا ، وكذلك قد ينجح الحسن فى انتزاع الإمامة من البدر ويحشد القوى المتعصبة فى اليمن ويزودها بالمال والسلاح ، مع قيامه بتشتيت العناصر المتفقة حديثة التخرج من الكلية الحربية ومدارس الأسلحة .

ولذلك أكدت على الزملاء الثوار بأن موت الإمام يجب أن يعتبر بمثابة ساعة الصفر مهما كانت حالة التنظيم .

وكانت خطة الثورة عند موت الإمام فى غاية السهولة والبساطة وتعتمد على تنفيذ أحد حلين :

الحل الأول : ترافق مجموعة تعز قصر الإمام وتتحين فرصة تدفق الأمراء ورجال الإمام والمسؤولين إلى القصر وعندئذ تقوم فرقة الإقتحام باقتحام القصر والقبض على كل من يكون بداخله ، بينما تقوم بقية فرق مجموعة تعز بأداء المهام المرسومة فى الخطة الأصلية ، وبعد أن تنجز تعز مهمتها تقوم مجموعة صنعاء بأداء دورها المرسوم فى تلك الخطة ، وتتبعها مجموعة الحديدة ، كما سبق شرحه فى مكان سابق فى هذا الكتاب .

الحل الثانى : تنتظر مجموعة صنعاء حتى تصل جثة الإمام إلى صنعاء لدفنها هناك ، وتتحين فرصة تواجد الأمراء ورجال الإمام والمسؤولين عند المقبرة ، وبعد الانتهاء من دفن الجثة أو فى المساء عند تدفق هذه الشخصيات على قصر البدر يتم القبض على هؤلاء جميعا ، وتذيع مجموعة صنعاء البلاغات الثورية المتفق عليها ، وعندئذ تقوم مجموعة تعز بما تبقى من دورها المرسوم فى الخطة ، وكذلك مجموعة الحديدة .

لعل مجموعة تعز التي سبق لها في يوم الثلاثاء ١٨ سبتمبر ١٩٦٢ أن حددت يوم الأحد ٢٣ سبتمبر ١٩٦٢ موعدا لساعة الصفر قد فاجأها موت الإمام يوم الأربعاء ١٩ سبتمبر ٦٢ ثم فاجأها الإسراع بنقل جثته إلى صنعاء يوم الخميس ٢٠ سبتمبر ١٩٦٢ مما جعلها تلتبس الحل الثاني .

في هذه الأثناء كان قد تم تجهيز الطائرة الداكوتا التي كانت تنتظرني في مطار أسوان بخزان إضافي للوقود يمكنها من قطع المسافة بين القاهرة واليمن دون توقف ، كما تم إحضارها إلى مطار القاهرة لتكون في إنتظاري في هذا المطار .

بمجرد أن وصلت جثة الإمام إلى صنعاء على الطائرة بلفيس يوم الخميس ٢٠ سبتمبر ١٩٦٢ شيعها البدر علي رأس موكب كبير من الأمراء وكبار الشخصيات وجميع المسؤولين حتى مئواها الأخير في مسجد الرضوان الذي لم يكن قد اكتمل بناؤه .

وفي مساء ذلك اليوم جمع البدر الأسرة المالكة والوزراء وكبار الشخصيات في قصر البشائر لمبايعته إماما على اليمن ولقب نفسه بالإمام المنصور بالله .

وشكل الإمام البدر وزارة برئاسته على النحو التالي :

السيد عبد الله الكريم وزيرا للدولة وعضوا بالهيئة الشرعية العليا . القاضي محمد عبد الله الشامي وزيرا للدولة ونائبا للإمام في صنعاء . السيد أحمد محمد زبارة رئيسا الهيئة الشرعية العليا . القاضي عبد الرحمن الإيراني نائبا لرئيس الهيئة الشرعية العليا . السيد حسن بن إبراهيم وزيرا للخارجية . السيد حمود الوشلي نائبا للإمام في تعز ورئيسا للديوان الملكي . السيد عبد الرحمن عبد الصمد أبو طالب وزيرا للإقتصاد والتجارة . القاضي عبد الله الحجري وزيرا للمواصلات . القاضي محمد عبد الله عاموه وزيرا للمعارف . الشيخ محمد علي عثمان وزيرا للمالية . الأمير الحسن بن علي وزيرا للأشغال . السيد زيد عقبات وزيرا للزراعة وعضوا بالديوان الملكي . القاضي عبد الله الإيراني عضوا بالديوان الملكي . السيد هاشم المرتضى عضوا بالهيئة الشرعية العليا . السيد يحيى الكبسي عضوا بالديوان الملكي . السيد أحمد محمد الكبسي عضوا بالهيئة الشرعية العليا . القاضي عبد الرحمن السياغي وزيرا للداخلية . السيد حمود عبد الملك وزيرا للدولة ونائبا للإمام في حجة . القاضي عبد الملك العمري وزيرا للقصر . السيد علي بن إبراهيم أميرا للجيش . السيد علي زبارة أمينا لصندوق الإمام في صنعاء . القاضي عبد الله عبد الوهاب الشماخي عضوا بالهيئة الشرعية العليا . السيد يحيى عبد القادر شرف الدين وزيرا للأشغال ونائبا للإمام في الحديدة . القاضي ناصر الظرافي وزيرا للأوقاف . السيد عبد القادر بن عبد الله شرف الدين وزيرا للعدل .

لم تقم مجموعة صنعاء بالثورة تنفيذا للحل الثاني .
وعلى النقيض من ذلك وصلتنى برقية من الزميل الملازم على عبد المغنى برموز السفارة المصرية عن طريق مكتب السادات يقول فيها أن العميد حمود الجانفى قد عاد إلى رفضه الإشتراك فى الثورة ، ونصح بالعدول عنها لعدم ثقته فى إمكانية نجاحها معتقداً أنه من الأفضل أن يتأنى الثوار حتى يضمّنوا النجاح ، علاوة على أنه تلقى برقية تعزية فى وفاة الإمام أحمد من قائد البارجة الأمريكية الذى تعرف عليه عندما كانت هذه البارجة فى زيارة لميناء الحديد ، وأنه يفسر هذه البرقية بأنها تحذير أمريكى من القيام بثورة ضد البدر .

كان ردى على الزميل على عبد المغنى أن يكتموا ماقاله الجانفى حتى لا يؤثر على روح الثوار المعنوية ، وأن يتظاهروا أمامه بأنهم صرفوا النظر نهائياً عن الثورة ، وأن يختاروا أى رئيس لها .

ووقع المكروه الذى كنت أخشاه .

أرسل الإمام البدر برقية إلى الرئيس جمال عبد الناصر يخطب فيها ود القاهرة ، ويفرش بها ورد المستقبل الزاهر الذى يتطلع إليه ، وذهب الأستاذ أحمد محمد نعمان إلى المسؤولين المصريين وأقنعهم بالتخلص من خطة البيضانى الجمهورية ، والإسراع بتأييد البدر كسبا لثقته ، وأبلغهم بأنه قد أرسل فعلاً برقية تأييد للبدر يوم الجمعة ٢١ سبتمبر ١٩٦٢ باسم الأحرار اليمنيين وأن الأحرار محمد على الأكوخ وأحمد عبد الرحمن المعلمى وحسن السحولى قد وقعوا معه على تلك البرقية .

وكان جمال عبد الناصر قد يأس فعلاً من احتمال قيام ثورة جمهورية فى اليمن ، وبدأ يلومنى على توريط مصر بما كنت أنشره فى مجلة روز اليوسف وأذيعه من صوت العرب ، فأمر بمنع من الكتابة ومن الإذاعة ليفتح صفحة جديدة مع الإمام البدر وسمح للأستاذ نعمان بنشر برقيته فى صحيفة الأهرام يعلن فيها تأييد الأحرار للبدر ، وقد نشرت صحيفة الأهرام يوم السبت ٢٢ سبتمبر ١٩٦٢ هذا البيان حيث كتبت :

(عقد إتحاد اليمنيين الأحرار اجتماعاً مساء أمس فى القاهرة لدراسة الأوضاع الأخيرة فى اليمن بعد وفاة الإمام أحمد ، وبعث الإتحاد برقية إلى الإمام الجديد وقّعها أحمد نعمان الأمين العام للإتحاد وعدد من أعضائه وقالوا فيها :

(عزاء جميلاً والعزاء الصادق المخلص لليمن أن يكون فى تحريرها من مخلفات العهود البائدة بتحقيق الآمال والأمانى التى إلتف الشعب من حولكم على أساسها ، ونحن إذ نقدر مشاعركم الحزينة اليوم نذكركم بالمأسى الطويلة التى حفل بها تاريخ اليمن فأدمنت قلب الشعب على مر الزمان حتى تضعوا حداً فاصلاً بين عهد وعهد . وهذه هى الفرصة الغالية التى تواجهون بها امتحان التاريخ . ومن حق الشعب عليكم أن يشارك فى تحمل عبئه الكامل من المسؤوليات ويمارس حقه الطبيعى فى حكم نفسه ، ولقد آن لشعب اليمن الذى عاش الصراع الدامى مئات السنين أن يسترد أنفاسه ليبنى وطنه فيلحق بالركب العالمى المتحضر) .

لم تترك هذه البرقية أى غموض فى موقف الاتحاد اليمنى بالقاهرة وإعلانه أن الشعب اليمنى يلتف حول الإمام الجديد ، كما أعلنت هذه البرقية عن رغبة الأستاذ أحمد محمد نعمان ومن وقوعها معه فى العمل تحت قيادة هذا الإمام الجديد تحت شعار ممارسة الشعب اليمنى (حقه الطبيعى فى حكم نفسه) . ولم يدرك أصحاب هذه البرقية أن نظام الإمامة القائم على التفرقة العنصرية الطائفية لا يترك للشعب أى حق فى أن يحكم نفسه بنفسه ، وهذا ما يثبت عليهم أنهم لم يدرسوا الظروف الموضوعية التى خلقت المأساة التى اعترفوا بها فى برقيتهم فتناقصوا مع أنفسهم عندما أعلنوا بأنفسهم التفاف الشعب اليمنى حول الإمام الجديد ورغبتهم فى العمل تحت قيادته مدعين أن الشعب سوف يمارس ، عن طريقهم ، (حقه الطبيعى فى حكم نفسه) وكان توظيفهم فى خدمة الإمام الجديد سوف يقضى على مأساة اليمن ^(١) .

تأهب جمال عبد الناصر ليفتح صفحة جديدة مع إمام اليمن الجديد بعد أن طوى صفحة الثوار ، الذين أسرفوا على أنفسهم بالأمل دون أن يقوموا بأى عمل ، فكانوا فى نظر عبد الناصر ضحية أنفسهم دون سواها كما أقنعه الأستاذ نعمان . فأرسل الرئيس عبد الناصر برقية إلى الإمام الجديد نشرتها صحيفة الأهرام فى نفس اليوم الذى نشرت فيه برقية الأستاذ نعمان وكان نص برقية الرئيس كما يلى :

(تلقيت برقيتكم التى حملت إلى إعلانكم الرسمى لوفاة المغفور له والدكم ومبايعتكم بعده إماما لليمن . وإننى إذ أبعث إليكم بالعزاء القلبي لفقد والدكم الراحل أتمنى لكم فى هذا الوقت الخطير الذى تبدأون فيه تحمل مسئوليتكم أعظم التوفيق فى خدمة شعبكم العظيم وفى ملاقة أحلامه وأمانيه من أجل مستقبل عزيز يحقق للإنسان كرامته التى شرفه بها الله جل علاه) .

أصابنى شلل فى ذراعى الأيسر وساقى اليسرى وقال الطبيب أنه شلل مؤقت نتج عن صدمة عصبية مفاجئة بينما أعانى من مرض السكر .

كان وصول برقية الرئيس عبد الناصر إلى الإمام الجديد صدمه عنيفة مزقت قلوب الثوار وحطمت آمالهم حيث تصوروا أن تيار الأستاذ نعمان الموالى للبدر قد أفتق عبد الناصر بالتخلي عن البيضانى المنادى بالثورة ، فأخذ الموقف الثورى فى اليمن ينهار ويتسابق الكثيرون إلى إلقاء السلاح والخضوع للإمام الجديد .

وقف القاضى عبد الله عبد الوهاب الشماخى يخطب فى المسجد الكبير ببشر الجماهير ببيعة الإمام البدر الذى تلاه فأعلن أنه « سيسير على سياسة والده الرشيدة » كما أمر حكام المحاكم الشرعية « بعدم تغيير الأحكام الشرعية التى يعتمد القضاء فى إخراجها على الاختيارات الشريفة للإمام أحمد والعمل على نهجها حتى يصدر قرار آخر حول وضع اختيارات أخرى » .

(١) فى مقال نشرته صحيفة الشعب المصرية بتاريخ ٢٤ مايو ١٩٨٣ بتوقيع السيد أمين هويدى وكيل المخابرات المصرية فى تلك الأيام اعترف سيادته بأن الأستاذ أحمد محمد نعمان كتب برقية تأييد الاتحاد اليمنى للبدر فى بيته وبحضوره وأكد فى ذلك المقال أن الأستاذ نعمان والقاضى محمد محمود الزهرى كانا ضد قيام ثورة فى اليمن وأنهما كانا يسعيان إلى إصلاح اليمن من خلال البدر . ومع ذلك استغرب سيادته عدم تعيين الأستاذ نعمان فى وزارة الثورة . وكان من المؤكد فى ذلك الوقت أن عناصر قوية فى المخابرات المصرية تؤيد البدر وتعارض فى قيام ثورة ضد نظام الحكم الإمامى فى اليمن .

أراد الله أن يجعل يوم الجمعة ٢١ سبتمبر ١٩٦٢ يوما متناقضا لأننى ، بينما كنت أعانى من شلل فى ذراعى وساقى بعد أن تخلى جمال عبد الناصر عن ثورة اليمن ومنعنى من الكتابة والإذاعة التى ورثها عنى الأستاذ نعمان بإسم الإمام البدر إذا ببرقية عادية تصلنى على عنوان بيتى تحدد من جديد ساعة الصفر ويتوقيع الزميل العقيد حسن العمرى نصها :

« القاهرة - المصباح - سيكون فتح الاعتماد خلال ثلاثة أيام » . (الوثيقة رقم ١)

فعلق السادات على برقية العمرى قائلا أنه إما أن يكون العمرى قد فقد عقله أو أن يكون الثوار قد أمسكوا بزمام المبادرة .

ذهبت فى نفس اليوم مع أنور السادات إلى الرئيس جمال للسماح لى بمواصلة الإذاعة إستنادا إلى هذه البرقية فرفض جمال عبد الناصر تصديق أى خبر يصلنى عن الثورة اليمنية المزعومة .

وفى يوم الثلاثاء ٢٥ سبتمبر ١٩٦٢ وصلتنى عن الطريق المعتاد ، وهو مكتب أنور السادات ، برقية برموز السفارة المصرية فى صنعاء بتوقيع القاضى عبد الله الحجرى وزير المواصلات فى ذلك الوقت ، يخبرنى فيها بأنه أثناء انعقاد مجلس الوزراء فى اليوم السابق على برقيته (الاثنين ٢٤ سبتمبر) قال البدر لأعضاء المجلس أن معلومات قد وصلت إليه من الشيخ عاطف المصلى تتضمن أسماء وتحركات عدد من الضباط والمدنيين بقصد القيام بثورة وأنه أى البدر قد وافق على اقتراح السيد حسن بن على بن إبراهيم وزير الخارجية بالقبض على الجميع فوراً وإعدامهم فى الحال .

وختم القاضى عبد الله الحجرى برقيته بمناشدتى الإستمرار فى إذاعاتى التى كان آخرها يوم الثلاثاء ١٨ سبتمبر ١٩٦٢ . فأرسلت فى الحال وبنفس الطريق ، وبموافقة أنور السادات ، برقية برموز السفارة المصرية إلى الزميل الملازم عبد على المغنى أخبره فيها بما جاء فى برقية الحجرى وأنصح به بأن يتحرك الثوار فوراً أو يحاولوا إنقاذ حياتهم بالتوجه فى الحال إلى عدن ، وإننى سوف أدبر من هناك وسيلة وصولهم إلى القاهرة ، وأكدت له أن مصر لا تزال عند موقفها من تأييد الثورة إذا قامت .

حاولت مقابلة جمال عبد الناصر كى يسمح لى بالكتابة والإذاعة لكنه اعتذر لأنور السادات لضيق وقته ، وكلفه بإبلاغى بأنه اطلع على برقية الحجرى وبرقيتى إلى على عبد المغنى وأنه يلزم الإكتفاء بذلك .

ذهبت إلى بيت أنور السادات ووضعت مسدسى على مكتبه ، وطلبت منه إما أن تسمح لى مصر بإذاعة بيان أخير من صوت العرب على ألا أقول كلمة واحدة بعد ذلك ، أو أن يطلق بنفسه الرصاص على صدرى ، أو أطلق أنا الرصاص على رأسى فى مكتبه حتى لا يتصور أى فرد من أبناء اليمن إننى قد خنت الثورة أو تخليت عنها ، أو إننى كنت أكذب حين أقنعت الثوار بأن مصر ستقف إلى جانب الثورة الجذرية فور طردهم معى وانكشفت أسماؤهم عند البدر .

وما دامت مصر قد سمحت للأستاذ أحمد محمد نعمان بنشر بيان فى صحيفة الأهرام يعلن فيه تأييد الأحرار للإمام البدر فإننى أنتظر من مصر أن تسمح لى بإذاعة بيان (واحد وأخير) أنادى فيه بالثورة الجمهورية ، حتى يقتنع الثوار بأن مصر لا تزال تؤيد الثورة التى إذا قام بها الثوار فإن مصر سوف ترسل إليهم المساعدات المتفق عليها .

كان السادات مقتنعا بوجهة نظرى ومشفقا على حالتي فعاد إلى الرئيس جمال عبد الناصر يحاول إقناعه بما طلبت ، وأخيرا و بعد إلحاح استمر طول ذلك اليوم (الثلاثاء ٢٥ سبتمبر ١٩٦٢) وافق الرئيس جمال عبد الناصر على أن أذيع بيانا واحدا وأخيرا على أن يطلع أنور السادات على كل فقرة من فقراته قبل إذاعته .

وفى الحال كتبت البيان ووافق عليه أنور السادات وذهبت إلى إذاعة صوت العرب وسجلت البيان بصوتى كالمعتاد ، ولما استمعت إليه قبل إذاعته طلبت تسجيله مرة أخرى لأن مشاعرى وحواسى كانت قد وصلت إلى ذروة الالتهاب عندما استمعت إليه ، فطلبت أن أعيد تسجيله بكل المشاعر الملتهبة حيث كنت أدرك الخطر الذى يتعرض له الثوار بعد أن افترض أمرهم ، كما كنت أعلم أن هذا البيان هو آخر حديث لى عن الثورة من صوت العرب الذى ورثه عنى الأستاذ نعمان ليسهب فى مديح الإمام البدر تحت سمع وبصر جمال عبد الناصر .

أثناء إعادة تسجيل هذا البيان أضفت إليه ارتجالا عدة فقرات كان من بينها « الخطبة الخطبة ، والجمعة الجمعة ، والإمام الإمام » وهذا ما يفهمه اليمنيون ولا يدركه المصريون . وكررت هذا القول أكثر من مرة .
إشارة إلى المثل اليمنى الشعبى الذى يقول (الخطبة الخطبة والجمعة الجمعة وعاصى والديه عاصى والديه) الذى بدأ عن قصة يمنية تروى أن أحد ائمة المساجد كان قد تعود على إلقاء مقدمة خطبة الجمعة ارتجالا ثم يخرج من عمامته ورقة الخطبة التى يريد إلقاءها .

وذات يوم ، عندما انتهى من إلقاء المقدمة الارتجالية ، وضع يديه بين لفائف عمامته فلم يجد الخطبة ، وتبين أن ابنه قد أخذها من العمامة ، فقال لجمهور المصلين أن (الخطبة الخطبة) أى أن الخطب التى تعود على إلقائها كل جمعة لا تختلف فى معانيها ، و (الجمعة الجمعة) أى أن بعض المصلين يصلون الجمعة كل جمعة ولا يتعظون من الخطبة ، و (عاصى والديه عاصى والديه) أى أن الابن العاصى سيطر عاصيا مهما نصحه الدين بالإحسان إليهما .

فذهب المثل الشعبي يقول (الخطبة الخطبة والجمعة الجمعة وعاصي والدیه عاصي والدیه) حين يراد التأكيد على أن الأمر لم يتغير وإنه لا فائدة ولا جدوى من الموضوع المطروح الذى لن يأتى بجديد .

وفيما يلى نص آخر حديث لى من صوت العرب وكان فى مساء يوم الثلاثاء ٢٥ سبتمبر ١٩٦٢ :

(إخوانى أبناء الشعب اليمنى الخالد .

بلغكم ما بلغ .

مات إمام وظهر إمام .

مات أحمد وظهر محمد .

ثم لقب نفسه بأمير المؤمنين المنصور بالله ، كما جرت ألقاب الأئمة منذ ألف ومائة عام ، عمر المأساة البشعة فى البلاد .

ولقد أعلن الإمام الجديد أنه سيواصل السير على السياسة الرشيدة التى سار عليها والده الذى مات ، وسياسة والده الرشيدة معروفة لكم جميعا يا أبناء الشعب اليمنى الخالد ، لست فى حاجة لإيضاحها .

فالجمعة الجمعة والخطبة الخطبة والإمام الإمام ..

إخوانى أبناء الشعب

إن القوى الشعبية المتحررة وهى الطليعة الثورية فى البلاد لا يعنىها أن يموت إمام ويأتى إمام . لا يعنىها أن يموت الإمام الناصر لدين الله ويظهر الإمام المنصور بالله بن الإمام الناصر لدين الله . فإننا جميعا نعرف كيف كان الإمام الناصر لدين الله ينصر دين الله . لا يعنى الطليعة الثورية فى اليمن أن يكون الإمام الجديد زيدا أو عمروا ، فكما قلت لكم الجمعة الجمعة والخطبة الخطبة والإمام الإمام . وإنما يعنى الطليعة الثورية أن تتحقق أهداف الشعب .

هذه الأهداف التى أجمعت عليها الأمة ، واستشهد من أجلها مئات الشهداء ، وعلقت رؤوسهم فوق الأشجار ، وتركت لحومهم للكلاب والطيور الجارحة .

من أجل هذه الأهداف .. الأهداف الشعبية التى آمن بها الشعب ، الأهداف التى طافت من أجلها المظاهرات الأخيرة فى جميع أنحاء اليمن معلنة فجرا جديدا فى البلاد ، معلنة فجرا لا يستسلم فيه الشعب للعواطف الانفعالية ، أو المشاعر العابرة ، أو المجاملات التى دفع الشعب ثمنها من دماء شهدائه ، ومن أرزاق المستضعفين الذين هم كل شعب اليمن .

أيها الأحرار ..

إن المظاهرات الجارفة التي طافت في أنحاء اليمن كانت تعلن فجرا جديدا لمستقبل وضاح يستमित فيه الشعب من أجل إعلاء كلمته ، وفرض إرادته وتحقيق أهدافه .

وأهداف الشعب هي كما تعلمون :

(وذكرت أهداف الشعب التي سبق أن نشرتها في روز اليوسف يوم ٢٣ أبريل ١٩٦٢ ثم أذعتها من صوت العرب وكتبها في هذا الكتاب في (صفحة ٢٣١) كان أهمهما ما يلي :

(العودة إلى شريعة الإسلام الحقبة .

إزالة التفرقة العنصرية والمذهبية .

إقامة الجمهورية اليمنية .

تحقيق العدالة الاجتماعية .

إقامة جيش وطني قوى .

تحقيق أهداف القومية /العربية .

إلغاء جميع المظالم التي يشكو منها الشعب .

إطلاق سراح الرهائن من أولاد شيوخ ورؤساء القبائل .

إلغاء الخطاط والتنافيز والسخرة وضرائب الخمس والخيرية :

رفع مستوى معيشة الشعب) .

وبعد أن نبهت الشعب إلى تفاصيل هذه الأهداف ختمت حديثي قائلا :

(إخواني أبناء الشعب اليمني الخالد ..

إن أهداف الشعب كل لا يتجزأ .

والنهضة لا تخضع لأمزجة الحكام وإنما تفرض بإرادة الشعوب .

أيها الأحرار ..

حتى الآن ..

أذناب الماضي لا يزالون هم أنفسهم أذناب الحاضر .

حتى الآن ..

الوجوه التى خدمت الإمام الذى مات ما زالت هى الوجوه التى تخدم الإمام الذى ظهر .

حتى الآن ..

الامتيازات الهاشمية ما زالت هى الامتيازات الهاشمية .

حتى الآن ..

الجاهلية التى حكمت اليمن فى عهد الناصر لدين الله ما زالت هى الجاهلية التى تحكم اليمن الآن فى عهد المنصور بالله .

والآن ..

إن الشعب لا يقبل المساومة .

ولن يستقر الظلم برشوة المأجورين المنتهزين .

إن دماء الشهداء لن تضيع سدى . ولن تذهب مع الريح .

إن دماء الشيخ حميد بن حسين الأحمر ودماء الشيخ حسين الأحمر ، ودماء الشيخ عبد اللطيف راجح ، ودماء العلفى ، دماء اللقية ، دماء سعيد فارح ، إن هذه الدماء تذكر الأمة بأهدافها من أجل بناء مستقبلها ، وتذكر الأمة بأحرارها الذين أبتشهدوا من أجل فرض إرادتها .

أيها الأحرار ..

إن هذا الجيل ليس كالأجيال السابقة .

إنه جيل صلب لا يلين .

متشبه بحقوقه لا ينتنى عنها .

مستमित من أجل أهدافه لا يساوم عليها .

أيها الأحرار ..

إن أصوات الأطفال التى خرجت فى المظاهرات الأخيرة تعلن ثورتها على الظلم ، تعلن ثورتها على التخلف ، تعلن ثورتها على الإمامة ، وأصوات الشباب التى عبرت عن مشاعر الأمة وإصرارها واستماتتها ، إن صمود القبائل اليمنية فى وجه السفاحين ومصاصى الدماء ، القبائل التى هى قوة الشعب ، القبائل التى هى سلاح الشعب ، القبائل التى هى ذخيرة الشعب ، إن إرادة هؤلاء جميعا لا يمكن أن يخدعها زيف ، أو يسكتها تضليل ، أو يثنيها قول معسول ، أو يقعدا وعد مزيف لا يلبث أن يتضح تضليله وخداعه .

أيها الأحرار ..

إن الأمة لن تخدعها شعوذة أو دجل .

فما زال الماضي هو الحاضر .

مازال الظلم هو الظلم .

والجمعة الجمعة والخطبة الخطبة والإمام الإمام .

أيها الأحرار ..

إن إرادة الشعب ستنتصر .

وسيحطم الشعب جميع القيود والأغلال .

وسيفرض نفسه على الوجود .

ليبنى مستقبل اليمن .

أيها الأحرار ..

إن هذا الجيل سوف يخلد صفحة ذهبية تذكرها الأجيال القادمة من بعدنا .

أيها الأحرار ..

إن إرادة الشعب ستنتصر .

إن أهداف الشعب ستتحقق .

يحققها شعب اليمن الخالد .

الشعب الذى يسخر من المشانق .

الشعب الذى يهزأ بالسيوف .

ولا ينخدع بزيف أو تضليل أو تخدير .

أيها الأحرار ..

إن شعب اليمن سيكتب بدمائه صفحات التاريخ .

ويغسل العار بدماء السفاحين مصاصى الدماء .

الذين يعيشون عالة على أرزاق الأمة .

وينهشون لحوم الشعب .

شعب اليمن .. الذى حان مواعده مع القدر ..



بعد أن أذعت ذلك الحديث من صوت العرب مساء يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٦٢ ذهبت إلى السادات أشكر له سعيه لدى الرئيس جمال عبد الناصر حتى سمح لى بإذاعته .

كان السادات مرهف الحس ؛ عارفا بعواصف النفس .
لاحظ صمتى ، فأدرك حيرتى وضعف حيلتى ، وخشيتى من هوانى على الناس .

أيقظنى السادات من غفوتى .

وذكرنى بأننى أديت واجبى .

وبذلت رأسى على كفى .

وطلبت طائرة ولا أدرى .

فلربما كانت نعشى وكفى .

قلت للسادات .. هل لا تزال الطائرة جاهزة إذا ما قامت الثورة ؟ .

قال نعم .

قلت : وهل لا تزال مصر مستعدة لنقل الثوار من عدن إذا لم تقم الثورة ؟

قال نعم ..

قلت : إذن يختار الله ما يشاء .

أخذنى السادات والسيدة زوجته وزوجتى وقضينا مساء ذلك اليوم فى سيارته .
 نجوب هضبة الأهرام .
 ونذرع طرقات جبل المقطم .
 نتوقع الحدث الكبير .
 صامتين شاردين .
 وكأن على رؤوسنا الطير .

وبعد بضع ساعات وصلتنى برقية ، برموز السفارة المصرية ، من الزميل الملازم
 على عبد المغنى يبشرنى فيها بقيام الثورة ويأسف لعدم النجاح فى القبض على البدر الذى
 هرب من صنعاء عندما ضربت قوات الثورة قصره بقذائف الدبابات فجهزت ردى عليه
 وقلت « إعلنوا موت البدر تحت أنقاض القصر ، ولا يضيرنا إن هو ظهر بعد ذلك عندما
 تستقر الثورة » .

إستحسن السادات هذا الرد فتم إرساله فى الحال .

كانت هذه البشرى كقميص يوسف حين ألقاه البشير على وجه يعقوب فارتد بصيرا .
 ويخلق ما لا تعلمون .

- تلقى مصطفى أمين برقية خطيرة من مجلس قيادة ثورة اليمن .
- البرقية هي أول خبر رسمي من صنعاء عن كيفية قيام الثورة .
- ومصرع الملك . قال الثوار في برقيتهم ((تحرك الجيش اليمني من ثكناته العسكرية في منتصف ليلة الأربعاء ، كان يقوده ضباط مدرسة الاسلحة اليمنية . • هاجموا القصر .
- دمرت المدفعية ودبابات الجيش قصور الملك .
- دفن الملك البدر تحت الانقاض .



الامام البدر

اعلنت الجمهورية ... لقيت الثورة مساندة من الشعب بكل طبقاته . اطلقت الجمهورية الجديدة على نفسها اسم « الجمهورية العربية اليمنية » . أصبحت الثورة تسيطر سيطرة تامة على كل مدينة وقرية . وهذا هو نص برقية مجلس القيادة للجيش اليمني الى مصطفى أمين .

صنعاء - ١٩٥ - ٢٧

رئيس تحرير جريدة اخبار اليوم السيد مصطفى أمين القاهرة . لما كانت الامة تحتار مرحلة قاسية من الظلم والتأخر والتخلف والاستبداد في عهد الملكية الفاسدة كان لا بد من التخلص من الظلم الربر والفساد المتفعل والرشوة والاستغلال وكان على الطليعة الثورية في الجيش اليمني ان تخلص البلاد من كل المظالم التي تعانيها لان عليها الواجب الاول والاخير .

وفي الساعة السادسة من مساء يوم الأربعاء بالتوقيت المحلي الثانية عشرة منتصف الليل بتوقت القاهرة تحرك الجيش اليمني من ثكناته العسكرية وكان يقوده ضباط مدرسة الاسلحة اليمنية ليفي على بقايا الملكية المنهارة وقد دمرت مدفعية ودبابات الجيش قصور الملكية ودفنت تحت انقاضها آخر ملك فاسد وبهذا انتهت الثورة حكم الائمة والاسياد لتبدأ حكم الجمهورية والمساواة والعدالة ولقد لقيت الثورة مساندة شعبية واسعة من كل طبقات الشعب في كل انحاء الجمهورية العربية اليمنية واصبحت الثورة الآن تسيطر على الموقف سيطرة تامة في كل مدينة وقرية .

ولقد بدأت القيادة في التخطيط للثورة منذ لمست عدم صدق واخلاص الحكومة الملكية في تنفيذ البرامج الإصلاحية التي كانت دائما وابدا تعد بها الشعب وتغالطه في آن واحد . نتمنى لليمن حاضرا وغدا زاهرا كي تلحق بركب الحضار والانسانية ودمتم .

القيادة العامة
للجيش اليمني بصنعاء

الدكتور حاتم يعلن
الجمهورية العربية
تعارض
اي تدخل خارجي
في شئون اليمن

صرح الدكتور محمد عبد القادر حاتم وزير الدولة بان الجمهورية العربية المتحدة تتابع الاخبار الواردة من قيام ثورة الجيش اليمني وقال الدكتور حاتم ان الجمهورية العربية المتحدة تعارض اي تدخل خارجي في شئون اليمن .

راديو صنعاء يذيع موسيقى عسكرية

كان راديو صنعاء يذيع طوال فترة الصباح امس موسيقى عسكرية من موسيقى الجمهورية العربية المتحدة . وكان يتخللها اذاعة بيانات الثوار . (عدن : ا.ب)

وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْتَارِ
وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنْصَرُونَ

قرآن كريم

بركان ألف ومائة عام

الفصل الثامن



فى صباح يوم الأربعاء ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ أعلنت إذاعة صنعاء قيام الثورة ثم أذاعت بيانها الأول الذى جاء نصه كما يلى :

« باسم الله وباسم الشعب اليمنى الحر المستقل وباسم الجمهورية العربية اليمنية ، تعلن قيادة الثورة أهدافها وسياستها فى المجال الداخلى والمجال القومى والمجال الدولى وأهداف الثورة :

القضاء على النظام الفردى المطلق والقضاء على النفوذ الأجنبى .
إنهاء الحكم الملكى وإقامة حكم جمهورى ديمقراطى إسلامى أساسه العدالة الإجتماعية فى دولة موحدة تمثل إرادة الشعب وتحقق مطالبه الأساسية العامة للجمهورية العربية اليمنية .

فى المجال الداخلى :

١ - إحياء الشريعة الإسلامية الصحيحة بعد أن أماتها الحكام الطغاة الفاسدون وإزالة البغضاء والأحقاد والتفرقة السلالية والمذهبية .

٢ - تنظيم جماهير الشعب فى تنظيم شعبى موحد يشارك فى عملية البناء الثورى ويمكنها من مراقبة أجهزة الدولة مراقبة تامة يمنعها من الانحراف عن أهداف الثورة .

٣ - رعاية وتنظيم الجيش على أساس حديث يصبح قوة لحماية الشعب وحماية الثورة .

٤ - إحداث ثورة ثقافية وتعليمية تقضى على مخلفات العهود البائدة التى عمقت الجهل والتأخر الفكرى .

٥ - تحقيق العدالة الإجتماعية عن طريق نظام إجتماعى يتلائم مع واقع شعبنا ومع روح الشريعة الإسلامية والتقاليد الوطنية الصالحة .

٦ - تشجيع الرأسمال الوطنى على ألا يتحول إلى إحتكارات واستغلال أو يحول دون سيطرة الدولة وتوجيهها لقدرات البلاد الاقتصادية .

٧ - تشجيع عودة المهاجرين إلى الداخل والاستفادة من خبراتهم وأموالهم .

فى المجال القومى العربى :

- ١ - الإيمان بالقومية العربية والعمل على تحقيق الوحدة العربية الشاملة فى دولة عربية واحدة على أساس شعبى ديمقراطى .
- ٢ - التضامن الكامل مع جميع الدول العربية فيما تتطلبه المصلحة القومية .
- ٣ - العمل على تدعيم الجامعة العربية وزيادة فاعليتها لمصالح الأمة العربية .
- ٤ - إنشاء علاقات إقتصادية مع جميع الدول العربية بلا إستثناء .
- ٥ - إيجاد روابط وثق مع الدول العربية المتحررة لتحقيق الوحدة العربية .

فى المجال الدولى :

- ١ - إلزام سياسة عدم الانحياز .
- ٢ - مقاومة الاستعمار والتدخل الأجنبى بجميع أشكاله .
- ٣ - التقيد بميثاق هيئة الأمم المتحدة وتأييد موقفها من أجل السلام .
- ٤ - إقامة علاقات ودية مع جميع الدول التى تحترم إستقلالنا وحريتنا .
- ٥ - قبول الإعانات والقروض الخارجية غير المشروطة والتى لا تمس استقلال البلاد .

مجلس قيادة الثورة

٢٧ سبتمبر ١٩٦٢

كما أعلنت إذاعة صنعاء تشكيل مجلس قيادة الثورة برئاسة العميد عبد الله السلال وعضوية العميد حمود الجائفى ، النقيب عبد الله ضيف الله ، النقيب محمد قائد سيف ، النقيب محمد المأخذى ، الملازم محمد مفرح ، الملازم على عبد المغنى ، المقدم عبد الله جزيان .

وأعلنت تشكيل مجلس سيادة برئاسة محمد على عثمان وعضوية على محمد الأحمدي ، محمد مهيب ثابت ، محمد أحمد المطاع ، محمد بن محمد المنصور .

وأعلنت تشكيل مجلس الوزراء (الوثيقة رقم ٢٢)^(١) برئاسة العميد عبد الله السلال رئيساً وقائداً عاماً للقوات المسلحة والدكتور عبد الرحمن البيضاني نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للإقتصاد والثروة المعدنية وعضوية محسن أحمد العيني وزيراً للخارجية ، القاضي محمد محمود الزبيرى وزيراً للمعارف ، النقيب عبد اللطيف ضيف الله وزيراً للداخلية ، العميد حمود الجائفى وزيراً للحربية ، عبد الغنى مطهر وزيراً للتجارة ، يحيى منصور بن نصر وزيراً للزراعة ، على محمد سعيد وزيراً للصحة ، الدكتور عبد الغنى على أحمد وزيراً للخزانة ، القاضي عبد الرحمن الأريانى وزيراً للعدل ، الملازم أول محمد الأهنومى وزيراً لشئون البلديات ، أحمد حسين المرونى وزيراً للإرشاد القومى ، المهندس عبد الله حسين الكرشمى وزيراً للأشغال ، القاضي عبد السلام محمد صبره

(١) صفحة ٥ من « سجل وثائق » بتشكيل الوزارات فى الجمهورية العربية اليمنية على مدى عشرين عاماً . أصدره المكتب القانونى لرئاسة الجمهورية سنة ١٩٨٣ .

وزيرا للأوقاف والشئون الاجتماعية ، محمد سعد القباطى وزيرا للدولة لشئون المهاجرين ، الشيخ أمين عبد الواسع نعمان وزيرا للدولة لشئون التاريخ والآثار ، العقيد حسن بن حسين العمري وزيرا للمواصلات ، الطيار عبد الرحيم عبد اللهوزيرا للطيران ، على محمد الأحمدى وزيرا للإعلام . (صدر بمجلس القيادة بتاريخ ٢٧ سبتمبر ١٩٦٢ أى فى اليوم الأول لقيام الثورة)

عندما سمعت البلاغ المتعلق بأهداف الثورة ارتاح فؤادى لأنه تضمن جوهر العناصر الأساسية ومعظم الكلمات والعبارات التى كانت ضمن الأوراق التى قمت بإعدادها بحضور الثوار اليمنيين حين أجمعنا فى القاهرة وأخذها معه الزميل عبد الغنى مطهر والتى سبق أن نشرتها فى روز اليوسف بتاريخ ٢٣ إبريل ١٩٦٢ وكررت إذاعتها من صوت العرب عدة مرات كان آخرها قبيل قيام الثورة ببضع ساعات لا تزيد ، وكانت هى الأهداف التى قامت من أجلها الثورة .

غير أننى لا حظت أن يدا خفية قد استبدلت بعض الكلمات بكلمات أخرى وإنها وأن كانت قد حافظت على نفس المعاني إلا أنها أساءت إلى تركيبها للغوى . كما أضافت هدفا جديدا هو القضاء على النفوذ الأجنبى الذى لم يكن موجودا فى اليمن بأية صورة من الصور ، اللهم إلا إذا كانت هذه اليد الخفية قد وضعت هذا الهدف ضمن أهداف الثورة على أمل أن تلتقط القيادة المصرية هذه الإشارة فتمتنع عن تقديم المساعدات السياسية والاقتصادية والعسكرية للثورة اليمنية ، حتى لا تفسر هذه المساعدات فيما بعد بأنها نفوذ أجنبى فى اليمن .

وإذا صح هذا الاستنتاج المنطقى لكان معناه أن هذه اليد الخفية قد تطلعت إلى تجريد الثورة الجمهورية من المساعدات المصرية حتى تسقط فى يدي أعدائها دون مشقة . ولذلك وضعت حجر الأساس لثورتها المضادة منذ قيام الثورة الجمهورية .

ومما ضاعف خطورة هذه اليد الخفية أنها انطلقت من صنعاء ونطقت باسم الثورة ذاتها ولم يلتفت الثوار إلى خطورتها .

كذلك لم يعجبني ما نصت عليه هذه اليد الخفية من إنشاء روابط أكثر مع الدول العربية المتحررة ، لأن النص على ذلك يعتبر بمثابة إعلان للحرب من جانب الثورة الوليدة على غير هذه الدول ، بينما لم يكن فى وسع الثورة أن تثق فى قدرتها على الدفاع عن نفسها ، وكانت قوة الثوار تعتمد بصفة أساسية على أنهم أعدوا أنفسهم للمجازفة بأرواحهم من أجل اليمن ، فكان لزاما عليهم أن يضيقوا ساحة المعركة .

كما ساءنى عدم إعلان الإجراءات التى تعالج نفسية الشعب اليمنى وتضمد جراحه المستعصية ، مثل إطلاق الرهائن من أولاد شيوخ ورؤساء القبائل وغيرهم ، وإلغاء الخطايط والتنافيذ ، وإعتبار الزكاة أمانة ، وإلغاء جميع البقايا من الضرائب ، وإلغاء السخرة ، وضرائب الصحة والخمس والخيرية ، وحواجز المرور ، ورفع مستوى معيشة الشعب وتحسين رتب الجيش والشرطة والموظفين .

على نقیض خطة الثورة التي أرسلتها للثوار وتضمنت الاكتفاء بالتحفظ على الشخصیات التي یحتمل أن تقوم بأعمال مضادة للثورة ، ولمدة محددة حتى یستقر النظام الجمهوری ، فوجئت بأخبار من صنعاء أزعجتني حين بلغني أن بعض الضباط الذين فقدوا أعصابهم بعد الثورة تسرعوا بإعدام نحو عشرين رجلاً من كبار الشخصیات اليمنية ، بدون مبرر ولا محاكمة ، وكان من بينهم من یستطع أن یؤدي خدمات جليلة للجمهوریة بعد قیامها .

كذلك ثارت دهشتي من تأخير إذاعة أسماء مجلس قيادة الثورة حوالی یوما كاملاً بعد إعلان الثورة ، ثم كانت الطامة الكبرى حين لم أسمع شيئاً عن تشكيل مجلس الدفاع الأعلى الذي كان من بین التصميم الذي وضعته للثورة كي يضم العلماء ورؤساء وشيوخ القبائل على النحو الذي سبق شرحه ، حتى لا يشعر هؤلاء بأنهم غرباء عن الثورة مما یؤدي إلى وقوفهم ضدها ، مستنكرين أن یحكم اليمن مجلس عسكري یمتاز بالشجاعة الوطنية ، بغير خبره سیاسیه ، ولا وجاهة إجتماعیة فی مجتمع قبلي متعصب .

ذلك فضلاً عن عدم إذاعة أسماء بقية أعضاء مجلس قيادة الثورة والاكتفاء بإذاعة أسماء الذين اختارهم هذه اليد الخفية وتعيين الباقين فی مجلس رئاسة الجمهوریة ومجلس الوزراء ، وفات على هذه اليد الخفية أن عضویة مجلس قيادة الثورة فی اليمن تضحية .. أیة تضحية .. وعقلاء الثوار یعرفون أنهم ، فی ظروف اليمن ، لن یستطيعوا الاحتفاظ برووسهم فی صنعاء أكثر من بضعة أيام أو تزيد قليلاً ، ما لم تحدث معجزة من السماء لا تخطر على قلب أحد .

كما فات على هذه اليد الخفية أن الثورة لا تستقر عند ضرب قصر البدر بالقبائل وإنما تبدأ منذ ذلك التاريخ . يبدأ الصراع من أجل بقاء الثورة . الصراع من أجل تحقيق أهدافها الإصلاحیة . الصراع من أجل تثبيت مكانتها الدولیة . كل ذلك یحتاج إلى تكامل جهود قوية عازمة وقادرة على أن تقوم بذلك كله ، فی شتى المجالات ومختلف الساحات .

فقد كان كل الرجال الذين اشتركوا فی الثورة ، سواء أعلنت أسماؤهم أو تأجل إعلانها ، هم أصحاب مواهب متعددة ومتكاملة ، فإلى جانب الذين لهم دراية بالشئون العسكرية نجد الذين لهم سلطان أكثر بین العلماء ، والذين لهم وجاهة أكبر بین القبائل ، والذين لهم نفوذ أعظم بین التجار والذين لهم قدرة أفضل على استيعاب الإطار العام للثورة واقتراح الاستراتيجیة والتخطيط القريب والبعید .

یحتاج المجتمع اليمني إلى كل هؤلاء حتى یقتنع فیطمئن ويهدأ ویجاوب مع الثورة حين یطلع بثقة ویقین نحو المستقبل الأفضل ، لأنه مجتمع مسلح لا تخيفه طلقة مدفع على قصر البشائر ، ولا ترهبه قذیفة دبابة على رأس البدر ، كما لا یستسلم من مجرد إعدام العشرين من أقطابه السابقين .

كان من المتفق علیه أن تودع نسخة من أوراق الثورة لدى الزميل القاضي عبد السلام صبره لإذاعتها إذا تمكنت مجموعة صنعاء من محطة الإذاعة ، بينما تظل النسخة الأخرى لدى الزميل عبد الغنی مطهر لإذاعتها من محطة اللاسلكی فی تعز والتي

وصلناها بإحدى محطات الإذاعة في مصر لإذاعة البلاغات الثورية إذا فشلت مجموعة صنعاء في السيطرة على محطة إذاعة صنعاء بصفة سليمة صالحة للتشغيل .

قيل أن الزميل القاضي عبد السلام صبره سلم هذه الأوراق بعد قيام الثورة إلى الأستاذ محمد عبد الله الفسيل لإذاعتها فأجرى هذه التعديلات أثناء إذاعتها لأغراض حزبية ووطنية .

في مساء يوم الخميس ٢٧ سبتمبر ١٩٦٢ ذهبت مع أنور السادات لزيارة الرئيس عبد الناصر في منشية البكري حيث كان المشير عبد الحكيم عامر في إنتظارنا . شرحت للرئيس جمال استنتاجاتي بعد سماع بلاغات الثورة وقلت أن أهم ما جاء فيها هو قيام الثورة وإسقاط النظام الإمامي وإعلان الجمهورية العربية اليمنية .

وكما سبق القول ، كانت الطائرة الداكوتا تنتظرني في مطار القاهرة وعليها محطة لاسلكية تصلح للإذاعة والاتصال بالقاهرة وكمية من الأسلحة والذخيرة ، ولم يكن الرئيس قد اختار الضابط المصري الذي سيراقتني للقيام بجدد الأسلحة والذخيرة في المخازن اليمنية بعد قيام الثورة حتى أتعرف على احتياجات الجيش اليمني ، الذي يلزم العمل على إنشائه وتدريبه وتسليحه بالنظم والأسلحة الحديثة .

قال المشير عبد الحكيم عامر أنه اختار لهذه المهمة مدير مكتبه العميد على عبد الخبير فرحبت بهذا الاختيار ، ووجهت كلامي للمشير قائلا أنه إلى جانب العميد على عبد الخبير أرجو أن يسافر معي الرائد صلاح المحرزى الذى كان على علاقة وثيقة مع جميع الضباط الذين قاموا بالثورة ، حيث قد تولى تعليمهم وتدريبهم وتنمية الروح المعنوية فيهم سواء من كان منهم في الكلية الحربية أو في مدارس الأسلحة ، وإن وجوده في اليمن في مثل هذه الظروف سيمكنه من توحيد صفوفهم وجمع شملهم وإزالة ما سوف ينشأ بينهم من حساسيات بعد قيام الثورة ، وهو أمر لا بد من حدوثه على المستوى البشرى الإنسانى ، كما يحدث عادة في كل ثورة .

استحسن المشير عامر هذا الرأي ووعده بتنفيذه بعد سفرى إلى اليمن . وطلبت من الرئيس جمال أن يرسل معى مجموعة ضباط شفرة من مكتبه الخاص حتى يتم اتصالي به مباشرة والتعرف على أرائه ونصائحه بصفة مستمرة ، فأتفادى سوء نقل المعلومات إليه كما حدث بينه وبين الرئيس العراقى عبد الكريم قاسم بعد قيام الثورة العراقية ، وقلت له ضاحكا أن السادات قال لى أنه بعد قيام الثورة سيكون اتصالي مباشرة مع « المعلم » فلما سألته عن ذلك المعلم قال « أنه معلم واحد ، هو الرئيس جمال عبد الناصر » .

استغرق الرئيس جمال ضاحكا ووعدنى بتكليف النقيب محمد عبد السلام محجوب وثلاثة من أعوانه بالسفر معى ، وقال أن سفرى عندئذ سوف يتأخر لليوم التالى حتى يتأهب النقيب عبد السلام وزملاؤه للسفر فلم أمانع فى ذلك إستكمالا للإحتياجات الضرورية التى رأيت أنها تلزم للثورة . (النقيب محمد عبد السلام محجوب هو الآن اللواء محمد عبد السلام محجوب وكيل المخابرات العامة المصرية) .

قال الرئيس جمال أن وصول المساعدات العسكرية الرمزية إلى اليمن وهى مجموعة سرية عبارة مائة ضابط وجندى سوف يستغرق نحو عشرة أيام وربما أسبوعين ، وسألنى كم يوما نستطيع أن نصمد فيها فى صنعاء إلى حين وصول هذه المساعدات ؟ . قلت أربعة أيام ، وأغلب الظن أن رؤوسنا بعدها سوف تعلق على أشجار صنعاء أو على بوابات سورها القديم .

اعتدل الرئيس جمال فى جلسته وقال : لماذا إذن قمتم بالثورة ؟ وفيما تلهفك على السفر إلى صنعاء واصطحبك على عبد الخبير وعبد السلام محبوب وغيرهما لذبحهما فى اليمن ؟

قلت : « وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت »

لا بد يا سيادة الرئيس من بركان ..

بركان لا يحتاج صانعوه اليمنيون إلى حساب دقيق للنجاح والفشل .
بركان يكفيه أن يأتى بطبيعة يمنية جديدة ، وجغرافيا يمنية جديدة تهدم جبال الخرافات وتدفن أسباب التخلف .

ولا بأس إذا احتاجت اليمن إلى براكين أخرى جديدة ، تحت قيادات ثورية أخرى جديدة ، تبدأ من حيث أنهينا ، وانتهى البركان الأول لتصل بعد ذلك إلى النجاح الأخير .

هذه فلسفتنا وتدخل فى حساباتنا عوامل إيجابية كثيرة ، من بينها إستعدادنا للمجازفة إلى حد الموت ، وإصرار الشعب اليمنى على التغيير الجذرى ، والتزام القيادة المصرية بنجدة الشعوب المتطلعة إلى النهضة والحرية والوحدة العربية .

وتساءلت : هل كان الرئيس جمال يضمن نجاح ثورة ٢٣ يولية ؟ وهل كان متأكدا من النجاة برأسه إذا ما فشلت ؟

ربما كان عنصر المجازفة فى ثورة ٢٣ يوليو فى مصر أقل كثيرا من عنصر المجازفة فى ثورة ٢٦ سبتمبر فى اليمن ، نظرا لانضباط الجيش المصرى وسائر الأجهزة الحكومية الموجودة فى مصر ، لكن الأرض فى اليمن أرض جبلية ليست كالأرض المصرية ، ولذلك يمكننا أن نحارب من جبل إلى جبل ومن شعب إلى شعب ، وربك يخلق ما يشاء ويختار .

إقتنع الرئيس جمال عبد الناصر بالمجازفة معى بالعميد على عبد الخبير والنقيب عبد السلام محبوب وزملائه واتفقنا على السفر فى منتصف ليلة اليوم التالى إلى صنعاء حتى تصل الطائرة إليها مع أول ضوء للفجر .

أبلغت الزميل الطيار عبد الرحيم عبد الله بهذا الموعد وكذلك القاضى محمد محمود الزبيرى الذى عينته الثورة وزيرا للمعارف . وقد طلب الأستاذ أحمد محمد نعمان أن يسافر معنا فاعتذرت له لأن إسمه لم يرد فى التشكيل الوزارى ولا فى أى تشكيل آخر ووعده ببحث موضوعه مع الزملاء فى صنعاء عند وصولى إليها .



جاء أنور السادات إلى بيتى مساء الجمعة ٢٨ سبتمبر ١٩٦٢ ليصحبني إلى الرئيس جمال عبد الناصر وكانت معه السيدة زوجته لتوديعي ، وفي غرفة الاستقبال توجت زوجتي أمام السادات وزوجته وبقية المودعين قصة كفاحها معنى فقالت (لقد قامت الثورة التي خططت لها وجاهدت من أجلها ، والأعمار بيد الله ، وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ، وكل رجائي إذا ما دقت ساعتك أن تموت شجاعاً لأنك تموت من أجل قضية عادلة وهبت نفسك لها ، وسوف يكون استقبالك للشهادة إذا ما قدرها الله لك في ساحة الجهاد في اليمن وأنت شجاع أثمن تركه وأعظم شرف تتركه لى ولأولادك ومن تجاوب معك من أبناء اليمن) .

نطقت زوجتي بهذه الكلمات ووجها كالصخر لا يلين ، وعيونها جامدة لم تبتل وملاحها صارمة تعنى ما تقول ، ونبراتنا صارخة لأنها تحكى مأساة اليمن .

أخذني السادات بسيارته إلى بيت الرئيس جمال عبد الناصر وأثناء الطريق كرر السادات إعرابه عن عظيم دهشته وبلغ إشادته بزوجة تختار مثل هذه الكلمات التي نطقت بها في شجاعة ، وضغطت عليها في إصرار ، وهي تودع زوجها ووالد أبنائها حين يذهب بإرادته راضياً مختاراً إلى ساحة قتال ، كان الموت فيها أكثر احتمالاً من الحياة . وصلنا إلى الرئيس جمال عبد الناصر وتحدثنا كثيراً عن الاستراتيجية السياسية والعسكرية لثورة اليمن ، وتم الاتفاق على أمور جوهرية كثيرة ، من بينها موافقة الرئيس على أن تتجنب حكومة الثورة اليمنية الاقتراب من النزاع المصري السعودي وأن أقوم بإبلاغ ذلك إلى الزميل العميد عبد الله السلال وزملائي أعضاء مجلس قيادة الثورة ، كما أبلغني الرئيس جمال عبد الناصر أن الرائد صلاح المحرزي سوف يلحق بى إلى صنعاء مع أول سرية مصرية .

توجهت مع السادات إلى مطار القاهرة حيث كان فى إنتظارى الرجل الوطنى المحيط بالتاريخ العربى ، والذى كنت أنهل من معينه الخصب كلما كنت أتحدث معه عندما كان رجاله يملأون حقائبى بالأسلحة والذخيرة ، إنه اللواء صلاح الحديدى مدير المخابرات الحربية وعدد من الضباط المصريين ، وقد شرح اللواء الحديدى هذا المشهد الخطير فى مجلة روز اليوسف فى ٢٦ مايو ١٩٨٠ صفحة ٣٢ تحت عنوان (رحلة فى منتصف الليل) فقال

(بدأت الاستعدادات لنقل الدكتور البيضاني ورفاقه إلى صنعاء يوم ٦٢/٩/٢٨ على طائرة ركاب عسكرية تحمل معها فريقاً صغيراً من الضباط المصريين ومعهم أجهزة إتصال بالقاهرة .

كان المنظر مثيراً في مطار ألماته الحربي وقد خلا ليلاً إلا من أقل عدد من الفنيين الضروريين لإدارته . وحوالي عشرة رجال بين مسافر ومودع يرتدون مختلف أنواع الملابس وبألوان صارخة متباينة . يحمل المسافر منهم رشاشه وذخيرته . وحاجياته الشخصية ولم ينس البعض منهم خنجره وعباءته . ويتشبث كل منهم بصندوق يحوى بضع قنابل يدوية . أصر معظمهم أن يحملوها لتكون في متناول أيديهم عند نزولهم من الطائرة في صنعاء وكأنها طوق النجاة من تصارييف الزمن المجهولة وكان عجباً منهم هذا الحب لصندوق القنابل اليدوية ، والإصرار على أن يكون في حوزتهم . ذلك الإصرار المبني على توقع القتال بمجرد لمس أرجلهم لأرض وطنهم . الأمر الذي أشفقت معه على مجموعة ضباطنا المرافقين لهم بالإضافة إلى الطائرة نفسها وطاقم قيادتها وكم سعدنا عندما تلقينا أول برقية بوصولهم إلى صنعاء وصولاً طبيعياً) . (الوثيقة رقم ٢٣)

صعدت إلى الطائرة وتبعني الزميل الطيار عبد الرحيم عبد الله والقاضي محمد محمود الزبريري والعميد على عبد الخبير والنقيب محمد عبد السلام محجوب وزملاؤه .

كانت وجوه المودعين من الضباط والفنيين المصريين ، الذين كانوا في وداعنا بحكم عملهم وعلى رأسهم مدير المخابرات الحربية ، وجوها قلقة حائرة وهي تودعنا إلى المصير المجهول ، ولم يكن مبعث ذلك القلق ما ينتظرنا في صنعاء إذا ما فشلت الثورة قبل وصولنا فحسب ، وإنما كان أيضاً احتمالات ضرب الطائرة فوق البحر الأحمر بواسطة إحدى السفن الحربية المعادية لثورة اليمن ، لا سيما أن هذه الطائرة تطير على ارتفاع متوسط وبسرعة بطيئة بحكم نوعها وحمولتها وفي موعد غير مثبت في جداول خطوط الطيران العادية .

كان يقود هذه الطائرة الطيار المصري أحمد نوح (وزير الطيران المصري فيما بعد) وعندما اقتربنا من ساحل اليمن أبلغني أحمد نوح أنه تلقى إشارة من الحامية البريطانية العسكرية في جزيرة كمران المواجهة للساحل اليمني تسأله عن جنسية الطائرة ووجهتها فقلت له : لا ترد عليها .

عاد أحمد نوح وأبلغني أنه تلقى تحذيراً ثانياً بضرب الطائرة إذا لم تفصح عن جنسيتها ووجهتها .

فسألته : هل عندنا طريق أخر نسلكه إلى صنعاء ؟

قال لا ..

قلت .. إذن أمض فى سبيلك ولا ترد عليها ..

قال : سوف يضربونها إذا لم نرد عليهم ..

قلت : سوف يضربونها إذا قلنا لهم أنها مصرية أو يمنية متجهة إلى صنعاء ولا أقبل تاريخيا أن تهبط الطائرة عندهم بناء على أوامره حتى ولو سمحوا لها بالإقلاع إلى صنعاء بعد ذلك .

قال : وما العمل ..

قلت : أمض فى طريقك إلى صنعاء ودعهم يضربونها ..

جاء الزميل عبد الرحيم عبد الله والقاضى الزبيرى إلى غرفة القيادة يسألانى عن سبب غيابى هناك بعد أن دعانى قائد الطائرة أحمد نوح فأخفيت عنهما ما دار بيننا إحتفاظا برابطة جأشيهما .

أراد الله أن نصل إلى صنعاء حيث كان فى انتظارنا الزميل على عبد المغنى والأستاذ محمد عبد الواحد القائم بأعمال السفارة المصرية وجمع حاشد من رجال وشباب الثورة .



استقبال المؤلف في مطار صنعاء



توجهنا إلى القصر الجمهورى حيث كان الزميل على عبد المغنى قد أعد لى غرفة تتسع لنومى إلى جوار العميد عبد الله السلال ، الذى كان فى ذلك الوقت يقوم بتجهيز حملة عسكرية على إحدى المناطق المتمردة ، كما جهز الزميل على عبد المغنى غرفتين فى دار الضيافة للزميل عبد الرحيم عبد الله والقاضى محمد محمود الزبيرى .

إنفرد بى الزميل على عبد المغنى وحكى قصة تكتل الضباط ضد المقدم عبد الله جزيلان الذى حاول بكل الطرق أن يفرض نفسه على الثورة إستنادا إلى رتبته العسكرية كمقدم وإلى وظيفته كمدير للكلية الحربية ، فنصحته بالحفاظ على روح العمل الجماعى وسلامة الثورة لتفادى كل أسباب الإنهيار .

شرح الزميل على عبد المغنى حالة الثوار المعنوية عندما أذاعت صنعاء مساء الجمعة ٢١ سبتمبر ١٩٦٢ برقية الرئيس عبد الناصر المؤيدة للبدر ، فقال أنهم فهموا منها أن مصر قد صرفت النظر عن تأييد الثورة ، وأن الأستاذ نعمان وسائر الأحرار القدامى فى الداخل والخارج سوف يستأنفون تخدير الشعب محتفظين بنفس ركائز النظام الإمامى العنصرية والطائفية تحت قيادة البدر ، وبمساعدة مصر التى أدارت ظهرها للثورة ، الأمر الذى أدى إلى إنهيار عزيمة الثوار فأخذ بعضهم يلحقون جراحهم القاتلة ويكظمون غيظهم المميت ، بينما انصرف أكثرهم يبحثون عن مستقبل مجهول يزعمه البدر الإمام الجديد .

ثم قال أنه عندما استلم برقيتى الرمزية بواسطة السفارة المصرية بعد ذلك بثلاثة أيام أى صباح يوم الثلاثاء ٢٥ سبتمبر ١٩٦٢ أخبره فيها بأن البدر قد عرف أسماء وتحركات الثوار وأنصحهم بالمجازفة إما بقيام الثورة أو التوجه مع زملائه إلى عدن حتى أدبر لهم كيفية وصولهم إلى القاهرة ، فسر هذه البرقية بأن مصر لا تزال عند وعدها بتأييد الثورة فأسرع إلى زملائه الثوار يطلعهم عليها فاختلّفوا حولها ما بين مصدق ومكذب ، غير أنهم عندما سمعوا صوتى من إذاعة صوت العرب فى مساء نفس ذلك اليوم أنادى بالثورة ويكاد صوتى يجيش بالبكاء مستخدما أقصى درجات الإلحاح ، وأعلى نبرات الحماس ، مؤكدا أنني واثق كل الثقة فى نجاح الثورة ، متأكدا كل التأكد من أن مصر التى سمحت لى بهذا النداء الثورى من إذاعة صوت العرب لا بد أنها لا تزال ملتزمة بدعم الثورة والدفاع عنها ، الأمر الذى أوقع الثوار بثبات الموقف المصرى فأعاد الحماس إلى نفوسهم ، وثبت اليقين فى صدورهم ، وبعث القوة فى سواعدهم ، فأسرعوا إلى مدرعاتهم ودباباتهم وانطلقوا يضربون قصر البدر وهم يهتفون بالثورة الجذرية الجمهورية .

أكد الزميل على عبد المغني أن هذا التحرك الثوري لم يستغرق أكثر من ساعتين إثنين من بعد سماع ندائى الأخير بالثورة من صوت العرب فأخذوا يلومون ضعاف العزائم الذين عرقلوا قيامها بعد دفن جثمان الإمام أحمد حسب الحل الثانى من خطة الثورة الذى كان من الممكن أن يمنع إراقة الدماء . وقال أنه وزملاءه الضباط الثوار كانوا فى حاجة إلى نقل ذخائر الدبابات إلى مواقعها عن طريق أسطح ثكنات الكلية الحربية فاضطروا إلى إبلاغ المقدم عبد الله جزيلان مدير الكلية الحربية بعزمهم على القيام بالثورة بعد أن بدأوا يتأهبون للقيام بها فعلا لأنهم كانوا يخفون عنه جميع تحركاتهم (وقد سجل هذه الحقيقة بعض الضباط الثوار فى كتابهم - أسرار ووفاة الثورة اليمنية فى صفحتى ١٦٦ و ١٨٩ وشرحوا الأسباب التى جعلتهم يقررون عدم إشعار المقدم عبد الله جزيلان بأسرار الثورة إلا فى اليوم الذى يتم فيه تفجيرها) ، وكانو يستخدمونه فقط فى حمل رسائلهم إلى العميد حمود الجافى دون إطلاعه على أية تفاصيل .

أضاف الزميل على عبد المغنى قائلا أنه بعد أن فشل الحل الثانى من خطة الثورة اضطرت مجموعة صنعاء إلى اختيار حل سريع تتجلى فيه روح الفدائية أكثر من دقة التخطيط .

أشاد الزميل الملازم على عبد المغنى بصفة خاصة بالزملاء النقيب عبد اللطيف ضيف الله والنقيب حسين السكرى والملازمين صالح الرحبي وأحمد الرحومى وعبد الله محسن المؤيد وصالح الأشول وناجى على الأشول وعبد الله عبد السلام صبره ويحيى جحاف ومحمد مطهر زيد وأحمد مطهر زيد وعبد قائد .

وقال أن ذلك الحل السريع إقتضى تكليف النقيب حسين السكرى والملازم صالح الرحبي بقتل الإمام البدر عند خروجه من مقر إجتماع مجلس الوزراء غير أن النقيب السكرى تطوع بأن ينفرد بهذه المهمة ، وكان قد تم نقل ذخائر الدبابات إلى مواقعها ، وتأهب الثوار للهجوم على قصر البدر وإحتلال محطة الإذاعة والقبض على الخطرين من ركانز النظام الإمامى بمجرد سماع طلقات رصاص النقيب حسين السكرى فى مقر إجتماع مجلس الوزراء .

غير أن إجتماع مجلس الوزراء إنتهى وعاد الإمام البدر سالما إلى قصره بعد أن تعثرت مهمة النقيب حسين السكرى حيث تعثر خروج الرصاص من مدفعه الرشاش .

قام الملازم عبد الله عبد السلام صبره بإبلاغ الثوار بهذه المفاجأة فقرروا تحريك الدبابات والمدركات إلى قصر البشائر (قصر البدر) وكانت ست دبابات ، الأولى بقيادة الملازم عبد الله عبد السلام صبره ، والثانية بقيادة الملازم محمد الشراعى ، والثالثة بقيادة الملازم عبد الله محسن المؤيد ، والرابعة بقيادة الملازم يحيى جحاف ، والخامسة بقيادة الملازم محمد مطهر زيد ، والسادسة بقيادة الملازم عبد قائد ، ثم أرسلوا دبابة سابعة بقيادة الملازم عبد الكريم المنصور إلى جانب عدد من السيارات المدرعة بقيادة الملازم أحمد الرحومى .

استطرد الزميل قائلا أنه بعد أن قاموا بالثورة أخذوا يبحثون لها عن رئيس عسكري يتولى قيادتها بعد أن انسحب منها العميد حمود الجافى الذى توترت أعصابه قبل قيام الثورة وذهب بعد وفاة الإمام أحمد إلى مدينة الحديدة ، فاتجهت الأنظار من حيث الرتبة العسكرية إلى العميد عبد الله السلال قائد حرس البدر الذى سبق أن أبدى إستعداده للإشتراك فيها بعد أن يقوم بها الثوار ويضمنوا تأييد مصر ، فكلفوا القاضى عبد السلام صبره بالاتصال تليفونيا بالسلال الذى كان لا يزال فى بيته بعد أن إنتهى الثوار من ضرب قصر البدر وإحتلال الإذاعة والقبض على جميع كبار ركائز النظام الإمامى وأوشكت ذخيرتهم أن تنفذ من أسلحتهم ، فاشترط السلال أن يذهب أولا إلى قصر البدر (يستطلع الأحوال) ثم يقابل الضباط الثوار .

وعندما لم يصل السلال حسب وعده إلى مقر قيادة الثورة أعاد القاضى عبد السلام صبره الاتصال به تليفونيا للمرة الثانية فى بيته فأجاب السلال بأن (طلقاء الدبابات مع ظلام الليل اضطرتته إلى العودة إلى بيته) .

بعد ذلك أعاد القاضى عبد السلام صبره الاتصال تليفونيا بالسلال للمرة الثالثة فى بيته مستنكرا موقفه السلبي المتخاذل وسأله عن (موقفه النهائى) فأجاب السلال بأنه (سيبقى منتظرا فى البيت إلى أن يأتى الوقت المناسب) .

ولما نفذ صبر الثوار وأوشكت ذخيرتهم هى الأخرى أن تنفذ من بين أيديهم أرسلوا إلى السلال إحدى المدرعات بقيادة الملازم أحمد الرحومى ومجموعة من الضباط فجاءوا بالسلال إلى مقر القيادة حيث طالبوه بأن يصدر أمرا بفتح قصر السلاح (مخازن السلاح) باسم البدر بصفته قائدا لحرسه .

ساوم السلال على توقيع هذا الأمر باسم البدر ، ووافق الثوار على تنصيبه رئيسا لمجلس قيادة الثورة .

حمدت الله على نجاح مجموعة صنعاء ولا أنسى أننى عندما كنت فى القاهرة أخطط للثورة وأقوم بإرسال الأسلحة والذخائر إلى الزملاء رجال الثورة فى تعز وصنعاء لم يغب عن ذهنى مطلقا أنه كان من المتعذر جدا أن تبدأ مجموعة تعز بالقيام بالثورة ، لكننى كنت أتعلق بأية بارقة أمل ، ولم يكن أمامى غير ذلك من عمل ، فالإمام أحمد يقيم فى تعز ، وأعلم علم اليقين أن المواطن المقيم فى اليمن لن يتحمس لتأييد ثورة شعب لا يزال الإمام أحمد يتولى أمره ويفتك برجاله .

كان من المتعذر أن تبدأ مجموعة تعز بالثورة حيث كانت تتكون من تجار ورجال قبائل وعدد من الضباط والجنود والقاضى عبد الرحمن الأريانى الذى يثير الخوف والقلق فى نفوس الثوار بالرغم من تطلعه إلى إسقاط النظام الإمامى ، لأنه وهو يتقدم خطوة نحو النهوض بالشعب اليمنى يتراجع خطوتين حين يتذكر تجاربه فى سجون الإمام وخروجه ذات يوم لقطع رأسه فى ساحة الإعدام .

تجار تعز ، كغيرهم من التجار ، يخافون غدر المجهول . وقبائل تعز ، كغيرها من قبائل اليمن ، تخشى بطش الإمام . أما شباب تعز الأحرار فقد كانت أسلحتهم الخفيفة وقنابلهم اليدوية لا تكفى لاقتحام قصر الإمام وإخراجه إلى الشعب حيا أو ميتا .

وكانت هذه الضربة الأولى متوقفة على تحرك الضباط الأحرار من أعضاء مجموعة تعز .

وكان التجار ورجال القبائل والشباب الثائر ينتظرون هذه الضربة الأولى حتى يبدأ دورهم بإحتلال المراكز الحكومية والقبض على ركائز النظام الإمامي .

وكان الضباط الأحرار من أعضاء مجموعة تعز ينتظرون التأكد من تجاوب مجموعتي صنعاء والحديدة عند قيامهم بالثورة في تعز .

انتظروا ، وانتظروا ، وطال بهم الانتظار فمات الإمام أحمد في تعز ونقل جثمانه إلى صنعاء ، وانتقل الدور الرئيسي في الثورة مع جثمان الإمام إلى مجموعة صنعاء ، ففقدت مجموعة تعز الصفحة الذهبية الأولى من صفحات التاريخ اليمنى ، تلك الصفحة الأولى التي سجلها الزميل على عبد المغنى وزملاؤه الأبطال في صنعاء . ولا ينال ذلك من الدور التاريخي الذي قام به الزميل عبد الغنى مطهر في تعز ، فهو أحد التجار الأحرار ، وهب كثيرا من ماله للثورة وعرض حياته للخطر حين قام بحفظ ونقل الأسلحة والذخائر للثوار . ولا يطلب منه التاريخ أن يكون داعية لفكر ولا حاملا لسلاح .

وقد كرمته الثورة بتعيينه أول وزير للتجارة ، وأذكر إنني واجهت لوما عنيفا من بعض المتقفين اليمنيين بسبب تعيينه في هذا المنصب وتعيين الزملاء التجار الأحرار على محمد سعيد وزيرا للصحة ومحمد ميهوب ثابت وزيرا لشئون المغتربين وعبد القوى حاميم وزيرا للشئون البلدية والقروية . قلت أنهم طالما قد اشتركوا في شرف التمهيد للثورة وغرس جذورها فلهم الحق في الاشتراك في شرف الدفاع عنها حتى يبدأ الشعب في قطف ثمارها .

خيرتهم بين الوزارة والتجارة ، فاخاروا الوزارة وتركوا التجارة ، وكان في ذهني أن أعين لهم مستشارين فنيين إلى أن يظهر في اليمن جيل من الخبراء اليمنيين يقولون المسؤولية الوزارية ويحملون مشاعل الحضارة الحديثة .



بادرنى الزميل الناصر على عبد المغنى بقوله أنه استغرب عدم إذاعة البلاغات الثورية كما سبق أن إتفقنا عليها والتي سلمها إلى العقيد حسن العمرى لإذاعتها ، وقال أنهم استغلوا فرصة تفرغه لتحريك قوات الثورة وحرقوها . ولما سألته عن أسماء الذين حرقوها اتضح لى أنه هو نفسه لا يعرف عنهم شيئا ، لكنه قال (يا أخ عبد الرحمن أنت الأب الروحي للثورة ، ولولا صوتك من صوت العرب ما تحرك أحد ، ولولا اتفاقك مع مصر على مساعدة الثورة ما قامت الثورة ، لقد كان من السهل علينا أن نضرب قصر البدر ونعلن الثورة لكنه سوف يكون فى غاية الصعوبة أن نحميها بعد أن قمنا بها ، وأنت قد جئت إلى صنعاء ووضعت رأسك معنا على المقصلة أو جبل المشنقة فأرجو أن تقوم بكل ما تراه ضروريا لإنقاذ الثورة والعمل على نجاحها . وسوف تجد منى ومن جميع الزملاء وعلى رأسنا العميد عبد الله السلال كل تعاون فهو رجل طيب ساعدنا على فتح مخازن السلاح ، ولا بد أن يرحب باستكمال تشكيل الثورة وعلى وجه الخصوص استكمال قائمة أعضاء مجلس القيادة بالأسماء التى حذفها المذيع أو ذلك المجهول الذى سلمها إلى المذيع بعد أن فعل بها ما فعل) .

قلت للزميل على عبد المغنى أن من أهم الأمور التى يلزم علاجها فى أسرع وقت إعلان تشكيل المجلس الأعلى للدفاع حرصا على تعاطف علماء اليمن ورؤساء وشيوخ القبائل مع الثورة قبل أن تبدر من بعضهم مواقف معادية يصعب بعدها إقناعهم إلا بإعلان الحرب عليهم ، الأمر الذى ينبغى أن نعمل ما فى وسعنا كى نتفاداه أو نقلل من خطورته .

أيد الزميل على عبد المغنى وجهة نظرى وكاد ينفجر غيظا من عدم إذاعة تشكيل هذا المجلس حتى تلك الساعة ، وقال إننى عندما التقي بالعميد عبد الله السلال سوف أجد منه ترحيبا عظيما بإعلان تشكيل هذا المجلس .

كانت فكرة تشكيل هذا المجلس تعتبر الأولى من نوعها فى تاريخ الثورات فى اليمن حيث لم يسبق لأية ثورة أن فكرت فى مثلها ، فكانت الثورات فى واد ورؤساء وشيوخ القبائل فى وادى آخر مما سهل على الأئمة إستقطابهم وإستمالتهم لضرب تلك الثورات إذا جازلنا أن نسميها ثورات لأنها كانت فى حقيقتها مجرد إنقلابات فيما بين الأئمة المتصارعين على العرش .

لم أجد أدنى مشقة فى الحديث مع الزميل الناصر الشاب على عبد المغنى ، بل كان يسبقنى إلى استخلاص النتائج من المقدمات .

وهكذا حديث العقول إذا تجردت من الأنانية والعصبية ، وانطلقت تبحث عن الحقائق الوطنية المحددة والمصالح العامة المؤكدة .

بعد خروج الزميل الثائر على عبد المغنى دخل إلى غرفتي الزميل المهندس الزراعى على محمد عبده (زوج شقيقة زوجة عبد الله جزيلان) يحمل رسالة من تعز من الزميل الشيخ عبد القوى حاميم باسم جميع المجموعة الثورية فى تعز ، يحتجون فيها على عدم إذاعة أسمائهم ضمن قائمة أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وأنهم يفسرون ذلك بأنه إنشقاق بين الثوار حيث لم تمثل فى مجلس القيادة سوى مجموعة صنعاء التى تصادف أن كانت كلها من أبناء المنطقة الشمالية باستثناء الزميل محمد قائد سيف ، مما يهدد الوحدة الوطنية بالخطر منذ بداية الثورة . وتساءلت المجموعة الثورية فى تعز إذا كانت هى التى بدأت بالثورة هل كان من المقبول منها أن تنفرد بمجلس القيادة وتسقط من حسابها مجموعة صنعاء ، كما كانت تدعو إليه أفكار الأحرار الشماليين أنفسهم التى كتبوها بخط أيديهم ودعوا فيها إلى إقامة دولة فى اليمن الأسفل (الشافعى) متحررة من الخرافات المسيطرة على اليمن الأعلى (الزيدى) ثم بعد ذلك تقوم هذه الدولة بالعمل على تحريره ؟

واصل الزميل الشيخ عبد القوى حاميم تساؤله قائلا :

هل كانت جريمة المجموعة الثورية فى تعز أن آمنت بالوحدة الوطنية ونجحت فى الاحتفاظ بولاء اليمن الأسفل كله للنظام الجمهورى من أقصى مشرقه إلى أقصى مغربه ؟

قرأت تلك الرسالة مبتسما فاستنكر الزميل المهندس على محمد عبده ابتسامتى وهو يعلم ما كان فيها ، فهدأت من روعه ورويت له ما قاله الزميل على عبد المغنى وما أتوقعه من العميد عبد الله السلال عندما ألتقى به ، وقلت له أن الوحدة الوطنية فى خير وأن ما حصل لم يكن بإرادة الزملاء أعضاء المجموعة الثورية فى صنعاء التى يمثلها الزميل على عبد المغنى ، وأصبح يتولى قيادتها وقيادة الثورة الزميل العميد عبد الله السلال . وأضفت قائلا أن الذى حذف بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة لم ينظر إلى كونهم من شوافع اليمن الأسفل أو من زيود اليمن الأعلى بل دليل أنه كما حذف جميع الشوافع من ثوار اليمن الأسفل حذف أيضا بعض الزيود من الأعمدة الرئيسية لثوار اليمن الأعلى كالعقيد حسن العمرى والقاضى عبد السلام صبره والملازم سعد الأشول والقاضى عبد الرحمن الاريانى .

ثم زارنى الأستاذ محمد عبد الله الفسيل وهو المذيع الذى تولى إذاعة بلاغات الثورة وقال (إننا نقبل المساعدات المصرية لكننا لا نقبل التدخل المصرى فى الشؤون اليمنية ، وإلا فإننا نستطيع أن نعتمد على أنفسنا) قلت (إننا جميعا نريد أن نعتمد على أنفسنا ، وهناك فرق بين أن نريد وبين أن نستطيع ، ولكن لماذا نفترض من الآن أن مصر سوف تتدخل فى شؤون اليمن الداخلية ؟) .

قال : (إننا نعرف موقفها فى سوريا أيام الوحدة) .

قلت : (هل تتكلم باسم مجلس قيادة الثورة ؟) .

قال : (لا) .

قلت : (إذن لماذا تبدأ بأننا عندما تعبر عن رأيك الشخصى ؟) .

قال : (إن جميع اليمنيين أعضاء فى مجلس قيادة الثورة ومهمتهم أن يحافظوا على استقلال بلادهم) .

قلت : (هذا أعظم خبر سمعته حتى الآن بعد قيام الثورة وأرجو أن يتحقق لأنه لن يجعلنا نحتاج إلى مساعدة أحد للدفاع عن الثورة ما دام جميع اليمنيين أعضاء فى مجلس قيادتها) .

بدأت أفهم من هذا الحديث السبب فى إضافة (القضاء على النفوذ الأجنبى فى اليمن) إلى أهداف الثورة ، الأمر الذى جعلنى أشم رائحة الثورة المضادة ولم يصل إلى اليمن من المصريين فى ذلك الوقت سوى العميد على عبد الخبير والنقيب عبد السلام محجوب وثلاثة آخرين ، بينما هرب البدر حيا ، وأعلنت المملكة العربية السعودية تأييدها للأسرة المالكة فى اليمن وعزمها على مساعدة الحسن إعتقادا منها أن البدر قد مات ، كما رفضت أمريكا وبريطانيا الاعتراف بالنظام الجمهورى وتواردت الأنباء عن حشود قبلية كثيفة تتأهب للإنقضاض على صنعاء وقطع رؤوسنا وتسليمها للحسن .

ومع ذلك بدأ الأستاذ محمد عبد الله الفسيل يثير حفيظة اليمنيين ضد المصريين غير مدرك للخطر الذى أحاط بأعناق الثوار الجمهوريين .

عجبت من حديث الأستاذ الفسيل معى فتذكرت جوابه على الأستاذ محمد أحمد نعمان السابق نقله فى هذا الكتاب حين قال (لا بد للأحرار من شخصية ترضى عقول الزبود أى أن تكون من السادة ولا بد أن تكون من أحد ثلاثة بيوت ، إما بيت حميد الدين « أى البدر » وأما بيت الوزير وإما بيت شرف الدين) .

وعندما تذكرت رأيه هذا زال عجبى من حديثه معى عن التدخل المصرى كما تأكدت من أنه أحد أصابع اليد الخفية التى أجرت التعديلات فى بلاغات الثورة أثناء إذاعتها فزكمت أنفى رائحة الثورة المضادة التى تسترت فى ثياب الثورة والجمهورية .

إعترف المذيع الأستاذ محمد عبد الله الفسيل ، فيما بعد ، بأنه هو الذى قام بتشكيل مجلس الوزراء . وجاء إعترافه فى مجلة الحوادث اللبنانية فى ٩ فبراير ١٩٧٣ (الوثيقة رقم ٢٤) عندما أصبح سفيراً لليمن فى ألمانيا الشرقية فقال فى صفحة ٢٦ مايلى :

(وفجأة ارتفع صوت (محمد الفسيل) سفير اليمن فى ألمانيا الشرقية حالياً ، يعلن :هنا صنعاء .. هنا إذاعة الجمهورية اليمنية ..

وكانت القاهرة فى انتظار على أحر من الجمر .

قبل حوالى ٨ شهور من هذا التاريخ ، جاء الضابط اليمنى (على عبد المغنى) إلى السفارة المصرية حيث كان يشغل (محمد عبد الواحد) القنصل حالياً فى بيروت (منصب القائم بالأعمال الذى اشتهر بأنه صديق

شخصى للأمير البدر ولى العهد وقتها .. واجتمع الضابط اليمنى بالقائم بالأعمال المصرى وطلب إبلاغ رسالة شخصية للرئيس عبد الناصر ، على شرط واحد ، هو عدم إبلاغها لليمنيين خارج أو داخل اليمن ..

كانت الرسالة تتحدث عن تشكيل للضباط الأحرار فى اليمن ، وتسأل عن موقف مصر فى حالة قيام التشكيل بالثورة .

ووصلت الرسالة إلى الرئيس عبد الناصر ، الذى كلف (أنور السادات) بمتابعة القضية اليمنية ..

وبعد أيام تلقى الضابط اليمنى (على عبد المغنى) رد رسالته من عبد الرحمن البيضانى .. ألمع اليمنيين - وقتها - خارج اليمن .. وأبعدهم عن الإنتماءات السياسية السابقة بحساسيتها وانقساماتها ..

كانت رسالة البيضانى تقول : (وصلت رسالتكم وقد أجمعت بالرئيس عبد الناصر الذى كلفنى أن أبلغكم أن مصر ستقف بكل إمكانياتها الأدبية والمادية معكم) .

ثم جاءت رسالة أخرى من البيضانى تطلب من الضباط عدم الاتصال بأى مدنى يمنى .. (

ويروى (محمد الفسيل) سفير اليمن فى ألمانيا الشرقية : (كنا فى منزل عبد السلام صبره ... وكنا نعرف أن كل ذخيرة الجيش هى ٢٢ طلقة وبدأنا العد حتى وصلنا إلى الرقم ١٨ ... وأدركنا أن (الثورة) فى خطر . فمكت واتصلت تليفونيا (بعبد الله جزيان) وسألت (هل أحتلتم قصر السلاح ؟) . فرد غاضبا : (من أنت ؟) قلت : (أنا يمنى بأقولك أنتم معكم ٢٢ طلقة ... ضربتم ١٨ منها ... فاحتلوا قصر السلاح وإلا ضعنم ...)

واستطرد محمد عبد الله الفسيل فى تلك المجلة قائلا :
(وبدأت عملية تشكيل حكومة ...

قبل الثورة بثلاثة شهور أرسل البيضانى من القاهرة قائمة بالحكومة المنتظرة ... البيضانى رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية وحمود الجانفى للدفاع (باعتباره الزعيم) والأريانى للعدل ونعمان للتربية .. وبالطبع أعترض على بقية الأسماء لأنها لم تكن معروفة فى اليمن ، ولكن أحدا لم يهتم باعتبار أن ذلك سابق لأوانه ... فلما قامت الثورة اتصل الفسيل فى اليوم التالى بالسلال ، وقال له : لا بد من حكومة وإلا لن يعترف أحد بنا فقال السلال (إجتمع أنت وصبره وأحمد المرونى وحسن العمرى وشكلوا حكومة ..)

(واجتمعنا فعلا ... وإذا بالعمرى - الذى كان فى وزارة المواصلات وأشرف على الاتصالات اللاسلكية مع المخابرات المصرية للإعداد للثورة - يخرج من جيبه وزارة مشكلة فعلا ... وهى القائمة التى كان البيضانى قد

أرسلها من القاهرة ... أعترضنا ... فأصر وقال هذا إتفاق عقدناه في القاهرة ... ولا يمكن نقضه ثم غادر الإجتماع غاضبا ... إتفقنا كلنا على أن البيضاني لن يكون رئيسا للوزراء ولا وزيرا للخارجية ... عيناه وزيرا للإقتصاد ... ووضعنا الزبيرى بدلا من النعمان ... لأن النعمان كان قد أبرق للبدر مهنتا ... أدخلنا محسن العيني وزيرا للخارجية ومحمد سعد قباطي وزيرا للمغتربين والإيراني رئيسا للوزراء ... والسلال قائدا عاما ووزيرا للحربية ... وشكلنا مجلس سيادة من ٣ مدنيين محمد على عثمان وعلى أحمد الأحمدي ومحمد بن محمد المنصور ... أخذنا التشكيل للسلال الذي ما إن قرأ اسم الإيراني على رأس التشكيل رئيسا للوزراء ، حتى أحتج ، وقال : أنتم ورطونى فى الثورة ... إعملونى رئيس وزراء على الأقل ... واستجبنا لطلبه وعملائه رئيس وزراء والإيراني وزيرا للعدل ... فوق التشكيل دون أن يقرأه !

حصلنا على التشكيل الساعة التاسعة صباحا ... وأعدناه للإذاعة فى موعد نشرة الأخبار ... الساعة ١٢ جاء (على المطرى) إلى الإذاعة يحمل تشكيلا جديدا لحكومة أخرى موقعا من السلال أيضا ... واتصل الفسيل بالسلال يسأله تفسيراً فقال له (إعتد التشكيل الأول ... الثانى هدره ! ، أى هزار ...)

رواية الأستاذ الفسيل التى سجلها فى مجلة الحوادث تمثل ما حدث فعلا ، وتثبت أن الثورة قد قامت دون أن يسبقها إتفاق يخالف التشكيلات والبلاغات الثورية التى سبق الإتفاق عليها قبل قيامها . فلما قامت الثورة وانصرف الضباط إلى الدفاع عنها لم يكن معظمهم يعرف عن هذه التشكيلات والبلاغات شيئا كثيرا ، حيث كانت محفوظة لدى عبد الغنى مطهر فى تعز وعبد السلام صبره وعلى عبد المغنى فى صنعاء ، الذى سلمها إلى حسن العمرى لإذاعتها ولما قدمها إلى المذيع عبد الله الفسيل حرقها وقام باختيار أول مجلس وزراء للجمهورية اليمنية على النحو الذى أراضى أهدافه الحزبية ، لولا أن تنبه إلى ذلك فجر اليمن ومحرك الثورة الملازم على عبد المغنى .

ولا أدري كيف رضى السلال أن يتوسل إلى المذيع الفسيل حتى يعينه رئيسا لمجلس الوزراء بدلا من البيضاني ثم بدلا من الإيراني . ويتضرع إليه قائلا له (إنتم ورطونى فى الثورة أعملونى رئيس وزراء على الأقل) ثم يقول الفسيل (إستجبنا لطلبه وعملائه رئيس وزراء) .

كما لا أدري أية سلطة ثورية تلك التى مكنت المذيع الفسيل حتى قال (وضعنا الزبيرى بدلا من النعمان . وأدخلنا محسن العيني وزيرا للخارجية) .

أية مهانة تاريخية أكثر سخرية تلحق بثورة شعب اليمن الجذرية بعد ألف ومائة عام ؟

المعروف أن الأستاذ الفسيل كان يدين بالولاء لحزب البعث الذى كان فى ذلك الوقت على خلاف مع الرئيس عبد الناصر الذى لولا موافقته على مساعدة الثورة اليمنية لما قامت ثورة فى اليمن .

أما رواية الفسيل عن برقية الزميل على عبد المغنى إلى الرئيس عبد الناصر وقيامى بالرد عليها نيابة عن الرئيس فإنها رواية غير صحيحة على وجه الإطلاق ، وهى بالنسبة إلى شرف لا أدعيه .

وحقيقة إتصال الزميل على عبد المغنى هى كما رويتها موثقة فى صفحات هذا الكتاب .

ولقد أدرك الزميل على عبد المغنى فداحة الخطأ الذى وقعت فيه الثورة حين أهملت التأكد من إذاعة بلاغاتها وتشكيلاتها المتفق عليها فألح على سرعة تصحيح الخطأ حفاظا على وحدة القوى التى اشتركت فى الثورة وحماية لمسيرتها الوطنية من الأخطار المحدقة بها وكان على عبد المغنى يمثل ضمير اليمن ووجدانها ووحدتها الوطنية .



عند الظهيرة وصل إلى القصر الجمهورى الرئيس عبد الله السلال والتقى بى فى غرفتنا المشتركة فأطلعته على ما وصلنى من تعز وحديثى مع الزميل على عبد المغنى ، ولم يدهشنى عندما أكد لى أنه لم يطلع على أوراق الثورة التى سبق الإتفاق عليها ، ثم أبدى إنزعاجه من عدم إذاعتها حرفيا كما سبق إعدادها ، وقال إنه سوف يطلب هذه الأوراق من الزميل القاضى عبد السلام صبره أو من أى شخص تكون عنده لإذاعتها بكامل نصوصها . كانت عندى نسخة كاملة من هذه الوثائق فسلمتها إليه فاستدعى أحد المذيعين لإذاعة ما نقص منها فى البلاغات التى تمت إذاعتها .

استحسننت أن يصدر قرار باسم مجلس قيادة الثورة يضم بقية أعضاء المجلس ووافق العميد عبد الله السلال على هذا رأى وصدر القرار الآتى :

قرر مجلس قيادة الثورة ضم الآتية أسماؤهم أعضاء فى مجلس قيادة الثورة وهم :
الدكتور عبد الرحمن البيضانى نائبا لرئيس مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء ونائبا للقائد العام . السادة عبد الرحمن الاربانى عضوا ، عبد الغنى مطهر عضوا ، عبد القوى حاميم عضوا ، محمد على عثمان عضوا ، الملازم سعد الأشول عضوا ، عبد السلام صبره عضوا ، العقيد حسن العمرى عضوا ، محمد ميهوب ثابت عضوا ، على محمد سعيد عضوا ، الطيار عبد الرحيم عبد الله عضوا

الأحد ٣٠ سبتمبر ١٩٦٢

العميد عبد الله السلال

رئيس مجلس قيادة الثورة والقائد العام

يلاحظ أننا بدأنا نستخدم لقب سيد مع أسماء جميع أبناء اليمن تأكيدا لمبدأ المساواة.

اشتراطت على الرئيس السلال توقف عمليات الإعدام التى بدأت قبل وصولى إلى صنعاء وتمت بغير محاكمة ، لا سيما بالنسبة إلى رجال العهد الإمامى البارزين لأن إعدامهم يلطخ تاريخ الثورة ويثير القبائل عليها ، ولأن عقوبة الإعدام يجب أن تقتصر على الذين يحاربون الثورة ويتسببون فى قتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق ، فوافق السلال على رأىى .

عقدنا أول إجتماع لمجلس الوزراء برئاسة الرئيس عبد الله السلال الذى إفتتح الجلسة وعند نهايتها إعتذر عن حضور الجلسات التالية قائلا أنه يفضل أن يتفرغ لمتابعة المعارك العسكرية وقرر أن يتولى الدكتور البيضانى رئاسة مجلس الوزراء إلى جانب أعماله الأخرى .

• ، فاطمات بواحيه قصر امام اليمن • (تصوير فتحى حسن " مصور الاهرام ")



آمال الثورة اليمنية .. فى حديث بين الزعيم عبد الله السلال
فائد الثورة، وعبد الرحمن البيضاى، نائب رئيس مجلس الثورة



اول صورة لمجلس وزراء الجمهورية اليمنية مجتمعاً بكامل هيئته

منقولة من صحيفة الاهرام بتاريخ ٦ أكتوبر عام ١٩٦٢ (الصفحة الأولى) .

قبلت هذا التكريم مشترطاً ألا تكون قرارات مجلس الوزراء نهائية إلا بعد عرضها على العميد السلال وأطلعت المجلس على إتفاقي مع الرئيس جمال عبد الناصر على أن تحاول حكومة الثورة اليمنية الابتعاد عن مسرح الخلاف المصري السعودي كي تتفرغ الثورة لتثبيت أقدامها .

كانت هذه بداية موفقة للتعاون فيما بين العميد السلال وبينى ، وكنا ننام فى غرفة واحدة فى القصر الجمهورى وبيننا تليفون لاسلكى يوصلنا بجميع قيادات المناطق العسكرية . وكان كلامنا لا يحلو إلا بعد إنصراف المهنيين فنتبادل المعلومات والأخبار ونتفق على برنامج عمل اليوم التالى والأوامر والقرارات التى يتطلبها الموقف المتأزم .

كان أمامنا معركتان : معركة عسكرية ومعركة حضارية .

وكننت أحترق شوقاً لقيادة المعركة الحضارية التى هى الهدف الأول والهدف الأخير لقيام الثورة . وعندما درست فى مصر بعض الأساليب العسكرية فى معسكر أبو قير كنت أعد نفسى للإشتراك فى الدفاع عن الثورة فى مجتمع قبلى مسلح ، الأمر الذى ساعدنى على الإسهام فى إدارة المعركة العسكرية ، لا سيما بعد أن تفرغ القائد العام الرئيس السلال لمتابعة تحركات منافسه العميد حمود الجانفى الذى بعد أن نجحت الثورة وتعين وزيراً للدفاع ورفض الإقامة فى صنعاء واختار الحديدة فتذكر السلال أن الجانفى كان المرشح الأول لرئاسة مجلس القيادة ، وأن جميع الضباط يحبونه حبا جارفاً من أعماق قلوبهم كما يعرف أيضاً إننى شخصياً من أصدق المعجبين به وأن كنت أخذ عليه شدة حرصه وتردده فى كل خطواته وتحركاته مما كان أحد الأسباب الرئيسية التى جعلته يتنحى عن رئاسة مجلس قيادة الثورة قبل قيامها .

تفرغ السلال لمتابعة تحركات الجانفى .

وبعد أن كان ذهن السلال مشغولاً بالبدر الذى هرب أصبح محصوراً فى الجانفى الذى غضب .

فجأة وجدت نفسى فى قلب المعركة العسكرية ، أنتقل بالطائرة من معركة إلى أخرى ، ملتزماً بتوفير الأسلحة والذخائر والأمكانيات الأخرى الضرورية فى ساحات القتال المتعددة بين الضباط الثوار ورجال القبائل والحرس الوطنى فى الوديان والجبال وهم يدافعون عن ثورة شعبهم المظلوم ويستشهدون من أجل مستقبله الأفضل .

ولكن ..

ماهو المستقبل الأفضل .. ؟

هل المستقبل الأفضل فى اليمن يكتفى بخلع عمامة الإمام وتمزيقها تحت الأقدام مع الاحتفاظ بمقامات رأسه الصلحاء وعقله المتعفن ؟

لو كان الأمر كذلك لما كان هناك أى مبرر تاريخى لقيام ثورة فى اليمن تستبدل النظام الإمامى بنظام جمهورى . ولن يجد الشعب اليمنى أى فارق بين الإمامة والجمهورية

سوى أنه بعد أن كان في اليمن إمام واحد يدعى الإنتساب إلى رسول الله ﷺ أصبح في اليمن عدد من الأئمة يدعون الإنتساب إلى الشعب وبدلاً من أن يضعوا فوق رؤوسهم عمام بيضاء كما هو تقليد المذهب الإمامي ، أصبحوا يضعون فوقها قبعات عسكرية ذات علامات حمراء ، وبعضهم لا يشترط عمامة أو قبعة كما هو تقليد المذهب الجمهوري .

هذا هو السؤال ..

لماذا قامت الثورة اليمنية ؟

يتفق اليمنيون ويختلفون حول أمور كثيرة ، لكن أحداً لا يستطيع أن يدعى الإشادة بالنظام الإمامي الذي كان سائداً في اليمن . لا يستطيع عاقل أن يرضى بالتخلف الرهيب الذي كان الطابع المميز لشعب اليمن بين شعوب الأرض التي تسابقت إلى الحضارة الإنسانية الحديثة .

إذن ..

قامت الثورة اليمنية كي يبدأ الشعب اليمني طريقه إلى الحضارة الإنسانية الحديثة .

هذه هي المعركة اليمنية الحقيقية ..

إنها المعركة الحضارية ..

تلك كانت مهمتي ، وذلك كان قدرى .

وكان دوري الحقيقي أن أتولى قيادة المعركة الحضارية بعد أن حططنا بالثورة ، العقبة الأولى التي كانت تحول دون تحطيم بقية العقبات المانعة من تحقيق الحضارة في اليمن .

حططنا العقبة الأولى وبقيت أمامنا عقبات أخرى أصبح من الممكن علاجها بعد أن حططنا الركيزة الأساسية للتخلف في اليمن .

السلال يتولى رياسة الدولة

عن - د .
الأخ راديو صنعاء إن الزعيم السلال
سيكون رئيساً للدولة اليمن ويقيم
مجلساً ورئيساً للجمهورية العربية
المتحدة .



سلطات كاملة

للدكتور البيضاوي

الأخ راديو صنعاء . أن الزعيم
سيد الله السلال رئيس مجلس وزراء

اليمن والقائد العام أصدر قراراً
بتعيين الدكتور عبد الرحمن البيضاوي
وزير الاقتصاد والتمويل المدنية نائباً
لرئيس مجلس الوزراء ونائباً للرئيس
العام ويستمع وكالة الصحافيات التي
يتمتع بها رئيس الوزراء والقائد العام

مجلس وطني للثورة

أعلن راديو صنعاء إنه تقرر إنشاء
مجلس وطني للثورة يتألف من الوزراء
وأعضاء مجلس الثورة وهذا المجلس
مكلف بالمحافظة على سيادة الدولة
ورسم سياستها الداخلية والخارجية

فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَعُدُّوهُ
إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

قرآن کریم

صراع الشعارات



كنت أعرف من قبل الثورة أن العقبات التي تعترض طريق الثورة نحو بلوغ هدفها الرئيسي وهو الإرتقاء بالمستوى الحضارى فى اليمن هى السيادة العنصرية من الهاشميين على القحطانيين والحساسية الطائفية بين الزيود والشوافع ، والصراعات الحزبية بين البعثيين والشيوعيين والقوميين والناصريين ، إلى جانب غياب الحد الأدنى من عدد الكفاءات اليمنية التى تشترك فى قيادة المعركة الحضارية .

كنت أعرف من قبل الثورة أنه بعد إسقاط النظام الإمامى سوف يبدأ الصراع الجمهورى ، لأن المخلفات العنصرية والطائفية التى كان يعتمد عليها النظام الإمامى لا بد أن تستمر فترة من الزمن تفرض نفسها على المجتمع اليمنى ، وتحكم سلوك العناصر المتصارعة ، وتحول دون تحقيق الوحدة الوطنية ، فتعترض طريق التطور الحضارى الذى كان الهدف الرئيسى والسبب المحرك للثورة .

غير أننى كنت أضع أحلاما سعيدة وأعلق آمالا عريضة على الزميل على عبد المغنى لمساعدتى على تجميع شمل العناصر اليمنية، ودفعها إلى الالتزام بالمصلحة الوطنية ، فهو المحرك الحقيقى للذراع العسكرى فى جسد الثورة اليمنية .

كان الزميل على عبد المغنى يدرك ذلك تمام الإدراك ، ولقد تحدثنا فى هذا الموضوع واتفقنا على خطوطه العريضة التى تعتمد على تعاون وتكامل جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة وجميع المدافعين عنها . غير أننى فوجئت بأن بعض الزملاء من أعضاء مجلس قيادة الثورة اعتبروا أنهم بمجرد أن اشتركوا فى القيام بها قد انتهى دورهم فيها ، وحصر أكثرهم نشاطه الثورى فى مجرد الدفاع عنها من بعيد .

هذه مشكلة الثورة اليمنية ، بالتمام والكمال .

وقد شهد بها النقيب عبد اللطيف ضيف الله عضو مجلس قيادة الثورة وأول وزير لداخليتها ثم أول رئيس لمجلسها التنفيذى ، فى شهادته التى نشرها مركز الدراسات والبحوث اليمنية فى صنعاء سنة ١٩٨٢ فى كتاب بعنوان (ثورة ٢٦ سبتمبر - دراسات وشهادات للتاريخ) صفحة ٣١١ حيث قال ما نصه حرفيا :

(أهم خطأ وقعت فيه الثورة هو الخطأ الذى وقع فيه ثوار سبتمبر أنفسهم فقد اعتبروا مجرد قيام الثورة إنهاء لدورهم ، فانقطعت صلتهم التنظيمية كما لو كانت الدولة الجديدة بديلا للتنظيم) .

كان ذلك التصور ، كما قال النقيب عبد اللطيف ضيف الله ، هو فعلا تصور معظم رجال الثورة . اعتبروا أن الثورة قد نجحت عندما أسقطت النظام الإمامي وأقامت النظام الجمهوري ، واعتبروا أن ذلك هو غاية الأمل ونهاية العمل .

كانت هذه مشكلة الثورة اليمنية .

لم يدرك أحد سوى على عبد المغنى وعدد قليل من الزملاء ، أن الثورة تعبير شعبي عن إرادة التغيير . تعبير عن وجود عقبات سياسية واجتماعية تحول دون تقدم الشعوب ، ولا يمكن إزالتها ديمقراطيا عن طريق المؤسسات الشعبية السائدة في أنظمة الحكم المتخلفة ، فتأتى الثورات لتقوم بمهمة التصفية الجذرية لهذه العقبات ، فتمهد طريق الشعوب نحو التقدم .

فالثورات عمليات تمهيدية على طريق التقدم .

أما التقدم ذاته ، أى أحداث التغيير المطلوب نحو الأفضل ، فإنه يعتمد على مجموعة نظريات سياسية واقتصادية واجتماعية تستخلص بالعلم والتأمل في واقع المجتمعات المراد تطويرها ، وترتبط بالوسائل الممكن إتخاذها وصولا بهذه النظريات إلى أرض التطبيق والممارسة .

إذن لا يكفي أن تقوم ثورة شعبية تنجح في القضاء على نظام حكم سياسي متخلف وتستبدله بنظام آخر ثم تقف الطليعة الثورية الحاكمة معصوبة الأعين مكتوفة الأيدي أمام مشكلات التطور والنهضة ، فإذا بها تضطر إلى مسايرة العوائق الموضوعية للتقدم والإزدهار ، ثم تستنفذ كل جهودها في حماية نفسها مكتفية بإطلاق الشعارات الشعبية الثورية ، التي انتهت مهمتها أثناء المرحلة الثورية الأولى عندما نجحت في إثارة الشعب ضد نظامه السياسي المتخلف .

هذه الثورة وحيدة المرحلة تفقد معناها بمجرد سقوط مقاليد الحكم في أيدي الثوار الذين سرعان ما يتحولون إلى سياسيين ، عندما يختلفون ويتنازعون ، ثم يتحول بعضهم إلى قوى مضادة للثورة ، مناقضة لأهداف الشعب التي قامت من أجلها الثورة .

لا يختلف أحد على أن ظاهرة كون المجتمع متخلفا تعنى أن سلطته السياسية متخلفة . هذه الحقيقة البديهية كانت معروفة جيدا لدى الطليعة الثورية اليمنية التي أجتازت الخطوة الأولى بإسقاط النظام الإمامي ، لكن أغلبية هذه الطليعة لم تدرس الخطوات التالية لها ، أى لم تدرس ظروف المجتمع الأخرى وكيفية تطويرها ، ولم تضع تخطيطا شاملا لعملية التنمية والتقدم .

لم تدرك منذ البداية أن السلطة السياسية المتخلفة هي أحد عناصر التخلف وليست عنصره الوحيد الذى بالقضاء عليه يتحقق التقدم .

لم تنفرد ثورة اليمن بهذه المشكلة ، لأنها ظاهرة سائدة في معظم ثورات العالم النامي ، وبطبيعة الحال لا يحتاج العالم المتحضر إلى ثورات لأن تطوره نحو الأفضل

يتم عادة بالأسلوب الديمقراطي . كذلك الدول الملتزمة حقاً وصدقاً بالشريعة الإسلامية لا تحتاج أيضاً إلى ثورات لأنها تتطور دائماً نحو الأفضل بحكم إلزامها بالإجتهااد الإسلامي .

لكن مشاكل التطور تظهر عادة في الدول النامية عندما تتحول قيادات التحرير إلى قيادات حاكمة ، ولا تدرك أن طبيعة عملها قد تغيرت . لا تدرك أنها في مرحلة (التحرير) كانت تحتاج إلى مؤهلات خاصة أساسها : الشجاعة والإقدام والصبر والكتمان والاستعداد للتضحية . وفي مرحلة (التطوير) تحتاج إلى مؤهلات ثقافية وحضارية مختلفة تماماً .

وعندما تفاجأ الطليعة بهذه الحقيقة بعد استيلائها على السلطة فإنها إما أن تعتبر دورها الثوري قد انتهى فتبتعد عن هذه السلطة كما شهد بذلك النقيب عبد اللطيف ضيف الله ، وهو ما حدث فعلاً في اليمن ، وإما أن تحاول أن تسلك سبيل التطور فتلجأ ، دون معرفة كافية بمقوماته وأساليبه وشروطه ، إلى نقل ايدولوجيات من مجتمعات أخرى تحت إغراء سهولة النقل ، وعندئذ تقع في محذور التقليد وعدم الملائمة .

لم يكن يفزعني في اليمن أكثر من الوقوع ، تحت ضغط الصراعات الحزبية والإجتهاادات السطحية ، في محذور استيراد نظريات إقتصادية وإجتماعية لا تناسب ظروف اليمن .

ليس معنى ذلك أن نرفض كل النظريات وكل الإجتهاادات وكل التجارب الناجحة في المجتمعات الأخرى ، وإنما معناه أن ندرس النظريات المختلفة لنختار ما يتفق مع ظروف مجتمعنا الموضوعية ، وقد نبتكر له وعلى مقاسه نظرية جديدة تتفق مع ظروفه عندما نستخلصها من واقعها هو بالذات .

على أن إستخلاص النظرية الملائمة على هذا النحو لا ينهي القصة ، ذلك لأنه يتحتم على القيادة السياسية الرشيدة أن تخضع هذه النظرية للملاحظة المستمرة ، فقد يظهر أثناء التطبيق والتجربة ما يحتاج إلى إضافة أو استبدال كي تبقى الحلول المتداولة في التنفيذ الفعلي ملائمة وبصفة مستمرة لواقع المجتمع المتطور الذي عادة ما يفرز عوامل جديدة لا تكون في الحساب لحظة الاتفاق على النظرية الفلسفية المختارة .

كان لزاماً علينا أن نستخلص منهاج تطور اليمن من ظروف اليمن ، واليمن وحدها دون غيرها .

ولم يكن في الإمكان أن نستخلص هذا المنهاج اليمني إلا إذا اتفق عليه القادة اليمنيون ، أو على الأقل ، إذا لم يكن هذا المنهاج ساحة للصراع السياسي فيما بينهم حيث لم تكن الثورة اليمنية تواجه فقط مجرد صراعات يمنية ذات أبعاد قبلية وعصبية عنصرية وطائفية تستغلها القوى الأجنبية ، وإنما تواجه ، فوق كل ذلك ، صراعات عربية ذات أبعاد حزبية أكثر قدرة على تمكين الصراعات الدولية من الفتك بمصالح الأمة العربية والتصدى للشريعة الإسلامية .

من أجل ذلك لم أقتصر على ما سبق أن قمت بإعداده قبل الثورة من دراسات إقتصادية واجتماعية يمينية وإنما سعيت إلى توحيد الصفوف حتى نتفق جميعا كيمينيين على ما يناسب اليمن وينبثق من ظروفها الخاصة ، وما نستخلصه من تجارب الشعوب الأخرى بعقولنا المتحررة من أى التزام حزبي وأى جمود عقائدى .

ولم أشعر بأى قلق من جانب البعثيين لأنه من الناحية العلمية لا توجد نظرية إقتصادية بعثية منذ أن بدأ حزب البعث فى الأربعينات كحركة إصلاحية ترفض الأوضاع العربية التى كانت قائمة فى ذلك الوقت .

وقد لخص الدكتور سامى الجندى أحد أقطاب حزب البعث وأحد رؤساء وزرائه السابقين ، خلاصة النتائج التى أسفر عنها قيام حزب بغير نظرية فى كتابه (البعث) الصادر سنة ١٩٦٩ صفحة ٦٧ فى معرض شرحه لوقائع مؤتمر حمص على إثر إنقلاب مصطفى حمدون ضد حكم أديب الشيشكل فى بداية ١٩٥٤ فقال :

(وجئنا نحن البعثيين وعلى وجوهنا إبتسامة النصر العريضة نبحث عن مكان الصدارة .. كان كل منا يشرح فكرة البعث على هواه وحسب مزاجه ، بعضنا اتخذ مظاهر الفيلسوف وتخلق بأشكاله وتزين بمسوحه دون منهج فلسفى . وهكذا ظل البعث بلا ايديولوجية شعارات قلقة لم توضح لمحاته الأولى وبذوره ، فأنحرف إلى حزب سياسى نهائيا .. وباتت الاجتماعات الحزبية لا تعدوا أن تكون شرحا لمقالات الجريدة والنشرات الداخلية السياسية الضحلة .. وحافظ بعض منا بصعوبة على نهجه بأن يظل البعث حركة ثقافية عامة ، مؤملا أن يأتى جيل يصوغ الأفكار الشاردة فى عقيدة ثورية ..) .

ثم قال فى صفحة ٦٩ (طرح الحزبيون فى الاجتماعات أسئلة عن مفاهيم الحزب الأولى .. وأهم من كل ذلك ما هو البعث ؟ .. كانوا يريدون أن يفهموا من هم وما هم ؟ مثلهم مثل المؤمن الذى يسأل عن دينه وقد تسربت الشكوك إلى قلبه فيطلب إليه أن يؤمن فقط ..) .

ثم قال : (ومازال هذا السؤال قائما حتى الآن : ماهو البعث ؟ .. لم تجب القيادات أبدا) .



كنت مطمئنا إلى حركة القوميين العرب في اليمن فقد كان رجالها في ذلك الوقت يرفعون راية عبد الناصر السياسية ، وقالوا إنني ناصري إستنادا على إعجابي بالرئيس جمال عبد الناصر وإنجازاته الإيجابية على الساحة العربية والأفريقية . مع احتفاظي بوجهات نظري الاقتصادية والاجتماعية .

بدأت حركة القوميين العرب في بيروت بقيادة الأساتذة جورج حبش وهاني هندی ومحسن إبراهيم ، وكان أول من أسهم ماليا في تأسيس حركة القوميين العرب المليونير اللبناني إميل البستاني وبعض أمراء الكويت .. كما كان من بين مؤسسيها الأستاذ أحمد الخطيب الذي أصبح فيما بعد عضوا في مجلس الأمة الكويتي وأحد أقطاب حركة القوميين العرب في الكويت وأحد المشرفين على مجلة الطلبة الكويتية .

وكان الغرض من تأسيس هذه الحركة في بدايتها تنمية الإتجاه الليبرالي بين شباب الجامعة الأمريكية ، وعن طريقهم ينتشر هذا الإتجاه ويتعمق على مستوى جماهير الأمة العربية بأسلوب منظم وممول .. ولو بدون نظرية علمية خاصة .

ثم عن طريق الصحفي السوري الأستاذ معين زيادة تكونت أول مجموعة إقليمية في اليمن سنة ١٩٥٨ من طالبين يمنيين هما سلطان أحمد عمر (أحد قادة الماركسيين في اليمن الجنوبية حاليا) وفيصل عبد اللطيف الشعبي (نائب رئيس وزراء اليمن الجنوبية ووزير خارجيتها فيما بعد) ، ثم لحق بهما عبد الملك إسماعيل (سفير اليمن الجنوبية في القاهرة فيما بعد) وعبد الحافظ قائد من طلبة القاهرة ، وفي سنة ١٩٥٩ انضم إليهم طه مقبل وعلى السلامي ثم محمد علي هيثم (رئيس وزراء اليمن الجنوبية فيما بعد) وقحطان الشعبي (رئيس جمهورية اليمن الجنوبية فيما بعد) وعلى ناصر محمد (رئيس جمهورية اليمن الجنوبية الحالي) ونور الدين قاسم وسيف الضالعي وجعفر على عوض وناصر السقاف بعد أن انشق هؤلاء من رابطة أبناء الجنوب العربي ، ثم في سنة ١٩٦٠ انضم إليهم سالم زين وآخرون .

وقد استفادت حركة القوميين العرب في وقت معاصر للثورة اليمنية من خلاف الرئيس عبد الناصر مع البعثيين والشيوعيين ، فاتخذت الحركة الخط الناصري وكانت كتابات محسن إبراهيم في مجلة الحرية تكاد تكون المتحدثة بإسم الجماهير الناصرية تحت زعامة عبد الناصر وقت قيام الثورة اليمنية .

ولما قمنا بالثورة أنشأ سلطان أحمد عمر مع سعيد الجناحي وعبد الرحمن محمد سعيد وعلى السلامي وسالم زين المؤتمر الشعبى فى اليمن الذى كان يقود المظاهرات المؤيدة للثورة .

ثم جاء سلطان أحمد عمر مع قحطان الشعبى وناصر السقاف وطه مقبل وطلبوامنى ميزانية للتحرك الشعبى ، ولم أجد مانعا من ذلك فقد كانوا كلهم متفاعلين مع الثورة وكانوا يجمعون المتطوعين ويدفعون بهم إلى ساحات القتال دفاعا عن النظام الجمهورى الوليد .

وأذكر أن سلطان أحمد عمر جاءنى ذات يوم مع قحطان الشعبى وأخبرانى بأن قيادة حركة القوميين العرب قد قررت انتخابى عضوا فى قيادتها العامة القومية تقديرا منها لدورى فى الثورة اليمنية ، فقلت لهما أننا بصدد إنشاء تنظيم سياسى يعنى بضم كل المؤمنين بالثورة اليمنية ، بعد أن نبلور أهدافها فى صورة ميثاق وطنى مرحلى ، وإننا سوف ندعو كل المنظمات السياسية إلى الإشتراك فى صياغة هذا الميثاق حتى يتحقق الإلتزام به عن (طريق الإقتناع) وليس عن (طريق الإذعان) وقبول الأمر الواقع .

وأضفت أن اليمن لا تتسع لتعدد التيارات السياسية لكننا فى نفس الوقت لن نترك تيارا سياسيا يشعر بأنه (مغلوب على أمره) وإنما سنشرك الجميع فى حوار ينطلق من واقع اليمن (بعينه) ويستهدف تطوير هذا الواقع (بالذات) تطويرا علميا دون الإلتزام بتصور مسبق يفرضه أحد التيارات على التيارات الأخرى .

وكررت عليهما قولى بأبنى معهما من زاوية الإلتزام لعامة عبد الناصر السياسية ، لكننى كمفكر إقتصادى لا أتنمى إلى إختيارات عبد الناصر الإقتصادية التى كان قد تورط فى إعلانها قبيل قيام الثورة اليمنية بأقل من عامين إثنين ، متجاهلا آراء الإقتصاديين المصريين فى خضم صراعه مع البعثيين ومن خلال همسات الماركسيين المصريين ، الذين أخفوا تنظيماتهم العلنية واندمجوا فى تنظيمات عبد الناصر الرسمية .

قلت لهما إننى مفكر مسلم يعنى عربى ، أنطلق من العقيدة الإسلامية ثم أبدأ بالتفكير فى مصلحة اليمن وأنتهى بالحفاظ على مصلحة الأمة العربية .

ومن هذا المنطلق لا أقبل أن أنضم إلى حزب ، أى حزب ، لا بعثى ولا قومى ولا ناصرى ، لا سيما أن كل هذه المسميات لا تستند فى مقوماتها على نظريات . ولذلك فإننى أدعو جميع اليمنيين إلى الإلتزام إلى اليمن ، والإنتلاق من واقع اليمن ، والإلتزام فى مصلحة اليمن .

وما دمت أدعى أننى مفكر مسلم يعنى عربى فإننى أحاول أن أسلك سلوك المفكرين المسلمين الوطنيين العرب .

والمفكرون والمنظرون ليسوا حزبا أو أحزابا ، وإنما تيارات ومدارس ومذاهب فكرية ، أنهم طلائع متقدمة على قدر معين من الإدراك والمعارف يحاولون استشفاف مستقبل الأحداث وتطورها ، ويحاولون التأثير فى مسارها بتخطيط نقاط المنطلق ونقاط الهدف ، وتفاصيل ما بين المنطلقات والأهداف ، القريبة والبعيدة .

وحيث أننى أصبحت ، بعد قيام الثورة ، مسئولا عن قيادة المعركة الحضارية فى اليمن ، وداخل حدود اليمن وحدها دون غيرها ، فإن مهمتى أصبحت تنحصر فى القدر الذى أراه نافعا وقت ظهور الثورة على مسرح الأحداث التاريخية فى عمر اليمن . وعندما أصطدم بالواقع الفعلى المعاصر لهذه الأحداث قد أجدنى مضطرا إلى تجاوز أفكار المفكرين السابقين ونظريات الفقهاء المنظرين .

لقد بدأ عبد الناصر ثورته الخالدة ، وهى ثورة لا تعتمد على نظرية إقتصادية ولا منهاج مصرى للتطور فى مصر .

وكان معه عدد من زملائه الثوار الأحرار من مختلف الإتجاهات والأفكار ، ثم أخذ يتخلص من المتطرفين من اليمين واليسار ، وانتزع إعجاب المصريين والعرب أجمعين بفضل زعامته السياسية وليس بفضل اختياراته الإقتصادية وعندما تورط فى هذه الإختيارات بعد الوحدة السورية ، شأنه فى ذلك شأن زعماء جميع الثورات التى تقوم بغير نظريات ، سقط فى محذور إستيراد حلول إقتصادية وإجتماعية لا تناسب مصر وبقيّة الشعوب العربية فأخذ يقترب من أسنة الحريق حتى وقع الانفصال السورى وتوقفت مسيرة الوحدة العربية فى منتصف الطريق .

قلت لهما أن علمية وتقدمية الحلول الإقتصادية والإجتماعية لا تتحققان من سهولة طرحها عن طريق النقل من المجتمعات الأخرى ، وإنما تعتمدان على التعمق فى استخلاصها عن طريق البحث فى ظروف معينة ، وزمن محدد ، وبفكر علمى متطور نحو الأفضل . والقول بغير ذلك إتهام صريح للعلمية بالجاهلية ، ووصف قاطع للتقدمية بالرجعية .

قلت لقحطان الشعبى الذى أصبح فيما بعد رئيسا لجمهورية اليمن الجنوبية وسلطان أحمد عمر الذى أصبح فيما بعد زعيما من زعماء الماركسية فى اليمن الجنوبية أن اتجاه البعثيين والناصريين إلى الإبتعاد عن الدين فيما يتعلق بالأمور الإقتصادية إتجاه خاطئ ، وهو لا يقل خطأ عن إتجاه المتعصبين الداعين إلى الإلتزام بحرفية تطبيق الحلول التفصيلية التى قال بها أساتذتنا وفقهاؤنا المسلمون الأولون ، الذين لم يسمعو عن الإنقلاب الصناعى ، وثورة المواصلات ، وقفزات العلوم الإقتصادية والإجتماعية .

إن أحكام العبادات أزلية .. لا تتغير .

وأما التطبيق التفصيلى للمعاملات ، وتنظيم الإنتاج ، والعلاقات الإنتاجية ، هو الذى ، مع احتفاظه بجوهر الدين ، والنصوص الشرعية القاطعة الدالة والقاطعة الورد فى القرآن والسنة ، ينبغى أن يتفق مع تطور الظروف الموضوعية لكل مجتمع ، وإختلاف مشاكله المتوالة فى كل عصر . وهذا هو جوهر الإجتهد الإسلامى .



الطائرات العربية التي اخفأها الامام احمد في الجبال لكيلا يستعملها القباط الاحرار ، وقد تلفت بعض
الاجهزة الفنية في هذه الطائرات لبقائها في مهب زمال الصحراء ، ويجري الآن اصلاح هذه الطائرات بسرعة
فائقة على ايدي خبراء من الجمهورية العربية المتحدة .. وقد اصلحت بالفعل بعض هذه الطائرات وبدأت
تشارك في حراسة حدود جمهورية اليمن ...



لم تخرج الناصرية عن كونها مجرد إجتهد لمرحلة معينة . وقد تناول هذا الإجتهد معالجة القضايا المصرية الخاصة بشكل خاص كما تناول القضايا العربية العامة بشكل عام . ثم أثبتت التجربة العملية والممارسة الفعلية في مصر أن للناصرية إيجابيات وسلبيات . لأن عبد الناصر لم يعتكف في غار مقدس بجبل المقطم حيث نزل عليه وحى من السماء ، وإنما عبد الناصر العربي وابن مصر تأثر بظروف مصرية وعربية فأثى باجتهد منبثق من هذه الظروف حسب اجتهاداته الشخصية ، ومدى استجابته النفسية لأفكار وإلهام من أحاطوا به ، من غير ذوى الكفاءات الإقتصادية الذين استغلوا اقتراهم منه فأسأوا إليه .

فعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ لم تعلن أكثر من مبادئ الست المعروفة وكان من بينها شعار تحقيق (العدالة الإجتماعية) ، وفي خطاب الرئيس عبد الناصر الذى ألقاه فى المؤتمر التعاونى بتاريخ ٥ ديسمبر سنة ١٩٥٧ فسر وسيلة مصر إلى تحقيق العدالة الإجتماعية قائلا (نريد أن نتخلص من استغلال الإنسان للإنسان واستغلال المجتمع لبعضه .. نريد أن نوفق بين النشاط الإجتماعى العام الذى تقوم به الدولة والنشاط الإقتصادى الذى يقوم به الأفراد على ألا يضر هذا بمصالح المجتمع) .

ثم أكد الرئيس عبد الناصر إحترامه للنشاط الإقتصادى الخاص والملكية الخاصة فى تصريحات جديدة أدلى بها لمستشار وزارة الخارجية اليابانية بتاريخ ٦ يناير ١٩٥٨ حدد فيها الرئيس الأساس الذى تقوم عليه العدالة الإجتماعية فى مصر فقال :

(إن سياسة مصر تقوم على المشروعات الفردية الخاصة ، ولذلك ليس هناك محل للشيوعية ، وليس هناك خوف من أن تغزو الشيوعية مصر) .

معنى ذلك أن الرئيس عبد الناصر كان يرى (فى ذلك الوقت) أن العدالة الإجتماعية تقوم على المشروعات الفردية والملكية الخاصة ، كما كان يرى أن المانع الذى يحول دون غزو الشيوعية لمصر هو تشجيع المشروعات الفردية والملكية الخاصة .

ثم أراد الرئيس إيجاد تعريف للنظام المصرى فى حديثه إلى وفد الصحفيين الأمريكيين فى ٢٧ يناير سنة ١٩٥٨ فقال (إن إيجاد تعريف للنظام القائم ليس بالسهل وقد قلت فى العام الماضى أن النظام القائم فى مصر نظام تعاونى وقلت هذا العام أنه نظام اشتراكى ديمقراطى ، والعبرة ليست بالتعريف وإنما بما يحدث ويمارس فعلا .. ولذلك

أخذت الحكومة بنظام الإقتصاد الموجه وهو رأسمالى موجه ..) إلى أن قال (نظرا لأن الشعب لم يتعود المساهمة فى مشروعات صناعية قامت الحكومة بدراسة بعض المشروعات وبدأت فى تنفيذها فعلا وذلك حتى يحذو الشعب حذوها ويتجه هذا الإتجاه الجديد ..) .

ثم عبر الرئيس عن فرحته بإقبال الشعب على شراء أسهم المشروعات التى طرحتها الحكومة فقال :

(لقد فوجئنا بالشعب يمول المشروعات كلها ويساهم بنسبة ١٠٠٪ وهذا فى الحقيقة يعتبر تحولا من الزراعة إلى الصناعة) .

وهكذا كان الرئيس عبد الناصر شديد الفرح بإقبال الشعب المصرى على الإكتتاب بنسبة ١٠٠٪ من أسهم الشركات التى طرحتها الحكومة المصرية فى ذلك الوقت .

فى هذه المرحلة كان صدر العدالة الإجتماعية فى مصر يتسع لتشجيع أبناء الشعب على القيام باستثمار طاقاتهم وأموالهم فى حماية وتشجيع الرئيس عبد الناصر . وكان ذلك هو جوهر المجتمع الإشتراكى التعاونى الديمقراطى فى مفهوم الرئيس الذى عاد فأوضح تمسكه بهذا المفهوم للعدالة الإجتماعية فى خطابه الذى ألقاه فى اللجنة التنفيذية للإتحاد القومى بمدينة دمشق فى ١٩ أكتوبر سنة ١٩٦٠ قائلا : (واجبنا أن نعمل على إقامة عدالة إجتماعية وأن نقرب الفوارق بين الطبقات) .

ولم يكن الرئيس قد استخدم حتى تلك اللحظة شعار (تذويب الفوارق بين الطبقات) .

وفى خطاب ألقاه فى الوفود اللبانية بتاريخ ٥ مارس سنة ١٩٦١ أكد الرئيس (إن العدالة الإجتماعية تقوم على أساس الوحدة الوطنية) .

حتى ذلك التاريخ لا تشهد الوثائق المصرية بما يشير إلى خروج الرئيس عبد الناصر عن مفهوم العدالة الإجتماعية السمع الذى تدعو إليه كل الأديان ولا يختلف عليه عاقل . إلا أن الرئيس كان فى تلك الأيام قد بدأ يختلف مع قادة حزب البعث العربى الإشتراكى الذى اشترك مع الرئيس فى إقامة دولة الوحدة بين مصر وسوريا ، وكان الخلاف قد تطور بين قادة حزب البعث والرئيس إلى حد أن اشترك هؤلاء القادة مع الرئيس فى إحتفالات بورسعيد بتاريخ ٢٣ ديسمبر ١٩٥٩ ثم فاجأوه باستقالة جماعية فى اليوم التالى فى القاهرة أى يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٥٩ .

ولعل الرئيس أراد ، كرد فعل لما إعتبره إهانة موجهة إليه شخصيا ، أن يجرّد حزب البعث من شعاره الإشتراكى ، فقرر أن يتحول فجأة من العدالة الإجتماعية إلى الإشتراكية معتقدا أنه بذلك يسحب من حزب البعث أرضيته الفكرية بعد أن تنحى الحزب عن مواقفه الرسمية .

لم يتبين عبد الناصر أن حزب البعث نفسه كان تائها لم يتمكن من تحديد المفهوم الذى يتصور به مدلول الإشتراكية التى رفع الحزب شعارها ، وأخذ منها الأساس الإجتماعى والإقتصادى لنظريته السياسية .

وكان ميشيل عفلق مؤسس حزب البعث يبحث عن مفكر يضع له أسس الاشتراكية ، فكتب في صفحة ٧٥ من كتابه (فى سبيل البعث) قائلا :

(إن الشيوعية تمنع العرب من التفكير فى اشتراكيته والإهتمام إليها لأنها بادعائها إن الاشتراكية هى الماركسية ، وأن لا اشتراكية إلا فيها وبها فقد منعت الاشتراكية الصحيحة التى يحتاجها العرب) .

لم يتمكن ميشيل عفلق من تعريفنا بالاشتراكية الصحيحة التى يحتاجها العرب ، وإنما قرر فقط أن العرب فى حاجة إلى اشتراكية مجهولة التعريف غير محددة الأبعاد .

ثم اعترف فى صفحة ١١٣ من نفس الكتاب بعدم وجود نظرية إقتصادية واجتماعية لحزب البعث وأقر بأن هذا الحزب مجرد حركة عربية فقال :

(ليس يكفى أن نقول أن حركة البعث العربى تستطيع بهذه المبادئ والشروط أن تسيطر على الظروف ، وبالتالي تحقق الانقلاب ، فهناك جوانب يجب أن توضح ويمكن أن ألخصها فى أن حركة البعث العربى لا غنى لها عن فلسفة عامة فى الحياة ..) .

إفتقار حزب البعث إلى نظرية لا ينال من أهميته التاريخية ، فقد أسهم فى وقت مبكر فى تنمية الشعور العربى العام ، وفى تجذير شعار القومية العربية ، وتجذير الإحساس العام برفض الواقع العربى والتطلع إلى واقع أفضل منه .

كان حزب البعث يرفع شعار الاشتراكية .. مجرد شعار ..

نقل الرئيس عبد الناصر هذا الشعار على علاته وعلى هذه الصورة العائمة متحديا بذلك حزب البعث ، متأثرا فوق ذلك بإلهام الحزب الشيوعى المصرى الذى كان قد حل نفسه سوريا ليندمج بكوادره فى جهاز الحكومة المصرية رسميا ، فى طريقه إلى الاستيلاء الهادىء على مصادر الإلهام فى إتخاذ القرارات المصرية الفاصلة فى مصر .

وكان الرئيس عبد الناصر يستجيب للكثير من نصائح هذه الكوادر بقدر الكثير من قروض الكتلة الشرقية التى أملت على مصر سياسة إقتصادية ذات أبعاد سياسية تخدم مصالح سوفيتية ، أهمها القضاء على دور مصر القيادى فى بناء التكامل الإقتصادى فى العالم العربى .

فى هذا المناخ المتحدى لحزب البعث السورى ، والمستجيب لإلهام الحزب الشيوعى المصرى ، صاغ الرئيس جمال عبد الناصر بصفة مفاجئة قوانين يوليو الاشتراكية سنة ١٩٦١ . التى شرح أبعادها فى خطابه الذى ألقاه فى عيد الثورة التاسع بتاريخ ٢٢ يولييه ١٩٦١ ، (صفحة ٤٥٩ مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر - المجلد الثالث) حيث قال (لازم نغير المجتمع تغييرا كاملا من أساسه .. لازم نبني دولة جديدة لازم نقيم ديمقراطية جديدة لازم نبني دولة جديدة بنظام سياسى جديد وبنظام إقتصادى جديد وبنظام إجتماعى جديد .. وطبعاً لا بد أن نفهم أن الاشتراكية

طريق لا نهاية له .. فيه ناس قالوا لى ماهو المقصود بالاشتراكية . طيب حوصل لغاية
فين ؟ حددوا لنا .. مانقدرش واحد ماشى فى سكة ملهاش آخر) .

ثم طرح الرئيس فى نفس ذلك الخطاب صورة جديدة للعلاقات الإنتاجية فقال
(صاحب العمل يساهم برأسماله بإقامة المصنع .. العامل يساهم بعمله فى إقامة
المصنع ، صاحب العمل يأخذ فائدة على الفلوس التى وضعها ، والعامل يأخذ أجر على
عمله ، واللى بيزيد عن كده بينقسم بين الإثنين . بين صاحب العمل والعمال .. ولا بد
للعامل أن يأخذ ربع الأرباح) .

ولم يشرح الرئيس ما يتحملة العمال من الخسارة إذا حلت بالمصنع خسارة .
وهل (تنقسم الخسارة بين الإثنين) بين صاحب العمل والعمال كما ينقسم الربح ؟
وهل يستحق صاحب المصنع فائدة فقط على رأس ماله كما لو كان مجرد دائن للمصنع ؟

ومن الذى يضمن له إستيفاء هذا الدين إذا أفلس المصنع ؟

وإذا كان صاحب المصنع يتحمل مسئولية أخرى لا يتحملها الدائن فيتحمل كل
الخسارة ، ثم يتحمل ضياع كل الدين ثم فوق ذلك يتعرض لإشهار إفلاسه ، أفلا يستحق
نصيبي آخر فى مقابل هذه المجازفة التى لا تخلو منها أية عملية إستثمار ؟

ثم أين مكافأة الإبداع والإختراع والسهر المضنى وارتياح الآفاق الجديدة إذا كنا سنعتبر
المستثمر مجرد دائن ، ومن المحتمل فى خطاب سياسى آخر نعتبره مجرد مرابى وخائن
تتسابق الجماهير إلى سفك دمه بإسم الاشتراكية التى أصبحت (ماشية فى سكة ملهاش
آخر) الأمر الذى دفع بعبد الناصر إلى دوامة ليس لها قرار . وكنت أدعو أن يجعل الله
له منها مخرجاً .

فى نفس ذلك الخطاب ترك الرئيس عبد الناصر محاولة تحقيق (الممكن) وتعلق
بوهم من أوهام (المستحيل) ، فقد تحول فجأة من شعار (تقريب) الفوارق بين
الطبقات ، وهو شعار إسلامى ممكن ، وأعلن شعار (تذويب) الفوارق بين الطبقات ،
وهو شعار ماركسى مستحيل .

فإذا أضفنا إلى هذا الشعار الماركسى التزام عبد الناصر بوصف اشتراكيته بأنها
(الاشتراكية العلمية) كما جاء فى صفحة ٧٢ من الميثاق الوطنى الذى أصدره فى ٢١
مايو ١٩٦٢ ، أى قبل قيامنا بالثورة اليمنية بأربعة أشهر فقط ، لعرفنا لماذا تحاشيت السير
مع عبد الناصر واشتراكيته العلمية فى طريق ليس له آخر من وجهة نظر عبد الناصر .
أما من وجهة نظرى وتأمل المتابعين لسياسة مصر الاقتصادية الاشتراكية فقد ساد عندى
الإنطباع ، كما ساد عندهم ، أن مصر قد أخذت تتجه رويدا رويدا نحو الشيوعية
الماركسية .

وقد اشترك الرئيس في خلق هذا الانطباع بنفسه أثناء حديثه إلى التلفزيون الأمريكي (كولومبيا) بتاريخ ٢٦ أغسطس سنة ١٩٦١ حيث سأله المذيع بقوله (هل تقفون عند هذا الحد من تأميم الصناعات أم يحتمل أن تجدوا أنفسكم في طريق يؤدي إلى نوع من السيطرة الكاملة على كل نشاط ؟) فأجاب الرئيس قائلا (لقد سئلت هذا السؤال عدد من المرات .. لقد كان رأيي دائما أنه من المستحيل أن تكون هناك حدود مرسومة ..).

فعاد المذيع سائلا : (هل يمكن أن تذكروا لي الفارق الرئيسى - فى نظركم - بين نظامكم الإقتصادى بالصورة التى تطور عليها الآن والنظام الإقتصادى الشيوعى ؟) فأجاب الرئيس بقوله (أعتقد أن الاشتراكية ليست مجرد اقتصاد وإنما هى أسلوب فى الحياة كذلك الحال بالنسبة للشيوعية ، فهى ليست مجرد اقتصاد ، وإنما هى أسلوب فى الحياة وأنى لا أجد اختلافات كبيرة بين الأسلوبين) أى أنه لا يوجد اختلاف كبير بين الأسلوب الاشتراكى المصرى والأسلوب الشيوعى الماركسى كما قال الرئيس بنفسه .. (صفحة ٥٠٨ من المجلد الثالث من مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر الذى أصدرته وزارة الإرشاد القومى فى حياة سيادته) .

وكانت النتيجة لهذا التحول المفاجئ من العدالة الإجتماعية إلى الاشتراكية ، التى يقول الرئيس عبد الناصر عنها أنه لم يجد اختلافات كبيرة بينها وبين الأسلوب الشيوعى ، استغل قادة الإنقلاب السورى الانفصالى هذا التحول المفاجئ بعد شهرين فقط من إعلانه ، فقاموا بانقلابهم فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٦١ .

ومع أن الأسباب الحقيقية التى أدت إلى ذلك الإنقلاب كانت فى الأساس أسبابا سياسية وإدارية ومؤامرة أجنبية إلا أن زعماء الإنقلاب أرادوا استمالة الشعب السورى المؤمن بالوحدة العربية السياسية حتى يكفر برايتها الاشتراكية التى أخفت تحتها أنياب ومخالب الشيوعية الماركسية ، فهب الشعب السورى يؤيد زعماء الإنقلاب الانفصالى بعد أن أذاعوا فى بيانهم الأول (إنهم يرفضون اشتراكية عبد الناصر لأن الشعب السورى يرفضها جملة وتفصيلا) .

وهذا ما أكدّه الرئيس فى بيانه الذى أذاعه فى الساعة السابعة من مساء يوم الإنقلاب فقال (توالى البيانات .. فيها هجوم واضح على الاشتراكية) ، وفى خطابه بتاريخ ٢ أكتوبر سنة ١٩٦١ أى بعد أربعة أيام من الإنقلاب الانفصالى قال الرئيس أمام الشباب العربى بجامعة القاهرة (يقولون فى دمشق أنهم سيقومون بإشتراكية حقيقية وهذه الإشتراكية التى اتكلموا عنها قالوا : ليس معنى الإشتراكية التأميم وأن التأميم أثر على الحركة الإقتصادية فى سوريا) . هكذا قال الرئيس نقلا عن إذاعة دمشق . (صفحة ٥٤٥ المجلد الثالث السابق ذكره) .

بعد ذلك ، وكنتيجة حتمية لتنازل الرئيس عن العدالة الإجتماعية وتحوله المفاجئ إلى الإشتراكية إضطر إلى التنازل الحتمى عن الوحدة الوطنية بعد أن قسم الشعب إلى أبناء شعب وأعداء شعب ، وهذا ما أوضحه فى خطابه أمام الإجتماع الأول للجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى بتاريخ ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٦١ حيث قال (هناك خلافات أساسية

وخلاقات جنزية .. أعداء الشعب هم جميع القوى والجماعات التي تناهض هذه الثورة الاشتراكية .. هناك أصبح خلاف واضح بين الشعب وأعداء الشعب في هذه المرحلة) .

وكان من الطبيعي أن يتفاقم هذا الخلاف المنطقي ، على الأقل ، من جانب صغار المدخرين الذين شجعتهم الدولة بكل الوسائل المغرية . ولسان الرئيس نفسه من أجل أن يستثمروا مدخراتهم في إقامة الصناعات الوطنية الجديدة . ثم بعد ذلك تقوم نفس هذه الدولة وعلى يد نفس القيادة فتقلب على هؤلاء المدخرين الصغار ، الذين أصبحوا موصوفين بصفة رسمية بأنهم مستغلون ، بينما كانوا في معظمهم من ، صغار الموظفين ، والجنود ، والعجزة ، والأرامل ، والأيتام ، الذين كانت المحاكم الشرعية تفرض على أوصيائهم شراء تلك الأسهم التي تطرحها الدولة على أساس أنها استثمار مضمون لا يعرض أموال اليتامى للضياع .

وكان هؤلاء المدخرون الصغار يعيشون على الدخول البسيطة التي كانت تدرها عليهم تلك الأسهم ، كما كانوا يحلمون بإمكان زيادتها في المستقبل .

فوقعوا في مصيدة تشجيع الدولة لهم ثم إنقلاب نفس هذه الدولة عليهم . وحتى الطبقة العاملة التي رفعت الدولة شعار الدفاع عن حقوقها ورفع مستواها لم تقبل الدولة أن ترفع مستواها ، عندما رفضت تشجيع العمال على الإدخار باستقطاع جزء من أجورهم وأرباحهم على أقساط مريحة في مقابل حصولهم على أسهم في المصانع التي يعملون بها ، وبررت الدولة هذا الرفض بأنها تخشى من أن يتحول العمال الكادحون إلى طبقة رأسمالية جديدة .

وكان أحد أعضاء الهيئة البرلمانية للإتحاد الاشتراكي يقترح تملك العمال والموظفين ٢٥% من المصانع التي يعملون بها بتقسيط ثمنها على عشر سنوات مقابل جزء من الأجر والأرباح المخصصة لهم فرفض الرئيس قائلا أن (تملك العامل النهاردة معناه رجوع ، حاخلق طبقة رأسمالية ، وحأقلل بهذا سيطرة الشعب على وسائل الإنتاج) .

وبصرف النظر عن وجهة نظرنا نحن كإقتصادييين في إقتراح عضو الهيئة البرلمانية المذكور فإن رفض عبد الناصر لهذا الإقتراح معللا رفضه بالخوف من أن يتحول الأسطى محمد (الكادح) والأسطى إبراهيم (المسحوق) وبقية زملائهم ، جرجس وصموئيل وعم خليل ! إلى طبقة جديدة رأسمالية ، يدل على أن سبب تأميم المشروعات القديمة لم يكن مجرد استرداد دماء الشعب التي امتصها الرأسماليون القدامى . لأن الرأسماليين الجدد لن يصبحوا أصحاب أسهم جديدة ومحدودة إلا بعد قيامهم بامتصاص بعض قطرات من عرق اليوم لتحسين معيشة الغد .

وهذا مايرجح أن الرئيس عبد الناصر قد تحول إلى رفض الاستثمار الخاص ، وكراهية الملكية الخاصة ، وإن كان في ذلك الوقت يعترف بهما في الميثاق من باب الضرورة (الشكلية) وبصفة مؤقتة لأنه وضع أمامهما العراقيل (العملية) في التنفيذ ، مطمئنا إلى إلغائهما تماما أثناء سير الاشتراكية التي (تمشى في سكة ملهاش آخر) .

وكان السبب المعلن لتبرير إجراءات تقييد الإستثمار الخاص هو حرص الدولة على مبدأ سيطرة الشعب على وسائل الإنتاج وهو شعار ماركسى أيضا ، وليس شعارا عربيا ولا مصريا ولا إسلاميا ولا علميا .

ولم توضح الدولة في مصر كيف يمارس الشعب المصرى سيطرته على وسائل الإنتاج ..

إذن ..

لم يكن أمام مصر سوى النموذج المعروف في تطبيق الماركسية صاحبة هذا الشعار ، حيث استولى الحزب الماركسى على السلطة السياسية والاقتصادية بإسم سيطرة الطبقة العاملة على وسائل الإنتاج .

ثم استأثر بها الحزب وأبعد عنها الطبقة العاملة .

ثم احتكرتها قيادة الحزب وأبعدت عنها الحزب .

ثم انفرد بها زعيم القيادة وأبعد عنها القيادة .

هذا هو الأسلوب الماركسى فى سيطرة الشعب على وسائل الإنتاج . وقد زينه الماركسيون المصريون للرئيس عبد الناصر مستغلين ميله إلى أن يكون حاكما منفردا مسيطرا على مقاليد الحكم فأقنعوه بأن ذلك يتوقف على مدى سيطرته على أرزاق المحكومين . وكان هدف الماركسيين المصريين ، والمتمركسين الإنتهازيين ، توريث عبد الناصر بدفعه إلى الخروج عن مجال المقومات الاقتصادية للنهضة المصرية والزعامة العربية ، مع تجريده من نصائح زملائه الثوار المعتدلين وخبرة الإقتصاديين المصريين ، حتى تتمكن الشيوعية الدولية من اقتحام البوابة العربية عن طريق القاهرة المعز الإسلامية .

فى غياب النموذج المحدد للإشتراكية فى مصر التى (تمشى فى سكة ملهاش آخر) بدأت نهاية الإستثمارات الخاصة فى مصر .

وعلى خلاف ما يقتضيه العلم الذى يشترط البدء أولا باستخلاص النظرية ثم طرحها بعد ذلك للتطبيق للتعرف على ما لم يخطر على العقول من نتائج إيجابية وسلبية أثناء صياغتها ، اعترف الرئيس جمال عبد الناصر بأنه لم يتقيد بهذا النهج العلمى فقال فى خطاب أمام اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية بتاريخ ٢٥ نوفمبر ١٩٦١ (لوطلبتم منى محاضرة يوم ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ لقلت لكم محاضرة فى التكتيك أو أى موضوع عسكرى ، إن ظروفنا قضت بأن يكون تطبيقنا الثورى سابقا للنظرية الثورية) .

فى نفس ذلك الخطاب شرح الرئيس كيف تفادى الإستفادة من أراء الخبراء الإقتصاديين المصريين فقال (يقول الفنيون رأس المال الأجنبى بيكش ما تعملش الشىء الفلانى رأس المال جبان ... أما ابتدو يلبشونا من أول يوم ، وأنا جيت فى يوم من الأيام وقررت أن أقرأ أربع ساعات أو خمس ساعات علشان أعرف كل العمليات دى

بالتفصيل ، يعنى ما باقتش أقبّل الكلام ده ، وآخذ برأى الفنيين وأقول لهم أيوه طيب
حاضر (إلى أن قال (أنا أعلنت بعد كده إنى ضد أى استثمار إلا إذا كانت هناك ضرورة
ماسة لذلك) صفحة ٥٨٩ من نفس المجلد السابق ذكره .



مع إعجابى العظيم بزعامة عبد الناصر الشخصية لم أنقل عنه فى اليمن سياسته الاقتصادية التى وصفها بأنه لا تعتمد على نظرية ، فوقع فى مصيدة الماركسية متصوراً أنه يتحداها بتجربة ناصرية .

ويعرف الإقتصاديون أن قرارات عبد الناصر التى تلقنها من العناصر البعثية والماركسية لا يمكن أن تحقق أية نهضة اقتصادية ، وإنما تؤدى إلى مزيد من تخلف الحياة الاجتماعية ، لأنها سلبت الحرية الشخصية واستبدلتها بالسيطرة السياسية ، فقتلت الحوافز الفردية فى وقت تعانى فيه الدولة من ندرة الكفاءات الإدارية .

وفى غياب المنتج المجازف والمبتكر الخلاق والمستثمر المبدع تحملت الدولة أعباء المستهلك المسرف والمقلد العاجز والعاطل الكسول ، الذين يجيدون سهولة التصفيق ولا يحملون هموم الإنتاج .

لم تقصر الوثائق المصرية فى إثبات أن عبد الناصر لم يفكر فى الاشتراكية عند قيامه بالثورة فى يولية ١٩٥٢ وأنه حتى مارس ١٩٦١ كان سعيداً بالعدالة الاجتماعية التى تقوم على الحوافز الشخصية والوحدة الوطنية ، وأثبتت أنه بعد أربعة أشهر فقط (من مارس ١٩٦١) إنقلب على العدالة الاجتماعية وألغى الحوافز الشخصية وأصدر قراراته الاشتراكية فى يولية ١٩٦١ .

وبعد شهرين اثنين انفصلت الوحدة المصرية السورية ونهياً المسرح العربى للنكسة العربية كما نهياً المسرح المصرى للأزمة الاقتصادية .

ومع ذلك ..

وعلى نقىض سياق التاريخ .. نشر السيد على صبرى نائب رئيس الجمهورية المصرية السابق فى صحيفة (الأهالى) بتاريخ ٢٨ يولية ١٩٨٢ فى الصفحة السابعة زاعماً أن اختيار جمال عبد الناصر الاشتراكى (كان محدداً وسابقاً لقيام الثورة . ولكن لم يكن يريد أن يقفز على الواقع ، سواء بالنسبة للمجموعة التى شاركتها فى الإعداد للثورة والقيام بها ، أو بالنسبة للشعب فى مجموعه ، ولا أظننى أتجاوز الحقيقة إذا قلت أنه لو أعلن عبد الناصر الإختيار الاشتراكى فى بداية الثورة ، فإن جزءاً كبيراً من شركائه لم يكن ليشارك فيها أصلاً ، بل أن الشعب نفسه لم يكن مؤهلاً لقبول كلمة الاشتراكية ..) إلى أن قال (ليس هناك خلاف أن قوانين يولية ١٩٦١ كانت نقطة تحول سياسية ، تم

على أساسها فرز موضوعى فى القيادة ، فالذين لم يوافقوا على التوجهات الجديدة اختاروا أن يتركوا مواقعهم فى القيادة . لم يطلب أحد منهم ذلك . ولكن قوانين يولية الاشتراكية فى ١٩٦١ وما تلاها أكد لهم الاتجاه الجديد للثورة وأنها عملية مستمرة فقرروا هم اتساقا مع موقفهم الإجتماعى والسياسى أن لا يشاركوا فى المسئولية فى المرحلة الجديدة) .

إدعاء على صبرى أن (إختيار جمال عبد الناصر الإشتراكي كان محددا وسابقا لقيام الثورة يتناقض مع ما ثبت على لسان عبد الناصر نفسه يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٦١) (المرجع السابق) حين قال (لو طلبتم منى محاضرة يوم ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ لقلت لكم محاضرة فى التكتيك أو أى موضوع عسكرى ، إن ظروفنا قضت بأن يكون تطبيقنا الثورى سابقا للنظرية الثورية) .

كما يتناقض حديث على صبرى مع قيام عبد الناصر بتشجيع المصريين على تأسيس الشركات المساهمة ، ويتناقض مع جميع ما سبق شرحه فى سباق العرض التاريخى الموثق لمسار عبد الناصر فى المجال الإقتصادى .

غير أن الجديد فى حديث على صبرى أنه أقر بأن (عبد الناصر لو أعلن الإختيار الإشتراكي فى بداية الثورة فأن جزءا كبيرا من شركائه لم يكن يشارك فيها أصلا) .

ثم أضاف ما هو أكثر من ذلك خطرا حين قال (بل أنا الشعب نفسه لم يكن مؤهلا لقبول كلمة الإشتراكية) .

ثم أراد أن يحصر الخلاف اللاحق بين عبد الناصر ومعظم شركائه من قادة الثورة المصرية فقال انها (قوانين يولية الإشتراكية) التى وصفها بأنها (نقطة تحول أساسية ، تم على أساسها فرز موضوعى فى القيادة) .

إن على صبرى كأحد أقطاب رافعى شعار الإشتراكية لم يفتن إلى تناقض حديثه المنشور فى صحيفة (الأهالى) مع خطب عبد الناصر الرسمية الموثقة فى الوثائق المصرية .

لكنه ، على أى حال ، أثبت سنة ١٩٨٢ ، أى بعد عشرين عاما ، بأننى كنت على حق حين قلت سنة ١٩٦٢ بأن عبد الناصر عندما رفع شعار الإشتراكية سنة ١٩٦١ كان متحديا لحزب البعث السورى ومستجيبا لإلهام الحزب الشيوعى المصرى .

لقد أقر على صبرى بأن الشعب المصرى (لم يكن مؤهلا لقبول كلمة الإشتراكية) وأن أغلبية شركاء عبد الناصر فى قيادة الثورة قد انفضوا من حوله بعد أن انفرد برفع شعارها .

معنى ذلك أنه رفع شعار الإشتراكية غير مستند على زملائه من قادة الثورة ولا خبرائه من الإقتصاديين المصريين ، وإنما واقعا تحت تأثير الآخرين من الإنتهازيين أو ذوى العلاقة السوفيتية ، لأنهم وحدهم كانوا أكثر المستفيدين من تجريد عبد الناصر

من شركائه الثوار ، وإجهاض الثورة ومن حولها الأمة العربية ودفعها فى هاوية بيس لها قرار ، حتى تحكم الماركسية قبضتها على عنق عبد الناصر رئيس مصر وزعيم الأمة العربية .

وحين أحكمت هذه العناصر قبضتها على عنق عبد الناصر لحساب السياسة السوفيتية تركت له حرية الاختيار بين أن يعيش بضغط الدم الماركسى ، أو يموت بفقر الدم الإشتراكي .

ذلك لأنه بعد أن وقع عبد الناصر فى أيدي القيادات المتسللة غير المبدعة ، أعجبه تصفيق الجماهير الجائعة ، ولا يدرى أنه رسم الطريق إلى الفاجعة ، التي تشعلها نفس هذه الجماهير عندما يجف اللبن السهل من صدر الدولة العاجزة ، التي لا يمكن أن تكفى الملايين المتزايدة من المستهلكين المقلدين العاطلين الظاهرين والمقنعين ، الأمر الذي ورط عبد الناصر حتى ملأ سجنونه ومعتقلاته بكل من يشعر بالجوع فيصرخ ، أو يثور على اليأس فيستغيث ، أو يكتشف الوهم فيحلم بالحقيقة .

ذلك ما كانت تسعى إليه العناصر ذات العلاقة السوفيتية من خلال اختفائها تحت شعار الإشتراكية الناصرية وهو خلق مناخ الرفض الشعبى العام للنظام الذى تصفق له وتهتف بحياته .

وكما قال على صبرى ، بحق ، إن القرارات الإشتراكية كانت نقطة تحول أساسية ويقول الخبراء أن عبد الناصر وقع بهذه القرارات فى يد الشرق فأصبح تلقائيا من أعداء الغرب .

قبل الشرق من عبد الناصر اشتراكيته غير الماركسية على أنها مرحلة انتقالية ، وتعامل الغرب مع عبد الناصر على أنه أصبح أداة من أدوات الشيوعية فى الساحة العربية .

ذلك لأنه اختار السير فى (سكة ملهاش آخر) . سكة الإشتراكية التي أصبحت بنكرار الخطأ الشائع مرادفة للشيوعية ، بعد نجاح الثورة الماركسية فى روسيا سنة ١٩١٧ وهزيمة ألمانيا سنة ١٩٤٥ والتواجد العسكرى السوفيتى فى أوروبا الشرقية الذى أقام أنظمة ماركسية فى دولها وسماها بالكتلة الإشتراكية ، وبالتالي أصبحت الإشتراكية اصطلاحا شاع استخداما للدلالة على البلاد التي تقوم على أساس النظرية الماركسية . كإصطلاح الشرق أو الغرب الذى يسود الآن استخداما للدلالة على مذهب الدولة الإقتصادى وموقعها السياسى ، وليس للدلالة على موقعها الجغرافى ، فيقال إن كوريا الجنوبية دولة غربية رغم أنها من أقصى الشرق ، وأن كوبا دولة شرقية رغم أنها فى أقصى الغرب .



بعثة خبراء الطيران العرب وصولها الى مطار صنعاء ، وكان في استقبالهم الدكتور عبد الرحمن اليشعري والطارون اليمنيون

مجلة المصور (١٢ أكتوبر ١٩٦٢)



كنت أعتقد أننا ، كيمنيين ، إذا استخلصنا منهاج تطورنا بالاجتهاد فى إطار عقيدتنا الإسلامية ومن واقع بلدنا فإننا قد نتحاشى الصدام مع البعثية والناصرية ، وإننا إذا التقينا فى منهاج تطورنا اليمنى فإننا نلتقى جميعا فى المصلحة العربية والوحدة العربية .

وإذا كان البعثيون يرون أن زعامة البعث هى الأقدم بينما يرى الناصريون أن زعامة عبد الناصر هى الأقدم فإننا كنا فى اليمن فى حاجة إلى زعامة عبد الناصر الذى لولاه لما قامت الثورة ، كما كنا فى حاجة إلى البعثيين لتحقيق الوحدة الوطنية اليمنية .

لذلك بذلت قصارى جهدى لتحقيق الوحدة الوطنية بين الناصريين والبعثيين معتمدا على كونهم يمينيين وطنيين يرفعون شعارات حزبية لا تستند على نظريات تبرر الصراع الحزبى فى اليمن ، وتهدر طاقاتها الضعيفة فى الخلاف الشخصى بين زعماء القاهرة ودمشق ، بينما أخذ الماركسيون اليمنيون يتكاثرون فى اليمن على أيدي المدربين العسكريين الذين وصلوا إلى اليمن قبل الثورة من بلاد الكتلة الشيوعية للتدريس فى مدارس الأسلحة اليمنية ، وبفضل الماركسيين الروس الذين قاموا مشكورين ببناء ميناء الحديد .

وأعرف جيدا أنهم قادرون ، رغم قلة عددهم ، على الاندماج مع التجمعات الوطنية غير الماركسية ثم احتواء هذه التجمعات والسيطرة عليها ثم تصفية قيادات هذه التجمعات غير الماركسية تصفيات جسدية .

وكان أمامى فى كوبا أروع مثال ، فالثورة الكوبية لم تبدأ ثورة ماركسية ولم يكن فيدل كاسترو ماركسيا قبل أن تنجح ثورته ، فقد كانت حركة ٢٦ يولية بقيادة كاسترو تضم فى البداية عناصر متنوعة ، قسم منها برجوازي انضم إلى صفوف المعارضة بعد إصلاحات ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ، وإلى جانب حركة ٢٦ يولية كان هناك الحزب الاشتراكي الشعبى (الشيوعى) الذى ساهم هو أيضا فى النضال ضد باتيستا لكن مساهمته لم تكن حاسمة . وكانت هنا أخيرا حركة (الإدارة الثورية) التى نظمت فى ١٣ مارس سنة ١٩٥٧ هجوما فاشلا على قصر الرئاسة . أما التركيب الإجتماعى لهذه الحركات الثلاث فهو بوجه عام : حركة ٢٦ يولية فلاحية ، والحزب الاشتراكي الشعبى عمالى ، والإدارة الثورية طلابية .

وجرت أول محاولة لدمج هذه المنظمات الثلاث فى ٢٦ يولية ١٩٦١ يوم ولدت (المنظمات الثورية المندمجة) وقد تمت عملية التوحيد من فوق ، عن طريق تجميع مناضلى شتى المنظمات القائمة .

وكان عدم توازن القوى يعمل لصالح الشيوعيين المنظمين والمدرّبين ، ثم تولى هانبيال اسكيلانتى - وهو قائد سابق للحزب الإشتراكي الشعبى الشيوعى - مهمة الإشراف على تنظيم (المنظمات الثورية المندمجة) ، فسلم المراكز القيادية فى التنظيم المندمج لأعضاء قياديين سابقين فى حزبه الإشتراكي الشعبى الشيوعى .. وبعد أن استيقظ فيدل كاسترو واتخذ قرارات لمواجهة هانبيال اسكيلانتى حيث اعتقله وقدمه للمحاكمة العلنية ، وعزل بعض من عينهم فى المراكز القيادية . كان كل شيء قد انتهى وابتلع الحزب الشيوعى حلفاءه فى التنظيم الموحد ، من الذين كان لهم الدور الأساسى فى الثورة .

اضطر كاسترو إلى اعتناق الماركسية ، وقال قوله المشهور (أنا كوبي أولا ، أمريكى لاتينى ثانيا ، ماركسى لينينى حديثا) .

كان شبح الماركسية هو الذى يطاردنى ليلا ونهارا فى وقت كنا نحتاج فيه إلى مساعدة الإتحاد السوفيتى السياسية كما كنا فى حاجة إلى أسلحته وذخيرته للدفاع عن الثورة اليمنية ، معتقدا أن عبد الناصر لا يضيره أن نستخلص ما ينفع اليمن ما دمنا نعترف بزعامة مصر .

وقد تنبه الأستاذ ميشيل عفلق إلى خطر الشيوعية قبل ظهور عبد الناصر وشرح مخاوفه فى صفحة ٦٥ من كتبه (فى سبيل البعث) وقال (فى بلادنا عدد غير قليل من المثقفين المشوهين الذين غدت الثقافة فى أيديهم أداة إيذاء .. من هؤلاء أخذت الشيوعية فى بلادنا عناصرها المثقفة) .

تنبه ، ميشيل عفلق ، منذ وقت مبكر إلى خطر المثقفين المشوهين ، لكنه عندما رفض الماركسية لم يذكر لنا أسباب رفضه لها . لكنه رفضها ، ويشكره التاريخ العربى على رفضه لها .

كذلك كان عبد الناصر هو الآخر رافضا للماركسية قبل وقوعه فى خيوط عنكبوتها الإشتراكي فى يوليو ١٩٦١ ، قبل ذلك التاريخ كانت حرب عبد الناصر على الماركسية حملة ذات شقين ، أحدهما موجه ضد الماركسية الدولية وخصوصا فى العراق وسوريا ، وثانيهما ضد الماركسية المحلية ، حيث كان تحالف عبد الكريم قاسم فى العراق مع الشيوعيين العراقيين يستهدف التخلص من حركة القوميين العرب الناشئة . وكانت عمليات السحل والتعذيب للقوميين تجرى على قدم وساق . وفهم عبد الناصر أن الحركة الماركسية التى تستخدم ضد القومية العربية هى خطر لا بد من استئصاله فشن هجومه الصاعق على الشيوعيين .

فى سوريا ، كان خالد بكداش زعيم الحزب الشيوعى السورى أحد الذين عارضوا وحدة مصر وسوريا وترك سوريا وبدأ جولة عالمية يندد فيها بدكتاتورية عبد الناصر . وعلى الجانب الآخر كان خروشوف زعيم الإتحاد السوفيتى (يداعب) عبد الناصر - على حد قوله - ساخرا من هذه (القومية الأكذوبة) . واستشاط عبد الناصر العربى الغيور على عرويته غضبا .

فى ٢٩ إبريل ١٩٥٨ كان عبد الناصر على رأس وفد الجمهورية العربية المتحدة إلى موسكو . وفى حديثه لخروشوف قال أنه لن يسمح بقيام الحزب الشيوعى فى الجمهورية العربية المتحدة ، ولا يعتقد أن الأحزاب الشيوعية تفهم أو تحلل تحليلا صحيحا طبيعة الحركة القومية فى الدول النامية ، وبالتالي لن يجيز قيامها ، ثم أكد لخروشوف أنه ليس مستعدا للإصغاء إلى أى شىء يتعلق بتلك الأحزاب .

وعندما تطورت الأحداث فى العراق ، وبدأ الانقسام الثورى بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف ، أصبح الأول حليفا للماركسيين الذين يساندهم خروشوف والثانى للقوميين الذين يساندهم عبد الناصر . واشتعل الصراع ، لا بين عارف وقاسم فحسب ، بل بين قاسم وعبد الناصر ، واتخذ عبد الكريم من محكمة (المهداوى) الشهيرة منبرا للتشهير بعبد الناصر بمناسبة وبدون مناسبة ، واعتقل عبد السلام عارف نكاية فى كل القوميين العرب ، وركب الشيوعيين ظهر قاسم .

وفى محاولة لصد التيار الشيوعى قام (الشواف) فى مارس ١٩٥٩ بانتفاضة قومية فى الموصل ، لكنه انهزم وسحقه الماركسيون ، وهيموا على كركوك وارتفع العلم الأحمر وسال الدم فى الطرقات ، حين أعدموا ثلاثة آلاف وخمسمائة شخص ، واعتقلوا عشرين من أنصار الشواف القوميين العرب ، وجعلوهم يحفرون قبورهم بأيديهم ، ثم أعدموهم رميا بالرصاص وألقوا بهم داخلها .

كان الانقسام فى العالم العربى بين الماركسيين والحركة القومية قد أصبح كاملا ، وقد خيل للماركسيين أنهم استولوا وهيموا على العراق كلية . وأخذ القوميون يحاربونهم بمرارة .

وفى سوريا أعلن الحزب الشيوعى بقيادة (خالد بكداش) رفضه لحل الأحزاب فى دولة الوحدة ، وانتقل إلى العمل السرى القائم على توزيع المنشورات .

أما فى مصر فقد امتلأت المعتقلات بالماركسيين ومات أحد زعمائهم (شهدى عطية) وصدرت عنه وعا لاقاه من تعذيب أودى بحياته كتب مختلفة ، ونقل الإعلاميون الماركسيون إلى شركات باتا وغيرها من محلات بيع المواد الاستهلاكية ، وانتشرت فى مصر حركة (تطهير) ساحقة ضد الشيوعية ، إعلاميا وعمليا .

بعد كل ما فعله عبد الناصر بالماركسيين قبل يولية ١٩٦١ وقع بين خيوط العنكبوت الماركسى فرفع شعار الاشتراكية التى وصفها بالعلمية ، فهورل إليه الشيوعيون الماركسيون الأنكياء وصفقوا له واندمجوا فيه وحملوا رايته وشدوه معهم فى طريق ليس له آخر ، كما فعلوا قبل ذلك بفيدل كاسترو ، وكما يفعلون بعد ذلك بكل من يطمنون إلى زعامته ويختبئون فى عباءته وتحت رايته .

إننى لم أرفض الماركسية تعصبا ضدها ، ولا جهلا بها ، وإنما إثر دراسة مستفيضة رجعت فيها إلى أكثر من ألف مجلد كما شهد بذلك أستاذ العلوم السياسية الدكتور بطرس غالى^(١) (الوثيقة رقم ٢٥) .

(١) حاليا وزير الدولة للشئون الخارجية فى الحكومة المصرية .

وخلاصة ما توصلت إليه من خلال هذه الدراسة أنه :

أولاً - فلسفة فريدريك إنجلز المادية التي قيل أن كارل ماركس اعتمد عليها قد عجزت عن تقديم الدليل المادى على صحة أساسها النظرى ، ثم توقعت فى اعتبار العامل الإقتصادى عاملاً جوهرياً وليس عاملاً وحيداً فى تفسير التاريخ ، وإننى - وبغير حرج - أسلم بهذه المحصلة كلها ، دون أن أكون ماركسياً ، لأن هذه المسلمات فى هذه الحدود ليست إلا مجرد بديهيات يتقيد بها المفكرون فى كل المراحل ، وفى كل العصور قبل أن تبدأ الماركسية وبعد أن تنتهى .

ثانياً - إذا أراد حلفاء الماركسية أن يثيروا الجدول حول أصل العالم للتوصل إلى إنكار وجود الله عز وجل ، فإننى أعلم أنه فى جميع عضور التاريخ ظهر ملحدون ، وحتى يومنا هذا لا يخلو العالم من ملحدين دون أن يكونوا ماركسيين .

ولا أرى أية قيمة علمية فى الربط بين (حتمية الإلحاد) و (إمكانية التطور) ، فالعلم ليس وفقاً على الملحدين ، حتى يشترطوا الإلحاد على التقدميين .
ثالثاً - إن النظرية الماركسية ليست أكثر من مجرد إجتهااد فكرى ظهر ولید (ظروف معينة) شأنه فى ذلك شأن كل الاجتهادات الفكرية التى تفرزها ظروف وتسقطها ظروف أخرى مختلفة . وقد شهد بذلك فريدريك إنجلز قبل وفاته بثلاث سنوات ، وكتب فى صفحة ٣٦١ من كتابه فقال (لا يجب أن يزعم مفكر - أيا كان - أنه بلغ الحقيقة المطلقة والنهائية ، وأن أية فكرة هى وليدة ظروف معينة ، وقد تكون صالحة أو غير صالحة فى هذه الظروف بعينها ، وإذا كانت هذه الفكرة ملائمة اليوم فقد لا تصبح كذلك غداً) .

رابعاً - كل ما اكتشفته إقتصادياً من خلال التنقيب الدقيق فى كتاب رأس المال لكارل ماركس فى مجلداته الأربعة ، من أولها إلى آخرها ، لم أتوصل إلى أى جديد إقتصادى علمى يحدد « القيمة » التى هى المحور الرئيسى للماركسية سوى عبارة « أن لعنصر العمل أهمية خاصة » وهذه العبارة لا تأتى بجديد ، لأن لكل عنصر من عناصر الإنتاج أهمية تزيد وتنقص بحسب كل سلعة وبحسب ظروف إنتاجها ، وأن وجود أهمية خاصة لأحد عناصر إنتاج سلعة معينة فى ظروف معينة لا ينفى أهمية عناصر الإنتاج الأخرى بالنسبة إلى هذه السلعة المعينة ، وحتى فى نفس هذه الظروف المعينة .

خامساً - بينما ترفع الماركسية شعار إلغاء التمييز الطبقي فإنها تقررته وتؤكد به بإقرارها دكتاتورية طبقة البروليتاريا على غيرها من الطبقات . كما لا تمنع إفراز طبقات جديدة داخل طبقة البروليتاريا نفسها . وكل ما تؤدى إليه هو نقل السيطرة الطبقة من طبقة إلى طبقة أخرى . وبذلك لا يمكن التسليم بأن النظرية الماركسية « نظرية إجتماعية إنسانية » وإنما يلزم اعتبارها « أداة إثارة سياسية » تتسلح بها مجموعة متعطشة إلى السلطة كى تنقض عليها وتمارس تسلطها الدكتاتورى على بقية المجتمع ، وهذا ما يخرجننا عن دائرة الإقتصاد الإجتماعى ، ليلقى بنا فى ساحة الصراع السياسى الذى بدلا من أن يستثمر كل طاقاتنا من أجل تطوير أساليب التقدم الحضارى ، فإنه يستنفذ هذه الطاقات فى تطوير أساليب القمع البوليسى .

سادسا - إصرار الماركسية على تطبيق القوانين الماركسية فى أى مجتمع ، وبصرف النظر عن ظروفه الموضوعية المؤثرة فى حضارته إصرار يتنافى مع قول ماركس نفسه الذى أوضحه فى كتابه « نقد برنامج جوته » صفحة ٢٥ حيث قال « إن القانون لا يمكن أبدا أن يرتفع عن الحالة الاقتصادية للمجتمع وعن درجة الحضارة المقابلة له » .

ومعنى ذلك أن القانون الذى يحكم تطور مجتمع معين يلزم أن يراعى ظروف هذا المجتمع بعينه .

وعندئذ تصبح زيادة الإنتاج وعدالة التوزيع فى أى مجتمع مرهونة بمدى الإبداع فى التخطيط الإقتصادى الخلاق الذى يستميل حركة كل طاقات وموارد المجتمع البشرية والمادية فى اتجاه التقدم والتطور والرفاهية ، الأمر الذى يتطلب مفكرين إقتصاديين وسياسيين مبدعين لا مزايدين مراهقين ومنظرين سطحيين .

سابعا - بظهور الحضارة الحديثة التى لم يتنبأ بها ماركس أو أنجلز ، ولا غيرهما من مفكرى القرن الماضى أو مفكرى أوائل القرن الحالى ، نجد أن قضية الإستغلال قد عجزت عن العثور على أى حل حاسم وجذرى للتطبيق الماركسى ، ولن تجد لها هذا الحل إلا عن طريق الفكر الإقتصادى والسياسى الذى يتلاءم مع طبيعة الحضارة الحديثة التى قفزت فى حركة صاروخية وفى غفلة من تاريخ البشرية القديم والبطيء .

ثامنا - بالرغم من أن الماركسية ترفع شعار الديمقراطية ، فلقد دلتنا الممارسات الماركسية على أن حتمية الإلتزام بتطبيق « المركزية الديمقراطية » فى المجتمعات الماركسية يجرد هذه المجتمعات من فرض الممارسات الفعلية للديمقراطية . وبذلك لا تلقى الماركسية « إهتمامها النظرى » بالديمقراطية فحسب ، وإنما تفصل أيضا « إرتباطها العلمى » عن موكب الفكر الحضارى الذى بحث عن الديمقراطية وطالب بها منذ أقدم العصور ، أذكر من ذلك على سبيل المثال :

سقراط فيلسوف أثينا الذى دفع حياته ثمنا لإيمانه بالديمقراطية وعوقب أروبيس بالطرد من أثينا لإتهامه بالتلوث بمشاعر غير خلفية لأنه طالب بالحرية السياسية .

ولا تزال العقوبات التى أصابت سقراط وأروبيدس فى العصر القديم تتكرر بشتى الصور فى « العصر الحديث » .

والسبب واحد : هو التطلع إلى الديمقراطية فى أنظمة لا تمارسها .

وعندما يكون ذلك هو مصير الشعار الديمقراطى الذى ترفعه الماركسية فإنها حينئذ لا تتميز عن الأنظمة السياسية الأخرى التى تقوم الماركسية بالعمل على إسقاطها .

تاسعا - إن شعار المساواة بين الناس الذى رفعته الماركسية لإكتساب الشعبية الجماهيرية لم يتحقق فى الممارسات العملية بسبب خلوه من العلمية ، ويشهد على ذلك التفاوت فى الأجور والمرتبات والحوافز المادية فى الأنظمة الماركسية .

عاشرا - إن النجاح فى تحقيق التقدم لا يتوقف على رفع شعارات جماهيرية ماركسية أو اشتراكية .. وإنما يتوقف على مدى النجاح فى إكتشاف وسائله الممكنة فى ظل نظام حضارى يرحب بالتقدم ويدفعه إلى المزيد من التطور .

حادى عشر - إن النظرية الماركسية لا تعتمد على ضوابط محددة تكفل قيام قيادة جماعية .

ثانى عشر - لم يثبت إحصائيا أن رفاهية الفرد فى المجتمع الماركسى أعلى من رفاهية الفرد فى المجتمع الغير ماركسى لأن الرفاهية الفردية ليست « موقوفة » على المجتمع الماركسى ولا هى « محظورة » على المجتمع غير الماركسى ، وأن المزيد من الجهد ، والمزيد من الإبداع ، والمزيد من الإنتاج هو الذى يؤدى إلى المزيد من الرفاهية .

ولا تتوقف هذه الرفاهية على كون ملكية وسائل الإنتاج « عامة » أو « خاصة » بقدر ما تتوقف على كون هذه الوسائل « عصرية » أو « متخلفة » .

والعصرية المنطقية والإسلامية فى نفس الوقت تربط الإنتاج الأكثر بالإبداع المشروع الأكثر . وتعطى الإبداع الأكثر العائد الأكثر . وفى نطاق التكافل الإجتماعى يتحقق ، وبغير صراع ، العدل الأكثر .. وهكذا ببساطة لا أقل ولا أكثر .

وإذا افترضنا تصور إمكانية الوصول إلى المرحلة العليا من الشيوعية حيث يؤخذ من كل حسب طاقته ويعطى لكل حسب حاجته ، فإن الإجهاد النظرى حول من يعطى ومن يأخذ يتضمن فى جوهره جوابه الفطرى ، فالكل يفضل غريزيا وبشرى ، أن يأخذ ويفضل ألا يعطى .

وعندما يكون الأخذ « سهلا » يصبح العطاء « متعذرا » .

وعندما يصبح العطاء « متعذرا » فإنه ينقرض حتى يصبح الأخذ مستحيلا .

بتعبير آخر ..

إذا وصلنا إلى جنة الماركسيين ، أى المرحلة العليا من الشيوعية واختفت الدولة أى السلطة التى تنظم المجتمع الشيوعى ، ثم تصورنا إمكانية إعطاء كل حسب حاجته ، فلا بد أن نفترض أن يكون الكل قد بذل طاقته .

وفى حالة إنعدام الدولة .. ما الذى يمكنه أن يردع الإسترخاء البشرى الغريزى ؟ .. ما الذى يمنع تناقص الطاقة ويضبط هذا التناقض مع تزايد الحاجة ؟ .

أليس الصحيح أنه بغير رادع ولا مانع ستتناقص الطاقة .. أى العطاء .. أى العمل .. وعندئذ لا تتجاوب مع الحاجة .. أى الأخذ .. أى الرفاهية ؟ .
أليس الصحيح أنه عندما ينقرض العطاء .. ينقرض الأخذ ؟ .

وعندما يتزاحم الناس على الأخذ بغير سلطة تتولى تنظيمه .. أليس من الصحيح أن ينشأ صراع دموى بين المتزاحمين على هذا الأخذ ؟ .

وعندما تتناقص الطاقة بالنسبة إلى الحاجة ويستمر الصراع فى المرحلة العليا من الشيوعية .. أليس من الصحيح أن ينهار الأساس الأخير للنظرية الماركسية ؟ .

هذه خلاصة النظرية الماركسية ، فى إطارها العلمى ، وفى تطبيقها العلمى لم يثبت أنها حقيقة خالدة ، بل ثبت أنها مجرد محاولة اجتهد أفرزته ظروف معينة وتجاوزته ظروف أخرى ..

ثبت أنها ليست نظرية إقتصادية ينتفع منها الإقتصاديون .

وإنما هى « أسلحة سياسية » يزايد بها المتصارعون ..

وحين يثبت أنها محاولة طبقية فلن يثبت أنها ذات أهداف ديمقراطية .

إذن ..

إنحصرت خلاصتها الفلسفية فى إنكار « حقوق الله » لأنها لا تعترف بوجوده حتى تبطل بخلقه ..

وانحصرت خلاصتها التطبيقية فى إنكار « حقوق الإنسان » لأنها لا تعترف بطبيعته حتى تتحكم فى رزقه .

واشترطت لبقائها تطبيق أقصى وسائل العنف وبغير رحمة ، وقالوا عن ذلك « فلسفة » .

وسموا ذلك « نظرية » .



المؤلف يوقع أحد القرارات ، وعلى يمين الصورة حارسه الخاص الشهيد الملازم أحمد بيدر ، وعلى اليسار العقيد عبد الله الضبي نائب مدير الأمن العام .

لقد رفضت الماركسية عن علم ، وتمسكت بالإسلام عن علم . فكما درست الماركسية درست الشريعة الإسلامية ، التي كلما درستها إزدادت إيماناً بها .

وإننا المسلمون المثقفون نعتزف ونتباهى بأننا مؤمنون وفي نفس الوقت عصريون متطورون .. نؤمن بالله ونؤمن بملائكته ، ونؤمن بكتبه ونؤمن برسله ، ونؤمن ببقائه ، ونشهد بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

ولا نجد في إيماننا هذا ما يمنعنا من دراسة كل الأبحاث والنظريات ، وفحص كل الممارسات ، واستخلاص كل الإيجابيات ، وتحديد كل السلبيات في جميع الأنظمة والمجتمعات .. فإيماننا بالله قد قام على العقل والدليل والحجة الواضحة .. فالدين لا ينهى عن التطور ، ولا يحد من المعرفة بل يأمر بالعلم ، وبالمزيد من العلم ، وكانت أول سورة نزلت من القرآن الكريم هي سورة العلق .. فقال تعالى « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » .

فكانت هذه السورة قاطعة الدلالة على أن العلم هو « بداية الهداية » وليست الهداية هي « نهاية العلم » .. كما قال تعالى « وقل رب زدني علماً » .

إذن لا يوجد أى تعارض بين أن نكون مؤمنين وبين أن نكون متعلمين ومعلمين ، بل إننا كلما استزدنا من العلم كلما اقتربنا من الله . قال تعالى : « شهد الله إنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم » . وقال الرسول « العلماء ورثة الأنبياء » .

الإسلام لا يقر التخلف والفقر والحرمان ، بدليل قوله تعالى « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

الشيطان وحده هو الذى يسوق الناس إلى الفقر وليس الإسلام بقوله تعالى « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً » .

فالأصل في الأشياء كلها أنها حلال إلا ما حرم الله بنص قاطع ، وما حرم الله محصور في إطار قوله تعالى « قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » .

ليس في الإسلام ما يمنع من الاجتهاد المستمر والاستفادة المتواصلة من جميع العلوم والأبحاث العصرية المتطورة لتحقيق مصالح المجتمع المتجددة ، ما لم يصطدم ذلك بنص قاطع في القرآن أو السنة .

ليس في القرآن والسنة نص قاطع يمنع تحقيق مصالح المجتمع الحقيقية التي تتطور مع سنة التطور .

ولقد أثبت التاريخ أن المسلمين عندما أقاموا دولتهم وبسطوا سلطانهم في أنحاء الأرض ، كان علماء المسلمين يقودون الحضارة وبتزعمون التطور ويخططون التقدم ويرسمون النهضة ويتصدرون صفحات العلوم والفنون ويقدمون إلى الإنسانية أرقى مبدعات العقول وأحدث مبتكرات العبقرية ، حتى انتشلوا أوروبا من عصر التخلف والظلام وساقوها إلى فجر التقدم والنهضة .

لقد كان الإسلام أول من أرسى دعائم الديمقراطية وهي « الشورى الحقيقية » التي يتولاها الأكفاء وهم أهل الحل والعقد من ممثلى الشعب الذين يضع المجتمع ثقته فيهم ، حتى يكون الحكم السياسى حكما شوريا تقيمه وتحرسه إرادة الأغلبية ، وحتى يصبح قرار السلطة العليا فى المجتمع منسجما مع الإرادة الشعبية تحقيقا لقوله تعالى فى سورة الشورى « وأمرهم شورى بينهم » وقوله تعالى فى سورة آل عمران « وشاورهم فى الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله ».

أى أن مراحل إتخاذ القرار فى النظام الإسلامى تمر أولا بالشورى الحقيقية ، ثم ثانيا بعزم القائد ، أى إتخاذ قراره وفق هذه الشورى الحقيقية ، ثم ثالثا بتوكل القائد على الله ، أى إخلاصه وصدقه مع الله فى استخلاص عزمه إى قراره بعد هذه الشورى الحقيقية مستلهما التوفيق من الله .

وبذلك تتحقق الديمقراطية من الشورى ، وتنبع القيادة من العزم ويتجلى الإخلاص من خشية الله . وبذلك تستقر أنظمة الحكم وفق تطلعات الشعوب المسلمة المتدينة على نسق ما تقتضيه الشورى الإسلامية التي يتولاها أهل الحل والعقد من الخبراء المتخصصين فى مجال النهضة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ومعهم المجتهدون من فقهاء الإسلام حتى يتولوا صياغة مناهج التطور العصرية وتقنين حلول القضايا المتطورة والمتنوعة فى إطار الاجتهاد الإسلامى المستمر ، الذى هو أحد الركائز الأساسية فى الشريعة الإسلامية ، طالما كان هذا الاجتهاد المستمر ملتزما بأصوله الشرعية ، ومنها الإلتزام بعدم الإصطدام بنص قطعى الورود وقطعى الدلالة فى القرآن والسنة ، وحدهما دون سواهما .

ذلك لأن اجتهاد فقهاء الإسلام السابقين فى القضايا التي عاصروها ولم يجدوا لها نصا قطعى الورود والدلالة فى القرآن والسنة لا يمكن أن يحول دون اجتهاد فقهاء الإسلام اللاحقين بالنسبة للقضايا المتغيرة التي لم يعاصرها السابقون واصطدم بها اللاحقون ، طالما لم يجدوا لها حكما قطعى الورود فى القرآن والسنة .

هكذا يظل باب الاجتهاد الإسلامى مفتوحا متسعا للاهتداء إلى الأحكام الشرعية التى تتفق مع تطور العصور وتطور الإحتياجات الإنسانية وفق ما يلهمه الله إلى البشرية من علوم ومعارف واختراعات واكتشافات تخلق معها علاقات جديدة ومعاملات متغيرة وقضايا مستحدثة .

هذا ما يريده الإسلام من المسلمين .

ولو كان الله سبحانه وتعالى قد أراد أن يقلل باب الاجتهاد بعد موت فقيه معين من فقهاء المسلمين لكان سبحانه وتعالى قد قفله بانقطاع الوحي و وفاة الرسول ﷺ ، وبالتالي يصبح كل ما لحق بذلك من اجتهاد فى أيام الخلفاء الراشدين والفقهاء السابقين لغوا مخالفا للإسلام لا يجوز الاعتداد به أو الرجوع إليه ، وهذا ما لم يذهب إليه عاقل مسلم .

وذلك ما دعانى إلى الإلحاح على تشكيل مجلس الدفاع الأعلى من أغلبية علماء اليمن وجميع الشخصيات البارزة من شيوخ القبائل الذين يسمون بشيوخ « الضمان » ولم يكن الغرض من إنشاء هذا المجلس مجرد المساعدة على الدفاع عن الثورة والنظام الجمهورى ، وإنما البدء فى تطبيق المنهج الإسلامى والإتفاق على خطة إقتصادية إسلامية علمية يمنية مرحلية .

خطة إسلامية ، بمعنى أنها تستمد أصولها وجذورها من الشريعة الإسلامية . وفى مجال المصالح المرسله متسع خصب للإجتهاد المستمر ، ما لم يصطدم ذلك مع نص قطعى الورود والدلالة من القرآن أو السنة .

خطة علمية ، بمعنى أنها تستمد عناصرها وتفصيلها من أحدث الأبحاث الإقتصادية والتكنيكية والاجتماعية ، حتى تفصل هذه الخطة من نسيج العصر الحديث ، فتقفز باليمن إلى مركب التقدم .

خطة يمنية ، بمعنى أنها تنبثق من ظروف اليمن بالذات وتستهدف تطويرها هى بعينها ، حتى تتلاءم مخططات التطور الإقتصادى مع « ظروف التطور »

خطة مرحلية ، بمعنى أنها تستهدف علاج المرحلة اليمنية الحالية وحدها والتي نلم الآن بظروفها ونعلم حاليا وسائل تطويرها ، حتى تتلاءم مخططات التطور مع « تطور الظروف » ؛

وفى الحقيقة لست فى حاجة إلى وصف هذه الخطة بأنها خطة علمية يمنية مرحلية ما دمت قد وصفتها بأنها إسلامية .

فالإسلام يأمر بالعلم وبالمزيد من العلم ، أى يأمر بالعملية .

الإسلام يأمر بمراعاة الظروف المعينة بالحلول الشرعية ، أى يأمر بمعالجة كل مرحلة من مراحل الحياة ، أى يأمر بأن تكون اجتهادات التطور فى نطاق المعاملات مرحلية .

ولذلك يكفى وصف خطة التطور اليمنى بإنها إسلامية ، وفى إسلاميتها ما يتضمن كل هذه المعانى .

وما دمنا نتفق على أن الإسلام هو « نقطة البداية » وإن الإسلام هو « إطار الغاية » فعندئذ لن نختلف على التفاصيل الاقتصادية التي تراعى التطور الإقتصادي على مستوى « اليمن » كما تراعى فرص التكامل الإقتصادي على مستوى « العرب » ، واضعين في اعتبارنا محاولة السعى إلى تحقيق وحدة إقتصادية إسلامية على مستوى البلاد الإسلامية ، لأن التقدم الإقتصادي والإجتماعي في أى جزء عربى مرهون بمدى التكامل الإقتصادي العربى فى نطاق وحدة إقتصادية عربية تمهد السبيل إلى قيام وحدة سياسية عربية .

وعندما يكون الإجتهد نابعا من الواقع ، ومستهدفا تجميله ، فإن التطور يمكن أن يتحقق بـ « علمية » لا تفر التخلّف و « موضوعية » لا تثير حفيظته .

كنت حريصا على استخلاص منهاج التطور اليمنى عن طريق الإجتهد ، وليس عن طريق التقليد ، وكنت أخطب بالدرجة الأولى فئات المنتجين والمثقفين الذين يقع عليهم الدور الرئيسى فى حركة التقدم فى ظروف العصر التكنولوجى السيبرناطيقى الذى كان قد ظهر فى دول العالم المتحضر قبل ثورة اليمن ، الأمر الذى لا يشترط علينا أن نفتح باب الإجتهد فحسب ، وإنما يفرض علينا أن نغلق باب التقليد نهائيا .

الإسلام يتضمن المبادئ الرئيسية التى تكفل التطور المتوازن بين الروح والمادة ، ويتسع للتطور المنهجى حتى يمكن استخلاص الحلول التفصيلية الملائمة لكل زمان ومكان ، ضمن الإطار الإسلامى العام .

فلا جناح علينا إذا بحثنا عن المتغير الذى يطرأ على ما نهتدى إليه فى أى وقت لاحق ، حتى يمكننا أن نهتدى ، بإدراكنا المتغير ، إلى أحكام أكثر ملائمة قد تظهر لنا فى المستقبل .

هذه طبيعة الإجتهد فى استخلاص النتائج من التجارب وهى تعتمد على الحوار الموضوعى فى إطار المصلحة الوطنية ، وبذلك يسود الارتباط الشعبى الملتمزم بهذه المصلحة العامة محل الصيغ الحزبية والشعارات اللفظية التى تمزق الصفوف ، وتهدر الطاقات وتبهدد الموارد ، فتشترك فى تعميق جذور التخلّف .

ولم يكن جوهر هذه الخطة الإقتصادية إجتهدا طارئا طرحه بعد قيام الثورة فى عام ١٩٦٢ وإنما كان امتدادا لما سبق أن ناديت به فى الدورة الثالثة لحلقات الدراسات الإجتماعية التى نظمتها الأمم المتحدة فى دمشق وطبعتها جامعة الدول العربية عام ١٩٥٢ حيث ألفت أبحاثا عن الإقتصاد الإسلامى فقلت فى صفحة ٢٦٧

(جاء الإسلام بخير طريق لتثبيت دعائم التوازن الإقتصادى بين طبقات الأمة ، بكيفية تفسح المجال لإنتاج الطبقات القادرة على تنمية الثروة القومية ، وتسمح فى الوقت نفسه بقدر من الحياة الكريمة للطبقات الضعيفة .. وقد جمع الإسلام شمل هذه الطبقات المتباينة من حيث القدرة والعجز بالتراحم والتعاطف والمودة .. وقيد الملكية بتكاليف مالية تمنع من تضخم الثروات ، وتحد من تفاوت الطبقات ، وتقرب بينها بالمعروف ، برغم أنها تحترم الملكية الخاصة ونظام الإرث) .

إلى أن قلت فى صفحة ٢٧١ أن :

(التشريع الإسلامى يقوم على الاعتقاد بأن الله هو خالق السموات والأرض وما بينهما ، وأن خالق الشيء هو مالكة ، فإذا مكن الله بعض الناس من بعض الأموال فقد منحهم إياها بعد أن تعلقت بها التكاليف العينية التى فرضها الله على الأموال ، فإذا لم يقم المالك بأداء هذه التكاليف فإنه يكون قد أدخل بشروط الملكية مما يوجب على ولى الأمر أن يتدخل بإجبار المالك على تنفيذ ما أمر الله به) .

وشرحت فى صفحة ١٤٦ من مجلد تلك الحلقة كيف تؤدي كفاية الإنتاج إلى كفاية العدل ، فقلت

(. إذا أرادت الدولة أن تعالج أمراضها الاجتماعية علاجاً حاسماً فعلاً فعليها أن تقوم بإنعاش حياتها الاقتصادية بتشجيع الاستثمارات الخاصة والقيام بالمشروعات العامة ، فإذا ما قضت على البطالة وازداد الطلب على العمال ارتفع مستوى أجورهم ، وعندئذ يمكنهم الوصول إلى مستوى اجتماعي أفضل ، لأن الفرد يستهلك دخله فى تغذية أسرته وكسوتها وتعليم أولاده وتطبيب مرضاه ورعاية من يلوذ به من ذوى الحاجات) .

فزيادة الإنتاج فى إطار الحقوق الإسلامية يؤدي تلقائياً إلى تحقيق العدالة الاجتماعية .

وزيادة الإنتاج لا تتحقق بالقدر الممكن والأمثل إلا بتشجيع الحوافز الشخصية سواء فى صورة مشروعات فردية أو شركات مساهمة أهلية ، إلى جانب إنتاج الدولة فى المجالات الأخرى الاستراتيجية والأساسية .

أما أن تقتل الدولة هذه الحوافز الشخصية وتحمل أعباء البطالة الظاهرة والخفية ، ثم تجهض ميزانيتها فى دعم السلع الغذائية والاحتياجات الضرورية ، فإنها سرعان ما تسقط فى أغوار الاستهلاك ولا ترتفع مطلقاً إلى الحد الأدنى للمستوى الممكن للإنتاج ، وبذلك تنجح الدولة فى تحقيق الفقر الاجتماعى بدلاً من السعى إلى تحقيق العدل الاجتماعى .

اعترف بهذه الحقيقة الأزلية الرئيس السوفيتى أندربوف فى مقال منشور فى صحيفة بوسطن جلوب الأمريكية صفحة ٣ بتاريخ ٢٧ يوليه ١٩٨٣ نقلاً عن صحيفة برافدا الناطقة باسم الحزب الشيوعى السوفيتى . ثم عادت نفس الصحيفة الأمريكية فنشرت فى صفحة ٣ يوم ٦ أغسطس ١٩٨٣ ملخصاً للدراسة السوفيتية التى قامت بها قيادة الكرملين والتى انتهت إلى حتمية إجراء تغييرات جذرية فى النظام الإقتصادى السوفيتى لإلغاء العقوبات الإدارية التى تحول دون الاستفادة من الكفاءات الفردية التى تدفعها الحوافز الشخصية وبذلك تأتى القرارات السوفيتية سنة ١٩٨٣ لتؤكد صحة ما تمسكت به سنة ١٩٦٢ وما اختلفت حوله مع سياسة عبد الناصر الاقتصادية .





عقدت إجتماعا لمجلس الوزراء وعرضت عليه تصوراتى الإقتصادية والإجتماعية التى يمكن أن تضع الأهداف التى أعلنتها الثورة موضع التنفيذ .

ربما كانت أذان الوزراء غير صاغية أو غير مستعدة للإستماع إلى أبعاد المعركة الحضارية حيث كانت متسغرة فى تأمل أبعاد المعركة العسكرية .

لعلهم كانوا على حق ، فقد كنت أعرض عليهم صورة جميلة لصرح حضارى بينما كانت الأرض التى سوف يقام عليها ذلك الصرح الحضارى تهتز من تحت مقاعدهم .

أو لعلنى كنت مسرفا فى الثقة عندما كنت أتحدث عن المستقبل الأفضل بينما طلاقات الرصاص من حول صنعاء كانت تصل إلى أذان الوزراء وكأننى كنت أعزف أنشودة المستقبل على ألسانها . مما جعلنى أعيد ترتيب أولويات العمل فبدأت على الفور بالعمل على رفع الروح المعنوية بكل الوسائل الإعلامية ، مع الإسراع بإيضاح موقفنا السياسى والإقتصادى لدى المملكة العربية السعودية بعد أن أذاعت موقفها المؤيد للإمام الحسن ملكا على اليمن واستمرت إذاعتها فى الهجوم على الثورة اليمنية حتى أسرعرت الجماهير اليمنية الغاضبة إلى إحتلال السفارة السعودية فى صنعاء ، فمقت بنفسى بإخلائها من الجماهير واصطحبت معى القائم بالأعمال السعودى الشيخ إسماعيل المعنى إلى مكتبى برئاسة الجمهورية وأكدت له أننا لا نريد أن نرد على الهجوم الإذاعى بمثله ، أملا فى إقناع الحكومة السعودية بصداقتنا وحسن عواطفنا ، وأضفت أن قيادة الثورة تنوى إرسال وفد يمنى على مستوى القمة إلى الرياض لتوقيع أية إتفاقية تراها الحكومة السعودية مطمئنة لها ، وإننا لا نرحب بانتقال الخلاف العربى إلى أرض اليمن ، بل يمكن أن نكون حماية السلام فى ذلك الخلاف ، وأن الذى يجعلنا نتردد فى الإسراع بإرسال هذا الوفد هو تجربة إنقلاب اليمن سنة ١٩٤٨ حين ذهب إلى السعودية القاضى محمد محمود الزبيرى فى مهمة مماثلة فاحتجزته الحكومة السعودية حتى فشل الإنقلاب .

ثم رجوت القائم بالأعمال السعودى أن يتوجه إلى الرياض ليبلغ هذه الرسالة إلى جلالة الملك سعود ، وقلت له أننا سوف نستدل على نجاح مهمته عندما تتوقف إذاعة السعودية عن مهاجمة الحكومة اليمنية ، وعندئذ يتحرك الوفد اليمنى إلى الرياض برئاسة برناستى ، أما إذا استمر الهجوم الإذاعى الذى كان يدعو الشعب اليمنى إلى قطع رؤوسنا فإننا سوف نضطر بكل أسف إلى مواجهة الموقف بمثله .

وبكل أسف ذهب القائم بالأعمال السعودي إلى الرياض في حراسة يمنية حتى جيزان واستمرت الحملة الإعلامية السعودية ضد الثورة اليمنية فأضطرننا إلى الرد عليها ، وكان ماكان ، من الأحداث التي كنا نأمل في تفاديها وكان عبد الناصر نفسه يرحب بأن نتجنبها .

أصدرت قرارا بتعيين الدكتور حسن مكى نائبا لى فى وزارة الإقتصاد برتبة نائب وزير ، وقرارا بتعيين الأستاذ محسن السرى نائبا لوزير الخارجية ، كما أصدرت قرارا بتعيين النقيب السيد محمد حسين الشامى قائدا لحرسى الخاص ، وقد اخترته لأنه هاشمى السلالة كى أثبت بالدليل القاطع أن قيام الثورة الجمهورية لم يضر بأى مواطن هاشمى طالما كان متجاوبا مع أهداف الثورة ، التى تستهدف تحقيق العدالة والمساواة أمام القانون بين جميع أبناء اليمن .

كان النقيب السيد محمد حسين الشامى هو الوحيد الذى سمحت له بأن يدخل غرفة نومى حاملا مدفعه الرشاش وهو يوقظنى من النوم لإبلاغى عن المواقف العسكرية الحرجة ، التى كانت تصل من القيادات فى المناطق المختلفة أثناء السويغات القليلة التى كان يغالبنى فيها النوم . وكان حريصا على حياتى أكثر من حرصه على نفسه .

أصدرت قرارا بتعيين هاشمى وطنى آخر هو السيد عبد الوهاب جحاف ليكون كاتم أسرارى ومرافقى الصحفى ومندوب الإذاعة اليمنية الذى بصاحبى فى جميع تحركاتى . كان العميد المصرى على عبد الخبير يشغل إحدى غرف القصر الجمهورى كما شغل ضابط الشفرة المصرى النقيب محمد عبد السلام محبوب ورجاله ومعداته غرفتين بالقرب من غرفتى التى يشترك معى السلال فى الإقامة فيها والتى الحقّت بها غرفة فسيحة لا استقبال الضيوف وعقد الاجتماعات .

طلبت من السلال إعلان تشكيل مجلس الدفاع الأعلى فاستدعى الزميل القاضى عبد السلام صبره لإعداد هذا التشكيل بحكم معرفته برؤساء وشيوخ القبائل ، فأجاب القاضى عبد السلام صبره بأنه لا يذكر منهم الكثيرين وأنه بحث فى دوائر المالية فلم يجد سوى القوائم القديمة التى مات معظم من تضمنتهم ، واقترح أن ندعو مشايخ الضمان من الإذاعة للإجتماع فى صنعاء فى اليوم الذى نحدده على أساس أن كل شيوخ الضمان يعرفون أنفسهم وأكد أنه لن يأتى غيرهم إلى صنعاء .

اتفقنا على هذا رأى وأذيعت الدعوة إلى عقد هذا المجلس بعد إسبوعين حتى يتمكن رؤساء وشيوخ المناطق البعيدة من الوصول إلى صنعاء .

كنت أنتظر أن تسارع حكومة ألمانيا الاتحادية (الغربية) إلى الاعتراف بالجمهورية العربية اليمنية نظرا لما كان بينى وبين وزير خارجيتها الهر فون برنتافو من علاقات شخصية قوية ، وكذلك معظم المسؤولين الألمان الذين سبق أن سمحوا لى بإلقاء محاضرة فى مدينة دورتموند أهاجم فيها النظام الإمامى وأدعو إلى الثورة وقيام الجمهورية اليمنية ، فلما تأخر الاعتراف الألمانى الغربى بحكومتنا الجمهورية أرسلت رسالة إلى الهر فون برنتافو أعاتبه على تأخره فأعلن إعتراف بلاده بالجمهورية اليمنية فى الحال . فكانت أول دولة غربية تعترف بالجمهورية اليمنية .

أثناء قيام العميد على عبد الخبير بجرد مخازن السلاح وصلت بضغ طائرات مصرية بعد أن تم تركيب حوامل القنابل بأسفلها ، فجاءنى العميد على عبد الخبير ومعه طلب من المقدم عبد الله جزيلا ن لضرب منطقة عمران بالقنابل من الجو بسبب هروب البدر إليها ، واستأذنتى العميد فى ذلك بصفتى نائب القائد العام فرفضت إعطاء الإذن بضرب هذه المنطقة لأنها من المناطق التى أيدت النظام الجمهورى ، ولا يجوز ضرب منطقة آهلة بالسكان لمجرد مطاردة فرد ولو كان ذلك الفرد هو الإمام البدر المخلوع ، لاسميا أن معلوماتنا المؤكدة كانت تقطع بأن البدر كان بعيدا كل البعد عن مدينة عمران .

قلت للعميد على عبد الخبير أننا لو أمسكنا بالبدر لما قتلناه لأنه لم يرتكب جريمة يقتل من أجلها ، ذلك لأنه كان فى عهد والده الإمام لا حول ولا قوة ولم يقيم بشيء يحاسب عليه بالإعدام خلال الخمسة أيام التى تولى فيها الإمامة فى اليمن ، وكل ما نبتغيه من مطاردته هو القبض عليه حيا وإحضاره إلى صنعاء ومحاكمته محاكمة علنية ، حتى يحكى للشعب كيف كان والده يحكم اليمن ثم يحكى ما يعرفه عن جده الإمام يحيى وأعمامه سيوف الإسلام ، وبعد ذلك نطلق سراحه حتى يختار أية دولة عربية يقيم فيها على حساب حكومة الجمهورية العربية اليمنية إلى أن تستقر الثورة فيعود إلى اليمن الجمهورى مواطننا جمهوريا له ما لنا وعليه ما علينا .

انصرف العميد على عبد الخبير وطوى فى جيبه ورقة جزيلا ن .

وصلتنى نصيحة من الرئيس جمال عبد الناصر بأن أغلق السفارتين الأمريكية والبريطانية لأنهما لم يعترفا بالنظام الجمهورى اليمنى ، فاعتذرت عن الأخذ بهذه النصيحة قائلا إن وجود هاتين السفارتين فى اليمن فى وقت الحرب أهم بكثير من وجودهما فى وقت السلم ، لأننا عن طريقهما نتمكن من إبلاغ ما نريد إبلاغه إلى واشنطن ولندن ، وعن طريقهما تعرف واشنطن ولندن نوايانا بصفة مباشرة وليس عن طريق وكالات الأنباء أو سفارات الدول الأخرى ، لا سيما أننا لن نخسر شيئا من وجودهما بينما فلهما عملاء مندسون فى صفوفنا وفى وسع هؤلاء العملاء أن يشوهوا صورتنا فيعرفلوا مسعانا نحو إقناع هاتين الدولتين بالكف عن عدواننا وتسليح خصومنا . كذلك إنهما ليسا فى حاجة إلى إستخدام الحقائق الدبلوماسية فى عمليات تهريب السلاح إلى هؤلاء الخصوم فحدودنا مفتوحة ومترامية الأطراف وبعضها بعيد كل البعد عن متناول أيدينا .

سألنى الرئيس جمال عبد الناصر عما إذا كنت أعرف قاعدة دولية واحدة تسمح ببقاء سفارة لدولة أجنبية على أراضي دولة أخرى لا تعترف بها ، قلت أن القانون الدولى عبارة عن سوابق تولد عندما تحدث لأول مرة ، وعندما يثبت نفعا فى المجتمع الدولى فإن دولا أخرى تنتفع من تطبيقها ، وبتكرار هذه السوابق يتعارف المجتمع الدولى على اعتبارها من قواعد القانون الدولى . وليكن السماح بوجود هاتين السفارتين الأمريكية والبريطانية على أراضي الجمهورية العربية اليمنية دون أن تعترفا بها أول سابقة من هذا النوع تهديها حكومة الثورة اليمنية إلى المجتمع الدولى ، فإذا ما ثبت فائدتها فإنها تصبح ضمن قواعد القانون الدولى منسوبة إلى ثورة اليمن .

أبقيت على هاتين السفارتين ودعوت سفيريهما ضمن من دعوت من السفراء لحضور مؤتمر دبلوماسي في القصر الجمهوري ، حيث أقيمت كلمة في هذا المؤتمر شرحت فيها ظروف اليمن قبل الثورة وأسباب قيامها والأهداف التي تسعى إليها ، واستنكرت مواقف بعض الدول التي ناصبت الجمهورية اليمنية العداء دون مبرر . وختمت كلمتي بقولي إنني كنت سفيرا مثلهم وأعرف أن السفراء يميلون عادة إلى إجراء أحاديث ثنائية مع المسئول في الدولة المعتمدين لديها ، وقلت أنني سأنتقل إلى غرفة مكنتي في الطابق الأعلى أنتظر أي سفير يريد أن يتحدث معي على انفراد .

أذكر أن السفير البريطاني عندما تحدث معي على انفراد سألتني عن أسباب إعدام وزير الإقتصاد الإمامي السيد عبد الرحمن عبد الصمد أبو طالب فقلت إنني شخصيا ضد قرارات الإعدام التي صدرت دون محاكمة ، وإنني كنت أفضل أن تستفيد الثورة ، في وقت لاحق ، من رجال العهد الماضي ، لكنني عجبت من هذا السؤال وقلت له إنه بهذا السؤال قد أدخل بموازين المعلومات التي كانت عندي لأنني كنت أتوقع أن يسألني عنه السفير الأمريكي باعتباره رجل أمريكا الذي كانت تعدده للإنقلاب في اليمن وليس رجل بريطانيا ، أما رجل بريطانيا الذي كانت تعدده هي الأخرى للإقراض على السلطة في اليمن فقد كان السيد حسن بن إبراهيم وزير الخارجية .

سقط في يد السفير البريطاني وانتقل إلى موضوع آخر حول الحدود بين الجمهورية اليمنية وبين جنوب اليمن المحتل ، فرجوته ونحن نحتكم للعقل ، ألا يتوقع منا أن نكون أقل وطنية من الإمام يحيى والإمام أحمد اللذين لم يعترفوا بشرعية الوجود البريطاني في الجنوب المحتل .

وقلت أننا لن نرسل جيوشنا لتحرير الجنوب وإنما نطالب بريطانيا بالاعتراف بحقه في تقرير المصير تحت إشراف الأمم المتحدة ، وهذا حق كفله ميثاق الأمم المتحدة لكل الشعوب المستعمرة ، وقلت له أننا سوف نحترم إرادة المواطنين في هذا الجنوب المحتل طالما كانت إرادة حرة لم يكرهها ضغط ولا إرهاب ، وأننا تحت شعار حق أهلنا الجنوبيين في تقرير مصيرهم نتطلع إلى إنشاء علاقات وثيقة مع بريطانيا العظمى .

انصرف السفير سعيداً بهذا اللقاء ، وتذكرت حسرتي على من قتلتهم الثورة قبل وصولي وكان الأولى بها أن تحافظ عليهم معتقلين حتى تستقر الثورة فيأخذوا حقهم ويؤدوا واجبهم كمواطنين في ظل الجمهورية التي تؤلف قلوب أبنائها .

أنهم وأن كانوا في ظل النظام الإمامي أسرى للطغوس العنصرية والتقاليد المذهبية فإنهم لم يذوقوا طعم النهضة في اليمن ، ولم يجربوا حلاوة الإرتفاع بمستوى المعيشة ، فعاشوا داخل اليمن في أقفاص الشعارات الكهنوتية ، بين قضبان العصبية العنصرية والمذهبية التي لا تسمن ولا تشبع من جوع .

إذا ما اكتفت الثورة بإعتقالهم حتى تستقر أمورها وتثبت أقدامها ثم تطلق سراحهم ليستأنفوا نشاطهم في ظل الجمهورية المستقرة الثابتة الأقدام ، فإنهم يشتركون في بناء نهضة اليمن وصنع حضارتها الحديثة ، وقد يخرج من بينهم من يقتدى أثر عمر بن

الخطاب وخالد بن الوليد وغيرهم من الذين كانوا يتصدون للإسلام ثم أصبحوا من قادة المسلمين الذين خلدتهم التاريخ بعد أن عرفوا أنه لا سيد إلا الله فذاقوا حلاوة الأيمان بالواحد الأحد الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، الذى دعا إلى العدالة والمساواة فألف بين قلوب المسلمين فأصبحوا بنعمته إخوانا ففتحوا المشرق والمغرب والشمال والجنوب وأسسوا الدولة الإسلامية المجيدة .

لكن وأسفاه .. لقد تعجلت الثورة وأخطأت عندما أعدمته الكثيرين من رجالات اليمن الذين لا يحق عليهم القصاص بالقتل سوى الشيخ عاطف المصلى الذى خان الثورة وأفشى للبدر أسماء الثوار فعرضهم جميعا للموت ومعهم أهداف الشعب وأحلامه .

وأحمد الله إننى سوف ألقاه ولا يسألنى عن دماء هؤلاء التى سفكها المتشجعون وكنت لا أزال فى طريقى إلى صنعاء بعد الثورة ، كما أحمد الله الذى وفقنى ، بمجرد وصولى إلى صنعاء ، إلى وقف تلك المذبحة الوحشية المناقضة لمبادئ الجمهورية .



تدريب المتطوعين من شباب الحرس الوطني للدفاع عن الثورة



وصل الأستاذ محسن العيني وزير الخارجية من بغداد عن طريق القاهرة حيث استقل طائرة مصرية خاصة ملأها بعدد من الطلبة اليمنيين ، بينما كان من المتفق عليه أن يستمر الطلبة في دراستهم في مصر حتى تستقر الثورة فلا تنتقل خلافاتهم الحزبية إلى أرض المعركة في اليمن ، حيث كان بعضهم ينتمي إلى جزب البعث المعارض لجمال عبد الناصر . وكان لهؤلاء الطلبة اليمنيين نشاط في مصر تحملته الحكومة المصرية إشفاقا عليهم أو على اليمن ، لكن حكومة الثورة اليمنية ما كانت تستطيع أن تتحمل مثل هذا النشاط الحزبي إذا ما فرضوه عليها وهي في أمس الحاجة إلى عدم الدخول في معارك فرعية تستنفذ طاقاتها المتواضعة المسخرة في معركة تثبيت الجمهورية .



الدهبون
اس في
نى على
السير
في كل
الملكى
قارة
الرجعى
من كل
رجعية ،
: أن من
هو
تى راية
رغة في

اجتماعات مستثمرة لمجلس الوزراء : يعقدها الدكتور البيهاني

من اليمن السيد أحمد حسين المرونى وزير الأعلام ، النقيب محمد قائد سيف عضو مجلس قيادة الثورة ، الأستاذ محسن العيني وزير الخارجية ثم المؤلف .

صورة منقولة عن مجلة آخر ساعة .

ما إن وصل هؤلاء الطلبة إلى صنعاء حتى سلمتني دوائر الأمن اليمنية منشورات تحمل في عنوانها (أيها المصريون .. ارفعوا أيديكم عن اليمن) ولم يكن قد وصل إلى اليمن حتى تلك اللحظة سوى العميد على عبد الخبير والنقيب عبد السلام محجوب وثلاثة من زملائه ، بينما كان البدر يتجه إلى منطقة حجة . والنقيب الجمهوري عبد الرحمن التريزي يحذرنا من قرب سقوط منطقة صعده على الحدود السعودية . كانت هذه المنشورات مطبوعة خارج اليمن ، وعندما أطلعت الرئيس السلال عليها إتفقنا على إعادة جميع هؤلاء الطلبة إلى الدراسة في مصر .

عقدت إجتماعا برئاستي لمجلس الوزراء لمناقشة الموقف العسكري المتردى وشرحت ضرورة أن يعمل كل وزير على تعبئة ما يمكنه من الطاقات الجماهيرية لرفع الروح المعنوية لدى أبناء الشعب حتى يتحول أكبر عدد منهم إلى سلاح إيجابي يحمي الثورة ويدافع عن أهدافها ، وأوضح للمجلس أهمية الروح المعنوية في معركة يدور رحاها بين مواطنين تمزقهم التيارات المتعارضة والأفكار والعقائد المتناقضة ، التي تتقاذفها ذات اليمن وذات اليسار .

قال وزير الخارجية الأستاذ محسن العيني أنه على وشك السفر إلى نيويورك للدفاع عن الثورة والجمهورية أمام هيئة الأمم المتحدة فوافقته على رأيه .

واقترح وزير المعارف القاضي محمد محمود الزبيرى أن يسافر على رأس وفد إلى الرياض لإقناع الحكومة السعودية بالإعتراف بالجمهورية اليمنية ، فرويت للمجالس كيف أرسلت القائم بالأعمال السعودي برسالة إلى جلالة الملك سعود ولم تستجب الحكومة السعودية لمبادرتنا اليمنية ولذلك لم تعد هنالك جدوى من سفر الزبيرى إلى الرياض فضلا عن تمتع الزبيرى بعلاقات جيدة مع الكثيرين من القبائل اليمنية ، الأمر الذى يحسن معه أن يبقى في اليمن كي يستثمر هذه العلاقات في صالح الثورة .

بينما كنا نتناقش في هذا الموضوع في مجلس الوزراء وصلتنى ورقة سرية من الرئيس السلال تتضمن برقية وصلت من الرئيس جمال عبد الناصر بواسطة النقيب محمد عبد السلام محجوب تفيد بأن طائرة حربية سعودية قد لجأت إلى مصر وعليها ثلاثة من الطيارين السعوديين ، وأنها كانت تحمل أسلحة وذخيرة كان المفروض أن تصل إلى نجران لتسليح القبائل المحاصرة لمنطقة صعده فقرأت هذه الرسالة على المجلس .

حضر ذلك الاجتماع كل الوزراء بإستثناء وزير العدل القاضي عبد الرحمن الارياني الذى كان لا يزال ملازما بيته في تعز ، فأرسلت إليه برقية استنكر تأخره في تعز وأستعجل وصوله إلى صنعاء حتى ينهض بالمهام الملقاه على عاتق وزارة العدل ، لأنه لم يكن من الحكمة السياسية أن يقف بعض الوزراء موقف المتفرج حتى تنتهى المعركة العسكرية في المناطق المتمردة . بل كان من أولويات هذه الحكمة أن تسارع إلى البدء في تنفيذ المشروعات العمرانية والإصلاحية حتى نشد الأنظار إلى متابعتها ولا نترك هذه الأنظار مستغرقة في متابعة المعارك العسكرية ، وكان ذلك فى نظرى أهم الأسلحة

السحرية التي تقنع المسالمين والمتمردين بأهداف الثورة الجمهورية فيقوى المسالمون سلاماً ، ويضعف المتمرّدون تمرداً . فبدأت أعقد المؤتمرات الإقتصادية وسط طلقات الرصاص التي أصبحت مألوفة في صنعاء ، والتي كنت والسلال لا ننام إلا على أنغامها المستمرة .

أرسلت وزير التجارة الزميل عبد الغنى مطهر إلى القاهرة لاختيار السلع المصرية التي إتفقت مع الرئيس جمال عبد الناصر على منحها لليمن كقرض في حدود مليون جنيه ، يسدد على أجل طويل بعد بيعها في السوق اليمنى المحلى وحصول الحكومة اليمنية على حصيلتها لتمويل نفقاتها الإضافية . وطلبت من الزميل عبد الغنى مطهر ألا يغيب في مصر أكثر من يومين كي يستأنف نشاطه السياسى في تعز ، حيث كان ، إلى جانب عمله وزيراً للتجارة ، مكلفاً مع زملائه في تعز بالحفاظ على ولاء اليمن الأسفل للثورة ، وتجنيد أفراد الحرس الوطنى من المتطوعين من أبناء هذه المنطقة ومن عدن والجنوب اليمنى المحتل ، وقد نجح الزميل عبد الغنى مطهر وزملاؤه في هذه المهمة أعظم النجاح .

أتم العميد على عبد الخبير جرد مخازن السلاح في اليمن وقدم الى قائمة بإحتياجات اليمن من مختلف الأسلحة والذخائر التي تكفى لإنشاء جيش يمنى على الطراز الحديث ، فعرضتها على الرئيس السلال واتفقنا على إرسال عضو مجلس قيادة الثورة النقيب محمد قائد سيف إلى موسكو وكان في ذلك الوقت وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية ، فحملناه رسالة إلى الرفيق خروشوف نطلب فيها هذه الأسلحة والذخيرة . كما سلمت صورة من هذه القائمة للسفير السوفيتى في صنعاء .



الأستاذ محسن العيني وزير الخارجية يغادر صنعاء في طريقه إلى نيويورك

رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا
بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ

قرآن کریم

الوعد الحق

الفصل العاشر



فى يوم الجمعة ٥ أكتوبر ١٩٦٢ وصلت إلى ميناء الحديد الباخرة المصرية « السودان » وعليها السرية المصرية التى اتفقت مع الرئيس جمال عبد الناصر على وصولها ، وهى كما سبق أن ذكرت فى هذا الكتاب تتكون من مائة ضابط وجندى مع أسلحتهم الخفيفة وذخيرتهم اللازمة واحتياجاتهم من الشؤون الإدارية ، فسافرت بنفسى إلى الحديد حيث كان فى إنتظارى هناك العميد على عبد الخبير للإحتفال باستقبال المساعدة العسكرية المصرية ومعه مدير مكتب المشير عامر العقيد بحرى محمود عبد الرحمن فهمى^(١) الذى سلمنى رسالة شخصية من المشير وكان قد وصل مع هذه السرية .

خرج إلى الميناء عشرات الألوف من أبناء الحديد وتهامة الذين جاءوا من أنحاء اليمن للإحتفال بهذا الحدث التاريخى العظيم .

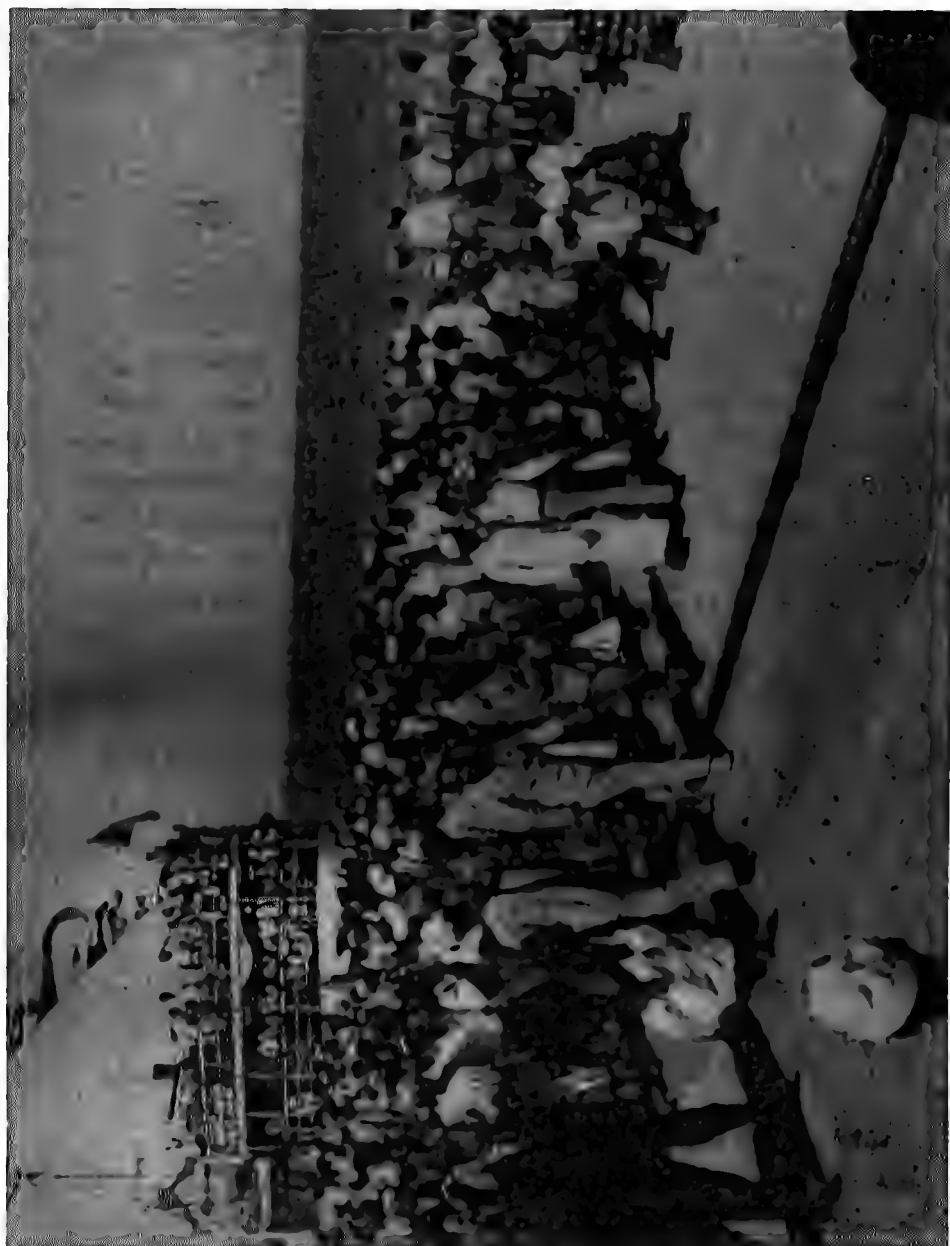
ألقيت كلمة فى هذه الجموع الحاشدة فى الحديد قلت فيها :

(إننا قد قمنا بالثورة من أجل الشعب اليمنى كله الذى أصبح بعد الثورة أسرة واحدة متراحمة متعاطفة وجسدا واحدا إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، وأننا قد أصبحنا بنينا يشد بعضه بعضا ، ولذلك فإننا نشفق على أنفسنا عندما نرى التيارات المغرضة وقد نجحت فى التغرير ببعضنا والتزييف عليه للإنقضاض على مكاسبه الثورية التى نسعى إلى تحقيقها من أجله ومن أجل جميع أبناء اليمن) .

وأضفت قائلا

(إن أهداف الثورة معروفة وعلى رأسها التمسك بالعودة إلى شريعة الإسلام التى أهدرها الأئمة السابقون ، وتنفيذ مشروعات النهضة الحضارية فى جميع أنحاء اليمن ، وإحترام حقوق جميع أبناء اليمن الذين أصبحوا جميعا متساويين أمام القانون ، وأننا لن نترك أية كفاءة يمنية دون الإنتفاع بها من أجل بناء صرح المجتمع اليمنى الجديد) .

(١) الفريق محمود عبد الرحمن فهمى قائد البحرية المصرية ثم وزير النقل البحرى المصرى فى وقت لاحق .



المؤلف يستقبل في ميناء الحديد أول سرية عسكرية مصرية (٥ أكتوبر ١٩٦٢) على
يمين المؤلف العميد على عبد الغنير ثم منسوب الإذاعة اليمنية ثم العقيد بحري محمود عبد
الرحمن فهمي .

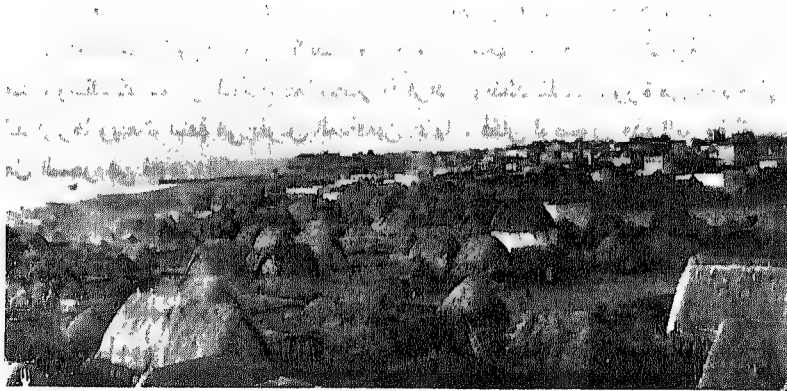
واستطردت قائلاً :

(إننا نناشد جميع الذين وقعوا ضحية للتفريغ والتزييف والتضليل أن يتأملوا في مستقبل اليمن ، وأن يشتركوا معنا في بناء دولتهم الحديثة ، فإننا لم نقم بالثورة ليحارب بعضنا بعضا ، وإنما قمنا بها من أجل تحطيم الأسوار التي كانت تعزل اليمنيين بعضهم عن بعض وتحول دون تعاونهم على رفع مستوى معيشتهم) .

وختمت كلمتي بقولي

(إن المساعدات العسكرية المصرية التي نحتفل بوصولها إنما جاءت إلى اليمن تعبيرا من شعب مصر العريق عن تضامنه مع شعب اليمن الباسل ، الذي قرر أن ينفذ عن نفسه غبار الزمن ، كما جاءت هذه المساعدات العسكرية تؤكد للشعب اليمني أنه لا يقف وحده ، إذا ما لا قدر الله ، قامت إحدى الدول بمهاجمة الثورة اليمنية والتصدي لها داخل أراضيها ، الأمر الذي نبذل كل ما في وسعنا كي نتفاداه حتى نتفرغ بكل طاقاتنا لبناء المستقبل اليمني الأفضل) .

ما كدت أستقر في طائرتي متجها إلى صنعاء حتى أبلغني محافظ الحديدة بأن حريقا قد اشتعل في عشرات البيوت المقامة من أعواد الشجر والبوص والقش ، وكان هذا النوع من البيوت منتشرا في ساحل تهامة الحار الرطب .



أحد أطراف مدينة الحديدة حيث المساكن المقامة من القش والبوص .

رجعت من الطائرة واتجهت مع كل من كانوا معى إلى منطقة الحريق وأذكر أننى شاهدت نفس هذه المنطقة تحترق مرتين على مدى ست سنوات فى عهد الإمام أحمد ، وكان الإمام يعد فى كل مرة بإعادة بنائها بإسلوب آخر يتفادى سرعة إنتشار الحرائق لكنه لم يفعل . وكان سكان هذه البيوت المحترقة ينامون فى العراء حتى يعيدوا بناءها بنفس الطريقة القديمة التقليدية .

أصدرت أمرا إلى محافظ الحديدة بأن يفتح القصور والبيوت المصادرة فى الحديدة وإسكان هؤلاء الأهالى حتى تتم إعادة بناء بيوتهم بالإسلوب الأفضل ، كما أمرت الرائد محمد الرعيني القائد العسكرى لمنطقة الحديدة بالبحث عن الجناة إن كانت هناك ثمة شبهة جنائية وراء ذلك الحريق وعدت إلى المطار .

وفى طريق الطائرة من الحديدة إلى صنعاء تلقيت إشارة من الرائد محمد الرعيني يبلغنى فيها بأنه قد تم القبض على المتهم بإشعال ذلك الحريق ، وقال أنه الشيخ صالح الجبلى صاحب محلج فطن فى الحديدة وشقيق الشيخ على محمد الجبلى الذى كان يتاجر بأموال اليمن بإسم الإمام ولحسابه ، فأرسلت إليه ردا أقول فيه أنه لا شأن عندى بإسم المتهم وأن القضاء يأخذ مجراه وأن الثورة تجب ما قبلها ولذلك ينبغى أن يأخذ المتهم حقه الشرعى الكامل فى الدفاع عن نفسه .

وصلت إلى صنعاء وأبلغت الرئيس السلال بنتائج مهمتى فى الحديدة بينما كانت إذاعة صنعاء تذيع كلمتى التى ألقيتها فى الاحتفال بوصول المساعدات العسكرية المصرية .

كان الرئيس السلال فى قمة سروره عند وصول هذه المساعدات ، لأننا كنا خلال الأسبوع المنصرم بعد قيام الثورة كلما جهزنا جيشا وسلحناه وأرسلناه إلى إحدى المناطق المتمردة سمعنا أن أفرادهم قد تفرقوا وذهب كل منهم إلى قبيلته ، فإن كانت متمردة تمرد معها ووقف ضد الثورة ، وإن كانت مواليه والى معها ووقف مع الثورة ، ولكن من بعيد ، وبذلك كنا نخسر السلاح كما نخسر الأفراد . ولذلك كانت الثورة فى حاجة إلى من يشد أزرها ويبعث الثقة فى نفوس المدافعين عنها . فكان لوصول هذه السرية المصرية فعل السحر فى نفوس الكثيرين الذين هبوا للدفاع عن الثورة .

ونادينا المواطنين إلى التطوع لإنشاء الحرس الوطنى فكان مشهدا مثيرا حين أقبل على التطوع معظم أبناء صنعاء الباسلة ، وكان أغلبهم من سن العاشرة إلى الخامسة عشر . وكان أهلهم يأتون معهم إلى معسكرات الحرس الوطنى وهم يشدون من أزرهم ويشيرون حماسهم ولو أنهم كانوا فى غير حاجة إلى حماس أكثر مما كانوا عليه .

كان أهل صنعاء مجمعين على تأييد الثورة والجمهورية ، كان أغلبهم مؤمن بها وكان بعضهم يخشى على صنعاء من إفتحام القبائل لأسوارها ، كما فعلت قبل ذلك إثر إنقلاب عبد الله الوزير سنة ١٩٤٨ فأراد هذا البعض أن يدافع عن صنعاء لذات صنعاء وكان ذلك فى نظرى عنصرا إيجابيا ما دامت عاصمة الثورة فى صنعاء التى يجب أن تكون كذلك إلى الأبد .

توافد على معسكرات الحرس الوطني عشرات الألوف من أبناء اليمن الأسفل الذي لم تتمرد منه أية منطقة ، كما وصل إلى صنعاء عشرات الألوف من أبناء عدن وجنوب اليمن المحتل . وكان قائد الحرس الوطني الملازم أول هادي عيسى يستقبل هذه الألوف ولم يكن في وسعه أن يعد لهم الأماكن الكافية للإقامة ، فكان يوزع عليهم الأسلحة بمجرد وصولهم إلى صنعاء ثم يرسلهم إلى المعارك دون تدريب .



الرئيس السلال والمؤلف يستقبلان شباب الحرس الوطني



متطوعون من الشباب ، لا يعرفون من فتون الحرب سوى الاستشهاد من أجل المستقبل
الأفضل .



استغل المقدم عبد الله جزيلان الروح الفدائية المثالية المعروفة عن الزميل على عبد المغنى فزين له أن يقبض على البدر فى منطقة حددها فصدقه الزميل على عبد المغنى كى يتوج تاريخه بالقبض على الإمام المخلوع ، وذهب إلى تلك المنطقة بعد أن أخبر الرئيس السلال بصفته القائد العام ، وكنت فى ذلك الوقت خارج صنعاء وماكنت أوافق مطلقا على أن يترك على عبد المغنى عضو مجلس قيادة الثورة موقعه فى القيادة العامة ليشترك فى معركة فرعية لا يوجد فيها أى أثر للبدر ، الذى كنا نتابع تحركاته خطوة خطوة ، كما كنت سأعترض بشدة على موافقة السلال لأن على عبد المغنى لم يكن مجرد ضابط عسكرى يعرف إستخدام الأسلحة ويجيد الكر والفر فحسب ، وإنما كان مخططا عبقريا وقائدا إستراتيجيا ملهما فكان من أهم إحتياجات الثورة ألا يتحرك على عبد المغنى من مقر القيادة العامة فى صنعاء وهو رائد التنظيم العسكرى الذى قام بالثورة .

كان المفروض أن نحافظ عليه كشاب مؤهل للزعامة كى يحمل مع زملائه الشباب مشعل الثورة وقيادة الجمهورية عندما يأتى دورهم .

ولكن ..

حكم القدر ..

ووقعت الكارثة ..

وجاء الناعى يخبرنا بأنه وقع فى شرك كمين منصوب قضى على حياته وحياة من كانوا معه . وإنا لله وإنا إليه راجعون .

أرسلت عضو مجلس قيادة الثورة الزميل عبد القوى إبراهيم حاميم إلى تعز لإقناع وزير العدل القاضى عبد الرحمن الأريانى ، حتى يطمئنه على الموقف العسكرى فيقتنع بالخروج من بيته ، والوصول إلى صنعاء للإشتراك فى العمل السياسى الذى يحتاج إلى تكامل جميع الجهود الوطنية ، لا سيما بعد أن وصلت المساعدات العسكرية المصرية إلى اليمن .

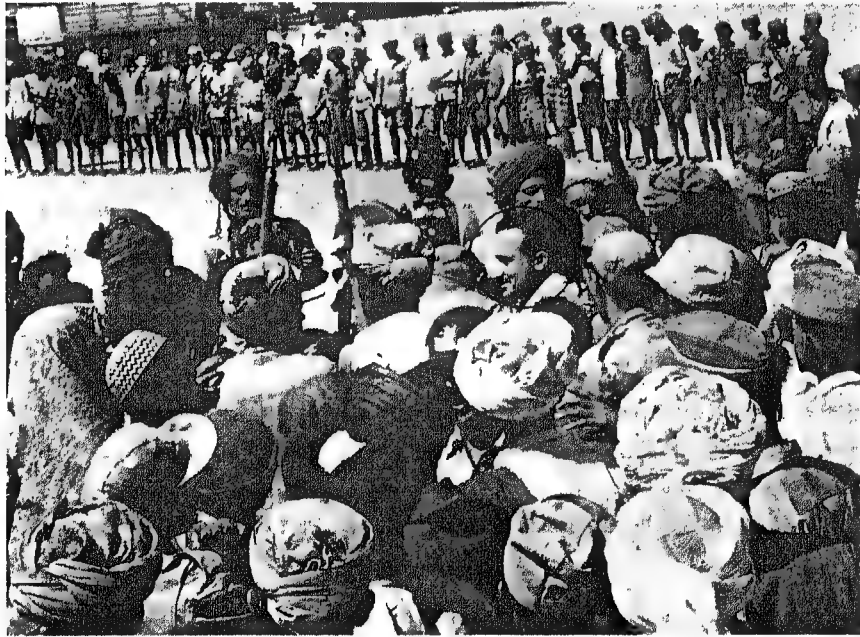
نجح الزميل عبد القوى فى مهمته فاتجه القاضى الأريانى إلى الحديدة وشاهد بنفسه الباخرة المصرية (السودان) والمعدات العسكرية المصرية ، ومجموعة الضباط والجنود المصريين وهم يتأهبون للسفر إلى صنعاء برا على الطريق الجديد الذى بناه الصينيون ، وأتموا بناءه قبيل ذلك التاريخ بأشهر قلائل ، كما تم إكمال العمل فى ميناء الحديدة فى وقت معاصر .

وهذا يؤكد سلامة تقديري لتوقيت الثورة في النصف الثاني من عام ١٩٦٢ وليس قبل ذلك على الإطلاق لأنه بدون إتمام العمل في ميناء الحديد وإكمال الطريق إلى صنعاء لم يكن في الإمكان أن تصل المساعدات العسكرية إلى اليمن وتتجه إلى صنعاء ثم إلى غيرها من المراكز الهامة .

وبغير أن يتأكد الثوار اليمنيون من جدية وعد الرئيس عبد الناصر بإرسال مساعدات عسكرية رمزية إلى اليمن ما كان في وسع أحدهم أن يقبل الاشتراك في الثورة .

هكذا بعد أن تأكد القاضي عبد الرحمن الأرياني بنفسه وشاهد بعينه وصول هذه المساعدات العسكرية جاء إلى صنعاء وهنأني على نجاح الثورة ، وقال أنه قد أطمأن فعلا على سلامة ودقة الخطة الثورية ، وأصبح حينئذ على إستعداد للقيام بمهام منصبه عضوا في مجلس قيادة الثورة ووزيرا للعدل .

أعتبرت ذلك نصرا من عند الله لأن شخصية القاضي الأرياني ذات وزن كبير لدى العلماء ورؤساء القبائل وعامة الشعب ، وفي وسعه أن يذهب إلى ساحات القتال لإقناع المتمردين بالعودة إلى الصفوف الجمهورية التي قامت من أجلهم وتعمل لمصلحتهم .



المؤلف أثناء قيامه بتجهيز حملة عسكرية من المتطوعين اليمنيين للدفاع عن صنعاء
(أكتوبر ١٩٦٢)



وصل أنور السادات إلى صنعاء ، وكنت في إستقباله في المطار ، وتوقعت أن يبشرني بأنه جاء إلى اليمن ليتولى منصبه سفيراً لمصر في صنعاء كما سبق أن اتفقت على ذلك مع الرئيس عبد الناصر أثناء التحضير للثورة . فكان وجوده معنا في صنعاء يجعل عبد الناصر أكثر إقتراباً من فهم اليمن ، ويجعلنا أكثر إقتراباً من فهم عبد الناصر ، كما أن إشتراكه معنا في تقدير المواقف السياسية والعسكرية المتغيرة يجعلنا (يمنيين ومصريين) أكثر إقتراباً من الصواب ، وأكثر إبتعاداً عن الخطأ . وكان ذلك أعظم نجاح لليمن وأخلد تاريخ لمصر .

ولم يكن منصب رئيس مجلس الأمة في مصر أكثر إغراء للسادات من الإشتراك في إعادة صياغة التاريخ في اليمن .

كنت في قمة السعادة عندما ذهبت إلى المطار لإستقبال السادات أول شخصية مصرية تاريخية تصل إلى اليمن على إثر ميلاد الثورة اليمنية ليشترك معنا في حضانتها ورضاعتها وحمايتها في مهدها .

ثم خاب أملى عندما فاجأني السادات بأن الرئيس عبد الناصر استجاب لإصرار المشير عبد الحكيم عامر الذي صمم على أن يقوم بنفسه بإدارة العلاقات المصرية اليمنية طالما كانت اليمن في حاجة إلى مساعدات عسكرية مصرية ، وبالتالي لا داعي لإقامة السادات في صنعاء . اضطر عبد الناصر إلى قبول إصرار عبد الحكيم عامر ، واضطر السادات إلى زيارة اليمن كزائر .

قلت للسادات أنني أفهم من ذلك أن المشير عامر يريد أن يسترد في صنعاء إعتباره السياسي الذي فقده في دمشق . ثم أبديت للسادات قلقى من ظهور بوادر المأساة السورية في اليمن . ولم أفهم لماذا لا تريد مصر أن تستوعب الدرس المستفاد من أسباب الانفصال السوري ، ولم أعرف ذنب اليمن التي تصورت أن مصر قد استوعبت هذا الدرس .

هدأ السادات من روعى وطمأننى على أنه لن يتخلى عن الإهتمام بالشئون اليمنية وأن عبد الناصر لن يتردد في إتخاذ القرارات المصيرية التي تتعلق بالعلاقات المصرية اليمنية .

توجهنا معا إلى ساحة ثكنات الجيش والتقينا بالرئيس السلال حيث كنا قد تهيأنا لعقد المؤتمر الشعبى الذى أعددناه بعد أن وصلت إلى صنعاء الألوف من رجال القبائل ،

وأدعى الكثيرون منهم أنهم شيوخ الضمان ورؤساء العشائر وعقال القبائل ، وأنهم جاءوا إلى صنعاء بناء على الدعوة التي أعلنها من الإذاعة لتشكيل مجلس الدفاع الأعلى .

كان أحد مدعى الإمامة قد نصب نفسه إماما في منطقة أنس ولقب نفسه بالإمام المنتقم لله وأعلن الإستيلاء على هذه المنطقة القريبة من صنعاء ، كما أعلن الجهاد ضد الجمهورية وطالب برأسي السلال والبيضاني .

تعددت مع السلال على أن نسمع المطالبة برأسينا كل ليلة ، سواء كان ذلك من الإذاعات المعادية التي كانت تنادى رجال الحرس الجمهورى الذين كانوا يحرسوننا بأن يقطعوا رأسينا تكفيرا عن ذنوبهم التي ارتكبوها عندما أيدوا الثورة ، أو من المنشورات التي أغرقت شوارع صنعاء بفضل العناصر الحزبية التي ظنت أن الثورة قد نجحت فعلا ، واستقرت على كراسى السلطة فأرادت أن تقطع رؤوس زعمائها كى تحل محلهم ، وهى لا تدرى أنها كانت بهذه الأعمال الطائشة تحرق سفينة الثورة التي كانت هذه العناصر تقف معنا على ظهرها غير مدركة ولا عابئة بالأموال التي تتقاذفها ، ولا بالصخور التي ترتطم بها ، ولا مقدرة الجهد الخارق الذى كان بحارة هذه السفينة وملاحوها لا ينامون فى الليل ولا يغفون فى النهار وهم يبذلونه من أجل الحفاظ على سلامتها وقيادتها نحو هدفها .

تعددت مع السلال على سماع المطالبة برأسينا فلم يزعجنا الإمام المنتقم لله الذى جهزنا عليه حملة من شباب الحرس الوطنى بقيادة الملازم هادى عيسى ، الذى انتصر على الإمام المزعوم بعد قتال عنيف راح ضحيته عدد من شهداء الحرس الوطنى .

عاد قائد الحرس الوطنى هادى عيسى إلى صنعاء ومعه الإمام المتمرّد المنتقم لله الذى حكمت عليه المحكمة العسكرية بالإعدام رميا بالرصاص ، وتصادف أن كان تنفيذ هذا الحكم فى ساحة المؤتمر الشعبى ، وبصفة علنية كما هى عادة اليمن منذ مئات السنين .

وما أن اختتم الرئيس السلال كلمته فى المؤتمر وانتهيت بعده من إلقاء كلمتى حتى ظن المكلفون بإعدام الإمام المنتقم لله أننا قد انتهينا من برنامج المؤتمر ، فبدأوا فى إطلاق الرصاص عليه فى التوقيف المحدد لذلك وهو الإنتهاء من إلقاء كلمتى على إعتبار أنها تأتى بعد كلمة السلال ، وتصادف أن وقف السادات أن يلقى كلمة مصر ورسالة الرئيس جمال عبد الناصر ، الأمر الذى لم يكن ضمن برنامج المؤتمر الذى تم إعداده قبل وصول السادات المفاجيء إلى اليمن ، فانطلق الرصاص مع بداية كلمة السادات .

ظن السادات أن الرصاص يتجه إلينا وكنت أقف عن يساره ويقف السلال عن يمينه ، تكريما للدور المصرى فى ثورة اليمن ، فهمست فى أذنه قائلا أن الرصاص يتجه إلى صدر رجل متمرّد أفسد فى إحدى المناطق القريبة من صنعاء وقتل عدة شهداء من شباب الحرس الوطنى ، فحكمت عليه المحكمة العسكرية بالإعدام .

فصاح السادات مستنكرا هذا الأسلوب الوحشى فى تنفيذ أحكام الإعدام التى تتم علنا وسط الجماهير ، فضغطت على يده حتى لا يسمعه أحد ، إلا أنه واصل التعبير عن سخطه علينا واستنكاره لنا ، لأننا لم نقدر وجوده بيننا ، فسمحنّا بإلقاء الرصاص على المتمرّد القاتل عندما بدأ فى إلقاء كلمته .

كان موقفا حرجا أن يجرى ذلك العتاب والتعبير عن السخط ووصفنا بالوحشية بينما كان المذيع متصلا بإذاعة صنعاء مباشرة ، والسادات لم يكن على علم بذلك ، فلما أوضحت له الأمر هامسا في أذنه استأنف كلمته التي هلت لها الجماهير وهي تهتف لجمال عبد الناصر والقوات المصرية الباسلة .

بعد إنتهاء المؤتمر ذهبنا نحن الثلاثة في سيارة مكشوفة إلى القصر الجمهوري . وعندما مررنا بباب اليمن (مدخل إلى المدينة في السور الذي كان يحيط بصنعاء) رأينا جموعا حاشدة تجتمع حول ذلك الباب . فأمرت سائق السيارة بأن يتمهل في سيره حتى يشاهد السادات ما جذب الناس إلى هذا المكان .

كانت جثة الإمام المنتقم الذي تم إعدامه قد نقلها رجال الأمن وعلقوها على أحد مدارج باب اليمن كما جرت العادة عند تنفيذ أحكام الإعدام في صنعاء منذ مئات السنين . ولم تكن قد التفتنا بعد إلى ضرورة إلغاء هذا الأسلوب غير الإنساني .

شهد السادات هذا المنظر الكئيب فازداد سخطا علينا ، ثم رأى سيدة محجبة كجميع سيدات اليمن في ذلك الوقت ، تمسك بعصاها وتفتش بها في جثة المقتول تبحث عن أماكن دخول الرصاص في جثته وتتأكد من موته ، كنوع من الفضول والمبالغة في حب الاستطلاع ، وإن شئت قلت حب الاستمتاع .

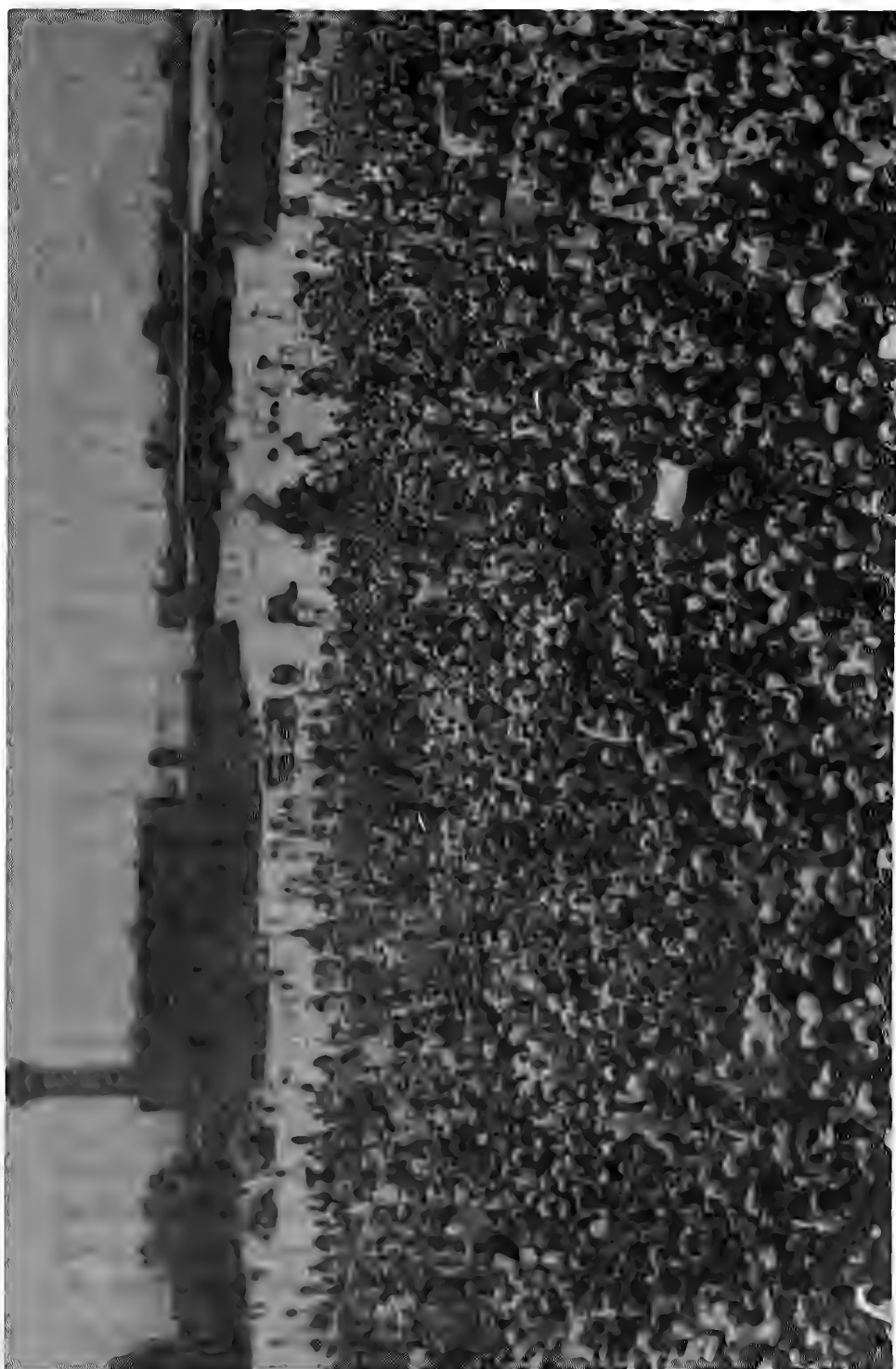
عرف السادات أنه لم يكن في القصاص علنا من القائل المتمرد أية وحشية . حيث قد تعود أهل اليمن على مثل ذلك ، وهو أمر يختلف أعظم اختلاف عن عادة المصريين .

كانت صنعاء على غير عاداتها ، فقد زاد شعورها بالإطمئنان والأمان بعد مقدم السادات وتوقيعنا إتفاقية التعاون العسكري بين مصر واليمن ، والتي كانت تطبيقا وامتدادا لما سبق أن وقعه الإمام أحمد مع جمال عبد الناصر والملك سعود .

ولا غرابة فيما كان يدور في أذهان أهل صنعاء من الخوف والقلق ، فقد جربوا كيف نهبت القبائل أموالهم وخربت بيوتهم وسفكت دماءهم عندما فشل إنقلاب عبد الله الوزير قبل ثورتنا بأربعة عشر عاما وعدة أشهر وبضعة أيام . والمواطن عندما يتوقع الطوفان الذي سبق أن شاهده والذي يمكن أن يطيح بحياته وعرضه وماله فإنه لا يحرص قليلا على الجمهورية ولا يغضب كثيرا على الإمامة .

عاد السادات إلى مصر يحمل إلى عبد الناصر أجمل الذكريات عن ترحيب الشعب اليمني بزيارته وإلتفاف الجماهير حول الثورة وتأييدها لزعمائها . حيث سمع بأذنيه ما سجلته كل الإذاعات ومحطات التلفزيون العالمية من تجاوب الجماهير اليمنية مع الجمهورية وهتافات الشعب التي تطوف بها شوارع المدن اليمنية قائلة (أرفع رأسك يا يمانى عاش السلال والبيضاني) واندفاع شبابها إلى ساحات القتال يرددون الهتاف برفع رأس اليمني الذي أذله الأئمة السابقون وداسوا عليه تحت التراب .

كان هتاف الجماهير (أرفع رأسك يا يمانى) يعبر عن سعادتها بالحلم الكبير الذي أخذ يتحقق ، والفجر الجديد الذي بدأ يشرق ، والمستقبل الأفضل الذي تم ميلاده .



المؤتمر الشعبي في صنعاء الذي شهده السادات (أكتوبر ١٩٦٢)



إستدعيت السفير الأمريكى الذى لم تعترف حكومته بالجمهورية اليمنية وحملته رسالة إلى الرئيس كنيدي أسأله فيها لماذا يقف معاديا لثورة اليمن ، وهى لا تتطلع إلى أكثر من رفع مستوى معيشة اليمنيين فى ظل أحكام الإسلام التى لا تتسع للماركسية ، فى الوقت الذى يعلن فيه الرئيس كنيدي أنه يريد مساعدة الشعوب النامية . وأبلغت السفير أننى أنتظر جواب الرئيس كنيدي على سؤالى .

بعد يومين أتانى السفير الأمريكى بالجواب الذى كنت أنتظره ، والذى جاء فيه أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تقف ضد رفع مستوى معيشة الشعب اليمنى بل تريد مساعدته على رفع مستواه ، غير أنها ليست واثقة حتى تلك اللحظة فى أن أغلبية الشعب اليمنى تؤيد النظام الجمهورى الذى أعلنته الثورة .

أرسلت ردى على الرئيس كنيدي معبرا فيه عن عظيم سعادتى لأننى فهمت من جوابه أنه قد تأكد من أننا مسلمون وطنيون ، وأنا حريصون على إيجاد علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة الأمريكية حتى نضمها إلى رصيدنا من الأصدقاء الذين يسهمون فى بناء نهضة اليمن الحديثة . وأضفت قائلا إننى لست فى عجلة من أمرى ولننتظر الولايات المتحدة حتى تتأكد من أن أغلبية الشعب اليمنى تؤيد النظام الجمهورى . وختمت ردى راجيا ألا تسهم الولايات المتحدة فى إثارة عدم الإستقرار فى شبه الجزيرة العربية بمساعدة المتمردين الذين يفرضون القتال على الجمهورية اليمنية .

كان الأمير الحسن شقيق الإمام أحمد منذ العهد الإمامى منفيا فى نيويورك فى وظيفة رئيس الوفد اليمنى إلى هيئة الأمم المتحدة ، ولعله كان قد أنشأ صداقات مع بعض المسئولين الأمريكيين وقد نجح فى تصويرنا عندهم بأننا شيوعيون من زملاء جمال عبد الناصر الذى كان يوصف فى ذلك الوقت بأنه قد سقط فى أيدى الاتحاد السوفيتى .

يضاف إلى ذلك الخلاف المعلن بين مصر والمملكة العربية السعودية ، الذى دفع المملكة إلى موقف العداء للثورة اليمنية ، رغبة فى إبعاد جمال عبد الناصر عن شبه الجزيرة العربية ، مع حرصها الشرعى على إبعاد احتمالات إنتشار الشيوعية فى الجزيرة العربية ، علاوة على خوف بريطانيا من قيامنا بإشعال ثورة ضدها فى الجنوب اليمنى ، وارتباك المخططات الأمريكية والترتيبات البريطانية فى اليمن التى سبقناها بثورتنا .

عندما نضع كل ذلك فى حسابنا فإننا ندرك أبعاد التريث الأمريكى فى الاعتراف بالنظام الجمهورى فى اليمن ، الأمر الذى كان علينا أن نعالجه بالحرص والحكمة مع الصبر والوضوح .

لم أستغرب مطلقا تريث الولايات المتحدة الأمريكية وتريث غيرها من الدول فى الاعتراف بنظامنا الجمهورى الطارىء فى اليمن ، وكان منطق الحديث عندما قمنا بالثورة سنة ١٩٦٢ يتلخص فى ظروف عربية تضعف الأمل فى ثورة الوحدويين وظروف يمنية تلغى الرجاء فى ثورة اليمنيين ، وتسمح فقط بمجرد تكرار نمطى لصراع السلطة الذى بدأ فى اليمن منذ ألف ومائة عام وذلك ما كانت تسعى إليه كل من بريطانيا وأمريكا من خلال تنظيميين يعمل كل منهما على استبدال أسرة حميد الدين بأسرة إمامية أخرى .

مجرد إنقلاب بين الذين يتزاحمون على عمامة الإمام محتفظين برأسه . وعلى غفلة من هذا المنطلق قامت ثورة اليمن تنسف مقدماته وترفض نتائجه ، فعاشرت أحداثا غير منطقية ، كان عليها أن تتعامل مع الشيء ونقيضه ، مع المجتمع الذى تنطلق منه ، ونقيضه الذى تسعى إليه .

ومع ذلك استطاع شعب اليمن أن يخطو خطوة وحدوية على بداية الطريق القومى ، وبداية الحياة العصرية .

ربما لأن منطق الحديث يختلف أحيانا عن منطق الأحداث . فالأحداث لا تلتزم بما نفكر فيه ونستلهمه من علمنا وإلهامنا ثم نصوغه فى مسلمات نرتبها لنستخلص منها نتائجها الحتمية والمحتملة ، وإنما تعتمد إلى جانب ذلك على عناصر بعضها مجهول بعيد عن آفاقنا ، بعضها يتوالد ذاتيا أثناء تدفق الأحداث واحتكاكها وتفاعلها .

إعتمدت فى الدعوة إلى الثورة الجذرية فى اليمن على إلحاح الجماهير وإصرارها على التغيير مما عرضها لمفاجآت محسوبة وغير محسوبة بين جماهير مسلحة تدفعها ظروفها إلى الثورة وتشدها نفس هذه الظروف إلى الثورة المضادة .

والظروف الموضوعية التى تدفع إلى انفجار الثورة فى بلد متخلف عادة ما تكون هى ذات الظروف التى يمكن أن تقضى عليها لحظة ميلادها ، ثم أثناء مسيرتها ، قبل أن تستقر وتتحول إلى نظام حكم متطور .

مفارقة .. لكنها حقيقية . فالثوار يبدؤون بتغيير شكل الحكم تمهيدا لمواجهة مضمونة بتغيير الظروف السائدة المعوقة للعدل والتقدم ، والمتمثلة فى النظام الاجتماعى الكائن قبل الثورة .. والتى قامت الثورة من أجل خلق نقيضه ثم حكمه ، وهذا ما يؤدى إلى مقاومة المستفيدين من النظام السائد قبل الثورة .

أى أن سبب الثورة هو نفسه سبب الثورة المضادة .. هو شعور المظلوم بالظلم الذى دفعه إلى الثورة .. وشعور الظالم بضياح إمتيازاته بقيام الثورة .

فالظلم إذن علاقة إرتباط بين الظالم والمظلوم ، هو سبب ثورة المظلوم ومقاومة الظالم .

وفى ظروف الإنعزال والتخلف وغيبة التنظيم الجماهيرى واستحالة خلقه بالسرعة المناسبة يصبح السند الوحيد المتاح للثورة هو سلوك الجماهير المظلومة وهو أمر لا يخلو من خطر لأنه يعلق رؤوس الثوار وأهدافهم على علامات إستفهام بغير إجابات أثناء المسيرة الثورية .

فسلوك الجماهير غير المنظم يفجر طاقاتها فى كل الإتجاهات حسب التقديرات العاطفية .

مثلا .. الظلم الواقع على الجماهير قبل الثورة يؤدى إلى الأمل ، كما يؤدى إلى اليأس .

والأمل واليأس يشتركان فى تحديد مصير الثورة بنسب إيجابية وسلبية متفاوتة .

فالعزم والتردد .. الأمل واليأس .. الإقدام والإحجام .. إختلاط المشاعر والقناعات الإيجابية والسلبية وبقيّة آثار عدم التنظيم الشعبى المسبق فى ظروف قبلية مسلحة وتضاريس جغرافية قاسية ومنعزلة .. كل ذلك جعل سلوك الجماهير اليمنية يتأرجح بين كل الاحتمالات متجاوبا مع كل الإثارات .

لقد قبلنا المجازفة ، وعلقنا رؤوسنا على شعيرات من الأمل ، وهذا شأننا وذلك حقنا .

لكن الدول الكبرى لا تجازف بعلاقاتها الدولية ، ولا تغامر بمصالحها الإقتصادية ، وكان يبدو فى أفق الساحة اليمنية شبح وقوعها فى أحضان الشيوعية ، وكانت الصراعات الداخلية العنصرية والطائفية والحزبية والمساعدات المصرية العسكرية والأطماع السوفيتية من بين العناصر التى روجت هذا القلق فجسمت ذلك الشبح ، الذى أشتركت أخطاء الثورة فى ميلاده عندما ازدحمت صنعاء بالألوف من رجال القبائل الذين كان يظن كل منهم أنه عضو فى مجلس الدفاع الأعلى الذى أعلننا عن تشكيله من علماء اليمن وشيوخ الضمان وزعماء القبائل دون أن نحدد أسماءهم إتباعا لنصيحة الزميل القاضى عبد السلام صبره بعد أن تعذر عليه التعرف على أسمائهم من قوائم المالية . ولم يتسع القصر الجمهورى لإقامة المهمين منهم بعد أن امتلأت بهم دور الضيافة وبيوت الأصدقاء الذين استضافوا بعضهم ، وكان الأكثر مرارة من ذلك أن السلال لم يستطع أن يصافح الكثيرين من أعيانهم لكثرة عددهم كما لم أستطيع ، لنفس السبب ، القيام بتكريم هؤلاء بما يليق بمكانتهم الإجتماعية ورغبتهم الوطنية فى تدعيم الجمهورية .

سقط فى يد السلال وفى يدي ، وتبيننا أننا أخطأنا حين وجهنا الدعوة إلى حضور مجلس الدفاع الأعلى دون أن نحدد أسماء الأعضاء ، واتضح للسلال والقاضى عبد السلام صبره إننى كنت على حق حين طلبت إعداد قائمة بأسماء أعضاء هذا المجلس قبل القيام بالثورة حتى يتم إعلانها عند قيامها .

كنت أتصور أن عدد أعضاء ذلك المجلس سوف يبلغ نحو مائتين من العلماء ورؤساء القبائل وأعيانها ، الأمر الذى لو تم حسب الخطة التى وضعتها قبل قيام الثورة لأدى إلى تحقيق حلمى الكبير وهو إشترك كل هؤلاء فى الدفاع عنها .

أما وقد أخطأ القاضي عبد السلام صبره حين أهمل فى إعداد هذه القائمة قبل قيام الثورة ، ثم أخطأنا جميعا حين وجهنا الدعوة إلى رؤساء وشيوخ القبائل دون تحديد الأسماء المؤهلة للإشتراك فى هذا المجلس ، ثم وجدنا أنفسنا عاجزين عن إيواء المهمين منهم فلم يكن هنالك بد من دعوتهم إلى الإنصراف من صنعاء على أن ندعوهم إلى الاجتماع فى وقت لاحق ، الأمر الذى أثار علينا حفيظة معظمهم فعادوا إلى بلادهم ناقلين على الثورة ، وقد صادف ذلك يوم وصول الشيخ سنان أبو لحوم قادما من عدن بعد غيبة طويلة استغرقت أكثر من أسبوعين بعد قيام الثورة فى طريقه إلى صنعاء منتقلا بين إمارات جنوب اليمن المحتل ، حيث كان ضيفا على الشريف حسين الهبلى شريف بيحان الذى ساعد المعتمد البريطانى على إدخال الأسلحة الثقيلة والخفيفة إلى المتمردين الذين حملوا السلاح ضد الجمهورية . فاقترح السلال أن نقدم الشيخ سنان أبو لحوم للمحاكمة التى كانت تؤدى حتما إلى الحكم عليه بالإعدام بعد أن ثبت تحريضه لبعض القبائل ضد الثورة ، وإتفاه مع الشريف حسين أمير بيحان على تهريب السلاح إلى المتمردين .

لم أستحسن هذا الاقتراح نظرا لسابق إتفاق الشيخ سنان معى على القضاء على الإمامة وإعلان الجمهورية . وكان سبب مقاومته للثورة إقتناعه بعدم جدارة السلال برئاسة مجلس قيادتها ، وعدم إذاعة اسمه ضمن تشكيلات الثورة رغم أنه كان من المتفق عليها أن يتولى منصب نائب وزير شئون القبائل كما جاء فى التعيينات التى سبق الإتفاق عليها قبل الثورة وحرفها الفسيل على النحو السابق ذكره . وكان من الممكن إسترضائه بأحد المناصب الهامة فيصبح من أقوى أعوان الجمهورية .

غير أننى لا زلت أتلقى لوما صارخا من الكثيرين الذين عاصروا أحداث الثورة ، لأنهم يعتقدون أننى أخطأت خطأ تاريخيا حين قاومت إصرار السلال ومنعت محاكمة الشيخ سنان ، الذى استمر بعد ذلك فى تحريض القبائل ضد الثورة مما أدى إلى توسيع ساحات القتال وسفك الكثير من دماء الأبرياء .

ولا أدري هل كنت فعلا مخطئا فى حمايتى للشيخ سنان ؟ . وهل يمكن أن يغفر لى التاريخ هذا الخطأ حيث كنت واثقا فى ولائه للنظام الجمهورى بالرغم من عدائه الشخصى للسلال ؟ كما كنت حريصا على حماس زوج شقيقته الأستاذ محسن العينى وزير الخارجية الذى يمكن أن يفسر إعدام الشيخ سنان عملا عدائيا موجها إليه وضد مجموعته البعثية فى اليمن ؟ .

عارضت السلال إبقاء على معنوية الأستاذ محسن العينى ووقفت حائلا دون محاكمة الشيخ سنان الذى كان لا يستطيع أن يفلت منها بغير عقوبة الإعدام . واكتفيت بتعيين الشيخ سنان سفيراً فى الصين وأرسلته إلى القاهرة مع رسالة شخصية إلى أنور السادات الذى إستضافه استضافة رسمية وهياً له كل وسائل الراحة والرفاهية تحقيقا لنفس الهدف الذى جعلنى لا أوافق السلال على إعدامه . (الوثيقة رقم ٢٦)



الرئيس السلال وعلى يمينه المؤلف وعلى يساره الشيخ سنان أبو لحوم ثم الأستاذ محمد
عبد الله الفسيل فالعقيد عبد الله الضبي . ظهر خلف المؤلف حارسه الخاص الشهيد الملازم
أحمد بيدر .

مرة أخرى يجب أن أعترف بحساسيتي الشخصية نحو الأستاذ محسن العيني والزملاء البعثيين ، لأنني لا أعترف بأنني ناصري ولا أعترف بأنهم بعثيون يمكن أن تختلف على مصلحة عامة في اليمن . فلا البعث ذو نظرية فكرية ولا الناصرية ذات نظرية فلسفية .

كرهت أن تختلف في اليمن ، ونتفرق بين بعثيين وناصريين ، وحرصت على إفساح المجال لمن تصوروا أنهم بعثيون حتى يوظفوا صداقتهم مع قادة البعث في خدمة الثورة اليمنية بعد أن أصبحت حقيقة واقعة ، كما حرصت على إفساح المجال لمن سماهم القوم بأنهم ناصريون كي يوظفوا صداقتهم مع عبد الناصر في خدمة نفس الهدف اليمني العربي .

من أجل ذلك حاولت الحرص على وحدة الصف الوطني في اليمن حيث كانت محصلة الخلاف بين البعثيين والناصريين هي مجرد الزعامة العربية .

ثم اختلفوا في ترتيب الشعارات السياسية ، هل تبدأ الأمة العربية بالإشتراكية ، أو بالحرية ، أو بالوحدة .

الحرية لا يختلف عليها أحد ، وكذلك لا يختلف أحد على الوحدة . أما الإشتراكية فإنها هي التي لم يتفق عليها أحد .

لا البعث الذي بدأ الإشتراكية قد حدد مضمونها ، ولا عبد الناصر الذي إنتهى إلى الإشتراكية قد رسم أبعادها .

ولا يزال شعار الإشتراكية العربية شعارا هلاميا كلاميا غير ذي مضمون ، متجردا من أي مفهوم .

لكنه لا يزال سببا رئيسيا من أسباب المعاناة الاقتصادية في البلاد التي رفعته ، وسببا رئيسيا من أسباب هروب الأموال العربية من الدول التي خشيتها ، وكانت المحصلة النهائية هي إستحالة قيام الوحدة الاقتصادية العربية .



. كانت زيادة الإشتغال فى المعركة العسكرية سببا من أسباب الإسراع بالمعركة الحضارية ، ومن أجل ذلك كان لا بد من الإسراع بإنشاء بنك يمنى يساعد على تجميع أموال اليمنيين المقيمين والمهاجرين ، ويسهل عمليات الإدخار والاستثمار والإتجار . ولم يكن فى اليمن سوى وكالة مصرفية سعودية فى مدينة الحديدة يملكها الشيخ سالم بن محفوظ وهو من أصل حضرمى يقيم فى السعودية ، وعندما فحصنا نشاط هذه الوكالة لم نجد منها سوى ودائع يمنية ، حيث كان الشيخ محفوظ لا يحتفظ فى خزانتها بأى ريال يملكه .

كان لا بد من إنشاء بنك يمنى لا يقتصر على الأعمال المصرفية وإنما يتولى ، إلى جانبها ، قيادة الأعمال الإنشائية والتعميرية .

أعلنت فى مؤتمر شعبى فى صنعاء إلغاء ترخيص الوكالة المصرفية السعودية وكان لا يعرف ذلك القرار سوى قائد منطقة الحديدة الرائد محمد الرعينى الذى كلفته بالتحفظ على هذه الوكالة عندما يسمع الخطاب فى المؤتمر الشعبى .

وأعلنت فى نفس الخطاب إنشاء البنك اليمنى للإنشاء والتعمير وناديت اليمنيين المقيمين والمهاجرين حتى يسرعوا بالإكتتاب فى أسهم البنك من أجل أن تبدأ معركتنا الحضارية .

واصلت العمل على تأسيس البنك اليمنى وعينت له مجلسا لإدارته برئاسة الدكتور حسن مكى وعضوية الأساتذة محمد جبارى ومحسن السرى ومحمد الرعدى وآخرين بنسبة ٥١% على أن ينتخب المساهمون من أفراد الشعب بقية أعضاء مجلس الإدارة بنسبة ٤٩% وأعطيت لهذا المشروع إهتماما عظيما لأنه لا يدفع فقط عجلة النهضة الاقتصادية والاجتماعية التى هى الهدف الرئيسى من الثورة ، وإنما يؤدى أيضا إلى خلق مناخ سياسى عام يشعر فيه جميع المواطنين بأننا ننعم بالاستقرار ولا نقشعر من المعارك الجانبية التى فرضتها علينا الظروف التى سبق شرحها ، والتى نتعامل معها بثقة متأكدين من سيطرتنا عليها سيطرة كاملة .

تدفقت أموال اليمنيين المقيمين والمهاجرين للإسهام فى البنك اليمنى للإنشاء والتعمير الذى أعلنت أن واحدا وخمسين فى المائة من أسهمه هى حصة الدولة ، وعندما زادت أموال المساهمين عن نسبة التسعة والأربعين فى المائة المتاحة للمواطنين جاءنى وزير

الخزانة الدكتور عبد الغنى على أحمد يقترح أن تتنازل الحكومة من حصتها وتبيعها للمواطنين الذين زاد طلبهم على أسهم البنك عن النسبة المقررة لعرضها على القطاع الخاص وبرر وزير الخزانة هذا الاقتراح بأن الحكومة لا تملك أن تدفع نصيبها فى رأسمال البنك .

رفضت إقتراح وزير الخزانة لأنه يفوت على الحكومة فرصة العمل من خلال البنك على تنفيذ سياستها الإقتصادية وأهدافها الإجتماعية ، كما يحد من تدفق رؤوس الأموال اليمنية التى ترغب فى الإستثمار فى اليمن فى إطار خطة الحكومة .

على عكس إقتراح وزير الخزانة أصدرت قرارا بمضاعفة رأسمال البنك مع احتفاظ الحكومة بنفس النسبة المقررة لها وهى واحد وخمسين فى المائة ، وفيما يتعلق بكيفية قيام الحكومة بدفع حصتها فى رأسمال البنك قمت بتسليم وزير الخزانة سكا بتوقيعى يكون بمثابة إذن صرف على الخزانة كى يوضع ضمن أصول البنك ممثلا لحصة الحكومة فى رأسماله .

كانت الهندسة الإقتصادية للبنك تقوم على أساس تجميع أموال اليمنيين فى صورة أسهم ، وهى بهذه الصورة لا يحق إسترداد ثمنها من البنك كما يسحب أصحاب الحسابات والودائع حساباتهم الجارية أو ودائعهم الثابتة .

وبذلك لا يحق لأصحابها سوى بيعها فى سوق الأوراق المالية وحق حضور الجمعيات العمومية ، واختيار ممثليهم فى مجلس إدارة البنك ومراقبة حسن استغلال هذه الأموال ، وكل هذه ضمانات شعبية مقصودة لضمان حسن الإدارة ، لأن أصحاب الأسهم أكثر يقظة من جهاز الحكومة فى الإشراف على شئون البنك ، أو هكذا يجب أن يكونوا .

ويضاف إلى ذلك أن عائد أموال المواطنين الذين يشترون أسهم البنك اليمنى يحصلون عليه فى صورة أرباح ، والأرباح مشروعة إسلاميا فلا تحدث أية شبهة لدى الذين يرفضون الحصول على فوائد على الودائع الثابتة على اعتبار أنها فوائد ربوية . وبالتالي نفتح شهية المواطنين للإقبال على المساهمة سعيا وراء الربح المشروع . ولذلك أطلقت على البنك اليمنى إسم (البنك اليمنى للإنشاء والتعمير) .

عرضت على مجلس الوزراء أن يصدر قرارا برفع مرتبات جميع موظفى الدولة ورجال القوات المسلحة والأمن بنسب تتراوح بين الضعف والثلاثة أمثال ، على الأخص فيما يتعلق بالأجور والمرتبات الصغيرة ، وهذا هدف سبق أن ناديت به من صوت العرب وأدخلته ضمن برنامج الثورة .

شرحت لمجلس الوزراء الأسباب التى تجعل من رفع هذه المرتبات أمرا ضروريا بعد قيام الثورة وهى :

أولا : كانت المرتبات والأجور المقررة فى عهدالإمام ضئيلة جدا وأقل من الحد الأدنى على جميع المستويات ، وكان الإمام يسعى إلى دفع الموظفين وجميع المستخدمين إلى إستغلال مناصبهم إما بالرشوة أو بالاختلاس ، حتى يشيع الفساد الإدارى ويهدم المستوى الأخلاقى ويذل كافة المواطنين حاكمين ومحكومين .

وكان هدف الإمام تجريح سمعة الجميع إلى جانب إشغال الشعب بصعوبة المعيشة فينصرف عن السياسة .

ثانيا : نتيجة لصرفيات المعركة للدفاع عن النظام الجمهورى تدفقت قوة شرائية جديدة إلى أيدي المحاربين ، وهذا من شأنه أن يخل بالتوازن الإجتماعى إذا بقيت مرتبات موظفى الدولة على مستواها المفرط فى المعاناة .

والموظفون هم الذين يعطون الوجه الجديد للدولة بعد الثورة ، كما يؤثرون فى صياغة قراراتها السياسية والعسكرية التى يتوقف عليها ثبات الجمهورية .

ثالثا : كانت اليمن تعاني من بطالة الموارد البشرية وإهمال الموارد الطبيعية ، وهى بهذه الكيفية تحقق فرصا لارتفاع الإنتاجية الحدية لرأس المال ، ولكن هذه الفرص لا تكفى لإستدراج رأس المال اليمنى المهاجر والعربى والأجنبى إلى الإستثمار فى اليمن إلا إذا توفر الإستقرار واتسع سوق الطلب مع تهيئة المناخ التشريعى الملائم .

ولذلك فإن رفع مرتبات الموظفين والمستخدمين والقوات المسلحة والأمن من شأنه أن يعمل على توسيع سوق الطلب فيعمل على توفير شرط من شروط الإستثمار ، وعلى الدولة توفير بقية الشروط التى كانت تسعى إليها فعلا . وعندما يتزايد الإستثمار تنكمش البطالة البشرية وتحرك الموارد الطبيعية وتزداد إنتاجية موظفى الدولة ويزداد الدخل القومى ويرتفع مستوى المعيشة ، وتمتص زيادة الإنتاج زيادة المرتبات فيتحقق توازن إقتصادى أفضل على مستوى معيشة أفضل .

وافقنى مجلس الوزراء وأعلنت القرار فى مؤتمر شعبى فى صنعاء .

كانت زيادة مرتبات موظفى الدولة لا تمثل إلا جزءاً لا يكاد يذكر إلى جانب نفقات الحرب ، وأما خطتى فى الحصول على أموال التنمية وزيادة المرتبات فقد كانت متعددة المصادر .

من هذه المصادر بيع أراضى الحكومة غير المستثمرة لتشجيع إستثمارها من ناحية ، والانتفاع بثمنها من ناحية أخرى .

وكننت قد شكلت لجنة وزارية برئاسة عضو مجلس قيادة الثورة الزميل عبد القوى إبراهيم حاميم وزير الشؤون البلدية والقروية للبدء فى بيع أراضى الحكومة الصالحة للبناء فى الحديدة وضواحيها ، وكان ذلك أهم سبب من أسباب العمران الذى حدث فى هذه المنطقة .

ومن المصادر المحلية أيضا دخول الحكومة كمساهمة فى الشركات الزراعية بنصيب لا يقل عن ٥١٪ يقدر بثمن الأرض التى كانت ستقدمها لكل مؤسسة تشترك فيها ثم حصول الدولة على نصيبها فى أرباح هذه الشركات .

وتنظيم تحصيل موارد الدولة من ممتلكاتها المهملة . وتنظيم تحصيل الرسوم الجمركية والضرائب . وتبسيط الإجراءات الإدارية التقليدية لترشيد الجهاز الإدارى للدولة وضبطه بالحجم الضرورى فعلا ، ونقل الزيادة فى عدد الموظفين إلى المشروعات

والشركات التى تنشئها الدولة بمفردها أو بالإشتراك (عن طريق البنك اليمنى) مع القطاع الخاص . وكذلك تشجيع الإستثمار عن طريق تخفيف تكاليف الإجراءات على المواطنين والمستثمرين فيزداد الحافز على الإستثمار فتزداد إيرادات الحكومة مع تجريم الرشوة والإختلاس وتشدّد العقوبة عليهما . وقد أعلنت ذلك فعلا مع إعلان زيادة المرتبات .

وحتى لو لم تكن هذه الأسباب وجيهة لتبرير زيادة مرتبات موظفى الدولة ، ولو لم تكن هذه الموارد كافية لمواجهة هذه الزيادة ، فقد كان من الضروري زيادة هذه المرتبات ولو استقطعناها من نفقات الحرب ، لا سيما أن الأموال كانت تتدفق بغير حساب من الخارج على المتمردين ضد الحكومة الجمهورية ، وكانت الحرب النفسية الموجهة من الخارج تهدد الجبهة الداخلية ولا يحرس الجبهة الداخلية سوى رجال الدولة من موظفين ورجال أمن . أما رجال القوات المسلحة الذين بقوا فى خدمة الثورة فلم يكن من الحكمة إهمال احتياجاتهم الضرورية وهم يتعرضون للموت فى كل لحظة فى سبيل الجمهورية .

فى يوم الإثنين ١٥ أكتوبر ١٩٦٢ عقدت مؤتمرا إقتصاديا شعبيا فى صنعاء حضره كل من شاء أن يحضر من عامة الناس وخاصتهم ، وكانت إذاعة صنعاء تذيع وقائعه بصفة مباشرة ، وقد أراد أحد الضباط أن يمنع أحد المتكلمين عندما استخدم ألفاظا جارحة فى مهاجمته لخطتنا الإقتصادية . منعت الضابط كى يترك المتكلم يتم حديثه على الهواء مباشرة ما دمت سوف أعلق عليه حتى يعرف الشعب كيف يفكر بعض الناس فى الإقتصاد وهو شريان حياة الشعوب ، وكيف سمحت له الحكومة بمهاجمتها بمثل تلك الألفاظ لأنها قادرة على الرد عليه ، لأننا عندما نحتكم إلى العقل لا يعجز اللسان . وأذكر أنني بعد أن أجبت على أسئلته صاح فى المذيع مؤيدا الحكومة مأخوذا بسعة صدرها ، وإصرارها على إقناع المهاجمين بالحجة والبرهان وليس بالإرهاب والإذعان .

كان جوهر سياستنا الإقتصادية هو الإقتصاد الحر الذى ينتظم وفق خطط الدولة الإقتصادية وتصوراتها السياسية بحيث يكون القطاع الخاص هو الأصل فى النهضة اليمنية مع إشتراك الحكومة بنسبة ٥١٪ من أسهم البنك اليمنى ومؤسساته والشركات الزراعية التى تشترك فيها الحكومة بقيمة الأرض ، وبعد ذلك يكتفى القطاع العام بالمشروعات الإستراتيجية والبنية الأساسية .

معنى ذلك أن منهاج نهضتنا الحضارية ينبثق من ظروفنا اليمنية ، ويعتمد على سواعدنا الوطنية ، مالية وبشرية وطبيعية ، وفق خطة مرحلية تثير الحوافز الشخصية والمبادرات الفردية ، وتحقق التوازن بين المصلحة الوطنية الإقتصادية والعدالة الإجتماعية الإسلامية وهى خطة يمكن أن يشبهها البعض ب (الإقتصاد الموجه) .

لكننى أشرت على هذا التشبيه أن يلتزم بأضيق حدود التوجيه .

فى يوم الثلاثاء ١٦ أكتوبر ١٩٦٢ عاد أنور السادات إلى اليمن ، وعندما كنت مع الرئيس السلال فى إستقباله فى المطار ، نزل خلفه من الطائرة الأستاذ أحمد محمد نعمان وشقيق زوجتى الأستاذ محمد حافظ النعمانى أحد مديرى بنك مصر ومعه عدد من خبراء

هذا البنك ، ومن المعروف أن زوجتى مصرية اكتسبت الجنسية اليمنية بعد زواجى منها . ولما سألت السادات عن مهمتهم قال أنهم جاءوا ليفتحوا فرعاً للبنك فى اليمن .

لم يعجبنى هذا التصرف من جانب بنك مصر ، لأنه لم يحصل على موافقتنا قبل أن يرسل إلينا خبراءه لا سيما عندما اختار شقيق زوجتى بالذات ليرأس هؤلاء الخبراء ، الأمر الذى أثار دهشتى ، لأنه خلط المصلحة العائلية بالمصلحة الوطنية .

عقدت إجتماعاً مشتركاً حضره السادات وخبراء بنك مصر وشرحت لهم أسباب اعتذارى عن عدم إمكانية الإستجابة لرغبة هذا البنك ، والتى تتلخص فى أننى استهدفت من إنشاء البنك اليمنى للإنشاء والتعمير لجميع أموال اليمنيين المقيمين والمهاجرين . ليس فى صورة ودائع وحسابات جارية. كما يفعل بنك مصر وما كانت تقوم به الوكالة المصرفية السعودية ، لأن ذلك لا يفيد فى خطة التنمية الاقتصادية اليمنية فالودائع لا يمكن الإنتفاع بها فى تمويل العمليات طويلة أو متوسطة الأجل . ولا الإشتراك بها فى مشروعات قصيرة الأجل التى تحمل فى طياتها طابع المجازفة فى بلد كان لا يزال يسعى إلى الإستقرار ، ولم يستطع التخلص من ظروف الدفاع عن الثورة وتثبيت النظام الجمهورى .

كانت هذه الظروف المضطربة تضيف إلحاحاً أكثر على الاحتفاظ بنسبة سيولة عالية من حجم الودائع الموجودة فى البنك لمواجهة احتمالات مطالبة أصحابها بحساباتهم عند أية هزة نفسية أو مجرد إشاعة تثير القلق .

معنى ذلك أننى لو سمحت لبنك مصر بفتح فرع له فى اليمن وهو لا يقبل سوى هذه الودائع ، أى الحسابات الجارية ، فإن الأموال اليمنية التى ستوافد عليه فى هذه الصورة لا يصبح فى الإمكان الإنتفاع بها فى خطط الثورة التى استهدفت تخطيط التنمية الاقتصادية فى اليمن .

وجود بنك مصرى ثابت وقوى إلى جانب بنك اليمنى حديث الولادة ، ومعرض باستمرار للشكوك بحكم ولادته الحديثة ، فى بلد كان يمر فى مثل ظروف اليمن فى تلك الأيام ، من شأنه أن يدفع المواطنين المقيمين والمهاجرين إلى إيداع أموالهم لدى بنك مصر القوى والثابت ويهزون أكتافهم للبنك اليمنى حديث الولادة المجهول المستقبل .

استوعب السادات وجهات نظرى ووافق على إقتراحى بالاستفادة من خبراء بنك مصر فى مساعدة مجلس إدارة البنك اليمنى فى أعماله التأسيسية .

أما شقيق زوجتى فقد طلبت من السادات أن يعود معه إلى مصر منعاً لأية حساسيات فى اليمن ، وإذا كانت مصر تريد أن تاملنى فى شخصه ففى وسعها أن ترقبه فى مصر أو حتى تعينه وزيراً فى الحكومة المصرية بعيداً عن الأراضى اليمنية .

عاد شقيق زوجتى إلى مصر مع السادات بعد عشرة أيام .

اقترح السادات قبل أن يغادر اليمن أن نعين الأستاذ أحمد محمد نعمان وزيرا تكريما لنضاله السابق وتقديرا للسنوات التي قضاها في سجن الإمام أحمد قبل أن يعلن تأييده للإمام البدر . وبعد مناقشة الأمر مع السلال وبقية الزملاء تقرر تعيينه وزيرا للحكم المحلي .

كما أبلغني السادات أن الرئيس جمال عبد الناصر قد وافق على إرسال وفد إقتصادي بناء على طلبى يتولى دراسة الظروف الإقتصادية ويشترك معنا في وضع الخطة الإقتصادية لليمن بالرغم من أن رسالة الدكتوراه التي نلت على أساسها هذه الشهادة من كلية الإقتصاد جامعة بون في ألمانيا الغربية بدرجة الشرف كانت عن إصلاح الإقتصاد اليمنى الذى أمضيت طوال حياتى أحلم بتحقيقه .

لقد أشفقت على نفسى أن أتحمل وحدى مسئولية وضع خطة إقتصادية لليمن .

السيوف والملابس

ان مجابهة الواقع هو الاحساس الذى يحكم جميع الذين يعملون في اليمن الآن .. بل انه في احدى الدرات . وفي غمرة الحماسة كان الدكتور البهستاني يخطب في احدى القرى .. ثم نسي الرجل نفسه ، قال دون مواربة ، انه يجب ان يغير كل شيء في اليمن . حتى تلك الملابس الغريبة الشكل المختلفة الالوان التى تعوق حرية اجسامنا ، لابد من تغييرها .. حتى تلك السيوف لم يعد هناك ما يبرر الحرس عليها ..

نسى الرجل نفسه وقال هذا الكلام والثورة ما زالت في ايامها الاولى تحتاج الى تأييد كل فرد .. ولم ينجذب أحد من الجماهير المحتشدة . على العكس انفجر الحماس البشرى في هدير صاخب .. نعم . نعم . أننا نوافقكم على هذا

وليس هناك في اليمن ايضا من يحس بالحجل من واقع اليمن غير السميد . فلم يعد هناك شيء يبرر الحجل .. ان الخجل لا يغير شيئا .. ان الثورة وحدها هي التى تميز كل شيء .. كان رجال الصحافة العالمية يسمون هذا الحديث .. على لسان الدكتور البهستاني وهو يقول لهم .. اكتبوا بصدق كل ما تقع ميوونكم عليه في ارضنا .. اننا لن نخجل من واقعنا . اكتبوا عن الفقر الذى يعيش فيه الناس . اكتبوا عن القات الذى كان يحتكره الامام ليلهى به الناس من واقمهم الاتيم وبأخذ ربا لانهم .. اكتبوا ايضا عن التأخر الذى نعيش فيه ..

بينما كنا نتحرك على كل الجبهات العسكرية فى المناطق المتمردة كان من الضرورى علينا أن نعمل سياسيا على كسر حدة العنف الذى كنا نلقاه فى هذه المناطق ، مع تثبيت الولاء للجمهورية فى المناطق الأخرى المؤمنة بها ، حتى لا تتسع علينا ساحة القتال ونفقد الأصدقاء ونحن نحاول أن نكسب الأعداء . فأردت أن أزيد من جرعة تشجيع استثمار الأموال اليمنية فى المشروعات الزراعية والصناعية فى اليمن . وحيث أن الإمام كان يشتري فراسله القطن (١٨ كيلو جراما تقريبا) من الفلاحين بسعر ريالين ونصف وكان هذا السعر يمثل الحد الأدنى الذى يبقى هؤلاء مستمرين فى زراعة القطن ، لم يكن ذلك السعر يغريهم على التوسع فى زراعته أو يغرى غيرهم على الإقبال عليها .

وكانت أراضى الإمام وأراضى المحتكرين المكتتلين معه تمثل المساحات الأساسية لزراعة القطن .

ولم يكن هناك مشترى للقطن غير الجهاز الإحتكارى التابع للإمام ، فكان هذا السعر مفروضا على الفلاحين فى غياب أية منافسة حرة وكانت سياستى الإقتصادية تستهدف التوسع فى زراعة القطن بتشجيع الفلاحين الحاليين على توسيع رقعة أراضيهم المزروعة قطناً ، وتشجيع الفلاحين الآخرين على إستبدال محاصيلهم الإستهلاكية بالقطن ، وتشجيع المستثمرين اليمنيين المقيمين والمهاجرين على شراء الأراضى التى تصلح لزراعة القطن ، وتشجيعهم على استصلاح الأراضى الأخرى التى يمكن زراعتها قطناً واستبدال المحاصيل التقليدية بالقطن .

وكى أنجح فى تحقيق هذه السياسة لا يكفينى أن أصدر قرارا جمهوريا بأننى أؤيد زراعة القطن وأصبح هاتفا (تحيا زراعة القطن) وأعلق هذا الصباح على جدران الشوارع وأنام فى القصر الجمهورى فتتحول أراضى اليمن إلى زراعة القطن بمداد القرار الجمهورى السحري .

إننى لا أؤمن بالسحر ، ولا أكتفى بالشعارات والتمنيات القلبية والمزايدات السياسية . وإنما أؤمن بالعلم .

وفى مقدمة العلم علم الحساب ، الذى يدلنا على علم المصالح .

فكل نشاط إقتصادى ينبثق من عملية حسابية دقيقة يجريها كل عاقل يرغب فى القيام بعمل ، وفى نهاية خارج الجمع والطرح والضرب والقسمة تظهر النتيجة ، هل يستمر المرء فى هذا العمل أو يعدل عنه ويبحث عن غيره ؟ .

بطبيعة الحال تعتمد هذه البديهية على حد أدنى من المستوى العقلى للتفكير والتأمل ، وهذا الحد الأدنى متوفر عادة لدى كل الشعوب بصفة عامة مع إستثناء لا يمس هذه القاعدة العامة ، وعندئذ يأتى دور المخططين الإقتصاديين ليدخلوا فى هذه العملية الحسابية مؤثرات طارئة تجعل نتيجة الحساب تخرج فى صالح إقناع المرء بأن يستمر فى العمل المطلوب أن يستمر فيه ويقبل أن يزيد عليه .

لم أخرج عن هذا الفهم العلمى لطبيعة الأشياء ومنطقية التخطيط والتطوير . لقد بحثت عن المؤثرات الطارئة التى يمكن إدخالها فى ذهن الفلاحين والمستثمرين وكان أمامى أن أعطى مكافأة إنتاج عن كل فراسلة قطن كما فعلت دول أخرى سبقتنى إلى ذلك ، لكن معنى هذا الإجراء إننى سأبقى ثمن القطن لدى المزارعين وأحرم الدولة من العملة الصعبة التى ستعود إليها من عملية تصديره بواسطتها مباشرة .

وكان أمامى أن أعفى تصدير القطن من الرسوم الجمركية ، لكن هذه الرسوم لم تكن مفروضة على القطن أصلا .

وكان أمامى أن أعفى زراع القطن من الزكاة ، لكن الزكاة ركن من أركان الإسلام لا أستطيع الغاءه ، علاوة على أننى قد أعلنت فى وقت سابق إعتبار الزكاة أمانة فى جميع أنحاء اليمن وبالنسبة لجميع المواطنين وجميع الأموال ، كى يسلمها المواطنون بمحض إختيارهم وتقديرهم إلى الجهات الرسمية ، وكان ذلك القرار علاجاً لمشاكل إقتصادية وإجتماعية جسيمة عرقلت النمو الإقتصادى قبل الثورة .

إننى لم يكن أمامى سوى أن أرفع سعر فراسلة القطن التى تشتريها الحكومة إلى الحد الذى يحقق الأهداف الإقتصادية المذكورة . لم يكن أمامى حل أفضل .

ذلك إلى جانب تحسين وسائل الإنتاج ونوعه ووسائل التعبئة والمواصلات التى من شأنها تخفيض نفقات التكلفة ، وهذه الإجراءات الأخيرة لا تخص زراعة القطن وحدها وإنما تشمل كل أنواع الإنتاج بصفة عامة وكانت هذه الإجراءات على كل حال جزءاً متمماً لسياسة الدولة الإقتصادية .

وقبل أن أعلن قرار رفع سعر القطن الذى تشتريه الحكومة أستدعيت المهندس على محمد عبده نائب وزير الزراعة ، وكان يحمل بكالوريوس الزراعة من جامعة القاهرة ، وكلفته بتشكيل لجنة برئاسته وعضوية عدد من المختصين فى وزارته والمختصين فى شئون القطن والتصدير ، كى يوافونى بتقرير دقيق عن زراعة القطن فى اليمن وتصديره وثمرته وجملة تكاليفه حتى ظهر البأخرة على حد التعبير الإقتصادى .

وعندما حصلت على هذا التقرير إتضح لى (بناء على ذلك التقرير) أن الحكومة كانت تشتري الفراسلة من الزراع بريالين ونصف وتكلف كل فراسلة ريالين كنفقات تعبئة وتخزين وتوصيل إلى ظهر البأخرة ، وتبيع الفراسلة إلى الخارج بما يساوى تسع ريالاً .

فوجدت أن الحكومة تربح من كل فراسلة أربعة ريالات ونصف ، كما كان يفعل الإمام المحتكر لتجارة القطن .

رأيت أننا لو رفعنا الثمن الذي تشتري به الحكومة فراسلة القطن من ريالين ونصف إلى خمسة ريالات فإن ذلك سوف يشجع الزراع والمستثمرين على التوسع في زراعة القطن . ولذلك أصدرت قرارا في مؤتمر شعبي ليحدث أكبر إثارة شعبية حماسية ممكنة كي يتحقق هدفنا ، وهو تشجيع زراعة القطن ، وقلت أننا قررنا رفع ثمن الفراسلة إلى خمسة ريالات . على أن تخصص الأربعة ريالات الباقية من سعر البيع إلى الخارج مناصفة بين تكاليف التعبئة والتخزين والشحن ، وبين إنشاء صندوق بإسم صندوق موازنة الأسعار . أى ريان تكاليف ، وريالان عن كل فراسله لصندوق موازنة الأسعار ، بحيث إذا انخفضت الأسعار الدولية في أية سنة ، فإننا لا نخفض ثمن الشراء من الزراع وإنما نعطيهم نفس الخمسة ريالات وتتقاضى الحكومة الفرق من هذا الصندوق .

وإذا استمرت مالية الصندوق في التزايد نتيجة لثبات أو ارتفاع الأسعار العالمية فإن الحكومة تستطيع أن تنتفع من مالية هذا الصندوق في عمليات التوسع الجديدة في زراعة القطن وتحسين نوعيته وإنتاجه أو زيادة سعر شرائه من الفلاحين . المهم أن تمتنع الحكومة عن إسقاط أى جزء من ثمن القطن لخزينة الدولة ، وبكيفية أن تعمل على تشجيع التوسع في زراعته ، الأمر الذى يؤدي إلى زيادة الدخل القومى وزيادة حصيلة الزكاة . وعندما تستقر زراعة القطن وتنتشر فوق الأراضى التى تصلح لها تستطيع الحكومة فى أى وقت لاحق أن تتقاضى صورا من دخل هذه الزراعة ، لكنها يجب عليها ، حتى فى هذه الحالة ، أن تلاحظ عدم الوصول إلى الحد الذى يجعل المستثمرين يميلون إلى ترك الإستثمار .

مرة أخرى .. المهم هو أن تحرص الحكومة دائما على أن تخرج عملية الحساب التى يجريها المستثمرون فى صالح إستمرارهم فى الإستثمار .. وليس فى صالح إمتناعهم وتوقفهم عنه .

وبعد يومين من إصدار القرار برفع ثمن القطن زارنى نائب وزير الزراعة المذكور ورئيس اللجنة التى قدمت إلى ذلك التقرير الذى على أساسه أصدرت القرار وقال أنه يأسف جدا لأنه أخطأ هو وزملاؤه فى الحساب وأن ثمن بيع الفراسلة إلى الخارج هو سبعة ريالات فقط وليس تسعة ، فسألته عما يقترحه بناء على ذلك ؟ فقال أن نعدل عن قرار مضاعفة سعر القطن ونكتفى بشراء الفراسلة بثلاثة ريالات فقط بدلا من خمسة ريالات حتى يتبقى أربعة ريالات ، إثنان للتكاليف وإثنان لصندوق موازنة الأسعار .

وأثناء زيارة نائب وزير الزراعة المذكور فوجئت ببرقيات من الأهالى فى تهامة يشكون فيها من موظفى وزارة الزراعة ولجنة القطن لأنهم يرفضون تنفيذ قرار الحكومة بشراء الفراسلة بخمسة ريالات ويفرضون على الأهالى ثلاثة ريالات فقط .

بطبيعة الحال رفضت إقتراح نائب وزير الزراعة ، ورفضت أن ترجع الحكومة عن قرارها لأن تراجعها يخل بالثقة الإقتصادية فى حكومة الثورة ، تلك الثقة التى كنا نبنيها بإستماتة .. يوما بعد يوم .. حتى يمكن أن نبني إقتصاد الدولة بمعونة جهود المواطنين .

وفى الحال أعلنت مرة ثانية إلتزامنا بقرارنا المذكور بتثبيت سعر الفراسلة بخمسة رياللات وأوضحت لوزارة الزراعة بإننا يمكننا فى الوقت الحاضر تأجيل إنشاء صندوق موازنة الأسعار الذى كنت قد إقترحته .

ثم استدعيت الرائد محمد الرعينى قائد منطقة الحديد وحملته مسئولية تنفيذ قرار الحكومة وإلزام موظفى وزارة الزراعة ولجنة القطن بإستلام فراسلة القطن مقابل خمسة رياللات وكلفته بالإشراف على أعمال وزارة الزراعة ولجنة القطن ، فى المنطقة التى يمارس فيها قيادته العسكرية وهى منطقة تهامة حيث القطن على إعتبار أن المطلوب إداريا فى ذلك الوقت هو الإلتزام بتنفيذ سياسة الدولة التى تتقرر فنيا وإقتصاديا فى صنعاء ، ووعدته بأنه سيتولى وزارة الزراعة فى أول إعادة تشكيل للوزارة لما كنت أعرفه عنه ويعرفه الجميع من نزاهة وحزم وإدارة . وقد نفذت هذا الوعد عندما أعدنا تشكيل مجلس الوزراء بعد ذلك بنحو أسبوعين .



كان برنامج السلال اليومي يبدأ بتفقد السوق التجارى فى صنعاء ليطمئن على توفر السلع الغذائية فى المدينة ، ثم يقوم بزيارة المطار الحربى وثكنات الجيش ، وينتهى بإستقبال الوافدين المهنيين من الجمهوريين الصادقين ، والمتمردين المستترين ، ويوزع عليهم السلاح والذخيرة ، عليهم أجمعين ، ولم يكن فى وسعه ولا فى وسع غيره أن يميز بين صدق أولئك وكذب هؤلاء .

ولم يكن من الحكمة أن تحتفى قيادة الجمهوريين بين أسوار صنعاء وتترك وكالات الأنباء تستمر فى ترويج إشاعات الأعداء الذين صدقوا أنفسهم حين زعموا أن قوات الإمام البدر المخلوع قد احتلت مدينة عمران فى طريقها المظفر نحو العاصمة ، وكانوا ينصحون رجال الحرس الجمهورى باللقاء القبض على السلال والبيضانى وتسليم رأسيهما للإمام ، أثناء الإحتفال المهيّب عند وصوله إليها .

بدأت بعض أذان الحرس الجمهورى تصغى إلى هذه النصيحة ، وتتوقع ذلك الإحتفال المهيّب . ولم يكن معنا فى صنعاء طارق بن زياد يقول لرجاله « العدو أمامكم والبحر خلفكم » وإنما كان معنا من بين رجال الحرس من سبق لهم أن أقشعرت أبدانهم وانهارت أعصابهم وذابت قلوبهم عندما رأوا بأعينهم رؤوس من سبقونا من الثوار معلقة بين الأحجار والأشجار ، وتدوسها الأقدام وتنهشها الكلاب والطيور الجارحة ، كلما انتصر إمام على إمام .

كان معنا فى صنعاء من يتذكر الكارثة التى حلت بها قبل ثورتنا بأربعة عشر عاما حين انتصر الإمام أحمد حميد الدين على منافسه الإمام عبد الله الوزير ، فنهبت القبائل بيوت صنعاء بأمر الإمام الزاحف إليها واستباحته بأمره كل المحرمات باسم « الإسلام » الذى ظلمه الإمام وسمى نفسه « أمير المؤمنين الناصر لدين الله » .

وكان أعداء الثورة يعرفون ضعف صخورنا ونعومة رمالنا ، لا ذكاء منهم ولا غباء منا ، وإنما هى سيرة اليمن معروفة وواضحة ، ليس فيها خفاء ولا يحتاج إدراكها إلى أى عناء . ثم تضاف إلى قصة اليمن طبيعة البشر وطاقة النفس ، حين يتسلل إليها ظلام الهزيمة ويحجب عنها فجر النصر فتستسلم للظلام الراجح ولا تغامر مع الفجر المنتظر .

مدينة عمران التى زعم أعداء الثورة أن البدر المخلوع قد احتلها فى طريق زحفه الساحق نحو العاصمة تقع على مسافة أربعين كيلو مترا فى شمال صنعاء فقررت الذهاب

إليها وأخذت معى مجموعة من الصحفيين العرب والأجانب ، وكان ذلك يوم الأربعاء ١٧ أكتوبر ١٩٦٢ حتى يدلونى على مكان الإمام البدر المخلوع أو أدلهم على قوة الثورة وشعبية الجمهورية .

كان جسدى مع رجال الصحافة فى مدينة عمران ، وقلبى مع فلذاته من أهل صنعاء . وكان ينتظرنى فى عمران الملازم عبد الله عبد السلام صبره ، أحد الضباط الأحرار بعد أن هيا فى إنتظارى حشدا هائلا من رجال قبيلة حاشد التى يتزعمها الشيخ الثائر عبد الله بن حسين الأحمر ، الذى لم يكن فى هذه المدينة فى ذلك الوقت حيث كان يقود المعارك الطاحنة ضد المتمردين فى شمال اليمن بمجرد أن صدر القرار بإطلاق سراحه من سجن حجه بعد قيام الثورة .

كان المؤتمر الشعبى الذى عقدته فى عمران نفيا قاطعا للإذاعات المعادية التى كانت تشيع أن البدر يتخذ منها مقرا لقيادته ضد الثورة .

وعندما عدت إلى صنعاء أطلعتنى العميد على عبد الخبير على طلب من المقدم عبد الله جزيلان بأن تقوم الطائرات بضرب مدينة حجة بدعوى أن البدر قد إتجه إليها . رفضت الإذن له بذلك لأن مدينة حجة أصبحت من قلاع الجمهورية وأن قائدها النقيب على سيف الخولانى ومساعدته النقيب هاشم الحوثى يسيطران على الموقف هناك تمام السيطرة ، ولم أكن أدري من أين كان جزيلان يستقى معلوماته حيث كان البدر قد وصل إلى الكهوف الجبلية على الحدود مع المملكة العربية السعودية .

عندما نجح المؤتمر الشعبى الذى عقدته فى عمران إقترح الرئيس السلال أن أعقد مؤتمرا مثله فى مدينة تعز للتأكد من إقبال الحدود الجنوبية مع المنطقة التى كانت تحتلها بريطانيا .

وصلت إلى تعز ولا أجد وصفا لهذا المؤتمر أفضل مما سجلت صحيفة الجمهورية اليمنية بتاريخ ٢٠ أكتوبر ١٩٦٢ حيث كتبت تحت عنوان « الدكتور البيضانى يدخل تعز فى مظاهرة شعبية عظيمة » ما يلى :

(فى صباح يوم الجمعة الموافق ٢١ جمادى الأول ١٣٨٢ ، ١٩ أكتوبر ١٩٦٢ أقيم مهرجان كبير فى ميدان الشهداء بتعز ضم آلاف المواطنين من مختلف الطبقات الذين توافدوا إليه من كل حذب وصوب حتى غصت بهم الأرض وأصبح لا يرى شبر من الأرض من كثرة البشر ، وكان الحرس الوطنى يقوم بتمرينات المشى العسكرى بحماس وقوة وكلهم نشاط زاهر وحركة نشيطة جبارة ، وانتظر الكل وصول نائب الرئيس ونائب القائد العام الدكتور عبد الرحمن البيضانى ومرافقيه معالى وزير المواصلات العقيد حسن العمري ومراسلى التلفزيون والإذاعات العربية ، ولما كان الشوق قد كثر فيهم وجرى فى دمائهم فإن الإنتظار بالنسبة لهم قد صار غير ميسور ولهذا فقد ذهبوا جميعا إلى المطار لينتظروه هناك ، وما أن وصل فى الساعة الرابعة والنصف حتى هتفت الجماهير بملء حناجرها ، وهبت بكاملها لتحيا القادم

الكريم ولتحمله على أعناقها ثم تطوف به المطار كله وهو على الأعناق ،
وبمشقة وجهه استطاع الدكتور البيضاني أن يركب سيارته وشقت سيرها بين
عباب البشر إلى أن وصلت مع رتل من السيارات إلى ميدان الشهداء وقد
خطب العميد الأنسي ووزير الطيران ثم الدكتور البيضاني (

شهد هذا المؤتمر سفراء الدول وممثلو الصحافة والإذاعات العربية
والأجنبية وكانت الجماهير تنادى بالوحدة مع مصر وكان من بين ما جاء في
كلمتي مايلي :

(أيها الأحرار ..

إذن ..

لم أخطيء حين وهبت حياتي لقومي من أبناء شعب اليمن ، ولم نخطفء
نحن الثوار حين نادينا بالثورة وقمنا بها مرحبين بالموت من أجل اليمن .

ها أنتم تملأون الأرض ويعلو صوتكم عنان السماء ، وأنتم تعبرون عن
تشبيكم بالثورة التي قامت بإسمكم ومن أجل حاضركم ومستقبل أولادكم .

ولقد أكدتم إصراركم على الدفاع عنها حين أرسلتم إلينا في صنعاء عشرات
الألوف من أبنائكم الذين تطوعوا بإرادتهم الحرة للقتال في قمم الجبال وسفوح
الوديان وأعماق الكهوف والمغارات التي اتخذها المتمردون أوكارا لهم ، وهم
لا يعلمون أنهم بذلك لا يحاربوننا وإنما يحاربون أنفسهم ، ويثدون مصلحتهم
التي نسعى إلى تحقيقها لهم ، وكأنهم من الذين وصفهم الرسول الكريم حين
قال (عجبتم لقوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل .)

وأنتى وأنا وسط ألوفكم المؤلفة ولا يحرسنى سوى الله وقلوبكم الثائرة
وسواعدكم التي ترابطت من أجل الدفاع عن ثورتكم التاريخية المجيدة أدعو
دول العالم كلها كي تبحث عن تفسير لهذا الحدث التاريخى الذى لم تعرف اليمن
له شبيها ولا نظيرا خلال تاريخها الطويل عبر الألوف من السنين .

وليشهد ممثلو الدول والصحافة والإذاعات الأجنبية أننى أمام هذه الجموع
التي احتشدت لأول مرة فى تاريخ اليمن بهذه الألوف المؤلفة أعلن أننا
لا نسعى إلى إيذاء أحد خارج حدود بلادنا ، وإننا لا نستهدف سوى إحياء مجد
اليمن وميلاد مستقبلها الجدير بشعبها الخالد العريق فى ظل شريعة الإسلام
بعيدين كل البعد عن المذاهب الملحدة والنظريات التي لا تتفق مع ظروف
شعبنا ومقتضيات بناء صرحه الحضارى الذى بدأنا فى وضع لبناته الأولى .

ثم تحدثت عن مطالب الجماهير التي كانت تهتف بالوحدة مع مصر فقلت :

(إن للرئيس جمال عبد الناصر شروطا فى تحقيق الوحدة مع اليمن ومن أهم هذه الشروط ألا يوجد جندى مصرى واحد على أرضها وبعد ذلك يتم إستفتاء شعبى فى كل من مصر واليمن وبعدها تتقرر الوحدة بين الشعبين العظيمين . هذه شروط جمال عبد الناصر ونحن نعمل من أجل تحقيقها ونرجو الله أن يوفقنا من أجل الوصول إليها بفضل إيمانكم العميق الصادق بالنهضة والوحدة والحضارة) .

وختمت كلمتى التى استغرقت أكثر من ساعتين بالتعبير عن مشاعر رجال الثورة اليمنية الذين تقدموا الصفوف ووهبوا حياتهم من أجل المستقبل اليمنى الأفضل فى ظل جمهورية يختار الشعب قادتها بإرادته وكامل حريته .

بعد إنتهاء المؤتمر عقدت إجتماعا لأعضاء مجلس قيادة الثورة الذين كانوا فى تعز حيث تبادلنا التهانى لهذا النصر الذى منحنا الله إياه ، وكان من بين الذين حضروا ذلك الإجتماع من أعضاء المجلس الزملاء النقيب محمد قائد سيف وعبد الغنى مطهر والعقيد حسن العمرى وعبد القوى إبراهيم حاميم والطيار عبد الرحيم عبد الله والملازم سعد الأشول وعلى محمد سعيد والملازم محمد الخاوى .

طلبت من الزميل محمد قائد سيف أن يرسل شقيقه عبد الله قائد سيف سرا إلى عدن يحمل رسالة منى إلى الأستاذين عبد الله عبد المجيد الأصنج رئيس حزب الشعب الاشتراكي^(١) ومحمد سالم باسندوه^(٢) وهما من زعماء الحركة العمالية فى عدن أدعوها إلى مقابلتى سرا فى قرية الراهدة بالقرب من الجنوب اليمنى المحتل .

وفى الموعد المحدد وصلت إلى الراهدة مع رفاقى وتفقدنا أحوال القبائل التى كانت مكلفة بحماية تعز وسد جميع الثغرات التى يمكن أن تستغلها بريطانيا فى تهريب السلاح إلى المتمردين . وجاء الأصنج وباسندوه ومعهما الأستاذ محمد سالم على نائب رئيس الحزب والأستاذ عبد الله على عبيد وقلت لهم أننا ونحن نقوم بتثبيت دعائم النظام الجمهورى على الأراضى التى كان يحكمها الإمام ينبغى علينا أن نؤكد وحدة اليمن التى تشمل الأراضى التى يحتلها الإنجليز ، ولذلك فإننا نعرض عليهم منصبين وزاريين كى يشتركوا معنا فى مجلس وزراء الجمهورية العربية اليمنية وهم من أبناء عدن تأكيدا للمعنى الذى نقصده ، وقد شهد معى هذا اللقاء الزميلان محمد قائد سيف وعبد القوى إبراهيم حاميم .

(١) وزير خارجية اليمن فى وقت لاحق بعد الثورة .

(٢) أحد مستشارى رئاسة الجمهورية اليمنية حاليا .

- نصف مليون ريال سعودي تفضح ا
- مفاجآت غريبه أعلنت في المؤتمر الذي عقد
- المراسلون الصحفيون العالميون يشاهدون با-

عقد الزعيم 'مؤتمراً للمعشلى والا
الصحافة والأدباء ومراسلي شمع
وكالات الانباء ، أعلن فيه أربعه
حقائق كثيرة ومفاجآت غريبه
فبعد ان تحدث الزعيم عبد الله
السلال عن الطغيان ونهايته في اليمن
قال : - والآن سفاحي الصحافه
والصحافيين عمدة غريبه مندهله
هذه للفاحشة هي (ترى الحرب
سعود !!) أو (ترى الحرب سعود !!)
الذي ملك مالا كثيراً جداً بعد
ان كان فقيراً وعديداً في أرضه وبلاده

الجو
يدبر
ليوز
قائل
الذي
الجمو
قديما
الجمو
لنصر
للقد
في هذا
العال
ومعاً
للش
اليمن
أوع
للثا
الا
بالا
أو
وهذا
وسا
وهم
الشا
هذا

الجمهورية

الناطق باسم الشعب

جريدة سياسية ثقافية جامعة

العدد الأول - الثمن بعشرين ونصف - السنة الأولى

٢٢ جمادى الأولى ١٣٨٢ هـ - موافق ٢٠ أكتوبر ١٩٦٢ م

الدكتور البيضاوي يدخل تعز في مظاهره تسمية عظيمه

خارجها وهبت بكاملها لشعبي
العام الكريم واتخذته عى. اعتنا
ثم تطوف به المطار كله وهو عى
الاعتاق وبشفة وجد استطاع الدكتور
البيضاوي ان يركب سيارته
وشقت سيرها بين عباب من البشر
الى ان وصلت مع رتل من
السيارات الى ميدان الشهداء وقد
خطب العميد الأسى ووزير الطيران
ثم الدكتور البيضاوي وسنقتل تفاصيل
مادار في المؤتمر في العدد الذى
يصدر بعد غد .

قام الدكتور البيضاوي نائب
رئيس الوزراء ونائب القائد العام
بزيارة المستشفى وتفتد الامراض
والعلاج وسالوا الاعمال في المستشفى
تجفبه . والنتيجة هي ما يرجوه كل
مواطن من الزيارات والتفتدات .

في صباح يوم الجمعة الموافق ٢١
جمادى الأولى أقيم مهرجان كبير في
ميدان الشهداء تعز ضم آلاف
المواطنين من مختلف الطبقات الذين
توافدوا اليه من كل حدب وصوب
حتى غصت بهم الارض واصبح
لا يرى شبر من الارض من كثرة
البشر وقد كان الحرس الوطنى يقوم
بتمرينات المشي العسكري بحساس
وقوة وكلهم نشاط زاهر وحركة
نشيطه جواره وانتظر الكل وصول
نائب الرئيس ونائب القائد العام
الدكتور عبد الرحمن البيضاوي
ومرافقيه معالي وزير المواضلات
المعيد حسن العموي ومراسل
التلفزيون والاذاعة العربية
ولما كان الشوق قد كثر فيهم وجري
في دماهم فان الانتظار بالنسبة لهم
قد صار غير ميسور ولهذا فقد
هو جميعا الى المطار لينتظروه هناك
وما ان وصل في الساعة الرابعة
والنصف حتى هتفت الجماهير بسلام

عشت ساعات الثورة الاولى

كان الليل قد اعتكر حتى كاد المشى ان يتهدد ، وكانت
الساعة تدق كأنها تنفخ في الصور معلنة الغمامه والنصف وقت
العمل الجوى الجبار حيث انشقت صرخة من قلب الظلام الحالك
من ضابط برتبة « مقدم » : - الآن . . الآن أو كبوا اشتغلوا
سكان البلاد . . الاستراتيجي المحدد له ،



المؤلف في طريقه من مطار تنز إلى ساحة المؤتمر الشعبي بالمدينة . وعلى يمينه
حارسه الخاص الشهيد أحمد بيدر وخلفه النقيب محمد قائد سيف عضو مجلس قيادة الثورة

البصاني يعلن في مؤتمر شعبي القاهرة تقول إن الوحدة يجب أن تسبق خطوات

أعلن الدكتور البصاني أن شعب اليمن يطلب الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة... قال لآلوف المواطنين الذين تجمعوا في مؤتمر شعبي ضخم بعر: اني اسمع هيا فاكم المدوية السي

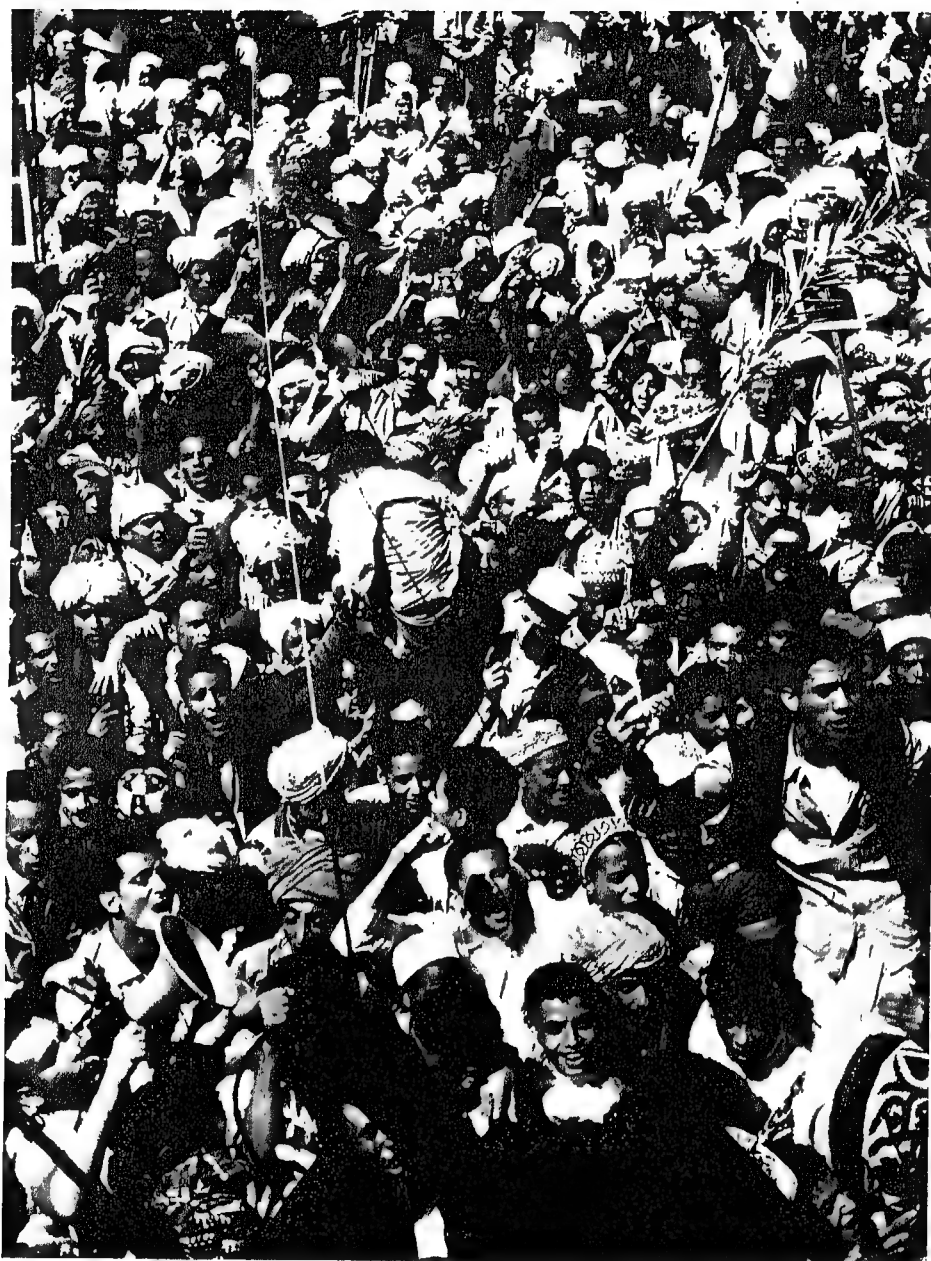
نطالب بالوحدة... ولكن القاهرة لها في الوحدة رأي... ان الوحدة يجب ان تسبق خطوات لابد من اتخاذها... وان ما حصل به... عليه عدا او بعد مد... لا يفعل ابدا عما يمكن ان يحصل عليه... ان شاء الله... وقال نائب القائد العام ونائب رئيس مجلس الوزراء... ان الثورة قامت

من أجل ان يحكم الشعب نفسه... من أجل أن تعود الشريعة الإسلامية الى... من ليس... بعد أن كان الختام يرتكبون... من منكر باسم الدين ويستحلون كل... محرم باسم الإسلام... وقد قامت الثورة كذلك من أجل القضاء... على التفرقة العنصرية ومن أجل رفع مستوى... المعيشة... وسوف يتم قريبا جدا اعداد خطة... اقتصادية عاجلة لرفع مستوى المعيشة

صحيفة الأخبار في ٢١ أكتوبر ١٩٦٢ (الصفحة الأولى)



المؤلف يخطب في المؤتمر الشعبي في تعز .



جانب من المؤتمر الشعبي في تعز .

اعتذر الأصنح وأصحابه عن عدم قبولهم هذا العرض على اعتبار أن الحركة العمالية في عدن في حاجة إليهم فاقترحت عليهم أن يرشحوا لنا وزيرين بدلا عنهم فوعدوا بذلك ولكنهم صرفوا النظر ، بينما كانت عدن تخلو من شبابها وعمالها الذين هبوا إلينا في صنعاء للانضمام إلى الحرس الوطني .

عدت إلى تعز وتوجهت إلى زيارة منطقة تربة ذبحان مسقط رأس أسرة الأستاذ أحمد محمد نعمان ، تلك الأسرة التي لا شك في أنها قدمت الكثير من أجل اليمن فأردت أن أزور هذه المنطقة التي تقع في الجنوب الغربي من تعز إعترافا بفضل هذه الأسرة .

خرج الألوف من أبناء تربة ذبحان يلتفون حول الطائرة العمودية (الهليكوبتر) التي أتت بي تحملني إليهم . وبعد أن استمعت إلى كلمات الخطباء وقصائد الشعراء أقيت كلمة أكدت فيها حرص الثورة على تنفيذ كل ما جاء في أهدافها ونقلت إليهم تحية الثوار وفصلت لهم كيف نجحت الثورة عندما أصرت على إقتلاع الإمامة من جذورها ولم تقبل الحلول الوسطى التي ترضى ببقاء هذه الجذور في أعماق اليمن .

أمضيت ليلتي في تعز ثم توجهت إلى صنعاء وكانت أخبار هذه المؤتمرات الشعبية قد سبقتني إليها ، وأذكر أن الرئيس السلال أظهر عظيم الغبطة بما أنجزته في تعز إلا أنه كان عظيم القلق من تطور المعارك العسكرية مع المتمردين الذين بدأت تصل إليهم أسلحة ثقيلة وذخيرة وأموال ليس لها عدد .



المؤلف يلقي كلمة في مدينة الراهدة وحوله من اليمين الأستاذ محمد مهيب ثابت والشيخ عبد القوى حاميم ، ومن اليسار النقيب محمد قائد سيف والملازم سعد الأشول من أعضاء مجلس قيادة الثورة

وَلَا تَنْزَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ
رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الصَّابِرِينَ

قرآن کریم

جذور الخلاف

الفصل الحادى عشر



وجدت في إنتظارى في صنعاء الوفد المصرى برئاسة الدكتور حسين خلاف وزير التجارة الخارجية الذى كان قد طلب مقابلتى فى اليوم التالى لوصوله ، فظننت أنه جاء ليقدّم التهنة بنجاح قيام النظام الجديد فى صنعاء ، إلا أنه فاجأنى وصدمنى وخيب ظنى وهو يعطينى مجلداً كبيراً مطبوعاً يحتوى على الخطة الإقتصادية التى قالوا عنها أنها تصلح للتطبيق فى اليمن ، فعلقت على ذلك بقولى أننى أتصور أنهم لم يفكروا فى هذه الخطة الإقتصادية فى صنعاء بعد وصولهم إليها ، وإنما جاءوا بها مطبوعة من مصر ومفصلة جاهزة ، ولذلك لم أقبلها . وقلت لهم أننى لو كنت فى حاجة إلى خطة مطبوعة لطلبتها من الرئيس جمال ليرسلها إلى اليمن مع إحدى الطائرات التى تصل يومياً إلى اليمن ، لكننى طلبت وفداً إقتصادياً ليدرس معنا هنا فى اليمن تفاصيل المخطط الإقتصادى الذى يصلح لليمن عندما يتفق مع ظروفها الموضوعية وإمكاناتها الطبيعية والبشرية ، إلى غير ذلك من عناصر التخطيط الإقتصادى والإجتماعى ، ولا ينقل إليها خطة جاهزة من الخارج من بلد آخر ظروفه تختلف بعض الاختلاف عن ظروف اليمن .

وفعلاً وزعت أعضاء الوفد المصرى على الإدارات الحكومية والأسواق اليمنية وكل المواقع الإقتصادية التى يمكن أن تعطى للوفد المصرى المعلومات الضرورية لمساعدتنا على وضع الخطة الإقتصادية .

ومع ذلك فاجأنى الوفد المصرى مرة أخرى بعد أسبوعين وطلب منى توزيع الأراضى الزراعية بواقع خمسة أفدنة على المعدمين اليمنيين فرفضت هذا الإقتراح ، وسألت الدكتور خلاف كم يبلغ الدخل السنوى الصافى للفدان فى مصر فى تلك السنة (سنة ١٩٦٢) ؟ فقال حوالى عشرين جنيهاً .

قلت إذن يكون صافى دخل الخمسة أفدنة حوالى مائة جنية بواقع ثمانية جنيهاً ونصف شهرياً ، فإذا وضعت الحد الأدنى لأجرة العامل الزراعى فى اليمن بما لا يقل عن ثمانية جنيهاً ونصف شهرياً أكون قد حققت الفكرة الإجتماعية ومنعت تفتيت الملكية الزراعية ، مع ما يجب وضعه فى الإعتبار من فوارق الأسعار وصافى دخل الفدان بين مصر واليمن .

شرحت للوفد المصرى الفارق الكبير بين مصر واليمن ، ففى مصر يوجد (سنة ١٩٦٢) سبعة ملايين فداناً صالحة للزراعة يعيش عليها ثلاثون مليون مواطن مصرية ، بينما يوجد فى اليمن ثلاثون مليون فداناً صالحاً للزراعة ولا يوجد فى اليمن سوى سبعة ملايين مواطن يمنية .

أوضحت للوفد المصرى أننى كرجل إقتصاد لا أقر ما يسمونه فى مصر بـ (قانون الإصلاح الزراعى) لأن وصف الإصلاح الزراعى يعنى علميا إصلاح الإنتاج الزراعى أى تنفيذ مخططات إقتصادية وفنية وزراعية تستهدف إصلاح ظروف الإنتاج الزراعى وتطويرها ، بينما الغرض الذى أرادته مصر مما أطلقت عليه اسم (قانون الإصلاح الزراعى) لم يستهدف سوى رفع سيطرة أصحاب الملكيات الكبيرة عن العمال الزراعيين ، وذلك هدف سياسى لا علاقة له بإصلاح المستوى الإجتماعى أو إصلاح الإنتاج الزراعى وإنما يؤدى عمليا إلى تفتيت الوحدات الزراعية فتتناقص غلتها الإقتصادية .

شرحت للوفد خطتى الزراعية بالنسبة إلى الأراضى الجديدة التى تفكر الدولة فى إستصلاحها إلى جانب الأراضى المزروعة فعلا والمملوكة للدولة ، وهذه الخطة تقوم على أساس إنشاء شركات زراعية ذات مساحات كبيرة يكون نصيب الدولة فى رأسمالها بحسب ثمن الأرض التى تقدمها إلى كل شركة ، ويكون نصيب المساهمين من المستثمرين بحسب رأس المال النقدى الذى يقدمونه إلى الشركة لتكملة رأس المال الكلى عن طريق الإكتتاب العام حتى نتمكن من تحقيق الأهداف الإقتصادية والإجتماعية والسياسية التالية :

١ - تتمكن الدولة من تحقيق السياسة الرشيدة فى المجال الزراعى عن طريق توجيه سياسة الشركات الزراعية من حيث اختيار المحاصيل وأساليب الإنتاج وتوقيته وتصريفه .

٢ - الإنتفاع من مزايا الإنتاج الزراعى الكبير والكثيف على مساحات شاسعة .

٣ - تحديد حد أدنى للأجور الزراعية بحيث يتمكن العامل الزراعى من الحصول على ما يوازى دخله المحتمل من الملكية الزراعية الصغيرة التى كان سيحصل عليها طبقا لقانون ما يسمى بالإصلاح الزراعى ، ولكن فى صورة أجر زراعى ثابت ومضمون .

٤ - تحرير الزراع المعدمين من مسئولية زراعة الملكيات الطارئة التى من الممكن أن يسيئوا إستثمارها مما يصيبهم بخسائر لا تعفيهم من سداد قيمة البذور والسماد والقروض التى يحصلون عليها من الجمعيات الزراعية وبنوك التسليف الزراعى ، الأمر الذى يضع الدولة بين أمرين أحلاهما أمر من الآخر : إما أن ترهق المالك الصغير الجديد بإلزامه بتسديد ديونه فيبيع ملبسه إن كان قد بقى له شئ منها ، أو تتنازل عن حقوقها عليه فتسقط هذه الديون وبصفة متكررة ، كما فعلت الحكومات المصرية المتعاقبة فى ظل هذا القانون فأصاب الإقتصاد الوطنى بأعباء إضافية ، علاوة على نقص الإنتاج الزراعى الوطنى الذى ينتج عن فشل هذا المالك الصغير الجديد الذى لا يلتزم بأصول الإنتاج ، أو التى لا يعرفها أصلا .

٥ - إنشاء نادى رياضى ومركز ثقافى فى كل شركة زراعية ، وهذا ما يعطى لعمال الزراعة فرصة ترفيهية وثقافية فى وقت الفراغ الذى لن يكون فى وسعه أن يستمتع به فى حالة إنشغاله العصبى بمشاكل ملكيته الصغيرة الطارئة التى تهبط عليه من السماء وهى محملة بمسئوليات لم يتعود على تحملها .

٦ - إنشاء مركز تدريب مهنى وحرفى فى كل شركة زراعية للإرتفاع بمستوى إنتاجية العمال الزراعيين سعيا وراء زيادة دخولهم ، وبذلك تتمكن الدولة من خلق كوادر فنية تواصل تقدمها المهنى والحرفى بما يتلائم مع شروط التقدم العلمى والتكنيكى فى الإنتاج الزراعى العصرى .

٧ - إتباع مبدأ الحافز المادى فى الإنتاج الزراعى حيث يستطيع كل عامل زراعى أن يحصل على أجر أكثر ، كلما بذل جهدا أكثر من الحد الأدنى المحدد فى خطة الشركة الاقتصادية .

٨ - توزيع مكافآت تشجيعية سنوية على العاملين بالشركة الزراعية إذا تجاوزت أرباحها السنوية الحد المقرر فى خطتها الاقتصادية .

٩ - تحصل الدولة باعتبارها (مالكة) لنصيب فى رأس مال كل شركة على نصيب من أرباحها .

١٠ - تحصل الدولة باعتبارها (دولة) على ما تنص عليه تشريعات للضرائب التى تخضع لها كل الشركات الزراعية .

بذلك نتمكن من رفع ما يسمى بسيطرة كبار الملاك على الفلاحين المعدمين ، كما نتمكن أيضا من إستبعاد الآثار السلبية والفاصلة الناتجة عن تفتيت الملكيات الزراعية ، على أن يكون الأصل فى نظام الملكية الزراعية هو تشجيع المستصلحين على إستصلاح الأراضى بغير قيود على الملكية الزراعية . ولا خوف مطلقا من إساءة سيطرتهم السياسية على العمال الزراعيين لأنه لا محل لهذا الخوف مع تطور وظيفة الدولة وتزايد نفوذها ونشاطها الحضارى فى المجتمع ، الأمر الذى يحقق التوازن بين مقتضيات الحكم السياسى ومقتضيات الإنتاج الاقتصادى ، ذلك التوازن الذى هو وحده الذى يحقق مصلحة المجتمع ويدفع تطوره باستمرار نحو الرخاء والرفاهية والعدل .

اختلفت مع الوفد الاقتصادى المصرى الذى كان ينصح بميلاد الاقتصاد اليمنى على أسس إشتراكية قوامها القطاع العام لكل مرافق الإنتاج فى البلاد ، وكانت وجهة نظرى أننا لا نجد أمامنا فى اليمن صناعات ولا مشروعات ذات بال يمكن تأميمها ، وإننا نحتاج إلى تشجيع أصحاب الأموال اليمنيين الذين بنوا ثروتهم خارج اليمن واستمالتهم إلى العودة بها وإستثمارها فى ظل الجمهورية اليمنية ، وهذا لا يمكن أن يتم إذا نحن قمنا منذ اللحظة الأولى بإثارة الرعب فى نفوسهم وهم لا يزالون خارج اليمن ، كان رد الوفد الاقتصادى المصرى أننا فى وسعنا الإعتماد على القروض الدولية فى تمويل المشروعات التى تقوم بها الحكومة ، فقلت أنه لا توجد عندنا أجهزة إدارية وفنية مدربة حتى تضطلع الحكومة بعدد من هذه المشروعات ، وأن العدد المحدود من الكفاءات اليمنية المتاحة فى

ذلك الوقت ، كان لا يكفي لإنشاء الجهاز الإدارى الحكومى الذى كنا فى أمس الحاجة إليه ، وبالتالي فإننا لن نجد من يضطلع بهذه المشروعات إذا وافقت على قيام القطاع العام كأساس رئيسى للنشاط الإقتصادى فى اليمن ، الأمر الذى يندرجنا بخسارة القروض التى نتحمل تسديد أقساطها وفوائدها ويجعلنا نضطر إلى تغطية فشلها الذريع بإسم الحفاظ على الهيبة الحكومية فننتسّر على الفساد الذى يتورط فيه الكثيرون من البشر ، حفاظا على شعار الطهارة الثورية ، أو نقدم الكثيرين من أعوان الحكومة إلى المحاكمة ، ثم نضطر فى الحالتين الى تسديد القروض وفوائدها أو تأجيل سدادها أو تسويتها بقروض أخرى جديدة بينما لا نقوم بتحقيق أية فائدة للإقتصاد اليمنى ، وإنما نكون قد ضربنا عنقه ضربة قاطعة .

أما إذا تركنا أصحاب الأموال اليمنيين يستثمرون أموالهم فى اليمن فى نطاق الخطة الإقتصادية التى تضعها الدولة وفى نطاق تشريعاتها الضرائبية والاجتماعية فإننا لن نحتمل ديونا أجنبية ولن نغرس بذور الفساد فى الأجهزة الإدارية ، بل يمكننا أن نرسل إلى أصحاب الأعمال اليمنيين موظفى الضرائب فى آخر كل عام ، فإذا حقق بعضهم ربحا أخذنا منه حق الدولة ، وإذا حقق بعضهم خسارة قدمنا له عزاءنا ومواساتنا وعرضنا عليه أن يدرس مع خبراء الحكومة ، مجانا ، لماذا خسر وكيف يتفادى مستقبلا مثل هذه الخسارة .

قلت للوفد المصرى الإقتصادى أننى كرجل مسئول عن ميلاد الإقتصاد اليمنى ، بحكم تخصصى العلمى وحلم حياتى الوطنى ، أريد أن أنام مراتح البال قرير العين لا يقلقنى قرض ، ولا تفزعنى خسارة ، ولا يثقلنى دين ، ولا يرهقنى فساد أحد الموظفين ، ولا يخيفنى إتهام بفشل الحكومة .

أعترف بأننى عجزت عن الإستفادة ، فى وضع الخطة الإقتصادية اليمنية ، بخبرة الوفد الإقتصادى المصرى لأنه كان مجموعة من خبراء ملتزمين بالسياسة الإقتصادية الناصرية ، وربما لم يكن فى وسعهم أن يعبروا عن أفكارهم العلمية التخصصية ، فاضطرت إلى إكمال الخطة الإقتصادية اليمنية التى كانت حجر الأساس فى صرح بناء النهضة اليمنية ، الذى على أساسه واصلت الحكومات اليمنية المتعاقبة ، حتى الآن ، إكمال مسيرة النهضة الحضارية اليمنية .

كان الوفد المصرى حديث العهد بالقرارات الاشتراكية التى أعلنها الرئيس جمال عبد الناصر قبل ذلك بأقل من عامين والتى لم أنقلها إلى اليمن مكتفيا برفع شعار العدالة الإجتماعية المنبثق من الشريعة الإسلامية .

كان عبد الناصر يرفع شعار الكفاية والعدل .

وكننت أتفق معه فى (العدل) واختلف معه فى (الكفاية) .

لأن الكفاية لا تتحقق إلا بالإنتاج ، والمزيد من الإنتاج ثم العمل على زيادة المزيد من الإنتاج .

كنت أرفع في اليمن الشعار الإسلامي (الإنتاج والعدل) بدلا من الشعار الناصري (الكفاية والعدل)^(١) .

وما دمت أرفع شعار الإنتاج فلا بد من أن أقوم بتشجيع وسائله ، الخاصة والعامة ، الفردية والجماعية ، وإستمالة أصحاب المبادرات الخاصة من اليمنيين ، المقيمين والمهاجرين .

كان خلافي مع الوفد الإقتصادي المصري على إنتاج (الإنتاج) وليس على عدالة (العدل) .

ومن جهة أخرى رغم أن الإتحاد السوفيتي كان الدولة العظمى ، التي تقف إلى جانبنا ، كررت في مؤتمر شعبي في صنعاء حضره الوفد الإقتصادي المصري وممثلو الصحافة العالمية وسفراء الدول الأجنبية ما سبق أن أعلنته في تعز وهو أننا ملتزمون بالعدالة الإجتماعية الإسلامية رافضون للماركسية ، مؤكداً بذلك أن وقوفنا مع إحدى الدول في ذات الخندق السياسي لا يشترط علينا أن نلتزم بمذهبها الإقتصادي والإجتماعي .

كنت أعرف أنه كما كانت لليمن حسابات يمنية ، كانت للإتحاد السوفيتي حسابات سوفيتية ، وكنت أعرف أن الإتحاد السوفيتي بعد أن يجري عملية الحساب بالجمع والطرح والضرب والقسمة ، يقتنع من جانبه بمواصلة تأييده للثورة اليمنية رغم رفضنا للماركسية ، كما كنت مقتنعا بمواصلة الإعتماد على الإتحاد السوفيتي رغم رفضه للشريعة الإسلامية .

ف رغم رفضنا للماركسية كان الإتحاد السوفيتي يأمل في إنتشار المعارك في اليمن وإحتمالات إمتدادها إلى خارج حدودها حتى تصبح الثورة اليمنية طلائع سوفيتية متقدمة في الجزيرة العربية . طلائع سوفيتية تحمل الراية الناصرية تتصدى لبريطانيا وأصدقائها في دول الخليج كما تتحدى المملكة العربية السعودية وصديقتها الولايات المتحدة الأمريكية .

ورغم رفض الإتحاد السوفيتي للشريعة الإسلامية كنت أستفيد من تأييده للثورة حتى تتبين بريطانيا والمملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأمريكية أن السلام مع (مرارة) النظام الجمهوري أفضل من الحرب من أجل (حلالة) النظام الإمامي .

وكان السلام الذي أقصده يعني ، بكل بساطة وكل وضوح ، أن يتعاون جميع القادريين على مساعدة شعب اليمن وهو يختار طريقه الأفضل نحو مستقبله الأفضل في إطار شريعته الإسلامية وتقاليد الوطن الإيجابية .

(١) في حديث مع رؤساء تحرير الصحف الكويتية صرح الرئيس حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية قائلا (أن الإغلاق كان سبب تأخير أحوال مصر إلى الخلف ١٠٠ عام . الآن كل صناعتنا متخلفة ، حتى صناعة النسيج التي كانت أحسن الصناعات تدهورت) (الأهرام في ٣١ ديسمبر ١٩٨٣ صفحة ٥) .

كنت أعرف أن الاتحاد السوفيتي يضع في حساباته أنه سوف يتخلص منى عند النقطة التي يراها مناسبة لتحقيق أحلامه في الجزيرة العربية ، وكان الاتحاد السوفيتي يعرف أنني أضع في حساباتي أنني سوف أتخلص من نفوذه عند النقطة التي أراها مناسبة لتحقيق أحلام الثورة اليمنية . وكان لكل طرف منا أسبابه ووسائله وأهدافه الخاصة للتخلص من الآخر .

كان الاتحاد السوفيتي يتطلع إلى اللحظة المناسبة التي أختفى فيها ، فيظهر مكانى ماركسيون ملتزمون ، أو زعماء مصفقون ، وكنت أتطلع من جانبي إلى اللحظة المناسبة التي يصبح فيها الاتحاد السوفيتي صديقا له معنا علاقات سياسية وذكريات ثورية ، دون أن تجمعنا نظرية عقائدية ، أو يستخدمنا أداة في تحقيق أحلامه التوسعية .

لم يخف عنى أسلوب الاتحاد السوفيتي في التخلص من القيادات السياسية ، الذى غالبا ما يكون بالتصفيات الجسدية ، ومع ذلك رحبت بالمجازفة لأننى كنت أحافظ على مصلحة اليمن الحقيقية وعقيدتى الإسلامية وليس على مصلحتى الشخصية ومنصبى فى الجمهورية .

ولعلنى قد عبرت تلقائيا عن هذا الإحساس اللاشعورى فى المؤتمر الشعبى أثناء الإعلان عن رفضنا للماركسية وتمسكنا بالشريعة الإسلامية حين قلت (إننى إذا لم أمت الآن فإننى لن أعمر مائة عام ، وخير لى أن أموت مرفوع الرأس ملتزما بمصلحة الوطن متمسكا بشعائر الإسلام من أن أعيش ألف عام ، ثم أترك خلفى ما أندم عليه حين يحاسبنى الله عنه ، ويلومنى التاريخ فيه) .

وتاريخ المفكر أو الزعيم أو الحاكم لا يقاس بسنوات حكمه ، وإنما بسنوات ذكره ، ولا يعنيه ما يكتبه عن نفسه وإنما ما تكتبه الأجيال من بعده ، فكم من حكام وزعماء ماتوا فى حياتهم ، وقليل منهم عاشوا بعد موتهم .

قلت للوفد الإقتصادى المصرى أنني أومن بالقومية العربية وزعامة عبد الناصر السياسية لكننى أومن ، فى نفس الوقت ، بأنه من أهم شروط النهضة العربية أن يستخلص كل إقليم عربى منهاج تطوره من ظروفه الموضوعية ، ضمن الإطار الإقتصادى العربى العام الذى يحيط بالصالح الإقليمى الخاص ، مع الترحيب بالتطور المستمر نحو الأفضل ، على ضوء النتائج التجريبية وتطور المعارف والأساليب الحضارية .

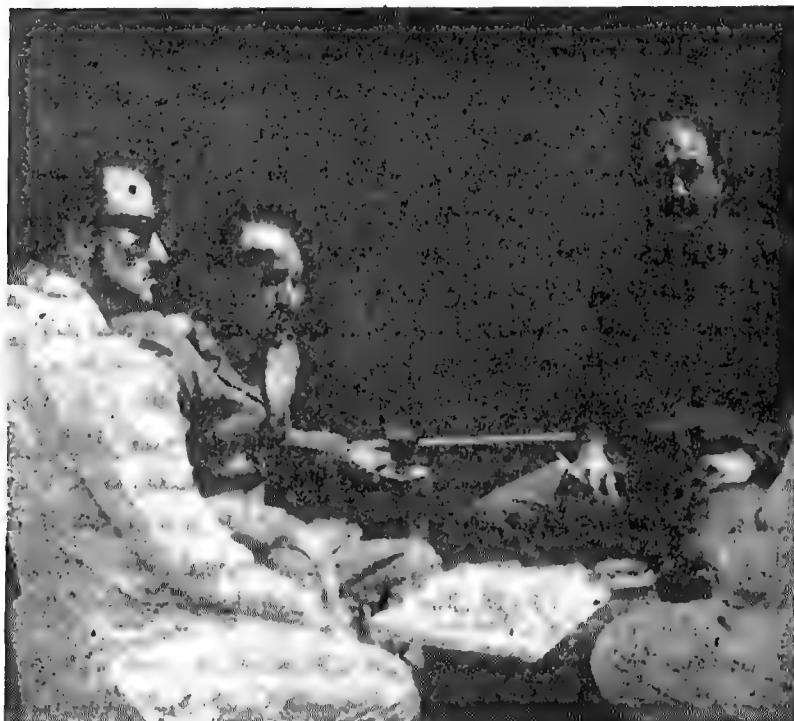
أشار إلى موقفى من الوفد الإقتصادى المصرى المؤرخ الأمريكى (دانا آدمز شميت) فى كتابه (اليمن .. الحرب المجهولة) صفحة ٧٥ طبعة ١٩٦٨ Yemen the Unknown War. Dana Adams Schmids 1968 P.75 New York London. : بالرغم من صداقة الدكتور البيضانى للرئيس عبد الناصر فإنه رفض أن يطبق سياسة عبد الناصر الإقتصادية فى اليمن) .

أوضحت للوفد الإقتصادي المصرى إننى لست كالزعيم الجزائرى الرئيس أحمد بن بىلا الذى قال أنه (يرفع القرآن باليد اليمنى ويرفع كتاب رأس المال لكارل ماركس باليد اليسرى) .

إننى مسلم يعنى عربى أرفع القرآن وحده بيدى الإثنتين .

ومن هذا المنطلق ناديت بالإجتهد الإسلامى ، الذى إذا كان قد توقف لضعف الهمم ، وضعف الثقة بالعلماء وأرائهم فإن أحدا لم يصدر حكما عاما بإيقافه ، ولا يستطيع أحد أن يفعل ذلك ، ولهذا فإن إستئنافه لا يحتاج إلى حكم يصدر من أحد . لكنه يبدأ عندما يلمس المفكر الإسلامى من نفسه القدره عليه ، وعلى الجهر به ، وتقوم البواعث على ضرورته ، أو على حاجة الناس وحياتهم إليه . والناس فى كل عصر تحتاج حياتهم إلى الإجتهد ، بما يتفق مع ما يتجدد من أحداث .

ولذلك إتفق علماء المسلمين على أن الإجتهد فرض شرعى على الجماعة المسلمة ، وهو فرض كفاية ، أى أنه إذا قام به البعض سقط عن الأمة ولم تأثم . أما بالنسبة للقادر عليه فإنه فرض عين ، أى أنه إذا تجدد من الأحداث ما يقتضى بيان الحكم الإسلامى فيه للناس يصبح القادر على الإجتهد أثما إذا قعد عنه ، كما تصبح الأمة أئمة إذا سكنت عن المطالبة به .



من اليمين الرئيس السادات فالرئيس السلال فالمؤلف



لم يكن عدد القوات المصرية التي وصلت إلى اليمن حتى يوم الأحد ٢١ أكتوبر ١٩٦٢ قد تجاوز ألفي رجلا بعد أن كانوا تسعمائة يوم الثلاثاء ٩ أكتوبر ١٩٦٢ وأخذ القلق يسيطر على عدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة وعدد من الوزراء حتى أقترح المقدم عبد الله جزيلا أن يسافر إلى مصر ويزور الدول العربية يشرح لها أهداف الثورة اليمنية ويطلب تأييدها ومساعدتها للثورة .

وما أن أبدى جزيلا اقتراحه حتى استحسنه وزير العدل القاضي عبد الرحمن الارباني ، وأيده وزير المعارف القاضي محمد محمود الزبيري ، وتحمس له وزير الإعلام السيد أحمد حسين المروني ، وأبدوا رغبتهم في السفر مع جزيلا لهذا الغرض الوطني .

كان من الواضح عند السلالة وعندى أنهم يهربون من صنعاء عندما بدأت الأخبار المزعجة تصل من ساحات القتال ، فتذكرت قصة الزبيري عندما ذهب إلى الرياض إثر إنقلاب سنة ١٩٤٨ لإقناع الملك عبد العزيز آل سعود ، وترك الإنقلاب يواجه مصيره في صنعاء حتى فشل وتم القبض على زعمائه وإعدام بعضهم وسجن الآخرين ، وبذلك هرب الزبيري برأسه وسافر من الرياض إلى باكستان حتى لجأ إلى القاهرة . تذكرت أيضا قصة الأستاذ نعمان عندما ترك إنقلاب سنة ١٩٥٥ يواجه مصيره في تعز وذهب إلى الحديد لإقناع البدر ثم سافر إلى السعودية مع سقوط الإنقلاب وإعدام زعمائه وعاد إلى الإمام أحمد الذي وصفه بأنه عينه اليسرى بعد أن وصف ابنه البدر بأنه عينه اليمنى .

لم يكن في وسع السلالة أو في مقدوري أن نمنعهم من الهروب من اليمن لأننا لو رفضنا سفرهم وأبقيناهم معنا ضد إرادتهم فإن مشاعر القلق والخوف التي تسيطر على سلوكهم يمكن أن تؤدي إلى إنتشار عدوى القلق والخوف بين غيرهم من أبناء صنعاء وبين رجال الحرس الوطني الذين يقومون بحراستنا ، مما قد يزين لهم أن يقطعوا رأسينا تقربا إلى المستقبل المجهول الذي هرب منه أبطال الثورة .

لم ينتظر المقدم عبد الله جزيلا حتى نستقر على رأى بشأن سفر هذا الوفد الجمهوري إلى الدول العربية فأصر على أن يسبق الوفد إلى مصر لإجراء بعض الفحوص الطبية ، حيث تطورت معاناته من الإنهيار العصبي الذي اشتد وضوحه على ملامح وجهه وحركات يديه وكلماته السريعة التي ربما يقولها بغير قصد منه ولا إرادة .

بدأ جزيلان يعاني من الإنهيار العصبي منذ الأيام الأولى للثورة وقد سجل ذلك بقلمه في كتابه (التاريخ السرى للثورة اليمنية) صفحة ١٤٧ عندما سجل أول لقاء له مع العميد المصري على عبد الخبير الذى وصل معى إلى صنعاء صباح السبت ٢٩ سبتمبر ١٩٦٢ فكتب جزيلان قائلا :

(سألت العميد على عبد الخبير : أين الطائرات والمساعدات التى وعدتنا بها القاهرة ؟ فرد بهدوء شديد ستأتى على مهلها وستكون تحت إمرة الدكتور البيضانى .
أثارنى هذا الرد خاصة وأن أعصابى كانت مكدودة وقلت صارخا فى وجهه إذا لم تصل الطائرات وغيرها من المساعدات التى وعدت القاهرة بإرسالها عند قيام الثورة فتأكد إنى سأعلق رأسك على باب اليمن) .

إلى أن قال فى صفحة ١٦٨ (ركبت الطائرة متجها إلى القاهرة حاملا مرضى وآلمى وأحزاني معى وفى منزل صهرى عشت فترة من الزمن طريق الفراش) .

صدق جزيلان عندما قال عن نفسه أنه هدد العميد المصري على عبد الخبير بقطع رأسه وتعليقها على باب اليمن .

ولم يصدق عندما نسب إلى العميد على عبد الخبير قوله أن الطائرات والمساعدات العسكرية المصرية التى وعدت بها القاهرة ستأتى على مهل وستكون تحت إمرة الدكتور البيضانى .

الحقيقة أننا عندما وصلنا إلى صنعاء وجدنا المقدم عبد الله جزيلان فى قمة الإنهيار والذعر بعد أن هرب البدر من صنعاء وأعلنت المملكة العربية السعودية إحترامها لالتزاماتها نحو بيت حميد الدين واعترافها بالإمام الحسن (عم البدر) الذى نصب نفسه إماما على اليمن وتحرك نحوها عن طريق السعودية لضرب الثورة بمساعدة حكومتها التى صدقت أن البدر قد مات تحت أنقاض قصر البشائر .

كانت أشباح القتلى العشرين من أقطاب اليمن السابقين الذين اشترك جزيلان فى إعدامهم فور قيام الثورة تطارده ليلا ونهارا ، وربما كان الشبح الذى لا يفارقه قط شبح صديقه الأمير الشاب الحر الحسن بن على ، الذى ناشده الرحمة وهو مربوط فى ساحة الإعدام فأفرغ جزيلان بنفسه مدفعه الرشاش فى صدره بينما كان الأمير الشاب من الأحرار الناقمين على الأوضاع التى كانت سائدة فى اليمن قبل الثورة ، وكان مؤمنا بتحقيق العدالة والمساواة وإلغاء جميع أنواع التفرقة العنصرية والطائفية .

كانت هذه حالة جزيلان العصبية عندما سأل العميد على عبد الخبير عن الطائرات والمساعدات العسكرية المصرية فأجابه بأنها فى طريقها إلى اليمن وأن الدكتور البيضانى يعرف كل تفاصيلها وتوقيتها وكل ما اتفق عليه مع القادة المصريين فى القاهرة ، لأنه هو الذى اتفق معهم على تلك المساعدات أما هو ، أى على عبد الخبير ، فقد جاء إلى اليمن فى مهمة محددة هى جرد مخازن الأسلحة للتعرف على إحتياجات اليمن منها . فهاج

جزيلان من هذا الرد الواقعى وهدد بقطع رأس على عبد الخبير وتعليقها على باب اليمن ولم أكن فى حاجة إلى الاعتذار لعلى عبد الخبير عن ألفاظ جزيلان بعد أن شاهد إنهياره النفسى والعصبى الذى كان يعانى منه نتيجة للأسباب التى سبقت وصولنا إلى اليمن .

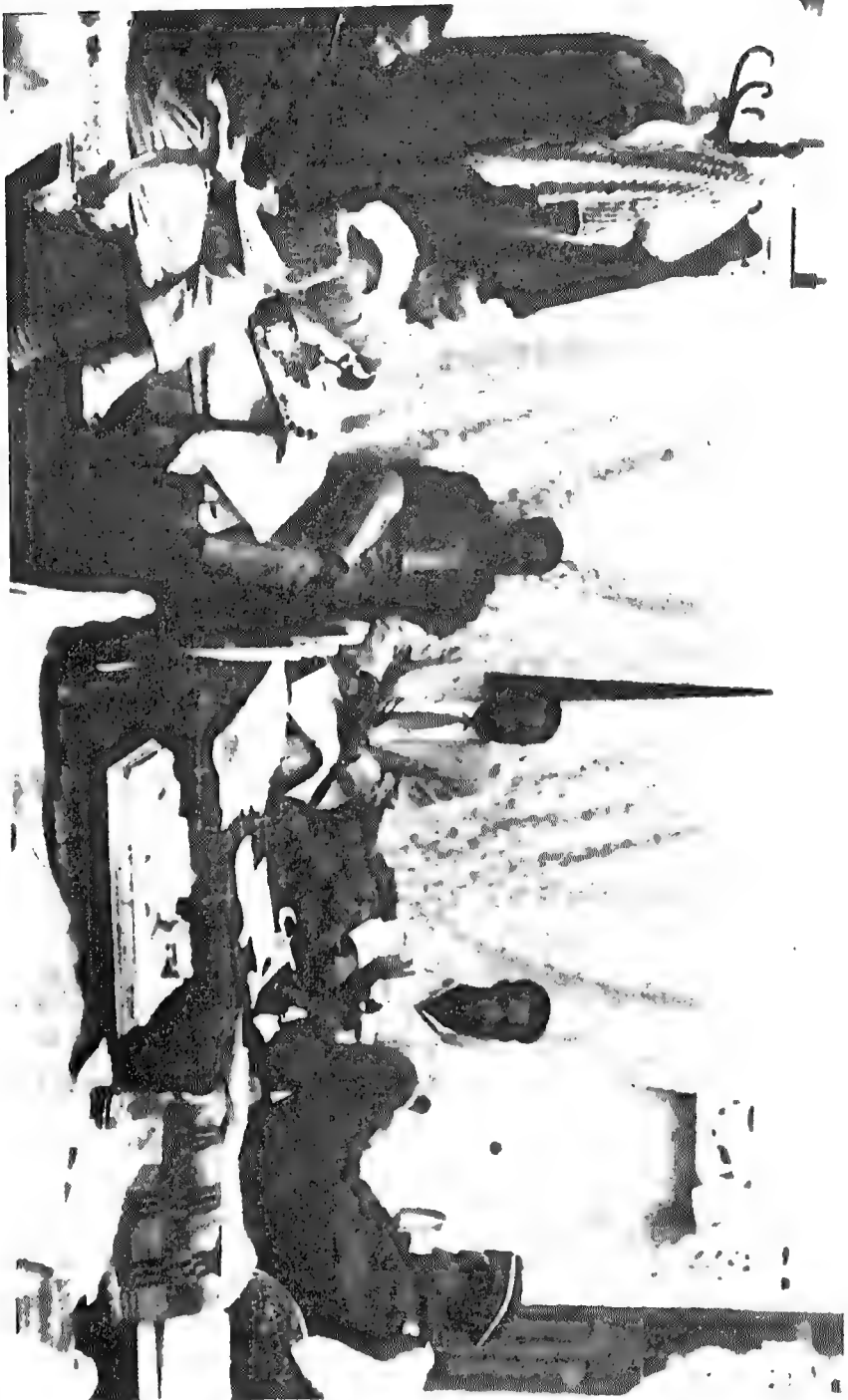
عندما تطورت حالة جزيلان الصحية ، وبناء على نصيحة الأطباء السوفييت الذين اختارهم بنفسه كى يتولوا فحص حالته ، وافقت مع الرئيس السلال على طلبه السفر إلى القاهرة للمعالجة ثم عاد فطلب أن نحجز له جناحا فى فندق هيلتون أو شبرد يقيم فيه مع أصهاره المقيمين فى مصر فنصحت السلال بالموافقة حتى يقيم فى الفندق مع أقاربه فيهدأ نفسا ويستقر خاطرا كعنصر من عناصر علاجه العصبى والنفسى .

لكنه عندما عاد إلى اليمن لم يكن قد حقق أى قدر من الشفاء ، وهذا ما قد كرره جزيلان عن قصة إنهياره العصبى وتعاطيه الحبوب المنبهة فى أكثر من موقع فى كتابه وعلى الأخص فى صفحة ١٤٨ عندما وصفها بقوله أنها (جعلت أعصابى مشدودة ليل نهار) ثم فى صفحة ١٥٣ كتب قائلا : (ذهبت إلى لقاء العميد على عبد الخبير وأنا منك القوى مشدود الأعصاب نتيجة للحبوب المنبهة .. وطلبت من العميد أن يقوم الطيران بحماية سرية المظلات التى أرسلت إلى منطقة خولان .. فقال : أنا عندى تعليمات بأن أتلقى أوامرى من الدكتور البيضانى ، نفذ صبرى ، وفقدت أعصابى) .

وفى صفحة ١٦٦ كتب جزيلان (قام عدد من الأطباء العرب بإجراء الفحوص الطبية لى حيث كنت أقيم فى دار الضيافة ، بينما كان الأخ عبد الله السلال والأخ عبد الرحمن البيضانى يقيمان فى القصر الجمهورى ، وكنت أقاوم المرض مقاومة عنيفة فالموقف العسكرى يتدهور بسرعة ولكنى لم أعد أحتمل مقاومة المرض ، وعادنى أطباء سوفييت وكان التشخيص ضعف حاد وهبوط وأنه من الضرورى الإخلاء إلى الراحة التامة) .

لذلك سمحنا له بالعودة مرة أخرى إلى القاهرة لإستئناف العلاج . ثم توجهت بالطائرة إلى أخطر ساحات القتال فى ذلك الوقت وهى منطقة رأس العرقوب . وعندما عدت منها وكان الطريق إليها قد قطعتة جماعات المتمردين أصدرت قرارا بتعيين العقيد حسن العمرى قائدا لمنطقة جحانه وهى منطقة تصل بين صنعاء ورأس العرقوب . وكان الهدف من ذلك تدعيم منطقة جحانة وإتخاذها مقرا لتخزين الأسلحة والذخيرة والمؤن الغذائية وجميع الإحتياجات الضرورية لتجهيز حملة عسكرية تقوم بتطهير وتأمين الطريق إلى رأس العرقوب حتى نزحف من هذه المنطقة إلى رأس الوتده فنتمكن من إستعادة السيطرة على منطقتى صرواح ومأرب .

وصلت من رأس العرقوب مريضا بالتهاب فى الكلى مع إرتفاع فى درجة الحرارة ، وعلى فراشى فى غرفة نومى حضر السلال وجلس على سريرى وعقدنا إجتماعا لمجلس قيادة الثورة شهده الأعضاء الذين كانوا فى صنعاء فى ذلك الوقت وهم ، كما يرى بعضهم فى الصورة المنشورة فى الصفحة التالية ، الزملاء عبد الغنى مطهر ومحمد قائد سيف وعبد الرحمن الاربانى وعبد القوى إبراهيم حاميم ، أما الذين لم تظهر صورتهم فهم الزملاء حسن العمرى وعبد السلام صبره وعبد الرحيم عبد الله .



اجتماع لمجلس قيادة الثورة في غرفة نوم المؤلف : ويظهر في الصورة بعض أعضاء المجلس .
من اليمين الرئيس السلال ثم المؤلف فعيد القتي مطهر فمحمد قائد سيف فعيد الرحمن
الارباي فعيد القوي حاميم .

تقرر في ذلك الاجتماع تعيين الأستاذ أحمد محمد نعمان مندوبا دائما في الجامعة العربية بعد أن ترك منصبه كوزير للحكم المحلي الذي لم يمارس أعباءه ساعة واحدة منذ صدور القرار بتعيينه وزيرا بناء على توصية أنور السادات ، وفضل أن يكون سكرتيرا للسلال الذي رحب بهذا الاختيار في أول الأمر ثم تبين له أنه بهذه الصفة كان يتولى في غيبة منا الرد على بعض رسائل القيادة العامة بتوجيهاته الشخصية التي يراها ، مما أوجد العديد من المشاكل مع القيادات العسكرية في ساحات القتال .

كذلك أصّر السلال على ضرورة إبعاد العميد حمود الجائفى عن اليمن بحجة أن الجائفى يجمع من حوله في قيادة الحديدة عددا من الضباط ورجال القبائل تحت ستر مطاردة البدر بينما يعمل في واقع الحال على إنشاء جبهة معادية للسلال . أمضيت طوال شهر أكتوبر ١٩٦٢ محاولا إقناع السلال بوطنية الجائفى وإستحالة قيامه بمثل هذه الأعمال التي تعرض الجمهورية للخطر ، غير أنني اضطرت إلى الموافقة على إلحاح السلال حتى أضع حدا لظنونه التي عزلته عن مجرى الأحداث المتفاقمة في أطراف الجمهورية .

طلب منى السلال أن أستدعى الجائفى إلى صنعاء ثم أحرسه حتى المطار فيسافر إلى القاهرة في وظيفة رئيس للوفد اليمنى لدى القيادة العسكرية العربية المشتركة .

اعتذرت عن عدم إستطاعتي ممارسة هذا الأسلوب الذي لا يتفق مع أخلاقيات الثوار ، وطلبت منه أن يترك موضوع الجائفى لى وتحت ضمانتي الشخصية ووعده بأننى سأرسل برقية أستدعى فيها وزير الدفاع وعضو مجلس القيادة العميد حمود الجائفى لمقابلتي في صنعاء وأخبره فيها بأنه تقرر تعيينه في تلك الوظيفة في القاهرة . إعترض السلال على هذا الأسلوب مؤكدا أنه إذا علم الجائفى بسبب إستدعائه إلى صنعاء فإنه سيذهب إلى مدينة حجة الحصينة وينضم إلى قائدها النقيب على سيف الخولانى ومساعدته النقيب هاشم الحوثى وهما من أصدق تلاميذ الجائفى ، وعندئذ يعلنون العصيان على السلال .

قلت للسلال أن وطنية على سيف الخولانى وهاشم الحوثى لا يرقى إليها شك وهما اللذان دافعا عن حجة ورفعا فوقها العلم الجمهورى وأن العميد حمود الجائفى لن يقبل على نفسه أن يسىء إلى وحدة الصف الجمهورى حتى لو دفع حياته ثمنا لذلك .

صممت على رأى وأرسلت برقيتي إلى الجائفى أستدعيه إلى صنعاء لمقابلتي قبل سفره إلى القاهرة حيث تقرر تعيينه في تلك الوظيفة . حضر الجائفى إلى مكتبى في صنعاء في نفس اليوم وشرحت له مخاوف السلال مؤكدا له ثقتى الشخصية فى ولائه للجمهورية ، وأضفت إلى ذلك أنه بعد أن تستقر الأمور فى اليمن سأكون بنفسى أول المستقبليين حتى يعاد تشكيل قيادة الجمهورية باختيار شعبى بعد فترة الإنتقال .

قال الجائفي أنه يحملني مسئولية قيادة الجمهورية ونصحتني بعدم الإصغاء إلى الكثير مما يدور في ذهن السلال حتى لا نصفي قيادة الجمهورية من رجالها القادرين على حمايتها . وقال أنه يعرف شخصية السلال أكثر مني ، وأنه ، أي السلال ، يسعى إلى التخلص من جميع رجال الثورة لأنه يشعر في قرارة نفسه بأنه ليس على مستوى قيادتها . شكرته على حسن ظنه بي ووعدته بأنني سوف أنصح السلال كلما أمكنتني ذلك ، وذكرت له أنني لم أسمع من السلال أية شكوى إلا عن مخاوفه من الجائفي ثم الارياضي وأنه إذا كان يكره جزيلان فإنه لا يشعر بوجوده .

السلال يتنقل على المواقع البرقيات العاجلة المتعاقبة بمواقف ساحات القتال المتعددة





الشيخ القردعي ، شيخ قبيلة مراد في شرق اليمن ، وصل إلى صنعاء مندوباً عن شيوخ القبائل
للاطمئنان على سلامة المؤلف بعد أن رددت الأذاعات المعادية إشاعة كاذبة عن اغتياله باسم على
أثر اعتقاله يومين يعاني من التهاب في الكلى .



ربما لم أكن موفقا مع بعض الوزراء عندما كنت أحثهم على مضاعفة جهودهم للإسراع إلى تحقيق نتائج إيجابية يلمسها الشعب .

ولعل بعضهم كان يعتقد أنني أتدخل في شئون وزارته عندما كنت أقدم إليه خبرتي وأعوانه على اختيار الحلول والإجراءات والنظم الأكثر توفيقا لإجتياز الإمتحان الرهيب الذى كانت تؤديه أول وزارة جمهورية ورثت عن الإمام جهازا إداريا لا يعرف شيئا كثيرا عن شئون الحكم ولا شيئا قليلا عن معنى الإدارة ، حتى شكى منى وزير العدل القاضى عبد الرحمن الاريانى للسادات (الوثيقة رقم ٢٦) لمجرد أنني وضعت نظاما لإجتماعات مجلس الوزراء ينظم كلمات الوزراء بحسب أسبقية طلب الكلمة .

وكذلك كنت أقول للوزراء أن الشعب ينتظر منا نتائج ملموسة ولا يكتفى بمجرد الخطب التى نحسن إلقاءها والشعارات التى نتقن رفعها .

ومن أجل ذلك طلبت لهم إثنين وخمسين خبيرا مصريا كان من بينهم أربعة خبراء لشئون الإحصاء ، وأربعة لوزارة الخزانة ، وأربعة لوزارة الإعلام ، وأربعة لوزارة الداخلية وثلاثة لوزارة الأشغال ، وثلاثة لوزارة الصحة ، وثلاثة لوزارة التجارة ، وثلاثة لوزارة الزراعة ، وثلاثة لشئون الطيران المدنى ، وثلاثة للملاحة البحرية ، وخبيران لوزارة المواصلات ، وخبيران للثقافة والإرشاد ، وخبيران لوزارة العدل ، وخبيران لوزارة الخارجية ، وخبيران للشئون البلدية ، وخبيران لوزارة التموين ، وخبير لشئون المغتربين ، وخبير لشئون الرى .

وكما سبق أن ذكرت ، ولأبأس إذا كررت ، أنني كنت أعتبر أن نجاحنا فى المعركة الحضارية هو أهم وأقوى الأسلحة التى تساعدنا على النجاح فى المعركة العسكرية . فنحن لانحارب عدوا ينازعنا أرض الوطن ، وإنما نحارب صديقا لا يعرف أننا نعمل من أجله ، وهو كلما عرف قليلا عنا كلما اقترب كثيرا منا .

وهو لا يعرف أننا نعمل من أجله إلا إذا رأى فينا النموذج القادر على تحقيق الأهداف السياسية التى أعلنتها الجمهورية ، وعرف عنا الكفاءة القادرة على تحقيق النهضة الإقتصادية التى افتقدها طوال العهود الإمامية .

وكان بعض الوزراء يعتقد أنه نظرا للتخلف الرهيب الذى يعيشه الوطن فإنهم مهما أجهتدوا فإن جهودهم لن تكون ذات نتائج ملموسة ماديا فى وقت قريب ، وهو الوقت الذى تقرر فيه مصائر الثورات بصفة عامة ، ومصير الثورة اليمنية بصفة خاصة ، فقلت لهم أنه من الأفضل أن نتحمس فنقوم بأى عمل حتى لو كان قليل النتائج القريبة من أن نياس ولا نقوم بأى عمل مطلقا .. وحتى إذا سقطت الثورة وسقطت معها رؤوسنا فإننا نكون قد تركنا وراءنا بداية لأعمال منتجة على أمل أن يذكرنا بها الشعب عندما تظهر نتائجها الكاملة من بعدنا ، ويستكملها جيل آخر غيرنا .

هذا ما سبق أن دفعنى إلى الإستماته فى تأسيس البنك اليمنى للإنشاء والتعمير بينما كانت المعارك العسكرية تزداد ضراوة فى معظم أنحاء البلاد ، وكنت لا أترك أى مجال شعبى إلا وأخطب فيه داعيا جماهير الشعب إلى الإكتتاب فى رأسماله .

وعندما كنت أزور المواقع العسكرية الأمامية كنت أخطب عن النهضة الاقتصادية فوق الدبابات لأثير حماس الجماهير للدفاع عن الجمهورية بالسلاح وبناء الجمهورية بالإقتصاد ، وكانت طلقات المدافع وإنفجارات القنابل هى اللوازم الموسيقية التى كانت تتخلل صوتى وأنا أخطب المقاتلين ، لأنه كان يجب علينا أن نوضح لهم لماذا نقاتل من أجل النظام الجديد ؟ كان علينا أن نرسم لهم المستقبل العريض الذى ينتظرهم عند إنتصار هذا النظام الجديد الذى جاء نقيضا للنظام القديم .

كان علينا أن نقنع الشعب ، وأن نقنع أنفسنا أولا ، بأننا فعلا نبنى مستقبلا أكثر رخاء وأقدر تحقيقا لأمانى الجماهير التى تبذل أرواحها فى سبيل دفاعا عن هذا النظام الجديد .

فلم تكن معنا جنة فى السماء نغرى بها الناس على الإستشهاد وهم يدافعون عن دين جديد فى الأرض .. وإنما كانت معنا جنة فى هذه الأرض وكانت هى الأمل الكبير الذى ينتظره الناس إذا ما استماتوا فى الدفاع عن نظام جديد يصنع لهم جنة الأرض التى لا تتعارض مع جنة السماء .

كان علينا أن نقنع الجماهير بأنها لم تكن تقاتل دفاعا عن فلان وفلان ، أو بغضا لفلان وفلان ، أو إنحيازا لكذا وكذا ، وإنما سعيا إلى المستقبل الأفضل الذى يمكنه أن يلحق شعب اليمن بسكان العصر .

كان ذلك باعثنى على حث الزملاء الوزراء كى يضاعفوا من نشاطهم الكبير الذى كانوا يبذلونه فعلا ، غير أن بعضهم فسر هذا الباعث الوطنى بأنه تدخل فى شئونهم وأعمالهم .

وكان ذلك هو نفس الباعث الذى دفعنى إلى الإشتراك بنفسى فى المعارك العسكرية سواء بالتخطيط ، أو بالتجهيز ، أو بالقتال فى مقدمة الصفوف الأولى فى المعارك المختلفة ، على إمتداد ساحات القتال كلها ، مما وصفه البعض بأنه تدخل من غير العسكريين فى الشئون العسكرية .

وفات على هذا البعض أن المعارك العسكرية في اليمن ، من قبل الثورة ومن بعدها ، لم تكن معارك عسكرية بالمعنى المعروف في مناهج الكليات الحربية العصرية . إذ لم يكن الجيش اليمني ، قبل قيام الثورة وبعد قيامها ، جيشاً نظامياً في عرف هذه الكليات علاوة على أنه عندما بدأت حركات التمرد القبلي ضد الثورة في عدة مناطق تفرق أفراد هذا الجيش للأسباب التي سبق شرحها في هذا الكتاب ، ولم يبق منهم موالياً للثورة سوى النزر اليسير ، مما جعل الحكومة تعتمد في الدفاع عن النظام الجمهوري على رجال القبائل الموالين له ، والذين كانوا يقاتلون دفاعاً عن الثورة بأسلوبهم القبلي الخاص وتحت قيادة زعمائهم وشيوخهم ، وكان معهم في بعض الأوقات ضباط من رجال الثورة بأسلحتهم الخفيفة والمتوسطة ، وكان أمامهم وخلفهم ، في معظم الأوقات ، رجال من القوات المصرية بأسلحتهم الثقيلة في حراسة الطائرات المصرية .

وكان يقاتل من أجل الثورة إلى جانب هؤلاء شباب من اليمن الأسفل وعدن والجنوب اليمني المحتل الذين لم يكن هناك متسع لإتقان تدريبهم العسكري وكان قائد الحرس الوطني الملازم هادي عيسى يدفع بهم إلى ساحات القتال في جموع حاشدة لا تعرف من إستراتيجية الحرب وتكتيك القتال سوى الإيمان المطلق بالجمهورية والاستعداد غير المشروط للإستشهاد في سبيلها .

تلك كانت طبيعة المعركة بعد قيام الثورة .

كانت الثورة اليمنية ثورة شعبية ذات ذراع عسكري تكونت عضلاته من أبطال اليمن الضباط الثوار حديثي التخرج من الكلية الحربية اليمنية ومدارس أسلحة الجيش ، الذين دربتهم البعثة العسكرية المصرية ، والذين يكفهم فخراً أن ضربوا قصر الإمام البدر فقتلوا الذعر في قلبه حتى هرب من صنعاء العاصمة ، ليبدأ دور الشعب اليمني بكل عناصره وعلى امتداد ساحاته ، الأمر الذي كان يعتمد على قدرة إقناع معظم أبناء الشعب بأهداف الثورة حتى تتعلق آمالهم بها ، ثم تحويل الآمال إلى ولاء ، وصباغة الولاء في عقيدة ، وصهر العقيدة في إرادة ، وتطويع الإرادة في طاقة ، ثم تنظيم هذه الطاقة كي تصنع المعجزة حينما تفرض أهداف الثورة وتغير مسار التاريخ اليمني الذي لا يتغير ولا يطوى صفحات المأساة الكبرى في اليمن من مجرد ضرب قصر البدر بالقبائل وهروبه من صنعاء ، بينما ينوى العودة إليها .

كان ذلك ما تحتاج إليه الثورة بعد قيامها ، وهو ما يحتاج إلى تكامل جميع الجهود الثورية ، سواء سميهاها عسكرية أو مدنية ، قبلية أو حضرية ، زيدية أو شافعية ، هاشمية أو قحطانية .

كان التصدى للمعركة إيماناً ومجازفة ، فبقى معنا في صنعاء ما بقي ، وهرب من حولنا من هرب ، وليس في ذلك فضل لمن بقي ، ولا عيب فيمن هرب ، لأن الصمود أمام الخطر أمر يتعلق بقوة الأعصاب أكثر من تعلقه بقوة الإحساس به .

عاب علىّ هذا البعض أنني ناديت بالثورة ، وجازفت بحياتي ، فتصدت للمعركة وصمدت أمام الخطر ، وكأنهم يطلبون مني أن ألتزم بالشئون السياسية والإقتصادية فأتجرد من المشاعر الذاتية ، وأتنحى عن الشهامة الوطنية ، ثم أراقب من شرفة مكتبي في رئاسة الجمهورية إنهيار المواقع العسكرية وفرار الكثير من الشخصيات الوطنية ، العسكرية والمدنية التي تركت المعركة للضباط الأحرار الذين وصفوهم بالضباط الصغار ، واحتفظوا لأنفسهم بحكمة الضباط الكبار ، ولم يدر هؤلاء (الكبار) أنهم بذلك قد نقشوا ، في تاريخ اليمن ، صفات من استمات على أرض المعركة وصفات من هرب منها ولاذ إلى الفرار .

كيف أنتظر في مقعدى إلى جوار السلال حتى يصل إلينا الإمام البدر ؟
أو من يدعى مرة أخرى بأنه الإمام المنتقم لله ؟

لم يكن ذلك من طبيعتي ، ولو كنت ممن يخشون الموت من أجل الوطن ولا يؤثرون بلدهم على أنفسهم لأنتمست السلامة في مصر ، وبقيت في القاهرة أراقب المعركة اليمنية من بعيد ، مدعياً حكمة الكبار الذين لاذوا بالفرار ، تاركا المعركة العسكرية للعسكريين الذين قالوا عنهم أنهم ضباط صغار ، ثم أتغنى بالدفاع عن الثورة في عواصم الأرض ضيفا رسميا عزيزا على ملوكها ورؤسائها ، فإذا نجحت كنت أحد الثائرين فأعود إلى صنعاء أقسم الغنيمة مع من يبقى على قيد الحياة من الثائرين وانتقد أخطاء المقاتلين المستمتمين وأتاجر بحكمة الكبار الهاربين ، وإذا فشلت كنت أحد اللاجئين مثل غيرى من السابقين واللاحقين ، فانتظر ثورة أخرى أو أقبل حلولا وسطى .

لم يكن ذلك من طبيعتي .
ألم أكن الداعية إلى الثورة .. الذى قال من أذاعة مصر « أننى لن أكتفى بالكلام من صوت العرب وإنما سأكون معكم في المعركة الفاصلة » ؟
إن .. لماذا أهرب من المعركة الفاصلة التى توقعت أنها سوف تكون معركة ، ووصفتها بأنها سوف تكون فاصلة ؟

لقد وجدت نفسى وجها لوجه مع قدرى ، لا خيار عندى بين الإقتراب من الخطر أو الابتعاد عنه ، فتقاسمته مع السلال الذى كان يحرس ظهرى حين أنام وأفنديه بحياتي حين أستيقظ .

كان السلال مؤيدا لنشاطى العسكرى معجبا بإشتراكى فى القتال فى الصفوف الأمامية مما كان يرفع روح المقاتلين المعنوية فاقترح أن يعقد إجتماعا لمجلس قيادة الثورة ليقرر منحى رتبة « فريق أول » وكان السلال فى ذلك الوقت يحمل رتبة زعيم « عميد » فسألته عن سبب ذلك قال أن أغلبية أعضاء المجلس تريد أن تمنحه رتبة « مشير » وبما أننى الرجل الثانى فى مجلس القيادة وفى القيادة العسكرية نفسها وأننى أقوم فعلا بقيادة المعارك الحربية بصفتى نائبا له فإننى ينبغى على أن أحمل رتبة « فريق أول » مثل مارشالات الصين والروس الذين كانوا مدنيين ثم أكتسبوا رتبهم العسكرية وهم يقودون قوات الثورة الشعبية .

شكرت السلال على تلك الثقة الغالية وأوضحت له أنني لا أستحسن أن تضاف على لقب « دكتور » رتبة عسكرية حيث أنني أشترك في المعارك الحربية بحكم الضرورة وملء الفراغ وبصفة مؤقتة حتى تستقر الثورة فأكرس كل وقتي وجهدي في إكمال بناء الجهاز الإداري وصرح اليمن الحضاري .

كنت أعتبر ، بحق ، أن المعركة الحربية والمعركة الاقتصادية وجهان لعمله واحده ، كلتاهما تؤثر في الأخرى وتتأثر بها .

فكنت أحارب بيد وأبني إقتصاد اليمن باليد الأخرى . لا يفصل بين المجالين سوى سويغات الانتقال بين المعارك الحربية والمعارك الإقتصادية والسياسية ، وكان لا يدركني الملل ولا ينال مني الكلال لأنني كنت أعرف أنني أشترك في صنع التاريخ ، ومن يشترك في صنع التاريخ لانتوء به الأحمال ولا تخور به العزيمة .

غير أنني أشهد أن المناورات الحزبية والدسائس التي تسترت في ثياب الجمهورية كانت تشغل بالي وتقض مضجعي . لأنها لم تكن تتقن شيئاً قدر إنقائها التركيز على تمزيق شمل الثوار كي ترث مواقعهم التي لم تكن قد أصبحت بعد غنائم سياسية ، وإنما كانت لا تزال قنابل زمنية يمكن أن تنفجر في أصحابها في أية لحظة من اللحظات المتوقعة على المتغيرات التي تطرأ من حين إلى آخر على قناعة جنود الحراسة وثقتهم في إنتصار الجمهورية .

كان أصحاب الدسائس ، الذين تستروا في ثياب الجمهورية ، كلما أنفردوا بالسلال أسكروه شكراً وأفرطوا في ذم البيضاني ، وإذا خلوا إلى البيضاني أتخموه ذكراً وأسرفوا في ذم السلال . وكنا نعرف ذلك ولا نتأثر به ، وكان كل منا يرويه للآخر قبل أن ننام .

وربما كان البعض من أصدقائنا أشد خطراً على الثورة من الكثير من أعدائنا ولم أدر هل كان نشاطهم المعادي لنا عن قصد منهم أو عن سهو عنهم ، أو كانوا يعتقدون في قرارة أنفسهم أنهم أحق بقيادة الثورة من غيرهم ، أو أقدر على رئاسة الجمهورية من سواهم . فقد لاحظ الرئيس السلال أنه كلما جاءت إلى صنعاء وفود القبائل لتقسم يمين الولاء للجمهورية بين يديه لا تلبث أن تدبر له ظهرها بمجرد أن ينفرد بها وزير العدل الزميل القاضي عبد الرحمن الإرياني قبيل خروجها من صنعاء وهي محملة بالأسلحة والذخيرة والأموال التي أعطاه لها السلال .

كنت لا أكاد أصدق ظن الرئيس السلال عندما كان يسر بخوابه في أذني قبل أن ننام ، وكنت أرجح أن تكون هذه المتناقضات مجرد مصادفات أو أنها لا تخرج عن كونها نوع من دهاء بعض القبائل التي تخدع الجمهورية بإسم الولاء لها كي تحصل منها على السلاح حتى تتسلح به ضدها ، وكنت أستبعد أن يغيب عن فطنة الزميل الذكي القاضي عبد الرحمن الإرياني أنه قد لا ينال من وراء ذلك ما كان يسعى إليه ، إذا ما تطور الموقف وسقطت جدران المعبد الجمهوري على رؤوس صانعية مع الطامعين فيه ، اللهم إلا إذا كانت هناك من خلف الستار موثيق سرية بينه وبين أعداء الجمهورية كنوع من الإحتياط مما عساه يكون في جوف الدهر من مفاجات .



وصل إلينا فى صنعاء المشير عبد الحكيم عامر فى يوم السبت ٢٧ أكتوبر ١٩٦٢ وبصحبه السيدان شمس بدران وعلى شفيق وكنت فى إستقبالهم فى المطار مع الرئيس السلال واللواء أنور القاضى الذى كان قد تولى قيادة القوات المصرية فى اليمن . وأثناء الإجتماعات المغلقة التى كنت أحضرها مع الرئيس السلال وحدثنا أطلعنا المشير عامر على وجهة نظر الرئيس عبد الناصر فى الموقف الدولى المحيط بالثورة ، وضرورة حسم المعركة العسكرية فى أسرع وقت قبل أن يستفحل خطرها ، كما نصحنا بالحرص على القبائل الموالية للثورة وتعبئة جهودها للإشتراك الحاسم فى المعركة بعد أن كادت ساحات القتال تخلو تماما من الجيش اليمنى النظامى ولم يبق فى المعركة غير القبائل التى كان يقودها الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر ، ومجموعات الحرس الوطنى من أبناء الجنوب الذين كان أكثرهم يهلكون فى شرك الكمائن التى كانت تنتظرهم وهم فى طريقهم إلى القتال دفاعا عن الثورة فى الشمال .

حتى ذلك الوقت لم تكن قد اعترفت بالحكومة اليمنية سوى اثنتين وعشرين دولة وكانت بقية الدول تنتظر ما سوف تسفر عنه المعارك الحربية ، ولم يكن عندى أدنى شك فى أن الموقف الأمريكى والبريطانى من الثورة اليمنية كان السبب الرئيسى فى تراث معظم دول العالم فى الإعراف بحكومة الجمهورية العربية اليمنية ، فاستدعيت القاتم بالأعمال الأمريكى المستر ستوكى ، وحملته رسالة ثانية إلى الرئيس الأمريكى جون كنيدي أشرح له فيها مدى الإستقرار الذى ينعم به النظام الجمهورى فى معظم أنحاء اليمن باستثناء مناطق جبلية متفرقة فى شمال البلاد يسهل فيها قطع الطرق من جانب البسطاء محترفى حمل السلاح ، الذين يسهل على القوى الأجنبية المعادية للثورة الجمهورية أن تغرر بهم وتضلل عقولهم وهى تغريهم بالمال مع السلاح الذى يعشقونه عشقا لا يدانيه حب الإمامة ولا بغض الجمهورية .

سألت الرئيس كنيدي عما إذا كان ينتظر حتى يعلن هؤلاء ولأهم للنظام الجمهورى الذى كانوا يبايعونه فعلا حين يصبحون ثم ينقلبون عليه حين يمسون ؟ . لقد كان أشقاء الأسرة الواحدة يوزعون أنفسهم بين مؤيد للجمهورية ومبايع للإمامة كى يحلب أحدهم بقرة السلال ويحلب الآخر شاة البدر .

قلت للرئيس كنيدي أن هذا السلوك من جانب القلائل الذين تجسم الإذاعات الأجنبية تمردهم لا ينبغى أن يؤخر الإعراف الأمريكى بالجمهورية اليمنية فيعطل مساعدة الحكومة الأمريكية التى تسعى حقيقة إلى تحقيق الإستقرار فى شبه الجزيرة العربية ،

لأن ذلك التمرد الذى يستند على مثل تلك البواعث غير الحضارية يمكن أن يستمر لفترة قد تطول وعلى ساحة قد تتسع إذا لم نبدأ بغرس البذور الحضارية ، التى لا تعتمد على المواجهة العسكرية قدر إعتمادها على الإصلاحات العمرانية والمشروعات الاقتصادية .

ختمت رسالتى للرئيس كنيدي متسائلا عن الدولة العظمى التى أخطب ودها لمساعدة اليمن حضاريا إذا تخلفت أمريكا عن مساعدتها واستمرت فى مساعدة قطاع الطرق وهم يقطعون عليها طريق الإستقرار والحضارة .

واستدعيت القائم بالأعمال البريطانى وحملته رسالة إلى المستر ماكملاند رئيس وزراء بريطانيا شرحت فيها نفس هذا الموقف متسائلا عن نفس تلك الأسئلة .

وبعد يومين صرح متحدث رسمى بإسم الحكومة البريطانية بأن حكومته قد وعدت بالإعتراف بالنظام الجمهورى فى اليمن ، وقد نشرت صحيفة الأهرام المصرية أخبار هذه المقابلة وذلك التصريح يوم الأحد ٢٨ أكتوبر ١٩٦٢ .

سألت المشير عبد الحكيم عامر عن سبب عدوله عن إفاد الرائد صلاح المحرزى ضمن ضباط القوات المصرية ، على نقيض ما اتفقنا عليه أمام الرئيس جمال عبد الناصر للإستفادة من علاقاته الخاصة مع جميع ضباط الكلية الحربية ، الذى كان كبيرا لمعلمهم ، فصدقا شخصا لهم ، فقال أنه بعد أن قرر إرسال الرائد صلاح المحرزى إلى صنعاء وصل إليه تقرير من السفارة المصرية فى اليمن يفيد بأنها تخشى من وصول المحرزى مع القوات المصرية فينشئ من هؤلاء الضباط مركز قوة وأن القائم بالأعمال المصرى الأستاذ محمد عبد الواحد يحرص على بقاء زمام المبادرة فى يد السلال وفى يدي . فاستحسن الرئيس جمال تأخير سفر الرائد صلاح المحرزى حتى يتضح له الموقف فى صنعاء بجلاء .

تألمت كثيرا من هذا الخبر ، وتألمت أكثر من عدم إنتباه الرئيس جمال والمشير عامر للبواعث الشخصية التى تفوح من رائحة هذا التحليل العجيب .

أعدت شرح وجهة نظرى للمشير عامر ، وأوضحت الأسباب الملحة التى تقتضى الإسراع بتجميع طاقات ضباط الثورة بأسلوب تعودوا عليه من معلم تدربوا على يديه ، وصديق وثقوا فى صدقه معهم ، وإخلاصه لهم .



فى يوم الثلاثاء ٣٠ أكتوبر ١٩٦٢ وصلنا تقرير من القاهرة يفيد أنه فى صباح ذلك اليوم قام عبد الله جزيلاى بزيارة السادات ومعه العميد حمود الجائفى الذى تم تعيينه رئيسا للوفد اليمنى بالقيادة العسكرية المشتركة بالقاهرة ، وشرح التقرير مأساة الهجوم الشخصى على شخص السلال ، وكيف أهال جزيلاى تراب اليمن على رئيس مجلس قيادة الثورة .

كنا فى ذلك اليوم قد انتهينا من إعداد أول دستور للجمهورية العربية اليمنية ، كخطوة دستورية نحو إرساء دعائم الاستقرار فى اليمن ، الذى يعتمد على مجلس قيادة الثورة فى أعمال السيادة ، وعلى مجلس الوزراء فى شئون السلطة التنفيذية ، إلى جانب المؤتمر الوطنى الذى يضم هذين المجلسين ، ومجلس الدفاع الأعلى ، مع تحديد فترة إنتقال لمدة خمس سنوات يتم خلالها وضع قانون للإنتخاب حتى تجرى إنتخابات حرة فى جميع أنحاء اليمن للتصويت على الدستور النهائى ، وإنتخاب المجلس النيابى الذى ينتخب رئيس الجمهورية بعد إنتهاء فترة الإنتقال .

عندما ناقشنا الأسماء التى تضطلع بالعمل أثناء فترة الإنتقال لم يختلف الرأى على استبعاد العميد حمود الجائفى الذى رحب بالعمل الذى كلفناه به فى مصر تحت ضغط السلال وظنونه القاتلة ، رغم أننى كنت ولا زلت أحمل للجائفى أعظم تقدير وحب وإعجاب ، وهو من جانبه ، كما سبق شرحه ، قد حملنى مسئولية صنع تاريخ اليمن ، ونصحنى بأن اتطلع دائما إلى المستقبل ، ولا أستمع إلى الذى كان يعيش فى الماضى ، بغير أدنى تصور للمستقبل ، وكان يشير بذلك إلى السلال وهو فى طريقه إلى القاهرة مبعدا عن اليمن متأكدا من أنه فقد منصبه كعضو فى مجلس القيادة ووزير للدفاع .

غير أن الرأى قد اختلف حول المقدم عبد الله جزيلاى ، حيث قال البعض أنه لا جدوى من إشراكه فى هذه التنظيمات نظرا لحالته الصحية ، ولأن أعصابه لا تمكنه من مواصلة العمل فى صنعاء ، ولا يحسن إستبداله بغيره فى وقت قريب عندما يترك منصبه شاغرا لفترة طويلة . وقال البعض الآخر أن استبداله بغيره فى وقت قريب يبرىء ذمتنا بتجربة تعيينه فى أحد المناصب ثم تركه يختار بنفسه إما أن يعود إلى صنعاء أو يطلب العمل خارج اليمن .

أذكر أننى تحمست للرأى الثانى حتى لا نبعد من مجلس قيادة الثورة إثنين من أعضائه العسكريين الجائفى وجزيلاى ، فوافق السلال وتقرر تعيينه فى منصب وزارى ، لأول مرة منذ أن قامت الثورة ، فاقترحت ترقيته إلى رتبة عقيد لإزالة الحساسية التى كانت

بينه وبين العقيد حسن العمري الذى رقيناه إلى هذه الرتبة بعد قيام الثورة ، حيث كان رجلا مدنيا يعمل نائبا لوزير المواصلات ومديرا للأسلحة بعد أن ترك الجيش برتبة ملازم أول منذ أربعة عشر عاما ، واختارنا لجزيلا منصب وزير الدفاع الذى خلا بتعيين العميد حمود الجانفى فى عمله الجديد بالقاهرة .

كذلك اختلف الرأى حول القاضى عبد الرحمن الاريانى الذى تأكدنا من أنه قد نجح فى استثمار صلاته الخاصة مع بعض رجال القبائل فحرضهم على الوقوف فى وجه السلال . اقترح السلال تعيينه فى وظيفة خارج اليمن إيعادا له عن مجال التأثير على هذه القبائل ، لكننى وجدت أن تعيينه فى الخارج لا يمنعه من مكاتبة القبائل فى الداخل ، وقد يكون أكثر خطرا على الثورة فى تحريضه لهم من الخارج وهو يصور لهم أنه ضحية السلال من تحريضه لهم من الداخل وهو يشهد بنفسه أنه من أعوانه .

أضطر السلال إلى الموافقة على إبقائه فى منصبه عضوا فى مجلس قيادة الثورة ووزيرا للعدل مع العمل على سد الثغرات التى يفتحها لدى القبائل . وكان ذلك قدرنا الذى لا مهرب منه ما دمنا حريصين على ألا تأكل الثورة أبناءها .

وتقرر تعيين الشيخ محمد على عثمان وزيرا مفوضا فى السودان بعد أن تعذر تنسيق العمل فى محافظة تعز فيما بينه وبين أعضاء مجلس قيادة الثورة عبد الغنى مطهر وعبد القوي إبراهيم حاميم . وتعيين الأستاذ على الأحمدى وزيرا مفوضا فى ألمانيا الغربية حيث لم يكن له عمل رسمى بعد حل مجلس السيادة .

وتقرر تعيين الأستاذ محسن العينى رئيسا لوفد اليمن الدائم فى الأمم المتحدة حتى يتفرغ للدفاع عن قضية اليمن فى الخارج بعد أن ابتعد بإرادته عن وزارة الخارجية فترة طويلة منذ أن ترك صنعاء متجها إلى نيويورك للدفاع عن الجمهورية اليمنية بصفتها وزيرا لخارجيتها ، لكنه أقام فى القاهرة وهو فى طريقه إلى نيويورك ، ولم يكن يرغب فى العودة إلى صنعاء فى ظروفها الحرجة ، كما تقرر تعيين الأستاذ أحمد حسين المرونى مساعدا له ، وتقرر تعيين الأستاذ محمد عبد الله الفسيل مستشارا فى المفوضية اليمنية بالقاهرة .

كان من ضمن أهداف التعديلات أن نتفرغ فى صنعاء لمواجهة الموقف العسكرى والسياسى الحرج الذى كان يهدد الجمهورية بالسقوط ، مع الاستفادة من المواقع القيادية الوزارية بشغل أكثرها بأصحاب الشجاعة الذين كانوا مستميتين فى الدفاع عنها سواء كانوا من العسكريين أو المدنيين . وكانت القدرة على المجازفة فى تلك الأيام من العملات النادرة حيث كانت اليمن لا تزال حديثة العهد بالإنقلابات الفاشلة التى ينتهى زعمائها فى كل مرة إلى سيوف الجلادين كى تستقر رؤوسهم فوق الأشجار أو على باب اليمن .

وفى اليوم التالى (الأربعاء ٣١ أكتوبر ١٩٦٢) أعلننا أول دستور للجمهورية اليمنية .

ونصه كما يلي :

إعلان دستوري

من مجلس قيادة الثورة للجمهورية العربية اليمنية

أنه رغبة في تثبيت قواعد الحكم أثناء فترة الإنتقال وتنظيم الحقوق والواجبات لجميع المواطنين ، ولكي تنعم البلاد باستقرار شامل يتيح لها الإنتاج المعثر والنهوض بها إلى المستوى الذى ترجوه الثورة للشعب ، فإن مجلس قيادة الثورة يعلن بإسم الشعب أن حكم البلاد فى فترة الإنتقال التى هى خمس سنوات سيكون وفقاً للأحكام الآتية :

أولا مبادئ عامة

المادة الأولى

أهداف الثورة كما يلي :

أولاً - العودة إلى شريعة الإسلام الحقبة بعد أن أهدرها الأئمة السابقون خلال الألف والمائة عام الماضية .

ثانياً - إلغاء التفرقة العنصرية واعتبار اليمنيين جميعاً سواء أمام القانون .

ثالثاً - إزالة الأحقاد بين الزيود والشوافع .

رابعاً - إصدار قانون يوضح حقوق المواطنين فلا جريمة إلا بنص ولا عقوبة إلا بعد محاكمة عادلة تتم على أساس قانون يستمد من الشريعة الإسلامية الغراء ، ينظم الإجراءات الجنائية ويكفل حرية الدفاع .

خامساً - إقامة الجمهورية العربية اليمنية والتمهيد لإجراء انتخاب حر فى جميع أنحاء اليمن لانتخاب المجلس النيابى الذى يختار رئيس الجمهورية .

سادساً - تحقيق أهداف القومية العربية من أجل أن تستعيد الأمة العربية مجدها العظيم فتنبؤاً مركزها الخلاق فى طليعة الأمم الناهضة .

سابعاً - تحقيق العدالة الإجتماعية .

ثامناً - إقامة جيش وطنى قوى يكون درعاً لليمن وللامة العربية .

تاسعاً - إلغاء جميع المظالم التى يشكو منها الشعب .

عاشراً - رفع مستوى معيشة الشعب بالبدء فوراً بوضع وتنفيذ خطط إقتصادية لإستثمار كافة موارد الدولة البشرية والطبيعية مع خلق أوجه للنشاط الإقتصادى فى المناطق الجذباء الأهلة بالسكان وتشجيع الزراعة والصناعة والتجارة والأعمال الأخرى المنتجة .

المادة الثانية

جميع السلطات مصدرها الشعب اليمنى العريق .

المادة الثالثة

الحرية الشخصية وحرية الرأى مكفولتان فى حدود القانون ، وللملكية والمنازل حرمة وفق أحكام القانون .

المادة الرابعة

تسليم اللاجئين السياسيين محظور .

المادة الخامسة

جميع القوانين تستمد من الشريعة الإسلامية التى هى دين الدولة الرسمى .

المادة السادسة

القضاء مستقل ، ولا سلطة عليه بغير القانون ، وتصدر أحكامه وتنفذ وفق القانون باسم الشعب .

ثانيا نظام الحكم

المادة السابعة

يتولى مجلس قيادة الثورة أعمال السيادة العليا ، وبصفة خاصة التدابير التى يراها ضرورية لحماية الثورة والنظام القائم عليها لتحقيق أهداف الشعب ، وحق تعيين الوزراء وعزلهم .

المادة الثامنة

يتولى مجلس الوزراء والوزراء ، كل فيما يخصه ، أعمال السلطة التنفيذية .

المادة التاسعة

يتألف من مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء مؤتمر وطنى ينظر فى السياسة العامة للدولة ، وما يتصل بها من موضوعات ، ويناقش ما يرى مناقشته من تصرفات كل وزير فى وزارته .

المادة العاشرة

يتألف من شيوخ الضمان ، مجلس الدفاع الأعلى ينظر فى شئون أمن الدولة ، ويكون كل شيخ من شيوخ الضمان فى رتبة وزير للدولة ، وفى أثناء عدم إنعقاد المجلس يتولى كل شيخ مهمة المحافظة على منطقته بصفته محافظا من قبل مجلس قيادة الثورة .

المادة الحادية عشر

يقرر مجلس قيادة الثورة إنتخاب قائد الثور الزعيم عبد الله السلال رئيسا للجمهورية ورئيسا لمجلس الوزراء وقائدا أعلى للقوات المسلحة أثناء فترة الإنتقال ، وإنتخاب الدكتور عبد الرحمن البيضانى نائبا للرئيس فى هذه الإختصاصات .

على أن يتم خلال فترة الإنتقال وضع قانون للإنتخاب كى تجرى الإنتخابات الحرة فى جميع أنحاء الجمهورية العربية اليمنية للتصويت على الدستور النهائى الذى ستقدمه الحكومة ، وإنتخاب المجلس النيابى الذى ينتخب رئيس الجمهورية .

أيها المواطنون

إن مجلس قيادة الثورة إذ يعلن لكم هذه المبادئ والأحكام لا يسعه ألا أن يعلن أيضا عن إيمانه المطلق بضرورة قيام نظام دستورى ديمقراطى كامل الأركان ، أثر فترة الإنتقال ، كما يعلن المجلس أيضا عن إيمانه المطلق بضرورة توفير حياة حرة كريمة ومستقبل مشرق باسم لجميع أبناء الشعب ، والله ولى التوفيق .

(توقيع)

الزعيم عبد الله السلال

رئيس مجلس قيادة الثورة

(الوثيقة رقم ٢٧)

التشكيل الوزاري

الزعيم (العميد) عبد الله السلال رئيسا للجمهورية ورئيسا لمجلس الوزراء وقائدا عاما للقوات المسلحة .

الدكتور عبد الرحمن البيضاني نائبا للرئيس ووزيرا الخارجية .

العقيد عبد الله جزيلان وزيرا للدفاع . النقيب عبد اللطيف ضيف الله وزيرا للداخلية . النقيب محمد قائد سيف وزيرا للدولة لشئون رئاسة الجمهورية والإعلام . الطيار عبد الرحيم عبد الله وزيرا للطيران . السيد عبد الرحمن الارباني وزيرا للعدل . السيد عبد السلام صبره وزيرا للأوقاف وشئون القبائل . العقيد حسن العمري وزيرا للمواصلات . السيد عبد القوي حامي وزيرا للشئون البلدية والقروية . السيد عبد الغني مطهر وزيرا للتجارة . السيد محمد مهيب ثابت وزيرا لشئون المغتربين . السيد علي محمد سعيد وزيرا للصحة . الرئيس (النقيب) محمد الأهنومي وزيرا للتموين . الرئيس (النقيب) حسين الدفعي وزيرا للعمل . الرئيس (النقيب) محمد الرعيني وزيرا للزراعة . المهندس عبد الله الكرشمي وزيرا للأشغال . الدكتور عبد الغني علي أحمد وزيرا للمالية . الدكتور حسن مكى وزيرا للإقتصاد . السيد محمد محمود الزبيري وزيرا للمعارف . الشيخ أمين عبد الواسع نعمان وزيرا للإرشاد القومي . النقيب علي سيف الخولاني وزيرا للشئون الإجتماعية .

(توقيع)

الزعيم عبد الله السلال

رئيس مجلس قيادة الثورة

(الوثيقة السابقة)

تعيينات السلك السياسى الخارجى

الزعيم (العميد) حمود الجائفى رئيسا لوفد اليمن بالقيادة العسكرية المشتركة بالقاهرة . العقيد عبد الله الضبى عضوا فى وفد اليمن بالقيادة العسكرية المشتركة بالقاهرة . السيد محسن العينى رئيسا لوفد اليمن الدائم فى الأمم المتحدة . السيد أحمد المرونى نائبا لرئيس وفد اليمن الدائم فى الأمم المتحدة . السيد أحمد محمد نعمان مندوبا دائما لليمن فى الجامعة العربية . السيد يحيى منصور نائبا لمندوب اليمن فى الجامعة العربية . السيد أحمد قائد سيف وزيرا مفوضا فى سفارة الجمهورية العربية اليمنية بالقاهرة . السيد أحمد محمد باشا وزيرا مفوضا فى سفارة الجمهورية العربية اليمنية بالقاهرة . السيد محمد على عثمان وزيرا مفوضا فى سفارة الجمهورية العربية اليمنية بالسودان . السيد على الأحمدى وزيرا مفوضا فى ألمانيا الغربية . السيد هاشم الحوثى مستشارا فى مفوضية اليمن فى ألمانيا الغربية . السيد محمد سعيد قباطى وزيرا مفوضا فى الصومال . السيد محمد عبد الله الفسيل مستشارا فى سفارة الجمهورية العربية اليمنية فى القاهرة .

(توقيع)

الزعيم عبد الله السلال

رئيس مجلس قيادة الثورة

(الوثيقة السابقة)

كما تقرر ضم النقيب محمد الأنومى ، والنقيب حسين الدافعى ، عضوين فى مجلس قيادة الثورة ، بدلا من الشهيد الملازم أول على عبد المغنى ، والعميد حمود الجانفى الذى تقرر تعيينه فى القاهرة^(١)

وسافر من اليمن كل الذين شملهم القرار بتعيينهم فى الخارج إلى البلاد التى تم تعيينهم فيها ، باستثناء الأستاذ على محمد الأحمدي ، الذى استأذن فى إتمام مهمته التى سبق تكليفه بها ، وهى توصيل شحنة من الأسلحة والذخيرة إلى محافظة البيضاء وتوزيعها هناك على رجال القبائل ، حيث بدأ السلال يشك فى ولاء محافظ البيضاء الشيخ صالح الرويشان الذى أفادت التقارير أنه على علاقة مع الحسن عم الإمام البدر المخلوع .

★ السلال يعلن الدستور المؤقت لليمن تشكيلات ثورية جديدة لفترة الانتقال

اذبح امس من صنعاء ان مجلس فساد الثورة قد قرر اسحاب الرعم
عبد انه السلال رئيسا للجمهورية الى نائب منصبه كرئيس لمجلس
فساد الثورة ورئيس لمجلس الوزراء . كما قرر اسحاب الدكتور عبد
الرحمن الشصاى نائبا للرئيس . واصدر الرعم السلال امس ساءا
باعتلى « الدستور المؤقت » لجمهورية اليمن اساء فساد الاسفال . كما
ادبع امس السلكاب الثورة الحديده لهذه الفبره .
وقد حدد الدستور اخصاصات السلكاب الثورة ونظام سالفها .
كما قضى اول دستور للحكم بعلن فى اليمن ، بان جميع الفواين
مستعده من السربيه الاسلاميه . وبسبب الدستور على اصصدار قانون
بوضوح حقوق المواطنين ، والمهد لاجراء اسحاب حر لسلكل مجلس
نوابى بخيار رئيس الجمهورية ، وبحقيق اهداف الفومسه العربيه ،
وحقيق المادله الاد ماعه ، والمامه حبس وطنى قوى ، والساء جمع
المطالم ، ورفع مسسوى السسب ، واراله الحلالاب بس الريده
والسافعه .
البقيته صفحه ٨ عهود ٤

الأهرام فى أول نوفمبر ١٩٦٢ (الصفحة الأولى)

(١) الوثائق الأصلية لهذه الوثائق منشورة فى هذا الكتاب بالوثيقة رقم ٢٧ وسبق نشرها فى حينه فى صحيفة الجمهورية اليمنية فى عددها السادس ثم نشر المكتب القانونى لرئاسة الجمهورية تشكيل هذه الوزارة فى سجله الوثائقى سنة ١٩٨٣ .



كانت محافظة البيضاء تمثل منطقة خطر بالنسبة إلى الجمهورية اليمنية ، لأنها تقع على حدود إمارة العواذل الخاضعة للإستعمار البريطاني ، وعلى مشارف مطار مكابرس البريطاني ، فكان من الضروري إحكام سيطرة الثورة على تلك المنطقة حتى لا تنتقل عدوى التمرد إلى المحافظات الموالية للجمهورية ، فأصدر السلال أمره إلى الأستاذ على الأحمدي ، الذى ينتمى إلى منطقة رداع القريبة فى محافظة البيضاء بأن يعمل بلباقة المعروفة على إحضار محافظ البيضاء معه إلى صنعاء ، بعد توزيع السلاح والذخيرة على قبائل البيضاء ، حيث كان السلال يشك فى ولاء محافظ البيضاء للجمهورية وهو من شيوخ قبيلة خولان المتمردة وكان على علاقة مع أسرة الإمام .

توجه الأحمدي مع حملة السلاح والذخيرة إلى محافظة البيضاء ، غير أنه وهو فى طريقه إليها أراد بغير إذن من القيادة ، أن يوزع بعضها على أصحابه من رجال القبائل فى منطقة رداع الذين ما إن شموا رائحة الأسلحة والذخيرة التى بقيت فوق السيارات التى كانت معه حتى قتلوه واستولوا عليها ولم يفلت برأسه سوى سائقه الخاص الذى كان يقود سيارته الوزارية وعاد بها إلى صنعاء .

عندما وصلنى هذا الخبر المفجع أصدرت قرارا بمنح أسرته معاش وزير مدى الحياة مع تملكها سيارته الوزارية التى أفلتت من قبضة القتلة .

قد أصدرت هذا القرار أسوة بالقرار الذى سبق أن أصدرته يوم وصولى إلى صنعاء على إثر قيام الثورة والذى نص على تقرير معاش وزير لأسرة الشهيد عبد الله اللقيه وتمليكها أحد البيوت التى صادرتها الثورة فى صنعاء من ممتلكات الذين هربوا من الأسرة الحاكمة السابقة .

وكان أحد الأطفال ينفخ فى مزماره عندما كنت ألقى أول خطاب لى من شرفة القصر الجمهورى عند وصولى مباشرة من القاهرة ، فإذا بجنود الأمن يتدافعون نحوه لكى يزعوه من أحضان أمه ليخرجوا به من فناء القصر الجمهورى ، فاستوقفتهم وسألت عن ذلك الطفل ، فقالوا أنه ابن الشهيد عبد الله اللقيه ، فأمرت بإحضاره إلى جوارى وأكملت خطابى وهى محمول على ذراعى ، وقلت للجماهير إذا لم يحتفل معنا ابن الشهيد اللقيه فى هذا اليوم الذى استشهد أبوه فى سبيله فمن ذا الذى أحق منه بهذا الإحتفال ؟ .

كان مصرع الشهيد على محمد الأحمدي من أشد الصدمات وقعا علينا في صنعاء ، لأنه لا يمثل فقط فقداننا لصديق إنتهى أجله وحلت ساعته وإنما كان نذيرا بفقدان منطقة رداع بأسرها ، لأن رجال القبائل الذين قتلوه لا بد أنهم كانوا ينتظرون منا حملة شرسة من حملات التأديب التي عودهم الإمام عليها في مثل هذه الأحوال ، مما يدفعهم إلى التمرد على الثورة كإجراء وقائي دفاعا عن أنفسهم .

غير أنني على نقيض الإمام ، سارعت بإرسال برقيات عزاء إلى شيوخ ورؤساء القبائل في رداع أشاركهم الحزن على مصابهم في مصرع إبنهم الوزير على أحمد الأحمدي ، وأعبر لهم عن ثقتي في حكمتهم وقدرتهم على إفتاء أثر القتلة قبل أن ينجحوا في الهروب من رداع بعد أن نجحوا في التسلل إليها .

جاءتني والدة الشهيد الأحمدي وأرملته تطالباني بالقصاص له ، فسلمتهما القرار بشأن المعاش والسيارة ووعدهما بتنفيذ حكم الله إذا تمكنا من القبض على من قتله ، كما جاءتني وفود من شيوخ ورؤساء قبائل رداع يستنكرون مصرع الشهيد ويضعون أيديهم في يد الثورة .

ومن مفارقات القدر أن تصلني في نفس ذلك اليوم برقية عاجلة من سجن تعز بتوقيع الصديق الفلكي محمد حلمي ، العراف الخاص بالإمام السابق ، يقول فيها (هذا إليكم من سجن تعز . غدا إعدامى . أين الوعد) وكانت قيادة تعز قد ألقت القبض عليه وأصدرت حكمها بإعدامه باعتباره من مفسدى العهد البائد حيث كان يعمل عرافا خاصا للإمام السابق .

وقد سبق أن شرحت في هذا الكتاب كيف اشترك المذكور في تمكينى من الهروب من سيف الإمام عندما قرر قتلى في الحديدية وكيف سلمنى محمد حلمي رموزا (شفرة) حتى يزودنى بالمعلومات السرية المتعلقة بالإمام كي استخدم ما أراه صالحا منها في إثارة الشعب اليمنى ضده ، وقد أذعت الكثير منها من صوت العرب وسجلته في مجلة روز اليوسف .

وكان المذكور قد أجرى حساباته الفلكية وتنبا بقيام ثورة ناجحة في اليمن وأننى سيكون فى وسعى أن أصدر أمرا بالعفو عنه حيث تنبأ أيضا بأن هذه الثورة سوف تلقى القبض عليه وتصدر حكما بإعدامه ، ولذلك قبل أن يشترك فى إنقاذى من سيف الإمام اشترط أن أتعهد له بالعفو عنه عندما يكون فى وسعى أن أفعل ذلك .

وبالرغم من عدم تصديقى لتنبأت الفلكيين فقد تعهدت له إنقاذا لرقبتى التى كان الإمام قد أصر على قطعها وحدد لذلك موعدا نهائيا بعد أن فشلت للمرة الأخيرة شفاعة الأصدقاء ، وتلاشت نهائيا كل الآمال فى حماية البدر .

وصلتني تلك البرقية في ذلك اليوم فأثارت ذكرياتي ودفعتنى إلى جهاز اللاسلكى حيث أصدرت أمرا إلى العقيد أحمد الأنسى قائد منطقة تعز قلت فيه (حال سماح هذا الأمر يكون إطلاق سراح العراف محمد حلمى وإرساله إلينا بأول طائرة إلى صنعاء . فالمذكور ساعدنى على الإفلات من سيف الإمام وكان يزودنى بجميع المعلومات السرية المتعلقة بالأسرة الحاكمة السابقة التى استعنت ببعضها فى تهينة الشعب للثورة الجذرية) .

جاءنى محمد حلمى فى صباح اليوم التالى ، وتفاديا لأية ظنون يمكن أن تسرح بخيال أحد فيتصور أن قيادة الثورة تستعين بالفلكيين كما كان عليه الحال أيام الأئمة السابقين ، ومكافأة للرجل الذى اشترك فى إنقاذ حياتى ، رأيت أن أرسله إلى القاهرة للعلاج من أمراضه الكثيرة التى كان يعانى منها فى عهد الإمام . وأرسلت برفقة إلى الصديق الأستاذ عبد القادر حاتم وزير الإعلام المصرى لكى يهيئه له مناخا إعلاميا فى مصر يشرح فيه وثائق الإمام الخطية التى كانت فى حوزته حتى يطلع رأى العام على كيف كانت تحكم اليمن أيام الإمام أحمد .

وصدق رسول الله ﷺ حين قال (كذب المنجمون ولو صدقوا) .



من اليمين الرئيس السادات فالرئيس السلال فالملوف

أَذْفَعُ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ

قرآن كريم

السياسة والحرب

الفصل الثاني عشر



قبل أن يغادر المشير عبد الحكيم عامر صنعاء عائداً إلى القاهرة أراد أن يزور منطقة الحديدية ، فذهبت معه ولازمته حتى استقل طائرته من مطار الحديدية وعاد بها إلى مصر . وفي طريقى إلى صنعاء طلبت من قائد طائرتى ونحن فى سماء الحديدية أن يحلق بى أولاً فوق منطقة جيزان شمال غرب اليمن ، لأرى بعينى حجم الحشود التى تتجمع فى تلك المنطقة فى طريقها إلى إحتلال منطقة حررض داخل الأراضى اليمنية متجهة إلى الحديدية للإستيلاء على الميناء وقطع طريق الحديدية صنعاء .

هالنى منظر تلك الحشود التى حشدت معظم المتمردين اليمنيين وسلحتهم بمختلف أنواع الأسلحة وزودتهم بالمتطوعين من بعض الدول العربية والمرتزة من الدول الأجنبية . وكانت معلومتنا تنذر بأن عدد الحشود يتراوح بين الخمسة والثمانية آلاف مقاتل . وأن هذا الغزو الشمالى الغربى سوف يكون إستكمالاً وإنقاصاً من فشل الغزو الجنوبى الشرقى ، عندما قامت بريطانيا بتسليح وتمويل تجمعات كثيرة من المتمردين وشدت أزهم بمرتزة أجنب يجيدون إستخدام الأسلحة الثقيلة ، وجعلتهم يزحفون علينا من أراضى إمارة بيجان الواقعة تحت الإحتلال البريطانى ، مما جعلنا نرد عليهم رداً قاسياً وحاسماً قصم ظهورهم وأعادهم إلى أوكارهم داخل بيجان بعد أن تكبدوا خسائر جسيمة ، واستولينا على معظم أسلحتهم الثقيلة ، الأمر الذى دفع بريطانيا إلى الإدعاء بأن طائرتنا أغارت على قرى وتجمعات سكنية داخل إمارة بيجان نفسها ، فأسرعت بالرد على هذا الإدعاء البريطانى فى مؤتمر صحفى نفите جملة وتفصيلاً .

وأعلنت أن الحكومة اليمنية قد أمرت بالتحقيق فيما أدعته بريطانيا من قيامنا بضرب إمارة بيجان بالقنابل ومحاكمة من تثبت عليهم تهمة مخالفة الأوامر الصارمة التى أصدرتها الحكومة والتى تقضى بعد تجاوز الطيران اليمنى المجال الجوى لليمن .

استدعيت القائم بالأعمال البريطانى وسلمته نسخة من تصريحاتى التى أذاعتها إذاعة صنعاء (ونشرتها جريدة الأهرام بتاريخ ٢٥ أكتوبر ١٩٦٢) والتى أكدت للقائم بالأعمال أنه إذا ثبت حقيقة ما تدعيه حكومته فإن حكومة الثورة على إستعداد لتعويض أية خسارة .

كنت أحاول العمل على تبريد الموقف البريطاني حتى لا نحارب في جبهتين متباعدتين متراميتي الأطراف ، وكانت معلوماتنا تفيد بأن بريطانيا قد حشدت في إمارة بيجان قوات مدرعة مزودة بالمدفعية المتحركة إستعدادا لجولة ثانية على جنوبنا الشرقي ، في الوقت الذي يتجمع فيه حشود المتمردين والمرتزة والقوات المعادية في شمالنا الغربى .

وفى يوم الأربعاء ٣١ أكتوبر ١٩٦٢ أذاعت وكالات الأنباء تصريحاً منسوباً إلى الدوائر المطلعة في حلف شمال الأطلسي يفيد بأن الطيارين الأمريكيين سوف يساعدون بطائراتهم الأمريكية قوات البدر المخلوع التي تتأهب لغزو اليمن من جهة الشمال في الوقت الذي تغزو فيه قواته الأراضي اليمنية من جهة الجنوب .

استدعيت ، على الفور ، القائم بالأعمال الأمريكى المستر ستوكى يوم الخميس أول نوفمبر ١٩٦٢ ، وأبلغته ما شاهدته بعينى من حشود معادية في منطقة جيزان ، وأننا قد نضطر إلى تدمير هذه الحشود قبل أن تتحرك إلى أراضي الجمهورية العربية اليمنية عملاً بحق الدفاع الشرعى عن النفس ، كما أبلغت القائم بالأعمال الأمريكى في تلك المقابلة التي استغرقت أكثر من ساعتين بأننا لا ننوى طلب المساعدات العسكرية من الكتلة الشرقية إذا ما وقفت الكتلة الغربية على الحياد من العدوان المفروض على اليمن ، وأننا سوف نتأكد من وقوف الكتلة الغربية على الحياد من هذا الصراع إذا لم تظهر أية طائرة في سماء المعركة ، حيث لا يملك المتمردون طائرات ولا يحتلون أرضاً تصلح لهبوط الطائرات ، كذلك لا تملك الطائرات العربية المعادية لنا الدوى الذى يمكنها من الإغارة علينا أو حماية سماء المعركة فوق أراضيها ، وأكدت له أننا نبذل كل ما فى وسعنا لتجنب الوقوع فى محذور الحرب الباردة بين الكتلتين الدوليتين .

وعندى القائم بالأعمال بإرسال مضمون حديثى معه إلى الحكومة الأمريكية ، مؤكداً وقوف بلاده خارج نطاق هذا الصراع الذى تتمنى أن ينتهى فى أسرع وقت ممكن .

كان هدفى من ذلك الحديث أن أشعر الولايات المتحدة الأمريكية بأننا لا نزال نحسن الظن فى حكومتها ، وأننا لا نزال نتطلع إلى توطيد أوثق العلاقات معها ، على نقيض ما يدعيه علينا أعداؤنا الذين لا يكفون عن وصفنا بأننا شيوعيون مرتمون فى قبضة الاتحاد السوفيتى ، الأمر الذى لو تأكدت منه الولايات المتحدة لوقفت ضدنا بشكل سافر وعنيف ، يرجح القضاء علينا أن هى أطبقت على رقبتنا ذراع المقص الشمالى المتمثل فى المتمردين على ذراعه الجنوبى المتمثل فى البريطانيين المتشوقين فى دخيلة أنفسهم إلى موقف أمريكى سافر ومعارض ، يقضى علينا فى صنعاء ليحمى وجودهم فى عدن .

كنت أعتقد بحق ، أن النجاح فى إشعار الولايات المتحدة الأمريكية بحرصنا على صداقتها رغم عدم إقرارها بنا هو فى نفس الوقت نجاح فى ضرب تجمعات البدر فى الشمال وإستراتيجية الإنجليز فى الجنوب .

تعمدت أن ألقى بيانا صحفيا بعد إنتهاء المقابلة نشرته صحيفة الأهرام فى ٢ نوفمبر ١٩٦٢ ، وكان مرادى أن أهزم الأعداء نفسيا حين يذاع على الملأ أننا نعرف خططهم وأن أمريكا لن تتورط بالوقوف معهم .

وهكذا بذلت قصارى جهدى كى أخلى سماء المعركة القادمة والحاسمة من الطائرات المعادية ، وكانت خطتنا العسكرية تقضى بأن ننتظر المرتزقة والمتمردين حتى يتوغلوا فى أراضينا ويصلوا إلى منطقة قفل حرض ، وتتفقر قواتنا وتفر من أمامهم وهى تستدرجهم إلى هذا الوادى الذى لا بد أن يتجمعوا فيه طلبا للراحة وهم فى طريقهم إلى ميناء الحديد .

فى نفس يوم الخميس أول نوفمبر ١٩٦٢ بدأ الرئيس عبد الله السلال زيارته لمدينة تعز التى استغرقت عدة أيام أصدر خلالها قرارا باعتبار صنعاء العاصمة الأولى للجمهورية وتعز العاصمة الثانية .

فى يوم الجمعة ٢ نوفمبر ١٩٦٢ وصلت جحافل المرتزقة والمتمردين إلى منطقة حرض فى الأراضى اليمنية الشمالية الغربية بعد أن تقدمت هذه الجحافل من منطقة جيزان وهى تزهو من نشوة الإنتصار الساحق على قواتنا التى كانت تفر من أمامها وتفسح لها طريق التقدم فى إتجاه ميناء الحديد .

وكانت التعليمات التى أصدرتها إلى محطة الإذاعة تقضى بأن توقف برنامجها المعتاد ، وتواصل إذاعة الموسيقى العسكرية والأناشيد الوطنية إيهما للمرتزقة والمتمردين باننا فى مأزق ، أننا على وشك إذاعة بيان نبرر فيه هزيمتنا أمامهم ، حتى أن الزميل عبد اللطيف ضيف الله وزير الداخلية قد استنكر هذه الإذاعة وطلب أن تعود إلى إذاعة برامجها العادية ولم يكن يعرف الهدف من الأناشيد الوطنية والموسيقى العسكرية وأن الحرب خدعة ومكيدة ، حيث كان منهمكا فى شئون وزارة الداخلية ولا يتابع المعارك السياسية والعسكرية .

وما إن دخلت هذه الجحافل إلى قلب المصيدة حتى أغلقت عليها قواتنا جميع المنافذ الجبلية المحيطة بها وأصلتها مدافع الهاون جحيما من القذائف وجاءت طائراتنا لتحصدهم حصدا ، ولم ينج منهم سوى عدد لا يكاد يبلغ أصابع اليدين ، وحتى آخر نهار ذلك اليوم كانت إذاعة صنعاء تردد بين الحين والحين قرب إذاعة بيان هام ثم تعود إلى إذاعة الموسيقى العسكرية والأناشيد الوطنية ، وعندما اكتمل النصر الحاسم توجهت بنفسى إلى محطة الإذاعة فى تمام الساعة السادسة إلا عشر بعد ظهر ذلك اليوم العظيم وأذعت البيان الهام الذى نشرته صحيفة الأهرام فى اليوم التالى (السبت ٣ نوفمبر ١٩٦٢) والذى شرحت فيه خطتنا الحربية ، وقلت :

(إننا أصدرنا أوامرا إلى قواتنا بأن تنتظر حتى تدخل القوات المعتدية إلى منطقة معينة تبعد خمسة أميال شمال غرب حرض ، وما إن دخلت هذه القوات المعتدية إلى هذه المنطقة حتى انفجرت فيها حقول الألغام ، وفتحت قواتنا نيرانها الجبارة على هذه القوات المعتدية فأبادت منها نحو ثلاثة آلاف معتدى ،

واستولت قواتنا على أسلحتهم ، ثم لاذ الباقون بالفرار نحو الحدود الشمالية ، فتعقبته طائراتنا بالصواريخ والقنابل الحارقة فدفنت بقية الغزاة تحت أرضنا الطاهرة) .

وأضفت قائلاً :

(أن حكومة الثورة كانت تعلم بتحركات الغزاة وكانت أخبار استعداداتهم تصل إلينا تباعاً) .

ثم وجهت خطابي للشعب قائلاً :

(قد قامت حكومتكم بتجهيز القوة اللازمة من القوات اليمنية والحرس الوطني وقوات الجمهورية العربية المتحدة لتكون كافية لصد الغزو ، وأمرنا قواتنا بالتحرك صوب هذه المنطقة واتخاذ مواقعها الحصينة بحيث تسمح للقوات المعتدية أن تدخل أراضيها حتى يتم سحقها) .

وما أن أتممت إذاعة ذلك البيان حتى خرجت على أثره جماهير الشعب اليمني في جميع المدن اليمنية تهتف بانتصار الثورة ، وتردد نشيدها الشعبي الذي صاغته الجماهير تلقائياً مع انتصارات الثورة ، وهي تهتف من أعماقها « إرفع رأسك يايماني عاش السلال والبيضانى » . مما أثار حماس السلال في تعز فأرسل إلى برقية تهنئة على نجاحي في قيادة هذه المعركة الحاسمة .

في يوم السبت ٣ نوفمبر ١٩٦٣ أعلنت أن (تعزيزات القوات اليمنية في اتجاه الحدود الشمالية لليمن لا تزال مستمرة لصد أى مغامرة أخرى قد يفكر فيها المعتدون ، وأن القوات الجوية والأسطول البحري لا يزالان في عملية مستمرة لكننا لم نعثر حتى الآن على عدو واحد جديد ، وعسى أن يكون المعتدون قد استفادوا من الدروس الماضية) .

عقدت في صنعاء اجتماعاً لمجلس قيادة الثورة حضره قادة الوحدات العسكرية ، وبعد أن انتهى هذا الاجتماع صرحت بأن الغرض منه كان استعراض الإستعدادات التي جهزناها للدفاع عن الجمهورية العربية اليمنية عملاً بحق الدفاع الشرعى .

كما صرحت من صنعاء بأننا (قد نضطر مستقبلاً إلى أن تعمل قواتنا خارج حدود اليمن إذا دعت الضرورة إلى ذلك وفقاً لأحكام القانون الدولي الذى يكفل حق الدفاع الشرعى عن النفس) وأضفت قائلاً (إن حكومة الثورة عندما تقوم بمثل هذا الإجراء ستعلنه رسمياً دون إخفاء) كما نفيت قيام طائراتنا بضرب ثلاثة قرى سعودية وأكدت (إن قواتنا الجوية لا تزال تعمل فوق أراضيها وأن حكومة اليمن تأمل في ألا تضطر إلى العمل خارج أراضيها حتى لا يصاب أى فرد من أفراد الشعب الشقيق في نجد والحجاز والأردن بأذى) (الأهرام في ٥ نوفمبر ١٩٦٢) .

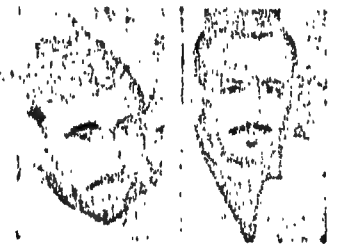
وفي الساعة السابعة الا عشر دقائق من مساء امس اعلنت حكومة الثورة للشعب العربي نتائج المعركة وتفصيلها الكاملة والخطة التي هزمت حكومة الثورة تنفيذها لردع العدوان . ومن تمز وجه الزعيم عبد الله السلال رئيسي جمهورية اليمن الذي بدأ حولته بتفقد منطقة الحدود الجنوبية تحذيرا جديدا الى سعود . بينما اذاع بيان حكومه الثورة الى الشعب عن ابادته قوات الملكة الرجعية ، الدكتور عبدالرحمن البيضاني نائب رئيسي الجمهورية ووزير الخارجية . واعطى الدكتور البيضاني في بيانه وصفا كاملا للمعركة التي دارت على الحدود الشمالية الغربية لليمن فقال « ان قوات سعود وحسين تفقدت متجهة صوب مدينة (حرض) في الشمال الغربي، وكان قوام القوات الممتددة نحو ٥٠٠٠ رجل ومعهم بعض المتعديين الذين باعوا أنفسهم بابخس الاعمان وكانت اوامرنا التي اصدناها الى قواتنا هي أن تنتظر حتى تدخل القوات المعتدية منطقة معينة تبعد ٥ ايامال شمال غرب حرض . وما ان دخلت القوات المعتدية هذه المنطقة حتى انفجرت فيها حقول الالغام وفشت قواتنا نيرانها الجبارة على هذه القوات الممتدية فابادت منها نحو ٣٠٠٠ رجلا واستولت قواتنا على اسلحتهم ثم لاذ الباقون بالفرار نحو الحدود السعودية »

ثم اعلن نائب رئيس اليمن ان الطائرات البنية تعطلت الهاربين بالصواريخ والبنابل الحارقة « فطلعت كثيرا من الفزاة الممتددة تحت اراضنا الطاهرة » . وقال ان القوات الجسوبة الممتدية نوبط « حزاما ثريا » حول حدود اليمن مع السعودية لتضع الفلول المنهزمة من عبور الحدود . وكانت قوات اليمن تنتظر قوات العدوان قرب الحدود الشمالية الى ذلك جمع النفاير التي معها القيادة العليا في صنعاء على ان قوات الرجعية تميل للتحرك من منطه جزان صوب الحدود الشمالية الغربية لليمن ، واستطاعت طائرات الاستكشاف ان تحدد عدد هذه القوات واجاهاتها، كما اشارت النفاير الى « المعطيات المساعدة » التي يبرنها الرجعية بخلق مناوشات في اماكن اخرى على الحدود الشمالية والحدود الشمالية الغربية ببحان الخاضعة لمعية ببحان الخاضعة لتريطانيا .

قوات اليمن كانت في انتظار العدوان

وقال الدكتور البيضاني في بيانه ان حكومة الثورة كانت تعلم ان سعود وحسين يستعدان لغزو اليمن وكانت اخبار استعداداتهما تصل لها الى صنعاء ولم تكن سلطات الرجعية لها . والى ان حكومة الثورة اذاعت بيانها الى الشعب يوم الثلاثاء الماضي تدموه للاستعداد للنتائج التي قد يسفر عنها الغزو المنظم .

ثم قال للشعب « لقد قامت حكومتكم باعداد اللوة اللازمة للقوات البنية والحرس الوطني وقوات الجمهورية العربية المتحدة، لتكون كافية لصد الغزو والعدوان السعودي . وامرنا قواتنا بالتحرك صوب هذه المنطقة واسخاد قواتنا الحسنة بحيث تسمح للقوات الممتدية ان تدخل اراضيها حتى يتم سحقها »



السلال

البيضاني



توجيه استراتيجي

بسم الله الرحمن الرحيم

الى القيادة العسكرية اليمنية المصرة المشتركة

خلال الأربع والعشرين ساعة القادمة ستعرض الجمهورية لغزو شامل من منطقة
هيران ، قوامه ما بين خمسة الى ثمانية آلاف من المقاتلين تساندتهم قوات سعودية وافرن
أردنية مزودة بأسلحة ثقيلة ، بهدف احتلال منطقة قرامه وسواحل الجمهورية بما يلي
ميناء الحديدة البري لتقطع خطوط الدمداد والتموين لقواتنا ومقبعات الدول الصديقة .
لذلك نكثفكم بالنص على هذه المعركة الفاصلة في تاريخ الجمهورية ، وقد بذلنا كل
الجهد ليدخل اسماء المعركة من كل طيران يمارينا . على أن تلزموا بما يلي :

- ١- حشد قواتنا الصاربة في المنطقة الناجمة التي تبعد نحو خمسة أجيال شمال
غرب حرض .
- ٢- تحصين جميع المواقع المرتفعة والمشرقة على وادي حرض .
- ٣- استدراج قوات الغزو حتى تتوغل داخل أراضينا لنصل الى وادي حرض .
- ٤- عند وصولها الى الوادي يتم إغلاق جميع منافذ خروجها منه .
- ٥- يتجه جزء من قواتنا الصاربة الى الشمال لإغلاق حدودنا الشمالية الغربية
بمغايرة الجزء الباقي لأسر قوات الغزو القادمة في الوادي .
- ٦- هدفنا الأول أسر أكبر عدد من قوات الغزو عقنا لداء جميع الأطراف ، ومن
نستخدم قواتنا الأسرى في الوصول الى توبة سلمية تنهي الله كل الذخيرة هننا
ونحقق السلام في منطقتنا .
- ٧- إذا لم تتمكن قواتنا من أسر الغزاة فلنأمن أن نساكنهم بحسب طبيعة المعركة .
- ٨- يظهر على قواتنا أن نسعى الى أي أسير .
- ٩- يظهر على قواتنا أن يتخطى الحدود اليمنية ، حتى نظل دائماً في حالة دفاع
نشرى مع النفس داخل أراضينا .
- ١٠- يظهر إعلان أية بلاغات غير سير المعركة أو عدمه نتا قبل الدعم طريقنا .

عبد الرحمن البيضاوي

نائب رئيس مجلس قيادة الثورة
رئيس القائد الأعلى للقوات المشتركة



أول نوفمبر ١٩٦٤

عبد الرحمن البيضاوي

نسخة أصلية تحتفظ في ملف رئاسة
الجمهورية .
سري عبد الرحمن



كان الرئيس السلال لا يزال فى زيارته لمدينة تعز حتى يوم الأحد ٥ نوفمبر ١٩٦٢ فأبرق إلى برقية رمزية قال فيها إنه قبل أن يغادر صنعاء أجرى الترتيبات اللازمة لسفر نحو خمسة وعشرين شيخاً من شيوخ القبائل إلى القاهرة لاطلاع المسؤولين المصريين على أحوال اليمن ، وطلب منى أن أقوم بإعداد جوازات سفرهم وتسليم كل منهم مبلغاً من المال كمصروف طريق كما هى العادة التقليدية فى اليمن ، وحدد الرئيس السلال أسماءهم فى تلك البرقية وطلب منى العمل على ألا يتأخر أحد منهم عن السفر إلى مصر .

قام بحل رموز هذه البرقية الأستاذ على المطرى أمين رئاسة الجمهورية فى ذلك الوقت (والآن أيضاً) ففقت بعرضها على وزير شئون القبائل القاضى عبد السلام صبره ، الذى اتضح أنه كان على علم بالترتيبات التى أجراها السلال فيما يتعلق بهذا الموضوع قبل سفره من صنعاء .

أدركت الحيرة على وجه القاضى عبد السلام صبره ، وتساءلت لماذا لم يطلعننى الرئيس السلال على نيته هذه قبل أن يطلب هؤلاء الشيوخ إلى صنعاء ويقوم بإعداد ترتيبات سفرهم إلى مصر حتى أدرس معه أسباب هذا رأى وأتدبر معه نتائجه الإيجابية والسلبية .

عللت عدم إستشارتى فى هذا الأمر بانشغالى فى معركة حرض التى إستنفذت معظم طاقتى خلال الأسبوع السابق .

تجمع رؤساء وشيوخ القبائل الخمسة والعشرون فى مكتبى بالقصر الجمهورى فصحبتهم إلى مطار صنعاء مودعا ومتمنيا لهم التوفيق فى مصر والعودة السريعة إلى اليمن .

عندما وصل الرئيس السلال إلى صنعاء سألته عن سبب تسفير هؤلاء الشيوخ إلى مصر قال أنه أراد بهذا القرار أن يتفادى تأثيرهم على قبائلهم بعد أن أصبح ولاؤهم للثورة أمراً مشكوكاً فيه ، كما أراد أن يتيح لهم فرصة التعرف على الحضارة الحديثة فى مصر مقارنة بما تعاني منه اليمن ، لعلهم يعودون إليها متحمسين للدفاع عن الثورة التى تسعى إلى تطوير اليمن وتحسين أحوال معيشتها .

قلت للسلال أنه كان من المفروض أن يكون هؤلاء الشيوخ من بين أعضاء مجلس الدفاع الأعلى برتبة وزراء ، الأمر الذى لو تم إعلانه حسب خطة الثورة التى قمت بوضعها فى مصر وإرسالها إلى اليمن قبل الثورة لرأيناهم منذ قيامها أشد حماسا للدفاع عنها طالما كانوا شركاء فيها .

أما وقد أهملتهم الثورة واعتبرتهم مجرد موردى رجال للقتال فعندئذ لا تلوم الثورة إلا نفسها إذ هم استسلموا للأمر الواقع فاتقنوا دور الموردين ، ذلك الدور الذى يستجيب لمن يدفع أكثر من غيره ، فلا غرابة حينئذ إذا أصبح القتال مع الثورة والقتال ضدها مجرد مسألة تجارية ، تحكمها عوامل العرض والطلب وظروف السوق على أرض المعركة التى تحسمها المزايدة بين خزينة الثورة وخزائن أعدائها .

قلت للسلال أن علاج هذا الموقف الخطير يتوقف على قدرة إسرعنا بإشراكهم معنا فى حكم الجمهورية وليس على قدرة تسرعنا بإخراجهم منها .

لم يقتنع السلال بوجهة نظرى ولعل ذلك الموضوع كان من بين المواضيع التى اختلفنا عليها .
أو كان أخطرها على الإطلاق .

وعلى صعيد جمع المعلومات الخاصة بالجبهة الداخلية لاختيار الحلول الأكثر ملاءمة لها .

كنت قد طلبت من الرئيس جمال عبد الناصر أن يساعدنا على إنشاء جهاز أمن وطنى يمنى ، فأرسل إلينا بعثة مصرية يرأسها السيد عزت سليمان وكيل المخابرات العامة المصرية بالرغم من أنه كان يعلم علم اليقين أن السيد عزت لن ينسى مطلقا أن ثورة اليمن لم تولد على يديه ، وإنما ولدها الشعب اليمنى بموافقة عبد الناصر ولكن فى حجر السادات بعد أن فشل السيد عزت فى غرس اليأس فى قلبى عندما التقيت به مع الزميل محمد قائد سيف ، ولم يكتف بمحاولة غرس هذا اليأس وإنما اتبعها بمحاولة تمزيق علاقاتى التنظيمية مع الزميل محمد قائد سيف وبقية الزملاء فضلا عن تعاطفه المعروف والمعلن مع البدر قبل قيام الثورة وحتى بعد موت الإمام أحمد قبيل قيامها ببضعة أيام .

عندما فوجئت بوصول السيد عزت سليمان إلى اليمن وكان السادات لا يزال فى صنعاء قال لى أن الرئيس جمال عبد الناصر كان على وشك إصدار القرار بفصل عزت سليمان من منصبه من المخابرات المصرية ، بعد أن أسرف فى إهالة التراب على رأس البيضانى وأنه ، أى السادات ، هو الذى شفع له عند جمال عبد الناصر عندما تعهد ببذل كل طاقته وخبرته من أجل نجاح ثورة اليمن بعد أن قامت وأصبحت حقيقة واقعة لا مراء فيها .

لم أقنع بتبرير السادات ، وقلت له أنه ، كما يعلم ، لا توجد أمور شخصية بيني وبين عزت سليمان ، وإن كل المرارة الشخصية التي يحس بها نحوي أنني استطعت أن أصل إلى قلب عبد الناصر والسادات متخطيا كل الحواجز التقليدية المتمثلة في الأجهزة المصرية والتي كان على رأسها جهاز المخابرات العامة .

نصحتي السادات أن أنسى تلك القصة ولا أعترض على وجوده في اليمن لا سيما وأن مهمته الرئيسية سوف تكون البدء في إنشاء وتنفيذ عملية تسمى « صلاح الدين » وهو الاسم الرمزي لعملية الثورة ضد الانجليز في جنوب اليمن المحتل ، وأن الرائد محمود عبد السلام هو الذي سوف يتولى المساعدة على إنشاء جهاز الأمن الوطني اليمني .

كانت عملية صلاح الدين المزعومة تعتمد أساسا على تعبئة وتنظيم العناصر اليمنية المرتبطة بحركة القوميين العرب وعلى رأسها فحطان الشعبى .

وأنتى لا أجد مجالا هنا لشرح هذه العملية ، وكيف جسمتها مصر بعد أن انتزعتها من اليمن وكيف اختطفها الروس من مصر ، وكيف أطلقوها بعد ذلك ضد مصر ، وكيف استولى عليها الانجليز من الروس ، وكيف استردها الروس من الانجليز ، وكيف أصبحت الآن الخنجر المسموم في ظهر الأمة العربية .

لا أجد مجالا لشرح هذه الأمور في هذا الكتاب خشية أن يطول أكثر مما يتسع له صدر القارئ الكريم .

كنت واثقا من أن السيد عزت سليمان لن ينسى اننى قفزت إلى قلب عبد الناصر والسادات متخطيا باب المخابرات المصرية التي تورط وكيلها الأول في استبعاد كل احتمال لقيام ثورة في اليمن .

ولعله كان يزين للسلال كل رأى اختلف معه عليه ، فاستطاع عزت سليمان أن ينفذ إلى قلب الثورة اليمنية من نافذة السلال متخطيا باب البيضانى ، فأخذ يعمل على خلق أوجه للخلاف بيني وبين السلال .

وعندما قفز إلى قلب الثورة لم يكن عارفا بشرايينها وأوردتها ولا طبيعة سيولة أحداثها ، ولا صفائح أعضائها ، أو الحقائق الموضوعية التي تؤثر فيها وتتأثر بها .

وكان السلال (البشر) لا يتبين سطحية النصائح السياسية عندما يتلقاها من الرجل الثانى فى المخابرات المصرية ، التي يصورها لرئيس الجمهورية اليمنية وكأنها غاية الوفاء له وقمة الحرص عليه .



من اليمين الرئيس السادات فالرئيس السلال فالمؤلف فالسيد كمال رفعت



أرسلنا وزير شئون رئاسة الجمهورية الزميل محمد قائد سيف إلى موسكو في يوم الخميس ٨ نوفمبر ١٩٦٢ كي يرأس وفد الثورة اليمنية في إحتفالات الثورة الروسية . وكان الباعث على إرسال وفد يمني على هذا المستوى ألا يخطيء الروس فهم الغزل الذي تبادلت مع الرئيس الأمريكى جون كنيدي ورئيس وزراء بريطانيا المستر ماكميلان .

اذ بينما كنا فى حاجة إلى أمريكا لإقرار السلام فى ربوع اليمن كنا فى حاجة إلى روسيا للدفاع عن أراضيها بتزويد اليمن بالسلاح والذخيرة لدعم إتفاقية الدفاع المشترك الجديدة اليمنية المصرية التى كنا سوف نوقعها مع السادات يوم السبت ١٠ نوفمبر ١٩٦٢ . وكانت مدة هذه الإتفاقية خمس سنوات تتجدد تلقائيا ما لم تخطر إحدى الدولتين الأخرى برغبتها فى عدم تجديد مدتها قبل إنتائها بعام واحد . وبمقتضى هذه الإتفاقية تعتبر الدولتان كل إعتداء مسلح على أية دولة منهما أو على قواتها إعتداء عليها ، وعملا بحق الدفاع الشرعى الفردى والجماعى عن كيانهما تلتزمان بأن تبادر كل منهما إلى معونة الدولة المعتدى عليها أو تتخذ على الفور التدابير وتستخدم ما لديها من وسائل بما فى ذلك إستخدام القوة المسلحة .

وبعد توقيع هذه الإتفاقية ركبت مع السلال والسادات سيارة مكشوفة اخترقت شوارع صنعاء حتى وصلنا إلى ساحة المؤتمر الشعبى الذى ألقى فيه السلال كلمة قال فيها (إن الإتفاق تدعيم لثورتنا وتدعيم لجمهوريتنا ومحافظة على إستقلالنا من كل إعتداء يقع عليه) .

وقال السادات فى كلمته (أرجو أن يعلم أولئك المعتدون أن أى إعتداء سنرد عليه بعشرة أمثاله أو بمائة مثل إذا إقتضى الأمر) .

ثم قمت وختمت المؤتمر بكلمة شرحت فيها أهداف الثورة التى بدأت تتحقق والتى تضمنها الدستور الأول والمؤقت الذى تم إعلانه ، والتى من بينها إقامة جيش وطنى قوى يكون درعا لليمن ودرعا للأمة العربية . (الأهرام ١١ نوفمبر ١٩٦٢) .

وفى يوم الأحد ١١ نوفمبر ١٩٦٢ أعلنت المفوضية اليمنية فى واشنطن التى كانت لا تزال فى يد أنصار الإمام البدر المخلوع ، أن البدر يسيطر على ثلث اليمن .

ومن جهة أخرى عبرت الحكومة الأمريكية مرة أخرى عن استيائها لقيام طائراتنا بضرب التجمعات الإمامية داخل الأراضي السعودية ، مما قد يكون سببا في تأخير إقرار دول الغرب بحكومة الثورة وكانت ألمانيا الغربية هي الدولة الأوروبية الوحيدة حتى ذلك التاريخ التي اعترفت بحكومة الجمهورية اليمنية نظرا للعلاقات الشخصية التي كانت تربطني بالزعماء الألمان كما سبقت الإشارة إلى ذلك في هذا الكتاب .

رغم تعبير الحكومة الأمريكية عن إستيائها من قيام طائراتنا بتعقب تجمعات الإماميين والمرتزة فإنها أعلنت في نفس الوقت أن دول الغرب سوف تقدم على (الإقرار بحكومة اليمن الجديدة في وقت واحد تقريبا عندما يحين الوقت للإقرار بها) ثم أضافت (أن الجيش اليمني بعد أسابيع قليلة من الثورة قد استطاع إعادة تعبئة قواته واستطاع تعزيزها بعناصر كبيرة من الحرس الوطني حيث تمكنت معسكرات التدريب ، التي افتتحت غداة الثورة ، من إعداد وحدات كثيرة صالحة للقتال ، وبذلك فإن قوات الجيش اليمني أصبحت في مقدورها أن تواجه العمليات العسكرية في جبهات متعددة) .

حتى يوم السبت ١٠ نوفمبر ١٩٦٢ كان الأستاذ محسن العيني رئيس الوفد اليمني لدى الأمم المتحدة لا يزال في القاهرة بعد أن غادر صنعاء قبل ذلك بأكثر من شهر وكان عذره في الإقامة في القاهرة أن الأمم المتحدة كانت لا تزال تعترف رسميا بانسداد أحمد محمد الشامي مندوب الإمام البدر المخلوع ممثلا شرعيا لليمن ، فأراد الأستاذ محسن العيني أن يتفادى حرج المزاحمة على هذا المنصب في نيويورك .

طلبت منه أن يسافر فورا إلى نيويورك تكملة لمشرح عمليات الصراع الدولي الذي نديره من صنعاء ، ولا حرج عليه إن هو ظل في نيويورك بعض الوقت بعيدا عن المقعد الرسمي لليمن في الأمم المتحدة . بل كان ذلك في نظري من عناصر تسخين المعركة الدولية ضد الإمام المخلوع لأنه بمثابة فتح جبهة يمنية أخرى على أرض الولايات المتحدة الأمريكية نفسها حيث تبدأ أول مبارزة سياسية بين ممثل الجمهورية التي أيقظنا بها ضمير العالم . وممثل الإمامة التي عرينا جسدها المتعفن ، وجردناها من كل عطف دولي عليها .

استجاب الأستاذ محسن العيني لطلبي وغادر القاهرة في اليوم التالي (الأحد ١١ نوفمبر ١٩٦٢) .

في ذلك اليوم كان الرئيس السلال في زيارة لمدينة الحديدة وأرسل إلى برقية رمزية قام بحل رموزها أمين رئاسة الجمهورية الأستاذ على المطري (أمين رئاسة الجمهورية حاليا) وعجبت أشد العجب عندما عرفت من هذه البرقية أن السلال قد استدعى قبل سفره من صنعاء نحو عشرين شيخا آخرين من شيوخ قبيلة خولان لمقابلته في صنعاء ثم سافر إلى الحديدة وطلب مني بموجب هذه البرقية أن ألقى القبض عليهم جميعا بمجرد وصولهم إلى القصر الجمهوري لمقابلتي نيابة عنه .

وقال في تلك البرقية أن هؤلاء هم مصدر القلاقل في منطقة خولان بأسرها وأنه يجب علينا سجنهم حتى تستقر الثورة .

لاحظت أن السلال سبق أن استدعى إلى صنعاء نحو خمسة وعشرين شيخاً لمقابلته ثم سافر إلى تعز وطلب منى تسفيرهم إلى القاهرة دون استشارتى فى هذا الأمر البالغ الأهمية ، واستدعى هذه المرة شيوخ خولان ثم سافر إلى الحديدة ليطلب منى أن ألقى بهم فى السجن على زعم أن ذلك هو الطريق الأمثل إلى فرض الإستقرار فى منطقة خولان المتحكمة فى الطريق إلى صرواح ومأرب ، بينما لم يكن عندى أدنى شك فى أن مثل هذه الحيل مع شيوخ القبائل تؤدي حتماً إلى المزيد من الإضطراب وحمل السلاح ضد الحكومة لأنها لا تتفق مع الشهامة القبلية والتقاليد العربية التى تقوم على شجاعة إتخاذ المواقف ، والصراحة فى الوفاء وفى العداة على حد سواء ، كما قال الشاعر القديم :

إما أن تكون أخى بصدق فأعرف منك غثى من ثمينى
وإلا فاتركنى واتخذنى عدواً أتقيك وتتقينى

استدعيت وزير شئون القبائل الزميل القاضى عبد السلام صبره وأطلعته على تلك البرقية ورأيت فى عدم تنفيذ طلب السلال فأبدى إرتياحه من موقفى ، وقال إن خبر إعتقال هؤلاء الشيوخ قد وصل إلى علمهم بعد أن وصلوا إلى صنعاء وبدأ بعضهم يهرب فعلاً إلى خولان فطلبت منه أن يسرع إليهم ويطلب حضورهم إلى مكنتى وتحت حمايتى .

جاءونى جميعاً مع القاضى عبد السلام صبره مطمئنين إلى كلمة الشرف التى حملها إليهم وزير شئون القبائل وهو رجل صادق لا أذكر أنه خدع أحداً قط ، أو كذب على أحد طوال حياته كلها .

قلت لهم أنهم الرجال الأشداء الذين تعتمد عليهم الجمهورية وهى تبنى لأولادهم المستقبل المشرق ، وأنهم وإن كانوا حتى تلك اللحظة قد وقفوا من الجمهورية موقفاً سلبياً فذلك لأننا قد قصرنا فى شرح أهدافها ، وعجزنا عن أن ننفى عن أنفسنا ما يقال عنا أننا ورثنا السلطة المستبدة من الأئمة الظالمين الذين ثرنا على نظامهم ، رغم أن قيادة الجمهورية قد أصبحت من حق جميع أفراد الشعب اليمنى ، الذى سوف تتاح له الفرصة لإختيار من يشاء من الرؤساء والحكام بعد إنتهاء فترة الإنتقال التى تحتّمها ضرورة الحفاظ على الثورة فى بداية مولدها ، كما أننا تأخرنا فى تشكيل مجلس الدفاع الأعلى الذى يضم معظم رؤساء وشيوخ وعلماء اليمن كى يكونوا السلطة العليا فى اليمن أثناء هذه الفترة الإنتقالية التى تحتاج إلى تكامل جميع القوى الوطنية للدفاع عن الثورة التى أعادت حقوق السيادة إلى أبناء الشعب دون إستثناء .

قلت لهم إننى لا ألومهم على موقفهم السلبي من الجمهورية ووعدهم بالعمل على إشراك كبارهم فى السلطة ضمن مجلس الدفاع الأعلى الذى يجب أن يتم إعلانه فى أقرب وقت ممكن .

وقبل أن أختتم كلمتى قلت لهم أننى أمرت وزارة الزراعة بأن تسلمهم عددا من مضخات المياه التى حصلنا عليها هدية من الحكومة الألمانية حتى يبدأوا فى استزراع أراضيهم كأولى ثمار الثورة الجمهورية التى سوف يكون من بينها إقامة المدارس والمستشفيات والطرق الحديثة فى بلادهم فى خولان .

أقسموا يمين الولاء للجمهورية وطلبت منهم أن يرسلوا برقية بتوقيعاتهم جميعا إلى الرئيس السلال فى الحديدة يؤكدون بيعتهم له رئيسا للجمهورية وقائدا للثورة اليمنية .

قرارات هامة لمجلس وزراء اليمن

عقد مجلس الوزراء اليمني اجتماعا مساء أمس برئاسة الدكتور هيدالرحمن البيضاوي نائب رئيس الجمهورية .
وشرح الدكتور البيضاوي عقب انتهاء الاجتماع بأن المجلس قرر تكوين لجنة عليا للتمويل مهمتها الاطلاع على حالة الاسواق والعمل فورا على استيراد كل ما يلزم الشعب من المواد الضرورية .
وخفص اسعارها واضاف ان المجلس قرر تكوين لجنة لشئون الموظفين لتوزيع طلبات الراغبين فى التوظيف على الوزارات للعمل على إلحاق كل راغب فى المكان المناسب لكفاءته .

صحيفة الأخبار ١١ نوفمبر ١٩٦٢ (الصفحة الأولى)

البيضاوي يتحدث إذاعة لندن ان تحدد مكان البدر

صغناء - وكالات الانباء :-

عقب الدكتور هيدالرحمن البيضاوي نائب رئيس الجمهورية العربية اليمنية وزير الخارجية على ما إذاعه راديو لندن من ان البدر المخلوع عقد مؤتمرا صحفيا شمالي اليمن دون ان يشير الى مكان هذا المؤتمر . تحدث الدكتور البيضاوي إذاعة لندن ان تحدد مكان المؤتمر الذى عقده البدر وقال اننا لاندرى كيف يتقبل الصحفيون ان يحضروا مؤتمرا فى صغناء سرى لا يداع من مكانه وما هى اذن قيمة هذا المؤتمر على هذا الوضع اللهم الا اذا كان مؤتمرا صحفيا بمقده قاطع طريق حارب من المدالة وثانى الصحافة المفلة لتكتب من تاريخ حياته ومؤلف منه روايات بوليسية اغلبها خرافة ووهم وقال اننا نطلب من الصحفيين الذين حضروا هذا المؤتمر ومن البدر المخلوع ومن إذاعة لندن ان يوضحوا لنا المكان لان لدينا فى صغناء عددا من الصحفيين يريدون ان يتأبلوا البدر ويحضروا الى مؤتمر صحفى بمقده داخل الاراضى اليمنية كما ان قواتنا يسعدنا كثيرا هى الآخرون ان تحضر هذا المؤتمر .

صحيفة الجمهورية ١٢ نوفمبر ١٩٦٢



لجأ إلى القاهرة طيار أردنى بطائرته الحربية الأردنية يوم الإثنين ١٢ نوفمبر ١٩٦٢ حيث عقد مؤتمرا صحفيا أذاع فيه أسرار التورط الأردنى العسكرى فى القتال ضد الجمهورية اليمنية بينما كنا نعلن فى ذلك اليوم أننا قضينا على محاولة غزو جديدة دار رحاها فى منطقة صعده حيث تصدى لها قائدها الجمهورى النقيب عبد الرحمن الترسى ، وكانت رئيسة وزراء إسرائيل السيدة جولدا مائير تعلن أنها تتابع أبعاد التأييد المصرى لثورة اليمن حتى لا يكون هناك تهديد على أمن إسرائيل .

ردا على ذلك استدعيت القائم بالأعمال البريطانى فى اليمن يوم الثلاثاء ١٣ نوفمبر ١٩٦٢ وأبلغته أن حكومة الثورة اليمنية لن تقف مكتوفة الأيدى وهى تراقب المساعدات البريطانية للمتمردين وقيام القوات الجوية البريطانية بنقل القوات الأردنية إلى منطقة بيحان الواقعة تحت الاحتلال البريطانى . (الأهرام ١٤ نوفمبر ١٩٦٢) .

وكان المستر دنكان سانديز وزير المستعمرات البريطانى قد صرح فى مجلس العموم قائلا (إن الثورة اليمنية دعت شعب عدن من راديو صنعاء إلى أن يستعد للثورة على الإنجليز ، مما يوجب على بريطانيا الإسراع إلى دمج عدن بإتحاد الجنوب العربى جنوب اليمن المحتل) . فاقترح بعض أعضاء المجلس أن تقوم بريطانيا بإجراء إنتخابات عامة فى عدن قبل إقدامها على تلك الخطوة ، غير أن وزير المستعمرات رفض هذا الإقتراح قائلا (إن نتيجة مثل هذه الإنتخابات سوف تكون فى غير صالح بريطانيا حيث توجد فى هذه المنطقة أغلبية ساحقة تتطلع إلى الإنضمام إلى اليمن) .

كنت أضع فى اعتبارى ، من بين عناصر حساباتى الدولية التى تعكس أثرها على ظروفنا المحلية اليمنية ، تلك الأزمة المشتعلة بين الولايات المتحدة الأمريكية وإتحاد السوفيتى بشأن القاذفات الإستراتيجية الروسية فى كوبا ، والتى كان من المعتقد أنها تبلغ أربعة وأربعين قاذفة مما دفع الأسطول الأمريكى إلى حصار الشواطئ الكوبية كرد فعل أمريكى للضغط على روسيا لسحب هذه القاذفات من الأراضى الكوبية .

وكان فيدل كاسترو رئيس وزراء كوبا قد أئذر بإسقاط أية طائرة أمريكية تنتهك المجال الجوى لكوبا للتجسس فوق أراضيها ، فرد الأمريكيون بأن أمريكا على استعداد لإرسال طائرات حربية مسلحة تسليحا ثقيلًا لحماية طائراتها فوق كوبا ، وأنهم سوف يستخدمون القوة إذا نفذ كاسترو تهديده .

كنت أضع في إعتباري أن الولايات المتحدة تستحسن ، عقلا ، أن تكتفى بأزمة كوبا الساخنة التي في متناول قبضة يدها ولا تختار بإرادتها أن تعمل على تسخين جبهة أخرى بعيدة عنها من أجل عيون البدر طالما أظهرت حكومة الثورة اليمنية حسن نيتها تجاه الولايات المتحدة بما يكفل تأمين مصالحها الحيوية في الشرق الأوسط .

من أجل ذلك كررت في مؤتمر شعبي أن دين اليمن الإسلامي يقف حائلا دون إنتشار الشيوعية ، فوق أراضيها وأكدت (أن الثورة اليمنية التي أعلنت في أول هدف من أهدافها العودة إلى شريعة الإسلام الحقة تستطيع أن تميز بين صداقتها المثمرة وتعاونها الصادق مع الإتحاد السوفيتي (وهو أمر تمليه المصالح المشتركة من العلاقات الثنائية وضرورة التصدي للمعارك المعادية للثورة) ، وبين السماح بإنتشار الشيوعية في اليمن ، (و هو أمر لا يقره دين الدولة وترفضه أهداف الثورة) .

عقدت إجتماعا يوم الأربعاء ١٤ نوفمبر ١٩٦٢ مع خبراء ألمانيا الغربية للبدء في تنفيذ المشروعات العمرانية التي شملتها المساعدات الألمانية لليمن ، وأكدت في مؤتمر صحفي (أننا ونحن ننشد السلام في الشرق الأوسط فإننا سنقوم بتدمير مواقع العدوان بمجرد ظهور طائرات معادية فوق الأراضي اليمنية) (الأهرام في ١٦ نوفمبر ١٩٦٢) .

وكان ذلك ردا على قيام الطائرات الأمريكية بعمليات إستعراضية فوق الأراضي السعودية بقصد إظهار العضلات لتطمين الحكومة السعودية .

في نفس يوم الأربعاء ١٤ نوفمبر ١٩٦٢ استدعيت القائم بالأعمال الأمريكي المستر روبرت ستوكي وقلت له أنني مع كل الصداقة التي أحملها في قلبي ، ومن جانب واحد ، للولايات المتحدة الأمريكية أرجو أن تعرف الطائرات الأمريكية التي حلقت فوق الأراضي السعودية أن المسافة التي قطعها عندما طارت من قواعدها في ألمانيا الغربية حتى وصلت إلى شبه الجزيرة العربية هي عين المسافة التي تقطعها الطائرات الروسية عندما تطير من قواعدها في ألمانيا الشرقية حتى تصل إلى نفس شبه هذه الجزيرة .

وطلبت من القائم بالأعمال الأمريكي أن يحمل تحياتي إلى الرئيس كينيدي ويبلغه دهشتي من تصرف الولايات المتحدة الأمريكية الذي لا يتجاوب مع رغبة حكومة الثورة اليمنية في الإسراع بإيجاد المناخ الشامل لإقرار السلام في هذه المنطقة ذات المصالح الحيوية الأمريكية .

وفي يوم الجمعة ١٦ نوفمبر ١٩٦٢ اجتمعت بالمستر روبرت ستوكي القائم بالأعمال الأمريكي بناء على طلبه ، وقد صرح عقب الإجتماع الذي إستغرق ساعة ونصف بأنه يأمل أن تعترف الولايات المتحدة الأمريكية قريبا بجمهورية اليمن ، ثم أدليت بتصريحات ذكرت فيها (إن ممثل أمريكا أكد لي أن الطائرات الأمريكية الحربية في السعودية لن

تستخدم في العدوان على اليمن وأن أمريكا لن تسمح لسلطات السعودية والأردن بإعتداء جوى علينا . وأنه إذا فرض وحدث هجوم جوى من جانب الملك سعود أو الملك حسين على أراضي اليمن فإن الطائرات الأمريكية إما أن تنسحب من الأراضي السعودية وإما أن تقف على الحياد) . وأضافت قائلاً أنني أكدت للقائم بالأعمال الأمريكي (إن الطائرات اليمنية لن تبدأ بضرب مطارات السعودية أو الأردن أو غيرها من المراكز الإستراتيجية إلا إذا بدأت طائراتها بالإعتداء على الأراضي اليمنية ، وفي هذه الحالة ستقوم قوات اليمن بكل استعداداتها بتدمير المنشآت الهامة في السعودية والأردن مهما كانت النتائج الدولية ، وهذا حق يكفله القانون الدولي) وعندما إنتهت المقابلة قلت للمستتر ستوكي (إننا نأمل أن تدرك أمريكا هذا الموقف الدفاعي من جانب اليمن وأن تلتزم بتأكيداتها بعدم التدخل إذا بدأ عدوان جوى من جانب الملك سعود أو الملك حسين) ونشرت الأهرام أخبار هذه المقابلة التاريخية والتصريحات التي أعقبتها في عددها الصادر يوم ١٧ نوفمبر ١٩٦٢ وعلمت عليها بقولها أنها (تمت بعد ٢٤ ساعة من مظاهرات الطائرات الأمريكية فوق الأراضي السعودية) . أي بعد ٢٤ ساعة من قيامي بتحديد موقفنا النهائي للرئيس كنيدي .

ممثل أمريكا يؤكد للدكتور البيضاني

طائرات أمريكا في السعودية لن تستخدم في العدوان على اليمن

اجتمع الدكتور عبد الرحمن البيضاني نائب رئيس الجمهورية اليمنية أمس ، بمستتر روبرت ستوكي القائم بأعمال أمريكا في اليمن ساعة ونصف ساعة . تم الاجتماع بطلب من القائم بالأعمال

الأمريكي . رفض ممثل أمريكا أن يصرح بشيء عن الاجتماع . سئل عن اعتراف بلاده بالجمهورية اليمنية فقال أنه لا يستطيع تحديد ذلك بالضبط .

وصرح الدكتور البيضاني بأن القائم بالأعمال الأمريكي أكد له أن الطائرات الأمريكية العربية التي وصلت إلى السعودية لن تستخدم في العدوان على اليمن . وأن السلطات السعودية والأردنية لن تقوم بمسحور جوي على الجمهورية العربية اليمنية وأن أمريكا لن تسمح لهذه السلطات بهذا العدوان . وأضاف الدكتور البيضاني أن القائم (البقية ص ١٥)

أثيوبيا تنفي مساعدها لسعود وحسين

في القنصل العام الاثيوبي في عدن الأنباء التي نشرتها الصحف في هذه المحبة البريطانية وقالت فيها ان اثيوبيا أرسلت خمس بوابات حربية وعشرة آلاف فدائي من القوات البحرية الاثيوبية الى المملكة العربية السعودية لمساعدتها ضد القوات الجمهورية في اليمن .

أفريقيا أعطت أمس تاكيداً للحكومة الثورة بأنها لمن تشترك في العدوان على أراضيها



السلال والبساتي في ليلتها على عودة السلال من العديدة أمس ، مضى جولسه النائم
الذي زاد فيها الفخ والفرى الواقعة بين صفاء والماء النقي على البحر الأحمر .

توضیح بطور اختصار

أمريكا بهد واستخدم القوة إذا استطاعا سراً ولا تراها

[illegible][illegible]

نداء من عدن بالتدخل

لاقرار حق الشعب في تقرير مصير



حتى يوم السبت ١٧ نوفمبر ١٩٦٢ كان وزير الدفاع اليمنى العقيد عبد الله جزيلان الذى انضم إليه وزير العدل القاضى عبد الرحمن الاريانى ووزير المعارف القاضى محمد محمود الزبيرى لا يزالون فى القاهرة بعد أن أثروا السلامة والإبتعاد عن الخطر المحدق بصنعاء واستملحوا الإطالة فى زيارتهم للقاهرة ، وكان من نتائج عدم توفيق الرئيس السلال فى قراره تسفير رؤساء وشيوخ القبائل إلى مصر أن التقى أولئك بهؤلاء فاجتمعوا على التشهير به ، الأمر الذى كان موضوع حديثهم مع رؤساء الدول التى بدأوا زيارتها فى ذلك اليوم ، والتى عندما انتهوا منها وعادوا إلى القاهرة التقوا بالرئيس جمال عبد الناصر ولخص جزيلان موضوع هذه المقابلة فى كتابه (التاريخ السرى للثورة اليمنية) صفحة ١٦٤ حيث كتب قائلا :

(قلت : إن أسرة بيت حميد الدين قد حكمت الشعب بإسم الدين والإنتماء إلى الرسول ﷺ ، وجلس السلال الذى كان رئيسا للحرس الملكى على مقعد رئيس الجمهورية يعطى للأعداء أمضى سلاح للدعاية ضد الثورة . ولو دفع الاستعمار والرجعية ملايين الجنيهاات ما تحقق لهم هذا المكسب الدعائى الكبير . فسأل الرئيس قائلا : ما هو المكسب هذا ؟ أجبت : سيذيعون بين القبائل وشبابها إن الذى يحكم اليمن هو رئيس حرس أبواب البدر ، وإنه من عائلة كذا ، وصفته كذا) .

قبل أن يعود جزيلان إلى صنعاء كان قد سبقه إلينا تقرير شامل عن نشاط الوفد اليمنى لدى رؤساء الدول العربية التى زارها ، والتى نفت فيها الوفد سمومه ضد السلال ، وكان هجوم الوفد على السلال أكثر من هجومه على البدر ، كما كانت قذائف ألسنتهم على السلال وعلى القوات المصرية التى تساند الثورة تسيطر على مزاجهم النفسى بالقدر الذى أنسى الوفد أى ذكر لقوات المتمردين والمرتزة المطالبين بالإمامة .

لم يتأثر الرئيس السلال عندما قرأ هذا التقرير الذى حمله إلينا أنور السادات واكتفى بالتعليق عليه قائلا أنه (يرحب بأى شخص يقبل أن يقاسمه الخطر فى اليمن) ثم أضاف إلى ذلك قوله (إن جزيلان لن يستطيع البقاء فى صنعاء أكثر من يومين اثنين أو ثلاثة على الأكثر) . وكان يشير بذلك إلى ما كان يعانيه من أمراض نفسية وعصبية .

استدعينا جزيلان إلى صنعاء وجهزنا له مكانا ينام فيه إلى جوارنا في غرفة نومنا في القصر الجمهورى ، حتى يكف عن إنتقاد نومه في دار الضيافة رغم أنه كان المكان الأكثر أمنا من القصر الجمهورى الذى كان الهدف الرئيسى لأعداء الثورة ، وعندما سمع فى جوف الليل طلقات الرصاص التى تعودنا على سماعها كل ليلة هب مذعورا وطلب أن يعود إلى القاهرة صباح اليوم التالى لوصوله إلى صنعاء ، غير أن الرئيس السلال رفض أن يأذن له بالسفر من صنعاء حتى يمارس عمله وزيرا للدفاع فانهارت أعصابه أكثر من أى وقت مضى .

تدخل السادات واشتركت معه فى إقناع السلال بالسماح لجزيلان بالعودة إلى القاهرة بعد أن تأكد للجميع أن السلال لم يبعده من صنعاء ولم يحرمه من شرف الإشتراك فى المعركة ، وأن السلال الذى وصفه جزيلان للرئيس جمال عبد الناصر بأنه (رئيس حرس أبواب البدر ، وأنه من عائلة كذا وصفته كذا) هو رجل وطنى يسعى إلى تثبيت أركان الجمهورية ، ويكفيه فخرا أن يكون أول رجل من أبناء الشعب اليمنى يتولى رئاسة أول جمهورية فى تاريخها .

يكفيه مجدا أنه من صلب أبناء الشعب الذى أراد أن يستعيد أمجاده .

كذلك عرفنا من السادات أن وزير العدل القاضى عبد الرحمن الاريانى يثير الزوابع ضد السلال حتى يزيحه من رئاسة الجمهورية التى يتطلع إليها ، وأنه يعمل على إيجاد شرح فى العلاقات بين السلال والبيضانى حتى يسهل عليه إسقاط السلال.

كانت مصيدة الاريانى تلتقى مع أهداف الإماميين المتمردين والجمهوريين الحزبيين ، فبينما كان الأماميون المتمردون يريدون القضاء على الثورة كان الجمهوريون الحزبيون يريدون الإستيلاء عليها . وكان الطريق إلى كل هذه الأهداف المتناقضة هو التخلص من رئاسة السلال بعد تجريده من عقله البيضانى .

الأصدقاء البعثيون تجاهلوا الصداقة عملا بالأساليب الحزبية ، والحلفاء الشيوعيون توقعوا العداوة فزعا من الشريعة الإسلامية ، بينما لم يقاتل المتمردون حبا فى الإمامة ولا بغضا للجمهورية .

كان المتمردون يتذكرون من الإمامة مأساة سوداء ، ويتصورون فى الجمهورية وعودا جوفاء ، فانبهروا بالحقيقة المؤكدة ، حقيقة الريال السعودى والدولار الأمريكى والجنية الإسترلينى . ولا ضير عليهم إذا عادت الإمامة أو انتصرت الجمهورية .

فإذا عادت الإمامة شفع لهم تمردهم السابق على الجمهورية ، وإذا انتصرت الجمهورية شفع لهم تنكرهم اللاحق للإمامة .

اجتمع أولئك وهؤلاء حول مصيدة الاريانى ذى الوجه البرئ والإبتسامة الناعمة والصوت الخافت والمسبحة التى لا تفارق أصابعه ، وهى تبالغ فى إتقان التنسيق بين قضبان المصيدة ، التى صقلها الريال السعودى نكاءً ، وزادها الدولار الأمريكى إغراء ، وتوجها الجنيه الإسترلينى خبرة ودهاء .

ثم تشيع لهذه المصيدة عدد من أصحاب الأغراض المصريين ، الذين أكبروا في السلال يدا توقع ، واستنكروا من البيضاني عقلا يفكر ، وكان التوقيع يرضيهم والتفكير يؤذيهم .

فطن عبد الناصر والسادات إلى خطورة هذه المصيدة التي لا تقتصر على إجهاض النظام الجمهوري في اليمن ، وإنما تؤدي إلى إنهيار الأمل في أية بقطة وطنية على مستوى الساحة العربية ، وتجريد الزعامة المصرية من مبرراتها التاريخية لتقديم المساعدات السياسية والعسكرية ذات الأبعاد القومية .

وبناء على توجيهات الرئيس عبد الناصر قام السادات بتقديم النصيحة إلى السلال محذرا أياه من مناورات الارياني حتى يتجنب الوقوع في مصيدته .

ومن الذكريات المؤسفة أن الرئيس السلال نقل حرفيا إلى القاضي عبد الرحمن الارياني نصيحة السادات بكل تفاصيلها مما أخرج السادات عندما زاره الارياني يقسم على أنه لا يضمم شرا للسلال ولا يتطلع إلى منصبه ، وأنه لا يحمل للبيضاني إلا أعظم التقدير لجهوده المضنية منذ أن بدأ يدعو للثورة حتى أصبح يقاتل بنفسه دفاعا عنها .

لم يكن هدف الارياني من هذا القسم أن يؤكد للسادات ولاءه للسلال ولا تقديره للبيضاني ، وإنما أراد أن يقنع السادات بعدم جدوى نصيحته للسلال الذي لا يأخذ بنصيحة أحد ولا يحتفظ بسرّه . فتمكن من تجريد السلال من أهم مقومات الزعامة ، حتى امتنع السادات بعد هذه التجربة الفاشلة عن تقديم أية نصيحة إليه .



من اليمن الرئيس السادات فالرئيس السلال فالمرؤف



المؤلف يلتقي كلمة في حشود المتطوعين للدفاع عن الجمهورية



عقدت اجتماعا لمجلس الوزراء وأصدرنا القرارات التالية :

١ - تعيين لجنة برئاسة وزير الاقتصاد لتصفية أعمال فرع البنك الأهلي التجارى السعودى فى اليمن خلال إسبوع واحد وتسليمها للجنة التأسيسية للبنك اليمنى للإنشاء والتعمير لإدارتها . (وكنت قد أعلنت فى وقت سابق إلغاء ترخيص هذا الفرع على نحو ما سبق شرحه) .

٢ - البدء فورا فى إعادة بناء مدينة الحديدة لتوفير المساكن الشعبية الحديثة بها حتى لا تتكرر حوادث الحريق فى البيوت الحالية .

٣ - إنشاء عدد من المدارس الزراعية فى جميع مناطق اليمن لتخريج العمال الزراعيين الفنيين الضروريين لتنفيذ الخطة الزراعية الكبرى .

٤ - الموافقة على القروض المقدمة من بعض اليمنيين سواء من كان منهم من المنتسبين إلى شمال اليمن المستقل أو إلى جنوبها المحتل ، وإنشاء فنادق سياحية فى الحديدة وصنعاء .

٥ - إنشاء مجمع للوزارات والمصالح الحكومية وطلب مهندسين من الجمهورية العربية المتحدة لتنفيذ المشروع .

٦ - إنشاء شركة للمقاولات العامة تضم مساهمين من الجمهوريتين اليمنية والعربية المتحدة .

٧ - إنشاء شركة طيران جديدة برأس مال مشترك تساهم فيه شركتا الطيران اليمنية والعربية المتحدة .

وفى يوم الأحد ١٨ نوفمبر ١٩٦٢ طلب القائم بالأعمال الأمريكى مقابلتى وسلمنى رسالة من الرئيس الأمريكى جون كيندى وصرح للصحفيين بأن (حكومته تدرس بعناية وجدية مسألة الاعتراف بحكومة اليمن) وقال (أنه لمس تأييد الشعب اليمنى للثورة والهدوء الذى يسود البلاد) . (الأهرام ١٩ نوفمبر ١٩٦٢) .

٨ قرارات هامة لمجلس وزراء اليمن تصفية فروع البنك السعودي وإنشاء بنك يمنى

عقد مجلس الوزراء اليمنى امس جلسة برئاسة الدكتور عبد الرحمن البيهاني نائب رئيس الجمهورية ووزير الخارجية ، وأخذ القرارات الهامة التالية :

- إلغاء الترخيص الممنوح لفروع البنك الاهلى التجارى السعودى لى اليمن وتعيين لجنة برئاسة وزير الاقتصاد لتصفية هذه الفروع خلال اسبوع واحد ، وتسليمها الى اللجنة التأسيسية للحرس الوطنى للإنشاء والتعمير لإدارتها ، حتى يتم إنشاء البنك اليمنى للإنشاء والتعمير .



- البدء فورا فى إعادة بناء مدينة الحديدة ، لتوفر المساكن الشعبية الحديثة بها ، حتى لا تكرر حوادث الحرب فى البيوت الحالية .

- إنشاء عدد من المدارس الزراعية فى جميع مناطق اليمن لتخريج العمال الزراعيين الفنيين اللازمين لتنفيذ الخطة الزراعية الكبرى .
- الموافقة على العروض المقدمة من بعض اصحاب رؤوس الاموال اليمنيين او الموجودين فى الاراضى اليمنية المحلة ، وإنشاء فنادق سياحية فى الحديدة وصنعاء .
- إنشاء مجمع للوزارات والمصالح الحكومية وطلب المهندسين من الجمهورية العربية المتحدة لتنفيذ المشروع .
- إنشاء شركة للمعاملات العامة تضم مساهمين من الجمهوريين اليمنية والعربية المتحدة .
- إنشاء شركة طيران جديدة برأس مال مشترك تساهم فيه شركتا الطيران اليمنية والعربية المتحدة .
- ابعاد وزير التجارة اليمنى السيد عبد الفتى المظهر على رأس وفد تجارى الى القاهرة لدراسة وسائل الامادة من العرض المتفق عليه والذي يبلغ مليون جنيه ، وطلب السلع التى تحتاجها اسواق اليمن .

الأهرام ١٨ نوفمبر ١٩٦٢ (الصفحة الأولى)

مالم ينشر عن هذه المقابلة أنه أعطاني قائمة بأسماء سبعة عشر يمنيا وصفهم بأنهم شيوعيون يشغلون مناصب حساسة فى أجهزة الحكومة اليمنية . قرأت هذه القائمة واستغرقت ضاحكا من سطحية معلومات المصادر التى يعتمد عليها ، وقلت له أن عدد الذين يمكن تسميتهم بالشيوعيين اليمنيين يتجاوز هذا الرقم ، وأن الذين نعرفهم يبلغون ثلاثة وأربعين فردا بدأ انتمائهم للشيوعية منذ عهد الإمامة .

ثم سألت القائم بالأعمال الأمريكى ماذا كان يفعل بهم لو كان مكانى ؟ هل كان يستحسن ، عقلا ، أن يأمر بالقبض عليهم ويحاكمهم فتصدر أحكام بسجنهم وفصلهم من وظائفهم حتى يشفع السفير السوفيتى وأعوانه من سفارات الكتلة الشرقية فى اليمن وعندئذ أضطر إلى إحترام ظروف معركة البقاء التى نخوضها فأصدر قرارا بالإفراج عنهم وإعادتهم إلى مناصبهم أبطالا مغاوير لا يعملون بعد ذلك أى حساب لهيبة الحكومة ، وينقلون نشاطهم من تحت الأرض إلى فوق رؤوسنا ؟ .

طلبت من القائم بالأعمال الأمريكى أن يتذكر جيدا أن حكومته لا تزال فى موقف معارض لحكومة الثورة اليمنية ، ولا تزال تساعد أعداءها للإنقضاض عليها ، ثم تقف علنا مع ممثل البدر المخلوع فى الأمم المتحدة الذى لا يزال يحتل مقعد اليمن بغير اليمن .

قلت للقائم بالأعمال الأمريكي أن أصدقاءنا الذين يقفون معنا على الساحة الدولية هم الروس ودول الكتلة الشرقية ، وأسلحتنا التي ندافع بها عن رؤوسنا هي أسلحة روسية شرقية ، والعشرين ألف طنا من القمح التي أبحرت من ميناء أدسا على البحر الأسود في طريقها إلينا هي محاصيل مزارع أوكرانيا ، هدية روسية لشعب اليمن الذي أصبح يعاني من نقص في الطعام بفضل المعارك التي تقتل رجالنا وتخرّب حقولنا بالأسلحة الأمريكية والبريطانية .

وسألته لو أنه كان مكاني ، هل كان في وسعه أن يخرج على مقتضى العقل ويصدر قرارا طائشا بسجن هذه الحفنة من الشيوعيين ثم لا يلبث أن يضطر إلى إلغائه والإعتذار عنه ؟ .

قال المستر روبرت ستوكي أنه لم يقصد مطلقا أن ينصحنى بإتخاذ أى إجراء ضد الشيوعيين اليمنيين لأن ذلك أمر يدخل في صميم الشؤون الداخلية اليمنية ، وإنما أراد فقط أن يحيطنى علما بمعلومات توفرت لديه قد أكون في حاجة إليها .

وفى اليوم التالي (الاثنين ١٩ نوفمبر ١٩٦٢) طلب القائم بالأعمال الأمريكي مقابلتى وأبلغنى أن الرئيس الأمريكى جون كنيدي أصدر أوامره إلى سفينة الشحن الأمريكية التي كانت وسط المحيط الهندي في طريقها إلى الهند بأن تتجه إلى ميناء الحديد لتقدم إلينا هدية أمريكية أولى عبارة عن عشرين ألف طنا من القمح ، وسألنى هل أقبل هذه الهدية الأمريكية التي تحمل عبواتها علامات المعونة الأمريكية ؟ . سألنى هذا السؤال لأن الإمام أحمد سبق أن اشترط على الولايات المتحدة ألا تذكر شيئا على عبوات القمح التي تهديها إلى اليمن .

قلت للقائم بالأعمال الأمريكى أن الإمام كان يشترط ذلك لأنه كان يبيع القمح الذي كانت تهديه أمريكا للشعب اليمني ، أما نحن فسوف نرسل هذا القمح لا طعام قواتنا في ساحة القتال ، ولا نمانع إذا حمل كل رغيف خبز من هذا القمح صورة الرئيس جون كنيدي نفسه ، الذي نأمل منه أن يسحب أسلحته الأمريكية من أيدي المرتزقة والمتمردين بعد أن طاب نفسا بإطعام المقاتلين الجمهوريين .

بعد خروج القائم بالأعمال الأمريكى من مكنتى استدعيت السفير الروسى وأبلغته موافقتى على قبول هدية قمح أمريكية تحمل عبواتها علامات المعونة الأمريكية ، وعرضت عليه إستعداد الحكومة اليمنية لوضع علامات المعونة الروسية على عبوات هدية القمح الروسية التي كانت في طريقها إلى اليمن . اغتبط السفير الروسى من هذا العرض وإن كنت قد لاحظت عليه عدم الارتياح عندما أدرك أنني اقتربت كثيرا من ساعة الوصال بين الجمهورية اليمنية والولايات المتحدة الأمريكية .

كلفت مجموعة من العاملين بميناء الحديد بوضع علامات المعونة الروسية على عبوات القمح الروسى .

فى ذلك اليوم (الإثنين ١٩ نوفمبر ١٩٦٢) وصل إلينا فى صنعاء الطيارون الحربيون السعوديون والأردنيون الذين لجأوا بطائراتهم الحربية وأسلحتهم وذخيرتهم وأسرارهم إلى القاهرة ، وفى مؤتمر شعبى عقدناه فى صنعاء إحتفالاً بوصولهم إلينا ألقى العقيد الأردنى الطيار سهل حمزة كلمة قال فيها (إننى هنا بين أيديكم لأعبر عن الشعور الصادق للشعب العربى فى الأردن نحوكم ، فهو معكم قلباً وقالبا ، لقد كلفنا حسين بضرب ثورتكم ، لكننا هنا نحن اليوم معكم ندافع عنكم) .

ثم ألقى المقدم السعودى الطيار رشاد شيشة كلمة قال فيها (إن جيش الجمهورية العربية المتحدة هو جيش العرب وسيقف دائماً مع الشعوب العربية ضد أعدائها) .

وثائق خطيرة

يسلمها قائد الطيران الاردنى للبيلصانى

سلم العقيد سهل حمزه قائد الطيران الاردنى امس هذه وثائق هامة الى الدكتور عبد الرحمن البيلصانى نائب رئيس الجمهورية العربيه اليمنيه تبنتها الملك حسين هذه السحب العربى الى اليمن .
وتضم هذه الوثائق اخر برلين بلغاهما سهل حمزه اثناء اثناء وجوده في الطائف فالدا سلاح الطيران الاردنى من الملك حسين للاعداد للملوان السعودى الاردنى المسرد على اليمن .
وقد تضمنت البريفتان تحديدا للاهداف اليمنية التى كان مقررا ان يقوم الطائرات السعودية الاردنية بضربها في بدايه العدوان .
وهي المطارات الغربية من الحدود ومطارات صنعاء الثلاثة والقطع البحري في البحر الاحمر والامة صنعاء والامة الممر افعتها في نزع وادارة الاسلحة . كما سلم العقيد حمزه الدكتور البيلصانى خريطة تفصيلية للجمهورية العربية اليمنية طبعت في عمان وحددت عليها هذه الاهداف الى كان مقررا ضربها .

انفجار في سفينة بريطانية

اثناء سيرها في الخليج العربى

الأهرام ٢٠ نوفمبر ١٩٦٢

وسلمنى قائد الطيران الأردنى العقيد سهل حمزة عدة وثائق هامة تشرح خطة الملك حسين فى الإعتداء على اليمن ، وتتضمن أخر برفيتين تلقاهما العقيد حمزة أثناء وجوده فى الطائف لإعداد عمليات الإعتداء السعودى الأردنى المشترك علينا ، وقد أوضحت هاتان البرقيتان الأهداف اليمنية التى كان من المقرر أن تقوم الطائرات السعودية والأردنية بضربها عند بداية غزو الأراضى اليمنية ، وقد شملت هذه الأهداف المقرر ضربها جميع المطارات اليمنية القريبة من الحدود اليمنية السعودية ، ومطارات صنعاء الثلاثة ، والقطاع البحرية فى البحر الأحمر ، وإذاعة صنعاء والإذاعة التى بدأنا فى إقامتها فى تعز ، وإدارة اللاسلكى ، كما سلمنى قائد الطيران الأردنى خريطة تفصيلية للجمهورية العربية اليمنية كانت قد طبعت فى عمان بعد أن حددت عليها هذه الأهداف اليمنية الإستراتيجية .

وفى يوم الثلاثاء ٢٠ نوفمبر ١٩٦٢ أذاع راديو لندن (أن وفدا برلمانيا بريطانيا سيسافر إلى صنعاء فى زيارة لليمن تلبية لدعوة من الدكتور عبد الرحمن البيضانى نائب رئيس الجمهورية اليمنية ووزير خارجيتها ، وسيرأس هذا الوفد وليم بيتس عضو مجلس العموم البريطانى عن حزب المحافظين ومعه إثنان من أعضاء المجلس المنتخبين لحزب العمال) .

وفى يوم الأربعاء ٢١ نوفمبر ١٩٦٢ أجمعت بالمستر روبرت ستوكى القائم بالأعمال الأمريكى بناء على طلبه ، ونشرت وكالات الأنباء أن الإجتماع استمر ساعة كاملة ثم تأجل لليوم التالى (الأهرام ٢٢ نوفمبر ١٩٦٢) ولم تعقب هذين اللقائين أية تصريحات سواء من الجانب اليمنى أو الجانب الأمريكى .

وفد بريطاني بريطاني يزور اليمن بدعوة من حكومتها منوّات بهدّ توفيق ولا تأنّح تونج في عود دزّج أنباد كاذبة عن اليمن!

أذيع في لندن أمس إن وفدا برلمانيا بريطانيا سيسافر يوم الجمعة إلى صنعاء لزيارة لليمن
بلية لدعوة من الدكتور عبد الرحمن البيضانى نائب رئيس جمهورية اليمن ووزير خارجيتها .
ويرأس الوفد - الذى أعلن أنه ستفوس الحالة في اليمن - ولم يسس عضو مجلس العموم
من حزب المحافظين ومعه أسان من أعضاء المجلس المنتخبين لحزب العمال .

وكاتب حكومة الثورة قد وجهت الدعوة من قبل للمرافقين الإهاب الذين يريدون مساهمة
الإحوال في اليمن بأنفسهم ، وكان مما قاله في هذا الشأن أن الذين أصبح مقبوعه وليس
مقلقه وإن حكومة الثورة لا تحلى شئنا . وقد لبى هذه الدعوة كثير من مملى الصحافة المحلية
الذين شهدوا باستقرار الإحوال في اليمن وسيطرة الثورة على جميع أراضيها .
لهذا أذاع راديو لندن بيا أصبار الوفد لبرلمانى للسفر إلى صنعاء ، في الوفد لدى غلب
فيه لكالات الإباء من لشرا الحمار عرسه من عدن . إذ غالب الوكالات أن مشوراب ورسد ل
هذه المستعمرة البريطانية نوب أن جعل أى بوضع أو أى بوضع وبروح أحناء كاذبة من اليمن.
وقد كان المثلث المتأثر للسبب في عدن أن
هذه الحركة لا تحتاج إلى مناه في الوصول
إلى هدفه العائتين بها أو أهدافها .

فى اللقاء الأول سلمنى القائم بالأعمال الأمريكى رسالة من الرئيس جون كنيدي يقترح فيها مخرجا من مأزق القتال الدائر على الحدود اليمنية ، وخلاصته أن تقوم الولايات المتحدة بالدعوة إلى عقد مؤتمر قمة رباعى يحضره الرجل الثانى لكل من الجمهورية اليمنية ومصر والسعودية والأردن للإتفاق على وقف القتال ، وانسحاب القوات الأردنية من الأراضى السعودية الملاصقة لحدود اليمن ، واحترام اليمن لحقوق جيرانها فى العيش فى سلام ، والانسحاب التدريجى للقوات المصرية من الأراضى اليمنية بعد تنفيذ كل من السعودية والأردن لالتزاماتهما ، ومساعدة الحكومة اليمنية على تحقيق الإستقرار فوق أراضيها والنهوض بمستوى معيشة شعبها .

أرجأت ردى على تلك ألسالة أربعاً وعشرين ساعة حتى أدرسها بعناية مع الرئيس السلال ومجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء ، وحتى يكون هناك متسع للوقت لإستشارة الرئيس جمال عبد الناصر .

وفى اليوم التالى (الخميس ٢٢ نوفمبر ١٩٦٢) استدعيت القائم بالأعمال الأمريكى فى تمام الساعة العاشرة صباحاً وأبلغته رد الحكومة اليمنية على رسالة الرئيس الأمريكى وكانت خلاصتها أننا نرحب بهذا الإقتراح ، وأضفت إقتراحاً من جانبى وهو أن يكون المؤتمر خماسياً وليس رباعياً ، فلما سألتنى عن الدولة الخامسة التى اقترح أن تحضر هذا المؤتمر قلت أنها الولايات المتحدة الأمريكية حتى تشهد على حسن نوايانا ، وتلتزم بتنفيذ إلتزاماتها بمساعدة حكومة الثورة على النهوض بمستوى معيشة شعبها .

كان المقرر أن أقوم بتمثيل الحكومة اليمنية فى هذا المؤتمر ، ويقوم المشير عبد الحكيم عامر بتمثيل مصر والأمير فيصل بتمثيل السعودية ورئيس الوزراء وصفى التل بتمثيل الأردن .

فى يوم الجمعة ٢٣ نوفمبر ١٩٦٢ نشرت صحيفة نيويورك تايمز فى مقالها الإفتتاحى أن (حكومة الثورة اليمنية تسيطر سيطرة تامة على جميع أراضى اليمن وأن هذه السيطرة كافية للإعتراف بنظام الحكم الجديد) وقالت أن (الحكومة اليمنية استبدلت نظام الإمامة البائد بنظام يعد نواة لنشر الأفكار الديمقراطية والتقدمية فى سائر أنحاء الجزيرة العربية) .

فى نفس ذلك اليوم عقدت إجتماعاً لمجلس الوزراء وأعلنت إنشاء مستودعات لبيع المواد الغذائية للجمهور بأسعار مناسبة ، وإلغاء الرسوم الجمركية على المواد الغذائية وجميع الأدوات والآلات الزراعية وأجهزة الراديو والمطبوعات الثقافية ، وإضافة ٣٠٪ على الرسوم الجمركية بالنسبة إلى السجائر والكماليات .

وفى يوم السبت ٢٤ نوفمبر ١٩٦٢ أذاع راديو لندن أن (الهدوء يسود جميع أنحاء اليمن وأن كل شئ هادئ إلى الحد الذى يصعب على المرء تصديقه) .

غير أننا بعد أن رحبنا بالإقتراح الأمريكي وأخذت الإذاعات والصحف الأجنبية تميل إلى صفنا فوجئنا بتصعيد مفاجيء في عمليات القتال ضد الثورة في مختلف المناطق اليمنية ، مع إنتشار الإشاعات التي تقذف الرعب في نفوس المقاتلين علاوة على إشاعة القلق بين سكان المدن الذين كانوا يتربصون في كل لحظة هجوم القبائل على بيوتهم .

ومع قلق السلال لم يدهشني هذا التصعيد المفاجيء ، بل أسعدني أعظم السعادة لأنه أثبت صدق النوايا الأمريكية حين دلتني على مدى زعر الغزاة والمعتدين الذين أدركوا إنفضاض الولايات المتحدة من حولهم عندما اكتشفت فشلهم ، فأرادوا أن يستعرضوا عضلاتهم أو يكسبوا مواقع جديدة قبل انعقاد المؤتمر الذي لا يحضره الإمام المخلوع ، والذي يهم أعوانه الغزاة والمتمردون أن يطلبوا له نصيبا في حكم صنعاء إذا كانت له أرض يضع عليها أقدامه بالقرب منها أو حتى بعيدا عنها .

كنت أعتبر إنعقاد ذلك المؤتمر الرباعي أو الخماسي ليس مجرد منطلق إلى إقرار السلام في اليمن فحسب وإنما كان في نظري بمثابة إعراف سعودي أردني بحكومة الثورة اليمنية ، وتنازل نهائي من جانبهما عن تأييد الإمامة المخلوعة من اليمن ، وهو ما يفسح المجال لاستعادة أوثق العلاقات بيننا وبين الحكومتين السعودية والأردنية فنذفن معا صفحة الصراعات الدموية ونبدأ معا صفحة التعاون المثمر والخلق في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية بما يحقق الإستقرار والرخاء في شبه الجزيرة العربية .

كان حجم هذا الأمل يبرر في نظري حجم التصعيد المفاجيء في العمليات الحربية ، لأن أعداء الثورة اليمنية لا بد أنهم يرون ما أرى ، ولذلك فإنهم يرمون بكل ثقلهم في كل الجبهات لإشغال الصراع الدموي الذي يبرر وجودهم على الساحة العربية والدولية .

لم يدهشني سلوك المتمردين بقدر ما أزعجني رعب الجمهوريين الذين وقعوا ضحايا للإشاعات المتقنة التي روجها الأعداء فأضعفت صمود الأصدقاء ، فلاذ كثيرون منهم إلى الفرار من سفينةنا الجمهورية يبحثون عن جبل يعصمهم من طوفان الإمامة .

هلعت نفوسهم وانخلعت أفئدتهم وطاش صوابهم وكأن السماء انفطرت ، والكواكب اندثرت ، والبحار فجرت ، والقبور بعثرت .

وصلتني برقية عادية (غير رمزية) من قائد الحدود الجنوبية الشيخ إبراهيم حاميم (والد عضو مجلس قيادة الثورة الشيخ عبد القوى إبراهيم حاميم) يطلب مني نجدة سريعة حيث وصل إلى علمه أن القوات الأردنية قد وصلت إلى ميناء عدن وأنها تبلغ نحو خمسين ألف رجل وأنها سوف تزحف إلى تعز عبر المنطقة الجنوبية التي يتولى قيادتها .

كما وصلتني برقية من قائد منطقة صعده (شمال اليمن) الرائد عبد الرحمن التريزي يطلب نجدة من قواتنا الجوية حيث وصل إلى علمه أن عشرات الألوف من المتمردين وقوات المرتزقة قد أحاطوا بالجبال المحيطة بمنطقته التي يتولى قيادتها .

ووصلتني برقية من قائد منطقة الحديد الرائد محمد الرعيني يطلب نجدة تساعد على التصدي لقوات المتمردين والمرتزة التي أخبره المرشدون بأنها تتأهب للتحرك مرة أخرى من جيزان في اتجاه ميناء الحديد للاستيلاء عليه وقطع طريق الحديد صنعاء كي تخنق العاصمة وتمنع الإمدادات المصرية عن قواتها المنتشرة في أعماق اليمن .

كانت كل هذه البرقيات عادية (غير رمزية) ، وكما سبق القول في هذا الكتاب ، تعود اليمنيون منذ أيام الإمامة على متابعة أخبار الحكومة عن طريق مكاتب الاتصالات السلكية واللاسلكية ولا شك في أنه عندما تنتشر هذه البرقيات بين المقاتلين والمواطنين الآخرين فإنها تلقى بالهزيمة في قلوبهم مما قد يؤدي إلى تغيير سلوكهم المؤيد للثورة .



برقية عاجلة من الحدود : يراها الدكتور اليماني نائب الرئيس في اليمن وهو مستلق على سريره المنقل في مبنى مجلس الثورة خلال ساعات الليل

صورة منقولة من مجلة آخر ساعة

كانت ظروف اليمن ، فى ذلك الوقت تتسم بالإنعزال والتخلف وغيبة التنظيم الجماهيرى ، فكان علينا أن نحافظ على الأمل فى نفوس الجماهير كى نتق فى قرب الانتصار النهائى للثورة واستبعاد كل احتمال لليأس من هذا النصر المبين .

كان الأمل واليأس ، كما سبق القول ، يشتركان فى تحديد مصير الثورة اليمنية إلى درجة بالغة الخطورة ، ولذلك لم أقف مكتوف اليدين أمام برقيات الأصدقاء ، فأرسلت ردا فى برقية غير رمزية إلى الشيخ إبراهيم حاميم قائد المنطقة الجنوبية أقول فيها (لا تملك الأردن جيشا يبلغ عدده خمسين ألفا حتى ترسله كله علينا عن طريق عدن ، وقد جربتنا حكومة الأردن عندما دفنا لها بضعة آلاف من جيشها فى أرضنا الطاهرة فى معركة حرض ولا أظنها تفكر فى إعادة المحاولة فتصاب بنفس الكارثة ، أما إن هى جازفت بمحاولة أخرى فإنها لن تكون عن طريق عدن والمنطقة الجنوبية التى لن تجد فيها صديقا يقدم لها شربة ماء) .

وردا على برقية الرائد عبد الرحمن التريزى قلت له فى برقية غير رمزية (لقد أسعدنى ما جاء فى برقيتكم الذى أتمنى أن يكون صحيحا لأنه لو تجمع مثل هذا العدد من المرتزقة والمتمردين فإنه سوف يتيح لنا فرصة ذهبية لسحقهم جميعا فى ضربة جوية واحدة) .

ولم أكتف بإرسال هذه البرقية وإنما طرأت بنفسى فى مقدمة مجموعة قاذفات قنابل ومعنى قائد القوات الجوية المصرية المقدم على منصور وتفقدت بنفسى منطقة صعده وما حولها ولم أعر على أية تجمعات ، غير أننى أمرت قائد إحدى القاذفات بأن يلقى حمولته فى الصحراء الملاصقة لمدينة صعده كنوع من استعراض عضلات الجمهورية وتثبيت إيمان قواتنا المرابطة فى تلك المنطقة .

أرسلت برقياتى غير الرمزية بهدف انتشارها بين الجماهير ، ثم أصدرت تعليمات سرية إلى جميع قادة المناطق الحربية باستخدام الرموز عند الاتصال بالقيادة العامة .

عندما عدت إلى صنعاء ذهبت بنفسى فى طائرة إستطلاع إلى منطقة جيزان حيث شاهدت بعينى الأعمال المدنية التى كانت تجرى من أجل إعادة بناء ممرات المطار ، ولم أتبين حشودا غير عادية فى تلك المنطقة . لكننى استدعيت القائم بالأعمال الأمريكى وأبلغته ما شاهدته فى مطار جيزان وقلت له أن الحكومة السعودية لا تقوم بإعادة هذه الممرات إلا إذا كانت تنوى إعدادها كتسهيلات جوية للقوات الأردنية التى تتأهب للعودة مرة أخرى إلى الإعتداء علينا .



حشود المتطوعين في الحرم الوطني في طريقهم إلى ساحات القتال .



جاءني اللواء أنور القاضي قائد القوات المصرية في اليمن يوم الخميس ٢٢ نوفمبر ١٩٦٢ وأبلغني بأن قواته المدرعة ومجموعات الصاعقة المصرية المسيطرة على منطقة جبل رأس العرقوب قد أصبحت مستعدة للزحف إلى منطقة جبل رأس الوتدة ، كي تصل منها إلى منطقة صرواح ثم مأرب ، التي كانت هدفا لتجمعات الأعداء التي تنطلق من إمارة بيجان الواقعة تحت الاحتلال البريطاني ، وطلب مني تعزيز هذه القوات بجيش شعبي من الحرس الوطني ورجال القبائل وموافقتي على بدء الزحف .

شرحت له موقفنا الدولي ونجاحنا المنتظر في المعركة الدولية ، الذي دفع الأعداء إلى إشعال حرائق صغيرة متعددة ومتفرقة في أنحاء اليمن لأغراض دعائية ، حتى يعرفوا نجاحنا في هذه المعركة السياسية الدولية أو يشتركوا معنا بنصيب عند إنعقاد مؤتمر القمة الذي تقترحه الولايات المتحدة الأمريكية .

قلت أننا ، ونحن نطفئ هذه الحرائق الصغيرة التي في متناول يدنا إخمادها ، لا استحسن أن نشعل بأنفسنا حريقا كبيرا لا نضمن نتائجه في ذلك الوقت بالذات .

أوضحت أنه لا يحسن بنا أن نفرض على أنفسنا امتحانا قاسيا في معركة حربية قد تؤدي لنتيجتها غير المضمونة إلى إضعافنا في معركة سياسية أوشكنا على النجاح فيها بانتصار ساحق على أعدائنا . ولا ضرر علينا إذ نحن أجلنا هذه المعركة الحربية حتى ننجح في معركتنا السياسية وبعد ذلك نؤدي كل الامتحانات الحربية الثقيلة وفي يدنا شهادة نجاحنا في المعركة السياسية الدولية الحاسمة ، تلك الشهادة الدولية التي مجرد حصولنا عليها يؤدي حتما إلى إلحاق الهزيمة النفسية الكاملة في نفوس أعدائنا ، وعندئذ يكون معنا أمضى الأسلحة في معاركنا الحربية ، إن بقيت هنالك بعد ذلك ثمة معارك حربية .

ذلك لأن إعراف الولايات المتحدة الأمريكية بالجمهورية اليمنية يؤدي حتما إلى فتح باب الإعتراف بنا أمام دول الغرب ، كما يؤدي حتما إلى طرد ممثل البدر المخلوع في الأمم المتحدة وإستلام ممثلا مقعد اليمن في هذه المنظمة الدولية التي تستطيع عندئذ أن ترفع لنا علم الجمهورية بعد أن تطوى علم الإمامة إلى الأبد .

قلت للواء أنور القاضي إننى أستحسن تأجيل معركة رأس الوتدة حتى لا يهتز موقفنا الدولى إذا ما فوجئنا ببعض المفاجآت التى لا يمكن التنبؤ بها فى منطقة وعرة مليئة بالكماثن نعتد فيها على ولاء غير مؤكد ، بينما إذا أبقينا قواتنا الضاربة فى جبل رأس العرقوب فإنها تحافظ على وضعها الحاكم والمسيطر على المنطقة الشرقية كلها حتى صنعاء .

قال اللواء أنور القاضي إنه يريد أن يساعدنى فى معركتنا السياسية الدولية بإحراز إنتصار ساحق فى المعركة الحربية التى يضمن نتائجها بعد أن وثق رائد الصاعقة المصرى عبد المنعم سند عرى العلاقات الخاصة مع شيوخ قبيلة بنى بهلول وقبيلة بنى ظبيان وهما القبيلتان اللتان ، بقيادة الشيخ يحيى الرويشان والشيخ عبد الخالق الطلوع أخلص أصدقاء اللواء المصرى عبد المنعم سند ، تتحكما فى جانبى رأس الوتدة حتى صرواح ، وإنهما هما اللتان ستحميان زحف قواتنا من اليمين ومن اليسار ، أى أنهما ستكونان قوات جناحى الزحف ، ثم أكد لى أنه من ضرورياتنا الإستراتيجية أن نستغل هذه الفرصة الذهبية المضمونة النتائج .

وافقت اللواء أنور القاضي على رأيه اعتمادا على حسن تقديره للموقف العسكرى ، وحتى لا يظن أنه وهو متطوع للقتال فى وطنى ، أن رجل السياسة يسعى إلى كسب المعركة الحربية سياسيا على حساب رجل الحرب الذى يسره أن ينتصر فيها عسكريا .

أرسلت إلى منطقة جبل رأس العرقوب التعزيزات التى طلبها ، وأصدرت قرارا إلى العقيد حسن العمرى قائد منطقة حجانة (المتحكمة فى الطريق بين صنعاء ورأس العرقوب) بأن يزحف إلى رأس العرقوب لتطهير هذا الطريق من المتمردين حتى يسهل علينا أن ننقل إلى ساحة المعركة تعزيزات وإمدادات أخرى إضافية إذا لزم الأمر مستقبلا .

طلب العقيد حسن العمرى مصفحتين من صنعاء ليبدأ الزحف فأرسلتهما إليه ، ثم طلب كمية إضافية من الذخيرة فأرسلتها إليه ، ثم طلب مصفحتين أخريين فاعتذرت له وضربت له موعدا للزحف إلى رأس العرقوب كى ألتقى به هناك فنزحف معا إلى رأس الوتدة وأعقد هناك مؤتمرا صحفيا عالميا نستثمر فيه ذلك النصر عندما يتحقق كما أكد اللواء أنور القاضي .

لم يكن فى وسعنى أن أرسل إلى العقيد العمرى من صنعاء مصفحة أخرى حيث لم يبق معنا فى صنعاء فى ذلك الوقت سوى خمس مصفحات كلفتها بألا تكف عن الدوران حول صنعاء كى تشعر أهلها بالإطمئنان أمام الدعايات والإشاعات المغرضة .

ثم وصلتنى برقية من العقيد حسن العمرى يؤجل فيها موعد زحفه إلى رأس العرقوب لعدم إكتمال إحتياجاته الضرورية ويقول فيها أنه قادم إلى صنعاء للتفاهم معى . فأرسلت إليه ردا قلت فيه (التفاهم فى رأس العرقوب ولا لقاء بيننا فى صنعاء قبل ذلك) .

عندما استلم العقيد حسن العمرى ذلك الرد جهز قواته وبدأ زحفه الساحق حتى وصل رأس العرقوب دون خسائر تذكر فى قواته وكان يرافقه عضو مجلس قيادة الثورة القاضى عبد السلام صبره وزير شئون القبائل الذى قام بدور كبير فى تجنيد قبائل منطقة جحانه فى صف الثورة .

عاد العقيد حسن العمرى إلى مقر قيادته فى جحانه بعد أن أتم مهمته بنجاح تام وسلم إلى اللواء أنور القاضى بقية إحتياجاته الأخرى التى كان قد طلبها منى فى وقت سابق حتى يعزز بها قواته المتقدمة فى رأس الوتده .

فى يوم الإثنين ٢٦ نوفمبر ١٩٦٢ بلغت ذروة الحملة الإعلانية التى بدأتها إسرائيل ضد حكومة الثورة اليمنية وضد الجمهورية العربية المتحدة وكررت السيدة جولدا مائير وزير خارجية إسرائيل ادعاءها بأن المساعدة المصرية للثورة اليمنية قد خلقت موقفا يهدد أمن إسرائيل وسلامة أراضيها وإنها لذلك لا تستطيع أن تقف كثيرا موقف اللامبالاة مما يجرى حولها .

كان الواضح من هذه الحملة الإسرائيلية أنها تستهدف إزعاج القيادة السياسية فى مصر بالقدر الذى يضطرها إلى تخفيف مساعدتها العسكرية للثورة اليمنية حتى يتمكن المتمردون اليمنيون ومن معهم من المرتزقة من كسب مواقع جديدة لحساب البدر قبل إنعقاد مؤتمر القمة الذى دعت إليه الولايات المتحدة الأمريكية .

وفى يوم الأربعاء ٢٨ نوفمبر ١٩٦٢ نشرت صحيفة الأهرام الناطقة بإسم الحكومة المصرية تلخيصا لموقف مصر وهى تساعد الثورة اليمنية التى لم تبدأ العداء مع الحكومة السعودية وقالت الصحيفة أن حكومة الثورة اليمنية قد (مدت يد الود لكن السعودية - على حد تعبير الدكتور عبد الرحمن البيضانى فى حديثه مع القائم بالأعمال الأمريكى فى تعز - حاولت قطع اليد الممدودة للسلام عليها) وأضافت الصحيفة قائلة (إن هدف حكومة الثورة اليمنية ما زال كما هو ، وهو حماية نفسها من أى تهديد خارجى ، ولو نجحت أمريكا بنفوذها فى السعودية لأمكن إقرار السلام فى اليمن) .

تطور الموقف الحربى تطورا خطيرا فى منطقة رأس الوتده ورأس العرقوب حيث جاءنى اللواء أنور القاضى قائد القوات المصرية وأبلغنى أنه قرر تعديل مواقع قواته فى رأس الوتده بعد أن حوصرت مجموعة صاعقة بقيادة الرائد المصرى عبد المنعم سند فوق قمة جبل رأس الوتده ، وأبلغنى أن خطة تعديل هذه المواقع تقتضى سحب القوات المصرية المدرعة وجميع القوات اليمنية من رأس الوتده وإرجاعها إلى جبل رأس العرقوب ، وقال مبررا لهذا التعديل أن رجال قبائل البيضاء والحرس الوطنى الذين كانوا يحاربون فى مقدمة القوات المصرية قد امتنعوا عن القتال مطالبين باستبدال بنادقهم التشيكية التى زودناهم بها بالبنادق القديمة التى تعودوا على استخدامها ، والتى يسمونها « بنادق زكى كرم » نسبة إلى أول من استوردها إلى اليمن فى عهد الإمام يحيى ، وهى بنادق ألمانية ، وأن الرائد عبد المنعم سند يعتبر مفقودا لأنه ابتعد مسافة ثمانية كيلومترات عن القوة الضاربة فى مقدمة الزحف مع مجموعة صاعقة ويمنيين عددهم ستة أفراد حتى وصلوا إلى قمة جبل رأس الوتده حيث حوصرت خيمتهم من جميع جوانبها .

سألت اللواء أنور القاضي ماذا فعلت حراسة الجناحين (الأجانب) التى سبق أن أكد لى أنها تتكون من قبيلتى بنى بهلول وبنى ظبيان أصدقاء الرائد عبد المنعم سند ؟ فقال اللواء القاضي أن هاتين القبيلتين لم تظهرأ على مسرح العمليات على وجه الإطلاق إلا أن شيخ بنى ظبيان الشيخ يحيى الرويشان كان مرافقا للرائد سند عندما صعد إلى قمة الجبل .

أدركت على الفور أن قواتنا قد وقعت فى كمين متقن ، وأننا قد وقعنا فى المحذور الذى كنت أتخاشاه ، والذى لم يتجاوب معى قائد القوات المصرية فى إدراك أبعاده عندما حاولت إقناعه بخطر الدخول إختياريا فى إمتحان مضمون النتيجة عندما نحارب فى وقت غير مناسب ، وفى أرض جبلية وعرة ، مليئة بالكماثن ، معتمدين على ولاء مشكوك فيه ، لمجرد أن الرائد المصرى عبد المنعم سند قد سمح بدخول الغرور إلى قلبه عندما ظن أنه بشخصيته القوية وفدائيته المعروفة قد حظى بولاء قبائل لم يكن يعرف شيئا عنها مثل ما كنا نعرفه تماما ، فركب رأسه ورأس قائده اللواء أنور القاضي ، فوقعت الكارثة التى دفعت بنا إلى الوقوع فى المحذور .

غير أننا بعد أن وقعنا فى المحذور لم يكن أمامى سوى محاولة التقليل من أثاره الدولية أو تجميدها لأطول فترة ممكنة حتى تنتهى من معركتنا السياسية الدولية .

قلت للواء أنور القاضي أننى لا أوافق مطلقا على خطته التى مهما سماها بتعديل فى المواقع فإنها سوف تعتبر فى نظر اليمنيين إنسحابا مصريا يمنيا جمهوريا ، ولأول مرة ، أمام المتمردين والمرتزقة ، الأمر الذى يؤدى حتما إلى رقع روحهم المعنوية فيضاعفون من نشاطهم ضدنا فى كل الجبهات ، ويستعيدون أملهم فى إسقاط الثورة والقضاء على الجمهورية وإلحاق الهزيمة بالجيش المصرى فى اليمن وإجباره على الفرار منها .

حاول إقناعى بالموافقة على خطته لكننى رفضتها بكل إصرار وأصدرت إليه أمرا ببقاء القوات فى مواقعها ، ووقفت خلف مكتبى إعلانا لإنهاء الحديث والمقابلة .

وافقتى قائد القوات المصرية على رأى الذى اعتبرته أمرا من القيادة اليمنية كلفته بتنفيذه . وسافرت فى الحال بطائرة عمودية (هليكوبتر) إلى منطقة جحانة وأخذت معى فى الطائرة اللواء أنور القاضي والعميد عباس فهمى مدير شئون القبائل بالقيادة المصرية والنقيب حسين الدفعى والنقيب محمد قائد سيف عضوى مجلس قيادة الثورة والعميد عبد الواسع نعمان مساعد مدير الأمن .

التقينا فى منطقة جحانة العسكرية بقائدها العقيد حسن العمرى الذى كان قد ضاعف عدد قواته هناك من رجال قبائل تلك المنطقة ، وأصدرت هناك قرارا بتعيين العميد محمد عبد الواسع نعمان مديرا لشئون الإمداد والتموين فى منطقة خولان على أن يتخذ من منطقة جحانة العسكرية مقرا له إلى جوار العقيد حسن العمرى .

ثم توجهت بنفس هذه الطائرة مع كل هؤلاء القادة إلى منطقة رأس الوتده بعد أن أضفت إليهم العقيد حسن العمرى كى يزداد معرفة بطبيعة المعركة التى فرضناها على أنفسنا فى وقت غير ملائم وبغير تخطيط محكم .

وعندما وصلنا إلى منطقة رأس الوتده وجدت المدرعات المصرية وقد أدارت ظهرها إلى منطقة القتال وأخذت وضع الانسحاب منها متجهة إلى منطقة رأس العرقوب ولما استفسرت من اللواء أنور القاضي عن سبب الموقف المناقض لما كلفته بتنفيذه قال إن ذلك قد تم بناء على خطة تعديل المواقع قبل أن أصدر إليه الأمر بالغائها وإنه لن ينسحب من هذه المنطقة تنفيذا لأمرى الذى أصدرته إليه فى صنعاء .

وقفت خطيبا فى رجال الحرس الوطنى وقبائل البيضاء الذى كان الشيخ عبد القوى الحميقانى يتولى قيادتهم فى تلك المعركة ، ووعدتهم بتغيير البنادق التى كانوا يشكون منها ، وقلت لهم أن ذلك يحتاج إلى وقت بينما مجموعة الصاعقة بقيادة الرائد عبد المنعم سند محاصره على مرأى من عيوننا فوق قمة الجبل ، وأن الواجب الوطنى يحتم علينا أن نسرع بضرب هذا الحصار وإنقاذ من بقى على قيد الحياة من هذه المجموعة حتى نحافظ على موقعنا فى رأس الوتده وأننا سوف نسلحهم بالبنادق التى يطلبونها قبل أن نرحل فى إتجاه صرواح ثم مأرب .

وقف أحدهم يصرخ فى وجهى قائلاً أن البنادق التشيكية التى استلموها من قيادة الحرس الوطنى فى صنعاء بنادق فاسدة تتعثر فيها الطلقات فى كثير من الأحيان ، وعندما تنطلق منها ، إذا انطلقت ، فأنها تحدث شرارة وضوء يجعلهم أهدافا مكشوفة سهلة للأعداء ، وبغير سلاح يدافعون به عن أرواحهم وبغير أى أمل فى أى نصر .

قلت لهم أن الوقت يمر ومجموعة الصاعقة فى خطر داهم ووعدتهم بالإستجابة إلى كل طلباتهم بعد إنقاذ من بقى من هذه المجموعة ثم توجهت نحو قمة جبل رأس الوتده سيرا على الأقدام أحمل رشاشا فى وضع قتال ومن خلفى اللواء أنور القاضي والعميد عباس فهمى والعقيد حسن العمرى والنقيب حسين الدفعى والنقيب محمد قائد سيف ورجال الحرس الوطنى وقبائل البيضاء ومن كان معهم من رجال قبائل خولان وعدد من رجال القوات المصرية والمصفحات والدبابات واقترنا بعد ثمانية كيلومترات من جبل رأس الوتده وطهرنا الطريق إلى قمته المحاصرة بقصف مركز من الدبابات .

وبدأنا الصعود إلى قمة جبل رأس الوتده وإذا بالعقيد حسن العمرى يضربنى فى ظهرى ضربة مفاجئة وقوية أخذتنى معه إلى الأرض لحمايتى من طلقات الرصاص التى انهمرت علينا ومرت من فوق رؤوسنا .

كان معنى ذلك أننا اقتربنا من أحد أوكار المتمردين الذى كشف عن موقعه عندما أطلق النار علينا مما ساعد إحدى الدبابات التى كانت عند أسفل الجبل فاستكتت هذا الوكر بقذيفة موقفة بعد أن سقط من حولى سبعة شهداء أغرقت دماؤهم جبهتى عندما كنت منبطحا على الأرض بجوار منقذى العقيد حسن العمرى .

واصلنا زحفنا إلى قمة الجبل وإذا بأحد رسلنا الذى صعد إلى قمته يخبرنا بأنه وصل إلى خيمة الرائد عبد المنعم سند وأصحابه الستة فوجدهم جميعا مقتولين وقد فصلت رؤوسهم عن أجسادهم وألقيت خارج تلك الخيمة وأنه لم يجد من بينهم دليلهم الذى كان معهم وهو الشيخ يحيى الرويشان نفسه .

كان معنى ذلك أن هذا الكمين قد تم بمعرفة الشيخ يحيى الرويشان الذى استغل صداقة
الرائد عبد المنعم سند وثقته فيه .

أثناء عودتنا إلى مخيمات قواتنا فى هضبة رأس الوتده دعانى اللواء أنور القاضى إلى
الإحتماء داخل إحدى الدبابات ، غير أننى كرهت أن أفعل ذلك بينما كان رجالنا من
الحرس الوطنى والقبائل يمشون على أقدامهم فمشيت معهم وتبعنى رفاقى العمرى
والدفعى ومحمد قائد سيف .

لا أدرى لعلى أخطأت فى إختيارى المشى معهم ، لأننى ربما كنت بذلك قد فتحت
شبهة أعدائنا فى أوكارهم فأمطرونا بوابل من رصاصهم ، وكانت معركة حامية لم
نبرحها حتى دفنهم فى أوكارهم بعد أن سقط منا ثلاثة عشر شهيدا آخرون .

عندما وصلنا إلى تلك المخيمات قررت المبيت وسط رجالنا كى أرفع من روحهم
المعنوية فوق تلك الهضبة التى شهدت غدر أهلها .

كان الوقت قد إقترب من غروب الشمس ، وكان ابن الشيخ يحيى الرويشان من بين
الرجال الذين وقع نظرى عليهم فأصدرت الأمر بالقبض عليه ووقفت خطيبا فوق إحدى
الدبابات وأعلنت أن الدلائل تشير إلى خيانة والده الشيخ يحيى الرويشان ، وإننى سأنتظر
فى خيمتى حتى الصباح فإذا لم يسلم نفسه قبل الساعة الثامنة صباحا حتى يثبت للحكومة
اليمنية مايرىء ساحته فإننى سوف أعتبر هروبه دليلا على إدانته وسوف تعقد محكمة
عسكرية علنية وفورية عند حلول ذلك الموعد تتشكل من القادة العسكريين الذين كانوا
معى لمحاكمة ابن الشيخ يحيى الرويشان المقبوض عليه بتهمة الإشتراك مع والده فى
جريمة قتل الشهيد عبد المنعم سند ورفاقه الستة وتعريض أمن وسلامة القوات الجمهورية
للخطر فى زمن الحرب وهى جريمة عقوبتها الإعدام الذى فور صدور الحكم سأصدر
الأمر بتنفيذه على الفور وتعليق رأسه فوق جثة الشهيد عبد المنعم سند .

ودخلت إلى خيمتى وأصدرت أمرا إلى العقيد حسن العمرى بألا يسمح لأحد بدخولها
إلا ومعه أعضاء المحكمة أو الشيخ يحيى الرويشان نفسه .

كان ينام إلى جوارى مع اللواء أنور القاضى العقيد حسن العمرى الذى سألنى :

هل ستنفذ قرارك ؟

قلت : نعم .

سألنى : هل ستعدم ابن الشيخ يحيى الرويشان ؟

قلت : لا .

سألنى : إذن كيف ستنفذ قرارك ؟

قلت : يوجد بين رجالنا متسللون من أعدائنا سوف ييلغون ما سمعوه إلى الشيخ يحيى
الرويشان الذى لابد أن يكون قريبا منا يتابع حركاتنا ، وهو يعلم كغيره أننى أنفذ

ما أقول ، ولذلك سوف يحضر إلينا قبل الساعة الثامنة صباحا حتى ينفذ رأس ابنه ، لا سيما أنه يثق في قدرته على تبرير موقفه الذي لا يقوم أى دليل مؤكد على إدانته بعد موت الشهيد سند ورفاقه وهم كل شهود الإدانة .

أضفت قائلا أنني أعلم مقدما أنه لن يمسه سوء ، كما أعلم أنني لن أقرب من رأس ابنه ، لكنني أردت أن أثبت لأفراد القوات المصرية أننا لا نترك مثل هذا الحادث يمر دون تحقيق ، وأن أرفع روح رجالنا المعنوية ، كما أقذف بالرعب في نفوس أعدائنا ، ونكسب ولاء الشيخ يحيى الرويشان عندما يسلم نفسه لنا في رأس الوتده ثم نطلق سراحه في صنعاء إذا ما أثبت لنا أنه لم يغدر بنا ، وإن كنت أرجح في قرارة نفسى أنه فعلا قد غدر .

قبل الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي دخل إلى خيمتى العقيد حسن العمرى ومعه الشيخ يحيى الرويشان فأصدرت أمرا بإطلاق سراح ابنه وأخذت الشيخ معى إلى صنعاء حيث سلمته للرئيس السلال بعد أن رويت له كل ما حدث . وأكدت على اللواء أنور القاضي ضرورة بقاء تلك القوات فى كل من رأس العرقوب وهضبة رأس الوتده التى لم أتركها إلا بعد أن ارتفعت فيها روح مقاتلينا الذين وعدتهم بتغيير بنادقهم وتعزيزهم بقوات من الحرس الوطنى ورجال القبائل الذين نضمن ولاءهم المطلق للجمهورية ، وأصدرت قرارا بتعيين النقيب حسين الدفعى قائدا لمنطقة رأس الوتده والنقيب محمد قائد سيف نائبا له ، على أن تتوقف قواتنا فى هذه المواقع الحصينة والحاكمة ولا تتحرك منها .

وحفاظا على موقفنا فى المعركة الدولية أصدرت الحكومة اليمنية بلاغا رسميا أذاعته إذاعة صنعاء ونشرته وكالات الأنباء كان نصه :

(عاد إلى صنعاء ليلة أمس الدكتور عبد الرحمن البيضانى نائب رئيس الجمهورية اليمنية ووزير خارجيتها بعد أن قام بجولة فى الخطوط الأمامية زار خلالها المواقع العسكرية فى منطقة رأس الوتده وأشرف على عملية تطهيرها من المتسللين بعد أن تم القضاء عليهم نهائيا . ورافق الدكتور البيضانى فى هذه الجولة النقيب محمد قائد سيف وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية والعقيد حسن العمرى وزير المواصلات والنقيب حسن الدفعى وزير العمل . وقد استقبل الدكتور البيضانى بعد عودته إلى العاصمة وزراء الداخلية والأوقاف والصحة والشئون البلدية والقروية كما قابل أعضاء مكتب العمليات وعددا من الضباط الأحرار وقائد منطقة ارحب وبعض رؤساء القبائل فى كل من خولان والبيضاء والأعروش وصرواح ومراد) (صحيفة المساء المصرية ٢ ديسمبر ١٩٦٢) .

اليمن في طريق الديمقراطية

وزارة الهجرة تدعو اليمنيين في عدن الى عدم التسرع في ترك اعمالهم حتى البدء في الاعمال الانشائية

صنعاء في ١٣ - ١٠ ش. ١٠ - عاد الى صنعاء ليلة امس الدكتور عبد الرحمن البيضاني نائب رئيس الجمهورية العربية اليمنية ووزير خارجيتها بعد ان قام بجولة في الخطوط الامامية زار خلالها المواقع العسكرية في منطقة راس الوفدة واشرف على عملية تطهيرها من المتسللين بعد ان تم القضاء عليهم نهائياً.

ورافق الدكتور البيضاني في هذه الجولة الرئيس محمد قائد سيف وزير الدولة لشؤون رئاسة الجمهورية والمعيد حسن العمري وزير المواصلات والمقدم حسن الضبي وزير شؤون العمل والعمال.

وقد استقبل الدكتور البيضاني بعد عودته الى العاصمة وزراء الداخلية والاقواف والمواصلات والصحة والشؤون البلدية والقروية كما قابل امضاء مكتب العمليات وعددًا من الضباط الاحرار وقائد منطقة ارحب وبعض رؤساء القبائل في كل من محولان والبيضا والاعروش ومرواح ومراد.

وقد اذاعت وزارة الهجرة والمغتربين في اليمن بيانًا دعت فيه أبناء الجمهورية العربية اليمنية في عدن الى عدم التسرع في ترك اعمالهم والعودة الى اليمن حتى تنتهي الحكومة اليمنية من القضاء على مظاهر التخلف السائد. نتج عن العهد البائد في اليمن. وذكر البيان ان الحكومة اليمنية تنوي استدعاء هؤلاء المواطنين عندما يبدأ العمل في المشروعات الانشائية التي تحتاج الى الابدى العاملة الكثيرة لان الحكومة اليمنية لا تعتبر ابناء عدن من المغتربين باعتبار ان عدن جزء لا يتجزأ من اليمن الطبيعي.



على ساحة معركتنا الدولية نشرت صحيفة الأهرام فى أول ديسمبر ١٩٦٢ فى صفحتها الأولى تحت عنوان (الوفد البريطانى يقول إثر عودته لعدن أينما ذهبنا فى اليمن وجدنا حكومة الثورة تسيطر على الموقف) فكتبت الأهرام :

(إن راديو صنعاء أذاع أن الدكتور عبد الرحمن البيضاى اتهم بريطانيا بالتآمر ضد حكومة الثورة ، وقد أعلن نائب رئيس اليمن هذا الإتهام أمام الوفد البريطانى البرلمانى فى خطاب ألقاه فى إجتماع عام عقد فى منطقة عمران شمال غرب اليمن أثناء زيارة الوفد لليمن ، وقد قال فى خطابه إن بريطانيا تزود أعداء الثورة بالأسلحة والأموال و تتآمر ضدها مع الملك سعود والملك حسين وحاكم بيحان الذى تحميه بريطانيا على الحدود الشرقية اليمنية ، وقال الدكتور البيضاى أن بريطانيا نظمت وأثارت موجة من أعمال التمرد لتهديد الثورة فى المناطق النائية على الحدود اليمنية لإيجاد حجة لتأخير إعرافها بحكومة الثورة) .

وفى اليوم التالى صرح المستر بيتس رئيس الوفد البرلمانى البريطانى قائلا :

(إن أول شيء لاحظته فى اليمن أن اليمن فى ثورة ويكفى أنك تستطيع أن تصل إلى اليمن وتغادرها فى أى لحظة دون أن تحصل على إذن من الإمام مكتوب على ورقة صفراء صغيرة) وقال (أنه سيشرح بمجرد وصوله إلى لندن فى تأليف جمعية الصداقة البريطانية اليمنية التى ستكون مهمتها تحسين العلاقات بين البلدين ودعم الروابط بين الشعبين) وقال (إن أعضاء البعثة سوف يذكرون للمسؤولين البريطانيين أن الوضع الآن يقتضى ضرورة البحث فى تقديم المعونة إلى اليمن لأن مسألة الاعتراف بحكومة الثورة اليمنية أمر طبيعى وأن الدول الغربية يجب أن تسارع إلى الاعتراف بالحكومة اليمنية لأنه من الخطأ التشكيك فى سيطرتها على جميع المدن وجميع المرافق) .

نتائج زيارة وفد بريطانيا لليمن

و قد اسهب امس رباره الوفد البرلماني البريطاني للدين وعاد الى عدن بعد ان قضى في اليمن ٣ ايام . وبعد هذه فصره من عودته طار حصه من اعضاء الوفد الى لندن ، بينما بخلق ولم ينسى رئيس الوفد لمسافر الى القاهرة اليوم في طريق عودته الى العاصمة البريطانية .

ويطلب وكالة « رويتر » من عدن بصرحاب لاعضاء الوفد عن نتائج زيارتهم لليمن ، وقد يهقدوا هلالها مناطق واسمه بالهيكوسر الذي وضع بحض صرهم ، كما اهتموا بالمسئولين في حكومه النوره . وهالبت الوكانه ان حون دوجنيل المصو المعالي في الوفد والمحدث بلسانه صرح بقوله « اسما ذهنا وهذا حكومه النوره بسيطر بسيطر بامه على الموقف » .

وسموم الوفد الذي زار اليمن بدعوه من الدكتور عبد الرحمن السبباني نائب رئيس اليمن ووزير العارحه ، بقديم بفرير الى حربي المحافظين والمعال عن نتائج زيارته . وقد صرح اعضاء الوفد بان حكومه بريطانيا بهما الوفوف على رايهم .

لماذا اخرجت بريطانيا اعترافها

واداع رايو صمعا امس ان الدكتور السبباني ايهم بريطانيا « بالآمر » ضد حكومه النوره . وقد اعلن نائب رئيس اليمن هذا الاتهام امام الوفد البرلماني البريطاني في خطاب الفاء في اصماع عام عقد في سبطه عمران سمال عري اليمن اساء رباره الوفد لها . وقد هال في خطابه « ان بريطانيا نزود اعداء النوره بالاسلحه والاوال ، وبأمر ضدها مع سعود وهسين ، وحاكم سحان الذي يحصه بريطانيا على الحدود السرفهه لليمن » .

وهال الدكتور السبباني ان بريطانيا نظمت وانبارت موهه من اعمال البعده الماهضه للنوره في المناطق المائنه على الحدود اليمنية « لاجناد حجه لناصر اعترافها بحكومه النوره »

الأهرام أول ديسمبر ١٩٦٢ (الصفحة الأولى) .

ومضى بيتس قائلاً أن الوفد البريطاني (قد وصل إلى صنعاء حيث التقى في اليوم التالي بالدكتور عبد الرحمن البيضاني وأستطيع أن أحدد النقاط التي دار فيها البحث فيما يلي :

- أولاً : مسألة الاعتراف بالحكومة اليمنية .
- ثانياً : تقديم المعونة الفنية العسكرية والاقتصادية إلى اليمن .
- ثالثاً : إعداد بيان كامل بجميع الاحتياجات العاجلة لليمن (.

ثم قال رئيس الوفد البرلماني البريطاني :

(لقد قدمت بإسم البعثة البريطانية هدية هي تمثال لطائر أبيض من الصيني الإنجليزي إلى الدكتور البيضاني رمزاً للسلام وقد فهمنا منه أنه سيقدم إلى كل عضو من أعضاء البعثة سهماً في البنك اليمني الجديد) وأضاف قائلاً :

(إننا زرنا معسكرات الحرس الوطني ، وهذا الحرس لا تنقصه روح القتال ، لكنه يحتاج إلى أسلحة ، ومن صنعاء أعطانا الدكتور البيضاني طائرة عمودية (هيلوكبتر) وزرنا منطقة عمران والتقينا بألف رجل مقاتل من رجال القبائل ، ومن عمران زرنا مدينة الجرف) (الأهرام ٢ ديسمبر ١٩٦٢) .

وفي يوم الأحد ٢ ديسمبر ١٩٦٢ صرح ناطق بإسم الأمم المتحدة أن هناك معلومات عن مقترحات سرية قدمتها واشنطن لمواجهة الموقف المهدد بالخطر في شبه الجزيرة العربية وأنها تتلخص فيما يلي :

- ١ - سحب القوات الأردنية من السعودية .
- ٢ - سحب القوات السعودية من حدود اليمن .
- ٣ - وقف عمليات التحريض التي تقوم بها الحكومة السعودية لإمام اليمن المخلوع .
- ٤ - إعلان من جانب الحكومة اليمنية أنها لا تحتفظ بنوايا عدوانية تجاه جيرانها .
- ٥ - إعلان من جانب الحكومة المصرية بأنها سوف تسحب قواتها من اليمن على مراحل مع توقيت هذه المراحل بحسب زوال التهديد الخارجى على حدود اليمن .

وفي نيويورك صرح السيد محمود رياض رئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة لدى الأمم المتحدة فقال (إن حكومته لا تجد ما يمنعها من قبول هذه المقترحات على الفور حيث أن هدفها الأصلي هو تدعيم ثورة اليمن وحمايتها من العدوان السعودى الأردنى) .

وفي لندن نشرت صحيفة صنداي تايمز فى يوم الإثنين ٣ ديسمبر ١٩٦٢ مقالا للمستتر رتشارد تافرن عضو الوفد البريطانى الذى زار اليمن قال فيه (إن شعبية حكومة الثورة باليمن لا يرقى إليها الشك وهى تسيطر سيطرة كاملة وحازمة على البلاد) وأضاف قائلا :

(إن بريطانيا لا تستطيع أن تظل محل عداوة لثورات الشرق الأوسط ، وأن الأمل فى عودة الملكية إلى اليمن يعتبر وهما كبيرا وإغراقا فى الخيال ، وأن نظام الحكم الجديد فى اليمن هو أفضل كثيرا من نظام حكم الأئمة السابقين ، وأن كل إنسان فى بريطانيا يؤيد بحماس ما تحاول الحكومة الجديدة فى اليمن أن تقوم به) .

بينما كنت سعيدا بمتابعة النجاح المتواصل فى معركتنا السياسية الدولية إذا باللواء أنور القاضى يبلغنى بأنه أضطر إلى تنفيذ ما كان يسميه بتعديل المواقع وما كنت أعتبره ، كما أعتبره اليمنيون أنه إنسحاب مهين للقوات اليمنية المصرية المشتركة أمام تجمعات المرتزقة والمتمردين . وأبلغنى أنه أثناء عودة المدرعات المصرية من رأس الوتدة متجهة إلى رأس العرقوب التى ستستقر فيها هرع رجال القبائل والحرس الوطنى إلى تسلق هذه المدرعات وتركوا معظم أسلحتهم وذخيرتهم فى مخيماتهم فى رأس الوتده مع كل المواد الغذائية والأغطية (البطاطين) ، وأن الذى لم يجد له مكانا على ظهر المدرعات كان يجرى أمامها ليكون فى حمايتها .

وقعت هذه الأخبار على رأسى وقع الصاعقة لأن قائد القوات المصرية قد أخذ قرار الإنسحاب رغم أننا ولم يحطنا علما بإصراره على ذلك قبل تنفيذه حتى ننظم عملية إنسحاب القوات اليمنية مع القوات المصرية ، ثم بعد ذلك نراجع حساباتنا السياسية والعسكرية مع الرئيس عبد الناصر لترشيد المساعدات لليمن .

وكان معنى ذلك أن قواتنا التي تركت معظم أسلحتها وهرولت إلى رأس العرقوب على إثر انسحاب القوات المدرعة المصرية إليها سوف تصل إلينا فى صنعاء تحملنا مسئولية تعريض حياتها للخطر وإذلال كرامتها بالمهانة ، الأمر الذى يؤدى حتما إلى تصعيد درجة الذعر فى العاصمة التى كان بعض أهلها قد غادروها فعلا إلتماسا لشيء من الطمأنينة .

لم أجد مجالا لمحااسبة قائد القوات المصرية حيث كان الأهم من ذلك هو وقف انهيار تلك الجبهة الأمامية ووقف مسيرة قواتنا المهزومة إلى صنعاء ، فأخذت اللواء أنور القاضى فى طائرتى إلى منطقة رأس العرقوب التى وصلت إليها قبل ساعة واحدة من وصول هذه القوات المنسحبة ، فتمكنت من أن أكون فى إستقبالها وأقيمت كلمة قلت فيها أننا كنا قد اتفقنا على عودتها مع جميع القوات المصرية إلى منطقة رأس العرقوب حتى نخلي منطقة رأس الوتده من رجالنا كي تقوم طائراتنا بتمشيطها وسحق جميع الأوكار فيها قبل أن تصدر الأمر بالزحف إليها فى طريقنا إلى صرواح ومأرب لتأديب المرتزقة الذين ينطلقون من قاعدة العدوان البريطانى فى بيجان .

ثم بررت ، فى كلمتى ، سبب عدم وصول الإخطار إلى قواتنا بالعودة مع القوات المدرعة المصرية بأنه يرجع إلى عطل مفاجئ فى جهاز اللاسلكى الذى كان يحمله ضابط الإشارة الملحق بهذه القوات ، وختمت كلمتى بتوجيه الشكر إلى جميع أفراد القوات اليمنية والمصرية لأنهم قاموا بأداء الواجب الوطنى والقومى سواء عندما أمرناهم بالتوجه إلى رأس الوتده أو عندما أمرناهم بالعودة إلى رأس العرقوب حتى لا يصيب أحدهم جرح طائراتنا التى أمرناها بدك الطريق إلى مأرب .

وأصدرت أمرا بتقسيم كميات المياه والطعام التى كانت مع القوات المصرية بالتساوى بينها وبين القوات اليمنية التى لم يكن معها فى ذلك الوقت شربة ماء ولا كسرة خبز بعد أن تركت مهماتها ومؤنها كلها فى رأس الوتده .

فى نفس الوقت قررت أن أستغل الذعر الذى تعمدت إحداثه فى نفوس المندسين من المرتزقة المتمردين فأرسلت مجموعة سيارات إلى هضبة رأس الوتده لتأتينى بالأسلحة والمهمات التى تركتها قواتنا هناك وهى تجرى مهرولة مع المدرعات المصرية . وقد تم ذلك فعلا واستعدنا هذه الأسلحة والمهمات قبل أن يتكالب عليها المتمردون .

عدت إلى صنعاء وعقدت إجتماعا مع الرئيس السلال لأشرح له تفاصيل ما حدث وانضم إلينا النقيب حسين الدفعى والنقيب محمد قائد سيف وقائد الحرس الوطنى النقيب هادى عيسى ووزير الداخلية النقيب عبد اللطيف ضيف الله الذى كان لا يطيق القوات

المصرية فى اليمن لأسباب حزبية ، فأثار موجه من الغضب على قرار الإنسحاب مما أدى إلى إشعال الاجتماع بثورة عارمة على القيادة العسكرية المصرية ، واقتراح محاكمة المسئول عن اتخاذ ذلك القرار لإدانته القائد المصرى الذى اتخذ قراره رغم التنبيه عليه بعدم إتخاذة .

قرر المجتمعون ضرورة محاكمة المسئول عن الإنسحاب ، فقلت لهم أننى أؤيد القرار بمحاكمته ولكن يلزم إبلاغ الرئيس جمال عبد الناصر الذى يملك وحده سلطة الموافقة على قرار المحاكمة واتخاذ ما يلزم نحو تنفيذه .

طلب منى الرئيس السلال أن أقوم بصياغة برقية إلى الرئيس جمال تشرح له الموقف وتطالب بمحاكمة المسئول عن قرار الإنسحاب ، فقامت بكتابة البرقية التى وقع عليها الرئيس السلال وسلمها بنفسه إلى النقيب محمد عبد السلام محبوب رئيس قسم الشفرة الملحق لدينا برئاسة الجمهورية .



المشير عبد الحكيم عامر يصل إلى اليمن



وصل إلينا المشير عبد الحكيم عامر والسيد أنور السادات فى اليوم التالى (الأحد ٢ ديسمبر ١٩٦٢) ولم يكن لدينا علم مسبق بوصولهما وتوجهها رأسا إلى الرئيس السلال وأمضيا معه نحو ساعه تم جاء إلى مكتبى وهما فى قمة الغضب .

سألنى المشير عبد الحكيم عامر قائلا (هل تريد حقا محاكمة المسئول عن قرار الإنسحاب ؟)

قلت : (نعم . ولست وحدى الذى يريد ذلك) .

قال : (إذن حاكم جمال عبد الناصر فهو الذى قرر الإنسحاب) .

قلت : (ليس الرئيس عبد الناصر هو الذى قرر الإنسحاب ، وإنما الذى أرسل إليه تقديرا خاطئا للموقف هو المسئول عن ذلك القرار ، وهو الذى يجب أن يحاكم ، لا سيما أنه أرسل ذلك إلى الرئيس عبد الناصر دون أن يطلعنى عليه وبالرغم من تحذيرى المسبق له من نتائج تلك المعركة قبل الإقدام عليها ، لكنه صمم على دخولها وتحمل نتائجها ثم انفرد بإرسال تقدير خاطيء للموقف إلى الرئيس جمال عبد الناصر) .

قال (هل حذرته من تلك المعركة قبل أن يدخلها ؟)

قلت (نعم ..) ثم شرحت للمشير عامر وأنور السادات ما كتبت فى مذكراتى عن حوارى مع اللواء أنور القاضى يوم الخميس ٢٢ نوفمبر ١٩٦٢ وسألت المشير عامر لماذا بادرنى بالسؤال قائلا (هل تريد حقا محاكمة المسئول عن قرار الإنسحاب) ولماذا حصر إرادة هذه المحاكمة فى شخص البيضانى وحده ؟ .

قال المشير إنه عندما التقى مع أنور السادات بالرئيس السلال وعاتباه على تلك البرقية اعتذر عنها قائلا أن الدكتور البيضانى هو الذى أصر على إرسالها إلى الرئيس عبد الناصر فأضطر ، أى السلال ، إلى التوقيع عليها أمام إصرار نائبه المسئول عن المعركة .

استطرد المشير عامر قائلا أنه استدعى النقيب محمد عبد السلام محبوب وأطلع على أصل تلك البرقية ووجد أنها فعلا بخط البيضانى وأنها تحمل فقط توقيع السلال فصدق روايته .

عجبت من أمر هذه الرواية وشرحت للمشير عامر وأنور السادات ما دار في الاجتماع الذي تقرر على إثره إرسال تلك البرقية .

تألم المشير عامر عندما شرحت له ذلك وأبدى سخطه على اللواء أنور القاضي كما أبدى استياءه من أسلوب السلالة في التخلص من المسؤولية وتزييف الحقائق ثم قال إن ما مضى قد إنقضى ، والأهم من ذلك أنه يجب علينا أن نسعى إلى إنشاء جيش قبلي لحماية صنعاء من تقلب أمزجة القبائل المحيطة بها واقترح أن أسافر إلى منطقة البيضاء لنجمع أكبر عدد من قبائل البيضاء وما حولها بعد أن ثبت ولاؤهم للجمهورية وتأكدت صلابتهم في القتال .

وافقت على اقتراح المشير عامر ، وحددت اليوم التالي موعدا للسفر وأبرقت إلى محافظ البيضاء الشيخ صالح الرويشان وقائدها حسين الرصاصي بموعد وصولي بالطائرة إلى مطار ذي ناعم الذي يبعد عن المدينة بنحو أربعين كيلو مترا وهو عبارة عن أرض ممهدة وليس مطارا .

استدعيت وزير الطيران اليمني وعضو مجلس قيادة الثورة عبد الرحيم عبد الله وكلفته بمرافقتي إلى البيضاء لأنه يعرف الأرض الممهدة في ذي ناعم منذ أن كان طيارا مع الإمام ، فقال إننا يجب علينا أن نبدأ رحلتنا مع أول ضوء في النهار حتى نصل إلى البيضاء قبل انتشار الضباب الذي يغطيها بعد شروق الشمس بثلاث ساعات .

اعتبرت أن صحبتي للزميل الصديق عبد الرحيم عبد الله في هذه المهمة الرسمية التاريخية سوف تحسن صورته أمام السلالة الذي كان يلح على عزله بسبب نشاطه في تعز الذي وصفه السلالة بأنه نشاط طائفي عندما كان يردد في الاجتماعات العامة شكوى أفراد الحرس الوطني من أبناء الطائفة الشافعية ضد قائدهم الزيدى هادي عيسى ، الذي كان يقال عنه في ذلك الوقت أنه يزج بكتائب الحرس الوطني في كمانن تفكك بهم وتقضى عليهم عن بكرة أبيهم لأسباب طائفية لا علاقة لها بالجمهورية ولا بالإمامة .

وكانت الشكاوى قد كثرت ضد النقيب هادي عيسى دون أن يتوفر لدينا دليل قاطع على إدانته غير تكرار إبادة عدة كتائب من الحرس الوطني في مناطق ليس عليها للمتمردين من سلطان .

وكننت كلما كلفت وزير الطيران عبد الرحيم عبد الله بالبقاء معنا في صنعاء لممارسة عمله في المطار الحربي لا يلبث أن يعود إلى بيته في تعز بحجة أن قائد الطيران المصري المقدم على منصور لا يطلعه على سير المعارك الجوية .

وكان كلما أعتذر بهذا العذر كنت أصبح معي إلى المطار الحربي وأصدر تعليماتي أمامه إلى المقدم على منصور ألزمه فيها بأن تكون جميع أوامر ضرب الطيران بتوقيع وزير الطيران اليمني ، لكنه رغم ذلك كان يفضل البقاء في تعز مما أثار حفيظة السلالة وأثارني في نفس الوقت لأنه حملني عبء الدفاع عنه أمام السلالة بغير عمل إيجابي يبرر ذلك الدفاع ، أو يزيل الغموض في موقفه الذي كان يفسر أحيانا بأنه خوف من التواجد في صنعاء التي لا ينقطع فيها إطلاق الرصاص .

طلب عضو مجلس قيادة الثورة الزميل عبد القوى حاميم أن يصاحبني في رحلتي إلى البيضاء التي وصفها بأنها خطيرة بعد أن أوضح له الزميل عبد الرحيم عبد الله بأن أى خطأ فى اتجاه الطائرة فوق منطقة البيضاء سوف يعرضها للمدافع البريطانية فى منطقة مكابرس المجاورة لها ، شكرت للزميل عبد القوى حاميم شعوره الصادق ووافقت على طلبه الذى انضم إليه الأستاذ محمد نصر مندوب صوت العرب والشيخ سالم حسين الرماح شيخ مشايخ البيضاء وأفراد حرسى الخاص .

ليلة سفرى إلى البيضاء ، ذكرنى الرئيس السلال بأن أحضر معى محافظها الشيخ صالح الرويشان الذى كان ولاؤه للجمهورية مشكوكا فيه والذى حال القدر دون قيام الشهيد الأستاذ على محمد الأحمدى بإحضاره إلى صنعاء على النحو السابق شرحه فى هذا الكتاب .

فى طريقى إلى مطار صنعاء مع شروق شمس يوم الإثنين ٣ ديسمبر ١٩٦٢ توجهت إلى مقر القيادة المصرية حيث التقيت بالمشير عبد الحكيم عامر لأطلب منه أن يكون جيش قبائل البيضاء الذى سأقوم بتجميع أفرادها أثناء تلك الرحلة ملحقا بصفة مباشرة بالقيادة المصرية ، كى تنفادى الإشاعات التى تدور حول قائد الحرس الوطنى ، والتى أثرت على تدفق المتطوعين إلى الانضمام إليه ، كما تبطلت عزيمة قبائل اليمن الأسفل وقبائل المشرق بعد أن كانت تندفع بكل ثقلها إلى المشاركة فى المعركة تأييدا للثورة .

استجاب المشير عامر لطلبنى وزاد عليه أن القيادة المصرية ستتكفل بجميع إحتياجات جيوش القبائل التى تضع نفسها فعلا فى خدمة المعركة ، ونصحنى بالإتفاق مع الرئيس السلال على التحقيق سرا فيما ينسب إلى قائد الحرس الوطنى .

وصلت إلى مطار صنعاء متأخرا عن موعدى بمقدار الساعة التى قضيتها مع المشير عامر فأبلغنى وزير الطيران عبد الرحيم عبد الله بأنه ينصح بتأجيل السفر إلى اليوم التالى . أعتذرت عن عدم قبول هذه النصيحة حيث كنا فى سباق رهيب مع الزمن ، والموقف العسكرى بدأ ينهار فى عدة جبهات نتيجة الدعايات المعادية التى جسمت أخبار إنسحاب القوات اليمنية المصرية المشتركة والمدرعة أمام تجمعات المرتزقة والمتمردين فى رأس الوتده ، والتى أحييت الأمل لدى أعداء الجمهورية فى إمكانية إستعادة سلطان الإمامة .

طارت الطائرة ، وبعد ربع ساعة من إقلاعها جاءنى وزير الطيران يكرر نصيحته بعد استئناف تلك الرحلة تفاديا للمجازفة بحياة جميع ركاب الطائرة فاعتذرت له للمرة الثانية لنفس الأسباب التى شرحتها له فى المرة الأولى .

وبعد خمس دقائق جاءنى الطيار المصرى أحمد نوح (وزير الطيران المصرى فيما بعد) ، الذى سبق أن طار بى من القاهرة إلى صنعاء فى رحلة الموت المذكورة فى هذا الكتاب ، وقال لى أن وزير الطيران أمره بالعودة إلى صنعاء ، فطلبت منه مواصلة الطيران إلى البيضاء .

وبينما كنت مشغولاً في الحديث مع الشيخ سالم حسين الرماح بشأن إنشاء جيش قبلى من رجال البيضاء ومراد وعبيدة وبقيّة المناطق الشرقية إذا بالطائرة تهبط فى المطار الذى حسبته مطار ذى ناعم فى البيضاء فإذا به مطار الروضة فى صنعاء .

كان ذلك بناء على أوامر مشددة أصدرها وزير الطيران عبد الرحيم عبد الله إلى قائد الطائرة الذى فضل فى قرارة نفسه الإستجابة إليها . فتحت باب الطائرة وقلت لجميع من كانوا معى أنهم أحرار فى إختيار قرارهم لأننى عازم على مواصلة السفر إلى البيضاء . ولم ينزل من الطائرة سوى وزير الطيران عبد الرحيم عبد الله وأصر الباقون على أن يظلوا معى يشاركون مصيرى .

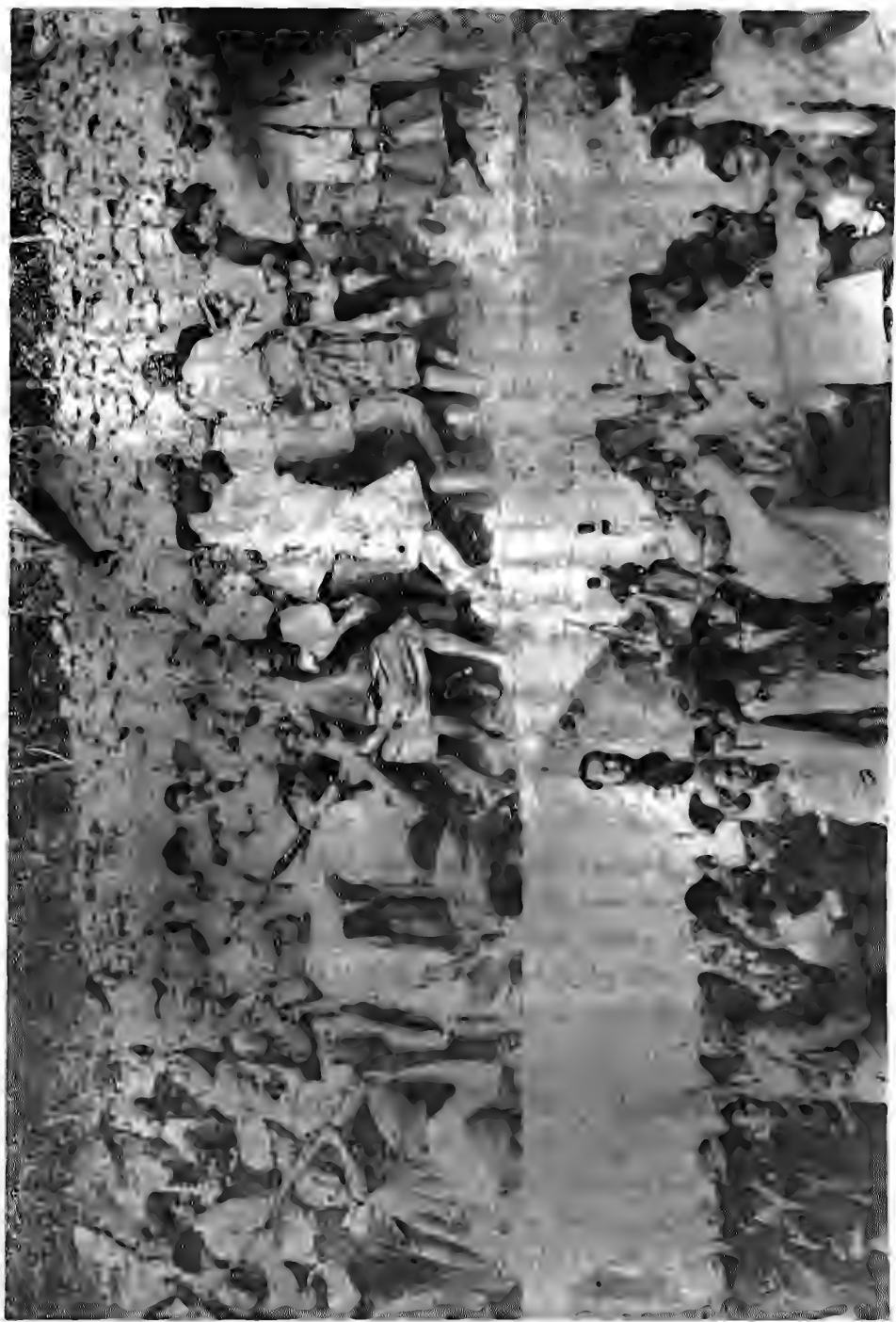
توجهت الطائرة نحو البيضاء بعد أن هرب منا دليلاً ومرشدنا واحتفى فى صنعاء ، وعندما وصلنا فوق مدينة البيضاء لم نعرثر على الأرض الممهدة فأسألنا موظف اللاسلكى بالمدينة عن مكان المطار فأجاب بأنه يبعد نحو خمسين كيلومتراً فى شمال غرب الموقع الذى كنا نتحدث إليه منه .

طرنا إلى المكان الذى حدده لنا ولم نجد الأرض الممهدة فعدنا نأسله مرة أخرى فأرسل إلينا إشارة يصرخ فيها قائلاً أننا كنا فى ذلك الوقت فوق مطار مكابرس البريطانى ، وحدد لنا مرة أخرى مكان الأرض الممهدة فاتجهنا إلى هناك ولم نجدها .

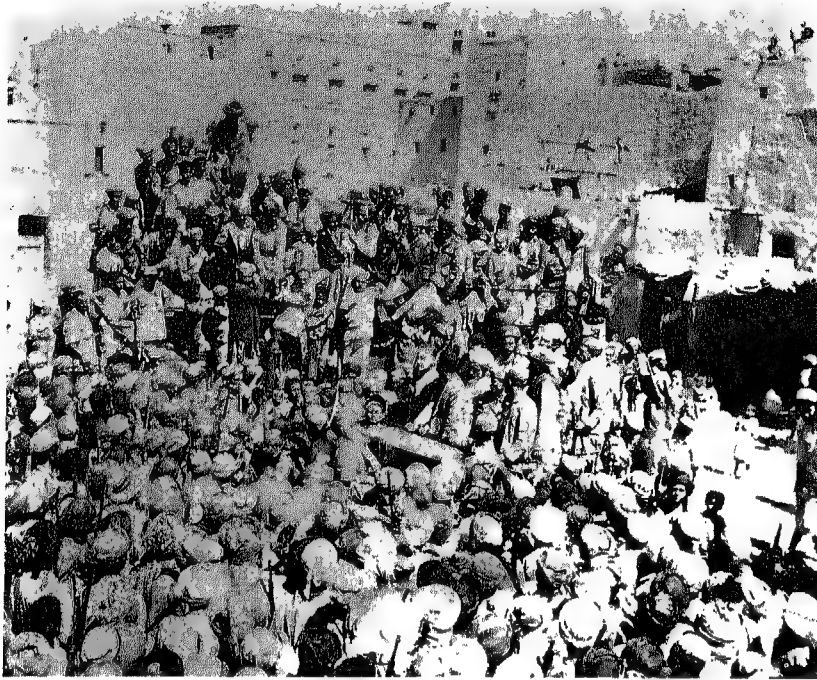
طلبت من قائد الطائرة أن يطير على مستوى منخفض لعلنا نرى ذلك المكان الممهد ، وعندما انخفضنا بالطائرة لاحظنا تجمعات أشبه بعش النمل فطلبت منه الإنخفاض أكثر وأكثر حتى رأينا تجمعات المستقبلين فهبطت الطائرة وسط حشود الألوف من أبناء تلك المنطقة .

كان هذا الاستقبال أشبه باستقبال منطقة تعز . وعندما وصلت إلى ساحة المؤتمر الشعبى الذى أعده المسئولون فى البيضاء أبلغنى الأستاذ محمد نصر مندوب صوت العرب بأن الملك سعود قد غادر أرض الرياض إلى سويسرا للعلاج وأن راديو مكة قد أذاع فى بيان الحكومة السعودية أن الملك قد سجل كلمة الوداع للشعب السعودى ، كما أبلغنى بأن وكالات الأنباء قد أكدت أن شقيقه الأمير فيصل بن عبد العزيز قد تولى كل سلطات المملكة .

أتلجت هذه الأخبار صدرى لأنها رجحت عندى إقترابنا من إعادة العلاقات الحسنة مع المملكة العربية السعودية ، والتى كان من الصعب إعادتها على يد الملك سعود الذى تورط فى الإعتداء علينا فأجبرنا على الرد عليه ، وكنت أعرف شخصية الأمير فيصل المتطلعة إلى الإصلاح والتى كثيراً ما تحدثت عنها مع المستر روبرت ستوكى القائم بالأعمال الأمريكى فى اليمن ونحن نستعرض فرص السلام والإستقرار فى شبه الجزيرة العربية .



في الطريق من مطار دى ناعم إلى مدينة البيضاء



المؤلف يلقي كلمة في أحد المؤتمرات الشعبية في البيضاء ، وعلى يساره الشيخ عبد القوى حاميم عضو مجلس قيادة الثورة .

وفي المؤتمر الشعبي في مدينة البيضاء تحدثت عن السلام الذي ننشده مع جميع جيراننا والاستقرار الذي نسعى إلى تحقيقه حين نعمل من أجل تحقيق أهداف الثورة التي نريد الإرتقاء بمستوى معيشة الشعب اليمني في إطار الشريعة الإسلامية التي تكفل تحقيق الديمقراطية والحرية الشخصية وتكافؤ الفرص والعدالة والمساواة بين جميع أبناء اليمن . ثم تمنيت لو كان ممثلو دول العالم معي في هذا المؤتمر الشعبي ليشهدوا كيف احتشد أكثر من مائة ألف رجل مسلح من رجال قبائل المنطقة الشرقية يهتفون للثورة ويطالبون بالإشتراك في الدفاع عن حكومتها الجمهورية .

في المساء سلمني الشيخ سالم حسين الرماح رسالة من الأمير جعبل بن حسين شقيق السلطان صالح بن حسين العوذلي سلطان إمارة العوذلي الواقعة تحت الاحتلال البريطاني والملاصقة لمحافظة البيضاء ، وكان جعبل يقوم بإدارة هذه السلطنة نيابة عن شقيقه . كان مضمون الرسالة أنه يريد أن يصل لمقابلي لإعلان ضم سلطنة العوذلي إلى الجمهورية العربية اليمنية ، فأرسلت إليه أنهته على شجاعته وأشد بمشاعره الوطنية ، غير أنني نصحته بعدم الوصول لمقابلي وعدم إعلان ما يسعى إلى إعلانه ، لأننا ونحن نسد الثغرات على أعداء الجمهورية لتثبيت قواعدها في أعماق أرض اليمن لا يحسن بنا أن نفتتح معركة حامية مع بريطانيا وبعض أمراء وسلاطين جنوب اليمن المحتل ، وطلبت منه أن يغلق حدود سلطنته في وجه أي تسلل للمتمردين والمترقة^١ ، وفي وجه تهريب



جانب من المؤتمر الشعبي في البيضاء

السلاح إليهم داخل الأراضي اليمنية الجمهورية ، وقلت له أن الوقت المناسب سوف يأتي وسوف يعود كل جنوب اليمن المحتل إلى أمه اليمن بحدودها الطبيعية بغير حاجة إلى الدخول مع بريطانيا في معارك حربية .

أمسيت تلك الليلة في البيضاء وقبل أن أوى إلى فراشي وصلتني برقية من الرئيس السلال يعبر فيها عن لومه الشديد وعتاب المشير عامر وأنور السادات لأنني لم أرسل إليهم برقية أشعرهم فيها بوصولي إلى البيضاء بعد أن برر لهم وزير الطيران عبد الرحيم عبد الله تركه لطائرتي مؤكدا لهم أنني ومن ظلمتهم معي سوف نهلك لا محالة .

لاشك في أنني قد أخطأت حين وصلت إلى البيضاء ولم أشعر الرئيس السلال بوصولي سالما ، وكان عذري أنني تهت بين أمواج الجماهير التي حملتني من مطار ذي ناعم حتى مدينة البيضاء وأخذت ألقى الكلمات تلو الكلمات في وفود القبائل التي لم ينقطع وصولها حتى أويت إلى فراشي فاستلمت برقية السلال الذي فشل طول اليوم في الاتصال بي عن طريق جهاز اللاسلكي في البيضاء حيث كان الموظف الذي يقوم بإدارته مشغولا بمتابعة المؤتمرات الشعبية وملازمتي أثناء إلقاء كلماتي في وفود القبائل ، فلم يعرف السلال شيئا عن وصولي إلى البيضاء إلا من إذاعة صنعاء عندما بدأت تذيع أول رسالة للأستاذ محمد نصر مندوب صوت العرب الذي وصف فيها مشاهد إستقبال في المطار وكلماتي في المؤتمرات الشعبية وأحاديثي مع وفود القبائل .

وسط عشرات الألوف من رجال القبائل المسلحين من أبناء البيضاء وسائر أنحاء المنطقة الشرقية أبلغت محافظ البيضاء الشيخ صالح الرويشان رغبة الرئيس السلال في وصوله معي إلى صنعاء لاستشارته في بعض الأمور وأكدت له ثقتي الشخصية في ولائه للثورة مما يجعلني أفضل أن يعمل معنا في صنعاء من أجل تطهير منطقة خولان المتمردة التي ينتمي إليها .

عدت إلى صنعاء ووجدت الرئيس السلال ثائرا على تصرف وزير الطيران عبد الرحيم عبد الله الذي وصفه بعدم تقدير المسؤولية ، وانفكاره إلى الحد الأدنى من الشجاعة التي يتطلبها منصبه كوزير للطيران ، ولم يكن في وسعي تبرير سلوكه الذي انتقده كل من عرف أنه هرب من رحلة البيضاء وتسبب في إحداث المزيد من تأخير الطائرة عندما أمر قائدها بالعودة إلى صنعاء من منتصف الطريق متجاهلا الأمر الذي أصدرته إليه بمواصلة الطيران إلى البيضاء .

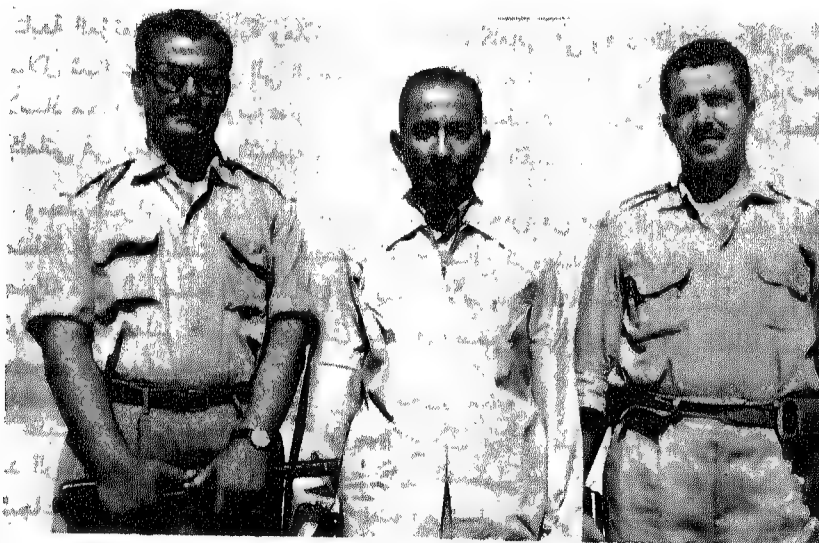
وافقت على إلغاء منصب وزير الطيران وتعيين الطيار عبد الرحيم عبد الله مديرا للطيران المدني ، لكنني تمسكت باحتفاظه بمنصبه عضوا في مجلس قيادة الثورة احتراما للدور الذي أداه قبل قيامها .

جاءني الزميل محمد قائد سيف وأبلغني بأن الزميل عبد الرحيم عبد الله قد أقدم على الانتحار عندما علم بقرار إلغاء منصبه كوزير للطيران وطلب مني محاولة تعيينه في منصب وزاري آخر ، فقلت أنه ليس من طبيعة عبد الرحيم عبد الله أن ينتحر لأنه أعصابه الضعيفة لا تساعد على ذلك ، ومع أنني أسلم بأنه في غاية الضيق إلا أنني

(كصديق) لا أستطيع أن أصنع من أجله شيئاً أكثر من الاحتفاظ له بمنصبه عضواً في مجلس قيادة الثورة ، أما إبعاده عن مجلس الوزراء فإنه ليس آخر المطاف على الأرض ففي وسعه أن يستعيد حسن الظن به عندما يقوم بأعمال إيجابية ثورية تؤهله إلى الصعود مرة أخرى على سطح تاريخ اليمن .

غير أن الزميل عبد الرحيم عبد الله رفض البقاء في اليمن بعد اشتهاار رغبته في الانتحار وفضل أن يلحق بعديله (نسييه) عبد الله جزيلان الذي اختار الإقامة في فندق هيلتون في القاهرة على حساب الحكومة اليمنية رغم تعيينه وزيراً للدفاع .

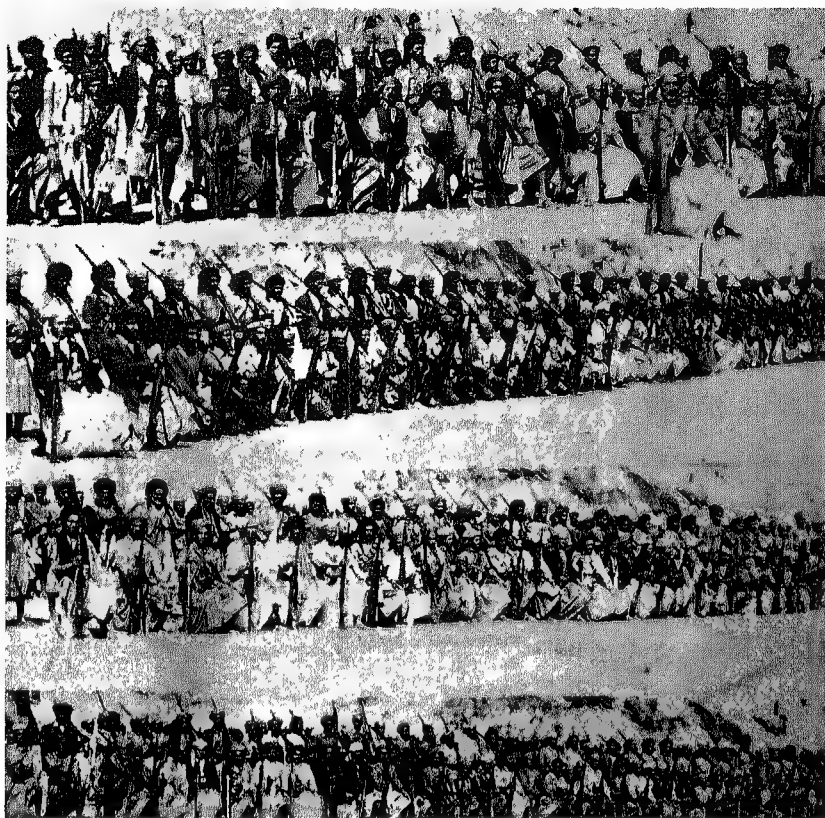
اقترح الزميل محمد قائد سيف تعيين عبد الرحيم عبد الله سفيراً في الخارج ففوضته في أن يتركه يختار البلد الذي يرغب العمل فيها فاختار إيطاليا وأصدرت قراراً بتعيينه سفيراً لدى حكومتها .



من اليمين النقيب محمد قائد سيف فالشيخ عبد القوى إبراهيم حاميم ثم الطيار عبد الرحيم عبد الله من أعضاء مجلس قيادة الثورة



من اليمين الشيخ صالح علوي القريني فالنقيب السيد محمد حسين الشامي رئيس حرس
المواطف ثم المواطف فالشيخ عبد القوي حاكمي عضو مجلس قيادة الثورة . وقف أمام المواطف
الأطفال الذين قدموا إليه باقة زهور باسم أهالي منطقة البيضاء



جانب من الحملة العسكرية التي جهزها المؤلف أثناء زيارته لمدينة البيضاء لإرسالها للدفاع عن صنعاء والحدود الشمالية .

انذار البيضاني :

وصل مساء أمس الى مطار مدينة البيضاء الدكتور عبد الرحمن البيضاني نائب رئيس الجمهورية العربية اليمنية ووزير خارجيتها . وكان في استقباله جمهور فليس من المواطنين كما خرج ابتداء القبائل المجاورة في مظاهرة شعبية رائعة تهتف للشجوة اليمنية والجمهورية العربية اليمنية والرئيس السلال والدكتور البيضاني . واخذ المتظاهرون يهتفون في حماس حار للقومية العربية والوحدة العربية والجمهورية العربية اليمنية ورئيسها البطل الزعيم عبد الله السلال ورفاقه الأحرار .

وقال الدكتور البيضاني في خطابه . . . لقد صبرنا كثيرا على بريطانيا التي تسعى الى خداعنا اول الثورة بالسلام المصول وكنا نود أن تقوم الصداقة من اجل السلام ونعاون الشعوب . ولكن بريطانيا بدلا من أن ترد على هذه اليد الممدودة بالصداقة أخذت تتأمر علينا وتوزع السلاح على حاكم بيضان وعلى المتسللين لتشر الفتنه . واضاف الدكتور البيضاني قائلا : لنعلم بريطانيا أننا قد صممنا على الحرية ولن نتهاون أبدا في حقوقنا وسندافع عن بلادنا بكل مالدينا من جهد .

ووصلت المظاهرة الى مبنى دار الحكومة بالبيضاء حيث عقد المتظاهرون مؤتمرا شعبيا ضخما ثم وقف الدكتور البيضاني وألقى خطابا هاما



أذاع راديو لندن فى يوم الثلاثاء ٤ ديسمبر ١٩٦٢ تصريحاً للمستتر بيتس رئيس الوفد البريطانى البرلمانى الذى زار اليمن قال فيه (أنه لا توجد فى اليمن مدينة أو قرية أو أى مكان له أهمية عسكرية أو سياسية لا تسيطر عليه حكومة الثورة ، وإنه لم يشاهد أثناء زيارته أى دليل يؤكد الإدعاءات التى يذيعها راديو عمان و راديو الرياض عن القوات المزعومة للإمام البدر المخلوع ، وإنه يعكف على إنهاء تقريره إلى الحكومة البريطانية عن زيارة الوفد لليمن) .

فى يوم الأربعاء ٥ ديسمبر ١٩٦٢ قرر الرئيس عبد الناصر الإستجابة إلى نداء الرئيس الجزائرى أحمد بن بيللا وقدّم للجزائر معونة إقتصادية عاجلة بعد أن أعلن رئيسها أن أربعة ملايين ونصف مليون مواطناً أصبحوا بغير مورد رزق بعد الثورة وكانت هذه المعونة عبارة عن قرض قيمته عشرة ملايين جنيهاً بدون فوائد ولمدة اثنتى عشرة سنة يبدأ تسديده بعد سنتين . وكانت مصر قد سبق أن قدمت للحكومة الجزائرية مرتبات قواتها المسلحة عند بداية إستقلالها قبل ذلك ببضعة أشهر .

فى نفس ذلك اليوم إنهارت عدة جبهات عسكرية أمام الضغط المتزايد من جانب المتمردين والمرترقة وتحول ولاء بعض القبائل المحيطة بصنعاء ، التى أثار فى معنويتها إنسحاب القوات اليمنية المصرية المشتركة فى منطقة رأس الوتده ، الأمر الذى شجع المتمردين على تهديد قواتنا الصاربية فى رأس العرقوب .

وضح بجلاء تأثير العامل النفسى على رجال القبائل الذين أصبحوا يرجحون فشل الجمهورية ، لا سيما أنهم كانوا يتلقون سيلاً من رسائل الإثارة التى كان رؤساء وشيوخ القبائل الذين أبعدهم السللا إلى مصر يكتبونها إليهم يطالبونهم برأس السللا ، ولا بأس إذا لحقتها أو سبقتها رأس البيضانى ، وكان وزير العدل القاضى عبد الرحمن الاربانى لا يقصر فى دفع أياديهم إلى رقبتيّنا ، بينما كان النقيب هادى عيسى قائد الحرس الوطنى متفرغاً لإبادة المئات من الجمهوريين من رجال الحرس الوطنى من أبناء المنطقة الشافعية لأغراض طائفية خدم بها أعداء الجمهورية ، وبذلك نجح فى إغضاب الكثيرين من قبائل المنطقة الشرقية ومنطقة الحجرية وجنوب اليمن المحتل حتى عزفوا عن التطوع للقتال من أجل حماية صنعاء التى تزايدت هجرة أهلها . وكان السللا لا يصدق الاتهامات التى وجهت إلى النقيب هادى عيسى فأصر على إبقائه فى منصبه .



المؤلف يلقى خطابا في مؤتمر شعبي في أحد المواقع الأمامية ، يقف عن يمينه العقيد (الفريق في وقت لاحق) حسن العمري عضو مجلس قيادة الثورة ووزير المواصلات ، وعلى يساره الأستاذ محمد نصر مندوب إذاعة صوت العرب يحمل الميكروفون وجهاز التسجيل لإذاعة وقائع المؤتمر على العالم

وكانت القبائل المحيطة بصنعاء أمثال قبيلة بني حشيش تتسلم الأسلحة والذخيرة والأموال من السلال ثم لا تظهر مطلقا في ساحة القتال دفاعا عن صنعاء العاصمة مما دفع السلال إلى إقتراح نقل العاصمة إلى تعز كما كانت خطة الأحرار القدامى السابق نشرها في هذا الكتاب .

لم أوافق السلال على نقل العاصمة من صنعاء ، ورفضت رأيه بشدة ، إذ أننا ونحن في خضم المعركة السياسية الدولية فأن نقل العاصمة من صنعاء سوف يعتبر شهادة بوفاة الثورة والجمهورية في المنطقة الشمالية ، الأمر الذي يهز كيان القبائل الشمالية المؤيدة للثورة كتلك القبائل الباسلة التي كان يتولى قيادتها الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر ، كما يؤدي إلى انهيار جميع جبهات القتال في جميع مناطق الشمال ثم يؤدي إلى اتحاد كلمتها ضد الثورة وإستدعاء البدر والخضوع لقيادته في حرب طائفية لا هوادة فيها ضد الجمهورية التي تتخذ من تعز الشافعية عاصمة لها ، وعندئذ لن يقبل عبد الناصر أن يتورط في موقف ينتهي به إلى معركة دفاعية يرفع فيها خصوم الجمهورية شعارات طائفية .



الوفاء يرافقه الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر في زيارة إلى



في الطريق إلى إحدى المعارك للدفاع عن العاصمة في صنعاء

اقتنع السلال بكل هذه المحاذير ووافقنى على البقاء فى صنعاء مدافعين عنها ومستعدين للشهادة من أجلها ، وبدلاً من التماسى الأمان فى تعز أرسلت برفقية إلى عبد الناصر أطلب فيها وصول زوجتى وأولادى الأطفال من القاهرة إلى صنعاء حتى يشعر أهلها بأننى وأنا المشرف على المعركة الحربية لا زلت أشعر بالإطمئنان على حياتى وحياة زوجتى وأطفالى فوق أرضها الطاهرة .

أرسلت هذه البرقية يوم الأربعاء ٥ ديسمبر ١٩٦٢ ووصلت زوجتى وأطفالى إلى صنعاء يوم الجمعة ٧ ديسمبر ١٩٦٢ وقد تعمدت إذاعة خبر وصولها من إذاعة صنعاء كما نشرت صحيفة الأهرام ذلك الخبر فى نفس اليوم رغبة فى إحداث الأثر المعنوى المقصود وقالت الأهرام (حرم عبد الرحمن البيضانى نائب رئيس جمهورية اليمن تطير من القاهرة اليوم إلى صنعاء لتستقر إلى جانب زوجها) .

وكان فى وداعها فى مطار القاهرة السيد أنور السادات والسيدة حرمه .

سلمتلى زوجتى رسالة بخط السادات (الوثيقة رقم ٢٦) يبلغنى فيها بأنه قرر إعادة المشايخ اليمنيين إلى اليمن حيث لم يستحسن الإبقاء عليهم فى مصر رغم إصرار السلال الذى كان قد أمر بإعادتهم إلى القاهرة عندما كانوا فى الجو على الطائرة فى طريقهم إلى صنعاء ، مما أثار المزيد من غضبهم عليه .

كذلك أبلغنى السادات فى هذه الرسالة أنه سوف يرسل إلى مفروشات لتأثيث البيت الذى استأجرته فى صنعاء بعد أن أصدرت قراراً جمهورياً بإخلاء القصر الجمهورى من جميع النزلاء وفى مقدمتهم رئيس الجمهورية ونائبه ، حتى تستقل كل وزارة بطابق كامل من طوابق القصر الجمهورى فنبدأ عصر النظام الإدارى الحضارى لأول مرة فى تاريخ اليمن .

وكان القصر الجمهورى قبل هذا القرار محشوراً بالضيوف اليمنيين الذين كانوا يصلون إلى صنعاء لتأييد الثورة ثم يطيب لهم المقام إلى جوارنا فى القصر الجمهورى .

فأردت أن أضرب المثل للجميع بادناً بالسلال والبيضانى .

ولم تكن هناك مشكلة فى إقامة السلال فى بيته عندما ينتقل معى من غرفتنا المشتركة فى القصر الجمهورى . وإنما كانت المشكلة تخصنى وحدى حيث كنت مضطراً إلى إستئجار بيت من طابقين فى صنعاء تولى أمين عام رئاسة الجمهورية تجهيزه باللوازم الضرورية لإعداد غرفة نوم وغرفة إستقبال وغرفة طعام من أثاث ومفروشات القصر الجمهورى ، أما الطابق الأرضى فكان مخصصاً لرجال الحراسة .

وكان هذا الأمر يثير حساسيتى الشديدة حيث كنت لا أطيق أن يسيء بعض المغرضين تفسير استخدامى بعض أثاث القصر الجمهورى ، ولو بصفة مؤقتة ، رغم أنها كانت فى عهدة وتحت توقيع أمين عام الرئاسة ، فطلبت من السادات إرسال أثاث ومفروشات من

مصر فأرسلها فعلا لكنها عندما وصلت إلى صنعاء طلبها السلالة فأعطيتها له ، وطلبت غيرها من السادات الذى وعد فى رسالته بإرسال مثيلها إلى صنعاء للسلالة ولى ، ونصحنى فى رسالته بألا أكون شديد الحساسية من هذا الموقف الطبيعى .

كذلك أبلغنى السادات فى رسالته أنه يتكفل بأمر الشيخ سنان أبو لحوم وأنه لا داعى لسفره إلى الصين للعمل سفيراً لديها . وكان معنى ذلك أن السادات مقتنع بوجهة نظرى بالبقاء على الشيخ سنان فى مصر بعيداً عن سيف السلالة فى اليمن ، مع تكريمه ومحاولة الاستفادة من قدراته الشخصية فى خدمة الجمهورية .

وفى بداية رسالة السادات لم ينس أن يبلغنى تحيات وتقدير الرئيس عبد الناصر ، كما أبلغنى رجاء المشير عامر أن أعين الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر وزيراً تقديراً لجهوده التاريخية فى الدفاع عن الجمهورية حيث كان يقود القبائل الشمالية فى حرب العصابات الإمامية . وأذكر أننى عندما هممت بإعداد القرار الجمهورى بتعيين الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر وزيراً للدولة وقائداً للمقاومة الشعبية وأرسلته إلى الإذاعة إعترض السلالة عليه قبل إذاعته بنصف ساعة ، بدعوى أنه لا يريد أن يفتح شهية رؤساء القبائل فى الاشتراك فى السلطة السياسية ، وكانت وجهة نظره على نقىض ما كنت أصر عليه من وجوب تحريك جميع الطاقات الشعبية للدفاع عن الثورة اليمنية وهو ما سبق أن وافقنى عليه السلالة نفسه . فاعتذرت للمشير عامر تحت ضغط السلالة الذى هدد بالاستقالة إذا تولى أحد المشايخ أى منصب وزارى .

بعد يومين من وصول زوجتى وأطفالى إلى صنعاء وصلتنى برقية من الرئيس عبد الناصر يلومنى فيها على هذا التصرف غير الإنسانى الذى يعرض أسرته للخطر فى صنعاء المحاصرة ، وطلب إعادة زوجتى وأطفالى إلى مصر ، فاعتذرت شاكرًا له شعوره الكريم شارحاً أسباب هذا التصرف ، فأرسل برقية أخرى وكررت نفس الاعتذار .

أخذت زوجتى تزور سيدات صنعاء وكثيراً ما كانت ، على غير عادتها ، تصحب معها أطفالى حتى تفسر نساء صنعاء ابتسامتها ومعها أطفالها بأنها دليل على إستقرار الأحوال العسكرية حول العاصمة ، بل وفى جميع المناطق المحيطة التى تتحكم فى سلامتها . وكانت تستعين فى هذه الزيارات اليومية بوالدة الشهيد عبد الله اللقيط التى سبق أن أصدرت قراراً بتعيينها مشرفة على القصر الذى تم فيه التحفظ على نساء الأسرة المالكة السابقة بعد أن تكررت مضايقات بعض الحراس لهن .

وكانت خطة الثورة أن يتم التحفظ على جميع نساء الأسرة المالكة السابقة فور قيام الثورة حتى لا يتكرر منهن ما فعلن بعد إنقلاب الثلاثين سنة ١٩٥٥ عندما قمن بقص شعورهن وإرسال الرسل والرسائل إلى رجال القبائل يستنجدن بهم لإنقاذ من أدعين بأنهن من بنات الرسول . فهب رجال القبائل بضرب الإنقلاب بصرف النظر عن أهدافه السياسية وبواعثه الوطنية ، إكراماً للرسول ﷺ ، كما سبق شرحه فى هذا الكتاب .

كان ذلك درساً من الدروس التي استخلصتها من إنقلاب ١٩٥٥ وتحاشيت تكرارها في ثورة ١٩٦٢ .

وبعد أن كثرت شكاوى نساء الأسرة المالكة السابقة من مضايقات رجال الحراسة ، ولم تستطع والددة الشهيد عبد الله اللقيط حمايتهن من تلك المضايقات ، أصدرت قرار بنقلهن إلى مصر مع توصيتي للرئيس جمال عبد الناصر بالمحافظة على راحتهم أثناء إقامتهم في مصر على حساب الحكومة اليمنية .

كان عددهن يتجاوز عدة عشرات وعندما وصلن إلى مصر على طائرات الأنثينوف ، أمر جمال عبد الناصر باستضافتهن في قصر انطونيادس بالاسكندرية على حساب الحكومة المصرية .



رجال القبائل الجمهوريين في طريقهم إلى إحدى المعارك لحماية العاصمة صنعاء .



تفاقت شكاوى رجال الحرس الوطنى من قائدهم النقيب هادى عيسى الذى قالوا عنه أنه كان يسرف فى إيدائهم والكيد لهم لأسباب طائفية ، وأنه كان يقوم بتسليحهم فى بعض الأحيان بنوع من الأسلحة مع تزويدهم بذخيرة لا تتفق معها ، وإنه كان فى أحيان أخرى يسوقهم إلى كمائن قريبة من صنعاء حيث يتم القضاء عليهم حتى انطلقت الشائعات فى صنعاء بأن المناطق المحيطة بها قد سقطت فى إيدى أعداء الثورة على خلاف الحقيقة . وكان ذلك سببا من أسباب الذعر الذى كان يخيم على العاصمة ، بقدر ما كان عاملا من عوامل التردد التى ضاعفت من إحجام الكثيرين عن التطوع فى الحرس الوطنى مما ترك القيادة العسكرية المصرية وكأنها وحدها فى ساحة القتال دفاعا عن الثورة .

أقنعت السلال بأن يستبدل قائد الحرس الوطنى النقيب هادى عيسى بشخص آخر ، سواء كانت الشكاوى التى وصلتنا عنه صادقة أو مبالغ فيها . وافق السلال على ذلك وأصدر قرارا بتعيين العميد محمد عبد الواسع نعمان قائدا للحرس الوطنى وترقية النقيب هادى عيسى إلى رتبة مقدم وتعيينه قائدا لأحد المواقع العسكرية الأمامية ، وأبلغنا هذين القرارين لكل منهما .

عندما توجه العميد محمد عبد الواسع نعمان إلى مقر الحرس الوطنى لمباشرة عمله تنفيذا لقرار الرئيس السلال رفض المقدم هادى عيسى تمكينه من ذلك وأمر بإخراجه من ثكنات الحرس الوطنى وأنذره بأنه سوف يطلق عليه الرصاص إن هو عاد مرة أخرى إلى ثكنات الحرس .

وجاء هادى عيسى إلى مكتب الرئيس السلال حيث كنا ندرس التطورات الحربية المفاجئة ، وقال موجهها كلامه للرئيس (هل تريد أن نتعازل ؟) أى هل تريد أن يعزل كل منا الآخر ؟ . ثم قال (أنا لن أترك الحرس الوطنى إلا إذا تركت سيادتك رئاسة الجمهورية) .

ضحك الرئيس السلال الذى اعتبر ذلك مجرد دعابة من هادى عيسى ووافق على الإستمرار فى منصبه قائدا للحرس الوطنى بعد أن أوصاه برعاية رجاله . وعندما خرج هادى عيسى قال لى أننا يجب أن نتحلى بالمرونة حتى لا نخسر أصدقائنا . قلت للسلال أنتنى أتفق معه على مبدأ المرونة والحفاظ على الأصدقاء ، لكننى أختلف معه على بقاء مصدر الداء الذى لو تركناه يستشرى ويتفاقم لا ستحال علينا بعد ذلك أن نجد له أى دواء .

اعتبرت موضوع هذا الخلاف أمرا جوهريا يتوقف عليه وضع القوات المصرية فى اليمن ، وهل ستجد نفسها وحدها فى ساحة القتال دفاعا عن الجمهورية التى تفرق رجالها ، بعضهم ذهب فى نزاهات رسمية إلى الخارج ويعمل على إثارة القبائل فى الداخل ، وآخرون يستشهدون فى المعركة ، ومنهم من ينتظرون الموت فى سبيل الجمهورية ، لكنهم يرفضون الموت فى كمائن هادى عيسى .

لماذا نعجز عن تصحيح مسار الثورة وترغيب المقاتلين فى الدفاع عنها حتى لو كان هادى عيسى بريئا مما كان منسوباً إليه ؟

تصورت أن هذا الحوار قد وصل إلى مسامع القاهرة فوصل المشير عبد الحكيم عامر وأنور السادات إلى صنعاء يوم الأربعاء ١٢ ديسمبر ١٩٦٢ وكنت فى إستقبالهما فى المطار وصحبتهما رأساً إلى الرئيس السلال حيث بحثنا هذا الموضوع من جميع جوانبه وتم الاتفاق على أن يتولى الرئيس السلال بنفسه البحث عن صحة ما كان منسوباً إلى قائد الحرس الوطنى والإسراع بتغييره إذا ثبت له صحة الاتهامات التى وجهها إليه الكثيرون من رجاله .

غير أننى عندما عدت مع المشير عامر وأنور السادات إلى مكنتى فاجأنى المشير عامر بقوله (يا أخ عبد الرحمن أعطانا الإنجليز والفرنسيون إنذاراً مدته اثنتا عشرة ساعة قبل أن يبدأوا عدوانهم علينا سنة ١٩٥٦ وكانوا أعداءنا فكيف رضيت لنفسك وأنت صديقنا أن تعطينا إنذاراً مدته ست ساعات فقط ونحن ندفع عنكم عدوان الأعداء ؟)

عجبت من أمر المشير عامر وتذكرت حادثاً وقع ظهر اليوم السابق (الثلاثاء ١١ ديسمبر ١٩٦٢) إلا أننى رفضت أن أعلق على عتاب المشير حتى استدعيت اللواء أنور القاضى قائد القوات المصرية فى اليمن فبدأت أشرح تفاصيل ذلك الحادث بحضوره .

قلت أنه فى ظهر اليوم السابق أبلغنى قائد الحرس الجمهورى أن القيادة المصرية أخرجت جميع مكاتب وخزائن الوزارات اليمنية ورئاسة مجلس الوزراء من القصر الجمهورى ووضعت كل هذه المنقولات والملفات فى فناء القصر وأقامت مكانها أدوات ومفروشات لنوم طيارين وصلوا من مصر .

استأنت من تصرف القيادة المصرية التى تعود قائدها على إخطارى بوصول الطيارين المصريين قبل وصولهم ، كما تعودت على تكليف السيد محمد المنصور رئيس لجنة الممتلكات المصادرة بتوفير الأماكن اللازمة لإقامتهم فى صنعاء ، فلم يكن اللواء أنور القاضى فى حاجة إلى تصرفه الذى أهان به كرامة حكومة اليمن قدر ما أساء به إلى سمعة مصر ، ووضعنى فى موقف بالغ الحرج أمام الذين يتلمسون الأخطاء المصرية فى اليمن ، فطلبت من اللواء أنور القاضى أن يعيد كل شئ إلى ما كان عليه قبل أن يجتمع مجلس الوزراء الذى كان من المقرر أن يجتمع فى تمام الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم .

حاول اللواء أنور القاضي أن يقتنعني بصعوبة توفير أماكن أخرى لنوم الطيارين المصريين فأكدت له أنني سوف أدبر لهم تلك الأماكن في نفس ذلك اليوم كما جرت العادة ، فعاد اللواء القاضي محاولاً تبرير تصرفه فأوضحت له أن في مجلس الوزراء عدداً من الوزراء الحزبيين لا يتركون فرصة دون استغلالها للتشهير بالمساعدات المصرية لليمن وأنهم لن يجدوا للتشهير بمصر فرصة أكثر من إحتلال القوات المصرية للقصر الجمهوري اليمني وإلقاء مكاتب الوزراء ومقر مجلس الوزراء في الطريق العام .

رغم كل ذلك إلاضاح أصر اللواء أنور القاضي على عدم إعادة مكاتب الوزراء إلى مكانها فوقفت خلف مكتبي معلناً إنهاء المقابلة ووجهت إليه أمراً عسكرياً بإعادة كل شيء إلى ما كان عليه في القصر الجمهوري قبل الساعة السادسة مساءً ذلك اليوم وهو موعد إنعقاد مجلس الوزراء .

وتم ذلك فعلاً واجتمع مجلس الوزراء برئاسة في موعده وفي مكانه المعتاد بالقصر الجمهوري ولما أراد الزميل المهندس عبد الله الكرشمي وزير الأشغال وهو من اليمنيين الثوريين الوطنيين غير الحزبيين أن يناقش تصرف القائد المصري حتى لا يتكرر مستقبلاً رجوته أن يعتبر ذلك الموضوع كأن لم يكن ، على اعتبار أن خطأ قد وقع فعلاً ثم أُلزمت القادة المصري بتصحيه .

شرحت تفاصيل هذا الحادث للمشير عامر وأنور السادات بحضور اللواء أنور القاضي الذي لم يجد مفراً من الإقرار بصحة كل ما جاء فيه رغم أنه هو الذي أهرق إلى القاهرة يشكو مما وصفه بأنه إنذار أعطاه البيضانى للقوات المصرية في اليمن .

ثار المشير عامر ثورة عارمة على اللواء أنور القاضي ووجه إليه أقسى عبارات اللوم والتأنيب على تصرفه الذي كان سيضع مصر في موقف خطير تستغله الدعايات العالمية للتشهير بها ، فضلاً عن خلق حساسية يمنية ضد المصريين يعجز أعداء الثورة اليمنية أن يخلقوها ولو دفعوا عشرات الملايين ثمنها لها .

توقعت أن يصدر المشير عامر قراراً بنقل قائده من اليمن الذي سبق أن وجه إليه أقسى كلمات اللوم بمناسبة إنسحابه من رأس الوتده ، لا سيما أنه كان له دور في سوريا أساء إلى مصر قبل الانفصال ، غير أنني دهشت كثيراً عندما رأيته يداعبه بعد أن عاتبه ثم انتقل إلى الحديث عن تصرفات قائد الحرس الوطني التي أدت إلى عدول الكثيرين من رجاله عن القتال إلا إذا كان القتال تحت قيادة ضباط مصريين .

وفي اليوم التالي أعاد الرئيس السلال إعلان أهداف الثورة ولخصها في تحقيق العدالة الإجتماعية وبناء وتعمير البلاد والقضاء على التفرقة العنصرية والطائفية وقد ضغط السلال على إلغاء هذه التفرقة لطمأنه رجال الحرس الوطني على ظهورهم التي قالوا أنها تطعن من الخلف قبل أن يواجهوا عدوهم الذي كان يقال أنه يتربص بهم من الأمام .

وبينما كنا نتناول طعام الغداء في السفارة المصرية بدعوة من المشير عبد الحكيم عامر وصل الرئيس السلال متأخراً عن مواعده بنحو نصف ساعة وأبلغنا أنه تلقى برقية من العقيد أحمد الأنسي قائد منطقة نعر يخبره فيها أن شعب نعر الشافعي الذي أثلج صدره إعلان الرئيس السلال القضاء على كل صور التفرقة بين أبناء اليمن قرر منحه رتبة مشير (وأنه ، أى السلال ، قبل قرار الشعب نزولاً على إرادته وأذاع هذا القرار فعلاً من إذاعة صنعاء .

لاحظنا أنه كان يضع على كتفيه رتبة مشير التي كان من غير المتصور أن يطلب شراءها من مصر ثم تصل إليه في صنعاء بينما برقية العقيد الأنسي قد وصلت إليه منذ نصف ساعة فقط ، فسأله المشير عامر عن كيفية حصوله على علامات تلك الرتبة بمثل هذه السرعة . فقال الرئيس السلال أنه عندما دخل إلينا من باب السفارة المصرية وجد معطف المشير عامر معلقاً على المشجب الذي بجواره ، فخلع رتبة المشير التي كانت على كتفي هذا المعطف ووضعها على كتفيه قائلاً أن لدى المشير عامر علامات أخرى يضعها على كتفي حلتها العسكرية التي كان يرتديها فعلاً .

ضحك المشير عامر ضحكة لا تخلو من السخرية وسأل السلال عن هرم الرتب العسكرية في الجيش اليمني ، وكان المشير عامر يقصد الإشارة من وراء هذا السؤال إلى أن رتبة زعيم (عميد) كانت أعلى رتبة عسكرية يمنية في ذلك الوقت ، ولا يحملها سوى ثلاثة ضباط فقط هم السلال وحمود الجائفي ومحمد الجرموزي (ضابط متقاعد هرم من بقايا المتحف التركي القديم في اليمن) .

وكان معنى سؤال المشير عامر أنه حتى تكون في الجيش اليمني رتبة مشير يجب أن يكون في الجيش اليمني عدد من الضباط يحملون رتبة عميد ثم عدد آخر يرأسهم برتبة لواء وآخرون برتبة فريق وضابط واحد على الأقل برتبة فريق أول وعندئذ يكون هناك ثمة ما يبرر للسلال أن يحمل رتبة مشير . أى أن تسلسل الرتب العسكرية يعتمد على حجم الجيش وعدد تنظيماته الحربية وقياداته العسكرية .

ربما فهم السلال ما قصده المشير من هذا السؤال فقال أن الدكتور البيضاني رفض أن يحمل رتبة فريق أول كما فعل مارشالات روسيا والصين وفيتنام فقد كانوا معظمهم مدنيين تولوا قيادة الثورة الشعبية فأصبحوا مارشالات في القوات المسلحة ، ثم أضاف أنه سوف يعلن حركة ترقيات في الجيش اليمني حتى تنسجم مع رتبة المشير التي منحها له شعب نعر .

كررت أمام المشير عامر أسباب اعتذارى عن عدم قبول أية رتبة عسكرية إكتفاء بـ (رتبة) دكتور في الاقتصاد والتنظيم والإدارة لأنني أمضيت عمري أحلم بتحقيق النهضة الحضارية اليمنية والعربية ، وأنني إذا كان القدر قد فرض على أن أتولى قيادة المعارك العسكرية دفاعاً عن الثورة اليمنية الشعبية ، فإنني قد اعتبرت ذلك فرضاً وطنياً أملت الضرورة وينتهي بإنهاء أسبابها .

لم يكن المشير عامر ييكي على علامات رتبة المشير التي انتزعها السلال عن معطفه . وإنما كان يرثى تصرف السلال الذي وضع نفسه في موقف يسخر منه المتابعون لأحداث الثورة اليمنية والمؤرخون لسيرتها . وقد تحققت رؤية المشير عامر عندهم علق المؤرخ الأجنبي هارولد انجرامز في كتابه « اليمن » صفحة ١٣٦ ووصف المشير السلال بقوله أنه (المشير الذي رقى نفسه بنفسه Self promoted Field Marshal Sallal)

اثناء حديث المشير عامر تدفق العرق على جبين السلال مما جعلني أنقل الحديث إلى ساحات القتال فقد كان لإنسحاب القوات اليمنية المصرية المشتركة من منطقة رأس الوتده إلى منطقة رأس العرقوب أثر هام أدى إلى نشاط مكثف من جانب الأعداء ، فاستطاعوا قطع طريق الإمدادات الحربية من منطقة جحانة إلى رأس العرقوب كما استطاعوا تطويق رأس العرقوب بقبائل معادية من جميع الجهات ، وبدأت حشود المرتزقة تنطلق من بيجان لاحتلال المنطقة الشرقية الجنوبية ، كما تنطلق من نجران وجيزان لاحتلال المنطقتين الشمالية الشرقية والشمالية الغربية ، علاوة على جيوب المتمردين المنتشرة في معظم شمال اليمن والضغوط المتواصلة التي كادت تخنق صنعاء .



المؤلف وعلى يمينه المشير عبد الحكيم عامر ثم اللواء أنور القاضي قائد القوات المصرية في اليمن ، وعلى يسار المؤلف المقدم على شفيق مدير مكتب المشير عامر (داخل طائرة هيليكوبتر لتفقد المواقع الحربية الأمامية) .



المؤلف يصافح المقاتلين في الجبهات الأمامية ، وخلفه المشير عبد الحكيم عامر ثم اللواء أنور القاضي قائد القوات المصرية في اليمن .

فَإِنْ أَعْتَزَلُوكُمْ فَأَمْ يُقَاتِلُوكُمْ
وَأَلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ
اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا

قرآن کریم

نجاح سياستنا الدولية

الفصل الثالث عشر



أنذرتنى المعركة العسكرية بأننا على أبواب الفشل فى معركتنا السياسية فأردت أن ألقى بأسهم نارية على الساحة الدولية كى ألفت نظر الحكومة الأمريكية إلى خطورة الموقف فى شبه الجزيرة العربية حتى تتعجل بدورها الذى كنت أحترق شوقا إليه من أجل وقف صراعنا مع خصوم الثورة اليمنية ، فأصدرت يوم السبت ١٥ ديسمبر ١٩٦٢ بيانا قلت فيه :

(إن حلفا عدوانيا قد اكتمل ضد ثورة اليمن ، وإن السلطات البريطانية تقوم بتهريب الأسلحة والأموال إلى الأراضى اليمنية مستخدمة فى ذلك إمارة بيحان بقصد إيفاد المتسللين وتشجيع قطاع الطرق على أعمال التخريب ، وأن هذا الحلف العدوانى قد استعان بالخبراء البريطانيين ويهود اليمن الذين هاجروا إلى إسرائيل منذ احتلال أرض فلسطين) .

وأضفت قائلا أن (ذلك الحلف العدوانى قد أقام مركزين فى نجران وجيزان لتدريب المرتزقة تمهيدا لدفعهم إلى داخل الأراضى اليمنية بعد تزويدهم بالأسلحة التى تنقلها إليهم الطائرات الأردنية التى يقودها طيارون بريطانيون من عمان فى الأردن إلى الطائف فى المملكة العربية السعودية ، حيث تنقلها بعد ذلك الطائرات السعودية التى يقودها طيارون أجانب إلى نجران وجيزان .)

وختمت إعلان الحكومة اليمنية بقولى :

(إننا لا نستطيع أن نقف مكتوفى الأيدى أمام استخدام السلطات السعودية والأردنية منطقتى نجران وجيزان قواعد للعدوان على اليمن ، وإننا نحتفظ لنفسنا بكامل الحق فى اتخاذ ما نراه من إجراءات للدفاع عن الشعب اليمنى فى مواجهة العدوان ، الأمر الذى لا يخل بما سبق أن أعلنه من قبل بأننا نحترم ونتمسك بجميع المعاهدات والالتزامات الدولية التى وقعت عليها حكومات اليمن السابقة) . (الأهرام ١٦ ديسمبر ١٩٦٢) .



المؤلف يلتقي كلمة جماهيرية لتعبئة الشعور الوطني للدفاع عن صنعاء

بعد أن أعلنت ذلك البيان زارني ، كما توقعت ، المستر روبرت ستوكي القائم بالأعمال الأمريكي وأبلغني أن الحكومة الأمريكية تفكر جديا في الاعتراف بالحكومة اليمنية وأنه يرجو أني أقدم على أي إجراء عنيف ضد جيراننا حتى لا نعرقل اعتراف الحكومة الأمريكية الذي أوشكت على إعلانه ، وقال أنهم في واشنطن يبحثون عن الأسلوب الأمثل لإخراج بيان الاعتراف الأمريكي بعد أن رفضت كل من السعودية والأردن الاشتراك في مؤتمر القمة الذي اقترحتة أمريكا .

قلت للقائم بالأعمال أنه لا داعي لأن تجهد واشنطن نفسها في البحث عن ذلك الأسلوب لأنه في وسعي بإسم حكومة اليمن أن أعلن ، من جانب واحد ، إلزامها بجميع ما كان المطلوب من هذا المؤتمر أن يضعه على كاهلها ، مثل رغبتنا في السلام مع جيراننا وتكريس جهودنا في شئوننا الداخلية ، وغير ذلك من المبادئ التي نعتنقها فعلا ولا نتطلع عند إعلانها من جانب واحد إلى أكثر من تأكيد حقيقة نوايانا ورغبتنا في إقرار السلام في المنطقة .

في اليوم التالي جاءني القائم بالأعمال الأمريكي برد الرئيس كنيدي الذي استحسن ألا نعلن شيئا من جانب واحد ، وأن أمريكا تثق في حسن نوايانا ، وأنه يحسن الانتظار قليلا من الوقت حتى نعلن ذلك عند إعلان أمريكا إعرافها بالحكومة اليمنية فيكون الاعتراف الأمريكي ردا على البيان اليمني .

شكرت له نصيحة الرئيس كنيدي الصادقة ووعده بضبط أعصابنا ما دامت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية سوف ترمي بثقلها لإقرار السلام في شبه الجزيرة العربية الذي هو إنتصار تاريخي لثورتنا .

في يوم الأحد ١٦ ديسمبر ١٩٦٢ طار المشير السلال مع المشير عامر إلى الجبهة الشمالية حيث تفقدا المواقع المتاخمة للحدود السعودية التي ادعت إذاعة البدر أنه سيطر عليها ، بينما قمت في صنعاء بحشد ما أمكنني حشده من قوات من الحرس الوطني بعد أن أكدت لرجال حرس الحكومة على تمكينهم من مواجهة أعداء الثورة بأسلحة حديثة وتحت قيادة مكتب العمليات الحربية الذي تم تشكيله برئاسة المشير السلال . والذي كنت أتولى إدارته بنفسى من الناحية الفعلية .

في يوم الإثنين ١٧ ديسمبر ١٩٦٢ إنعقد إجتماع عسكري في مقر القيادة العربية في صنعاء حضره المشير عبد الحكيم عامر وأنور السادات عن الجانب المصري وحضرته مع المشير السلال عن الجانب اليمني ودرسنا في هذا الاجتماع أبعاد الموقف العسكري وسياسة حكومة الثورة اليمنية وحكومة الجمهورية العربية المتحدة تجاه الحلف العدواني (الأهرام ١٨ ديسمبر ١٩٦٢) .

ما لم ينشر عن هذا الاجتماع أن المشير عبد الحكيم عامر ألح على ضرورة إزالة ما يشكو منه رجال الحرس الوطني حتى يمكن تجنيد أكبر عدد ممكن من أبناء الجمهورية اليمنية للدفاع عنها ، وحتى لا تكون الشائعات المعلقة على رأس قائد الحرس الوطني من العوامل التي يعتمد عليها أعداء الثورة على المدى الطويل . فتعهد السلال بمعالجة هذا

الموقف الحرج بنفسه ، وإن لم يستطع إخفاء شعوره بالضعف الشخصي نحو المقدم هادى عيسى قائد الحرس الوطنى ، مما أشعر المجتمعين بأن عددا من الشخصيات الزيدية تؤيد تصرفات هادى عيسى ضد رجال الحرس الوطنى من أبناء المناطق الشافعية ، سواء كان ذلك لأغراض طائفية أو لمحاولة القضاء على الجمهورية . وكان السلال ضعيفا أمام هذه الشخصيات ولو أنه كان رافضا لهذه التصرفات .

فى نفس ذلك اليوم استدعيت المستر روبرت ستوكى القائم بالأعمال الأمريكى وأبلغته أن حكومتى اليمن ومصر تلتزمان بضبط النفس وتنتظران من حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أن تقوم بدورها الطبيعى نحو إيقاف العدوان على اليمن والمساعدة على إقرار السلام فى المنطقة .

زارنى القائم بالأعمال الأمريكى فى اليوم التالى (الثلاثاء ١٨ ديسمبر ١٩٦٢) وأبلغنى رسميا أن حكومته سوف تعترف بحكومة الجمهورية العربية اليمنية فى تمام الساعة الثانية عشر من صباح اليوم التالى أى السادسة مساء بتوقيت صنعاء ، وأبلغنى أن حكومته قد استحسنّت إقتراحى بأن أقوم بإسم الحكومة اليمنية بإعلان ما سبق أن عرضت إعلان من جانب واحد طالما أنه يمثل حقيقة نوايانا ، فقامت فى نفس اليوم (الثلاثاء ١٨ ديسمبر ١٩٦٢) بإذاعة البيان التالى :

(أعلنت الجمهورية العربية اليمنية منذ اليوم الأول للثورة عزمها على تركيز جهودها لرفع مستوى معيشة الشعب اليمنى والسعى إلى إقامة علاقات ودية مع جميع الدول .

ثم اضطررنا خلال الأسابيع الماضية إلى الدفاع عن أراضى جمهوريتنا أمام الغزو الخارجى ونشاط العناصر المرتبطة بالقوى الخارجية التى تمددها بالتأييد والدعم .

وربما حجبت هذه الأحداث المؤسفة جوهر المبادئ والأهداف الأساسية لثورة الشعب اليمنى . لذلك نعلن مرة أخرى أن سياسة الجمهورية العربية اليمنية لا تزال عازمة على إحترام إلتزاماتها الدولية بما فى ذلك جميع المعاهدات التى التزمت بها الحكومات اليمنية السابقة وميثاق الأمم المتحدة وميثاق جامعة الدول العربية .

إننا نرغب فى العيش فى سلام مع جميع جيراننا إلى المدى الذى يشايطروننا عنده هذه الرغبة .. ونطلب من جميع اليمنيين أن يحترموا القانون فى البلاد التى يقيمون على أرضها وسوف نركز جهودنا فى أمورنا الداخلية لتحقيق المساواة بين جميع مواطنينا أمام القانون واستثمار موارد البلاد التى أهملت حتى الآن كى نرفع المستوى الإقتصادى والاجتماعى لجميع أبناء الشعب اليمنى .

وأنا نأمل فى أنه بالعزيمة الصلبة ومؤازرة الدول الصديقة سوف نتقدم نحو هذه الأهداف المقدسة ترعانا عناية الله وتوفيقه .)

أذعت هذا البيان فى مؤتمر صحفى عالمى فى مكتبى برئاسة الجمهورية بحضور جميع ممثلى الدول العربية والأجنبية فى اليمن ، وكان يقف بجوارى المستر روبرت ستوكى القائم بالأعمال الأمريكى . وبعد أن أعلنت بيان الحكومة اليمنية صرحت (بأننى أجريت مفاوضات مع الحكومة الأمريكية استغرقت أكثر من شهرين وقد انتهت بنجاح تام وأننى أنتظر إعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بحكومة الجمهورية العربية اليمنية خلال أربع وعشرين ساعة طبقاً للإتفاق الذى تم بيننا ، وأنا سوف نبدأ صفحة جديدة من العلاقات مع الولايات المتحدة كى نتعاون على المستوى العالمى من أجل رفع مستوى شعب الجمهورية العربية اليمنية ، ونشارك بدور فعال فى خدمة السلام العالمى ورفاهية الجنس البشرى) .

على إثر إذاعة بيان الحكومة اليمنية أذاع الدكتور عبد القادر حاتم وزير الثقافة والإرشاد القومى المصرى بيانا باسم حكومة الجمهورية العربية المتحدة ، كما سبق أن اتفقت عليه مع الرئيس عبد الناصر ، قال فيه :

(تعلن الجمهورية العربية المتحدة تأييدها لكل ما جاء فى البيان الذى أصدرته الجمهورية العربية اليمنية ، وأن الجمهورية العربية المتحدة لتشعر بالفخار إزاء كل ما قامت به تجاه ثورة اليمن منذ الساعات الأولى لإنطلاقها ، حينما قدمت لها على الفور التأييد المطلق تلبية لرغبة الشعب اليمنى الذى تعرض لتحديات شتى من البلاد المجاورة وتمشيا مع الإتفاقات القائمة بين البلدين .

ولقد استطاعت الجمهورية العربية اليمنية اليوم أن تثبت أقدامها فى حزم وأصبحت هى الحكومة الشرعية القائمة فى اليمن ، وأن الجمهورية العربية المتحدة إذ تبدى كراهيتها لإستمرار سفك الدماء ، تعبر فى الوقت نفسه عن إستعدادها لوقف الإشتباك المسلح من جانبها ، وأن تبدأ فى سحب قواتها الموجودة فى اليمن بالتدرج إذا ما انسحبت القوات السعودية والأردنية المشتركة من تأييد الملك المخلوع من مناطق الحدود ، وإذا ما توقفت المساعدات السعودية والأردنية والخارجية للملكيين ، وحينما تطلب منها الجمهورية العربية اليمنية .

وسوف تكون الجمهورية العربية المتحدة عند وعدّها إذا ما جرت الأمور بالنسبة لتنفيذ تلك الشروط على هذا النحو) . (الأهرام ١٩ ديسمبر ١٩٦٢)

أريحا قتلان في الساعة ساء اليوم بتوقيف القاهرة - اعتذارا بحكومتهم في اليمن

واشتغلن تقووم بتبليغ صنعاء والقاهرة ظهر أمس - رسمياً - بصرارهما ودموعهم تقضي هذه
الذكور البصريين في يدع باسم حكومة اليمن بباثنا عن سياستها والقاهرة تؤكد البيان اليمني وتعتز به
الجمهورية العربية المتحدة لتدح قواتها من اليمن بالندرج عندما تأكد من زوال كل خطر للدوان الخارجي ضد اليمن

حدثت أمس تطورات سياسية حادة ، فقد اتصلت حكومة أمريكا - عن طريق ممثلها الديبلوماسيين - بكل من صنعاء ،
والقاهرة ، وأبلغتهم أنها مستعجلة الاعتراض بحكومة الثورة في اليمن في خلال ٢٤ ساعة .
ولي صنعاء طلب مستر ديوتون مستعجلاً مثل أمريكا في اليمن الاجتماع بالذكور عبد الرحمن البيضاوي نائب رئيس
اليمن دوزيد الخويجي ، حيث ليكنه القرار في الاجتماع والذي لم يبنهما أمس .
ولي القاهرة استغلن أمس السيد علي صديقي رئيس المجلس التنفيذي مستر وليد بوزيديل القائم بأعمال سفارة
أمريكا في القاهرة ، بناء على طلب ممثل أمريكا الذي يلمحهم بأن اعتراض حكومتهم بظرة اليمن سيتم في خلال ٢٤ ساعة .
وعلم مندوب ((الأهرام)) أن حكومة أمريكا ستطعن بيان آخر لها بحكومة الثورة في اليمن في الساعة الثانية عشرة
ظهر اليوم ((بتوقيت واشنطن)) ، أي في الساعة السادسة مساءً ((بتوقيت القاهرة)) .

يومان لصنعاء يعز به بيان القاهرة

ول منذة سمعت حكومة اليمن بياناً من صنعائها العامة ، ولي
القاهرة صدر بيان يؤكد البيان اليمني ومعهز . وقال بيان القاهرة أن
الجمهورية العربية المتحدة لتدح بطلبها إزاء ما قامت به تجاه ثورة
اليمن ، وقال أيضاً أن جمهورية اليمن تبت لهاها وأصبحت الحكومة
الحرية العامة في اليمن .
وقد أذاع الذكور اليمني بيان حكومة اليمن في طرابلس مصر
من أريحا . وقال البيان الذي تمثنت من السودان الجيش على اليمن
« أن الأحداث الأسيطة التي تمثنت من السودان الجيش على اليمن
تحت سبياً في عدم إدراك بعض الجهات لطبيعة الجدي الأسس للثورة
التي أسسها وأدها .. فلكه أريحا طروحات في مثل الولايات
التي أسسها أكثر من شهر ، لم انتهت هذه الطروحات بنجاح تام .
ولنا ننظر إلى الولايات المتحدة بحكومة الجمهورية العربية المتحدة
والثورة والشرين ساعة العامة طلاء للتحالف الذي لم يبن »
على الأربع والشرين ساعة العامة طلاء للتحالف الذي لم يبن »
وعلى البيان « وبذلك نبدأ صفحة جديدة من علاقات مع الولايات
المتحدة لتستول على المستوى العالي تعاوناً تاماً من أجل دفع مسود
الحكومة الجمهورية العربية المتحدة ، ولتشارك بدور فعال في هذه المسود
التي هي الأولى من نوعها في الشرق الأوسط .
الحكومة الجمهورية العربية المتحدة أعلنت اليمن حكومة الجمهورية
في كل البيان « هذا اليوم الأول لثورة اليمن أعلنت حكومة الجمهورية
العربية المتحدة فيها أكبر على مركز جهودها في دفع مسود
القضية التي وضعت علاقات الصداقة مع جميع الدول . ثم أتت في
الأسبوع الماضي وثيقة الصداقة مع جميع الدول من جمهورية مصر
والبحرين ، ونحن نأمل أن تكون هذه الوثيقة من جهودنا ضد
الذكور الأجنبي ولقد العناصر التي يبتت مصلحة به تعلق من هذه المسود
والقضية .

دوما كانت هذه الأحداث الأسيطة سبياً في عدم إدراك بعض الجهات
لحقيقة المصالح السياسية لثورة الشعب اليمني وأهدافها ، وكذلك علنا
نعلن مرة أخرى أن الجمهورية العربية المتحدة التي زالت ثباتها على
سبيلها في احترام الزاهاية الدولية بنا في ذلك جميع المبادرات التي
ولهاها الحكومة العربية ، كما نعلن تصديقها معالي الأمم المتحدة وميثاق
جامعة الدول العربية .

وقال بيان جمهورية اليمن في القنام « ولنا نعلن أن تمثنت في سلام
والاستقام مع جيراننا إلى الذي يشركونا فيه هذا الأمل عندنا .
أولاً في اليمن المجيد في التملك المجدرة أن يحافظوا على القانون
والثقة . وسنكون نكرم جهونا في شكوا الداخلية من أجل تعديل
المسودات من أجل دفع المسودات الإنسانية والأسيطة لتتسبب اليأس
والاستقام من وراء الثورة التي أعلنت في اليمن في مطلع هذا الشهر
الذي وسنكون نكرم لها من تعديل هذه المسودات التي أعلنت بمرزنا
التي سبيلها وبمساعدة الدول الصديقة متعطين على الله الذي مستعجل
جهنا بقتلهم والتناج .

شروط الجمهورية العربية لسحب قواتها

ولأذاع بيان القاهرة ، الذكور ميدان القاهر حدم وزير الثقافة والأركان
القومي . وقال البيان :
« نحن الجمهورية العربية المتحدة نطلبها لكل ما جاء في البيان الذي
أصدرته الجمهورية العربية المتحدة . وأن الجمهورية العربية المتحدة
لتدح بطلبها إزاء ما قامت به تجاه ثورة اليمن من التمسك الأول
الذي كتبت لها على الفور التأييد المطلق لتلبية لرغبات

كان المقرر أن تنعقد في الأمم المتحدة لجنة فحص أوراق اعتماد ممثلي الحكومات الأعضاء في تلك المنظمة يوم الأربعاء ١٩ ديسمبر ١٩٦٢ بناء على برقية قمت بإرسالها إلى السكرتير العام للأمم المتحدة أطلبه فيها بطرد ممثل البدر المخلوع الذي يحتل مقعد اليمن بغير وجه حق ، غير أن الولايات المتحدة الأمريكية أبلغتني بأنها تفضل تأجيل هذا الموضوع يوما واحدا فقط حتى تعلن إعرافها بنا قبل إنعقاد تلك اللجنة فوافقتها على ذلك وطلبت بإسم الحكومة اليمنية تأجيل إنعقاد تلك اللجنة أربعاً وعشرين ساعة ، وكانت تتكون من ممثلي أمريكا والاتحاد السوفيتي وأندونيسيا وكينيا ولبنان ونيجيريا والسلفادور والمكسيك .

وفي صنعاء أعلنت عن إنشاء أول معهد زراعي في اليمن يتسع لخمسة وثلاثين طالبا لتخريجهم مرشدين زراعيين لتوجيه الزراعة في حقول الإرشاد النموذجية التابعة لوزارة الزراعة واعتماد خطة وزارة الصحة الخمسية بإنشاء إدارتين للطب العلاجي والصحة الوقائية وإدارة صحية في كل محافظة من محافظات اليمن ووحدات طبية من بينها سبع وحدات في محافظة صنعاء وأربع في محافظة الحديدة وثلاث في محافظة تعز ووحدتان في محافظة حجة ووحدة في كل من محافظات البيضاء وأب وصعدة .

جاء إلى مكنتي المستر ستوكي القائم بالأعمال الأمريكي في يوم الأربعاء ١٩ ديسمبر ١٩٦٢ ، وطبقا لما اتفقنا عليه ، أعلن أمامي في مؤتمر صحفي عالمي قرار إعراف حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بحكومة الجمهورية العربية اليمنية حيث قال :

(نظرا إلى عدد من البيانات المتضاربة والمثيرة للحريرة التي أقلت الشك على ثبات الحكومة الجديدة في اليمن ترحب حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بقيام الجمهورية العربية اليمنية بإعادة تأكيد نواياها نحو إحترام التزاماتها الدولية ورغبتها في تحسين وإقامة علاقات صداقة مع جيرانها وعزمها على التركيز على شئونها الداخلية للنهوض بمستوى معيشة الشعب اليمني .

وقد سرت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أيضا بالنداء الذي جاء في صورة بيان من الجمهورية العربية اليمنية إلى اليمنيين المقيمين في المناطق المتاخمة لليمن بأن يكونوا مواطنين يخضعون للقانون ، وأحييت علما باحترام جميع المعاهدات التي أبرمتها الحكومات اليمنية السابقة ويشمل ذلك بدون شك المعاهدة التي أبرمتها صنعاء مع الحكومة البريطانية عام ١٩٣٤ التي تنص على ضمانات متبادلة بضرورة عدم تدخل أي من الطرفين في شئون الآخر عبر الحدود الدولية الحالية التي تفصل اليمن عن الأراضي الخاضعة للحماية البريطانية .

كذلك ترحب حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بالبيان الذي أصدرته حكومة الجمهورية العربية المتحدة (مصر) معلنة عزمها على تنفيذ فك

إرتباط متبادل من النزاع اليمنى واستعجال مراحل سحب قواتها من اليمن عندما تنسحب القوات الخارجية التى تقوم بتأييد الملكيين من خارج الحدود وعندما يكف التأييد الخارجى لليمنيين الملكيين .

وتعتقد حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أن هذه البيانات تمثل الركيزة الأساسية لإنهاء النزاع حول اليمن وتعبر عن الأمل فى أن جميع الأطراف المشتركة فيه سوف تتعاون من أجل ترك الشعب اليمنى يصوغ مستقبله .

لذلك فإن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية قد قررت الاعتراف بحكومة الجمهورية العربية اليمنية والتقدم إليها بأصدق التمنيات بالنجاح والإزدهار . (

فى ذلك اليوم أعلنت الحكومة البريطانية أنها لا تنوى فى الوقت الحاضر أن تعترف بحكومة الثورة غير أن مصدرا بريطانيا مسئولاً صرح قائلاً (إن إعتراف أمريكا بجمهورية اليمن يقضى على آخر أمل لمحمد البدر إمام اليمن المخلوع فى عودة الملكية المنهارة إلى اليمن) كما أذاعت وكالة أنباء اليونيتدبرس (إن إعتراف أمريكا سيفتح باب الإعتراف أمام الدول الغربية الأخرى) .

كان الإعتراف الأمريكى بحكومتنا الثورية الجمهورية تنويجا للجهود المتواصلة والمضنية التى بذلت قصارى جهدى فى ساحتها السياسية الدولية ، ولم يكن بعد ذلك أمامى سوى مواصلة التقدم نحو إنتزاع الإعتراف بنا من فم الأسد البريطانى الذى بدأ يزأر فى وجه الولايات المتحدة الأمريكية .

وقد أثبت ذلك الإعتراف إننى كنت على حق حين اعتذرت للرئيس عبد الناصر ورفضت إغلاق السفارة الأمريكية فى اليمن ورفضت طرد القائم بالأعمال الأمريكى من أراضيها لمجرد عدم إعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بحكومة الثورة اليمنية عند قيامها ، الأمر الذى لو كنت قد وافقت عليه تحت الضغط المصرى السوفيتى لخلقت بنفسى قطيعة صريحة مع أمريكا دون أن نحصل على أى مقابل سوى المزيد من توسيع ساحات القتال فى اليمن والمزيد من سفك الدماء على أراضيها التى نسعى إلى إقرار السلام عليها لاستثمارها وتفجير طاقاتها لخير شعبها .



ظهر بوضوح أن الكرم المفرط الذي ساد تصرفات القيادة العسكرية المصرية في اليمن والسفارة المصرية في صنعاء وإسرافهما في بذل الأموال للكثيرين من رجال القبائل بإسم شراء ولائهم للثورة قد أدى إلى توسيع ساحة القتال في اليمن مما أساء إلى سمعتنا الدولية .

كان بعض شيوخ القبائل يدفعون أصحابهم إلى التمرد ثم يستنزفون الأموال المصرية باسم إعادة المتمردين إلى حظيرة الجمهوريين . وكان الآخرون يوزعون الأدوار فيما بينهم ، بعضهم يحلب بقرة المصريين والبعض الآخر يحلب بقرة السعوديين ، ثم يقسمون ما يحلبون بالعدل والقسطاس ، دون أن يجحف أحدهم حقوق الآخر .

وكثيرا ما شاع بين الناس أن القائد المصرى كلما أراد أن يسترجع موقعا فإنه يعطى شيخ الجمهوريين عددا من الملايين فيذهب إلى شيخ المتمردين ويقتسمها معه فينسحب برجاله المسلحين المسالمين ، وعندئذ يغضب الممول السعودى ويعطى شيخ المتمردين مزيدا من الملايين فيذهب إلى شيخ الجمهوريين ويقتسمها معه فينسحب برجاله المقاتلين المنتفعين .

وتتبادل إذاعة صوت العرب وإذاعة السعودية أخبار نفس المواقع العسكرية ، مرة هنا ومرة هناك . واتقن الكثيرون من رجال القبائل مهنة التسلط على أموال المصريين والسعوديين . تلك المهنة التي سبق أن اتقنوها في مطلع هذا القرن أيام الحرب التي دارت في اليمن بين الإمام يحيى وغريمه السنوسى ، وكان المقاتلون يقفون مع من يدفع لهم أكثر من الآخر ، وكانت موازين القتال تتحول من يوم إلى آخر بحسب درجات المزايدة التي كانت تتأرجح بينهما في سوق المعركة تحت بصر الإمام وغريمه .

واليمنيون المخضرمون يحفظون المثل اليمنى الشعبى الدارج الذى يقول (اللهم احفظ الإمام يحيى إلى نصفه واحفظ السنوسى إلى نصفه) أى أنهم يدعون الله أن يحفظ الإمام وغريمه حتى تستمر المعركة فيما بينهما بغير نهاية ، فلا ينضب المورد الذى يرتزق منه المقاتلون الوهميون .

كرهت أن يفعل بنا بعض رجال القبائل كما فعلوا بالإمام يحيى وغريمه السنوسى ، فطلبت من القيادة العربية في صنعاء والسفارة المصرية في اليمن أن تتوقفا عن دفع أية مبالغ لرجال القبائل على هذا النحو الذى يستخف بعقل مصر ويستنزف أموالها ، كما

يسىء إلى سمعة الثورة ويشوه أعمالها ، ويعطى للعالم الخارجى صورة مبالغاً فيها لحجم المعارك الحربية الحقيقية على الساحة اليمنية .

أوضحت للقيادة والسفارة مدى خوفى من إنتشار هذه العدوى إلى المناطق ذات الولاء المطلق للجمهورية ، لأن المال الذى ذكره الله تعالى قبل البنين زينة للحياة الدنيا كفىل بإغراء البسطاء قبل الأذكاء على الإحتيال عليه ، لا سيما إذا كان صاحب المال خالى البال ، لا يعرف شيئاً عن طبيعة الحال .

لأدرى هل أصبت أو أخطأت حين ذكرت للقيادة والسفارة أن بعض رجال القبائل يشكون من أنهم يوقعون على سندات أكثر مما كانوا يأخذون ، ولا أدرى هل كانوا يريدون تشويه سمعة القيادة والسفارة أو كانوا يخفون كثيراً مما يأخذون ويوزعون قليلاً على من كانوا معهم يقتسمون .

نصحت القيادة والسفارة بأنهما إذا أرادا أن ينفقا مالا فائضاً عن حاجة الحكومة المصرية وليس له مكان فى المشروعات اليمنية العمرانية ولا بد من صرفه على شراء الولاء للجمهورية فليكن ذلك بواسطة أمين مال مصرى يلتزم بتسجيلات مالية ترفع الشبهة وتحمى السمعة ، وتحت سمع السلال ونظرى لحصره فى الحالات التى تنفع البلاد ولا تشيع الفساد .

قالوا إن تلك هى طبيعة المعركة فى معظم مناطق اليمن الشمالية ، وإن رجال القبائل لا يقبلون أن يعرف أحد من غير المصريين أنهم يأخذون تلك الأموال حتى لا يتعرضون لخطر الإنتقام من المتمردين .

قلت أن أخبارهم معروفة للجميع وأنهم هم الذين يذيعونها ، ويزعمون أنهم يوقعون على سندات يأخذون نصفها ، وأحياناً يقبضون ثلثها ، وفى أغلب الأحيان ينقذون (بشق الأنفس) ربعها .

قالوا إن هذه أكاذيب من عناصر الحرب النفسية التى يتقنها أعداء الجمهورية .

قلت .. إننى لا أشك فى ذلك . وما مضى قد مضى . والأهم من كل ذلك هو أن نفكر فى كيفية ترشيد استخدام هذه الأموال ، وأننا ونحن قادة الثورة وحكام الجمهورية الذين نعرف تاريخ اليمن وظروفها الموضوعية فإننا نعلم علم اليقين أن صرف هذه الأموال بهذه الطريقة قد أصبح مصدراً رهيباً من مصادر الخطر على الثورة ، وسبباً رئيسياً من أسباب إنصراف المقاتلين من حول الجمهورية التى أصبح الولاء لها محلاً للمزايدة بين الجنيه المصرى والريال السعودى .

قالوا أنهم سيعرضون هذا الأمر على السلطات العليا فى القاهرة .

ولعل ذلك ما أشار الرئيس محمد أنور السادات إلى جزء منه فى كتابه « البحث عن الذات » صفحة ٢١١ حيث قال عن حرب اليمن أنها (انقلبت إلى تجارة ومنفعة) .

لم أنتظر رد السلطات العليا في القاهرة على اعتراضى على أسلوب صرف المال المصرى فى اليمن بالشكل الذى يؤدى إلى توسيع ساحات القتال ، وإعتقادا منى فى أنها سوف تستجيب لضرورة ترشيد صرفه فى المشروعات العمرانية ، وتأكيدا للتركيز على النهوض بمستوى الشعب اليمنى ومواصلة تنفيذ خطة شحن أهالى صنعاء العاصمة بجرات الأمل والطمأنينة ، اجتمعت فى نفس ذلك اليوم بالدكتور محمد حسن حسنى رئيس بعثة الخبراء الزراعيين المصريين وبحثت معه إستغلال بعض هذه الأموال فى تشغيل الآلات الزراعية التى حصلنا عليها فى زراعة نحو مائة معاد (فدان) فى منطقة صنعاء لإنتاج الخضروات المختلفة ، كما اجتمعت ببعض رجال الأعمال اليمنيين وبحثت معهم المشروعات العمرانية التى يرغبون فى تنفيذها . (الأهرام ٢٠ ديسمبر ١٩٦٢) .

نفذت أمريكا ما وعدتنى به وفى الموعد الذى اتفقنا عليه فصرح مصدر رسمى أمريكى بأن حكومته قد قررت سحب إعترافها بممثل البدر المخلوع فى الأمم المتحدة ، وأعلن كارل براون مساعد وزير الخارجية الأمريكية أنه قد أبلغ الممثل السابق لليمن إعتراف أمريكا بجمهورية اليمن .

وفى لندن تولى وليم بيتس العضو المحافظ فى مجلس العموم البريطانى ورئيس البعثة البرلمانية البريطانية ، التى سبق أن استضفتها فى اليمن ، مهاجمة برنامجا تليفزيونيا سينا عرضته هيئة الإذاعة البريطانية عن جمهورية اليمن ووصفه بيتس بأنه (غير دقيق ومشوه ويعتبر إهانة دبلوماسية مؤسفة) وقال (إن برنامج التليفزيون الذى سجل أثناء زيارة البعثة البرلمانية البريطانية لليمن قد فشل فى نقل صورة صادقة عن الموقف اليمنى) وأضاف (إن البعثة البرلمانية التى رأسها لم تر أثرا لقوات ملكية يمنية تهدد بالقضاء على النظام الجمهورى) وختم مهاجمته للتلفزيون البريطانى قائلا (إن رجال التلفزيون البريطانى أساءوا إلى الذين نزلوا فى ضيافتهم كما أن أساءتهم غير المباشرة قد وجهت إلى دولة تتبادل معها التمثيل الدبلوماسى الكامل) وهو يقصد الجمهورية العربية المتحدة .

وتنفيذا لما اتفقت عليه مع الولايات المتحدة الأمريكية انعقدت فى نيويورك لجنة فحص أوراق الإعتماد فى الأمم المتحدة فى يوم ٢٠ ديسمبر ١٩٦٢ ووافقت اللجنة بالإجماع على قبول أوراق إعتماد وفد حكومة الثورة اليمنية ممثلا لجمهورية اليمن لدى الأمم المتحدة . وأعلنت أستراليا ونيوزيلانده إعترافهما بالنظام الجمهورى فى اليمن ، وأخذت الصحف الغربية تتوقع أن يتوالى إعتراف حكومات العالم بحكومة الثورة اليمنية التى أصبحت تسيطر على جميع الأراضي اليمنية ، وقالت وكالة أنباء ناس (إن إعتراف أمريكا دليل على أن واشنطن قد فقدت الأمل فى إعادة الملكية إلى اليمن) بينما كرر وليم بيتس رئيس البعثة البرلمانية البريطانية دعوة حكومته إلى الإعتراف بحكومة الثورة اليمنية حرصا على مصالح بريطانيا نفسها ، وطالب مجلس العموم البريطانى بسرعة مناقشة هذا الموضوع ، غير أن رئيس المجلس رفض طلبه ، ومن جهة أخرى أذاع راديو لندن (أن الدوائر البريطانية المسؤولة فى عدن تعتبر إعتراف أمريكا بحكومة الثورة فى اليمن إنتصارا هاما لهذه الحكومة ، ثم كررت تأكيدها أن بريطانيا وفرنسا لا تعترضان الإعتراف بها فى الوقت الحاضر) .

وصرح مسئول رسمي في لندن بأن (بريطانيا أقامت منشآت عسكرية جديدة على حدود اليمن ، وأضاف أن بريطانيا أقامت في محمية بيجان المتاخمة للحدود الشرقية لليمن شبكة رادار ومدافع مضادة للطائرات وأن الجنود البريطانيين يتولون تشغيلها وأن الأمر قد صدر بمنع الطيران فوق بيجان بغير إذن مسبق بعد أن قامت طائرات قادمة من جهة اليمن بعمليات استكشاف فوق بيجان منذ أيام) .

ردا على ذلك ، كشفت النقاب عن مستوى التمثيل الدبلوماسي بين الجمهورية العربية اليمنية والولايات المتحدة الأمريكية وأعلنت أنه قد تقرر رفعه إلى درجة سفارة ، وإمعانا منى في إلحاق الهزيمة في نفوس أعداء الثورة اليمنية شرحت أسباب رفع درجة التمثيل بيننا وبين أمريكا بقولى (إن الولايات المتحدة قد ضربت بإعترافها صفوف الأعداء ، وأكدت للجميع أنه لا مفر من الإعتراف بالحقيقة) (الأهرام ٢١ ديسمبر ١٩٦٢) .

وهكذا احتلت الجمهورية اليمنية مقعد اليمن في منظمة الأمم المتحدة وفي يوم الجمعة ٢١ ديسمبر ١٩٦٢ عندما دعا رئيس الجمعية العمومية رئيس وفد الحكومة اليمنية الأستاذ محسن العيني إلى إلقاء خطابه أمام الجمعية بينما كان ممثل إمام اليمن المخلوع (السيد أحمد محمد الشامى) يحمل أوراقه ويخرج من مبنى الأمم المتحدة فى صورة مهينة .

ووصلتني برقية من الأستاذ محسن العيني قال فيها :

(أهنئكم على نجاح جهودكم السياسية العظيمة التى أدت إلى إعتراف الأمم المتحدة بحكومة الجمهورية العربية اليمنية وأدعو الله أن يحفظكم ويرعاكم وبيد توفيقه لكم حتى تحققوا بقية آمال الشعب اليمنى) .

فأرسلت إليه ردا قلت فيه :

(أشكركم على شعوركم العظيم وأشاركم الإبتهاج بهذا الإنتصار الدولى الساحق وأدعو الله أن يوفقكم فى إطلاع العالم على صورة الشعب اليمنى الحقيقية التى مسخها حكام اليمن السابقون ، كما أتمنى لكم التوفيق فى شرح آماله العريضة المتطلعة إلى السلام والتعاون مع جميع الدول التى تسعى إلى تحقيق رفاهية الجنس البشرى ، وأن الشعب اليمنى وهو يعيد صياغة تاريخه ويصح مسار حياته سوف يذكر بكل فخر جميع الرجال الذين وقفوا معه ساعة ميلاد هذا المستقبل العظيم) .

حاولت إحدى الدول إثارة زوبعة حول إعتراف الأمم المتحدة بحكومة الثورة اليمنية على أساس أن القوات المصرية تتدخل فى شئون اليمن الداخلية ، وأنه لولا هذا التدخل لسقطت حكومة الثورة فرد على ذلك رئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة السيد محمود رياض قائلا :

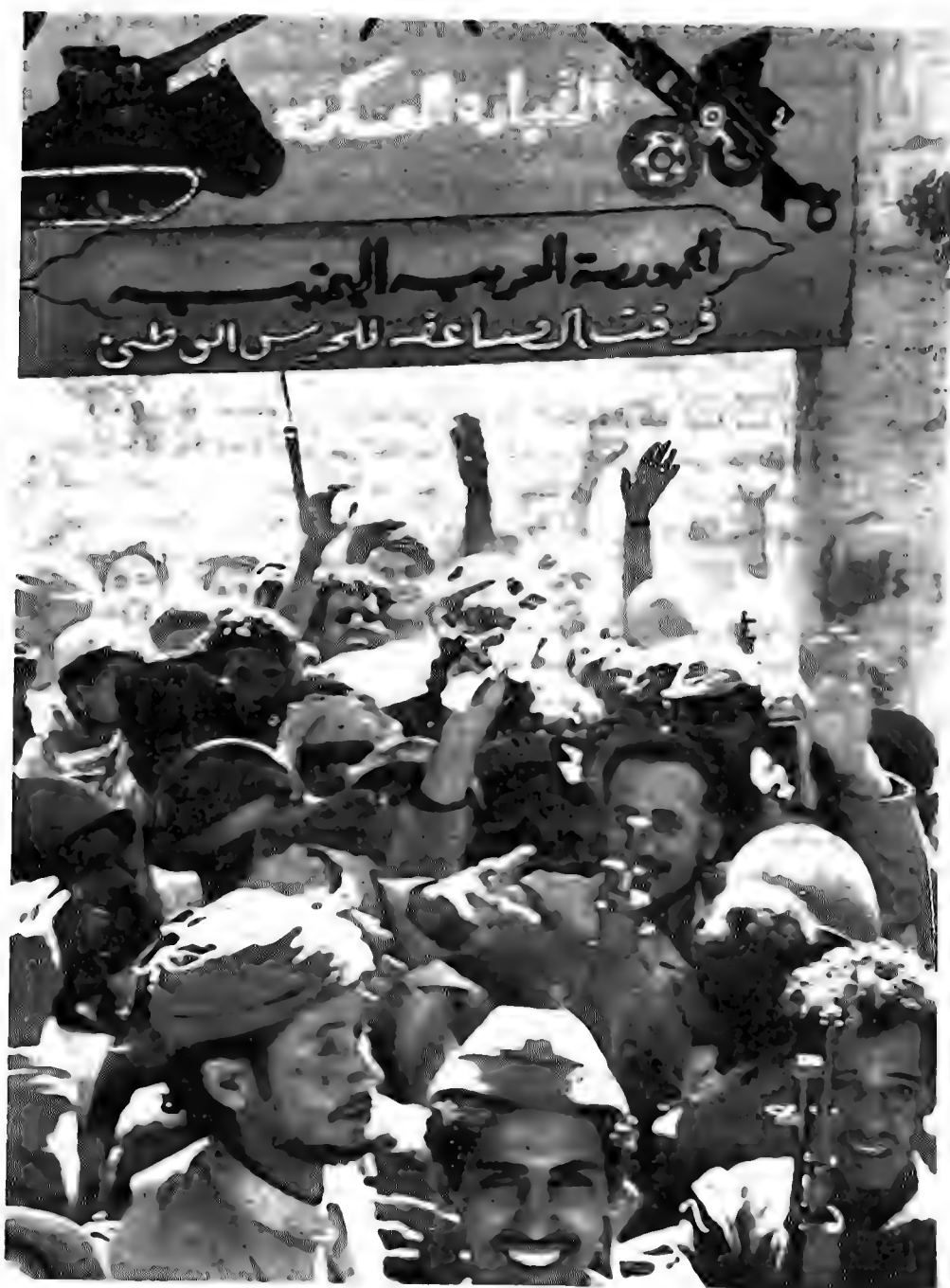
(كان طبيعيا أن يتعاطف شعب الجمهورية العربية المتحدة مع شعب اليمن وحكومته الثورية ويشاركه في تصميمه على تحقيق آماله وخلق مجتمع متقدم) واستطرد قائلا (لقد قيل أن قوات الجمهورية العربية المتحدة في اليمن تتدخل في الشؤون الداخلية للجمهورية اليمنية وليس هناك ما هو أكثر مخالفة للواقع من ذلك ، إذ أن الجمهورية العربية المتحدة أرسلت قواتها إلى اليمن بناء على طلب الحكومة اليمنية وقد وضعت هذه القوات تحت القيادة العليا للجيش اليمني بغرض واحد هو تمكين الشعب اليمني من ممارسة حقه الفطري في الدفاع عن النفس في حرب شنها أعداء الثورة من الخارج) .

في ذلك اليوم صدر بيان في العاصمة الكندية (أوتاوا) على لسان هوارد جرين وزير الخارجية يعلن إعراف الحكومة الكندية بالجمهورية العربية اليمنية .

وأذاع راديو صنعاء أننى طلبت من الحكومة الإيطالية قرضا قيمته ستة وخمسين مليون دولار وقروضا أخرى من الحكومة الأمريكية لمساعدة اليمن على تنفيذ مشروعات النمو الإقتصادي . وكانت إذاعة هذا الخبر من جانبنا جزءاً من حملة إثبات سعينا إلى النهوض بمستوى معيشة الشعب اليمني وعنصرنا من عناصر إلحاق الهزيمة النفسية في صدور أعداء الجمهورية اليمنية .

أعلن الملك حسين في نفس اليوم أنه قد بدأ في سحب قواته من الحدود اليمنية وخاصة أطقم مدافع الهاون ، كما أذاعت الحكومة السعودية أنها ليست لديها قوات داخل اليمن حتى تسحبها . بينما أعلن جمال عبد الناصر في بورسعيد أن مصر قد فقدت حتى ذلك اليوم ١٣٦ شهيدا من بينهم ٢١ ضابطا و ١١٥ جنديا .

وكان المفروض أن تكون هذه الأرقام آخر الخسائر المصرية في اليمن ، بعد أن بدأنا مرحلة الاستقرار السياسي وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية متعهدة بحفظ السلام في شبه الجزيرة العربية ، ومساعدة الحكومة اليمنية على النمو والإزدهار ، الأمر الذي قامت الثورة اليمنية من أجله ، وذهبت القوات المصرية إلى اليمن سعيا إلى تحقيقه .



المؤلف يزور ثكنات الحرس الوطني



أدى حصولنا على الاعتراف الأمريكي إلى أعتراف الأمم المتحدة بنا حيث كان عدد الدول المعترفة بنا أقل كثيرا من ثلث عدد الدول التي وافقت على طرد ممثل الإمام المخلوع واحتلالنا مقعد اليمن في الأمم المتحدة خلال يومين اثنين من الاعتراف الأمريكي بالجمهورية اليمنية ، مما يؤكد ثقل الوزن الأمريكي العالمي الذي كنت حريصا أشد الحرص على جذبه إلى صفنا ، لا سيما أننا لسنا شيوعيين وبذلك لا يوجد تناقض جوهرى بيننا وبين أمريكا ، ولم يكن لدينا ما نخشى عليه سوى أرضنا القاسية التي لا تبسم لنا بالقدر الذى يسرنا إلا إذا حققنا عليها السلام واستفدنا من المساعدات الدولية التي تقف منها أمريكا موقف الصدارة .

وبقيت أمامنا مشكلة الإسراع فى الحصول على الاعتراف البريطانى بنظامنا الجمهورى فاستدعيت كريستوفر جاندى الوزير المفوض البريطانى المقيم فى تعز فى يوم الإثنين ٢٤ ديسمبر ١٩٦٢ للحضور إلى صنعاء وحددت له موعدا لمقابلتي الساعة العاشرة من صباح الأربعاء ٢٦ ديسمبر ١٩٦٢ ، وكلفت الإذاعة اليمنية بأن تذيع عدة مرات فى نشرة الأخبار أن مجلس وزراء اليمن بحث موضوع العلاقات مع بريطانيا وإعادة النظر فى موقف الدول التى لم تعترف بحكومة الثورة ولا يزال ممثلوها موجودين فى اليمن .

وفى صباح ذلك اليوم أذاع راديو صنعاء أن (كريستوفر جاندى الوزير المفوض البريطانى سوف يصل إلى صنعاء لمقابلة الدكتور عبد الرحمن البىضانى بناء على دعوة نائب رئيس الجمهورية اليمنية ووزير خارجيتها لبحث العلاقات السياسية بين حكومتى اليمن وبريطانيا بعد أن قام مجلس وزراء اليمن بمناقشة هذا الموضوع يوم الإثنين) .

كان هدفى من إذاعة ذلك الخبر مع إبراز أهمية مناقشته فى مجلس الوزراء أن يحاط الوزير المفوض البريطانى علما بأن صبرى أوشك أن ينفذ مع طول إنتظارى لإبسامة الأسد البريطانى ، وأن صدرى كاد يضيق ببقاء مفوضية بريطانية فى اليمن لا تعترف بالحكومة التى تمنحها جميع الإمتيازات الدبلوماسية على أرضها وتحت حمايتها ، على أمل أن يتهيأ الوزير البريطانى نفسيا للمفاجأة التى أعدتها له فى تلك المقابلة .

ولم يكن عندى أدنى شك فى أن بريطانيا لا تستطيع أن تقف وحدها ضدنا فى المعركة السياسية الدولية ، بعد أن انتزعت من جانبها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ومعها

المملكة العربية السعودية والأردن ، وبعد أن انتزعت من الإمام المخلوع مقعد اليمن في الأمم المتحدة ، وأصبحت أتلقي يوميا إعراف دول العالم بنا ، مما حاصر الحكومة البريطانية في موقف معزول في الساحة الدولية ، لا تسنده أية مبررات عقلانية .

حددت للوزير البريطاني موعدا لمقابلتي في يوم الأربعاء ٢٦ ديسمبر ١٩٦٢ وهو اليوم الذي كان من المقرر أن ترفع فيه منظمة الأمم المتحدة علم الجمهورية العربية اليمنية فوق مقرها وتنزل علم الملكية القديم ويقدم الأستاذ محسن العيني أوراق اعتماده كأول مندوب دائم للجمهورية اليمنية لدى المنظمة . وقبل أن أستقبل الوزير البريطاني في مكتبي احتفلت بمناسبة رفع علم اليمن في الأمم المتحدة حيث عقدت مؤتمرا صحفيا في صنعاء كجزء من الحملة الدبلوماسية في مواجهة بريطانيا ، وأعلنت في ذلك المؤتمر أن (الإستعمار يريد أن يقضى علي ثورة اليمن لأنه لا يتصور قيام جمهورية متحررة من كل قيد في الجزيرة العربية ، لأن قيام جمهورية في اليمن تؤمن بالوحدة والقومية العربية لا يعني شيئا سوى القضاء على الاستعمار في كل أنحاء هذه الجزيرة) (الأهرام ٢٧ ديسمبر ١٩٦٢) .

اليمن تطالب بريطانيا بتفسير رسمي لوقفها من الثورة

صنعا في ٢٦ - لبراسل الأهرام - طلبت حكومة في الثورة في اليمن تفسيراً رسمياً من بريطانيا من موقفها من الثورة وعلى بنلى أن يلقى لها موفضية في اليمن لمدة ثلاثة اشهر تلك فيها بكل الاستبازات الدبلوماسية يوسع تلك لم تمنع بعد بجمهورية اليمن ، وإنما استعرت في تهريب الأسلحة والمسلحين للامة الثورة .

وقد جاء هذا الطلب في الاجتماع الدكتور عبد الرحمن البيهاسي وزير الخارجية مع كريستوفر جيتري ممثل بريطانيا . ولتصريح الدبلوماسي البريطاني الى امرين : نصريح المحدث الرسمي البريطاني من مصابر الامتزاز بالنقل ، والاخبار الكاذبة التي يرددها راديو لندن بغلا عن الادعاء مسان ومكة واسرائيل .

كما استقبل وزير الخارجية اليمني سبوكلاي سولنكي ممثل الاتحاد السوفيتي بواظنه على الموقف العسكري على حدود اليمن ونسفل بريطانيا وقال البيهاسي في مؤتمر صحفي بعد ذلك ، ان استمرار النقل البريطاني قد يفسر حكومة الثورة لمواجهة العدوان بتدابير اخرى .

رفع علم جمهورية اليمن فوق مقر الامم المتحدة



ليوم ٢٦ - من اليوم كيتشيان قد: العيني أوراق اعتماده كمنسوب دائم لجمهورية اليمن لدى الامم المتحدة الى بولتات السكرتير العام للمنظمة الدولية وقد ازل اليوم العلم القديم قلم من فوق مقر الامم المتحدة ورفع بعله علم الجمهورية العربية اليمنية للابنية صفحة ٢ عمود ٦

الأهرام ٢٧ ديسمبر ١٩٦٢ (الصفحة الأولى)

بعد إنتهاء المؤتمر الصحفي الذي عقدته في مكتبي بالقصر الجمهوري استقبلت كريستوفر جاندی الوزير المفوض البريطاني في اليمن الذي أبلغه الصحفيون البريطانيون مضمون تصريحاتي في ذلك المؤتمر ، وقد بادرنى بقوله أنه يدرك مدى الحرج الذي أشعر به من تأخر الإعراف البريطاني بحكومة الثورة اليمنية حتى ذلك التاريخ .

شكرته على صدقه مع نفسه ، وأشدت بأمانته في بذل كل ما أمكنه من جهد نحو إقناع حكومته بأهمية الإعراف بحكومة الثورة اليمنية ، وبعد أن أكدت له حرصى على قيام علاقات صداقة متينة مع حكومته طلبت منه أن يسألها عما إذا كانت الثلاثة أشهر التي تمتعت خلالها مفوضيتها في اليمن بجميع الإمتيازات الدبلوماسية تحت حماية ورعاية

حكومة الثورة غير كافية لإقناعها بأن هذه الحكومة هي الحكومة الشرعية الوحيدة في اليمن ؟ وإذا كانت الحكومة البريطانية تعتقد أن في اليمن حكومة شرعية أخرى غير حكومة الثورة فلماذا لم تنقل مفوضيتها إلى أراضيها ؟

قلت للوزير البريطاني أننا نراقب الأعمال العدوانية التي تقوم بها حكومته ضد حكومة الثورة اليمنية ، ونحصى عليها قيامها بتهريب الأسلحة والذخيرة والأموال إلى المتمردين مع تزويدهم بالخبراء والفنيين والمدربين ، كما أننا نتابع الإستماع إلى إذاعتها المعادية لنا التي تردد أكاذيب وإذاعات الدول التي تشهر بشعب اليمن ، ومع كل ذلك نتجاهل ما تراه عيوننا وتسجله أذاننا على أمل أن تقتنع الحكومة البريطانية بأنه لا فائدة من هذه الأعمال العدوانية ، التي لا يمكن أن تعيد الشعب اليمني إلى الماضي المتخلف بعد أن كفر فوق حواجز المستقبل الناهض .

أكدت للوزير البريطاني أنني لا أتصور أن تكون بريطانيا العظمى راغبة حقا في إعادة عقارب الزمن إلى الوراء لأن عظمة بريطانيا يمكن أن تتجلى أكثر عندما تتجارب عقلايا مع المتغيرات العالمية ، فتختار لنفسها مواقع سياسية جديدة تستطيع من فوقها أن تحقق منافع أكثر أو أقل مما كانت تحققه من المواقع القديمة التي أصبحت في ذمة التاريخ ، حتى لا تجد نفسها وقد خسرت الأكثر والأقل وهي متشبثة بذيول الماضي بينما لا تمسك بأي خيط من خيوط المستقبل .

أوضحت للوزير البريطاني أنني مع شدة حرصى على صداقة بريطانيا فإننى أكثر حرصا على سلامة بلادى وأهداف شعبها الذى شرفنى بالتحدث بأسمه فحملنى مسئولية تحديد علاقاته مع أصدقائه الذين يقفون معه ، وغيرهم الذين يقفون ضده .

ختمت حديثى معه راجيا أن يقوم بإبلاغ حكومته بتفاصيل هذا الحديث على أمل أن أحاط علما ، وفى أسرع وقت ممكن ، بما إذا كانت الحكومة البريطانية تختار أن تكون من أصدقاء الشعب اليمنى أو من غير هؤلاء الأصدقاء .

لم يكن عندى أدنى شك فى أن كرسوفر جاندى الوزير المفوض البريطانى كان متعاطفا مع حكومة الثورة أعظم التعاطف ، ولعله كان يشعر بكثير من الحرج عندما كنت أجهد ذهنى فى حسن اختيار الألفاظ وأنا أتحدث عن حكومته التي كنت أطلب ودها وهي تطلب رأسى ، ولعله كان يريد أن يسمع منى ألفاظا أخرى يرسلها إلى حكومته فيوقفها من غفلة القرون الوسطى .

كان شأنه فى ذلك شأن كل مواطن بريطانى استضافته فى اليمن وأطلعته على أحوال شعبها فلا يملك غير أن يبدي أسفه على ما يراه فى اليمن فى النصف الثانى من القرن العشرين ، فيثور معنا على حكام اليمن الذين دفنوا هذا الشعب تحت أنقاض تاريخه المجيد الذى هو كل ما كان يعرفه الأجانب عن اليمن .

تجاوب معى كرسوفر جاندى ممثل بريطانيا ، مثل ما تعاطف معى جميع أعضاء الوفد البرلمانى البريطانى الذين أصبحوا منابر يمنية ثورية على إمتداد الساحة البريطانية . وقبل

أن يخرج الوزير البريطاني من مكتبى أمسكت بتمثال الطائر الأبيض الذى أهداه لى الوفد البريطانى وقلت أننى قد وضعته فى أبرز مكان فى مكتبى ليذكرنى بصداقة الشعب البريطانى ، وأن أخطر ما أخشاه هو أن تحطمه الحكومة البريطانية عمداً أو على سبيل الخطأ .

بينما كنت أتحدث مع الوزير البريطانى كان ينتظرنى فى الغرفة المجاورة نيكولاى سولتسكى السفير الروسى فى اليمن الذى اطلعته على الموقف العسكرى على حدود اليمن ، وأفهمته أن حكومة الثورة اليمنية تبذل كل ما فى وسعها من أجل تحقيق السلام على أرضها ، وهى فى سبيل ذلك لا تبخل بأى جهد لإطفاء نار الشكوك من حولها ، رغبة فى توفير المناخ المناسب لتنفيذ مشروعات النهوض الحضارى لشعبها وهو الهدف الأول والأخير من أهداف الثورة . وشرحت للسفير الروسى الأسباب التى تجعلنى أعتقد أن استمرار المعارك الحربية على أرض اليمن ليس فى مصلحة الثورة التى تعاني من قصور خطير فى وعى الكثيرين من رجال القبائل الذين يتوقف عليهم حياة الثورة وموتها فى الشهور الأولى لميلادها .

أوضحت للسفير السوفيتى أن التركيب العضوى للشعب اليمنى تركيب بالغ التعقيد ، تسوده مخلفات ألف ومائة عام غرست فى أبنائه تصورات إقليمية وعنصرية وطائفية لا تتفق مع حاجته الملحة إلى رفع مستوى معيشته والإرتقاء به إلى حضارة القرن العشرين ، وهذه المخلفات هى الساحة الحقيقية التى يقاوم عليها أعداء الثورة ولذلك فإننى لا أشعر بالاستقرار من مجرد الاطمئنان على (الحدود الدولية اليمنية) التى فى وسعنا أن نستورد لها السلاح من الاتحاد السوفيتى والقوات العسكرية من مصر فنرصعها بالدبابات والمدافع والطائرات ، طالما كنت قلقا على (الحدود النفسية اليمنية) التى لا تستطيع أن نحملها بمثل هذه الدبابات والمدافع والطائرات ، لأن هذه الأسلحة يمكن أن تتجه إلى صدورنا إذا اخترق أعداء الثورة هذه الحدود النفسية وهم يتقنون إثارة المصالح الذاتية التى تغلفها الشعارات العنصرية والطائفية والحزبية .

قلت للسفير السوفيتى أنه عندما يكون فى موقفى مسئولاً عن سياسة حكومة الثورة الخارجية يجد نفسه مضطراً إلى محاولة كسب أكبر عدد ممكن من خصومها حتى يمر الوقت ، يوماً بعد يوم ، فيتذوق الشعب اليمنى حلاوة أهداف الثورة ويكتسب المناعة الذاتية ضد كل إثارة خارجية أو داخلية تعزف على الأوتار العنصرية والطائفية والحزبية .

ومادامت السياسة الخارجية لأية دولة من الدول هى فن قيادة سفيتها وسط الأمواج والصخور والرياح حتى تشق طريقها نحو بلوغ أهدافها ، فإننى وأنا أقود سفينة الثورة اليمنية ، بين أعداد لا تحصى من الصخور الصلبة القاسية وأعاصير لا تهدأ من الأمواج العاتية والدوامات القاتمة ، ينبغى ألا ينسينى الدفاع عن أحلام الجمهوريين أهمية الدفاع عن دماء اليمنيين . وهو ما يجعلنى استخدم كل الوسائل السياسية والعسكرية لحقن الدماء فى اليمن .

لاحظ السفير السوفيتى أننى كنت أخفف عليه وقع المحاولات المتواصلة لكسب صداقة بريطانيا بعد أن نجحنا فى كسب صداقة أمريكا مما يعنى أننا مقبلون على سلام مع

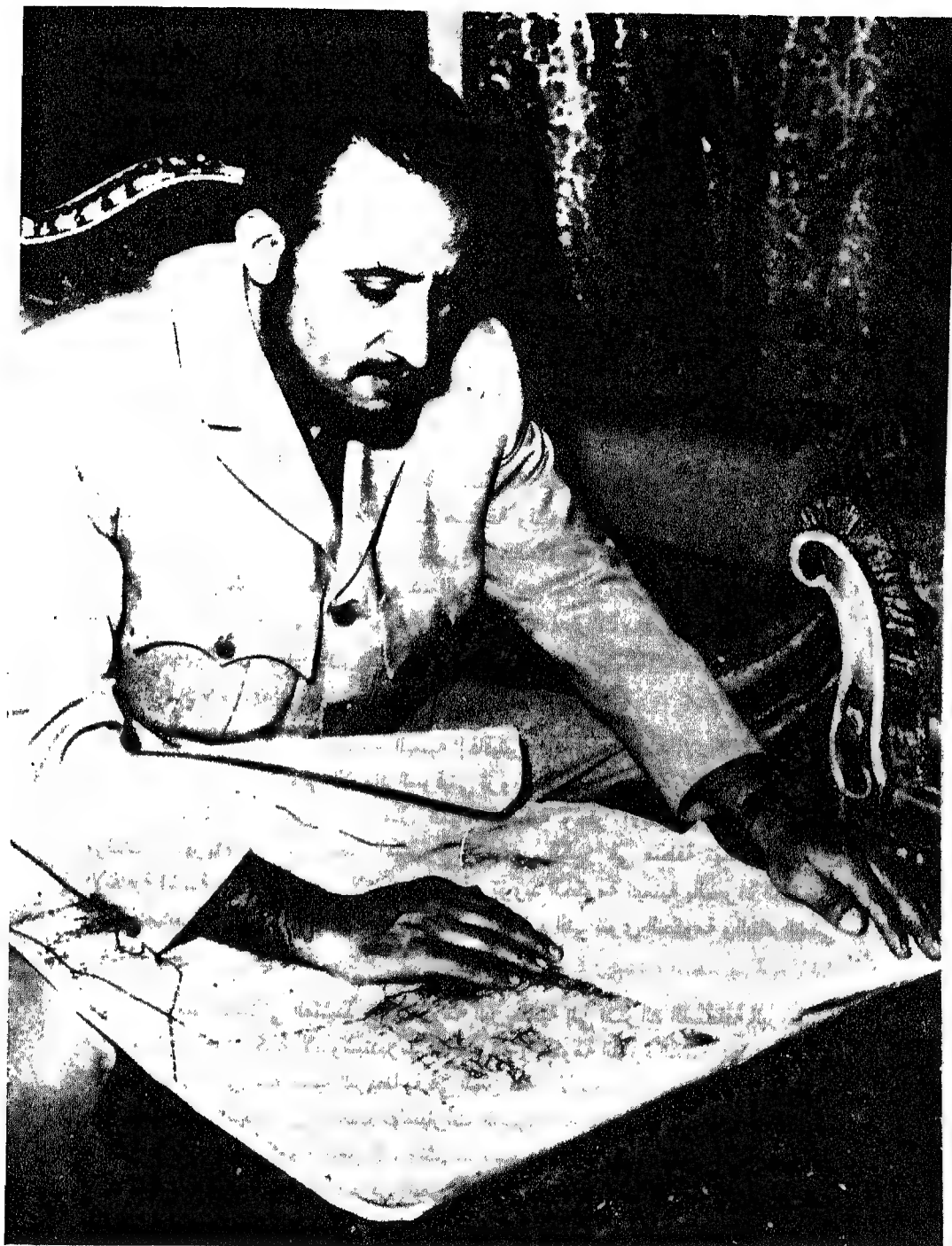
القوى المؤثرة في الحرب الدائرة على الأراضي اليمنية . ولا شك في أن الإتحاد السوفيتي كان يتطلع إلى إشتداد القتال في اليمن وإمتداد المعركة خارج أراضيها ، لأن ذلك وحده يؤدي إلى مضاعفة احتياج اليمن إلى الأسلحة السوفيتية كما يؤدي بمرور الوقت إلى إحتياجها إلى تدريب أبنائها من رجال القوات المسلحة في الإتحاد السوفيتي وبذلك يتم التوسع في إنشاء خلايا شيوعية يمنية مسلحة في وقت تتسع فيه ساحة القتال في الجزيرة العربية بتشجيع العناصر المصرية ذات العلاقة السوفيتية .

وحتى لا يستبد القلق بالسفير السوفيتي من جلستى الطويلة مع الوزير المفوض البريطاني ذكرته بموعدهم توقيعا على اتفاقيتين إقتصاديّتين في اليوم التالي كما عقدت مؤتمرا صحفيا بعد انتهاء اجتماعي مع السفير أعلنت فيه (إن استمرار التدخل البريطاني قد يضطر حكومة الثورة إلى مواجهته بتدابير أخرى) . (الأهرام ٢٧ ديسمبر ١٩٦٢) .

كانت الصحف الأمريكية في طليعة الصحافة العالمية التي دعمت موقفى الجديد المتشدد مع الحكومة البريطانية فنشرت صحيفة واشنطن بوست مقالا افتتاحيا في يوم الخميس ٢٧ ديسمبر ١٩٦٢ أثنت فيه على قرار الحكومة الأمريكية بالإعتراف بحكومة الثورة اليمنية وقالت (إن ذلك الإعتراف الرسمى يعد انتصارا للعقل) وأشارت الصحيفة إلى (إن الأمم المتحدة وغالبية دول العالم العربى قد اعترفت بجمهورية اليمن) وقالت (إن شعب اليمن يجب أن يعطى فرصة التصرف فى شؤونه الداخلية بطريقته الخاصة) .

فى ذلك اليوم وقعت الحكومة اليمنية إتفاقيتين إقتصاديّتين مع الإتحاد السوفيتي ، تنص الأولى على أن يتولى الإتحاد السوفيتي تزويد الحكومة اليمنية بالخبراء الزراعيين والمهندسين المتخصصين فى أعمال المياه الجوفية وحفر الآبار الإرتوازية وإقامة مولدات الكهرباء اللازمة لتنفيذ المشروع الزراعي الكبير فى منطقة تهامة . وتنص الإتفاقية الثانية على أن يتولى الإتحاد السوفيتي تزويد الحكومة اليمنية بالخبراء اللازمين لإنشاء مكتب فنى يقوم بدراسة المشروعات والمصانع التى تنوى الحكومة والبنك اليمنى للإنشاء والتعمير تنفيذها .

أدى موقفنا العقلانى المتشدد مع الحكومة البريطانية إلى اشتراك الصحافة البريطانية فى تأييدنا فأذاعت وكالة الأسوشيتدبرس للأنباء أن (حكومة الثورة اليمنية هددت بطريق غير مباشر بإغلاق المفوضية البريطانية فى اليمن نظرا لإستمرار بريطانيا فى موقفها من ثورة اليمن إذ ألمحت إلى سحب الإمتيازات الدبلوماسية من المفوضية ما دامت تمثل حكومة لا تعترف بحكومة اليمن) . ونشرت صحيفة التايمز البريطانية خبرا قالت فيه (إنه يمكن الآن لحكومة الثورة فى اليمن أن تطلب ضروره مغادره كرسنوفر جاندى ممثل بريطانيا عن الأراضي اليمنية) .



الدكتور البيضاى يتابع تطورات المارك
الحربية على الخريطة .

(منقولة من كتاب مخبر وراء ١٠ ثورات للأستاذ موسى صبرى)



شعرت إسرائيل بنجاحنا في معركة السياسة الدولية ، وتأكدت من أننا قد انتزعنا إلى صفنا الرأي العام العالمي من بين أنيابها ومخالبها ، فضاغت من حملتها الإعلامية ضدنا حتى تستغلها في الحصول على المزيد من المساعدات الأمريكية وغير الأمريكية تحت قناع الحفاظ على توازن القوى في الشرق الأوسط . وتحت هذا القناع وعلى صراخ إسرائيل قام السياسي الأمريكي جاكوب جافيتش عضو مجلس الشيوخ الأمريكي ، بزيارتها يوم الجمعة ٢٨ ديسمبر ١٩٦٢ ، وفي خطاب القاه في إجتماع عام عقد في تل أبيب بعد إجتماعه بديفد بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل قال :

(إن أمريكا ستعمل بالتأكيد بما تقدمه من مساعدات عسكرية لإسرائيل في المستقبل على أن تضع في حسابها استياء إسرائيل من إعراف أمريكا بثورة اليمن التي تناصرها الجمهورية العربية المتحدة حتى يكون هناك توازن بين ذلك الإعراف وبين الأسلحة التي ستقدمها أمريكا إلى إسرائيل) .

هذا التصريح وضع الإمام البدر المخلوع وكل أعوانه في مأزق تاريخي خطير لأنه وضع كل هؤلاء كما لو أنهم يقفون في خندق واحد مع إسرائيل حيث جمع بينهم غضبهم على أمريكا عندما اعترفت بحكومة الثورة اليمنية ، إلى الحد الذي جعلهم يدسون إلى إذاعة لندن أخبارا كاذبة روجتها يوم الثلاثاء أول يناير ١٩٦٣ حين أذاع راديو لندن (إن العمليات الحربية ضد ثورة اليمن تدار من نجران في السعودية ، وأن الأمير السابق محمد بن الحسين (ابن عم البدر) قد اتخذ من منطقة نجران قاعدة لغزواته ضد ثورة اليمن) .

أرسلنا طائراتنا لإستطلاع الموقف في هذه المنطقة حتى لا نفاجأ بغزوة أخرى داخل عمق أراضينا فتأكدنا من عدم وجود هذه التجمعات المعادية ، ورغم ذلك استغلت العناصر المصرية ذات العلاقة السوفيتية هذه الأخبار الكاذبة وأرسلت قاذفات قنابل ثقيلة (تبيلوف) من مطار غرب القاهرة فدكت منطقة نجران .

على إثر ذلك أصدرت وزارة الخارجية الأمريكية بيانا يوم الخميس ٣ يناير ١٩٦٣ أعربت فيه عن قلقها من قيام القاذفات المصرية بإلقاء قنابلها على إحدى الواحات السعودية في نجران وقالت :

(أنها تأسف لوقوع هذه الحوادث التي تهدد بتوسيع النزاع اليمني) وأنها (تتمتع بعلاقات ودية وثيقة مع الحكومة السعودية وأنها مهتمة بصون سلامتها وسلامة الدول الأخرى بالمنطقة ، وهى إذ تراقب هذه الحوادث والتدابير الأخرى التى تمثل تأييدا خارجيا للعمل العسكرى الذى يجرى داخل اليمن فإنها تظل مقتنعة بوصفها صديقة غير متحيزة لجميع الحكومات صاحبة الشأن بأن خير ما تخدم به الشعب اليمنى هو خروج القوات العسكرية الأجنبية وإنهاء التدخل الخارجى) .

وأجاب لنكولن هوايت وكيل وزارة الخارجية الأمريكية بأن (الجمهورية العربية المتحدة وعدت بأنها ستسحب قواتها من اليمن فى الوقت الذى تتوقف فيه المساعدات التى تتلقاها القوات الملكية من السعودية والأردن) وأضاف (إن الموقف لسوء الحظ هو أن الإنسحاب لم يتم وأن المساعدات للملكيين لم تتوقف وهذا لا يعنى أن نكف عن بذل جهودنا فى سبيل وقف هذه المساعدات وضمان الإنسحاب فى أقرب وقت ممكن) .

طلبت القائم بأعمال السفارة الأمريكية وأكدت له ترحيب الحكومة اليمنية ببيان وزارة الخارجية الأمريكية المتوازن غير المتحيز ، وناشدت حكومته أن تنفذ على وجه السرعة ما تضمنه ذلك البيان وما جاء على لسان لنكولن هوايت من بذل جهودها فى سبيل وقف هذه المساعدات . وذكرت له أن الرئيس جمال عبد الناصر أبدى عدة مرات رغبته فى عودة القوات المصرية من اليمن إلا أن الرئيس السلال وأنا قد ناشدناه أن يؤجل عودتها حتى يتأكد وقف المساعدات الأجنبية لفلول الإمام المخلوع ، وقد وعد جمال عبد الناصر أن يبقيا عندنا حتى موعد أقصاه آخر يناير ١٩٦٣ وبعد ذلك يبدأ فى إعادتها إلى مصر .

لم أبالغ عندما قلت ذلك للقائم بالأعمال الأمريكى ، كما لم أفش له سرا ، ذلك لأن أنور السادات كان قد اتفق معى على نقل هذا الخبر إلى القيادات اليمنية المسؤولة حتى تبدأ فى الاعتماد على نفسها لأن الرئيس السلال كان يعارض فى عودة القوات المصرية من اليمن فى أى يوم من الأيام ، وكان الحل الوسط الذى اقترحته من جانبى بحضور المشير عبد الحكيم عامر وأنور السادات واللواء أنور القاضى قائد القوات المصرية فى اليمن أن نكتفى بالقوات المدرعة المصرية والطيران المصرى لحماية العاصمة صنعاء وميناء الحديدة وطريق الحديدة صنعاء وأن نبدأ فى تكوين جيش المشاة من المتطوعين اليمنيين حتى نضمن ولاءهم للجمهورية فلا يقومون باستخدام أسلحتنا ضدنا . وبذلك يقل عدد القوات المصرية إلى أدنى حد ممكن ونتلافى الخسائر فى أرواح أفرادها وهم داخل مدرعاتهم ، ويتحمل المشاة اليمنيون مسئولية التصدى لأعمال التمرد وقطع الطرق الرئيسية ، على أن نضع فى إعتبارنا أن احتمال قيام تجمعات معادية للثورة فى بعض المناطق النائية يجب ألا يشغل بالنا لأنها لا تؤثر فى بقاء الجمهورية ولا فى عودة الإمامة . وعندئذ نركز جهودنا فى الإصلاحات العمرانية التى تلفت الأنظار وتحقق الاستقرار .



المؤلف يحاول إقناع المشير عبد الحكيم عامر والرئيس السلال بالاحتفاء بصفة مؤقتة
بالقوات المدرعة المصرية والطيران المصري وعودة بقية القوات المصرية إلى مصر
واستبدالها بجيش نظامي يمني من المتطوعين المدربين .

كنت أستبعد أحلام السلال فى أن تبقى القوات المصرية فى اليمن إلى مالا نهاية وكنت أخشى أن تضطر مصر لأسباب إقتصادية أو سياسية أن تسحب قواتها من اليمن فى وقت لا نكون فيه قد انتهينا من إنشاء جيش يمنى قوى يكون درعا لليمن وللأمة العربية كما جاء فى أهداف الثورة . وافقنى عامر والسادات لأن أقترأى يتمشى مع رغبة عبد الناصر فى عودة القوات المصرية من اليمن فاضطر السلال إلى الموافقة على ذلك ، حتى أصدر قرارا جمهوريا فى يوم الأربعاء ٢٦ ديسمبر ١٩٦٢ بفتح باب التجنيد للراغبين فى الجنديّة ، وتشكيل لجنة عسكرية للإشراف على إعداد جيش يمنى قوى وفقا لأحدث الأساليب . ووصل فعلا إلى اليمن العميد وحيد الدين رمضان كبير المدربين المصريين للإشراف على عمليات تدريب رجال الحرس الوطنى .

شرحت ذلك للقائم بالأعمال الأمريكى حتى تتأكد الولايات المتحدة الأمريكية من أن مصر عازمة حقا على سحب قواتها من اليمن على النحو المحدد فى بيانها الذى كان أحد شروط الاعتراف الأمريكى بحكومة الثورة اليمنية ، وأن هذه الحكومة يمكنها أن تعتمد على نفسها إذا ما استطاعت أمريكا إلزام السعودية والأردن بوقف مساعدتهما لفلول الإمام المخلوع .

أطمأن الممثل الأمريكى من هذا الإيضاح ، غير أن السيد على صبرى رئيس المجلس التنفيذى المصرى فى لقائه مع السفير الأمريكى بالقاهرة دكتور جون بادو استخدم ألفاظ التحدى شديدة اللهجة أثناء تعليقه على البيان الذى أصدرته وزارة الخارجية الأمريكية حيث قال :

(إن الحكومة الأمريكية تستطيع أن تعرف قبل غيرها طبيعة الاستعدادات التى تقوم بها الحكومة السعودية فى هذا التآمر العدوانى على ثورة اليمن ، وأن الطيارين الأمريكين العاملين فى خدمة الحكومة السعودية لا يمكن أن يكون نشاطهم سرا على الحكومة الأمريكية .. وأن حكومة الجمهورية العربية المتحدة لا تقيم أى وزن لبيانات الحكومة السعودية التى تقول فيها أنها لا تتدخل فى اليمن ولا تحشد عسكريا ضدها فى نجران ، ذلك لأن الحكومة السعودية نفسها أول من يعرف كذب هذه البيانات ولا تستطيع الجمهورية العربية المتحدة إلا أن تعتبر هذه البيانات محاولة دبلوماسية على الطريقة الملكية السعودية رخيصة بقدر ما هى منافقة) .

فى اعتقادى أن استخدام السيد على صبرى مثل هذه الألفاظ لم يكن جائزا ، لا سيما وقد تضمن البيان الأمريكى إعتراف الولايات المتحدة بأن المساعدات السعودية والأردنية لتجمعات الإمام المخلوع لم تتوقف وأنها ، أى الولايات المتحدة ، لن تكف عن بذل جهودها فى سبيل وقف هذه المساعدات ، فكان الأفضل أن يستخدم رئيس المجلس التنفيذى المصرى الألفاظ والعبارات التى تشجع أمريكا على بذل جهودها فى سبيل وقف هذه المساعدات لا سيما أن الرئيس جمال عبد الناصر كان يتعجل عودة قواته من اليمن .

ومن جهة أخرى كانت تصريحات السيد علي صبري تدخل سافرا في شئون اليمن ومناقضة لسياسة التهدة التي كان سيادته يعرف أنها السياسة التي اختارتها الحكومة اليمنية ، ومناقضة لتصريحات السيد محمود رياض مندوب مصر في الأمم المتحدة الذي أعلن أن مصر لا تتدخل في الشئون اليمنية. وقد أدلى علي صبري بهذه التصريحات بعد إطلاعه على حديثي مع القائم بالأعمال الأمريكي الذي كنت قد أرسلت نصه حرفيا إلى الرئيس عبد الناصر في برقية رمزية عاجلة .

وكرد فعل سريع لتصريحات السيد علي صبري انتقد الملك حسين في نفس ذلك اليوم سياسة أمريكا في الشرق الأوسط ، وقال الملك أن (إعترافها السابق لأوانه بالنظام الجمهوري في اليمن قد يؤدي إلى القضاء على الإستقرار في الشرق الأوسط) وقال (إن أصدقاء الولايات المتحدة في الشرق الأوسط قد أصيبوا بصدمة وألم من ذلك الإعتراف الأمريكي الذي وضعهم في موقف خطير) وأشار ملك الأردن بشيء من السخرية إلى سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في كوبا وقال أنها (إتخذت موقف الدفاع عن حقها وحق غيرها في العيش في مأمن من العناصر التخريبية ووجود أسلحة هجومية على مسافة قريبة منها) وقال (ولكن عندما ينطبق نفس المبدأ بالنسبة للشرق الأوسط تتجه الولايات المتحدة الأمريكية وباقي الدول الغربية بأنظارتها وجهة أخرى بينما تتم أعمال تخريبية ضد اليمن من الخارج ويتم غزوها بوحشية بنفس أنواع الأسلحة التي كانت في كوبا ومن نفس المصدر) .

أما على الجانب السعودي فكان رد فعل تصريحات السيد علي صبري هو قيام الحكومة السعودية بوضع قواتها المسلحة في حالة إستعداد للطوارئ بعد أن أعلن الأمير فيصل أنه صمم على أن يرد بالقوة على أي هجوم جديد تشنه القوات التابعة للجمهورية العربية المتحدة أو قوات جمهورية اليمن على الأراضي السعودية . وأذاع راديو مكة بلاغا صادرا من وزارة الدفاع السعودية يطلب من جميع الضباط وضباط الصف والجنود العودة إلى وحداتهم كما أصدرت الوزارة قرارا بإلغاء جميع الأجازات في القوات السعودية وتكليف شركة الخطوط الجوية السعودية باتخاذ التدابير اللازمة لنقل العسكريين فوراً إلى وحداتهم .

وفي صنعاء عقب السيد أحمد حسين المروني وزير الإعلام على إعلان الأمير فيصل التعبئة العامة في السعودية فقال (إن هذا الإجراء يعبر عن القلق الذي يساور فيصل من قيام ثورة في السعودية) وقال (إن جمهورية اليمن تعرف كيف تسحق أي عدوان يديره فيصل وأتباعه ونحن نعرف أي تعبئة يعينها فيصل ، إنها قوى إسرائيل والإستعمار) وأضاف (ونحن على ثقة من إيمان الشعب العربي في السعودية بالعروبة وبالثورة والتحرر) . (الأهرام ٥ يناير ١٩٦٣) .

سمعت تصريحات وزير الإعلام اليمني من صوت العرب فسأني أن تشترك الحكومة اليمنية في إشعال حريق يلزمنا إخماده ، فطلبت من السيد أحمد حسين المروني مقابلتني على الفور وشرحت له أبعاد موقفنا الدولي وكيف جاءت تصريحات الملك حسين

والأمير فيصل كردود فعل طبيعية لتصريحات السيد على صبرى اللازعة والمناقضة لسياسة الحكومة اليمنية والتي فات أوانها بعد أن تعهدت الولايات المتحدة الأمريكية ببذل مساعيها نحو إيقاف المساعدات السعودية والأردنية لفلول الإمام البدر المخلوع .

قلت لوزير الإعلام إننى سأستوضح من الرئيس عبد الناصر البواعث التي دفعت بالسيد على صبرى إلى الإدلاء بتلك التصريحات فى وقت يريد فيه إعادة معظم قواته إلى مصر ، وبعد أن بدأت عناصر الإستقرار تسيطر على معظم أنحاء الجمهورية اليمنية التي اعترفت بها الولايات المتحدة الأمريكية وأصبحت بريطانيا هى الأخرى على وشك الاعتراف بها ، علاوة على أن العناصر المصرية التي أمرت بضرب نجران لم تستشر القيادة اليمنية ، ولم يكن هناك أى مبرر للغارة الجوية على نجران ، لا سيما وأننا ونحن نعمل على تضميم الجراح القديمة ما كان لأصدقائنا أن يفتحوا علينا جراحا جديدة .

بالرغم من هذا الشرح الواضح قال وزير الإعلام الذى كان قد وصل من بغداد أن الرئيس عبد الكريم قاسم يرغب فى إرسال قوات عراقية لمساعدة الثورة اليمنية وأن العراق على إستعداد لنقل قواتها وتسليحها والإنفاق عليها فى اليمن . بحث هذا العرض العراقى مع السلال الذى وافقنى على أننا لم نكن فى حاجة إلى قوات عربية أخرى فى اليمن علاوة على أن الخصومة التي كانت سائدة بين الرئيسين عبد الناصر وعبد الكريم قاسم يمكن أن تؤدى إلى افتتال فيما بين القوات المصرية والعراقية على أرض اليمن ، فضلا على أننا كنا نسعى إلى إقرار السلام عن طريق الجهود الدولية إلى جانب الجهود اليمنية .

كان وزير الإعلام اليمنى يسعى إلى إقناعنا بالإستعانة فى اليمن بقوات عراقية حتى تتصارع مع القوات المصرية على أرض اليمن لأنه يعلم أن ذلك يؤدى إلى إجهاض الثورة اليمنية ولعله كان يريد إجهاضها فعلا لأسباب عنصرية كما أنه عندما عرض علينا ذلك العرض مؤكدا أن العراق سوف تتحمل تكاليف قواتها فى اليمن كان يريد أن يتحاشى الأسباب التي استندت عليها عندما رفضت العرض الذى سبق أن نقله إلينا وزير العدل اليمنى القاضى عبد الرحمن الاريانى عندما عاد من الجزائر ، وقال لنا أن الرئيس أحمد بن بىلا قد أبدى إستعداده لإرسال قوات جزائرية لمساعدة ثورة اليمن ، وقال أنه أبلغ ذلك إلى اللواء أنور القاضى قائد القوات المصرية فى اليمن الذى رحب بالقوات الجزائرية ، فأوضحت لمجلس الوزراء أن الجزائر لا تملك الإمكانيات المادية التي تمكنها من ذلك حيث كنت على علم سابق بأن مصر هى التي سددت مرتبات الشهور الأولى للجيش الجزائرى بعد نجاح الثورة فى إستلام السلطة . فقال القاضى الاريانى أن الرئيس بن بىلا عرض فقط إرسال الرجال على أن تقوم مصر بنقلهم إلى اليمن وتسليحهم والإنفاق عليهم . فقلت إننا لم نكن فى حاجة إلى مزيد من الرجال وقد بلغ أفراد الحرس الوطنى أكثر من مائة وخمسين ألف متطوعا ينتظرون تدريبهم وتنظيمهم وتسليحهم وقد تم الإنفاق على ذلك فعلا مع الجمهورية العربية المتحدة التي رحبت بإنشاء جيش يمنى حديث وسحب معظم قواتها من اليمن والإكتفاء فى المرحلة الأولى بالقوات المدرعة والقوات الجوية حتى يتم إنشاء وحدات مدرعة يمنية وتدريب الطيارين اليمنيين .

فى مساء ذلك اليوم تناول وزير العدل القاضى عبد الرحمن الاربانى طعام العشاء على مائدتى ليشرح نتائج زيارته لرؤساء الدول العربية الذين زارهم على رأس الوفد اليمنى ، وتطرق الحديث إلى الإستقرار الذى بدأ يسود اليمن فأبدى قلقه من النشاط الهدام الذى يقوم به الشيوعيون من جهة والهاشميون من جهة أخرى ، ونصحنى بإتخاذ الإجراءات اللازمة للحد من نشاط أولئك وهؤلاء .

قلت له إننى أراقب نشاط الشيوعيين ولم تحصل دوائر الأمن على أى دليل لإدانة أحدهم سوى أنهم يروجون مفاهيم لا يدركون معانيها ويترددون على رعايا دول الكتلة الشرقية ، الأمر الذى لا يعتبر فى حد ذاته جريمة يعاقب أحدهم عليها . وأضفت قائلاً إن الذى يدينهم حقاً هو قيامهم بنشر أخبار كاذبة عن سير المعارك الحربية وترويجهم لانتصارات وهمية ينسبونها للمتمردين وإعطاء بيانات مضللة للقوات اليمنية المصرية لتوسيع ساحة القتال ، لكننا لا نستطيع أن نحاكمهم وحدهم على هذه الجرائم التى يشترك فى ارتكابها كثيرون من اليمنيين غير الشيوعيين .

أما عن نشاط الهاشميين الذى أشار إليه القاضى عبد الرحمن الاربانى فقد أوضحت له أن من بين اليمنيين ، الهاشميين وغير الهاشميين ، من هو صادق فى ولائه للجمهورية ، يحارب فى صفها ويستشهد من أجلها ، ومن هو متستر بها أو منافق لها سواء لأسباب هاشمية أو غير هاشمية ، وإننا عندما فرض علينا القتال وهو كره لنا ونحن دعاة عدالة ومساواة ووحدة وطنية فإننا نقاتل حرصاً على الجمهورية وتحقيقاً للوحدة الوطنية . ولذلك أكدت للقاضى الاربانى أننى لا أقره على إتخاذ أى إجراء تحت شعار التصدى لما وصفه بالنشاط الهاشمى .

أبلغت الرئيس السلال بمضمون حديثى مع القاضى الاربانى ، وعندما زارنى فى اليوم التالى وزير الإعلام الهاشمى السيد أحمد حسين المرونى أبلغنى أن القاضى الاربانى حذره من إجراءات صارمة يتأهب الدكتور البيضانى لإتخاذها ضد النشاط الهاشمى الهدام فرويت له حديث الاربانى معى واستشهدت بالرئيس السلال الذى كان السادات قد حذره بحضورى من الاربانى على النحو السابق شرحه فى هذا الكتاب .



عاد إلى صنعاء الدكتور حسين خلاف رئيس البعثة المصرية الاقتصادية يوم الجمعة ٤ يناير ١٩٦٣ لإعادة البحث في موضوع فتح فرع لبنك مصر في اليمن وكان بنك مصر يرغب في إنشاء فرع آخر له في الجزائر ، وأوضحت له مرة أخرى الأسباب اليمنية التي جعلتني أعتذر عن عدم الموافقة على طلب البنك ، وأضفت إليها الأسباب المصرفية التي تجعلني أنصح البنك بعدم إنشاء فرع له في اليمن ولا في الجزائر حتى لا يتعرض لخسائر جسيمة .

قلت أن من العناصر الجوهرية التي ينبغي أن تتوفر في البلد الذي يريد أي بنك أن يفتح له فرعاً فيها أن يتناسب المستوى المصرفي في هذا البلد مع الحد الأدنى للمستوى المصرفي الذي يسود في بلد المركز الرئيسي والذي يحكم تقاليده المصرفية . وحيث أن المستوى المصرفي في اليمن في ذلك الوقت كان أقل كثيراً من المستوى المصرفي المصري فإن فرع بنك مصر في اليمن لا بد أن يخسر ، وبما أن المستوى المصرفي الجزائري في ذلك الوقت كان أعلى كثيراً من المستوى المصرفي المصري فإن فرع بنك مصر في الجزائر لا بد أن يخسر .

اعتذرت للمرة الثانية وحولت الحديث إلى مناقشة الاتفاقيات التي تأهبنا لتوقيعها مع مصر لتزويد اليمن بالسلع اللازمة لأسواقها وتسهيل تصدير السلع اليمنية إليها ، وبحثنا وسائل تنشيط الزراعة في اليمن وتصنيع بعض المحاصيل الزراعية وقررنا أن يسافر إلى مصر المهندس الزراعي على محمد عبده نائب وزير الزراعة لبحث إحتياجات اليمن من المعدات الزراعية (الأهرام ٥ يناير ١٩٦٢) .

كان من بديهيات خططنا الاقتصادية أن نبذل أقصى إهتمام بتنمية مواردنا الزراعية ، لأنه لم يكن مقبولا ولا معقولا أن تكون في اليمن مساحات شاسعة صالحة للزراعة وغير مزروعة ، وأن يعتمد المزروع منها على الوسائل الزراعية البدائية مما جعل اليمن تضطر إلى إستيراد طعامها من الخارج .

وعلى عكس الثوار في معظم بلاد العالم الذين عندما يستولون على السلطة يتطلعون إلى صناعة الفولاذ ويدورون حول القمر فإنني كنت أتطلع إلى إستعادة رخاء اليمن السعيدة فتشبت بالأرض . كنت أحلم باستثمار مواردنا المائية وزيادة رقعتنا الزراعية أفقياً ورأسياً ثم تصنيع ما يمكن تصنيعه من حاصلاتها الطيبة .

لذلك كنت مهتما بإنشاء المعاهد الزراعية لتدريب الزراع على إستخدام الأساليب والوسائل الزراعية الحديثة ، وشغوا باستثمار القرض الألمانى لزراعة معظم مناطق تهامة وريها بالمضخات المائية التى تعتمد على الطاقة الكهربائية التى كنت أنوى إنتاجها من محطات المولدات الكهربائية الكبرى التى اتفقت مع الشركات الألمانية على إقامتها فى الحديدة حتى تمتد شبكاتها إلى العاصمة صنعاء ، وتتفرع على جانبى الطريق لتنتشر فى مناطق تهامة والمناطق الزراعية فى الجبال ، على سبيل المثال .

كنت حريصا على إستثمار الخبرة السوفيتية الزراعية التى وقعنا على إتفاقية بشأنها تنفيذا لخطتنا الإقتصادية .

وكنت كلما حدثنى الدكتور حسين خلاف كبير الخبراء المصريين عن الإقتصاد اليمنى أحدثه عن الزراعة اليمنية ، وكلما عاد يفكر فى إنشاء فرع لبنك مصر فى اليمن عدت أذكره بحاجة اليمن إلى خبرات مصر الزراعية أكثر من خبراتها المصرفية .

وعندى ألف سبب وسبب ، ليس هنا مجال لشرحها ، من الأسباب التى تجعلنى فى اليمن بالذات أبدأ بالاهتمام بالزراعة ، ثم الصناعة التى تقوم على حاصلات الزراعة ، وهذا لايمنى إهمال الصناعات الأساسية ، أو تلك التى يمكن أن تشترك فيها الحكومة أو ينفرد بها أفراد الشعب .

اجتمع مجلس الوزراء يوم الأحد ٦ يناير ١٩٦٢ لمناقشة مشروع قانون تجنيد المتطوعين فى سلك الجيش النظامى الجديد الذى أعده العميد وحيد الدين رمضان رئيس خبراء التدريب العسكرى فى اليمن . وأثناء نظر ذلك المشروع أبلغ وزير الصحة الأستاذ على محمد سعيد المجلس بأنه وصل إلى علمه أن المسئولين فى مستشفى صنعاء قد رفضوا إنقاذ جرحى المتطوعين من أبناء اليمن الأسفل (الشوافع) بناء على تعليمات من قائد الحرس الوطنى المقدم هادى عيسى ، فقرر المجلس تشكيل لجنة وزارية برئاسة وزير الصحة وعضوية وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية النقيب محمد قائد سيف ، ووزير الشئون البلدية عبد القوى إبراهيم حاميم ، ووزير المعارف القاضى محمد محمود الزبيرى ، ووزير شئون القبائل القاضى عبد السلام صبره ، كى يذهبوا فوراً إلى المستشفى فيقدموا تقريراً للمجلس الذى ظل فى حالة إنعقاد حتى تنتهى اللجنة من بحثها .

انتشر هذا الخبر فى أنحاء العاصمة صنعاء بعد أن تسرب إلى تعز حيث يقم أهالى هؤلاء الجرحى . وعندما وصلت اللجنة الوزارية إلى المستشفى تبينت حقيقة الأمر فأصدرت تعليماتها بسرعة إنقاذ أولئك الجرحى وتحذير المسئولين فى المستشفى من نتائج تكرار مثل هذا العمل مرة أخرى .

وبعد نظر تقرير اللجنة فى مجلس الوزراء استحسن عرضة على الرئيس السلال لإتخاذ ما يراه ضروريا لإيقاف مثل هذه الأعمال غير الوطنية التى تكررت من قائد الحرس الوطنى . وأذاع راديو صنعاء نقلا عن مندوب الإذاعة فى رئاسة الجمهورية

السيد عبد الوهاب جحاف (إن مجلس الوزراء ناقش المضايقات التى يشكو منها رجال الحرس الوطنى من بعض المسئولين اليمنيين وأن المجلس قد اتخذ القرارات المناسبة لإزالة أسباب هذه المضايقات تأكيدا للوحدة الوطنية) .

عندما سمع الرئيس السلال هذا الخبر ضمن نشرة أخبار الإذاعة اليمنية اتصل بى وسألنى هل وافقت على إذاعته ؟ قلت أنه من المستحسن أن يذاع على هذا النحو لإعادة الطمأنينة إلى نفوس أهالى الجرحى ، واستعادة الثقة فى حرص الحكومة على حماية من يقاتلون فى سبيلها ، فقال أنه ينصح بعدم تكرار إذاعته فى نشرات الإذاعة الأخرى حتى لا يثير الحساسية الطائفية . فوافقت على رأيه حيث أن إذاعته ولو مرة واحدة تكفى لإحداث الأثر الذى أردته ولا يثير الحساسية الطائفية التى يخشاها السلال .

لا شك فى أن السلال كان حريصا على الوحدة الوطنية فقد كان رئيسا للجمهورية اليمنية من شمالها إلى جنوبها ، ومن شرقها إلى غربها ، ولا شك فى أنه فى قرارة نفسه يبغض جميع أنواع التفرقة التى تمزق صفوف أبناء الوطن ، لكنه كان ضعيفا أمام هادى عيسى الذى لم يتأكد السلال من خيانتة الوطنية إلا بعد أكثر من أربعة أعوام وعندئذ نفذ فيه حكم الإعدام رميا بالرصاص .



جاء رد الفعل الأمريكي على تصريحات السيد على صبرى بعد يومين إثنين من أدلته بها حيث أعلنت المصادر الأمريكية المطلعة في واشنطن أن :

(طائرات حربية للولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط تزور المملكة العربية السعودية الآن في مظاهرة من مظاهرات التأييد الأمريكي لهذه الدولة التي تشعر بأنها مهددة من جانب القوات المصرية الموجودة في اليمن ، وقد ازداد قلق الولايات المتحدة بسبب الموقف في شبه الجزيرة العربية هذا الأسبوع عندما أبلغ الأمير فيصل أمريكا أن طائرات من الجمهورية العربية المتحدة تعمل في اليمن ألقت قنابلها وضربت بمدافعها الرشاشة واحة نجران في المملكة العربية السعودية ، ولا تزال للجمهورية العربية المتحدة قوات في اليمن تؤيد الجمهورية اليمنية التي أطاحت بحكومة الإمام في سبتمبر الماضي) .

وقال المتحدث بإسم وزارة الخارجية الأمريكية (أننا قلقون قلقا عميقا بسبب الحوادث الجارية في شبه الجزيرة العربية ونحن نفكر في ما يمكن إتخاذها من تدابير أخرى لتخفيف حدة التوتر) .

في نفس الوقت وصلتنى أخبار بأن عدد الطائرات والمدمرات الأمريكية التي تزور المملكة العربية السعودية قد يزيد أثناء المناورات الحربية التي تجريها القوات الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط ، والتي تتجه إلى السعودية كاستعراض للعضلات الأمريكية لتأكيد رغبة الولايات المتحدة في أن ترى القوات المصرية وهي تنسحب من اليمن .

وصرحت المصادر الأمريكية المطلعة بأن (قرار إرسال السفن والطائرات الأمريكية إلى المملكة العربية السعودية قد اتخذ بعد أن أعربت حكومة السعودية عن قلقها العميق من التطورات التي حدثت في اليمن) .

ومن جهة أخرى حذر دافيد بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل من أن إسرائيل ستضطر إلى شد الأحزمة على البطون لتوفير ما يلزم لشراء مزيد من الأسلحة ، وقال في إجتماع لحزب لافاي (إن الرئيس جمال عبد الناصر يحاول تطبيق إسرائيل بتعزيز الثورة في اليمن وغيرها من الدول المحيطة بإسرائيل) وأضاف يقول (إن على إسرائيل أن تكون مستعدة بالقوة لمواجهة التهديد بالقوة) .

على إثر ذلك طلبت روبرت ستوكي القائم بالأعمال الأمريكي وأوضحت له إنني لا أجد مبررا لحالة القلق التي سيطرت فجأة على ذهن الحكومة الأمريكية ، وأن اليمن لا تزال تعمل بكل ثقلها من أجل إقرار السلام مع جيرانها وعدم التدخل في شئونهم الداخلية واحترام إستقلالهم الوطني ، فلفت القائم بالأعمال نظري إلى خطورة الغارة الجوية على نجران التي تفصح عن عدم رغبة الحكومة المصرية في إقرار السلام ، وتصريحات السيد علي صبري التي وصفها بأنها تمثل تهديدا سافرا للحكومة السعودية وغيرها من الحكومات المعنية بهذا النزاع مما وضع الحكومة الأمريكية في موقف حرج بعد أن اعترفت بحكومة الثورة اليمنية وتعمدت بمساعدة جميع أطراف النزاع على حقن الدماء وإقرار السلام .

أكدت للقائم بالأعمال الأمريكي أنني لا أشعر بأى قلق من ذهاب الطائرات والمدمرات الأمريكية إلى السعودية طالما كان ذلك سيؤدي إلى إشعار الحكومة السعودية بالأمن والإطمئنان ، لأنه لا توجد لدينا أية نوايا عدوانية على أحد ، وإما تصريحات السيد علي صبري فإنها لا تمثل وجهة نظر الحكومة اليمنية كما لا تعتبر إعلانا بحرب ولا إنذارا بقتال داخل الأراضي السعودية يبرر كل ذلك القلق الذي يحرك الطائرات والمدمرات والقوات والأساطيل .

قلت للقائم بالأعمال الأمريكي أنه قد بلغني أن قيادة الطيران الأمريكي في ألمانيا الغربية قد تلقت الأوامر بأن تكون أسراب مقاتلاتها من طراز F100 جاهزة للسفر عن طريق روما إلى المفرق في الأردن ثم إلى الطائف في السعودية فتمنيت أن تسمح الظروف بأن أطلب منها مواصلة رحلتها إلى صنعاء في اليمن وبا حبا لو كان معها الملك حسين والأمير فيصل كي نعقد المؤتمر الذي سبق ، ذات يوم ، أن اقترحت أمريكا لإقرار السلام في الجزيرة العربية وهو غاية ما نسعى إليه في الجمهورية اليمنية . (الأهرام ٦ يناير ١٩٦٣) .

كان روبرت ستوكي يثق في صدق حديثي معه ، فهو الذي عاصر الضغوط المصرية السوفيتية التي تحملتها ولم أطلب منه مغادرة الأراضي اليمنية عندما تأخرت حكومته في الاعتراف بنا ، وهو الذي سمعني أنفي عن ثورتنا تهمة الشيوعية صراحة وعلنا في كل المؤتمرات الشعبية التي عقدتها سواء قبل الاعتراف الأمريكي أو بعد الاعتراف الأمريكي ، فلم يعرف عنى كذبا ولا خداعا ، وإنما إصرارا على حماية الثورة اليمنية ودفاعا عن شعبها وسعيا إلى كسب صداقة جميع الدول التي يمكنها أن تساعد هذا الشعب في تحقيق هدفه الأول والأساسي وهو النهضة الحضارية التي تلحقه بحياة العصر .

كان روبرت ستوكي يصدقني حين أؤكد أن هذا الهدف الأول والأساسي لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال إقرار السلام في اليمن ، ويسلم بأنني بحكم ثقافتني الاقتصادية الإسلامية والأوربية أعرف هذه الحقيقة الأساسية ، ولذلك كان يثق في أنني كنت أسعى مخلصا إليها ، علاوة على أنه لم يكن لدى الحكومة الأمريكية أى سبب يحملها على اليقين بأن مصر تريد إبقاء قواتها في اليمن لفترة أطول .

كانت أمريكا تتابع نشاط العناصر المصرية ذات العلاقة السوفيتية المحيطة بالرئيس عبد الناصر وتعرف كيف تؤثر عليه عند اتخاذ قراراته ، وكنت واثقا من أنها تعرف مثلى أن إبقاء القوات المصرية فى اليمن لفترة أطول ما هو إلا عملية إنتحارية لزعماء عبد الناصر الشخصية ، وهو يعرف ذلك جيدا ولذلك توقعت من أمريكا أن تستنجد مثلى أن عبد الناصر لن يستجيب لهذه العناصر بالنسبة إلى هذا القرار بالذات .

وعندى القائم بالأعمال الأمريكى بأن ينقل هذا الحديث إلى حكومته كما وعدنى بأن ينقل إلى حكومته رغبتى فى ألا تترتب أية نتائج سلبية أمريكية على أية تصريحات حماسية مصرية ، وأن تركز أمريكا ثقلها فى إيجاد الثقة فيما بين جميع أطراف النزاع كخطوة أولى وضرورية نحو إقرار السلام فى شبه الجزيرة العربية .

فى نفس ذلك اليوم وصل سير شارلز جونسون حاكم عدن إلى لندن ليبحث مع المسئولين البريطانيين ما إذا كان على بريطانيا أن تعترف بالنظام الجمهورى فى اليمن .

وفجأة استدعى الرئيس السلال روبرت ستوكى القائم بالأعمال الأمريكى يوم الإثنين ٧ يناير ١٩٦٣ ولم أحضر تلك المقابلة بالرغم من كونى وزير الخارجية إلى جانب منصبى كنائب لرئيس الجمهورية ، وعلمت من القائم بالأعمال أن الرئيس السلال هددته بالزحف على السعودية وضرب الأردن لإسقاط حكومتيهما الرجعتين عميلتى الإستعمار ، والأغرب من ذلك أننى علمت أن الرئيس السلال قد صرح بذلك بناء على نصيحة السيد عزت سليمان وكيل المخابرات المصرية الذى كان أهم شخصية مصرية مقيمة فى اليمن فى ذلك اليوم لها حق إبداء النصح السياسى للرئيس السلال .

كما علمت أن السيد عزت سليمان قدم تلك النصيحة للسلال بناء على تعليمات السيد على صبرى ليثبت للسفير الأمريكى أننى لا أمثل السياسة اليمنية ، حتى يزداد قلق الحكومة الأمريكية وإقتناعها بجدية التهديدات المصرية ، التى يباركها السلال رئيس الجمهورية اليمنية ، والتى تستهدف الإطاحة فعلا بالحكومتين السعودية والأردنية .

وكان من الواضح أن الإتحاد السوفيتى الذى غضب من الإعراف الأمريكى بحكومة الجمهورية اليمنية ، وخشى من إنهاء القتال فى اليمن ، أخذ يحرك عناصره المصرية ذات العلاقة السوفيتية للعمل على قلب مائدة السلام فى صنعاء فى وجه الولايات المتحدة الأمريكية ، التى بذلت أقصى ما استطعت لكسب ثقتها ، وعيناه على السلام مع السعودية والأردن ، وعقلى فى الحوار مع بريطانيا .

ويبدو أنه مع تزايد العلاقات الشخصية الخاصة مع الإتحاد السوفيتى نسى السيد على صبرى أن الثورة المصرية نفسها عندما قامت يوم ٢٣ يولية ١٩٥٢ اعتمدت على علاقات طيبة مع الولايات المتحدة الأمريكية ، التى ساعدت الثورة على تحييد القوات البريطانية المرابطة فى مصر ، ثم ساعدتها على إيجاد الحلول الوسطى التى أدت إلى توقيع إتفاقية جلاء هذه القوات ، التى احتلت مصر أكثر من سبعين عاما ، وكانت قيادة الثورة المصرية على صلة خاصة وثيقة برئاسة الجمهورية الأمريكية بالإضافة الى صلتها الطيبة مع وزارة الخارجية والسفارة الأمريكية بالقاهرة .

وقد كشف الرئيس السادات النقاب عن جزء من هذه الحقيقة التاريخية فى كتابه (البحث عن الذات صفحة ١٤٣) حين كتب :

(قبل أن أعلن قيام الثورة ، وفى فجر ليلة ٢٣ يوليو ، فكرنا فى الإتصال بالأمريكان لنعطيهم فكرة عن أهداف الثورة وطبيعتها .. فقد كانت صورة أمريكا فى أذهاننا مقترنة بحماية الحرية ومناصرة حركات التحرر .. وكنا نهدف من هذا الإتصال أيضا إلى تحييد الأنجليز .. ولكن كيف نتصل ونحن لا نعرف أحدا بالسفارة الأمريكية ؟ هذان البحث إلى ضابط مسئول عن مخابرات الطيران إسمه على صبرى ، وكان فى ذلك الوقت صديقا للملحق العسكرى الأمريكى .. فأرسلنا فى طلبه وحملناه رسالة إلى صديقه .. الذى نقلها بدوره إلى مستر كافرى السفير الأمريكى فى ساعة مبكرة من صباح ٢٣ يوليو ..

اعتبر السفير الأمريكى كافرى هذا لفظة طيبة منا وخاصة أنه كان صديقا شخصيا لفاروق أو هكذا كان يعتبره الملك ، وبالفعل كان اتصالنا به بداية علاقة طيبة بيننا وبينه .. حتى أنه فى الوقت الذى كان فيه الإنجليز يبذلون كل جهدهم لمعرفة من هم رجال الثورة ، كان السفير الأمريكى قد دعانا إلى العشاء فى بيته بالسفارة ، فلبينا جميعا دعوته .. أعضاء مجلس الثورة جميعا ..)

ثم أكد هذه الحقيقة السيد عبد المنعم أمين عضو مجلس قيادة الثورة المصرية فى مقال منشور فى صحيفة الأحرار القاهرية بتاريخ ١٠ أكتوبر ١٩٨٣ فى الصفحة السابعة فكتب مشيرا إلى منزله قائلا (فى هذا المنزل كان إتصال الثورة بالسفير الأمريكى طلبا لإستمرار التأييد الأمريكى لمصر ، إذ إنها فى أول أيام الثورة أوقفت الجيش الأنجليزى الذى كان على بعد ٦٠ كيلومترا من القاهرة من التقدم لإحتلال القاهرة ليسحق الثورة ويثبت عرش فاروق كما سبق أن قام بتثبيت عرش توفيق ضد عرابى سنة ١٨٨١) .

هذا ما سجله السادات ثم أكده عبد المنعم أمين إختصارا لقصة ذات حلقات متعددة الجوانب متكاملة الجهود أفنعت أمريكا بعدالة المطلب المصرى ودفعت بريطانيا إلى الرحيل عن مصر بينما كانت تأمل فى أن تعود إليها فى صورة أخرى وفى أقرب وقت ممكن .

إذن .. أدركت قيادة الثورة المصرية أنه (حتى تنجح فى الوصول إلى الحكم) عليها أولا أن تعمل على توثيق أعظم الروابط مع الولايات المتحدة الأمريكية لأنها لا تستطيع أن تصل إلى الحكم فى مصر ثم تجلى بريطانيا عن السودان فتحرر كل وادى النيل شماله وجنوبه وهى تعادى أمريكا وبريطانيا فى وقت واحد .

هذا هو درس التاريخ الذى عرفته فى مصر ، فلماذا أنساه فى اليمن ؟

وإذا كان حسن تقدير المواقف السياسية العسكرية ، وحكمة العقلاء يقتضيان استخدام العقل والسياسة وضبط النفس فلماذا يفقد الحكام حكمتهم ويجازفون بتوسيع ساحات القتال وإزهاق الأرواح واستنزاف طاقات شعوبهم البشرية والمادية والمعنوية في معارك يمكن كسبها بالسلام دون اللجوء إلى الحرب ؟

على أى حال ، يبدو أن أمريكا وبريطانيا لم تأخذا بتصريحات السلال على محمل الجد وإنما فسرناها بأنها مجرد ترديد لكلمات العناصر المصرية ذات العلاقة السوفيتية التي لم تصل في تلك الأيام إلى حد القدرة على دفع الرئيس عبد الناصر إلى الإنحار ، فاستقبلت كرسوفر جاندی الوزير المفوض البريطاني في اليمن بناء على طلبه وأبلغني بأنه (تلقى تأكيدات قاطعة من حكومته بأنها قررت الاعتراف بحكومة الثورة اليمنية وإن إعلان ذلك قد يستغرق وقتا لإستيفاء الإجراءات الشكلية لكنه لن يطول أكثر من عشرة أيام) . (الأهرام ٨ يناير ١٩٦٣) .

نشرت في لندن كل من صحيفة الأكونوميست وصحيفة الأسبكتيتور أنه (كان من الأفضل لو قبلت الجمهورية الجديدة في اليمن بعبارة ترحيب واعتبر ظهورها فرصة لتحقيق التقدم الإجتماعي في البلاد) ثم قالتا (أن موقف بريطانيا الحالي موقف غير منطقي ولا يستند إلى مخيلة العقلاء) .

غير أن تصريحات السيد على صبرى النارية التي زاد عليها الرئيس السلال إشتعالا قد بلغت هدفها حيث أدت إلى زيادة حدة التوتر في المنطقة تنفيذا لمخطط يستهدف عرقلة سحب معظم القوات المصرية من اليمن على خلاف ما أصر جمال عبد الناصر على تنفيذه في موعد أقصاه آخر يناير ١٩٦٣ أى خلال أقل من شهر من الإدلاء بتلك التصريحات .

اجتمع مجلس الوزراء السعودي برئاسة الأمير فيصل لبحث الموقف على الحدود السعودية اليمنية وأذاع راديو مكة أن (السفن والطائرات المقاتلة الأمريكية قد تحركت نحو المملكة العربية السعودية) .

ثم أذاع راديو مكة يوم السبت ٨ يناير ١٩٦٣ النص الكامل لخطاب الرئيس الأمريكي جون كينيدي إلى الأمير فيصل رئيس الحكومة السعودية الذي قال فيه :

(في الوقت الذي تنهضون فيه سموكم بمسئولية جديدة وهامة لدى عودتكم إلى المملكة العربية السعودية أرغب في أن أذكركم بزيارتكم للبيت الأبيض يوم ٥ أكتوبر وأود أن يكون مفهوما وبوضوح أن المملكة العربية السعودية يمكنها أن تعتمد علي صداقة وتعاون الولايات المتحدة في معالجة المهام العديدة التي تنتظرها في الأيام المقبلة ، إن الولايات المتحدة تشعر بإهتمام عميق ودائم نحو المملكة السعودية وإستقرارها ، وإنني واثق في أن المملكة بقيادتكم الحازمة الحكيمة ستمضى قدما وبنجاح في طريق التمدن والإصلاح اللذين إختارتهما لنفسها بالفعل ، وباتباع هذا الطريق يمكنكم أن تتأكدوا من تأييد الولايات المتحدة التام للمحافظة على كيان المملكة العربية السعودية ، وأنني

على تمام العلم بأنكم كى تبلغوا أهدافكم ينبغي أن يتوفر لكم الهدوء الذى لا غنى عنه ، والذى يتمثل فى جو خال من المهارات والتحريض من الداخل أو الخارج ، وإننى أشارككم قلقكم من التوتر الذى يخيم على المنطقة والذى يعرقل خطتكم لتقوية الجهاز الحكومى والكيان الإجتماعى فى المملكة السعودية ، وكما أبلغتكم فى واشنطن فإن الولايات المتحدة ترغب فى أن تساهم فى إيجاد الوسائل الكفيلة بتخفيف حدة هذا التوتر ، والذى أتنبأ به لبلدنا فى المستقبل وأنه ليس فقط مجرد الإستمرار فى العلاقات الودية التى بدأت موفقة للغاية فى عهد والذكم المجيد جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بل أننى أتنبأ بإفتتاح فصل جديد فى العلاقات السعودية الأمريكية تكون فيه العروة التى تربط بيننا من تعهد كل منا برعاية مصالحه قد ازدادت قوة باشتراكنا فى العمل على تقوية حقوق الإنسان فى التقدم والحرية . إننى أتمنى لكم النجاح وأبعث لكم بأحر التمنيات كما أدعو الله أن يحفظكم ويحفظ الشعب السعودى ولينمحكم السلام .

وفى واشنطن أذاع سالنجر السكرتير الصحفى للبيت الأبيض أن الغرض من إعلان نص خطاب الرئيس كنىدى للأمير فيصل هو (تأييد سياسة الأمير فيصل) ، بينما وصفه الأستاذ محمد حسنين هيكى فى صحيفة الأهرام بأنه (خطاب الحماية الذى بعث به كنىدى إلى فيصل) (الأهرام ٩ يناير ١٩٦٣) .

أما فى صنعاء فقد عقدت مؤتمرا صحفيا رحبت فيه بخطاب الرئيس كنىدى الذى أرسله إلى الأمير فيصل والذى أعلن أن المملكة العربية السعودية تحت قيادة الأمير فيصل الحازمة الحكيمة ستعضى قدما ونجاح فى طريق التمدن والإصلاح وأنه باتباع هذا الطريق يمكن أن تعتمد المملكة على (تأييد الولايات المتحدة) وأنه كى تبلغ هذه الأهداف ينبغي أن يتوفر لها الهدوء الذى لا غنى عنه والذى يتمثل فى جو خال من المهارات والتحريض من الداخل أو الخارج .

كان من منطق السلام الذى تحتاج إليه حكومة الثورة اليمنية أن أرحب بهذا الخطاب الذى تضمن مرة أخرى تعهد الولايات المتحدة الأمريكية بالمساهمة فى إيجاد الوسائل الكفيلة بتخفيف حدة هذا التوتر ، وهى تشارك المملكة السعودية فى قلقها الذى يخيم على المنطقة والذى يعرقل خطة الأمير فيصل لتقوية الجهاز الحكومى والكيان الإجتماعى فى المملكة .

استدعت القائم بالأعمال الأمريكى يوم الخميس ١٠ يناير ١٩٦٣ وطلبت منه إبلاغ الرئيس كنىدى ترحيب الحكومة اليمنية بخطابه إلى الأمير فيصل وأعربت له عن أملى فى أن يفتتح الرئيس كنىدى فصلا جديدا فى العلاقات اليمنية الأمريكية بينما يفتتح فصلا جديدا فى العلاقات السعودية الأمريكية ، حيث أن السلام فى الجزيرة العربية كل لا يتجزأ ، والخطر الشيوعى الذى يمكن أن ينتشر فى أرجائها مع انتشار القلق والتوتر والحرب النفسية والمواجهة العسكرية لا يمكن أن يقتصر على جزء من هذه الجزيرة دون بقية الأجزاء الأخرى .

أضفت للقائم بالأعمال الأمريكي قائلاً أنه ما دام الأمير فيصل يسعى إلى التمدن والإصلاح وتقوية الجهاز الحكومي والكيان الإجتماعى فى المملكة فإنه فى حاجة مثلنا إلى الإستقرار وتنمية فرص السلام ، ولذلك أتمنى أن تقوم أمريكا بإقناع الأمير فيصل بعدم جدوى أى نشاط ضد حكومة الثورة اليمنية التى تشاركه الحاجة الماسة إلى الإستقرار وتدعيم السلام فى هذه الجزيرة .

كان حديثى مع القائم بالأعمال بحضور عدد من الصحفيين الأجانب حتى ينقلوا مضمونه إلى رأى العام العالمى إثباتاً لحسن نية الحكومة اليمنية ورغبتها الصادقة فى تحقيق السلام على أراضيها وإقامة أوثق العلاقات مع المملكة العربية السعودية . وتوقعت أمام هؤلاء الصحفيين أن تعترف بقية دول العالم بالنظام الجمهورى فى اليمن فى وقت قريب ومن بينها بريطانيا لأنه ليس هناك حل آخر بعد أن شهد العالم سيطرة هذا النظام على جميع الأراضى اليمنية . (الأهرام ١١ يناير ١٩٦٣) .



المؤلف أثناء زيارته لأحد المواقع على الحدود



أبطال الثورة يصعدون إلى قمة جبل في أقصى الحدود الشمالية لحماية الجمهورية

وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ
حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَىٰكَ
بِنُصْرِهِ
وَبِالْمُؤْمِنِينَ

قرآن كريم

خديعة الأصدقاء

الفصل الرابع عشر



ثارت بعض العناصر التي ظهر لها أنياب سوفيتية في مصر على تصريحاتي التي أعلنتها أمام القوائم بالأعمال الأمريكي والصحفيين الأجانب في صنعاء والتي نشرتها الأهرام في القاهرة ، وعلى نقيض سياسة حكومة الثورة الثابتة التي تتفق مع اتجاهات الرئيس جمال عبد الناصر والتي تستهدف الإسراع إلى تحقيق الإستقرار في اليمن لإعادة أكبر قدر من القوات المصرية إلى مصر ، فوجئت بالرئيس عبد الله السلال يعلن في يوم السبت ١٢ يناير ١٩٦٣ (التعبئة العامة وتجنيد الشعب لخوض معركة فاصلة للقضاء على الرجعيين والدخلاء من بقايا أسرة سعود وفيصل وحسين ، وقال إن الدول الصديقة المحبة للسلام على إستعداد لتقديم لنا كل ما نطلبه من مساعدات للقضاء الإستعمار والفساد وتطهير البلاد العربية من الحكام الخونة وأن الجمهورية اليمنية ستقوم مع الجمهورية العربية المتحدة في طريق الزحف العربي المقدس لرفع راية العروبة عالية في فلسطين) . نشرت الأهرام بيان الرئيس السلال في صفحتها الأولى تحت عنوان (تعبئة عامة في اليمن لخوض أى معركة ضد الرجعية) (الأهرام ١٣ يناير ١٩٦٣) .

كما فوجئت بإجتماع الرئيس السلال مع كبار ضباط القيادة المشتركة بغير حضورى ولأول مرة منذ أن قامت الثورة . (الأهرام نفس العدد السابق) .

ظهر على الملأ التناقض الحاد داخل إطار السياسة المصرية من جهة ، وداخل إطار السياسة اليمنية من جهة أخرى .

ففي مصر ظهرت عناصر ذات أنياب داخلية وخارجية ترفع راية عبد الناصر لكنها تتحدى سياسته وتتجاهل توجيهاته .

وفى اليمن أعلن رئيس الجمهورية (الحرب الفاصلة للقضاء على الرجعيين والدخلاء من بقايا أسرة سعود وفيصل وحسين استنادا على الدول الصديقة المحبة للسلام) وهذا وصف يطلقونه عادة على دول الكتلة الشرقية التي قال رئيس الجمهورية اليمنية (إنها على إستعداد لتقديم لنا كل ما نطلبه من مساعدات للقضاء على الإستعمار .. وتطهير البلاد العربية من الحكام الخونة) بينما أعلنت بصفى نائباً لرئيس الجمهورية ووزيراً للخارجية (أن اليمن تسعى إلى إقرار السلام وتعتمد على الولايات المتحدة الأمريكية في تخفيف حدة التوتر في المنطقة ، وخلق المناخ الملائم لإيجاد علاقات وثيقة بين الجمهورية اليمنية

والمملكة العربية السعودية كدعامة أساسية للإستقرار فى الجزيرة العربية ، كما تسعى اليمن إلى حصولها على إعتراف بريطانيا بحكومتها الثورية الجمهورية تمهيدا لإيجاد علاقات تعاون وصداقة بين البلدين على أساس إعطاء جنوب اليمن المحتل حق تقرير المصير) .

وضح على الملأ أن الرئيس السلال رفع راية الحرب ليسقط من يدى راية السلام التى سبق أن اشترك فى صنعها وساندى فى رفعها .

ولا أدرى لماذا رفع راية الحرب على حكام الجزيرة العربية بعد أن ضمنا صداقة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ، واقتربنا من شهر العسل مع المملكة العربية السعودية والأردن ، وبالرغم من أننا كنا عاجزين عن الدفاع عن صنعاء إلا بمعونة القوات المصرية التى وعد الرئيس عبد الناصر ، بعد إلحاح من السلال ومنى ، ببقائها فترة لا تتجاوز آخر يناير ١٩٦٣ على أمل أن نتمكن من إعداد وتدريب قواتنا اليمنية .

ولم يكن عجزنا عن الدفاع عن صنعاء راجعا إلى تماسك فلول الإمامة ، وإنما كان نتيجة لتفكك رجال الجمهورية ، ومعارضة السلال المستمرة فى إنشاء الجيش اليمنى الحديث ، وتنازع العناصر المصرية على الإنفراد بإدارة الشؤون اليمنية .

كانت القيادة المصرية تستقطب نشاط القبائل عن طريق العميد عباس فهمى مدير شئون القبائل بهذه القيادة وتغدى عليهم المال والسلاح بعيدا عن السلال والبيضاني وضباط الثورة والسفارة المصرية .

وكان القائم بالأعمال المصرى الأستاذ محمد عبد الواحد يحرك نشاط السلال بعيدا عن البيضاني والقبائل وضباط الثورة والقيادة المصرية .

وكانت عناصر المخابرات المصرية فى اليمن تستدرج نشاط من تعرفهم من ضباط الثورة وتبعدهم عن السلال والبيضاني والقيادة المصرية والسفارة المصرية .

ولم يكن البيضاني محل استقطاب من جانب أحد ، لأنه كان متهما من جانب كل هؤلاء بأنه هو الذى كان يدير شئون اليمن . فاجتمعوا عليه يشلون حركته ويقتسمون تركته .

وكان ذنب البيضاني أنه أدرك أبعاد الموقف الخطير الذى يسود الظروف المحيطة بالثورة والثغرات المتعددة التى اخترقت جدرانها ، فاستمات من أجل إنقاذها والدفاع عنها ، والتحرك المرن فى كل الجهات لسد ما أمكن من الثغرات .

ولا أدرى كيف تطلع القائم بالأعمال المصرى إلى حكم اليمن من خلال السلال .

وكيف تطلع ضباط القيادة المصرية إلى حكم اليمن من خلال القبائل اليمنية .

وكيف تصورت المخابرات المصرية فى اليمن أنه كان فى وسعها أن تحكم اليمن من خلال المتناقضات اليمنية المصرية .

ثم ..

لماذا تعمل المساعدات المصرية على تمزيق قوى الثورة اليمنية ؟

كانت هذه أقوى وأمضى الأسلحة التي اعتمد عليها أعداء الثورة ، الذين ساعدهم رئيس الجمهورية بإعلان الحرب على حكام الجزيرة العربية .

وبعد أن سبق لصحيفة واشنطن بوست الأمريكية أن كتبت يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٦٢ مقالا افتتاحيا أثنت فيه على قرار الحكومة الأمريكية بالإعتراف بحكومة الثورة اليمنية وقالت إن الإعتراف الرسمي يعد انتصارا للعقل ، وأن شعب اليمن يجب أن يعطى فرصة التصرف في شئونه الداخلية نراها في ١٤ يناير ١٩٦٣ تعدل عن موقفها السابق كرد فعل لإعلان الرئيس السلال وتقول :

(إن إشتراك الرئيس جمال عبد الناصر بصورة سافرة في تأييد ثورة اليمن وعداوته لرؤساء الدول في السعودية والأردن يثيران التساؤل حول حكمة برنامج المساعدات الأمريكية للجمهورية العربية المتحدة) وأضافت قائلة (إن المسؤولين الأمريكيين يعلمون تماما أن تدخل عبد الناصر في الدول العربية الأخرى يتعارض مع سياسة أمريكا التي تهدف إلى المحافظة على استقرار الشرق الأوسط وتحاشي المنازعات في المنطقة) .

كان من واجبي الوطني والقومي أن أشرح للرئيس السلال مدى خطورة تحدى كل القوى العالمية المحيطة بالثورة اليمنية ، مما يؤدي حتما إلى إتساع رقعة القتال في كل أنحاء اليمن فنتحول إلى وقد لمعركة نفوذ دولية بين الشرق والغرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل .

أوضحت له أن القوى الكبرى تتصارع علينا من أجل موقعنا الجغرافي وأهميتنا الإستراتيجية ، ولا يهمها منا أكثر من ذلك ولا أقل ، ولا يضيرها أن نكون ملكيين أو جمهوريين ، رجعيين أو تقد ميين . فلماذا لا نحدد مصلحتنا اليمنية وحدها دون غيرها ؟ ثم نسعى إلى تحقيقها وحدها دون سواها ، وهي في النهاية لا تخرج عن دائرة مصلحتنا القومية التي يجب أن نشارك في رسم كيائها ما دمتنا جزء منها .

أكدت للرئيس السلال أن مصلحتنا الوطنية التي لا تخرج عن دائرة مصلحتنا القومية تنحصر في تسخير كل جهودنا لتثبيت دعائم جمهوريتنا ، وتنمية عناصر الاستقرار في بلدنا ، حتى نستأنف السير على طريق تحقيق أهدافنا ، ولا دخل لنا في أنظمة الحكم خارج حدودنا . وما دامت أمريكا قد تعهدت بمساعدتنا وبريطانيا قد التزمت بالإعتراف بنا وإعطاء حق تقرير المصير لجنوبنا فلماذا نرفع شعارات الحرب على الإستعمار ونحن نعلم أن معظم النار من مستصغر الشرار ، وبلادنا مفتوحة ، وأراضينا مليئة بالوقود ، وشعبنا يرقص على أوتار البارود .

اقتنع الرئيس السلال بهذا المنطق اليمنى المجرد والمستخلص من واقع الحال الذي كنا فيه في ذلك الوقت ، وكان كريستوفر جاندى الوزير المفوض البريطاني على وشك السفر إلى بريطانيا للتشاور مع حكومته حول الإعتراف بالجمهورية اليمنية فاستدعيته لمقابلة

الرئيس السلال بحضورى ، حتى يؤكد له الرئيس بنفسه حرص الحكومة اليمنية على إقرار السلام فى المنطقة فيمتص الآثار السلبية التى أوجدها بنفسه عندما أعلن التعبئة العامة والحرب على الرجعية والاستعمار .

فى تلك المقابلة أكد الوزير البريطانى إتجاه حكومته إلى الإعتراف بالجمهورية اليمنية بعد أن أكد له الرئيس السلال نية الحكومة اليمنية التى تتجه إلى إزالة أسباب التوتر والقلق حول حدودنا ، فأراد الوزير البريطانى أن يفسر كلمة « حدودنا » بالعلامات المؤقتة التى تفصل بين الجمهورية اليمنية وجنوبها المحتل فقلت له أن الرئيس يقصد بكلمة « حدودنا » الحدود اليمنية الشمالية مع السعودية ، أما العلامات المؤقتة فى الجنوب فإن أمرها ، كما سبق أن اتفقنا ، متروك لأهالى ذلك الجنوب عندما يقررون مصيرهم طبقا لقواعد القانون الدولى .

قدم الوزير البريطانى إلينا صورة الخطاب الذى سوف يلقيه أمام الرئيس السلال عندما يقدم إليه أوراق إعتماده بعد أن تعترف الحكومة البريطانية به ، وقدمت إليه صورة الرد الذى سوف يلقيه الرئيس ردا على خطابه . وكنت قد اتفقت مع الوزير البريطانى قبل ذلك ، خلال عدة جلسات ، على صيغة الخطاب البريطانى والرد اليمنى حتى تنفادى الكلمات الخاصة بالجنوب المحتل والتى يجب ألا يفاجئ بها أحدا الأخر عند إلقتها .

وبعد إنتهاء المقابلة صرح الوزير البريطانى للصحفيين بأنه (أبلغنى أن حكومته ترغب فى إقامة علاقات ودية مع جمهورية اليمن ، وإننى أبلغته أن حكومة الثورة كانت تسعى إلى ذلك منذ قيامها ، لكن بريطانيا لم تفسح المجال لتنمية هذه العلاقات بتأخرها فى الإعتراف بالوضع الشرعى الذى تمثله حكومة الثورة) . (الأهرام ١٥ يناير ١٩٦٣)

وأعلن راديو لندن يوم ١٥ يناير ١٩٦٣ أن (جاندى سوف يقدم تقريرا شخصيا إلى اللورد هيوم وزير الخارجية عن إجتماعه مع قادة اليمن كما يبحث معه مسألة الإعتراف بحكومة الثورة اليمنية) .

وتأكيدا لنجاح سياستى اليمنية مع الحكومة البريطانية صرحت مصادر بريطانية رسمية فى لندن يوم الأربعاء ١٦ يناير ١٩٦٣ بأن (بحث الإعتراف بحكومة الثورة اليمنية يمر بمراحله النهائية) وقالت (إن المشاورات التى دارت خلال الاسبوعين الأخيرين فى العاصمة البريطانية كانت تستهدف إيجاد وسيلة لإعلان الإعتراف) .

فى صنعاء صرح ستوكى القائم بالأعمال الأمريكى أنه (ينتظر رسالة هامة من حكومته تتعلق بموضوع العلاقات بين اليمن وأمريكا) وقال أنه (يتوقع أن تكون لها صلة بموضوع إعتراف بريطانيا باليمن) .

ثم أذاع راديو لندن فى يوم الخميس ١٧ يناير ١٩٦٣ أن (وزير بريطانيا فى اليمن فى طريقه إلى لندن للتشاور بعد أن وصل إلى عدن) وقال الراديو أن (جاندى قد استدعى لتقديم تقرير إلى اللورد هيوم وزير الخارجية البريطانية حول محادثاته الأخيرة مع زعماء الثورة فى اليمن وحول التطورات هناك منذ قيام الثورة حتى الآن) . (الأهرام ١٨ يناير ١٩٦٣) .

فى ذلك اليوم دعانى الرئيس السلال الى بيته لبحث آخر التطورات الحربية بدعوى انهيار عدة جبهات فى عدة مناطق قريبة من صنعاء . فوجئت بهذا الخبر لأننى كنت أعرف جيدا أن موقفنا الحربى على أحسن ما يرام وأنه لم تحدث أية تطورات تناقض ذلك .

اتصلت بجميع قيادات المناطق الحربية ، على سبيل الاحتياط ، وتأكدت من سلامة الموقف لكننى عندما اتصلت باللواء أنور القاضى قائد القوات المصرية أخبرنى نقيض ذلك قائلاً أن الموقف العسكرى متدهور وأنه تلقى من الرئيس السلال طلباً لاستدعاء المزيد من القوات المصرية من مصر وأنه أرسل هذا الطلب مدعماً بالتوصية منه إلى القاهرة لكنها اعتذرت للسلال معتقدة أن الموقف العسكرى لا يحتاج إلى شيء من ذلك ، وأضاف أنه لمن المؤسف أن يصير الرئيس عبد الناصر على عودة الجانب الأكبر من القوات المصرية إلى مصر فى أسرع وقت . وكنت واثقاً من صدق تقدير اليمنيين العسكريين من رجال قيادات المناطق الحربية وغير مقتنع بأخبار اللواء أنور القاضى .

ذهبت إلى بيت الرئيس السلال فوجدت عنده وزير العدل القاضى عبد الرحمن الاريانى وبعض الزملاء الذين كان من بينهم النقيب حمود بيدر المكلف بالسفر إلى الجزائر يحمل رسالة إلى الرئيس الجزائرى أحمد بن بيل رداً على رسالته إلى الرئيس السلال ، وكرّر السلال ما سبق أن قاله لى عن الموقف الحربى ، وقال أنه قرر إرسال وفد إلى الرئيس جمال عبد الناصر برئاسة القاضى عبد الرحمن الاريانى ليشرح له خطورة الموقف العسكرى فى اليمن ويطلب منه المزيد من القوات المصرية أو يأذن لليمن بطلب قوات أخرى من العراق قائلاً أنه إذا كان لم يعد يشعر بالأمن على نفسه ذاتها فكيف يطمئن على سلامة الجمهورية كلها .

كان السلال يسند حراسته كلها إلى القوات المصرية ، على عكس ما فعلت حيث كانت حراسته مشكلة كلها من قوات يمنية ، بعضها من قبائل البيضاء ومعظمها من شباب صنعاء وعلى رأس هذه القوات النقيب الهاشمى السيد محمد حسين الشامى .

فسرت قرار الرئيس السلال إرسال ذلك الوفد إلى القاهرة بأنه كان لا يزال معارضاً فى عودة الجانب الأكبر من القوات المصرية إلى مصر وأنه لم يكن مطمئناً إلى الإكتفاء بالقوات المدرعة والجوية المصرية ، كما أنه قد عدل عن إنشاء جيش يمنى من المشاة المتطوعين لأنه لم يكن مطمئناً إلى ولاء الجمهوريين . كان السلال قلقاً على مركزه كرئيس للجمهورية فأراد أن يخرج عبد الناصر بأن يقلل إرسال المزيد من القوات المصرية إلى اليمن ويعدل نهائياً عن رغبته عودة القسم الأكبر منها إلى مصر ، أو يضطر إلى قبول قوات من العراق ، فينتهى الدور المصرى فى اليمن نهايةً مأساوية .

لم يكن عندى أدنى شك فى أن السلال الذى أصبح قلقاً على منصبه لم يعد قادراً على إدراك خطورة إحراج عبد الناصر بطلب قوات غير مصرية لحماية الجمهورية اليمنية ، فاستغل القاضى عبد الرحمن الاريانى قلق السلال المتزايد على منصبه ، كما قامت العناصر المصرية ذات العلاقات السوفيتية بمساعدة الاريانى على استثمار قلق السلال للضغط على الرئيس عبد الناصر ، حتى يعدل عن سحب تلك القوات المصرية من

اليمن ، ففتسح ساحة القتال فى الجزيرة العربية ، وتنهار محاولات السلام اليمنية ، التى كانت الركيزة الأساسية التى مكنت الجمهورية اليمنية من الحصول على إعراف الولايات المتحدة الأمريكية .

كنت أدرك أن توريط القوات المصرية فى اليمن يؤدى إلى إستنزاف رئاسة عبد الناصر فى مصر وتقويض زعامته بين العرب .

شعرت بمسئوليتى نحو اليمن ومصر ونحو الرئيس عبد الناصر الذى سبق أن حصلت على وعده بمساعدة الثورة ، ذلك الوعد الذى لولاه لما قامت الثورة اليمنية على الإطلاق .

رأيت أن أسافر على رأس هذا الوفد إلى مصر لأدرس هذا الموقف الحرج مع الرئيس عبد الناصر ، وأشرح له ما يحيط بإصرار السلال على طلب المزيد من القوات المصرية ، فى وقت لاحت فيه بوادر الإستقرار والسلام ، ولم يكن عندى ثمة شك فى أن السلال بعد أن سقط فى مصيدة الارياى والعناصر المصرية ذات العلاقات السوفيتية قد استجاب إلى خطة توسيع رقعة القتال فى اليمن على عكس ما كان يسعى إليه جمال عبد الناصر وأنور السادات .

أبدت للمجتمعين رغبتى فى السفر على رأس ذلك الوفد إلى مصر فاستحسن السلال هذا الرأى وانسحب الارياى من عضوية الوفد ، واكتفى السلال بأن يصاحبنى إلى مصر النقيب حمود بيدر^(١) الذى كان فى طريقه إلى الجزائر يحمل رسالة إلى الرئيس بن بىلا .

وفى المساء زارنى السلال وسلمنى رسالة خطية إلى الرئيس جمال عبد الناصر يشرح فيها الموقف الحربى فى اليمن من وجهة نظره التى أملوها عليه .

وفى صباح اليوم التالى (الجمعة ١٨ يناير ١٩٦٣) وقبل توجهى إلى المطار فى طريقى إلى القاهرة جاءنى العميد محمد الجرmozى يحمل رسالة من الرئيس السلال (الوثيقة رقم ٢٨) يقول فيها :

الأخ الدكتور عبد الرحمن البىضانى

بعد التحية أرجو أن تضيفوا اسم العميد الحاج محمد الجرmozى معكم ليرافكم فعنده من الحقائق والتجارب ومعرفة مجهود الجيش اليمنى ونظامه ما لا يوجد عند أحد ومرافقته لكم مهمة جدا وقد أبلغته بهذا ختاماً تقبلو تحياتى ،

أخوكم

رئيس الجمهورية

عبد الله السلال

(١) رئيس أركان حرب القوات اليمنية المسلحة فى وقت لاحق وحاليا سفير اليمن فى ألمانيا الشرقية .



وصلنا إلى القاهرة وكان في استقبالنا في المطار أنور السادات ، وفي المساء اجتمعنا بالرئيس عبد الناصر وشرحنا له الموقف الحربى فى اليمن وكافة وجهات نظرى حول خطورة توسيع رقعة القتال فى اليمن وضرورة الاسراع بعودة وحدات من القوات المصرية إلى مصر لتمكين الولايات المتحدة الأمريكية من إزالة مخاوف السعودية . فقال الرئيس عبد الناصر أن برقية قد سبقتنا إليه من الرئيس السلال تلح على طلب المزيد من القوات المصرية إلى اليمن ملوحة بإمكانية الاستعانة بقوات عراقية إلى جانب القوات المصرية ثم قال إنه استجاب لرغبة السلال وأمر بإرسال المزيد من القوات المصرية إلى اليمن . (الأهرام ١٩ يناير ١٩٦٣)

ودعت الرئيس جمال عبد الناصر الذى طلب أن التقى به فى مساء اليوم التالى لأتحدث معه فى طريق عودتى إلى اليمن حيث كان النقيب حمود بيدر فى طريقه إلى الجزائر حاملا رسالة السلال .

فى صباح اليوم التالى (السبت ١٩ يناير ١٩٦٣) طلب السفير السوفيتى فى مصر مقابلتى على وجه السرعة فحددت له موعدا ظهر ذلك اليوم فى دار السفارة اليمنية بالقاهرة .

سألنى السفير السوفيتى عن مستقبل علاقتنا اليمنية مع كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا على ضوء أعمال التخريب ضد الثورة اليمنية التى تقوم بها الحكومتان الأردنية والسعودية ، فقلت أننا واثقون فى أن كل هذه الأعمال سوف تتوقف قريبا حتى نركز جهودنا فى أعمال التنمية الاقتصادية التى أرجو أن يقوم الاتحاد السوفيتى بدور كبير فيها . فسألنى عن مدى استجابة الرئيس عبد الناصر لرأى فى إعادة القسم الأكبر من القوات المصرية إلى مصر على ضوء قراره الأخير بإرسال المزيد من القوات المصرية إلى اليمن ، فقلت أن الرئيس عبد الناصر مقتنع بعودة كل القوات المصرية من اليمن بعد أن نجحت هذه القوات فى تثبيت دعائم الجمهورية اليمنية ، كما نجحت فى مساعدتنا على إقناع الولايات المتحدة بالقيام بدور إيجابى بوقف العدوان علينا من الخارج وتهريب السلاح ضدنا فى الداخل ، لكن الرئيس عبد الناصر قد استجاب لإرسال المزيد من القوات المصرية إلى اليمن بصفة مؤقتة لتهدة السلال الذى تثيره تقارير عسكرية مصرية غير واقعية جاءت من اليمن ونصائح سياسية قدمت إليه من مصر ، وهى نصائح غير عقلانية لأنها لم تدرس طبيعة المصالح اليمنية ولا حقيقة المصالح المصرية .

اقتصرت الحديث على هذين السؤلين وحدهما واستعجل السفير السوفيتى الاستئذان فى الانصراف ، فعجبت كيف يطلب السفير السوفيتى مقابلتى على وجه السرعة لمجرد أن يسألنى هذين السؤلين وحدهما دون سواهما ثم يتعجل إنهاء المقابلة وكأنه كان مرتبطا بإرسال نتيجة هذه المقابلة إلى موسكو فى وقت معين .

وفى المساء وصل أنور السادات إلى بيتى ليصحبنى إلى بيت الرئيس جمال عبد الناصر فى طريقى إلى المطار عائدا إلى صنعاء .

قاذفات قنابل ثقيلة

وصلت الى جمهورية اليمن

اذاع راديو صنعاء امس ، ان الرئيس جمال عبد الناصر ، رئيس جمهورية اليمن ، قام امس بتفقد قاذفات القنابل الثقيلة بميدان المدى التى وصلت اخيرا الى اليمن .

مشاورات هيوم تبدأ

مع وزير بريطانيا فى اليمن

لندن فى ١٩ - ١٠.١ - ١٩٦٢ - وصل كريستوفر جاندى الوزير المفاوض لبريطانيا فى اليمن الى لندن ليبدأ مشاوراته مع حكومته حول مسألة اعتراف بريطانيا بحكومة الثورة ، وقد صرح جاندى الذى استدعته حكومته للنشاور بأنه سيمود الى صنعاء بعد انتهاء مهمته ووصل الحالة فى اليمن بأنها هائلة . كما اننى على المعاطة الطبية التى لكها من حكومته الثورة.

السادات يجتمع بالبيضانى

اجتماع هام فى سفارة اليمن

عقد السيد انور السادات مفسو مجلس رئاسة الجمهورية اجتماعا قبل ظهر امس بالكتور عبد الرحمن البيضانى نائب رئيس جمهورية اليمن ووزير الخارجية لمدة ساعة تناول البحث فيها الموقف على حدود اليمن . وفى المساء عقد اجتماع بدار سفارة اليمن اشترك فيه الدكتور البيضانى والسفير السوفيتى والمعيد عبد الله جزيان وزير الدفاع وعمر مجلس قيادة الثورة والسيد احمد محمد باشا الوزير المفاوض لسفارة اليمن.

الأهرام ٢٠ يناير ١٩٦٢ (الصفحة الأولى)

ذهبت معه إلى الرئيس جمال فوجدته حائرا على غير عادته ، وبعد صمت طويل وعيناه شاخصتان على ورقة فوق مكتبه قال الرئيس (يا أخ عبد الرحمن لقد قمت بدور لا ينسأه لك تاريخ اليمن ومسيرة الأمة العربية . ورجال التاريخ قد يصنعونه فى يوم ، وقد يصنعونه فى سنة ، أو عشرات السنين ، لا تهم المدة وإنما يبقى الأثر . وأنت قد قمت بدورك فى الثورة اليمنية وحقق ما كنت تنادى به) . ثم سكنت الرئيس جمال وعاد إلى الإستغراق فى الصمت بينما لا توحى ملامحه بشئ من الإطمئنان ، فحيرنى صمت الرئيس حتى سألته (هل اعتبر كلماتك ثناء أو رثاء ؟) .

قال الرئيس أنه فى صباح ذلك اليوم سلم عضو الوفد اليمنى العميد محمد الجرموزى إلى مدير مكتبه رسالة من المشير السلال يطلب منها بقائى فى مصر لأننى أيقظت فى اليمن النعرات الطائفية ، عندما دافعت عن الشوافع بطريقة أساءت إلى الزيود ، وأستشهد

ببرقية أرسلها إليه الشيخ أحمد عبد ربه العواضي أحد أبناء منطقة البيضاء ، الذي لم أسمع عنه من قبل ذلك قط ، يقول فيها إننى طلبت من القبائل الشافعية أن تتصدى للنفوذ الزيدى^(١) .

أبدى الرئيس جمال أسفه من رسالة السلال وأسلوبه فى التخلص من نائبه الذى كان ذراعه الأيمن . أما أنور السادات فقد كان حزينا أشد الحزن ، ساخطا على أسلوب السلال أعظم السخط ، مشفقا على مصير الجمهورية اليمنية عندما ينفرد برئاسة السلال الذى يستجيب لكل المتناقضات وجميع التيارات ، ويفتقد إلى طاقة التركيز الذهني لا استيعاب بواعثها واستخلاص نتائجها ، ويتأثر بما يمليه عليه المحيطون به ، المجتمعون حوله .

شكرت للرئيس عبد الناصر شعوره الكريم نحوى وكلماته التاريخية التى اعتبرتها وساما على صدرى ، كما شكرت السادات الذى أسهب فى استعراض مواقف السلال منذ قيام الثورة .

أبدت أسفى للرئيس جمال على اختيار السلال المبررات الطائفية ليزيحنى من جانبه على أمل أن ينفرد بالسلطة ، وهو أول من يعلم فى قرارة نفسه أننى لست الرجل الذى يستند فى مقوماته الشخصية والذاتية إلى عصبية طائفية ، ولو كنت كذلك لما كنت قد عارضته عندما اقترح نقل العاصمة إلى تعز عاصمة الشوافع ، وما كنت أطلب زوجتى وأطفالى إلى صنعاء قلعة الزيود ليشاركوا أهلها حظهم عندما أشرفوا على السقوط فى يد المتمردين ، وما كنت أحارب بنفسى فى رأس الوتده ومعظم معارك الشمال إكتفاء بولاء الجنوب .

قلت للرئيس جمال وأنور السادات أننا لم نكن فى صنعاء نتكلم لغة واحدة ، ولم نكن نعزف نشيدا وطنيا يمينا متفقا عليه ، لقد سعيت إلى السلام وسعى السلال إلى الحرب ، ولكل منا فلسفته ومبرراته . لقد استعنت بأمريكا وبريطانيا لتهدئة مخاوف الأردن والسعودية ، والابتعاد عن محذور تدويل الحرب اليمنية ، وتثبيت جذور الثورة فى اليمن وتخفيف الأعباء العسكرية والمالية عن مصر ، والحفاظ على قواتها الإستراتيجية لمواجهة الأطماع الصهيونية رغم أن المشير عبد الحكيم عامر كان يطمأننى على الإستراتيجية المصرية ، ويؤكد أنه كلما أرسل جنديا إلى اليمن كان (يزرع) بدله عشرين فى مصر ، وكان يستغرب خوفى من أن تستغل إسرائيل فرصة وجود الجيش المصرى فى صنعاء فتحاول إسقاط قلعة العروبة فى القاهرة .

استرسلت قائلا للرئيس جمال وأنور السادات أن تلك كانت فلسفتى ومبرراتى التى أقنعت بها السلال ، فارتبط بها طوال الأشهر الماضية حتى فاجأنى بالخروج عليها ، فأعلن الحرب على الدول الغربية وحكام الجزيرة العربية معتمدا على القوات المصرية والدول الاشتراكية ، ملوحا بالاستعانة بالقوات العراقية ، ضاربا عرض الحائط بالأساطيل الأمريكية والقوات البريطانية ، ناسيا أنه لا يستطيع أن يعتمد فى اليمن سوى

(١) ومن مقارقات القدر أن ذلك الرجل الذى أصبح ، فيما بعد ، رجل السلال الأول فى القسم الشافعى اتهمته الحكومة اليمنية فى وقت لاحق بإثارة الثورة الطائفية الشافعية فضربت بيته بالصواريخ والدبابات حتى هدمته على رأسه مع العشرات من رجاله .

على ولاء صاحبه عبد الرحمن البيضاني ، وأما بقية اليمنيين من أصحاب الحل والعقد فهم إما جمهوري يرى أنه أحق من السلالة بالرئاسة ، وإما ملكي يسعى إلى عودة الإمامة ، فكان الأولى به أن يسعى إلى السلام حتى تستقر الثورة مع الحفاظ على القيادة الجماعية كي يحتفظ برئاسة الجمهورية .

قال السادات أنه نصح السلالة بالألا يستمع إلى نصيحة الارياني الذي يسعى إلى إزاحته بعد كسر ذراعه البيضاني . فقال الرئيس جمال إن السلالة لم يقدر الموقف الدولي ، وأنه حتى لو كان يريد الإستئثار بالسلطة لاختار الوقت المناسب بعد أن تستقر الثورة ، ولذلك فإنه في حاجة إلى من يشرح له خطورة تفتيت قوى الثورة اليمنية وخطورة تحميل مصر كل أعباء الدفاع عنها ، وإذا كانت هناك حساسية معينة فإنه يمكن علاجها بما يدعم الثورة ولا يشتت شملها . وقال الرئيس عبد الناصر إنه سيرسل إلى السلالة خطابا ينصحه بإعادة التفكير في رسالته ، وطلب مني أن أكتب ما سمعت وأن أتصرف في مصر كما لو أنني لم أعرف شيئا عن رسالة السلالة .

وقبل أن أخرج مع السادات من مكتب الرئيس جمال وصلتنا أخبار تفيد أن قاذفات قنابل روسية ثقيلة بعيدة المدى وصلت إلى جمهورية اليمن وأن الرئيس السلالة قام بتفقدتها في مطار صنعاء .

استدعى أنور السادات النقيب حمود بيدر وطلب منه أن يؤجل سفره إلى الجزائر حتى يعود إلى صنعاء يحمل رسالة من الرئيس جمال عبد الناصر إلى الرئيس السلالة . ونظرا للتقدير الخاص الذي كانت تحمله مصر لجميع ضباط الثورة ومن بينهم النقيب حمود بيدر فقد أطلعه السادات على مضمون رسالة الرئيس جمال عبد الناصر إلى السلالة وأبدى له إستيائه واستياء الرئيس جمال عبد الناصر من تصرف السلالة نحوي ، وكان حمود بيدر صريحا في إستيائه من ذلك أيضا .

في يوم الأحد ٢٠ يناير ١٩٦٣ تلقى الرئيس السلالة أول رسالة من خروشوف نشرت عنها الأهرام أنه أكد فيها للسلالة أن (قيام ثورة اليمن قد هيأ الظروف المناسبة كي تزداد الصداقة السوفيتية توافقا وتطورا) .

أدهشتني رسالة خروشوف العاجلة إلى السلالة بعد مقابلتي مع السفير السوفيتي في اليوم السابق على تلك الرسالة ، ثم وصول الطائرات الروسية الثقيلة قاذفة القنابل بعيدة المدى إلى صنعاء ، كما لو كان ذلك مقدم الثمن الذي دفعه الإتحاد السوفيتي إلى السلالة كي يصير على إبعادي في مصر فيبدأ في تشييع جنازة السلام في اليمن ، ودفن جثمان الصداقة التي عقدتها مع الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ، وإطفاء بريق الغزل الذي داعبت به الأردن والمملكة العربية السعودية ، وإخلاء المسرح لممثلي الإتحاد السوفيتي اليمنيين والمصريين المكلفين بإشعال الحريق في الجزيرة العربية ، وهم يتظاهرون برفع راية عبد الناصر بينما يعملون فعلا على إسقاطها .

في نفس اليوم وصل إلى صنعاء الفريق محمد صدقي محمود قائد القوات الجوية المصرية وقابل المشير السلالة ثم حضر إجتماعا برئاسة السلالة شاهده كبار ضباط القيادة

المصرية واليمنية لبحث تطورات الموقف على الحدود والإجراءات الكفيلة بسحق محاولات التسلل إلى الأراضي اليمنية كما جاء في صحيفة الأهرام يوم ٢١ يناير ١٩٦٣ ، التي نشرت إلى جانب ذلك الخبر أن (خروشوف أعطى أمريكا درسا لا تنساه) وقالت على لسان خروشوف (إننا لا نضع أملنا في الله أو في الشيطان . إننا نؤمن بقوتنا ، نؤمن بقوة ما يمكننا أن نضعه بأنفسنا) وقال (إن الأمريكيين وإن كانوا كشروا عن أنيابهم كالذئاب أثناء الأزمة الكوبية فإنهم لم يعضوا مطلقا) .

تأخر الموعد المحدد لاستلام النقيب حمود بيدر رسالة الرئيس جمال عبد الناصر يومين ثم سافر بها إلى صنعاء ولم يكن السلال قد أعلن شيئا عن تصرفه معي إنتظارا لرد فعل الرئيس جمال عبد الناصر .

وتنفيذا لنصيحة الرئيس عبد الناصر ، بأن أتصرف في مصر كما لو أنني لم أطلع على رسالة السلال ، استقبلت بعض الصحفيين الأجانب في ظهر ذلك اليوم في دار السفارة اليمنية ، وكان هؤلاء الصحفيون يستوضحون موقف الحكومة اليمنية من إقتراح السكرتير العام للأمم المتحدة بإرسال ممثل دائم إلى اليمن فقلت (إن حكومة الثورة في اليمن ترحب بالتعاون الكامل مع الأمم المتحدة وأنها على إستعداد لاستقبال أى مندوب يوفده السكرتير العام ، ولكن حكومة اليمن لا يمكنها قبول مندوب دائم للأمم المتحدة في اليمن ، وأن السكرتير العام يستطيع أن يبذل مساعيه الحميدة لدى الدول التي تحرك العدوان ضد جمهورية اليمن لإيقاف هذا التدخل ، كما أن أمريكا يمكنها أن تؤدي دورها في هذا الصدد لما لها من صلات مع الحكومة السعودية) وشرحت الاتصالات التي دارت بيننا وبين يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة وقلت (إن يوثانت اقترح تعيين ممثل دائم للأمم المتحدة في اليمن لكن حكومة الثورة ردت عليه بأنها لا يمكنها قبول تعيين ممثل دائم مع ترحيبها بأى مندوب يوفده السكرتير العام للتشاور مع المسؤولين في اليمن) (الأهرام ٢٢ يناير ١٩٦٣) .

وفي مساء يوم الخميس ٢٤ يناير ١٩٦٣ أقامت نقابة المحامين حفل تكريم لى حضره نقيبهم الأستاذ عبد العزيز الشوربجي والسيد كمال رفعت عضو مجلس الرئاسة في مصر والوزراء والسفراء العرب والأجانب . وردا على كلمات التكريم التي ألقاها الخطباء والشعراء ألقى كلمة شرحت فيها أهداف الثورة اليمنية ورغبتنا في تحقيق الإستقرار والسلام في الجزيرة العربية ، وأشدت فيها بدور القوات المصرية في اليمن التي عبرت عن آمال الأمة العربية في النهضة والتحرر من قيود التخلف وتحقيق الوحدة العربية التي هى حلم العرب من الخليج إلى المحيط . ثم أثنيت على الرئيس الأمريكى جون كنيدي الذى تجاوب مع إرادة الشعب اليمنى فاعترف بحكومته الثورية الجمهورية ووعد ببذل مساعيه الحميدة لوقف التدخل الخارجى في شئون اليمن الداخلية .

أكملت مراسم الحفل بصفتي نائبا لرئيس جمهورية اليمن ورئيس وزرائها كما نصحنى الرئيس عبد الناصر وكأننى لم أعرف شيئا عن رسالة السلال .



عاد النقيب حمود بيدر حزينا من اليمن وقال لى بحضور السادات أنه قبل أن يسلم السلال رسالة الرئيس جمال أبلغه استياء السادات من ذلك التصرف الذى انتقده الرئيس جمال عبد الناصر لصدوره فى ذلك الوقت غير المناسب ، الملىء بالمفاجآت العسكرية ، فرد السلال بأنه يرحب بعودة البيضانى مبديا غضبه على الذين حرضوه على التخلص من نائبه . غير أنه عندما فتح رسالة الرئيس جمال عبد الناصر وجد فيها تأييدا مطلقا فصرخ فى وجه حمود بيدر متهما إياه بأنه كذب عليه عندما أبلغه غضب السادات واستياء عبد الناصر^(١) .

عجبت من هذه الرواية ونظرت إلى عيون السادات التى أكدت أن الرسالة التى أعدها الرئيس جمال عبد الناصر قد تغيرت فى آخر لحظة وكان ذلك سببا فى تأخير تسليمها لحمود بيدر يومين كاملين .

عدت إلى منزلى فلقق بى أنور السادات وأبلغنى ما لم يشرحه أمام النقيب حمود بيدر وقال أن الرسالة الأولى التى كتبها الرئيس جمال عبد الناصر ووقع عليها بحضوره وشرحها للنقيب حمود بيدر لم يعرف أنها تغيرت إلا بعد سفر حمود بيدر إلى اليمن يحمل الرسالة البديلة ، ولذلك فإنه لم يصدقنى ولم يكذب على حمود بيدر حين سلمه الرسالة المغلفة التى كان يعتقد أنها الرسالة التى وقع عليها جمال عبد الناصر بحضوره ، واستطرد قائلاً أن الرئيس جمال أبلغه فيما بعد أنه اضطر إلى تغيير الرسالة الأولى تحت إلحاح بعض الأشخاص ورفض أن يذكر لى أسماءهم فى ذلك اليوم .

غير أن السادات فى وقت لاحق ، أوضح لى بقية التفاصيل فقال أنه بعد أن كتب الرئيس جمال عبد الناصر رسالته الأولى ووقع عليها بحضوره جاءه المشير عبد الحكيم عامر واعترض على تلك الرسالة ، وقال له إن الجهات المصرية المكلفة بشئون اليمن لا تستطيع أن تمارس دورها هناك مع وجود البيضانى لأنه يتمسك بسياسة الإتفاق مع بريطانيا على تمكين جنوب اليمن المحتل من حق تقرير المصير ، وهى سياسة تتعارض مع عملية صلاح الدين التى رسمتها بعض عناصر المخابرات المصرية .

(١) شرح النقيب حمود بيدر للعميد حمود الجانفى فى القاهرة كيف ثار عليه السلال فى اليمن عندما قرأ هذه الرسالة ، ثم شرح له كيف ثار عليه الفريق أنور القاضى قائد القوات المصرية فى اليمن محذرا إياه من أية إساءة يبدونها نحو السلال أو تعاطف يبدونها نحو البيضانى .

كانت هذه العناصر تحلم ببطولات وهمية وفتوحات خيالية بمحاولة طرد بريطانيا من هذا الجنوب عن طريق نفس منشآتها واغتيال رجالها والقيام بثورة شعبية جنوبية .

كان المشير عامر يؤيد هذه العناصر لأنها كانت من رجال القطاع المرتبط به ، وكان يهمه أن يكون صاحب القرار الأول والأخير في اليمن ، الأمر الذي يتعارض مع وجود البيضاني صاحب العلاقات المباشرة مع جمال عبد الناصر وأنور السادات .

حاول أنور السادات أن يشرح للرئيس جمال عبد الناصر مدى سطحية وخطورة سياسة الجهات المصرية المكلفة بشئون اليمن والتي تؤدي حتما إلى إغراق الثورة اليمنية في خضم الصراعات الشخصية ، واستنزاف الإمكانيات المصرية في حرب مع المتمردين لا يريدون لها نهاية ومغامرات مع الإنجليز لا يحسبون لها حساب . فقال الرئيس أنه يدرك أكثر من أى شخص آخر مدى سطحية هذه الآراء وبواعثها الشخصية ، لكنه اضطر إلى العدول عن رسالته الأولى عندما أبلغه المشير عبد الحكيم عامر أن الإتحاد السوفيتي الذي انهزم أمام أمريكا في كوبا يريد أن يسترد عتباره في اليمن ، وهذا ما يتعارض مع عودة البيضاني إليها ليستأنف سياسته المتعاطفة مع الولايات المتحدة الأمريكية .

وقال الرئيس جمال عبد الناصر أنه كان بين أمرين ، أحلاهما أشد مرارة من الآخر ، أحدهما أن يصر على عودة البيضاني إلى اليمن ، وعندئذ قد يتوقف الإتحاد السوفيتي عن مساعدة الثورة اليمنية بالإمدادات العسكرية فيتحملها الإقتصاد المصري مما يثير الرأي العام في مصر ، والآخر أن يؤيد السلال ومن خلفه العناصر المصرية التي صممت على إبعاد البيضاني عن اليمن فيحافظ بذلك على العلاقات والمساعدات السوفيتية . ثم قال الرئيس للسادات أنه اختار الأمر الثاني على مضض .

وختم السادات حديثه معي قائلا أن الرئيس عبد الناصر قد بدأ يشم رائحة المأزق المصري في اليمن ورائحة العناصر الخفية التي تعمل لخدمة الأغراض السوفيتية .

بعد أن أتم السادات حديثه قلت أن ذلك ليس مأزقا مصرياً في اليمن ، ولكنه ، وبكل المقاييس ، مأزق مصري في مصر ، لأن توريط القوى المصرية واليمنية في حروب ذات بواعث دولية على الساحة اليمنية من شأنه أن يضاعف حجم الخسائر المصرية اليمنية ، فيلقى الشك على كفاءة القيادة السياسية المصرية ، ويقلل من حجم نجاح الثورة اليمنية بالقياس إلى حجم هذه الخسائر التي ليس فيها لليمن أو لمصر ناقة ولا جمل .

أوضحت للسادات إنني عندما كنت أرفض بعض رغبات الأجهزة المصرية في اليمن كنت لا أرفض ذلك حرصاً على مصلحة اليمن وحدها ، لأنها في حقيقة أمرها مصلحة مصر ذاتها . لأننا كلما استبعدنا التصرفات الشاذة التي لا تتفق مع طبيعة الظروف اليمنية ، وضيقنا ساحة التوتر ، كلما قللتنا حاجة اليمن إلى المساعدات المصرية فضاغننا من حجم مزاياها التاريخية . كذلك عندما يشعر المواطن في مصر بأن بلاده لم تخسر كثيراً في اليمن فإنه يرحب بالإنتماء الأكثر إلى الأمة العربية والتطوع الأكرم في معاركها القومية .

قلت لأنور السادات إننى أريد مقابلة الرئيس جمال عبد الناصر .

سألنى ماذا ستقول له ؟

قلت سأشكره على حسن ظنه بى ووقوفه إلى جانب ثورة الشعب اليمنى ، وأقول له
أننى أشفق على اليمن ، وعلى مصر ، وعلى زعامة جمال عبد الناصر ، وأحلام الأمة
العربية .

كانت الصدمة ثقيلة على صدرى لأنها لم تكن ضياعا لمنصب ، وإنما كانت تشويها
لتاريخ ، تاريخ ثورة اليمن والمساعدات المصرية وانتقال الصراع الدولى إلى الساحة
العربية .

نصحنى السادات أن أكتب جراحى فى صدرى فلست أول من أودى فى سبيل رسالته
وطنه وقومه . قلت أننى لا أتألم لنفسى ولا أشفق عليها مما قيل عنها أو وقع بها فإننى
أعرف أنهم قذفوا النبى ﷺ بالحجارة وواجهوه بأغلظ الألفاظ ، وقالوا أنهم صلبوا
المسيح عليه السلام ودقوا المسامير فى رأس من شبه لهم وكفيه وقدميه وهو على قيد
الحياة .

إننى أذكر جيدا عذاب الأنبياء وتضحية الثوار والمصلحين ، ولذلك رحبت بالموت من
أجل ثورة الشعب فى اليمن ، لكننى أربأ بأن تكون نهاية ثورة اليمن على إيدى قيادة
مصر . ولا يهمنى أن يبقى البيضانى فى القاهرة أو يعود إلى صنعاء ، وإنما أريد أن
تفطن القاهرة وصنعاء إلى خطورة توسيع ساحات القتال وتدويل الحرب فى اليمن ،
واستنزاف الطاقات المصرية فى وديانها الوعرة وجبالها المزروعة بكهوف المتمردين
اليمنيين ومغارات المرتزقة الأجانب ، وفى حرب لا يعرف أسرارها سوى من ينفخ
نارها ويدير أزرارها من أعالي البحار ، ومن خلف الستار .

لم تعد المشكلة فى نظرى قاصرة على ثورة اليمن ، وإنما أصبحت تحيط بثورة
مصر .

هالنى أن يسلم الرئيس جمال عبد الناصر بسطحية معاونيه ثم يسلم لهم شراع السفينة
المصرية بعد أن سلحهم بشرعية قيادتها ، واكتفى منهم بمقعد القائد بغير دفة وموقع
الربان بغير شراع .

حان موعد صلاة العشاء فأديتها فى بيتى خلف السادات داعيا الله أن يحقن الدماء فى
اليمن فيحفظ الشعب المصرى فى مصر مما ينتظره من خلف ذلك الستار .

بعد أداء الصلاة طلب منى السادات أن أكتب استقالتي للسلال حتى أرفع عنه الحرج
حيث لم يعلن شيئا عن غيابى فى القاهرة حتى تلك اللحظة رغم تساؤل الأجانب واستنكار
اليمنيين من الذين لم تكن لهم مصلحة فيما أرغموا السلال عليه . فكتبت الاستقالة التالية :
(الوثيقة رقم ٢٨) .

سيادة المشير عبد الله السلال رئيس الجمهورية الأفخم

وأخوانى أعضاء مجلس قيادة الثورة المحترمين

تحية طيبة وبعد

لقد كانت ثورة شعبنا اليمنى العظيم هى الأمل الكبير الذى تناقلته الأجيال جيلا بعد جيل ثم تحقق بإرادة جيلنا الحاضر فأصبح الأمل الكبير حقيقة كبيرة دخلت إلى صفحات التاريخ من أوسع أبوابها .

ولما كان إخطارى بإبعادى فى القاهرة ، على إثر وصولى إليها فى مهمة رسمية مستعجلة ، فلم أعد بعد ذلك قادرا على قيامى بواجبى ككاتب لرئيس الجمهورية ، الأمر الذى كلفنى به مجلس قيادة الثورة فى المادة الحادية عشر من الدستور المؤقت ، الذى أعلنه المجلس المؤقت لتثبيت قواعد الحكم أثناء فترة الانتقال .

ولما كنت حريصا على وحدة الصف ، التى هى دعامة الثورة الأساسية ، فإننى أقدم إليكم إستقالتى من هذا المنصب ، أملا فى تسهيل مهمتكم التاريخية ، التى لا أشك أبدا فى أنكم عاملون عليها ، مخلصون لها ، متفانون فى سبيلها .

وفقكم الله وثبت خطاكم وحفظ شعبنا الخالد ووحد أمتنا العربية المجيدة .

وتفضلوا عظيم احترامى وتقديرى

أخوكم

دكتور عبد الرحمن البيضانى

ذهبت مع أنور السادات إلى الرئيس جمال عبد الناصر لأسلمه استقالتى كى يرسلها إلى السلال ردا على رسالته للرئيس ، فاعترض الرئيس على إشارتى إلى المادة الحادية عشر من الدستور التى نصت على أن مجلس قيادة الثورة انتخب السلال رئيسا للجمهورية وانتخبنى نائبا لرئيس الجمهورية (الوثيقة رقم ٢٧) . وقال عبد الناصر أن هذه الإشارة تعنى بطلان قرار السلال بإبعادى عن اليمن . فقلت أنه لو كان قراره شرعيا لما احتاج إلى إستقالتى ، وإننى عندما أقدم إليه إستقالتى على هذا النحو فإننى أعلن استقالتى بإرادتى ، مع الحفاظ على نفس تلك المادة التى يكتسب منها السلال شرعية بقائه رئيسا للجمهورية طوال فترة الانتقال المنصوص عليها فى الدستور .

قال الرئيس عبد الناصر أنه سيدرس هذه الصيغة ، وطلب منى أن أزوره مع السادات فى اليوم التالى . وفى الموعد المحدد لتلك الزيارة قال الرئيس أن السلال سيعلن إلغاء مجلس قيادة الثورة والدستور المؤقت ولذلك فإنه لم يعد هناك داع كى أوجه استقالتي للسلال وأعضاء مجلس قيادة الثورة وأن اكتفى بتوجيهها إلى السلال وحده ، كما اقترح أن أحذف الإشارة إلى المادة الحادية عشر من الدستور بل وأحذف الإشارة إلى الدستور نفسه .

قلت أنه ما دام السلال سيعلن إلغاء مجلس قيادة الثورة وإلغاء الدستور نفسه فإنه لن يكون فى حاجة إلى إستقالتي لأنه سوف تسقط تلقائيا أسماء جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة عند إلغاء هذا المجلس كما تسقط صفة السلال كرئيس للجمهورية اليمنية الأولى وصفتى كنائب له عند إلغاء الدستور ، وبعدئذ يعلن السلال ما شاء بصفته قائدا لثورة يمنية جديدة غير ثورة ٢٦ سبتمبر فيقيم جمهوريته الثانية بالشكل الذى يراه .

تدخل السادات فى الحوار حرصا على حساسية موقف الرئيس عبد الناصر ونصحني بحذف ما أراد الرئيس حذفه . وتحت ضغط السادات وافقت على توجيه إستقالتي إلى السلال وحده مع حذف الإشارة إلى الدستور ، وحصر الإستقالة من منصب نائب رئيس الجمهورية وحده ، لأن موقعى التاريخى كنائب رئيس مجلس قيادة الثورة اليمنية يعتبر حقيقة تاريخية ، لا علاقة لها بمنصب نائب رئيس الجمهورية ، لأن المناصب التنفيذية تتغير من حين إلى آخر ، أما المواقع التاريخية فإنها هى التى تبقى على وجه الزمن .

أخذ الرئيس عبد الناصر استقالتي على هذا النحو وأرسلها إلى السلال الذى طلب من عبد الناصر أن أعلن من جانبى إننى استقلت لأسباب مرضية . وتحمس عبد الناصر لهذا الرأى فقلت له كيف يصدق الناس إننى مريض وأنا بينهم فى أتم صحة وعافية والحمد لله ، ثم أننى لو كنت مريضا لكان الأجدر بى أن أعود إلى صنعاء وأعلن استقالتي المرضية وسط قومي فى اليمن ؟ . اعتذرت عن عدم إعلان هذا السبب وقلت للرئيس جمال أنه فى وسعه كما فى وسع السلال أن يعلن كل منهما ما يشاء من الأسباب وإننى من جانبى لن أكذب أى سبب يرى أحدهما إعلاناه .



كان إبعادي من اليمن نصرا عزيزا لأعداء الجمهورية الذين ملأوا إذاعات وصحف العالم بأخبار الإنقسام في صفوف الجمهوريين . وبدأ المحللون السياسيون يتوقعون إنهيار النظام الجمهوري من داخله . وذهب كل محلل سياسي إلى ما خطر على قلبه من الأسباب التي أدت إلى إبعادي عن السلطة ، بينما كنت داعيا للعلاقات الودية في سياسة الحكومة الخارجية .

اتفق المحللون الدوليون على أن القيادة السياسية في كل من القاهرة وصنعاء قد أدارت ظهرها للسلام وأنها تنوى فعلا القتال داخل الأراضي السعودية ، ليس فقط لتثبت الثورة اليمنية وإنما لتصفية الملكية السعودية تنفيذا لأغراض التعبئة العامة التي أعلنها السلال قبل ستة أيام من إبعادي في القاهرة لتجنيد الشعب اليمني (لخوض معركة فاصلة للقضاء على الرجعيين والدخلاء من بقايا أسرة سعود وفصيل وحسين .. وتطهير البلاد العربية من الحكام الخونة) .

على إثر إبعادي في القاهرة سافر المشير عبد الحكيم عامر وأنور السادات إلى صنعاء يوم الخميس ٣١ يناير ١٩٦٣ لعلاج المضاعفات التي بدأت تظهر على سطح الأحداث في اليمن نتيجة للإنقلاب الذي قام به السلال في مجال السياسة الخارجية للثورة اليمنية ، ذلك الإنقلاب الذي كان دور السلال فيه مجرد إعلان والتوقيع عليه طبقا للتخطيط الذي اشتركت فيه العناصر المصرية التي وصفها الفريق صلاح الحديدي رئيس المخابرات الحربية المصرية في ذلك الوقت بأنها كانت تدرك فعلا أنها تعمل لحساب السوفييت ، حيث أوضح هذه الحقيقة في مجلة روز اليوسف بتاريخ ٩ يونية ١٩٨٠ حين أشار إلى بواعث توسيع رقعة القتال في اليمن استجابة للأطماع السوفيتية في المنطقة ، فقال :

(إن العلاقات المصرية السوفيتية كانت تمر في ذلك الوقت بأحسن ظروفها ومنعطفاتها ، والقضية من الناحية العامة كانت تهم الإتحاد السوفيتي ، فخرج اليمن من المعسكر الذي عاشت فيه آلاف السنين لا شك في أنه كان إضافة إلى المعسكر الجديد ، وهي لم تبدل في هذا أكثر من الإعتماد على صداقة مصر ، فمصر هي رأس الحربة ويمكن للإتحاد السوفيتي أن يكون جسمها) إلى أن قال أنه (عن طريق الوجود المصري في اليمن يمكن أن ينشأ وجود سوفيتي أكثر وأبعد أثرا ، فالإقتراب من مناطق النفط الغنية ومن المدخل الجنوبي

للبحر الأحمر ومن دول شرق أفريقيا والعديد من الدول النامية يفتح آفاقا جديدة أمام الاتحاد السوفيتي تفيده في الصراع القائم بينه وبين المعسكر الغربى حاضرا ومستقبلا ..)

معنى ذلك أن الفريق صلاح الحديدي ، بحكم منصبه كمدير للمخابرات الحربية في ذلك الوقت ، كان يعرف نوايا الاتحاد السوفيتي ، ومدى سيطرته على مراكز إتخاذ القرار المصرى ، فلم يكتب ما كتب من فراغ ، وإنما من واقع معلومات وتقارير .

ولذلك فإنه بعد إعلانى للبيان اليمنى الذى أعقبه الإعتراف الأمريكى جن جنون الاتحاد السوفيتى الذى كان حريصا على تطوير القتال في اليمن حتى يشمل الجزيرة العربية بأسرها ، ثم زاد جنون الاتحاد السوفيتى بعد ذلك بأسبوعين حيث كانت الرسائل التى كنت قد تبادلتها بإسم الحكومة اليمنية مع المستر ماكميلان رئيس وزراء بريطانيا قد أوشكت على إعلان الإعتراف البريطانى بحكومة الجمهورية العربية اليمنية ، ذلك الإعتراف الذى كان من شأنه أن يؤدى إلى وقف التسلسل من الجنوب بعد أن تم الإتفاق بالإعتراف الأمريكى على وقف التسلسل من الشمال .

وأخذ المشير عامر يدير بنفسه شئون اليمن بواسطة عناصره المصرية ذات العلاقة السوفيتية ، وحصر دور المشير السلال في مجرد حضور الإجتماعات العسكرية والسياسية حضورا شكليا لا يمينيا .

وعلى إثر وصول المشير عامر والسادات نشرت الأهرام فى أول فبراير ١٩٦٣ أنه قد (بدأت إجتماعات هامة في مقر القيادة العربية حيث اجتمع المشير عامر والسادات بكبار الضباط ثم اجتمعوا بالسلال في دار السفارة المصرية ، كما اجتمعوا مع عدد من الوزراء والضباط لبحث الشئون العسكرية والمسائل التى تهم البلدين ، ثم قام المشير عامر بزيارة مواقع القيادة العربية في المناطق النائية للمرة الأولى منذ وصول القوات المصرية إلى اليمن ، واجتمع بكبار ضباطها حيث بحث معهم المسائل المتعلقة بالقوات العربية ، وعندما عاد إلى صنعاء استأنف إجتماعه مع المشير السلال) .

فى يوم الجمعة ٨ فبراير ١٩٦٣ قامت ثورة فى العراق أتت بالرئيس عبد السلام عارف على أنقاض عبد الكريم قاسم .

وأذاعت وكالة رويتر فى يوم الأحد ١٠ فبراير ١٩٦٣ أن المتحدث بلسان وزارة الخارجية البريطانية صرح بأن حكومته تبحث مسألة الإعتراف بالحكومة الجديدة فى العراق ، وقال أن هذا الإعتراف سيتم تمشيا مع الظروف التى ترى بريطانيا ضرورة توفرها من أجل الإعتراف ، وقال المتحدث أن روجير ألن سفير بريطانيا فى العراق أجرى محادثات مع وزير خارجية العراق .

فى نفس ذلك اليوم أعلن السلال أنه سيطلب ترحيل جميع الدبلوماسيين البريطانيين من اليمن خلال أسبوع إذا لم تعترف بريطانيا بالحكم الجديد فى اليمن . ولم يدرك السلال أن الحكومة البريطانية قد ساورها الكثير من الشك فى نواياه نحو الإستقرار والسلام فى اليمن ، بعد إنقلابه على نائبه الذى كان حريصا على تثبيت الجمهورية اليمنية عن طريق

العلاقات الودية مع القوى المؤثرة في مسار الأحداث في الجزيرة العربية ، وليس عن طريق المزيد من الأعمال الحربية التي تستنزف طاقات الثورة ، وتقودها إلى مذبحه الصراعات الدولية لحساب الأغراض السوفيتية ، التي بدأت منذ ذلك الوقت تحفر قبر الزعامة الناصرية .

وكان توقیت إنقلاب السلال على نائبه يدعو إلى الدهشة لأنه جاء على إثر إعلان الحكومة البريطانية أنها على وشك الإعتراف بالحكومة اليمنية ، وفي أعقاب مقابلة الوزير البريطاني للسلال بحضورى ، وبعد أن عرض علينا نص الخطاب الذى يلقى أمام السلال عند تقديم أوراق إعتماده بعد إعلان إعتراف حكومته بحكومة الثورة اليمنية وبعد أن عرضت عليه نص الخطاب الذى سوف يرد به السلال على خطابه ، فسافر إلى لندن لإتمام الإجراءات الخاصة بهذا الإعتراف .

وقوع إنقلاب السلال فى هذه اللحظات بالذات جعل دول العالم تفسره بأنه ليس إنقلابا على شخص البيضانى وإنما على ما كان يمثل من إتجاهات فى السياسة الدولية .

وهذه الدول لا ينقصها الذكاء الذى افتقدته بعض العناصر التى تصورت أنها تصول وتجول وحدها فى المسرح العالمى فاستخدمت السلال لمجرد أن تعطى لسياستها رائحة البن اليمنى .

لا شك فى أن السلال لم يدرك ذلك حين أعلن أنه سيطلب ترحيل جميع الدبلوماسيين البريطانيين من اليمن لأنه كان مجرد اللسان اليمنى الذى ينطق بالتوجيهات غير اليمنية ، بل وغير القومية ، التى كانت تسعى إلى إشعال النار فى الجزيرة العربية ، وإلا فما هو الضرر الذى يقع على الجمهورية اليمنية من بقاء ثلاثة دبلوماسيين بريطانيين فى اليمن تحت سمع وبصر الحكومة اليمنية ، حتى ولو كانت فى حالة حرب فعلية مع الحكومة البريطانية ؟ وما هو النفع الحقيقى الذى تحققه الإستراتيجية اليمنية من مجرد نقل هؤلاء من شطرها المستقل فى تعز حيث المفوضية البريطانية إلى شطرها المحتل فى عدن حيث الإدارة الإستعمارية البريطانية ، بينما المسافة من تعز إلى عدن لا تتعدى مائة وخمسين كيلو مترا ؟ علاوة على أنه كانت لبريطانيا آذان يمنية فى معظم أنحاء الجمهورية ، وكانت أخبار مجلس وزراء اليمن تذاع أحيانا من لندن قبل أن تذاع فى صنعاء .

نطق السلال بتوجيهات العناصر ذات العلاقات السوفيتية فقلب المائدة الدبلوماسية فى وجه الحكومة البريطانية .

أسرعت بريطانيا بالإعتراف بحكومة الثورة فى العراق ، ولم تعترف بحكومة الثورة فى اليمن ضاربة عرض الحائط بإنذار السلال بترحيل الدبلوماسيين البريطانيين من اليمن ، وأثنى كرسنوفر مالبهيو بالنيابة عن حزب العمال البريطانى على قرار الحكومة البريطانية بالإعتراف بحكومة الثورة العراقية .

وكان من الطبيعي أن ينتقد المعلقون السياسيون تسرع الولايات المتحدة بالإعتراف بحكومة الثورة اليمنية وسجل ذلك دانا آدمز شميدت في كتابه (اليمن .. الحرب المجهولة) صفحة ١٨٨ حين قارن بين هذا الإعتراف وبين قيام الولايات المتحدة بالوقوف إلى جانب جمال عبد الناصر أثناء العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ فقال :

(إن عبد الناصر كان يدافع عن مصر ضد العدوان البريطاني الفرنسي الإسرائيلي وكان العالم العربي كله مؤيدا له ، أما في اليمن فإن أهداف عبد الناصر تمتد خارج حدودها وتتجه إلى إسقاط الملكية السعودية للسيطرة عليها وعلى بقية الدول البترولية في شبه الجزيرة العربية) .

انتقد هذا الكاتب الإعتراف الأمريكي بحكومة الثورة اليمنية بدعوى أنه ساعد عبد الناصر وحملته العسكرية في اليمن على تحقيق أغراضه خارج حدودها^(١) .

ثم قارن هذا الكاتب بين الموقف الأمريكي والموقف البريطاني فكتب في صفحة ١٩٠ (إن الحكومة البريطانية حسمت موقفها في مطلع ١٩٦٣ ورفضت الإعتراف بحكومة الثورة اليمنية وكان يقف مع هذا الرأي هارولد ماكميلاند رئيس الوزراء البريطاني ودنكان ساندرو وزير الدولة لشئون المستعمرات وبيتر ثور نيكروفت وزير الدفاع وهيو ج فراسر وزير الدولة للطيران وجوليان اميري وزير الطيران) .

وكان الباعث من وراء رفض بريطانيا الإعتراف بحكومة الثورة اليمنية ما ذكره ذلك الكاتب في مقدمة هذه الصفحة حين قال أنه :

(على المصريين أن يقرروا الإستمرار في حرب لا يطيقون الإستمرار فيها ، أو يقرروا الإنسحاب منها ويواجهون هزيمة أصدقائهم المحتملة . وفي الحالتين يتوقع الخبراء البريطانيون نتائج مدمرة لجمال عبد الناصر ، أما الولايات المتحدة الأمريكية التي تسرعت في ذلك الإعتراف ، فإنها في نظر هؤلاء الخبراء البريطانيين كالألعاب الذي يتعجل القفز وهو ينزلق بين الأمواج الهادرة فلا يلبث أن تتكسر الأمواج فوق رأسه) .

هكذا أثار إنقلاب السلال على السياسة الخارجية لحكومة الثورة اليمنية شكوك بريطانيا وتبرم أمريكا ، وحفز دول الغرب على التصدى لدول الشرق وكانت الضحية شخصية الثورة اليمنية والخسائر المصرية .

عندما عاد النقيب حمود بيدر من الجزائر بعد أن سلم رسالة السلال إلى بن بيلاراني في بيتي بالقاهرة مع العميد حمود الجانفي . وأخذنا ندرس المستقبل المظلم الذي اتجهت إليه اليمن ، والكارثة العربية التي بدأت تزحف نحوها القاهرة . فأثرت عليهما بأن نخرج للعشاء في أحد الفنادق السياحية في الهرم بعيدا عن أجهزة التسجيل التي يحتمل أن

(١) بطبيعة الحال لم يكن هذا الكاتب يعرف أن الرئيس عبد الناصر كان يلج شخصا على سحب القسم الأكبر من قواته قبل نهاية يناير ١٩٦٣ ولا يعرف أسرار تحول عبد الناصر عن هذا الموقف .

تكون فى بيتى . وكانت فى خدمتى فى ذلك الوقت سيارة من رئاسة الجمهورية ومرافق
عسكرى بالسيارة بخلاف حراسة البيت . ذهبنا إلى أحد الفنادق بشارع الهرم وسبقنا إلى
مائدة العشاء مرافقى العسكرى لاختيار مائدة فى أحد أطراف قاعة العشاء ، وفى أقل من
نصف دقيقة وصلنا نحن الثلاثة وجلسنا حول المائدة وبدأنا ندرس أحوال اليمن .

وانتهى الحديث إلى إتفاق شفوى يحمله حمود بيدر إلى اليمن ويبلغه إلى أصدقائنا من
القيادات الجمهورية بغرض إظهار إستيائها من تدهور الأحوال فى اليمن ورغبتها فى
إعادة القيادات القادرة على حماية الجمهورية ، فى نطاق الإسترشاد بنصائح القيادة
المصرية ، دون الخضوع لها والإمتثال لأوامرها ، تفاديا لمزيد من التورط المصرى فى
اليمن ، وتجنباً لإخلاء الساحة المصرية من قواتها الضاربة مما يثير شهوة إسرائيل فى
الإنقضاض عليها .

وصل حمود بيدر إلى اليمن فوجد جميع تفاصيل حديثنا قد سبقته إليها ، ووجد المشير
عامر فى حالة هياج لم يعرف عنه قبل ذلك قط . وبدأت القيادة المصرية تحذر كل من
شملهم حديثنا ، أما حمود بيدر فقد كان محل غضب السلال والقيادة المصرية وسخط
المشير عامر .

وفى القاهرة زارنى السادات وسلمنى نسخة من شريط التسجيل الذى استطاع مرافقى
العسكرى أن يضع جهازه أسفل مائدة الطعام فى ذلك الفندق ، وأبلغنى غضب الرئيس
عبد الناصر .

على إثر ذلك قام العميد حمود الجائفى بزيارة الرئيس عبد الناصر وحاول إقناعه بأنه
ليس من مصلحة اليمن ولا مصلحة مصر أن تتورط القوات المصرية فى حكم اليمن
حكما مباشرا ، وأنه ينبغى ترك اليمن لليمنيين الجمهوريين ، فهم أدرى بإدارة شئونهم
الداخلية وعلاقاتهم الخارجية فى نطاق الزعامة الناصرية . وحاول العميد حمود الجائفى
إقناع عبد الناصر بأن حديثنا لم يكن تأمرا على الوجود المصرى فى اليمن ، بل كان
تفكيراً يمينياً فى كيفية ترشيد هذا الوجود . والتعاون معه إلى الحد الذى لا يضر بسمعة
مصر ، ولا يستنزف طاقاتها العسكرية والمالية .



على نقبض خطة ترشيد الوجود المصرى فى اليمن التى طرحتها على المشير عامر والسادات والسلال ، والتى كانت تكتفى بقوات المدرعات والطيران المصرى والتمركز فى الأماكن الإستراتيجية وحدها ، وإنشاء جيش من المتطوعين اليمنيين ، مع عدم التصدى للمتمردين فى الأماكن الوعرة غير الإستراتيجية ، وتوفير إمكانيات الحكومة اليمنية والطافات المصرية للقيام بالمشروعات العمرانية التى تلفت الأنظار إلى مزايا الثورة الجمهورية ، بدأ مخطط يناقض ذلك تماماً حيث بدأت سياسة توسيع رقعة القتال فى اليمن وضرب الأهداف العسكرية داخل الأراضى السعودية .

ففى يوم الأربعاء ١٣ فبراير ١٩٦٣ أعلنت الحكومة اليمنية أنها :

(لقتن السعودية درساً آخر لن تنساه ، بعد أن قامت بمحاولة جديدة للتسلل عبر الحدود الشمالية لليمن فلقبت على الفور رداً حاسماً رادعاً اشتركت فيه الطائرات مع المدرعات والمدفعية لضرب أوكار التجمع الرجعى والمعسكرات التى حشد فيها سعود وحسين الجنود والعتاد فى محاولة يائسة لضرب ثورة اليمن بعد أن ثبتت أقدامها رغم أنف بريطانيا التى تدفع هذه الرجعية دفعا وتحاول أن تقيمها وأن تسندها وهى تسقط وتتهاوى فى المنطقة العربية جزء بعد جزء ، ولقد طردت الحكومة اليمنية البعثة البريطانية الدبلوماسية من اليمن وأعطتها مهلة يومين تنتهى يوم السبت القادم لتغادر الأراضى اليمنية (الأهرام ١٤ فبراير ١٩٦٣) .

هكذا نفذ المشير عبد الحكيم عامر الذى كان لا يزال فى اليمن النصيحة السوفيتية بطرد البعثة البريطانية من اليمن ، تلك النصيحة التى رفضت تنفيذها عند قيام الثورة وأبقيت على المفوضتين الأمريكية والبريطانية كى استخدمهما فى تهيئة المناخ الدولى لصالح الثورة اليمنية حتى حصلت على الإعتراف الأمريكى ، فتمكنت عن طريقه من طرد ممثل البدر من منظمة الأمم المتحدة وقبول الحكومة الجمهورية عضواً فيها ، كما حصلت على وعد أمريكى بالمساعدة على إقرار السلام فى المنطقة عن طريق وقف المساعدات الأردنية والسعودية للمتمردين وتقديم المعونات السياسية والإقتصادية للجمهوريين . وكنت على وشك الحصول على الإعتراف البريطانى بحكومة الثورة اليمنية وحق أهالى جنوب اليمن

المحتل في تقرير مصيرهم طبقاً لنصوص القانون الدولي ، وتركيز المساعدات السوفيتية للثورة اليمنية في نطاق المجالات الاقتصادية . ولكن كما قال الشاعر :

وإذا المنية أنشبت أظافرها ألفيت كل تميعة لا تنفع

واجتمع في مقر القيادة المصرية في اليمن المشير عامر والسادات والسلال في يوم الخميس ١٤ فبراير ١٩٦٣ مع عدد من مشايخ القبائل حيث القى السلال كلمة جاء فيها أنه (تقرر تشكيل مجلس رئاسة في جمهورية اليمن وأنه سيعض جميع مشايخ القبائل وسيكون مختصاً بالنظر في كل مصالح الشعب اليمني وخيره) ونسى أنه ، في أيامى ، عارض في تعيين الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر وزيراً ثم هدد بالاستقالة إذا صممت على تعيينه في مجلس الوزراء . وفي نهاية الكلمة ردد السلال قسماً حاول أن يقلد به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال (أقسم بالله الذى لا أله إلا هو فى هذا المشهد الكريم أن أكرس حياتى وجهدى من أجلكم ، وإذا تبدلت أو تحولت أو انحرفت فعليكم لعنة الله إذا لم تقومونى أو تقصونى) .

ثم أصدر الرئيس السلال في يوم الجمعة ١٥ فبراير ١٩٦٣ إنذاراً إلى البعثة الدبلوماسية الأثيوبية في اليمن بمغادرة البلاد إذا لم تعترف الحكومة الأثيوبية بحكومة الثورة اليمنية ، وفى نفس ذلك اليوم صرح خروشوف فى حفل أقامه ملك لاوس فى موسكو بأن (الصداقة بين الاتحاد السوفيتى والصين قديمة وإنها مستمرة وسوف تستمر وإنه عندما يحين الوقت الذى تتمكن فيه الشيوعية من دفن الرأسمالية ستقوم روسيا والصين معا بإلقاء آخر حفنة من التراب على قبرها) .

كما أصدر السلال فى يوم السبت ١٦ فبراير ١٩٦٣ أمراً بترحيل جميع الدبلوماسيين الإنجليز والأثيوبيين من الأراضى اليمنية ، ثم ذهب إلى مقر القيادة المصرية حيث اجتمع بالمشير عامر لاستعراض النتائج العسكرية للعمليات الأخيرة وتمت فى هذا الاجتماع دراسة الأعمال العسكرية المقبلة . وقد حضر هذا الاجتماع الفريق على عامر رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية واللواء أنور القاضى قائد القوات المصرية فى اليمن .

فى يوم الثلاثاء ١٩ فبراير ١٩٦٣ أعلن الرئيس السلال أنه سيتولى منصب وزير الخارجية إلى جانب رئاسة الحكومة .

وبعد ذلك استقبل السلال فى يوم الأربعاء ٢٠ فبراير ١٩٦٣ نيكولاي سوليتسكى أول سفير للاتحاد السوفيتى فى اليمن الذى صرح بأن (الاتحاد السوفيتى لن يقف عند حد فى مساعداته التى يقدمها لليمن) .

وعلى إثر مقابلة السلال للسفير السوفيتى أذاعت وكالة الأسوشيتدبرس فى يوم الجمعة ٢٢ فبراير ١٩٦٣ أن السلال أعلن أن (حكومته ستؤيد بالسلاح والرجال أية ثورة شعبية فى الجزيرة العربية ضد سعود وأخيه فيصل ، وإن الثورة العراقية قد قربت النهاية التى يحتمها التاريخ للأنظمة الرجعية الفاسدة فى السعودية والأردن ، وأن هناك ما يدل على قرب تعرض الأسرة الملكية السعودية الفاسدة لثورة شعبية .)

وكان هذا التصريح بمثابة إلقاء المزيد من الوقود على النار المشتعلة في اليمن حتى أعلن راديو صنعاء يوم الثلاثاء ٢٦ فبراير ١٩٦٣ أن بريطانيا أعدت بطائراتها وقواتها على الأراضي اليمنية وأن السلال قد أبلغ نبأ هذا العدوان إلى يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة وجامعة الدول العربية ، كما أعلن أن حكومة اليمن تحتفظ بكامل حقها في الدفاع عن سيادتها وعن سلامة أراضيها ومواطنيها بكافة الطرق ، ثم استدعى القائم بالأعمال الأمريكي في اليمن ولفت نظره إلى تصرفات بريطانيا ونتائجها نحو ثورة اليمن .

ثم وجه الرئيس السلال إنذارا إلى الحكومة البريطانية عن طريق السفارة الأمريكية في يوم الخميس ٢٨ فبراير ١٩٦٣ بأنها (إذا لم تتوقف فورا عن أعمال التحرش والإستفزاز على حدود اليمن فإن على بريطانيا أن تواجه سويس أخرى) .

وعندما قام إنقلاب في سوريا في يوم الجمعة ٨ مارس ١٩٦٣ أرسل السلال برقية إلى الرئيس عبد الناصر قال فيها (من أعماق قلبي أهنيء شعب الجمهورية العربية المتحدة وأهنيءكم بقيام ثورة سوريا الشقيقة وأنه لنصر عظيم حقق الله بكم الآمال والله يحرسكم ويرعاكم) . كما أرسل برقية إلى مجلس قيادة الثورة في دمشق قال فيها(إننا نؤيد ثورتكم ونقف بجانبكم ونشعلها حربا شعواء ضد من تحدته نفسه أن يمس ثورتكم أو يحاول الدس أو الخداع) . كما أرسل السلال برقية تهنئة إلى كل من المشير عامر وأنور السادات وكانا لا يزالان في اليمن .

ولا أدري لماذا اختار السلال ألفاظ الدس والخداع في برقية يهنئ فيها مجلس قيادة الثورة السورية ولعل مزاجه العام كان غارقا في مناخ الدس والخداع الذي أخذ يتجلى في اليمن أكثر فأكثر .

أثناء وجود المشير عامر والسادات في اليمن انتشرت إشاعات حول ضغط بعض عناصر الثورة اليمنية للمطالبة بعودتي إلى صنعاء ، وحول قلق عبد الناصر والسادات من سلوك العناصر المصرية اليمنية التي يهملها توريط اليمن ومن خلفها مصر في متاهة الصراعات الدولية ، فاستجاب السلال لنصيحة هذه العناصر بأن يقطع على السادات ومن خلفه عبد الناصر خيط التفكير في عودة البيضاني فقال للسادات إنني (أرسلت عن طريق الأستاذ محمد سالم باسندوه ممثل حزب الشعب الاشتراكي في عدن إلى أصدقائي من الوزراء الشوافع كي يستقبلوا من مناصبهم الوزارية لإخراج السلال مما يعتبر عملا طائفا من جانبي يؤكد ما شكى منه في رسالته التي طلب فيها من عبد الناصر إبقائي في مصر) .

أرسل السادات يحيطني بما زعمه السلال مؤكدا أنه لم يصدقه فيما قاله عني ، لأنه يعرف مدى تقديري لمصلحة الثورة اليمنية ، وتصادف أن استلمت رسالة السادات وكان في زيارتي الأستاذ محمد سالم باسندوه (وهو حاليا مستشار رئيس الجمهورية اليمنية) فاطلعت على هذه الرسالة فثار ثورة عارمة وكتب رسالة خطية إلى السادات وسلمني إياها لإرسالها إليه في صنعاء (الوثيقة رقم ٢٩) ونصها :

سيادة الأخ الكبير السيد أنور السادات

تحية أخوية صادقة .. وبعد

بلغنى أنه أشيع لديكم أن حزب الشعب الإشتراكي أرسل إلى الوزراء الشوافع كي يستقبلوا من مناصبهم بناء على طلب الأخ الدكتور عبد الرحمن البيضاني . وأرجو أن أؤكد لسيادتكم أن هذه الإشاعة لا أساس لها من الصحة فلم يطلب مني الأخ الدكتور عبد الرحمن تبليغ مثل هذه الرغبة إلى الحزب في عدن . ويهمني أن أؤكد لكم أنه لو كان هذا السعي رأينا لما أخفيناه الآن ، بل كنا سنواصل المطالبة به ، لكنه لا يمثل إطلاقاً وجهة نظرنا ، كما لا أعتقد أنه يمثل وجهة نظر الدكتور عبد الرحمن البيضاني حيث أنني لم أسمع أنه صرح بمثل هذا .

لذلك أرجو العمل على تشكيل لجنة تحقيق للتأكد من كذب هذه الإشاعة ، ومن معرفة مصدرها والمستفيد منها . وإنني على إستعداد للحضور إلى صنعاء في أي وقت شئتم . وأرجوكم إبلاغ هذا إلى السيد الرئيس المشير عبد الله السلال رئيس الجمهورية العربية اليمنية .

ولكم جزيل الشكر

محمد سالم باسندوه

ممثل حزب الشعب الإشتراكي

في البلاد العربية

٩ مارس ١٩٦٣

أرسلت هذه الرسالة في نفس اليوم إلى السادات في صنعاء بناء على إلحاح الأستاذ باسندوه لأنني كنت ، وبغير حاجة إلى تحقيق ، أعرف مقدماً مروج تلك الإشاعة والذي اختلقها وسعى إلى الاستفادة منها ، كما كنت واثقاً من أنه لا يجدى إثبات كذبها لأن الذي اختلقها قادر على إختلاق غيرها وإختلاق ما هو أخطر منها . فتلك حيلة الضعفاء الذين لا يقدرّون على خلق ما ينفع ، ويتفوقون في إختلاق ما يضر .



اضطر المشير عامر وأنور السادات إلى العودة إلى القاهرة في يوم الأحد ١٠ مارس ١٩٦٣ لمتابعة أحداث الثورة السورية (قبل أن يشعلها السلال حربا شعواء على من تحدثه نفسه أن يمسه بسوء) . وكانا قد أمضيا في اليمن أربعين يوما بصفة متصلة أرسى خلالها المشير عامر قواعد النظام الجديد لحكم اليمن ، الذي يعتمد أساسا وبصفة كاملة على العناصر المصرية المرتبطة به تحت واجهة السلال وحده دون غيره من سائر اليمنيين ، كما قاد المشير عامر خلال تلك الفترة هجوم رمضان الذي وصفه بأنه هجوم ناجح حاسم أدى إلى إستعادة مأرب وحريب وصرواح وإغلاق المنافذ الشمالية لتسلل المتمردين .

فات على المشير عامر أن مثل هذا النجاح الحاسم الذي لا تعقبه إقامة معسكرات دائمة في تلك المناطق النائية لا يلبث أن يتحول إلى فشل ذريع بمجرد أن تتركها القوات الضاربة ، التي لا مفر من أن تعود إلى مواقعها الأصلية تحت ضغط الظروف الاقتصادية والمعاناة البشرية التي لا تتحملها مصر ولا تطيقها اليمن .

خلط المشير عامر بين النصر العسكري الذي تحققه الجيوش النظامية عندما تطرد الأعداء من بلادها وتغلق خلفهم أبواب الحدود الدولية ، وبين النصر السياسي الذي تحققه هذه الجيوش النظامية عندما تفرض الأمن والنظام فوق أراضيها ، وتقنع رعاياها بأن السلام في مصلحتهم عندما تفتح أمامهم أبواب المشاركة الوطنية .

لم يميز المشير عامر بين النصر العسكري الذي يعتمد على قدرة الضرب وفن الحرب . وبين النصر السياسي الذي يعتمد على قدرة الدفاع وفن الإقناع .

اكتفى المشير عامر بالنوع الأول من النصر وكأنه لا يعرف طبيعة المعركة ، ولا يدرك أنه لم يكن يحارب قوما غرباء عن اليمن وإنما قوما من أهلها وأصحابها وسكانها في جبالها ووديانها ، وماضيها وحاضرها ومستقبلها .

مثل هؤلاء قد يستسلمون أمام القوة عندما تنزل عليهم فيرفع المشير عامر راية النصر ، ثم ينقلبون من خلفها عندما ترحل عنهم ، ويرفعون فوق راية المشير راية الهزيمة .

وكان لا مفر من أن ترحل عنهم قوات المشير لأنها لا تستطيع أن تبقى عندهم وقتاً لا يعرف المشير مداه ، متقبلاً مصيراً لا يعرف أحد منتهاه ، مهما ظلت قواته منقضه على رقابهم ومعها آلاف الجنود ، جائئة على جيوبهم ومعها ملايين الجنيهاً ، فى سوق المزادات .

اجتمع المشير عامر وأنور السادات بالرئيس جمال عبد الناصر بمجرد عودتهما ، فى اليوم الأربعين من سفرهما إلى اليمن للإشتراك فى تشييع جنازة السلام على أرضها ودفن الشخصية اليمنية فى مقبرة رئاسة الجمهورية .

وفى اليوم التالى زارنى أنور السادات كصديق رافق الثورة من أول الطريق ، ويعرف كيف كانت الثورة نطفة فى قرار مكين ، وكيف أصبحت نطفة الثورة علقه ، وكيف صارت بعد ذلك مضغة ، ثم أصبح تنظيمها عظاما ، ومن كساه لحما فكانت لليمن ثورة .

زارنى رفيق الطريق وأعاد لى رسالة باسندوه قائلاً أنه عندما قرأها على السلال قرأ فى وجهه أنه مصدر تلك الإشاعة وأنه قائلها وناقلاً ، فلم يجد هناك حاجة إلى تحقيق يدين قائد الثورة ورئيس الجمهورية حرصاً على سمعة الثورة وكرامة الجمهورية .

أعطانى السادات رسالة باسندوه لعلنى أحتاج إليها ذات يوم عندما يخلق السلال غيرها أو ما هو أخطر منها .

قص على السادات قصة النصر الحاسم الذى أحرزته القوات المصرية خلال الأربعين يوماً التى قضاه مع المشير عامر فى اليمن . روى كيف سلم السلال حكم اليمن للمصريين .

أوضحت للسادات عدم إقتناعى بوصف ذلك النصر بأنه حاسم لأنه لا يعتمد على إية مقومات للإستمرار ، ولا توجد فى قاموس السلال معانى الإستقرار ، كما أن العناصر المصرية التى استلمت الحكم الفعلى من السلال لا تعرف طبيعة اليمن ، وإن كانت تدعى معرفتها فإنها ، وبكل تأكيد ، تجهل الظروف الدولية المحيطة بها المؤثرة فيها ، فهى تلعب بالنار وقد لا تعرف أنها نار ، لأنها لم تصل إلى تلك السلطة عن طريق العقل والحكمة وحسن القرار ، وإنما عن طريق الوقعة والخدیعة والاستخفاف بعقل سلطان الدار ، ولا تدرى أن رجال اليمن من الثوار والعلماء والحكماء والشيوخ والمثقفين لا يزالون يرون ويسمعون ، وإن سكتوا على مضض فإنهم لا يخضعون ولا يستسلمون ولن يطول بهم الإنتظار حتى نراهم ينقلبون .

طلبت من السادات رفيق الطريق أن ينقل إلى الرئيس جمال عبد الناصر قلقى على مستقبل الثورة فى اليمن ، ومسار الصراع الدائر على أرضها الذى لا بد أن يتحول ، ذات يوم ، من صراع بين جمهوريين وملتزمين إلى صراع بين يمينيين ومصريين .

وبذلك تخسر اليمن ثورتها ، وتفقد مصر سمعتها ، وتنسى الأمة العربية عروبتها .

قال السادات أنه يشاركنى هذا رأى وأنه سوف ينقله إلى جمال عبد الناصر ويحاول إقناعه بالعودة إلى إقتراحى بسحب القدر الأكبر من القوات المصرية من اليمن ، والإكتفاء بالقوات المدرعة والطيران والتجمع فى المناطق الإستراتيجية لحماية المدن الرئيسية ، ومطالبة السلال بإنشاء جيش يمنى نظامى من المتطوعين يتولى المصريون تدريبه .

كنت أعرف أن السادات يشاركنى الرأى ، وإلا لما قلت له لفظا ولما سمع منى حرفا ، فقد عشنا معا قصة الثورة ، فأضفت إلى ذلك رجائى أن يضع عبد الناصر فى إعتباره ألا ينتهى أمر الوجود المصرى فى اليمن إلى مجرد حماية لشخص السلال ، وينسى حمايته لثورة اليمن .

لو حدث ذلك ، لا قدر الله ، لكان معناه أن الشخص الذى يحميه الوجود المصرى بعشرات الألوف من الجنود قد انقلب وحده على أهداف الشعب الذى أهدى إليه ذلك الوجود .

ومعنى ذلك أن القوات المصرية فى اليمن سوف تجد نفسها تقاتل وحدها جبهة يمنية معادية لوجودها ، وبصرف النظر عن دوافع هذه الجبهة المعادية ، سواء كانت جمهورية أو إمامية .

وتلك قمة كل فشل ، وبداية كل نكسة .

أبلغ السادات الرئيس عبد الناصر بوجهات نظرى الذى دعمها السادات بأسانيد أخرى كثيرة فاستقر رأى الرئيس عبد الناصر فى مطلع إبريل ١٩٦٣ على سحب القدر الأكبر من القوات المصرية من اليمن على النحو الذى تضمنه إقتراحى الذى سبق أن أقنعت به المشير عبد الحكيم عامر وأنور السادات عندما كنت فى الحكم ، والذى أدى إلى قيام السلال بإصدار القرار الجمهورى يوم الأربعاء ٢٦ ديسمبر ١٩٦٢ (بفتح باب التجنيد للراغبين فى الجندية وتشكيل لجنة عسكرية للإشراف على إعداد جيش يمنى قوى وفقا لأحدث الأساليب) .

ذلك القرار الذى تعثر تنفيذه للأسباب السابق شرحها .

وفى يوم السبت ١٣ أبريل ١٩٦٣ أعلن السلال قيام الجمهورية الثانية حين أعلن الدستور الثانى الذى ألغى به الدستور الأول ، كما ألغى به مجلس قيادة الثورة وأعلن تشكيل مجلس آخر سماه مجلس الرئاسة . ثم أعاد تشكيل مجلس الوزراء وجرد العقيد عبد الله جزيلان من جميع مناصبه ، كما استبعد من كل هذه المجالس رجال اليمن الذين سبق تعيينهم فى الخارج فى عهد الجمهورية الأولى وفى مقدمتهم العميد حمود الجائفى والأستاذ أحمد محمد نعمان والأستاذ محسن العينى ، الأمر الذى يثبت تاريخيا أن السلال وليس البيضانى هو الذى قرّر إبعادهم فى تلك الوظائف خارج اليمن ، لأنه بعد أن أصبح البيضانى بعيدا عن السلطة لم يكن أمام السلال أى مانع من إعادتهم إلى اليمن إذا كان يريد ذلك .



أبلغ الرئيس عبد الناصر الرئيس السلال بعزمه على عودة القدر الأكبر من القوات المصرية من اليمن ، مما أثار قلقه على رئاسة الجمهورية ، كما أثار غضب العناصر ذات العلاقة السوفيتية التي كانت شديدة الحرص على استكمال مخطط إشعال النار في الجزيرة العربية .

ولعل السلال وأولئك وهؤلاء كانوا واثقين في أن البيضاني عن طريق السادات يقف وراء قرار عبد الناصر ، فاجتمعوا على إبعاد البيضاني عن أذن عبد الناصر ، وقدموا للسلال معلومات مختلقة ليشارك معهم بإرسالها بخطه وتوقيعه إلى الرئيس عبد الناصر .

وفعلا قام السلال في يوم الثلاثاء ١٦ أبريل ١٩٦٣ بإرسال برقية رمزية (بشفرة السفارة المصرية) سجلها بالتاريخ الهجري (١٣٨٢/١١/٢٢) وكتبها بخطه بعد أن أوضح مصدر معلوماتها (الوثيقة رقم ٣٠) ونصها :

سيادة الأخ الرئيس جمال عبد الناصر

.تحية أخوية صادقة .

تلقيت من المخابرات العربية بصنعاء معلومات خطيرة ، ما كنت أتصورها ، وهي أن البيضاني يتصل بالرصاص أمير البيضاء . ويدفعه للإتصال بالسلطات الأجنبية ويحفزه على الانفصال ، ويمنيه بأنه سيكون كسائر سلاطين الجنوب ، حتى قام الرصاص بإرسال كمية من أسلحة الجمهورية الخفيفة والثقيلة إلى بيته بمسورة . وقد كنت سمعت من قبل أن البيضاني يتصل ببعض الوزراء ويحاول خلق المشاكل ويثير نكرة الانفصالية ، ولكني لم أصدق حتى تلقيت قرارا من المخابرات العربية بصنعاء ، وهذا إشعار لسيادتكم لتكونوا على علم وبينة من عمل هذا الحاقد ولو على حساب وطنه وتقبلوا أصدق حبي وتقديرى .

(الموافق ١٦ إبريل ١٩٦٣)

أخوكم

عبد الله السلال

رئيس الجمهورية اليمنية

عندما اطلع جمال عبد الناصر على تلك البرقية سخر منها لأنها لو تضمنت معلومات مؤكدة من جهاز المخابرات العربية لكان هو أول من يطلع على وثائقها قبل السلال ، وكان السلال في غير حاجة إلى إرسال أخبارها إليه مجردة من أى دليل سوى نسبتها إلى عناصر المخابرات العربية في صنعاء ، وصدورها بشفرة السفارة المصرية هناك ، وهى العناصر التى يعرف جمال عبد الناصر موقعها من البيضاني . كما كان الرئيس جمال يعرف قصة ما أشاعه السلال منسوباً إلى الأستاذ باسندوه الذى كذبه خطياً على يد السادات ثم عاد السلال يذكر نفس هذه الإشاعة الكاذبة فى تلك البرقية .

كان عبد الناصر يعرف مدى قلق السلال من قرار عودة القدر الأكبر من القوات المصرية إلى مصر فاستسلم أكثر للعناصر المصرية التى تخشى من عودة البيضاني إلى اليمن بعد ترشيده الوجود العسكرى المصرى على أراضيها وحصر الإهتمام اليمنى داخل حدود اليمن مما ترحب به أمريكا وترتضيه السعودية ولا يزعج الإنجليز فى نطاق حق الجنوب اليمنى فى تقرير المصير .

كان عبد الناصر يعرف ما يدور على مسرح صنعاء من تأليف وإخراج هذه العناصر وتمثيل وتصفيق السلال فسخر من محاولة نقله إلى أرض القاهرة .

سلم جمال عبد الناصر صورة تلك البرقية للسادات وطلب منه أن يطلعنى عليها مؤكداً لى كذبها فسخرت مع عبد الناصر منها وضحكت مع السادات عليها .

ثم وصلت إلى أنور السادات برقية رمزية أخرى من الأستاذ محمد عبد الواحد القائم بأعمال السفارة المصرية فى اليمن يوم الخميس ١٨ إبريل ١٩٦٣ يستعرض فيها كيف يحكم اليمن بإسم الرئيس السلال ويؤكد ما جاء فى برقية السلال إلى الرئيس عبد الناصر التى وصفنى فيها بالحاقد واتهمنى بها بأننى إنفصالى .

ومن الأمور الجديرة بالتأمل أن الأستاذ محمد عبد الواحد سبق أن كتب فى تقريره رقم (١) عن (الفترة ما قبل قيام الثورة وبعد نجاحها) والذى نشرته لجنة من الضباط الأحرار فى كتاب (أسرار ووثائق الثورة اليمنية) الصادر عن مركز البحوث التابع لرئاسة الجمهورية فى صنعاء سنة ١٩٨٢ فقال فى الصفحة الرابعة من التقرير والثانية والعشرين بعد المائتين من الكتاب مايلى :

(بذلت محاولة جدية صادقة فى نفس هذه الفترة التى بدأ يتبلور فيها تنظيم الضباط الثباني من أجل توحيد الجهود لكافة العناصر التى تعمل فى ميدان الحركة الوطنية وذلك لحسم المعركة مع نظام الحكم الرجعى الإمامى .

وكان صاحب هذه الدعوة والمشرف على تنفيذها هو الدكتور عبد الرحمن البيضاني اللاجئ السياسى اليمنى فى القاهرة . وبعد أن استطاع (البيضاني) استطلاع الموقف بالاتصال الشخصى مع عناصر الأحرار فى الداخل تم وضع مخطط مقترح للعمل الثورى . وتم عرض هذا المخطط للحصول على موافقة الأحرار فى الداخل .

وبالفعل تمت إتصالات من أجل تحقيق ذلك .

هذا بالإضافة إلى قيام الدكتور عبد الرحمن البيضاني بالمساندة المعنوية للعناصر الوطنية في الداخل ، وذلك بإذاعة أحاديث في راديو القاهرة ونشر مقالات لفصح نظام الحكم في اليمن .

حدث بعد ذلك إتصال بين تنظيم الضباط الأحرار ونواة التشكيل الذي بدأ يمسك بخيوطه الدكتور عبد الرحمن البيضاني . (الوثيقة رقم ٣١)

هكذا اعترف الأستاذ محمد عبد الواحد وبصفة رسمية في الوثيقة التي نشرتها لجنة من الضباط الأحرار بالدور الذي قمت به في تخطيط الثورة وإعدادها وكان محمد عبد الواحد يقصد بتنظيم الضباط الأحرار ، ما وصفه في الصفحة الأولى من تقريره السري المنشور في ذلك الكتاب صفحة ١٩٩ حيث وصفه بأنه (نشاط الضباط الأحرار الصغار الذين تخرجوا من الكلية الحربية في صنعاء وأن زعيم هؤلاء الضباط هو على عبد المغنى) (الوثيقة رقم ٣٢) .

كتب هذه الحقيقة محمد عبد الواحد القائم بالأعمال المصري قبل أن يظهر السلال على المسرح بعد قيام الثورة ، فكيف سمح محمد عبد الواحد لنفسه بعد ذلك أن يصفني بالحق ؟ .. وعلى من .. ؟

وفي الصفحة السادسة عشر من تقريره المذكور والرابعة والثلاثين بعد المائتين من كتاب (أسرار ووثائق الثورة اليمنية) الذي نشرته هذه اللجنة ذكر الأستاذ محمد عبد الواحد في معرض تحليله لشخصية المقدم عبد الله جزيلان فقال ما يلي :

(من المعروف أن جزيلان كان الذراع الأيمن للزعيم حمود الجائفى أثناء قيادته للكلية الحربية ، وكان أمين سره وكان هذا أمرا معروفا للجميع . ثم بعد أن تمكن الجائفى من الفرار من سجنه إلى عدن في أواخر عام ١٩٦١ بدأ جزيلان يتقرب من حاشية البدر بغرض تعيينه مديرا للكلية الحربية خلفا للجائفى . وقد نجح في هذا السعى ورفى من رتبة رئيس إلى رتبة مقدم . وأصبح الضباط الأحرار ينظرون إليه نظرة شك وريبة. وبعد أن ظهر المخطط الذي كان يدعو له الدكتور البيضاني وأسند إليه دور قيادى فيه بدأ يمارس نشاطا محدودا تركز بصفة خاصة في الناحية الدعائية .

بعد أن تمت عملية الربط بين تشكيل الضباط الأحرار والتشكيل الذي كان يدعو له البيضاني ، فبالتالى تم إتصال جزيلان بتشكيل الضباط الأحرار ومن هنا كان دوره المشاركة في الإعداد للثورة وكذا التنفيذ وتحليل شخصية جزيلان يمكن القول بأنه شخصية مهزوزة - وصولى - سهل الإنقياد - يدعى العلم عن جهل - يكره البيضاني كذا عبد اللطيف ضيف الله لأنه يطمع أن يكون الرجل الثانى بعد السلال) . (الوثيقة رقم ٣٣)

هذه ما يؤكد الأستاذ محمد عبد الواحد القائم بالأعمال المصرى فى صنعاء وقت الثورة ، وهو يشرح الدور الرئيسى الذى قمت به فى تخطيط الثورة كما يشرح كيف ظهر المقدم عبد الله جزيلان على مسرح هذه الثورة بالرغم من شك الضباط الأحرار وعداوتهم له ، ويؤكد للتاريخ أن جزيلان لم يظهر على ذلك المسرح إلا بعد أن قمت بإسناد أحد الأدوار الرئيسية له رغم شك الضباط فيه ، فبدأ يمارس نشاطا محدودا فى الناحية الدعائية .

ولو أننى لا أستسيغ استباق الأحداث ، وأفضل روايتها بحسب تاريخ حدوثها ، إلا أننى فى هذا الموقف بالذات أجد نفسى عاجزا عن مقاومة إغراء إحدى الحقائق الهامة التى اضطرت الآن إلى ذكرها قبل أوانها .

ذلك لأن الأستاذ محمد عبد الواحد الذى اشترك فى خطة إبعادى عن اليمن ثم وصفنى بالحدق والإنصالية اتضح له ، فى وقت لاحق ، فشل إنفراده بشئون اليمن اعتمادا على شخص السلال ، وأنه فى وسعه أن يحكم اليمن عن طريق الضباط الشبان فانقلب على السلال وكتب فى الصفحة الرابعة من تقريره السرى المنشور فى نفس ذلك الكتاب صفحة ٢٨١ ما يلى :

(٢٣ - آثار الضباط موضوع السلال وظهرت معارضتهم لمبدأ تركيزه فى السلطة وأكدوا أن الأمور فى اليمن لا يمكن أن تنصلح ما دام رأس الدولة فاسدا ، وأضافوا أن العمليات الحربية فى اليمن وتعقيدات الموقف السياسى سوف تستمر ما دام السلال يحكم بيده جميع السلطات التى يستغلها لغير صالح الأمة ، وتؤدى بطريق غير مباشر إلى تخريب يؤثر فى الوجود العربى فى اليمن) (الوثيقة رقم ٣٤)



وصل إلى صنعاء المشير عامر وأنور السادات يوم الأربعاء ٢٤ إبريل ١٩٦٣ للإشراف على عودة القوات المصرية إلى مصر وعادا إلى القاهرة يوم الأحد ٢٨ إبريل ١٩٦٣ بعد أن أتم المشير عامر جميع الإجراءات النهائية لعودة هذه القوات من اليمن .

وكانت تنتظر المشير عامر في مصر دعوة لزيارة الاتحاد السوفيتي كان قد تلقاها السيد على صبرى من نيكيتا خروشوف أثناء وجوده في موسكو خلال وجود المشير عامر في اليمن ، وبناء على إلحاح السيد على صبرى ، قبل المشير عامر هذه الدعوة على أن يقوم بها بعد عودة الرئيس جمال عبد الناصر من زيارته للجزائر .

وبدأت القوات المصرية تعود إلى مصر حيث كان الرئيس جمال عبد الناصر على رأس الاحتفالات التي أقيمت تكريما لاستقبالها ، وكان الرئيس فخورا بنجاح هذه القوات التي انجزت مهمتها واسهمت في تثبيت أقدام الثورة اليمنية حتى أصبحت قادرة على الدفاع عن نفسها ، كما كان سعيدا بوقف النزيف المصري في اليمن .

غير أن اللواء أنور القاضى الذى وصل من اليمن للمشاركة في هذه الاحتفالات القى الشك في قدرة الثورة اليمنية على الاعتماد على نفسها ، ثم ردد نفس العبارات والتهديدات التي تطيل الحرب ولا تمهد للسلام ، حيث نشر تصريحات نارية في صحيفة الأهرام يوم السبت ٢٥ مايو ١٩٦٣ قال فيها :

(إن اليمن تستطيع أن تحمي ثورتها بجيشها القوي بعد خمس سنوات ، وأن الرجعية لا تريد أن تطوى أحقادها داخل قلبها ، فالسعودية لم تلتزم حتى الآن تماما بما تعهدت به ، ولم تقدم ما يثبت حسن نيتها وما زالت محاولتها اللبائسة مستمرة بدفع الإمدادات من مسالك الوديان الصغيرة إلى مناطق اليمن ، لكن الأمر الذى ينبغى أن يكون واضحا أن ردود الفعل بالنسبة لنا سوف تختلف إذا ما استمرت الرجعية في محاولتها . أنهم لا يرضون أن يدعوا للشعب اليمنى فرصة ومدة ليبنى فيها آماله بعيدا عن التأثيرات الخارجية . وإذا لم تتوقف هذه الإمدادات فأظن أن هناك سبلا أخرى لوقفها وأظن أن الرجعية تعلم يقينا أننا قادرون على إرغامها بإجراء أكثر حزما ، إجراء يستهدف الأصل والمنبع) .

نشر اللواء أنور القاضى هذه التصريحات وسط الإحتفالات بعودة القوات المصرية من اليمن وكأنه كان يهتف ببقاتها هناك بأعدادها الهائلة ، متورطة بين الجبال ومبعثرة بين الوديان ، فلا يتحقق ما أراده عبد الناصر من ترشيد الإستفادة من القوات المدرعة ، التى بقيت فى اليمن رمزا لدعم الثورة ، وفى نقاط تكفى لحماية الجمهورية ، التى يجب أن يدافع عنها قادتها ورجالها ، إذ لم يكن مقبولا تاريخيا ولا مفهوما عقليا أن يحارب فى اليمن المقاتلون من المصريين بينما يقف قادة الجمهوريين موقف المشاهدين غير المبالين ، يكتفون بمقعد الصدارة على أوراق الصحف ويمسكون بصولجان القيادة على شاشات التليفزيون .

لا يحتاج الإنسان العادى إلى عقل فوق عقله كى يدرك النتائج المباشرة لتصريحات اللواء أنور القاضى قائد القوات المصرية فى اليمن ، حين يعلن فى الإحتفال بعودة القوات المصرية أن (اليمن تستطيع أن تحمى ثورتها بجيشها القوى بعد خمس سنوات .) وحين يهدد بإعادة هذه القوات مرة أخرى بكل عتادها وعدتها وإعدادها وخزائنها إلى اليمن لإستئناف المعارك اللانهائية ، التى بعضها كيدى وأكثرها وهمى ، ومعظمها لمجرد مبررات صحفية لإغداق الملايين على المحاربين الوهميين بغير حسيب ولا رقيب ، تحت شعار تهديد السعودية بإجراء (يستهدف الأصل والمنبع) .

وليبق بعد ذلك فى الجمهورية من يبقى ، وليعد من وراء ذلك من الإمامة من يعود ، تنتصر الثورة أو تنهزم ، تفوز روسيا أو تنجح أمريكا ، تنتشر الشيوعية أو يسود الإسلام ، يعبدون الله أو يرضون الشيطان .

كل ذلك لا يهم ما دامت الأسماء لامعة والأنوف خاشعة والخزائن دافعة ، والسلال يحمل الأختام الجمهورية ، يوثق بها سياسة العناصر المصرية التى استغلت راية الزعامة الناصرية .

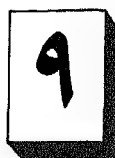
فاتضح من تصريحات اللواء أنور القاضى أن فى مصر صراعات فى الاتجاه : بعضهم يريد ترشيد الوجود العسكرى فى اليمن . وبعضهم يريد تبديد الوجود العسكرى فى مصر .

قلت كل ذلك للسادات رفيق الطريق ، وكان كل ذلك فى ذهنه قبل أن يخطر على قلبى ، وعرفت أنه كان أيضا فى وجدان عبد الناصر قبل أن يسافر المشير عبد الحكيم عامر إلى موسكو .

فى أعقاب وصول الأفواج الأولى من القوات المصرية إلى القاهرة لحق بها السلال يوم السبت أول يونية ١٩٦٣ فى زيارة قالوا عنها أنها تستغرق أسبوعا واحدا ، واقترح السادات أن أذهب معه لإستقبال السلال فى المطار فتمنيت للسلال التوفيق فى هذه الزيارة غير أننى رفضت استقباله فى المطار أو فى أى مكان آخر طالما كنت فى نظره من الحاقدين .

وسافر المشير عبد الحكيم عامر يوم الجمعة ٧ يونية ١٩٦٣ إلى موسكو تلبية لدعوة خروشوف ومعه وفد عسكري كان من بين أعضائه الفريق محمد صدقي محمود رئيس هيئة أركان حرب القوات الجوية والفريق سليمان عزت رئيس هيئة أركان حرب القوات البحرية والفريق حليم إمام مدير هيئة التنظيم والإدارة واللواء عبد المنعم رياض قائد المدفعية المضادة للطائرات .

وسافر اللواء أنور القاضي يوم الخميس ١٣ يونية ١٩٦٣ عائدا إلى اليمن لإستئناف عمله قائدا لما تبقى من القوات المصرية فوق أرضها .



عدت من بيت السادات فى ساعة متأخرة من الليل فى مساء يوم الجمعة ١٤ يونية ١٩٦٣ فوجدت مع الجنود المكلفين بحراسة بيتى رسالة تركها الشيخ محمد راجح رئيس الجالية اليمنية فى بريطانيا (الوثيقة رقم ٣٥) قال فيها :

(أخى عبد الرحمن حاولت أن اتصل بك فلم أقدر ، وكان فى آخر ودى أن ألتقى بك . على كل حال أنا متوجه إلى إنجلترا بعد أن زرت اليمن وللأسف .

أرجو أن تكتب لى على العنوان

21 CORNWALLIS SQ.
SOUTH SHIEFLD
ENGLAND

محكم محمد راجح)

وبعد أن وقع عليها أضاف ملاحظة نصها كما يلى :

(غبت عن اليمن ٢٧ عاما عدت إليها الآن فلم أجد شيء غير اسم البيضانى ويا اسف) .

كانت الرسالة مكتوبة على ورقة من أوراق فندق نيتوكريس بشارع ٢٦ يولية بالقاهرة فأسرعت إلى هناك حيث وجدته يتأهب للذهاب إلى المطار فى طريق عودته إلى لندن .

قال أنه وأفراد الجالية اليمنية فى بريطانيا قد استجابوا للدعوة التى ناديت بها جميع أصحاب الأموال من اليمنيين المهاجرين كى يعودوا إلى اليمن ، للإسهام فى بناء الاقتصاد اليمنى الوطنى بأموالهم وخبراتهم . وقد باع الكثيرون من اليمنيين المقيمين فى بريطانيا ممتلكاتهم ، كما فعل الكثيرون غيرهم فى كل المهاجر اليمنية فى شتى أنحاء العالم ، تلبية لهذه الدعوة التى أرسلتها إليهم مع الزميل محمد مهبوب ثابت عضو مجلس قيادة الثورة ووزير شؤون المغتربين . وقال أنهم تابعوا نشاطى فى إنشاء البنك اليمنى للإنشاء والتعمير ، وقيامى بإرساء حجر الأساس لصرح التطور الحضارى اليمنى ، فوهبوا أنفسهم وأموالهم لإعادة مجد اليمن ، وذهب إلى صنعاء مندوبا عنهم ومعه شيكات وحالات قيمتها خمسة ملايين جنيه إسترليني .

ولما وصل إلى صنعاء كنت قد غادرت اليمن فانتظر عودتي إليها دون طائل . وأثناء ذلك الإنتظار علم أن الرئيس السلال كلما احتاج إلى مبلغ من المال لإنفاقه على شئون القتال أمر البنك اليمنى للإنشاء والتعمير بصرفه للضابط الذى يحمل ذلك الأمر ، وعندما كان المسئولون فى البنك يعتذرون بأن الأموال النقدية فى البنك ليست أموال الحكومة وإنما ودائع المواطنين وحساباتهم الجارية ، وأن حصة الحكومة لا تزال مجرد إذن ورقى على الخزانة اليمنية كان السلال يرسل المصفحات إلى البنك ويعتقل المسئولين فيه ، ويأخذ منه ما يشاء من أموال المساهمين بإسم الصرف على المقاتلين .

فما كان أمم المهاجرين اليمنيين الذين وصلوا إلى صنعاء بأموالهم لإيداعها فى البنك غير الاحتفاظ بها فى حقائبهم ، لإعادتها إلى مهاجرهم ، حتى لا يتورطوا كما تورط غيرهم عندما استولى السلال على أموالهم . أبدى الشيخ محمد راجح أسفه لأنه كان من الذين عادوا من صنعاء بأموال أصحابهم ، وأنه سيعود إلى بريطانيا ليرد الأمانات إلى أهلها .

تأثرت كثيرا من هذه الرواية التى سبق أن وصلتنى أخبراها دون تفاصيلها . وكان حلم حياتى أن أبني إقتصاد اليمن . وكان ذلك هو الدافع الرئيسى الذى دفعنى إلى الثورة على الإمام أحمد وركائز النظام الإمامى فى اليمن ، والسبب الأول الذى دفعنى إلى الثورة على الإمام البدر وكل من يسعى إلى إعادة عقارب الزمن إلى الوراء .

طلبت من الشيخ راجح أن يحمل إلى أفراد الجالية اليمنية فى بريطانيا تحياتى واعتزازى بمشاعرهم الوطنية ، ويقول لهم على لسانى أنهم بعد أن نجحوا فى إنشاء علاقة مالية فيما بينهم عندما جمعوا خمسة ملايين جنيها إسترلينا لا يجدر بهم ، بعد ذلك ، أن يفتتوا هذه العلاقة بتوزيع هذه الأموال على أنفسهم ، وأنهم فى وسعهم أن يؤسسوا بها مشروعا يمينيا فى بريطانيا يجمع شملهم ويحسن إستثمار ثرواتهم حتى يأتى يوم يعودون فيه مرة أخرى إلى بلادهم .

ضاعت الفرصة الذهبية التى أتاحتها القدر عندما توافد على صنعاء عدد كبير من رجال المال والأعمال اليمنيين من المهاجرين ، الذى دفعهم الحماس الوطنى والثقة فى السياسة الإقتصادية الجديدة إلى تصفية أعمالهم فى مهاجرهم لينقلوها إلى وطنهم ، الذى كانوا سينقلون إليه حضارة حديثة تعلموها وتعودوا عليها فى تلك المهاجر ، مع أحدث ما عرفوه من أساليب العمل وإدارة الشئون الإقتصادية .

كنت أعتبر ذلك من أهم عناصر النهضة الحديثة فى اليمن .

وكان توافد رجال المال والأعمال اليمنيين على صنعاء ، وتصفية أعمالهم فى مهاجرهم ، شهادة تاريخية لنجاح السياسة الإقتصادية ، التى قمت بإعدادها وإعلانها بعد قيام الثورة ، بعد أن رفضت الإستجابة لنظريات الوفد الإقتصادى المصرى ، الذى أرسله جمال عبد الناصر إلى اليمن عندما وجدت أنها لا تتفق مع ظروف التطور فى اليمن بالذات ، ولم يكن لى شأن بما يتناسب مع غير اليمن من مذاهب إقتصادية .

وقد أشار إلى إختلاف السياسة الإقتصادية اليمنية عن السياسة الإقتصادية المصرية المؤرخ البريطاني دانا آدمز شميدت في كتابه (اليمن - الحرب المجهولة) صفحة ٧٥ حيث قال :

(كان الدكتور البيضاني مستغرقاً في صياغة خطته الإقتصادية . لقد حاول ذلك عندما كان من أنصار الإمام أحمد . والآن قد حصل على هذه الفرصة . وبالرغم من أن البيضاني كان من أنصار عبد الناصر وأن سياسته كانت جذرية فإنه لم يطبق في اليمن سياسة عبد الناصر الاشتراكية . لقد أعلن البيضاني أن اليمن ليست في حاجة إلى إعادة توزيع الملكيات كما حدث في مصر ، لأنه لا يوجد في اليمن ضغط سكاني على الأراضي الزراعية . كما أعلن إصلاحاته الضرائبية وألغى الضرائب المفروضة على حواجز المرور ، وأوضح ضرورة العمل على إستعادة التجارة اليمنية إلى ميناء الحديدة بدلاً من ميناء عدن قائلاً أن التجارة اليمنية تخسر خمسين في المائة نتيجة لمرورها بـعدين ، حيث يذهب نصف هذه الخسارة إلى الوسطاء الأجانب ويضيع النصف الآخر في صورة نفقات نقل) .

On the floor of the building below President Sallal, Doctor Baidani, his deputy, was busy fashioning a new two-year economic plan. In the days when he was a protégé of the Imam Ahmed, he had aspired in vain to become the kingdom's economic adviser. Now he had his chance. Although he was obviously the spearhead of Egyptian influence in Yemen and his political ideas were radical, Baidani did not reflect Nasser's socialism. He explained that there was no need for land reform such as had been carried out in Egypt, because 'Yemen does not have Egypt's population and land pressures'. He spoke about the need for tax reform, for eliminating burdensome road tolls, and the desirability of re-routing the flow of trade from the port of Hodeidah. He complained that Adeni

75

merchants charged twenty-five per cent commission and twenty-five per cent for transport. 'This survival from the feudal past must be expunged,' he said.

كنت المسئول الثاني عن حكم الجمهورية اليمنية ، والمسئول الأول عن إدارة شئونها الإقتصادية وسياساتها الخارجية ، وتصادف أن كنت من خبراء الإقتصاد الذين يسعدهم أن يتحملوا مخاطر المسئولية ولا يختصرون الطريق ويلقون بها على أكتاف الآخرين .

لم أكن موظفاً في اليمن بل كنت ثائراً على أوضاعها المتخلفة مجتهداً في بعث ماضيها المجيد وإرساء قواعد نهضتها الحديثة .

كنت لا أخطب أحداً غير التاريخ . ولا أشعر بأية مسئولية إلا تجاه المصلحة اليمنية الحقيقية ، التي يحاسبني عليها شعب اليمن صاحب المصلحة الحقيقية من الثورة ، إذا كان في وسعه أن يعبر عن رأيه في حياتي ، أو تحاسبني عليها الأجيال اليمنية القادمة عندما تستطيع أن تنطق بالحق وتحكم بالإنصاف ، ولا يضيق أحد بحق ولا يفضب آخر من إنصاف ، لأنني أكون حينئذ في ذمة التاريخ بعيداً عن صراع السلطة .

كنت ولا زلت أعتبر أن الثورة ليست سوى مفتاح الطريق إلى النهضة الاقتصادية والاجتماعية التي هي جوهر التقدم ورفاهية الشعوب وسعادة الإنسان على الأرض .

ولو أنني استطعت تحريك هذا المفتاح للنهوض باليمن أيام الإمام أحمد ، كما كتب دانا آدمز شميدت ، لما ثرت عليه ولا على ابنه البدر إذ لا يهمني نظام الحكم ، سواء كان ملكياً أو جمهورياً ، ما دام لا يقيم العقوبات السياسية والاجتماعية التي تحول دون تقدم الشعب اليمني الذي أنتسب إليه .

ولما عجزت عن النهوض باليمن عن طريق الإمام لجأت إلى النهوض بها عن طريق الشعب ، وهو ما لا يتحقق بغير الدعوة إلى الثورة الجذرية لتغيير نظام الحكم المتشبث بعقبات النهضة اليمنية .

لقد فصلت مناهج النهضة الاقتصادية اليمنية على مقاس اليمن ، فاستجاب لها اليمنيون في داخل اليمن ، ومن شتى أنحاء الأرض ، فكانت صدمتي بالغة القسوة عندما أبلغني الشيخ محمد راجح أنهم بدأوا ينسحبون من صنعاء ، ويعودون من حيث جاءوا ، لأن الذي أغراه بالاشتراك في بناء النهضة اليمنية هو أملهم وحلم حياتهم في تحقيقها ، فلما وجدوا الثورة قد أدارت ظهرها للنهضة فزعوا من أن يكون الحكم الجديد مجرد تكرار لنظام الإمامة بغير عمامة ، فعادوا من حيث أتوا لأنهم لم يهاجروا من اليمن كرهاً في عمامة الإمام وإنما سخطا على نظامه .

شعرت بمسئوليتي الشخصية والتاريخية نحو أولئك الذين عاشوا مع حلم الحضارة الحديثة والنهضة اليمنية الكبرى ، فصفوا ممتلكاتهم في مهاجرهم وتبادلوا التهاني والدعوات الصالحة في حفلات الوداع والتكريم وهم يعودون في رحلة الشتاء إلى اليمن .

ووصلوا إلى صنعاء ، وهربوا من صنعاء .

ثم استقيظوا من الحلم السعيد عندما دفعهم السلال إلى السقوط في بئر الواقع المؤلم .

ماذا يقولون حين يعودون ؟ ماذا يعملون بأموالهم التي جمعوها عندما بلغت بهم ذروة الأمل فأتوا على ممتلكاتهم في مهاجرهم وباعوها وحصروا تجارتهم وصفوها ، وانقلبوا على فنادقهم ومنشاتهم وأغلقوها .

ماذا يفعلون حين يعودون ؟

وكيف يبدأون ؟ .

سؤال خطير .. عصر فؤادى ، وعذب ضميرى ، وأشعل النار فى صدرى . وكنت فى قمة الحيرة عندما ودعت الشيخ محمد راجح داخل الطائرة ، وسلمته رسالة عزاء إلى إخوانى اليمنيين ، كتبتها بخط حزين ، يرتعش من صدمة المهاجرين الحالمين ، فشعرت بأننى أرسل إليهم كفى ليدفنوا فيه حلم النهضة اليمنية الكبرى ، الذى ثرنا من أجله ، وباعوا أملهم فى سبيله .



بعد أن ودعت في المطار الشيخ محمد راجح رئيس الجالية اليمنية في بريطانيا خطرت في ذهني إجابة على حيرتي وحسرة اليمنيين المهاجرين ، وهي أن أدعو أصحاب الأعمال والأموال اليمنيين المهاجرين إلى الاحتفاظ بأموالهم كي نقيم بها بنكا يمنيا في عدن . وبذلك ننشئ رابطة مالية بين اليمنيين المهاجرين ونرفع عنهم حرج البحث عن أعمال بديلة للأعمال التي قاموا بتصفيتها ، وفي نفس الوقت نسهم في بناء إقتصاد يمنى وطنى فى جنوب اليمن المحتل يساعدنا على إيجاد البديل الإقتصادى الوطنى اليمنى الذى كان يعتمد فى ذلك الوقت على الإنفاق العسكرى البريطانى فى عدن ، والذى كان لا يشجع على المطالبة بسرعة جلاء بريطانيا عن هذه المنطقة .

لم تكن فى تلك المنطقة المحتلة صناعات ذات شأن ، ولا زراعات على المستوى الإقتصادى ، الذى يحتاج إليه السكان الذين كان معظم دخلهم يأتي من قيامهم ببناء المساكن والعمارات وتأجيرها لأفراد القوات البريطانية ، مما جعلنى أطلق على إقتصاد الجنوب اليمنى المحتل اسم (إقتصاد العمارات) . وكانت البنوك الأجنبية فى عدن ترفض أن تعطى أية تسهيلات مصرفية للمشروعات الصناعية أو الزراعية ، وتحتصر هذه التسهيلات على الأعمال التجارية وحدها ولأشخاص معينين بالذات .

وجدت أننى لو أنشأت بنكا يمنيا وطنيا بأموال المهاجرين اليمنيين يمكن أن يكون قلعة إقتصادية ينشر الزراعة والصناعة فى هذه المنطقة ، ويبينى صرحا إقتصاديا يحمى أهلها عندما يقررون مصيرهم فلا يحتاجون إلى إعتدال إقتصادى على الوجود البريطانى .

علاوة على ذلك فإن النجاح الإقتصادى اليمنى فى جنوب اليمن يؤدى حتما إلى انتقاله تدريجيا إلى شمالها ، إذا لم ينتقل فورا إليها عندما تنهيا الظروف الموضوعية لذلك الإنتقال .

زارنى فى اليوم التالى رجل الأعمال اليمنى عبد العزيز علوان وشرحت له مشروع إنشاء بنك يمنى فى عدن فتحمس للفكرة حماسا عظيما ، وجاءنى بعد ذلك بسبعة من كبار أصحاب الأعمال اليمنيين يباركون هذا المشروع مشترطين أن أتولى إدارة هذا البنك بنفسى فى عدن ، فاعتذرت عن ذلك مكتفيا بأعماله التحضيرية التأسيسية ، ثم أعود إلى القاهرة لأننى لا أبحث عن وظيفة وإنما أؤدى رسالة وطنية .

عرضت هذا الموضوع على أنور السادات فاستحسنه وتولى شرحه للرئيس جمال عبد الناصر الذى أقره مشروطاً أن يوافق عليه السلال حتى لا يسبى فهم وجودى فى عدن وشروعى فى إقامة بنك يبنى هناك . وكان السلال لا يزال فى مصر وينوى السفر فى اليوم التالى إلى الأسكندرية لإجراء فحوص طبية فى مستشفى المواساة ، وقد أعد له الرئيس عبد الناصر قطارا خاصا لهذه الرحلة فعرض الرئيس جمال أن أسافر مع السلال فى نفس هذا القطار لإزالة الشوائب النفسية التى أثرت على مشاعرى نحوه ، وإثبات عودة العلاقات الأخوية بيننا .

وافقت على اقتراح الرئيس مشروطاً أن يقوم السادات بإبلاغ السلال بأننى سألتقى به فى القطار حيث كان ذلك هو اللقاء الأول منذ وصوله إلى القاهرة قبل أكثر من أسبوعين .

مهد السادات لهذا اللقاء وعندما وصلت إلى القطار وجدته قد ترك لى المقعد المجاور لمقعد السلال وكان ذلك يوم الثلاثاء ١٨ يونية ١٩٦٣ .

كان عناقنا فى القطار محلا لتعليقات المشاهدين ، وأما قبلاتنا الطويلة فقد كانت إشعارا لليمنيين بأننا أصبحنا متفاهمين وأن هذه القبلات ليست سوى التوقيع النهائى على إتفاق بعودتى معه إلى اليمن .

أسرعت إلى نفى أى موضوع يتعلق بعودتى إلى اليمن ، مع تأكيدى المطلق بأننى كنت لا أزال مؤيدا لرئاسة السلال إظهارا منى لوحدة الصف الجمهورى ، حيث كان السلال لا يزال رئيس الجمهورية التى ناديت بها وقاتلت من أجلها .

كان السلال ، ولا يزال ، زميلا عشت معه أعسر أيام الثورة ، وهى الشهور الأولى لميلادها ، والأيام المجيدة فى حياتها . تلك الأيام التى سبورها التاريخ فى صفحات أبرز من غيرها لأنها أيام ميلادها عندما كانت فى حضن أمها ترضع من ثديها .

كان الثمن الفورى الذى حصلت عليه من قبولى السفر مع السلال إلى الأسكندرية أنه كان بمثابة إعلان صريح من عبد الناصر بتكذيب عناصر المخابرات المصرية فى صنعاء التى نقلت إلى السلال أكذوبة طلبى من السلطان الرصاص أمير البيضاء أن ينفصل عن الجمهورية اليمنية ، إذ لو كان عبد الناصر يصدق هذه الأكذوبة لما أعد لى مقعدا بجوار السلال فى قطار رئاسة الجمهورية الذى لا أستطيع أن أقحم نفسى عليه . وكان الثمن الفورى الآخر هو اعتراف السلال بأننى لا أحقد عليه وإنما أتمنى له النجاح والتوفيق .

وكيف لا أتمنى له النجاح والتوفيق بينما أعتبر نجاحه ، ونجاح أى رئيس لليمن غيره ، ما هو إلا نجاح للثورة الجذرية التى ناديت بها ووضعت الركائز الأساسية فى بناء صرحها .

وصلنا إلى الإسكندرية وكان فى استقبالنا محافظ المدينة السيد حمدى عاشور ، وبدأنا حديثنا فى قصر الصفا عن فكرة إنشاء البنك اليمنى فى عدن ، وكان السادات قد شرحها للسلال فى القاهرة بعد أن وافق جمال عبد الناصر عليها .

لعل السلال قد تصور أن جمال عبد الناصر والسادات قد وافقا على فكرة إنشاء هذا البنك لمجرد الضغط عليه حتى أعود معه إلى اليمن ، فأظهر ترحيبه بعودتي معه وأن أقبل مؤقتا منصب وزير الخارجية . فاعتذرت عن عدم قبولى القيام بأى عمل رسمى مؤقت ، مع استعدادى الكامل للنصح من بعيد إذا كان يريد النصيحة ، علاوة على أننى كنت معارضا للإنقلاب الذى قام به السلال على السياسة الخارجية التى قمت بغرس جذورها منذ قيام الثورة ، ثم قام بخلعها تنفيذا لسياسة من أخرجونى من اليمن ، الأمر الذى لا يؤهلنى للقيام بأى عمل رسمى نافع فى ظل السياسة الخارجية الجديدة التى كنت واثقا من أنها سوف تنتهى إلى فشل يمنى ذريع لا أستطيع أن أتحمّل نتائجها ، كما تؤدى إلى كارثة عربية قومية محققة لا أقبل أن أتحمّل مسئوليتها التاريخية .

عدت إلى الحديث مع السلال عن فكرة إنشاء البنك ، تلك الفكرة التى كنت مقتنعا بأنها المخرج الوحيد لليمنيين المهاجرين من المأزق الذى وجدوا أنفسهم غارقين فيه .

فلم تكن هذ الفكرة لمجرد الضغط على السلال ، ولم يكن هدفى أن أعود إلى اليمن فى ظل المناخ السياسى الذى شجع المتمردين وطارد الجمهوريين وقذف اليأس فى نفوس الممولين المقيمين والمهاجرين . كما لم يكن فى وسع عبد الناصر ولا السلال أن أعود معه إلى اليمن فى وقت يعتقد فيه الإتحاد السوفيتى أن سياسة المهادنة مع الدول الغربية تهدد المصالح السوفيتية على امتداد الساحة العربية .

وافق السلال على هذه الفكرة وكان سعيدا عندما لمس عزوفى عن العودة معه ، وعلمت فيما بعد أنه هو نفسه كان مترددا فى العودة إلى اليمن بعد أن تأكد من إصرار جمال عبد الناصر على الإستمرار فى سحب قواته منها .

فَسَاءَ لَوْ أَهْلَ الذِّكْرِ
إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

قرآن کریم

الفرص الضائعة

الفصل الخامس عشر



عاد المشير عامر من موسكو يوم الأربعاء ١٩ يونية ١٩٦٣ بعد أن عقد إتفاقية مع الحكومة السوفيتية ، وقّعها عن الجانب الروسى المارشال مالىنوفسكى وزير الدفاع السوفيتى بحضور رئيس الوزراء نيكيتا خروشوف ، مما يؤكد أن تلك الإتفاقية كانت إتفاقية عسكرية ، وعلى إثر وصول المشير عامر إلى القاهرة إجتمع لمدة أربع ساعات مع الرئيس عبد الناصر ، ليطلعه على نتائج زيارته فى موسكو ومحادثاته مع خروشوف ومساعدات الاتحاد السوفيتى العسكرية الجديدة لمصر والقرض السوفيتى الذى بلغت قيمته عشرين مليوناً من الجنيهات فتقرر تدعيم الوجود العسكرى المصرى فى اليمن وإعادة القوات المصرية إليها . بعدئذ قام المشير عامر بإقناع السلال كى يعود مع القوات المصرية إلى اليمن يوم الثلاثاء ٢٥ يونيه ١٩٦٣ حيث اجتمعا فى نفس اليوم فى مقر القيادة العسكرية المصرية فى صنعاء باللواء أنور القاضى لبحث الشئون العسكرية وتطوير القتال فى اليمن .

على إثر هذا الاجتماع أعلن السلال (استئناف العمل على إسقاط الأنظمة الرجعية مع الجزيرة العربية) بعد عدول مصر عن سحب قواتها من اليمن وأصدر مرسوماً بتشكيل القيادة العسكرية المصرية اليمنية المشتركة ، التى ضمت الفريق أنور القاضى قائد القوات المصرية واللواء حسن العمرى والعقيد حسين الدفعى وزير الدفاع والعقيد أحمد الأنسى ، بعد أن صدر قرار فى القاهرة بترقية أنور القاضى إلى رتبة فريق وقرار آخر فى صنعاء بترقية حسن العمرى إلى رتبة لواء وتعيينه نائباً لرئيس الجمهورية ونائباً للقائد العام .

ثم استقبل السلال فى يوم الخميس ٢٧ يونية ١٩٦٣ الجنرال كارل فون هورن رئيس بعثة المراقبين الدوليين فى اليمن وأبلغه (أن المملكة العربية السعودية لا تزال ترسل المتسللين والأموال والأسلحة إلى اليمن بما فى ذلك من نقض صريح لتعهداتها للأمم المتحدة) .

فى نفس اليوم أذاع راديو لندن تصريحاً للأمير فيصل لمراسل جريدة التايمز البريطانية فى الشرق الأوسط قال فيه (إن الحكومة السعودية أجرت مباحثات مع أمريكا بشأن توفير الحماية الجوية الأمريكية للجزء الجنوبى من السعودية) وبدأت القوات الأمريكية الجوية والبحرية تصل إلى السعودية .

معنى ذلك أنه بينما كان المشير عامر فى موسكو يستجيب لطلب خروشوف إعادة القوات المصرية إلى اليمن وتوسيع ساحة القتال فى شبه الجزيرة العربية كانت الحكومة السعودية تبحث مع الحكومة الأمريكية عناصر الرد على الإتحاد السوفيتى والإستجابة المصرية على الساحة اليمنية . فكان ذلك بمثابة إنذار علنى وجهته أمريكا والسعودية للإتحاد السوفيتى وعبد الناصر والسلال بأنهم لا يلعبون وحدهم فى هذا الميدان .

ظهر أكثر من أى يوم مضى ما كنت أخشاه وهو أن تصبح الساحة اليمنية حلبة للصراع الدولى بين الكتلتين العالميتين ، إحداهما تستخدم الجمهوريين والمصريين للوصول إلى منابع البترول وإحتلال المواقع الإستراتيجية فى الجزيرة العربية ، والأخرى تستخدم المتمردين وتساعد السعوديين والأردنيين للحفاظ على هذه منابع وتلك المواقع .

كان وقود الصراع مستخلصا من دماء اليمنيين والمصريين والسعوديين والأردنيين وإمكاناتهم الإقتصادية والعسكرية ، وكان من الواضح أن دماء المصريين واليمنيين سوف تذهب سدى ، سواء انتصر الشرق أو الغرب ، فلم يكن فى أعظم أحلام اليمنيين ولا فى أوسع خيال المصريين أن يكونوا سدنة هذه منابع ولا سادة تلك المواقع .

لقد فرحوا بتوسيع ساحة القتال وظن بعضهم أنه يدافع عن الجمهورية اليمنية ، وتصور البعض الآخر أنه يدافع عن القومية العربية ، بينما لم تكن الصراعات الدولية لتهم كثيرا أو قليلا بالجمهوريات أو الملكيات أو القوميات لأنها تعتبرها مجرد كماليات شكلية ومحسنات لفظية فى سوق الصراعات الإقليمية ، دون أن يكون لها أى أثر فى ثقل الموازين الدولية ، إلا بالقدر الذى يدخل فى عناصر إشعال هذه الصراعات ، وطبقا للأصول المرعية فى الغابة العالمية ، والقواعد المتفق عليها فى لعبة الأمم ، التى ليس فيها للشعوب النامية ناقة ولا جمل .



سافرت إلى ألمانيا بناء على موافقة عبد الناصر والسادات والسلال للإجتماع بعدد من رجال الأعمال اليمنيين من المهاجرين ، حيث كانت العاصمة بون مقرا وسطا للدول التي يقيمون فيها في أوروبا وأمريكا . وكان الغرض من هذا الإجتماع ، الذي استغرق الإعداد له معظم خمسة عشر يوما قبل سفرى إلى ألمانيا ، هو التأكد من إقبال الجاليات اليمنية في شتى البلاد على الإشتراك فى تأسيس هذا البنك .

وأذاع راديو بيروت فى يوم الثلاثاء ٩ يولية ١٩٦٣ أن (الدكتور عبد الرحمن البيضانى قد وصل إلى بون عن طريق الجو من القاهرة لإتخاذ خطوات جديدة نحو إنشاء مصرف يمنى فى عدن . وقال أنه سيدعو خلال هذا الأسبوع إلى مؤتمر إقتصادي مع وفد من رجال الأعمال اليمنيين لدراسة الخطوات التنفيذية نحو إنشاء هذا المصرف وأن الغرض منه هو تجميع المال اليمنى من بلدان مختلفة بالإضافة إلى عدن) .

وأذاع راديو لندن فى يوم الأربعاء ١٠ يولية ١٩٦٣ نفس ما سبق أن أذاعه راديو بيروت .

نجح هذا الإجتماع وسبقنى إلى عدن كل الذين اشتركوا فيه ، وأرسلت معهم رسالة إلى صديقى الأستاذ عبد الرحمن جرجرة صاحب مجلة اليقظة فى عدن كى ينشرها لتحدد الهدف من وصولى إليها ، وهو مجرد إنشاء بنك يمنى هناك حتى لا يساء تفسير وصولى إلى عدن وحتى استبعد من ذهن كل صاحب ذهن إننى أنوى القيام بأى نشاط سياسى .

وكان الأستاذ عبد الرحمن جرجرة زميلا لى ، أثناء دراستى المسائية فى الجامعة الأمريكية فى القاهرة ، إلى جانب دراستى الصباحية فى كلية الحقوق بجامعة القاهرة ، وهو من أبناء البيضاء الذين اختاروا الإقامة فى عدن ، وكان يشغل فى ذلك الوقت منصب وزير المعارف فى حكومة إتحاد الجنوب العربى .

نشر الأستاذ جرجرة رسالتى إلى أهالى الجنوب فى صحيفته (اليقظة) يوم ٣٠ يولية ١٩٦٣ ونصها :

إخواني أبناء الجنوب اليمنى .

أيها الأحرار .

للشعب اليمنى أهداف ثورية محددة كافح فى سبيلها ولا يزال .. لا يرضى عنها بديلا ممسوخا .. ولا يقبل منها حلا مقلوبا .

وليشهد الله أننى عندما كنت فى الحكم حاولت جهد طاقتى أن أشارك زملائى فى وضع هذه الأهداف موضع التنفيذ .

وخرجت من الحكم ، وخرج الكثيرون غيرى ، ولا زلنا ندعو الله أن يلهم من بقوا فى الحكم إلى الرشd والصواب حرصا على وحدة الصف ، وتحقيقا لأهداف الشعب ، وتثبيتا للجمهورية ، وتدعيما للقومية العربية .

وكان لا بد للناس من مخرج من اليأس يأملون فيه ، وملاذ من الضياع يلجأون إليه ، ورجاء فى المستقبل يلتفون حوله ، فكانت فكرة إنشاء بنك يمنى فى عدن لتوظيف أموال اليمنيين المهاجرين لرد الجميل إلى أهالى الجنوب اليمنى ، الذين ساهموا منذ اليوم الأول للثورة بدمائهم وأموالهم فداء لها من أجل تحقيق أهدافها .

ولا زلت أذكر نساء الجنوب اليمنى يتبرعن بجواهرهن النفيسة فداء للثورة .

ولا زلت أذكر رجال الجنوب اليمنى يرسلون أموالهم بغير توقف فداء للثورة .

ولا زلت أذكر شباب الحرس الوطنى من أبناء الجنوب يجودون بدمائهم الزكية فداء للثورة .

ثم كان ما كان .

مما لا يعلم مغزاه إلا الله .

ولا يعلم منتهاه إلا هو العلى القدير .

عبد الرحمن البيضانى

أوضحت للرأى العام فى هذه الرسالة أننى أشد حرصا على تحقيق أهداف الثورة ، وأكثر تمسكا بوحدة الصف ، وأعظم أملا فى تثبيت الجمهورية اليمنية ، وأقوى دعوة إلى تدعيم القومية العربية . كما أثبت فيها أن فكرة إنشاء بنك يمنى فى عدن ليست سوى فكرة إقتصادية لتوظيف أموال اليمنيين المهاجرين ، الذين بدأوا يهربون من صنعاء .

لذلك ترددت السلطات البريطانية في عدن في السماح لي بالوصول إليها حتى تعهد صديقي الأستاذ عبد الرحمن جرجره باستضافتي في بيته ، والتزم نيابة عني بأنني لن أقوم بأى نشاط سياسي أثناء زيارتي لتأسيس البنك ، وسأنده في ذلك التعهد السلطان صالح بن حسين العوذلي سلطان منطقة العواذل الملاصقة لمنطقة البيضاء ، وشقيقه المجاهد جعبل بن حسين والشيخ محمد فريد عولقي وزير خارجية الاتحاد وكبير زعماء منطقة العوالق ، فسمحت بريطانيا بزيارتي لعدن لتأسيس ذلك البنك .

كنت سعيدا بعلاقتي الشخصية مع هؤلاء الرجال ، الذين وثقت في مشاعرهم الوطنية ، وكانوا مؤهلين لقيادة ذويهم عند تقرير مصيرهم ، وكانت بريطانيا تعرف مقدما أنهم سوف يختارون العودة إلى أهمهم اليمن .

ولا أدري لماذا كانت عناصر المخابرات المصرية المتحمسة لعملية صلاح الدين الخرافية ترفض إستعادة جنوب اليمن عن طريق رجاله العقلاء في وقت تقتضى فيه الحاجة الوطنية إلى أعمال العقل أكثر من إطلاق البندقية .

قالوا أن عقلاء الجنوب رجعيون فقلت أنني أفهم أن الرجعية تعنى الرجوع إلى الوراء ، وأنهم ما داموا سوف يشتركون معنا في جمهورية الثورة اليمنية ، شأنهم في ذلك شأن علماء اليمن ورؤسائها وزعمائها وشيوخ قبائلها ، فإنهم سوف يتقدمون معنا إلى الإمام

قالوا أنهم يرفضون الاشتراكية قلت إننا لم نرفع شعارها في اليمن الشمالية لأنها ليست ذات مضمون معروف يختلف عن المضمون الماركسي مما جعلنا نرفع شعار العدالة الإجتماعية المستمد من القيم الدينية والتقاليد العربية الإيجابية .

كان شعار الاشتراكية ساحة القتال الواسعة التي قاتلني عليها من كانوا يتقربون إلى الرئيس عبد الناصر تحت رايتها ، بالإضافة إلى ساحة القتال الأكثر خطرا وهي أنني رجل مدني لا يجوز أن ينجح في تحقيق الأهداف الوطنية ، لأن مثل هذا النجاح لا يتفق مع مبدأ حصر الزعامة السياسية في الشخصيات العسكرية .

في الموعد المحدد وصلت إلى عدن وكانت جموع الشعب اليمني تنتظرني في المطار فأخذتني إلى ساحة المؤتمر الإقتصادي الذي نظمه أصدقائي رجال الأعمال اليمنيون ، وكانت هتافات الحاضرين تشق عنان السماء تطالبني بالحديث عن الأمور السياسية غير رغبة في أن تسمع مني شيئا عن مهمتي الإقتصادية التي لا يختلف عليها أحد ولا يحتاج شرحها إلى خطاب .

تزايد حماس الحاضرين وطلبوني بالعودة إلى اليمن على أسنة الرماح ، فاضطرت إلى تهدئة الموقف ، فقلت ما أذاعه راديو لندن نقلا عن كلمتي في ذلك الإحتفال وسجلته جميع أقسام الإستماع الإذاعي في كل أنحاء العالم ، كما جاء في نشرة إستماع الإذاعة المصرية بتاريخ الجمعة ١٦ أغسطس ١٩٦٣ أنني صرحت بأنني (لا أحتاج إلى رماح

حتى أعود إلى وطني ، وأننى فى وسعى أن أستأجر إحدى السيارات وأذهب إلى جميع المناطق الموالية للجمهورية ، لكننى لن أقدم على ذلك إحتراما للرئيس جمال عبد الناصر ، ولتقتى فى أن إخوانى من رجال الجمهورية فى صنعاء لن يترددوا فى تحريض الطائرات المصرية على قصف هذه المناطق المسالمة المؤمنة بالجمهورية ، وعندئذ أكون سببا فى تصعيد المشاكل أمام القوات المصرية ، وإننى ينبغي على أن أنتظر حتى يقوم الزميل السلال بإجراء الانتخابات فى اليمن فيجدد الصفة الدستورية للجمهورية ، وعندئذ يقر ممثلو الشعب ما إذا كنت رجلا مؤهلا للإشتراك فى إدارة شئون الوطن أو كنت دون ذلك) .

أشرت فى هذه العبارات إلى ما سبق أن أعلنه السلال فى يوم الجمعة ٢٢ فبراير ١٩٦٣ عندما أصدر قرارا بإجراء (إنتخابات فى جميع أنحاء اليمن لانتخاب أعضاء مجلس شيوخ القبائل) فهدأت جماهير المؤتمر الإقتصادي التى قدرتها وكالات الأنباء بعشرات الألوف من اليمنيين الشماليين والجنوبيين .

وعندما احتشد عندى فى يوم الأحد ١٨ أغسطس ١٩٦٣ عدد من الأصدقاء كعادتهم منذ وصولى إلى عدن كان بينهم هذه المرة أحد المصريين الذى قدم نفسه بأنه من الإخوان المسلمين الهاربين من مصر وسألنى عن إشتراكى عبد الناصر وعلاقتها بالماركسية .

خطر على ذهنى ، لأول وهله ، أنه رجل يريد أن يستدرجنى إلى أن أقول ما يسىء إلى عبد الناصر ، ولا يعلم أننى رجل علم . مشكلته الأولى أنه يخاطب التاريخ ، ولا شيء غير التاريخ ، ولذلك لا أقول غير ما أعتقد ، وأن الذى أقوله فى عدن عن الإشتراكية سبق أن قلته عنها فى صنعاء .

كنت بين أمرين أحلاهما أمر من الآخر ، إما أن أواصل الحديث معه بكل أمانة وصدق ولينقل عنى ما يشاء محتفظا لنفسى بأهم خصائص العلماء ، وإما أن أعترض له ملتصقا لرقيبتي سلامة الجبناء .

اخترت ، كعادتى ، الحل الأول لا سيما أننى لم أكن أشعر بوجود أى تناقض بين إقتناعى بزعامة عبد الناصر السياسية وامتناعى عن الأخذ باختياراته الاقتصادية ، فقد كان زعيما سياسيا موهوبا وليس عالما إقتصاديا مجتهدا . ولا حاجة إلى القول أن الإقتصاد علم ، شأنه شأن سائر العلوم ، يحتاج الإجتهد فيه إلى دراسات واسعة متصلة ، وأبحاث عميقة مستفيضة تستند إلى خلفيات فلسفية وإجتماعية وسياسية ، وبغيرها أو بأقل منها فإن الزعامات السياسية لا سيما التى تستند على الخلفيات العسكرية ، لا تستطيع أن تستغنى عن علماء الإقتصاد عندما تختار نظرياتها الإقتصادية .

القول بغير ذلك معناه أن يكون مسموحا للإقتصاديين بأن يصيغوا النظريات الكيميائية ، وأن يتولى الأطباء صياغة النظريات الهندسية وأن يقوم المهندسون بإجراء العمليات الجراحية فتختل موازين الحكمة وتنهار أعمدة الحضارة .

أشار محدثي إلى حديث جرى ، أثناء وجودي في بون بألمانيا الغربية ، بين الرئيس جمال عبد الناصر والوفد اليمني برئاسة القاضي عبد الرحمن الارياني يوم ٢٨ يولية ١٩٦٣ حيث شرح الرئيس الاشتراكية التي طبقتها مصر بإعطاء سلفيات زراعية للفلاحين بدون فوائد ربوية فقلت أنني أوافق على إعطاء الفلاحين سلفيات بدون فوائد ربوية ضمن سياسة زراعية شاملة ، نعتمد على إنشاء جمعيات زراعية في إطار خطة إقتصادية متكاملة . وأضفت قائلاً أن مجرد إعطاء هذه السلفيات أمر ليس وفقاً على الاشتراكية .

فسألني عن رأيي في بيت الشعر الذي استشهد به الرئيس أمام الوفد اليمني نقلاً عن قصيدة أحمد شوقي حين قال :

الإشتراكيون أنت إمامهم لولا دعاوى القوم والغلواء

قلت أنني مؤمن برسالة الرسول ﷺ بغير دعاوى القوم والغلواء . وأنا إذا تحررنا من دعاوى القوم والغلواء نجد أنفسنا مع العدالة الإجتماعية الواضحة المعالم والمحددة المدلول ، دون خطر الإنزلاق إلى الماركسية .

سألني عن موقعي من القومية العربية ؟ قلت إنني من دعايتها وأنصارها ولذلك وضعتها ضمن أهداف الثورة في مقالاتي في روز اليوسف يوم ٢٣ أبريل ١٩٦٢ أى قبل أن تقوم الثورة بما يقرب من نصف عام ، ثم أعلنتها ضمن أول دستور للثورة بعد قيامها .

سألني كيف أكون من دعاة القومية العربية ولا أكون من دعاة الاشتراكية ؟

قلت إن روابط القومية العربية تجرى في دماء العرب قبل أن يسمع أحدهم عن شعار الاشتراكية .

ثم سألت محدثي بدوري كيف أدعو أصحاب الأموال اليمنيين المهاجرين أن يتركوا البلاد المستقرة التي كونوا فيها أموالهم كي يعودوا بها إلى اليمن فنؤمهم ونضعها معهم تحت الحراسة ؟ .

وهل يقبل أحد العقلاء دعوة على العشاء ، وهو يرى السكين مهداة إليه مع بطاقة هذه الدعوة ؟ .

قلت لمحدثي أن المدعويين على عشاء الاشتراكية في مصر كانوا جميعاً مقيمين فيها ، أما الذين تريد مصر دعوتهم على عشاء الاشتراكية في اليمن فإنهم جميعاً بعيدون عنها .

وهذا فارق جوهرى بين العشاء المصرى الاشتراكى في مصر والعشاء المصرى الاشتراكى في اليمن .

قلت لمحدثي إننى أريد تجميع أموال اليمنيين بمحض إرادتهم وحسن اختيارهم تحقيقاً لمصلحتهم الشخصية ومصلحة اليمن الوطنية . ومعنى ذلك أنهم يجب أن يجدوا بأنفسهم ولأنفسهم مصلحة خاصة من عودتهم بأموالهم إلى وطنهم ، وهذا حقهم الذى

ينبغي ألا يكون محل منازعة . وعلينا فى نفس الوقت أن نقيم النظام الإقتصادى الذى يمنع استغلال الإنسان للإنسان ، بينما يسمح باستثمار الموارد الطبيعية والطاقات البشرية فى إطار من العدالة الإجتماعية المنبثقة من الشريعة الإسلامية .

كان محدثى حريصا على إحراجى أمام الزائرين ، وكنت حريصا على إيضاح موقفى الإقتصادى أمامهم وكان معظمهم من أصحاب الأموال المهاجرين .

بدأنا إجراءات تسجيل مشروع البنك لدى السلطات المسئولة عن تسجيل البنوك وإذا بإذاعة صنعاء تذيع يوم الأربعاء ٢١ أغسطس ١٩٦٣ قرار مجلس الرئاسة للجمهورية اليمنية والمجلس التنفيذى فى إجتماع مشترك إنعقد برئاسة الزميل اللواء حسن العمرى نائب رئيس الجمهورية بسحب جنسيتى اليمنية لأننى (أفسدت الوحدة الوطنية بين صفوف الشعب اليمنى) .

وكان أسلوب التخلص من الجمهوريين يعتمد على إدانتهم بإحدى التهمتين ، أما تهمة الطائفية إذا كان المواطن الجمهورى شافعيًا ، أو تهمة التمرد إذا كان المواطن الجمهورى زيدا . وتصادف أن ولد أبى فى مراد وعاش فى البيضاء قبل أن يجرى إلى مصر ليتعلم فى الأزهر فأصبحت شافعيًا مؤهلا (جغرافيا) لاتهامى بالطائفية عندما حرصت على تحقيق السلام فى اليمن ، مما أغضب الأطماع السوفيتية وكأنها اعتنقت الزيدية .

جريمى أننى ناديت بالوحدة الوطنية التى ترفض كل أنواع التفرقة العنصرية والمذهبية وأننى أعلنت ، كرجل إقتصاد يرسم نهضة وطنه الإقتصادية فى إطار من العدالة الإجتماعية ، إننى أحمى اليمن من الإنزلاق إلى مخاطر الاشتراكية التى تقترب من الماركسية .

أصبحت مؤهلا لاتهامى بالطائفية لأننى من المناطق الشافعية ولو كنت من المناطق الزيدية لكنت مؤهلا لاتهامى بالعمل مع المتمردين من أجل إعادة الملكية .

ضحكت لهذه التهمة وتألمت من تصرف الزملاء فى صنعاء ، الذين يعرفون كل الحقيقة ، وكان الأجدر بهم أن يعلنوا الأسباب الحقيقية لقرار سحب الجنسية المخالف لدستور الجمهورية . ومما هو جدير بالذكر أننى عندما كنت نائبا لرئيس الجمهورية ووزيرا للخارجية رفضت سحب الجنسية من اليمنيين الملكيين وأصدرت أمرا للسفارات اليمنية بأن تعطى جوازات جمهورية لمن يريد منهم أن يحمل جوازا يمنيا ، وقلت للسلال أننا لانستطيع أن نسحب منهم يمنيتهم ، فهذه حقيقة لانستطيع ان ننكرها عليهم لمجرد أننا غيرنا لهم نظام الحكم . إنهم فعلا لم يصبحوا ملكيين لأننا أسقطنا الملكية ، لكنهم مازالوا يمنيين لأننا لم نسقط اليمن .

كرر راديو صنعاء اذاعة قرار سحب جنسيتى ، وأضاف إلى تهمة الطائفية تهمة العلاقات المشبوهة مع السلطات البريطانية ، لمجرد وجودى فى عدن لإنشاء ذلك البنك مع أن وجودى هناك كان بموافقة عبدالناصر والسادات والسلال .

كان الأشد ألماً على نفسى ان يصدر قرار مجلس الرئاسة والمجلس التنفيذي بسحب جنسيتى بتوقيع الزميل اللواء حسن العمري ، لأننى ، وبصرف النظر عن عدم دستورية ذلك القرار ، أعرف حقيقة مشاعره نحوى ، لأنه يعرف حقيقة إستماتتى فى الدفاع عن مصلحة اليمن كما يشهد لى بذلك (الوثيقة رقم ١) فتألمت كثيراً من توقيعه على ذلك القرار لأننى فسرت موقفه بأنه كان مغلوباً على أمره ، تحت ضغط العناصر ذات العلاقة السوفيتية التى اتخذت من نجاحها فى التخلص من البيضانى عبرة لكل من أراد أن يعتبر .

ومرة أخرى أجدنى ضعيفاً أمام إغراء حقيقة هامة أذكرها قبل أوانها ، مخالفاً أسلوبى فى عرض التاريخ بحسب تدفق أحداثه .

ذلك لأن الرئيس السلال عندما أطاح به إنقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ بينما كان فى زيارته للعراق فى طريقه إلى الإتحاد السوفيتى أعلن تصريحاً سجلته عليه صحيفة الحياة اللبنانية فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ قال فيه :

(لن أقبل بوجود حكومة الإنقلاب فى صنعاء ، أنا زعيم الجمهورية العربية اليمنية الذى انقلب على الإمام البدر . وجميع أولئك الأشخاص الذين خلعونى كانوا فى وقت من الأوقات أعوانى ، وسأبذل غاية جهدى للعودة إلى وطنى حيث ينتظرنى شعبى) وأضاف قائلاً (إن جنوب اليمن المحتل جزء لا يتجزأ من الجمهورية العربية ومن السهل جداً على أن أتوجه إلى الجنوب ومن هناك أزحف على الشمال . وأعود إلى صنعاء وسأكون هناك قريباً جداً)^(١)

إذن لا يرى السلال أية غرابة أو جريمة فى ذهابه إلى عدن رغم وجود الاحتلال البريطانى لأن عدن كما قال (جزء لا يتجزأ من الجمهورية العربية اليمنية) .

أما عن تهمة الطائفية التى حاولوا إلصاقها بى والتى سجلها الدكتور محمد على الشهاى أحد أعمدة الهاشميين فى كتابه (الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال) حيث كتب فى صفحة ١٧٦ قائلاً :

(إن الدكتور البيضانى .. الذى كان يرى قبل الثورة أن مشكلة اليمن تنلخص فى أن الطبقة الهاشمية الحاكمة فى اليمن لا تريد الإصلاح ، عاد بعد قيام الثورة وبعد إنتهاء الحكم الهاشمى إلى القول بأن المشكلة تحددت الآن بضرورة إنهاء تحكم الزيود فى الشوافع .. وبالفعل أعيد ترتيب كل شيء من جديد على قاعدة المساواة الطائفية فى توزيع المناصب حيث أعلن البيضانى فى مطلع نوفمبر ١٩٦٢ نائباً لرئيس الجمهورية فى جميع مناصبه .. كما شكل فى نفس الوقت مجلساً لقيادة الثورة من ١٠ زيود و ٨ شوافع ، أما الحكومة فقد كونت بالتساوى حيث ضمت ١١ من الزيود مقابل ١١ من الشوافع .)

(١) انظر الفصل ١٧ جزء ٥ من هذا الكتاب .

وبدلاً من أن يشهد الدكتور الشهابى أننى طبقت بذلك المساواة الفعلية فى اليمن ، التى هى أهم الأهداف المعلنة منذ اليوم الأول للثورة ، إذا به يتهمنى بالتعصب الطائفى ، لأننى شكلت مجلس قيادة الثورة من عشر أعضاء من الزيود وثمانية أعضاء من الشوافع ، وشكلت مجلس الوزراء من أحد عشر عضواً من الزيود وأحد عشر عضواً من الشوافع ، وقد كان السبب المباشر فى إختيارهم هو دور كل منهم فى الإعداد للثورة ، ولا أدرى ماذا كنت أفعل أكثر من المساواة حتى لا أكون متعصباً طائفياً شافعياً .

فات على الدكتور الشهابى وعلى الذين أرادوا التخلص من مبدأ المساواة بإتهامى بالطائفية الشافعية ، كما جاء فى قرار سحب جنسيتى اليمنية ، أن يدركوا مدى خطأهم فى فهم شروط المذهب الزيدى التى سقطت من الناحية السياسية عند قيام الثورة فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ، تلك الثورة التى اسقطت النظام الإمامى فى اليمن واقتلعت من جذوره السياسية .

لقد كان ذلك النظام يعتمد على النظرية السياسية للمذهب الزيدى الذى له هدف رئيسى مقصود وصفه الزعيم اليمنى الزيدى القاضى محمد محمود الزبيرى فى كتابه (الإمامة وخطرهما على وحدة اليمن) صفحة ١٦ فقال أنه يستهدف (إسترداد حق العلويين فى الخلافة ، هذا الهدف هو الذى فتح باب الإجتهااد أولاً وخلق نظرية الخروج على الظلمة ثم نظرية الهدف نفسه وهى اختصاص العلويين بحق الخلافة) إلى أن قال فى صفحة ٢٠ (رأينا أن الإمامة قصمت ظهر الشعب وجعلت منه قسمين إثنين أحدهما القسم الزيدى والآخر القسم الشافعى) وفى صفحة ٢٢ نقل الزبيرى عن العلامة المجتهد الشوكانى نقده لنظرية المذهب الزيدى السياسية ونزعته المتعصبة فقال (إن هذه النزعة المتعصبة ليست دينية بل دنيوية) .

عند قيام الثورة فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ سقطت النظرية السياسية للمذهب الزيدى فلم يرأس الدولة علوى من أبناء فاطمة تتوفر فيه بقية شروط الإمامة ، لأن الثورة قد قامت ضد هذا النظام ، واسقطت شروطه السياسية ، وتركزت لأبناء هذا المذهب أن يعبدوا الله بالطريقة التى رسمها المذهب من الناحية الدينية ، شأنهم فى ذلك شأن بقية أتباع المذاهب الإسلامية التى لا تحتكر السلطة الدنيوية ، ولا تميز بين أى مسلم وأى مسلم من أبناء الوطن الواحد فضلاً عن بقية المسلمين فى العالمين .

فات على هؤلاء ، ومن بينهم بعض قادة الجمهورية أنفسهم ، أن يدركوا حقيقة الموقف المذهبى بعد قيام الثورة ، ولم يتبينوا أنه لم يعد بعد قيامها أى تمييز فى الحقوق السياسية بين الزيود والشوافع ، لأن المذهب الشافعى لا يشترط شروطاً سياسية فى الحكم ، وقد أسقطت الثورة شروط المذهب الزيدى السياسية من الحكم ، وأصبح جميع أبناء الشعب اليمنى سواء بسواء فى جميع الحقوق والواجبات ، فأصبح السلال رئيساً للشعب اليمنى وجاء من بعده رؤساء وطنيون للجمهورية لا تتوفر فيهم شروط المذهب الإمامى الزيدى السياسية .

إن أية حكومة جمهورية لا تدرك هذه الحقيقة البديهية تعترف بنفسها على نفسها بأنها حكومة غير شرعية عندما تتمسك بالنظرية السياسية الزيدية ، لأنها حينئذ تحكم بغير إمام تتوفر فيه شروط المذهب الزيدى .

وأى رئيس للجمهورية . يتمسك بأنه زيدى من الناحية السياسية يجب عليه ، حتى يستمر فى السلطة بصفة شرعية ، أن يعلن نفسه إماما إذا كان مستوفيا لشروط الإمامة التى هى صلب المذهب الزيدى ، وبالتالي يعلن سقوط الجمهورية وفشل الثورة اليمنية .

كل زيدى يتعصب سياسيا لزيديته يجب أن يعرف أنه ليس جمهوريا ، لأنه يناقض مبادئ الجمهورية ، وليس إماميا لأنه لا يتمسك بعودة الإمامة .

وكل شافعى يتعصب شافعى لمنطقته يجب أن يعرف أنه أيضا ليس جمهوريا ، لأنه يناقض مبدأ الوحدة الوطنية وليس شافعى لأنه يخترع عصبية إقليمية مناقضة للشافعية ، كما أنه ليس إماميا لأنه ليس زيديا . يبقى بعد ذلك عدد قليل من الهاشميين الساخطين على الجمهورية مهما تقلدوا فيها مناصب قيادية ، لأنهم يتطلعون إلى سابق إمتيازاتهم العنصرية ، ولذلك لا بد أن تتوقع أن يستمر بعضهم فى إثارة الحساسيات بين الزيدود والشوافع أملا فى تقويض النظام الجمهورى وإعادة النظام الإمامى . ويجب أن نتوقع أن يستمر هذا التطلع أيام هذا الجيل . وبعد ذلك ستشعر الأجيال الهاشمية القادمة بمزايا الجمهورية والنهضة العصرية والوحدة الوطنية التى تحقق الحضارة الحديثة ، التى لا تتعارض مع شرف انتسابهم إلى الهاشمية .

عندما يعرف الهاشميون والزيدود والشوافع هذه الحقيقة الصريحة والواضحة فإنهم يقيمون صرح الوحدة الوطنية التى هى الدرة الغالية فى تاج الجمهورية والثمرة الحقيقية من قيام الثورة اليمنية .

إما إختيار المسؤولين ، فى مناصب الجمهورية القيادية ، فإنه ينبغى أن يتم بحسب الكفاءة الشخصية التى تحقق أهداف الجمهورية ، بصرف النظر عن المذهب الدينى الذى ينتمى إليه والمنطقة التى ولد فيها . وأما تعداد سكان المدن والقرى والجبال والوديان فإنه يراعى فقط عند انتخاب المجالس الشعبية التى تتولى مراقبة السلطات التنفيذية .

عندئذ فقط يمكن أن نفخر بقيام الثورة التى أقامت هذه الجمهورية فوحدت شعب اليمن وقادت حضارته العصرية .

لم أكن فى يوم من الأيام متعصبا للشافعية التى أنتسب إليها من الناحية الجغرافية ، شأنى فى ذلك شأن جميع الشوافع وجميع الزيدود ، الذين لم يكن لأحدهم فضل فى إختيار مذهبه .

لكننى كنت ، ولا زلت أدرك ، أن العامل الإقتصادى وليس العامل الدينى هو الذى ساعد النظام الإمامى على تعميق التفرقة السياسية بين الزيدود والشوافع ، فقد تصادف أن كانت أغلبية المناطق الزيدية فى شمال اليمن من الأراضى الجبلية الجذباء القاسية ،

فاحترف أهلها الجندية لخدمة النظام الإمامي ، وتصادف أن كانت أغلبية المناطق الشافعية في جنوب وشرق وغرب اليمن من الأراضي السهلة الخصبة الصالحة للزراعة ، فاحترف أهلها الزراعة ، واصبحوا مصدرا متيسرا لإطعام الإمام وجنوده .

فات على معظم اليمنيين إدراك المغزى من النص في البند العاشر من المادة الأولى في أول دستور للثورة الذي ينص على (خلق أوجه للنشاط الإقتصادي في المناطق الجذباء الأهلة بالسكان) .

قصدت (بالمناطق الجذباء) المناطق الزيدية الشمالية التي فرضت قسوتها على أهلها أن يحترفوا الجندية والتسلط على أهالي المناطق الزراعية ، فإذا ما أبقينا هذه المناطق على قسوتها استحال علينا أن نستميل أهلها إلى تحقيق العدالة والمساواة في اليمن ، وبذلك لا ننجح إلا في رفع الشعارات وإذاعات التصريحات .

وجدت أننا حتى نحقق فعلا مبدأ العدالة والمساواة في اليمن يجب علينا أن نبدأ في أقرب وقت ممكن بخلق أوجه للنشاط الإقتصادي في هذه المناطق الجذباء ، حتى يرتبط بها أهلها ويجدوا فوقها مصادر للحياة أكثر رخاء من مجرد استنزاف غيرها .

وكان من أعظم أحلامى أن أعمل على تحقيق الرخاء في المناطق الزيدية ، حتى تتعادل كل المناطق اليمنية من الناحية الإقتصادية ، فتتكافأ من الناحية السياسية ، وعندئذ نتمكن من تحقيق النهضة الإقتصادية والإجتماعية والسياسية في جميع أنحاء اليمن بالقدر الذي يحقق المساواة بعد معالجة الحاجة التي فرضت التفرقة ، ولكن كما قال الشاعر :

أريد حياته ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد



سمعت من إذاعة لندن يوم الأربعاء ٤ سبتمبر ١٩٦٣ أن زوجتى فى طريقها إلى عدن على طائرة شركة مصر للطيران فذهبت لاستقبالها فى المطار مستغرباً وصولها دون طلب منى . وقد سرنى أن وجدت عدداً كثيراً من سيدات عدن فى انتظارها بعد أن سمعن ذلك الخبر من رجالهن الذين أصروا على استقبالها معى .

حملت زوجتى إلى رسالة من الرئيس جمال عبد الناصر ينصحنى فيها بالعودة فوراً إلى القاهرة ، متعهداً بحمايتى والتغاضى عن أى نشاط أقوم به فى مصر حتى ولو كان مخالفاً لسياسته . وقالت زوجتى أن أنور السادات قد حذرهما من استمرار وجودى فى عدن مؤكداً لها أن صوت العرب قد أعد التمثليات والبرامج الإذاعية التى سوف تتولى التشهير بى ، واتهامى بالعمل لحساب الحكومتين البريطانية والأمريكية ، شأنى فى ذلك شأن الملك سعود والملك حسين والأمير فيصل وبقية من وصفتهم الرسالة بعملاء للاستعمار فى العالم العربى .

كان جمال عبد الناصر والسادات يتصوران أن زوجتى سوف تعود بى إلى مصر بمجرد أن تسمعنى حماية عبد الناصر وإنذار السادات . ولا يعرفان أننى مهما عشت فى مصر وتعلمت فى ألمانيا فإن التقاليد القبلية لا تزال تجرى فى عروقى ، وتحكم سلوكى ، وتصوغ مشاعرى ، فكرهت أن تقوم زوجتى بمهمة سحبنى من عدن كطفل تلتقطه أمه من مدرسة الحضانة .

أمرت زوجتى بأن تعود إلى مصر على نفس الطائرة التى جاءت بها ، والتى كان من المقرر أن تعود من عدن فى اليوم التالى لوصولها إليها ، وأذاعت وكالات الأنباء أن (قرينة الدكتور عبد الرحمن البيضانى عادت إلى القاهرة بعد أن قضت فى عدن أقل من أربع وعشرين ساعة) وإننى أنقل هذه العبارة من نشرة الاستماع الإذاعى فى الإذاعة المصرية .

حملت زوجتى ردى على عبد الناصر وأنور السادات الذى قلت فيه أننى (لا أستطيع أن أترك عدن إلا بعد أن أقوم بتسجيل البنك الذى جئت إليها من أجل إنشائه ، وأظهرت لهما مدى حزنى على تقديرهما لصديق يعرفان ولاءه الوطنى وانتماءه القومى واستحالة خيانتة لوطنه اليمن وغدره بأمة مصر) .

جاءنى رجال وشباب الحرس الوطنى الذين تطوعوا للقتال دفاعا عن الجمهورية ، ثم تركوا صنعاء وعادوا إلى عدن عندما تأكدوا من أن قائد الحرس الوطنى المقدم هادى عيسى وبعض ضباطه ينصبون لهم الكمائن ويقتلونهم من خلف ظهورهم ، وهم فى طريقهم إلى ساحات القتال .

كنت أعرفهم جميعا لأنهم قاتلوا معى فى معظم المعارك التى اشتركت فيها عندما كان مصير الجمهورية معلقا على خيط من خيوط العنكبوت ، وكانت صنعاء على وشك السقوط .

كانت نظراتهم حزينة عندما كانوا ينظرون إلى وجهى ، وكان قلبى أكثر حزنا عندما كنت أتسلل إلى صدورهم ، لم أجد ما أقوله لهم رثاء وعزاء سوى ما قاله شوقى عندما نفوه فى الأندلس :

ياناتح الطلح أشباه عوادينا نشجى لواديك أو نأسى لوادينا
ما تقصى علينا غير أن يدا قصت جناحك جالت فى حواشينا

عندما لاح لى أننى أكملت الإجراءات الأساسية مع أصدقائى من رجال الأعمال اليمنيين لتأسيس البنك اليمنى أعلنت أن (مهمتى فى عدن لإنشاء البنك اليمنى قد انتهت وأننى أنتظر أن أعود إلى القاهرة خلال أسبوع واحد) (الأهرام ٩ سبتمبر ١٩٦٣) .

وبعد أن أعلنت ذلك جاءنى عشرات من شيوخ ورؤساء القبائل اليمنية فى المناطق الشافعية الذين ساءهم اتهام الحكومة اليمنية بأننى أفسدت الوحدة الوطنية ، فأصروا على الذهاب معى إلى جمال عبد الناصر ، فأذاع راديو لندن ما أنقله الآن من نشرة الإستماع الإذاعى فى الإذاعة المصرية يوم الإثنين ١٦ سبتمبر ١٩٦٣ ونصه ما يلى :

(يغادر الدكتور عبد الرحمن البيضانى عدن اليوم متوجها إلى القاهرة ، وسيرافق الدكتور البيضانى ٨٦ شيخا من شيوخ وزعماء اليمن من القسم الشافعى ، الذين يقولون أنهم سيذهبون مع الدكتور البيضانى ليشرحوا للرئيس عبد الناصر كيف تقوم الحكومة اليمنية فى صنعاء بالترقية الطائفية ، وأنهم سيطلبون من الرئيس إرسال بعثة للتحقيق فى هذا الأمر ، وكرر الدكتور البيضانى دعوته إلى إجراء إنتخابات عامة فى اليمن تحقيقا للإستقرار الوطنى فى ربوعها . هذا وقد قامت مظاهرات التأييد لدعوة الدكتور البيضانى إلى إجراء إنتخابات حرة فى اليمن) .

مرة أخرى أعيد التأكيد بأن دعوتى إلى إجراء هذه الإنتخابات لم تكن إلا تنفيذا للقرار الذى سبق أن أصدره السلال بإجراء إنتخابات عامة فى اليمن لإختيار مجلس شيوخ القبائل ثم امتنع عن تنفيذه . كما أن دعوتى إلى إجراء هذه الإنتخابات فى اليمن (تحقيقا للإستقرار الوطنى فى ربوعها) يؤكد حرصى على إستقرار الجمهورية وولائى للوحدة الوطنية .

عندما أصر هؤلاء الزعماء والشييوخ على السفر معى إلى القاهرة أرسلت برقية إلى أنور السادات أخبره بذلك ، كى يستأذن جمال عبد الناصر فى وصولهم ، فرد عبد الناصر بلسان السادات بأنه يحسن أن أعود إلى القاهرة بمفردى .

أرسلت برقية ثانية ألفت نظر السادات بأنه ليس من التقاليد القبلية العربية أن يبدى شيوخ القبائل زيارة مصر فترفض مبدأ وصولهم إليها ، لا سيما أن القوات المصرية تعيش فى مناطقهم وفى حمايتهم وتحت رعايتهم ، فهم زعماء المناطق المؤيدة للجمهورية والثورة اليمنية ورؤساء القبائل الذين يقدمون لهذه القوات المصرية الرجال الأشداء والنصيحة الصادقة ، ولا يتقاضون فى نظير ذلك أى مقابل إلا تثبيت الثورة وانتصار الجمهورية . فجاء رد السادات مرة أخرى معبرا عن قرار عبد الناصر النهائى برفض وصولهم إلى مصر .

كان قرار عبد الناصر خروجاً صريحاً على تقاليد العرب ، وإعلاناً واضحاً عن أقصى درجات الغضب . ورفضاً قاطعاً للإستماع لنصائح شيوخ المناطق اليمنية المؤيدة للجمهورية ، وإستسلاماً مطلقاً لسياسة العناصر المصرية السوفيتية التى تسللت إلى إرادته وأخضعت سلطته لتوسيع ميدان القتال فى اليمن وتوريث الوجود العسكرى فيها لتعقيد إمكانية إنسحابه منها .

أجمع شيوخ القبائل على أن عبد الناصر يضمر لى شراً فصمموا على أن يعودوا بى معهم ، فأعيش بينهم فى إحدى المناطق الحصينة حتى يأتى عبد الناصر إليهم بعد أن رفض وصولهم إليه .

تبينت ، لأول مرة فى حياتى ، أننى فى مأزق .

هان على الموت عندما كنت أرى الإمام أحمد يسعى إلى قتلى فى الحديدية .

ورحبت بالشهادة عندما كنت أقاتل دفاعاً عن أمل الشعب فى صنعاء .

إما هذه المرة ..

فلم أكن أصارع الأعداء ..

وإنما وجدت نفسى ضائعاً بين وفاء الأحياء وجفاء الأصدقاء .

أحبائى شيوخ اليمن يريدون حمايتى من أصدقائى فى مصر .

وبين وفاء الأحياء وجفاء الأصدقاء قررت السفر إلى القاهرة حتى يتجنب الأحياء غدر الأصدقاء ، وما دامت مصر ترحب باتساع القتال فى اليمن فليكن ذلك بعيداً عن المناطق المؤيدة للجمهورية ، التى قررت منذ تلك اللحظة أن تلوذ إلى السلبية تحت ضغط التصرفات العشوائية المصرية .

أشفقت على صديقي عبد الناصر الذى أمسكوا بيده يشدون بها جبل المشنقة على رقبة مصر .

وحزنت على مصر التى كانت تواصل زحفها فى إتجاه الكارثة .

أما اليمن فقد كنت أتوقع أن يحدث لها بعض ما حدث ، وكتبت فى مقدمة كتابي (إقتصاد اليمن) فى أغسطس ١٩٦١ أى قبل قيام الثورة بأكثر من عام فقلت أن :

(اليمن مقبلة على أحداث ستشابه إلى حد كبير أحداث الكونغو ، لأنه توجد تيارات عديدة تتنازع فيما بينها داخل اليمن وخارجها ، ولكل تيار أنصار وأتباع ، وليس من المحتمل أن يستقر الأمر بسرعة لفئة معينة عندما ينفجر البركان ، لذلك يجب على الإتحاد اليمنى أن يسعى إلى توحيد صفوف اليمنيين والقضاء على أسباب تشتت شملهم .. حتى تتوحد كلمة الشعب فيسد بذلك المنافذ أمام التيارات الأجنبية والأخرى التى لا تمثل قضية الشعب وبذلك تنجح قضية الإصلاح بأقل الخسائر) .

إذن كنت قبل الثورة أتوقع لليمن أن يحدث لها بعض ما حدث ، لأنه من الطبيعي ، بعد ظلام دام ألف ومائة عام ، أن تصطدم بالنور عندما تفاجئها حرارة الشمس ، على غفلة من الزمن ، وهى غارقة فى نوم عميق ، لا سيما إذا استيقظت فجأة فى غياب الزعامات الوطنية المتكاملة والمتضامنة ، التى تعرف ماذا تريد فتفهم ماذا تفعل .

أشهد أن الذى حدث فى اليمن كان أكثر مما توقعته لها ، فعندما أوضحت فى مقدمة (إقتصاد اليمن) ضرورة العمل على توحيد كلمة الشعب حتى نسد المنافذ أمام التيارات الأجنبية ، لم يخطر فى ذهني أن منافذ هذه التيارات كانت مفرطة فى الاتساع بحيث يصعب على أحد من اليمنيين أن يسدها وحده ، مهما كان حريصا على ذلك ، وقد جربت بنفسى أنني كنت كلما أسد منفذا واسعا ظهرت أمامى منافذ أخرى أكثر منها إتساعا .

كذلك لم يخطر فى ذهني حجم الإقبال اليمنى من الزملاء الجمهوريين على توسيع هذه المنافذ ، بإرادتهم الحرة وإختيارهم المطلق ، سعيا وراء ما كانوا يتصورونه من مصالح شخصية كانت مناقضة لشروط الإستقرار فى الجمهورية .

وكان أبعد ما يخطر على بالي أن تسهم المساعدات المصرية فى توسيع هذه المنافذ أمام التيارات الأجنبية ، ثم تضيف إليها شعارات الاشتراكية التى ليس لها معنى إقتصادى وإجتماعى محدد فى قاموس العرب حتى تضيع معها مصلحة اليمن .

لم يكن قاموس مأساة اليمن يعرف غير الإمامة ، فكان يكفيهم جهدا أن نستبدلها بالجمهورية التى هى بالنسبة إلى اليمن قمة التقدمية . وبعد أن تستقر الجمهورية فى ظل جيلنا الذى قام بالثورة ، وكان لزاما عليه أن يثبت جذورها ، يأتى جيل آخر من بعدنا يدرس أعمالنا ويعيد صياغة منجزاتنا ، وعندئذ يكون فى وسعه أن يضيف فوقها الكماليات بعد أن نكون قد حققنا له الضروريات ، فيرفع ما يشاء من الشعارات ، فذلك شأنه ، وقدره ، وحياته ، ومستقبله .

ودعت أحبائي من شيوخ اليمن ورجالها وشبابها وعدت وحدى إلى القاهرة .

كان مشهد وداعهم في المطار مشهدا لن أنساه .

لقد تجعدت جباهم من الغضب ، وأغرورقت عيونهم من الحزن ، وأشرأبت أعناقهم من القلق ، وكادوا ينزلونني من الطائرة بعد أن صعدت إليها ، وكأنهم يودعونني الوداع الأخير وأنا أواجه وحدى سوء المصير ، في طريقى إلى إنقاذ أحبائي في اليمن من غدر أصدقائي في مصر .

كان شعورى يختلف عن شعورهم ، وإن كان يزيد عليه قدرا هائلا لا يحسون به ، وحملنا ثقلا لا يقدرון عليه ، ذلك لأننى كنت أتصور نفسى مسئولا عن ذهاب مصر إلى اليمن ، رغم أن مصر كانت قد نسيت ذلك كل النسيان ، واعتبرتني مجرد دليل القافلة الذى ينتهى دوره عندما تبلغ القافلة غايتها .

فعندما بلغت قافلة مصر غايتها في اليمن اعتبرت نفسها صاحبة أمرها ، ومالكة زمامها ، ولا يوجد في الساحة أحد غيرها ، فلم تلتفت إلى قدر أعدائها .

ضلت القافلة طريقها ، بعد أن تركت دليلها وصديقها .

ساعدنا على ذلك رئيس اليمن الذى فزع من مشاركة اليمنيين فرحب بإنفراد المصريين .

واستغلتها العبقريّة السوفيتية التى تتطلع إلى بترول الجزيرة العربية تحت راية الزعامة الناصرية .

رغم ذلك ، وفوق كل ذلك ، كنت أتصور نفسى مسئولا عن حماية اليمن من مصر ، وحماية مصر من مصر . وإننى لم أكون مسئولا أمام السلال في صنعاء وعبد الناصر في القاهرة فإننى مسئول أمام الله والتاريخ .

وأمام أبى الذى أورثنى عقل اليمن فجعلنى أحلم بأمجادها ، وأمام أمى التى أرضعتنى لبن مصر فجعلتنى أنسى به جفاء عبد الناصر ، وأى عبد الناصر يأتى من بعده .



وصلت إلى القاهرة وأدهشني أن كان معي على نفس الطائرة ذلك الرجل الذي حدثني في عدن عن الاشتراكية وقال أنه من الإخوان المسلمين الهاربين ، لكنه لم يتحدث معي في الطائرة ما دمننا في طريقنا إلى القاهرة . وكان ذلك يوم السبت ٢١ سبتمبر ١٩٦٣ .

زارني في المساء الزميل محمد قائد سيف الذي كان لا يزال وزيرا لشئون رئاسة الجمهورية ، وقال أنني عندما كنت في عدن طلب منه السادات أن يذهب إلى القاهرة لإحضار الزميل عبد الغنى مطهر الذي كان لا يزال وزيرا للتجارة للإجتماع بالسادات في الإسكندرية ، حتى يبلغهما رغبة عبد الناصر في سفرهما إلى عدن لإقناعي بأن أعود معهما إلى القاهرة . ولما وصل محمد قائد سيف وعبد الغنى مطهر إلى الإسكندرية قال لهما السادات أن عبد الناصر فضل أن تسافر زوجتي إلى عدن بدلا منهما .

وكان عبد الناصر يخشى من أن يقيما معي في عدن فازداد إصرارا على البقاء هناك . غير أن السادات قد تملكته الدهشة عندما عادت زوجتي من عدن وأكنت له إصراري على عدم البقاء فيها ، وإنني سوف أعود إلى القاهرة عندما انتهى من إجراءات تسجيل البنك اليمنى .

اتفقت مع الزميل محمد قائد سيف على أن نزور السادات معا في اليوم التالي ، وفي الموعد المحدد التقينا بالسادات في مكتبه في مجلس الأمة .

بدأت أحكى للسادات مراحل تسجيل البنك في عدن واستياء شيوخ اليمن الذين رفض عبد الناصر وصولهم معي إلى القاهرة ، فإذا بالسادات يصبح قائلا إن عبد الناصر أصبح يعتبرني كأكرم الحوراني وصلاح البيطار ، زعيمى حزب البعث السورى اللذين أوهما بالوحدة مع سوريا ثم تأمرا عليه بالإنفصال عن مصر .

تأثرت من هذا التشبيه الذى يضعنى في نظر مصر في قفص المتآمرين عليها بصرف النظر عن أسباب الإنفصال السورى عنها .

قلت أنني إذا كنت قد وصلت إلى هذه الدرجة في نظر مصر فإننى لا أستحق أن أعيش على أرضها وأشرب من نيلها إلى أن تتأكد القيادة المصرية أنني أستحق تقديرها عندما أردت مصلحتها فنصحتها بأن تتجنب ما يضرها . ثم وقفت متاهبا للخروج من مكتبه .

سألنى السادات هل سأعود مرة أخرى إلى عدن ؟

قلت أننى لن أعود إليها وإنما سأذهب إلى الصومال .

سألنى هل سأتحدى السلال من الصومال ؟

قلت أننى لا أتحدى احدا من عدن أو من الصومال ، وأننى سوف أعزل السياسة إلى غير رجعة ، وسوف أخلع كل ملابسى الحضرية وأرتدى الزى البدوى وأحترف رعى الغنم فى الصومال ، حيث المزارعى الواسعة والجالية اليمنية الكبيرة التى معظمها من أهالى البيضاء .

قلت للسادات أننى أريد أن أتخلص من ثقافتى وكل حضارتى وأحرق كل شهادتى ومؤهلتي ، وألتمس الجهل الذى يريحنى من عذاب المعرفة ، كما سبق أن كتبت للإمام أحمد عندما كنت فى قبضته أسيرا فى الحديد قبل أن أهرب إلى مصر .

واتجهت إلى الخروج من الباب ، فأصر السادات على أن أتناول الشاي قبل أن أغادر مكتبه ، لكننى صممت على الإنصراف دون أن أتناول تحية الضيوف بعد أن أهاننى صاحبه ، فخرج معى الزميل محمد قائد سيف الذى سمعه الأستاذ فوزى عبد الحافظ مدير مكتب السادات يقول لى أثناء خروجنا أنه سيسافر معى إلى الصومال .

وصلت إلى بيتى واتصلت تليفونيا بسفير الصومال أطلب منه تأشيرة الدخول فقال أننى لا أحتاج إلى أية تأشيرته ، وكان رجل الأعمال اليمنى البيضانى على مرجان المقيم فى الصومال ، صاحب الملايين التى أنفق معظمها على ثورة إستقلال الصومال ، قد أوصاه بأن يستجيب لكل ما أطلبه منه ، فقال السفير أنه سيكون فى وداعى فى مطار القاهرة عندما أخطره بموعد السفر الذى سوف يبلغه إلى حكومته فى الصومال حتى تخطر اليمنيين المقيمين هناك فيكونوا فى استقبالى مع ممثلى الحكومة .

اتصل بى مندوب وكالة رويتر يستفسر عن صحة خبر سفرى إلى الصومال بعد أن سمع ذلك من السفير ، فقلت أننى قد طلقت السياسة ، وضربت له موعدا أن يزورنى فى البيت فى صباح اليوم التالى ، وكان فى نيتى أن أجدد له تأييدى للحكومة اليمنية برئاسة السلال وولائى المطلق للجمهورية ، داعيا جميع أبناء اليمن إلى الإنشقاق حول الحكومة الشرعية فى صنعاء . وكان هدفى من ذلك أن أختتم حياتى السياسية كآخر نداء أتوجه به إلى الشعب اليمنى الذى عشت أحلم بنهضته واشتركت فى إقامة جمهوريته ثم أصبحت عاجزا عن مواصلة خدمته .

بعد غروب الشمس لاحظت حركة غير عادية حول حديقة بيتى ، فقلت لزوجتى أننى أشم رائحة اعتقالى فلم تصدق أحساسى ، وقالت إن عبد الناصر أكد لها أنه سوف يوفر حمايتى حتى لو قمت فى مصر بنشاط يخالف سياسته ، فلماذا أفسر حركة السيارات التى تحيط ببيتى ذلك التفسير بالرغم من أننى لم أقم بأى نشاط فى مصر ولا خارج مصر يسىء إلى عبد الناصر ؟ .

بعد قليل طرق بابى المقدم محبى شفيق وهو صديق من رجال المباحث العامة (لواء مدير أمن محافظة بورسعيد فيما بعد) والرائد محمد شعراوى (حاليا اللواء محمد شعراوى مدير التفيتش بوزارة الداخلية المصرية) وقالوا أن السيد سامى شرف مدير

مكتب الرئيس جمال عبد الناصر يريد أن يقابلنى فى مكتبه ، فقلت لهما أنه صديق عزيز غير أنه مدير لمكتب وأنا نائب رئيس مجلس قيادة ثورة ، ومن اللائق أن يزورنى عندما يريد مقابلتى ، فانصرف المقدم محبى شفيق وزميله بعد أن تركا فى وجدانى أنه تقرر اعتقالى ، وربما تقرر قتلى ثم البحث عنى ، كما يحدث أحيانا فى مراحل مختلفة من التاريخ عندما يتقرر التخلص جسديا من شخصيات لا ينبغي تقديمها لمحاكمات^(١)

استمر حصار البيت طوال الليل إلا من ناحية حديقة أحد الجيران التى كنت أستطيع أن أهرب من خلالها ، لكننى لم أقبل ذلك ، وقلت لزوجتى إننى لم أخطئ فى حق عبد الناصر ولا فى حق أحد غيره ، سوى أننى تمسكت بوجهات نظر سياسية واقتصادية أعتقد من وجهة نظرى أنها تخدم اليمن وتحمى مصر من التورط الذى لا تطبيقه ، والنزيف الذى لا تقدر عليه .

كنت أعتقد أن إختلاف الرأى لا يفسد للود قضية .

فى صباح اليوم التالى (الإثنين ٢٣ سبتمبر ١٩٦٣) جاءنى المقدم محبى شفيق وزميله مرة ثانية وقالوا أن الرئيس جمال عبد الناصر يريد مقابلتى ، فقلت لصديقى محبى شفيق إننى أقدر موقفه كصديق ومسئول يقوم بأداء وظيفته ، غير أنه يعلم أننى وضعت رأسى على كفى فى كل مراحل حياتى ، وكانت حياتى معرضة للخطر فى كل لحظة عشتها فى اليمن قبل أن تقوم الثورة وبعد أن قامت ، ولذلك فإننى أعتبر حياتى بعد ذلك من قبيل الوقت الإضافى الذى أراه الله ، ولا يعرف أحد منا منتهاه ، ولا يدرك مغزاه ، ولا يضيرنى أن ينتهى فى أية لحظة بعد أن سجلت فى التاريخ نهاية الحكم الإمامى وقيام الجمهورية ، وانتهى دورى بقيامها وسجلت قصتى فى تاريخها .

قلت للمقدم محبى شفيق أننى أريده صديقا صريحا ، وأن يعاملنى على هذا الأساس ، وأن يحترم كبريائى ومشوار حياتى ، فإذا كان يريد اعتقالى فليقل ذلك صراحة ولسوف أذهب معه إلى حيث يشاء ، مع كفى الذى كنت أحمله معى منذ أن بدأت العمل مع الإمام أحمد ، الذى تعود على مفاجأة إخوانه وخلصانه ومريديه بقطع رؤوسهم إذا لم يكتف بسجنهم .

كنت مرحبا بأن تكون هذه نهاية قصتى التى بدأها أبى ليختمها صديقى جمال عبد الناصر .

أما أن يستدرجنى الصديق محبى شفيق ، كما يستدرجون اللصوص والخارجين على القانون ، فإننى لن أستسلم ولن أخرج من بيتى إلا قتيلا إذا لم أستطع أن أكون قاتلا .

قال محبى شفيق أنهم يريدون إستضافتى بضعة أيام ، فشكرت له صراحته وأسلوبه المهدب فى وصف السجن بأنه ضيافة .

صعدت إلى الطابق الثانى فى بيتى لإرتداء ملابسى ، فرويت قصتى لزوجتى وطلبت منها إعداد طعام الإفطار حتى أتناوله قبل أن أغادر بيتى فى طريقى إلى المصير المجهول .

(١) ثبت فيما بعد ان عناصر من المخابرات العامة المصرية اتبعت ذلك الأسلوب فعلا فى عهد الرئيس عبد الناصر .

إنهارت المسكينة لأول مرة فى حياتها ، وهى التى حملت شحنات أسلحة الثورة إلى مطار القاهرة ولم يظهر عليها أى قلق ، والتى سافرت إلى صنعاء لتدخل السكينة إلى قلوب أهلها عندما كان القتال على أبوابها ورائحة الدماء فى بيوتها ولم يساورها أى خوف .

إنهارت هذه المرة أمام جفاء الأصدقاء فذكرتها بأنها ، عندما ودعتنى فى طريقى إلى صنعاء عند قيام الثورة ، طلبت منى أن أكون شجاعا ، وحين تدق ساعتى أن أموت مرفوع الرأس .

سألته ما الفارق بين موتى شجاعا فى اليمن وموتى شجاعا فى مصر ، فكله موت ، فى سبيل الله والوطن .

قلت لها إذا قتلنى عبد الناصر فإننى لن أكون قتيلا من أجل اليمن ، وإنما شهيدا من أجل مصر ، لأننى نصحته بما يحى مصر فقتلنى على هذه النصيحة .

وعندما وجدتتها مستسلمة للبكاء ذكرتها بأننى مريض بالسكر ، ويلزمنى أن أتناول طعام الإفطار ليساعدنى على الحياة بضع ساعات ، حتى أواجه الموقف بالشجاعة التى تريدها منى ، حيث لا أدرى ماذا ينتظرنى خلال هذه السوياعات الغامضة .

أثناء تناولى الطعام اتصل بي مندوب رويتر تليفونيا ليقول أنه فى طريقه إلى بيتى ليزورنى فى الموعد الذى سبق أن ضربته له ، فقلت له أنه لن يستطيع أن يدركنى لأن رجال الشرطة يحيطون ببيتى يطلبون سجنى ، وإننى أتأهب للذهاب معهم إلى حيث يريدون .

سألنى عن سبب سجنى قلت أننى فجرت الثورة اليمنية ، واشتركت فيها وآمنت بالقومية العربية وحاربت من أجلها ، وكل هذه أسباب كافية لسجنى فى القاهرة قلعة العروبة التى أصبحت زنزانتها .

سألنى عن أسم السجن الذى سيتم فيه أسرى قلت له السجن فى مصر كثيرة والمقابر فيها أكثر منها .

أردت بهذه الإجابة الصريحة على مندوب رويتر أن يعرف جميع أهل اليمن أننى لم أهرب من مصر ، ولم أختبئ فى مكان مجهول ، ولم أطلق الرصاص على نفسى ، وإنما نزلت ضيفا فى سجن من سجون عبد الناصر ، وأنه أصبح مسئولا جسديا عنى .

أدليت بهذه التصريحات مشفقا على صديقى عبد الناصر الذى ، كما سبق أن ذكرت ، أمسكوا بيده ليشدوا بها حبل المشنقة على رقبة مصر ، فبدأوا برقبتي تكريما لموقفى دفاعا عن مصر ، وتسجيلا لنصيحتى حماية لها ، وشهادة تاريخية بأننى أول ضحية .

ذهبت مع المقدم محيى شفيق وما إن جلست فى سيارته حتى أحاط بي جنوده من كل جانب ، وتقدمت سيارتنا عدة سيارات وتبعتها عدة سيارات أخرى ، وكأنهم اختطفوا فى مصر الإمام البدر الذى يطاردونه فى اليمن .



وصلنا إلى السجن الحربى ووقعت عيني على لافتة كبيرة كتبوا عليها (السجن تأديب وتهذيب وإصلاح) .

فرحت كثيرا لأنهم أختاروا لى السجن الحربى تكريما للمعارك التى توليت قيادتها دفاعا عن الثورة اليمنية ، لا سيما معركة رأس الوتدة التى كدت استشهد فيها دفاعا عن الرائد عبد المنعم سند ضابط الصاعقة المصرية .

فرحت كثيرا لأننى شعرت فعلا بأننى فى حاجة إلى شىء من الأدب ، وكثير من التهذيب ، وأما الإصلاح الذى كنت أذعى أننى من رجاله ودعائه ومنظريه فقد اتضح لى أننى كنت أجهل الكثير من معانيه ، فكانت فرصة السجن الحربى فرصة عظيمة تجعلنى أعرف بقية معانى الإصلاح التى يعرفها غيرى من المصلحين ، ويستخدمونها عند احتضان الزعماء الأصدقاء ، ويعبرون بها عن مشاعر الوفاء ، وحرارة اللقاء .

استقبلنى مدير السجن الحربى العميد حمزة البسيونى وأفسح طريقى إلى غرفة وسط السجن يقال أنها غرفة طعام الضباط (الميس) وهى غرفة شبه مستديرة بها حمام ، وتحيط بها نوافذ عليها قضبان غليظة من حديد أسود يريح الأعصاب ، يدور حولها رجال مسلحون ، قلت باليت قومى يعلمون ، بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين ، انشرح صدرى وتيسر أمرى فى هذه الجنة فعليةا ملائكة غلاظ شداد يفعلون ما يؤمرون فلا أضيع فيها ولا يقدر أن يخطفنى منها أحد .

نعمت بالاستقرار الذى عجزت عن تحقيقه فى اليمن فتحقق لى فى مصر .

حمل لى حمزة البسيونى تحيات الرئيس عبد الناصر فرددت عليه التحية بأحسن منها .

ثم أبلغنى أنه تلقى من الرئيس تعليمات شخصية بأن يستجيب لأى طلب أطلبه منه ، فأدبرت له ظهرى ولم أرد عليه ، واستلقيت على أريكة النوم الخشبية ذات الوسادة والفرش الجاف والبطانية العسكرية .

كرر حمزة البسيونى سؤاله عن أى شىء أطلبه فشغلت نفسى بترتيب فراشى حتى اهتديت إلى إجابة سؤاله ، فقلت أننى أرجو أن يزورنى صاحب الجلالة أمير المؤمنين المنصور بالله الإمام محمد البدر ، وغطيت وجهى بالبطانية وبدأت أستغرق فى النوم حتى يزورنى صاحب الجلالة .

شعرت أن حمزة البسيوني قد تجمد في مكانه ولم يخرج من الغرفة ، وجلس على أحد مقاعدها ، وكأنه كان يخشى على أنفاسي من أن تهرب من تلك الجنة التي يقف على بابها ، فأخذ يحصيها ويصعد بها شهيقاً ويهبط بها زفيراً ، حتى لا يخفى عليه واحد منها فيحاسبه عليه الرئيس حساباً عسيراً ، لا يطيقه ولا يأمن جانبه ، رغم أنه كان كثيراً ما يقول لغيري أنه يتسلم ضيوف السجن الحربي بالعدد وليس بالأسماء وأنه يحرص دائماً على أن يكون عدد الضيوف المسجلين أقل من عدد الضيوف المأسورين ، حتى لا يحاسبه أحد إذا ما قتل بعضهم خطأ أثناء توجيه السؤال إليه ، أو دفنه عمداً إذا ما رفض الجواب عليه ، أو ضاق بأحد فسلمه قضاءً وقدرا للكلاب الجائعة ليكون عبرة لأولى الأبواب حتى يعترف كل منهم بما يريد البسيوني عند الجواب .

فإذا ما كان حمزة البسيوني حريصاً على أن يحصى أنفاسي فتلك قمة الإهتمام ، وفائق التقدير والإحترام ، وكانت نعمة أحمد عليها الله الذي لا يحدد على مكروه سواء .

مرت فترة صمت مطبق ، تذكرت فيها أنني أستوى على فراشي بحلتي ، فنهضت من نومي وطلبت من حمزة البسيوني أن يأذن لي بالاتصال بزوجتي حتى ترسل إلي ثياباً الضرورية لنومي وضيافتي ، فقال أنهم قد أعدوا كل الثياب اللازمة لي وأن زوجتي يجب ألا تعرف أنني في مصر . فسألته عن تفسيرها لغيابي عن البيت فقال أن أحد المسؤولين سوف يقول لها أنني سافرت في مهمة طارئة ، وعندما يتقرر إطلاق سراحى أعود إليها من هذه المهمة .

ابتنمت له قائلاً أنه في وسعه أن يسمع تفاصيل القصة من جميع الإذاعات العالمية ، وكان الوقت قد اقترب من موعد إذاعة نشرة الأخبار من لندن ، فأشرت إلى المذيع الذي كان في الغرفة فضبطه على محطة لندن حيث استمعنا سوياً إلى تفاصيل الحوار الذي دار بيني وبين مندوب وكالة رويتر ، الذي أستكمل من زوجتي قصة إعتقالى عندما اتصل بها تليفونيا إثر خروجي مع المقدم محبى شفيق ، وسألها عن مهمتها التي كلفها بها الرئيس جمال عبد الناصر فشرحتها كما سبق إيضاحها في هذا الكتاب .

أذاعت محطة لندن تعليقات زوجتي التي صرحت بها بمشاعر أنفعال الزوجة المخلصة ، التي عاصرت نضال زوجها من أجل نهضة اليمن ، وعاشت صراعه من أجل سلامة مصر ، ثم تصورت أنها أستخدمت للغدر به .

سمعت مع حمزة البسيوني إذاعة لندن ومن بعدها بقية إذاعات العالم ، وفي آخر الليل سمعت زوجتي تصرح بأنها عرفت بأنني نزيل السجن الحربي في القاهرة ، وكان أحد الذين رافقوا مكبى المهيب عند خروجي من البيت ، وهو يعرف كغيره من المسؤولين المصريين ، حقيقة ولائي لليمن ووفائي لمصر ، فأرضى ضميره وأبلغها عن مكاني ، كمجرد تعبير عن شعور مصري لا يرضيه أن يحدث ما حدث .

نشأت صداقة شخصية مع العميد حمزة البسيوني الذى كان يقضى وقت فراغه فى تسليتى بمباريات فى الشطرنج ، وكان يأخذنى معه إلى حديقة السجن للإشتراك مع الضباط فى التمرينات الرياضية ، كما كان حريصا على إعطائى الصحف اليومية والسهر معى لمشاهدة البرامج التليفزيونية ، كما كان مهتما بإحضار طعامى من أحد الفنادق السياحية على حساب رئاسة الجمهورية .

أشعرنى حمزة البسيوني بأنه ، على غير طبيعته ، يريد فعلا إدخال السرور إلى قلبى وتخفيف الصدمة عن صدرى . وكان يقول لى أن غرفتى غرفة خاصة لم يدخلها إلا من سبقنى إليها ممن يحملون رتبة نائب رئيس جمهورية !! وكان يقسم بالله على ذلك . كما كان يقسم بالله على أن الرئيس عبد الناصر يسأل عنى كل يوم ليطمئن على صحتى ويتأكد من راحتى .

كنت لا أعلق على إيمانه رغم أننى كنت قد بدأت أصدقه ، غير أننى كنت لا أشعر بحاجتى إلى راحة إجبارية بين قضبان حديدية .

بعد ثلاثة أيام حضر الملازم أول محمد حافظ (حاليا اللواء محمد حافظ مدير الشؤون العربية بمباحث أمن الدولة) وصحبنى إلى مبنى المخابرات العامة بعد أن جهزوا لى غرفة لنومى فى جناح السيد صلاح نصر ، وكان تبرير ذلك أن الصحفيين الأجانب قد شغلوا إدارة السجن الحربى بالإستفسار عنى ومتابعة أخبارى بعد أن أعلنت زوجتى عن مكائى ، علاوة على أن ذلك الجناح فى المخابرات العامة كان أكثر لياقة من غرفتى بالسجن الحربى .

سألت صلاح نصر هل جاءوا بى من السجن الحربى حتى أكون سجيناً فى غرفة تجاور مكتب عزت سليمان ليبدأ فى تصفية الحساب ؟ فقال أننى لن ألتقى به ولن أراه وأن الرئيس جمال عبد الناصر قد اختار وكيل المخابرات العامة اللواء محمد فريد طولان (محافظ بورسعيد فيما بعد) ليكون همزة الوصل بينى وبينه .

كان اللواء طولان كريم الخلق مرهف الحس يقظ الضمير ، لم يترك فرصة دون أن ينتهزها للتعبير عن الجهد الذى بذلته من أجل الثورة اليمنية وسياسى اليمنية التى حرصت على سلوكها أملاً فى تحقيق الإستقرار فى اليمن . أدركت من أحاديثه أنه ينتمى إلى نفس المدرسة الفكرية التى تنادى فى مجال السياسة المصرية بترشيد الوجود العسكرى المصرى فى اليمن ، حتى يأخذ الشعب اليمنى دوره الضرورى فى الدفاع عن جمهوريته ، وبذلك يخفف العبء المالى والإقتصادى والعسكرى الملقى على أكتاف مصر ، فلا يضيق الشعب المصرى بعرويته ويهرب من قوميته .

أدركت أنه كان خيراً لى أن أنتقل من السجن الحربى ، حيث كنت أقتل وقتى فى الشطرنج والتمرينات الرياضية ، إلى مبنى المخابرات العامة حيث أعود إلى الأحاديث السياسية ، وأتلق صدرى أن استمتعت بالحديث مع اللواء طولان بأفقه الواسع وخلقه الكريم .

تمنيت من الله أن يوفقني إلى ترويح متطلعاتي الفكرية مع غيره من رجال المخابرات المسئولين عن الشؤون السياسية ، لأنني لو نجحت في ذلك فإنني أكون قد أدت خدمة جليلة لليمن عندما نوقظها من مخدر اللذة السلبية ، حتى تنهض بمسئوليتها التاريخية ، وتحمل بيدها راية الدفاع عن الجمهورية ، كما أكون قد أدت خدمة جليلة لمصر عندما نوقظها من مخدر العناصر الأجنبية التي تسعى إلى تبديد إمكانياتها الاقتصادية والعسكرية تمهيدا لذبح قيادتها السياسية وسلخ زعامتها العربية .

إذا ما نجحت في ذلك فلا يهمني أن أكون طليقا أو سجيناً ما دمت ناصحاً أميناً ، ولن يضيرني جفاء الأصدقاء ، حيث لهم في عنقي حق الوفاء .

لم ينقطع الحوار مع اللواء طولان وغيره من الرجال ، الذين اكتسبت صداقتهم زملائه ، وفي اليوم الخامس والعشرين طلب مني اللواء طولان أن أذهب إلى بيتي لأطمئن زوجتي حتى تكف عن مهاجمة الرئيس عبد الناصر أمام الصحفيين العرب والأجانب ، ثم أعود إلى غرفة نومي التي تكاد تلاصق مكتبه حتى تنتهي إقامتي هناك بمقابلة شخصية مع جمال عبد الناصر .

ذهبت إلى بيتي في منتصف الليل وعلمت أن زوجتي قد خلعت بنفسها سلك التليفون بناء على نصيحة السادات حتى يتوقف اتصال المراسلين الأجانب بها ، فوجدت بوجودي أمامها ولم تكن تصدق قبل ذلك أنني كنت على قيد الحياة ، حيث لم تعد تصدق ما يقوله عنى عبد الناصر ويطمأنها به السادات .

كان كل منهما أن تنفى عن نفسها إشتراكها في الغدر بي ، وكان ذلك إحساسها الذي عمقه في صدرها رجال اليمن الذين لاموها على سفرها إلى عدن ، وكأنهم لا يعرفون إنني كنت سأعود إلى مصر ، سواء سافرت إلى عدن تحمل رسالة عبد الناصر أو لم تسافر إليها ، حيث لم يخطر على بالي في لحظة من اللحظات أنني سأقيم في عدن أو أرحف إلى اليمن .

شعرت المسكينة بأنها ضحية عبد الناصر والسادات فأسرفت في مهاجمتهما علناً أمام المراسلين ، وأفرطت في التهمك على عهدهما ووفائهما أمام اليمنيين والمصريين ، بعد أن تأثرت بنظرات اليمنيين إليها وتساؤلات المصريين عنها ، وكانت صادقة في موقفها مني كل الصدق ، وكنت أصدقها دون أن يساورني فيها أدنى شك ، فقد كنت أعرف طبيعتها التي لا تكذب ، وقلبها الذي لا يخاف ، وشجاعته التي لا تخون .

فوجدت بوجودي أمامها ، وأزعجني أن أراها وقد انهارت قوتها لضعف حيلتها وهوانها على الناس .

شرحت لها ما حدث ، وكنت لا أعرف لماذا حدث سوى أنه حدث .

قلت لها أننا ما دمنا على قيد الحياة نعيش بين البشر ، فعلياً أن نتعامل مع البشر على أنهم بشر . فجمال عبد الناصر صديق لكنه بشر ، يخضع لطباع البشر ، ومن يدرينا لعلم آثاره بخبر أو أخافوه من إشاعة ، فدفغوه إلى أن يفعل بي ما فعل ، لكننا لأننا

أصحاب قضية وطنية فعلينا أن نعيش ظروفها ونتحمل عذابها ، وإلا فما هو معنى النضال وما هي قيمة التضحية ؟ . إن القضية الوطنية إذا خلت من النضال وتجردت من التضحية لا تكون قضية ولا وطنية .

حتى الأديان السماوية تعلق بالنضال وتسمو بالتضحية إلى أن يبلغ الله أمره . لقد ألقوا إبراهيم في النار ليحرقوه وينصروا أصنامهم حتى قال الله يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم . وجعلوا يوسف في غيابه الجب حتى التقطه وارد السيارة ثم سجنوه حتى كان المكين الأمين . وألقت أم موسى ابنها في اليم حتى رده الله إليها وجعله من المرسلين . وحاولوا قتل المسيح وصلبه حتى شبه لهم ورفع الله إليه وكان الله عزيزا حكيما . أما الرسول ﷺ فقد ذاق طعم الهوان والخوف ، إذ أخرجه الذين كفروا ثانياً إثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه .

فماذا حدث بي ؟

لا شيء يقارن بما امتحن الله به عباده الصالحين .

قلت لزوجتي مازحا أنهم حبسوني في السجن الحربى في غرفة مخصصة لنواب رئيس الجمهورية ، لأنهم في السجن يحترمون قدر المسجونين ، ولم تكن لديهم غرفة أرفع درجة من تلك الغرفة ، ولا أدرى أين يستضيفون السلال وهو رئيس الجمهورية عندما يأتي مواعده ، وكل أت قريب .

فما دام السلال والمسئولون في اليمن لم يغضبوا لسجنى في مصر فقد أقرروا جميعا بشرعية اعتقال القيادات اليمنية في السجون المصرية . وسوف يشربون من نفس هذا الكأس التي فرح بعضهم بأننى أول من شرب منه .

لقد وضعوا القاعدة التي سوف تطبق على الجميع .



عدت إلى غرفتي في مبنى المخابرات العامة وبعد يومين أطلقوا سراحي ثم أخذني أنور السادات إلى بيت الرئيس عبد الناصر ، فوجدته يبتسم ويضمني إلى صدره وكأنه كان يعصر مشاعر الحزن حتى أنسى نكريات السجن .

وأشهد أنني نسيتها كلها في نفس تلك اللحظة ، ولم أعد أذكر منها سوى عذاب زوجتي والأعاصير التي عصفت بمشاعرهما وهزت وجدانها .

قال الرئيس عبد الناصر أنه لم يتطرق إليه الشك لحظة واحدة في ولائي لليمن ووفائي لمصر فسألته عن سبب سجنى . قال أنه خشى من سفرى إلى الصومال فأراد أن يمنعنى من السفر . قلت أنني لم أفكر فى السفر إلى الصومال بناء على خطة سياسية وإنما تحت ضغط إنفعال عاطفى ، عندما قال السادات أن الرئيس يعتبرنى كأكرم الحورانى وصلاح البيطار اللذين أوهماه بالوحدة ثم تأمرا عليه بالإنفصال .

قلت للرئيس جمال أنه إذا كان يريد أن يمنعنى من السفر إلى الصومال فكان من السهل عليه أن يخفف عنى هذه الصدمة العاطفية بأن ينفى عنى هذا التشبيه ، ولو عن طريق مدير مكتبه فيطمئن قلبى وينشرح صدرى ، ولا أفكر فى ترك أولادى فى القاهرة لأرعى الأغنام فى الصومال .

فوجئت بالرئيس ينفى أنه قال عنى ذلك ، وصاح فى أنور السادات يسأله لماذا يعبر عن وجهة نظره الشخصية فينسبها إلى الرئيس مباشرة وبغير حق ؟ ثم قال الرئيس أنه علم أنني جئت من عدن غاضبا عليه لأنه رفض وصول شيوخ اليمن لزيارته فى مصر ورفضت أن أشرب الشاي فى مكتب السادات وتحديث مصر بالسفر إلى الصومال فأصدر قرار الاعتقال .

رويت له ما حدث تفصيلا واستشهدت بالسادات ومحمد قائد سيف . وأكد السادات روايتى .

ولا أدري ، حتى الآن ، هل أراد السادات أن يتخلص من مسئولية صداقتى فنقل إلى عبد الناصر الرواية الأولى ، التى أخرجها فيها الرئيس بنفيه لها دون أن يتوقع ذلك فالتزم الصمت المطبق ، أو أنه كانت فى مكتبه أجهزة تسجيل نقلت ذلك الحوار مزيفا

وصاغت به الرواية الأولى كما سبق أن نقلت عنى من اليمن أننى طلبت من السلطان حسين الرصاص أمير البيضاء أن يفصل عن الجمهورية اليمنية ثم ثبت كذب هذه الرواية .

والله أعلم .

سألنى الرئيس عبد الناصر عن حديثي مع السير هنري ترافاسكس المندوب السامي البريطاني فى عدن ، والذى دار بيننا وحدنا فى غرفة نوم السلطان صالح حسين العوذلى سلطان إمارة العواذل ، بعد حفل العشاء الذى أقامه السلطان فى بيته تكريما لى وحضرها سلاطين وأمراء ووزراء اتحاد الجنوب اليمنى (العربى) وممثلو الدول الأجنبية فى عدن .

سكتت .. فكرر الرئيس نفس هذا السؤال .

قلت أنه ما دام الحديث قد بلغ إلى الرئيس فلا حاجة به إلى السؤال عنه ، فكرر السؤال مؤكدا أنه يريد أن يسمعه منى شخصيا .

وكانت لهذا الحديث قصة .

عندما أعلنت حكومة صنعاء قرار سحب جنسيتي لأننى تحمست للعدالة والمساواة وأفسدت الوحدة الوطنية تألم لذلك سكان اليمن الشوافع الذين هم كل أهالى شرق وغرب وجنوب الجمهورية اليمنية ، لأنهم اعتبروا ذلك بمثابة قرار طائفى موجه ضدهم جميعا وبغير استثناء . كما اعتبروا أن جمهورية السلال الثانية لم تسحب منى الجنسية فحسب وإنما ألغت أهم أهداف الثورة وهى العدالة والمساواة والوحدة الوطنية .

كانت هذه المناطق ، وبغير استثناء ، مؤيدة للثورة ومؤمنة بالجمهورية ، وهى فى نفس الوقت ملاصقة لجنوب اليمن المحتل الذى جميع سكانه من الشوافع أيضا ، وكانت لبريطانيا تتأهب للجلاء عن عدن والجنوب اليمنى لأسباب إقتصادية ومتغيرات إستراتيجية ، وتعلم مقدما أن أهل هذا الجنوب يؤيدون العودة إلى وطنهم اليمن الأم ، كما كانت تأمل فى تسليم السلطة سلميا إلى حكومة ذات سياسة دولية معتدلة ولا شأن لبريطانيا فى اختيار هذه الحكومة للنظام الملكى أو الجمهورى أو تأكيد إنتمائها القومى العربى .

كان المندوب السامى البريطانى فى عدن يعرف أن سلاطين وأمراء ووزراء الجنوب اليمنى المحتل ، وإن اختلفوا فيما بينهم فإنهم يتفقون على أننى متجرد من المصالح الشخصية ، منطلق إلى تحقيق المصلحة الوطنية اليمنية الحقيقية ، بغير مزایدات أو مناقصات فى سوق الشعارات . وقد ازداد لديهم عمق هذا الشعور عندما فكرت فى إنشاء بنك يمنى فى عدن لتطوير إقتصاد الجنوب اليمنى ، والبدا فى بناء صرح نهضة يمنية تنطلق من الجنوب لتمتد إلى الشمال ، ثم جاء قرار سحب الجنسية فاعتبروا أنفسهم مسئولين عن الضحية .

قبل لقائى بالسير هنرى ترافاسكس فى بيت السلطان كان قد حاول أكثر من مرة أن يزورنى فى بيت عبد الرحمن جرجرة وكنت أجهد نفسى ، فى كل مرة ، عند اختيار أرق كلمات الاعتذار لأننى لا أحب أن تفسر هذه الزيارة بأنها ذات أبعاد سياسية بينما حصرت كل همى فى عدن فى الأمور الاقتصادية الوطنية .

ثم فوجئت بلقائه فى بيت السلطان صالح مع جميع السلاطين والأمراء والوزراء ، وكأنهم كانوا يعرفون مضمون الحديث الذى سبق إيضاحه ، والذى دار بيننا بعد أن طلب أن يتحدث معى على إنفراد عند أنصراف المدعويين ، فاخترت بنفسى غرفة نوم السلطان حيث تأخر الوقت وكان بعض المدعويين لا يزالون فى قاعة العشاء .

قلت للمندوب السامى البريطانى أننى لا أستطيع أن أتحدث معه عن مستقبل المنطقة السياسى إلا عن طريق الرئيس عبد الناصر ، لأنه علاوة على كونه الزعيم العربى الذى يسعى إلى تحقيق الوحدة العربية ، فإنه قد أصبح فى ظل جمهورية السلال الثانية مسئولاً شخصياً عن السياسة اليمنية ابتداء من شئونها الداخلية وإنهاء سياساتها الخارجية .

وحتى لا يخطئ المندوب السامى فهم كلماتى أوضحت له أننى مؤمن بزعامة عبد الناصر للأمة العربية ، وأننى لم أجد فى ذلك ما يمنعنى من معارضة بعض وجهات نظره عندما أرى أنها لا تتفق مع مصلحة اليمن وسلامة مصر .

وعدت المندوب السامى أننى سوف أنقل تفاصيل هذا الحديث إلى الرئيس عبد الناصر عندما أعود إلى القاهرة ، وأننى سوف أستاذن الرئيس فى نقل وجهات نظره إلى المندوب السامى عن طريق السفير البريطانى فى القاهرة .

كانت هذه التفاصيل قد سبقتنى إلى الرئيس قبل أن أعود إلى القاهرة فاستغرب عدم إبلاغها إليه عن طريق السادات عندما التقيت به مع محمد قائد سيف على إثر وصولى من عدن .

قلت أن السادات لم يمهلى حتى أبدأ الحديث وإنما بادرنى بأن الرئيس يتهمنى بما يتهمون به أكرم الحورانى وصلاح البيطار ، فلم أعد بعد ذلك صديقاً يتحدث بلغة الأصدقاء .

قال الرئيس لقد أخطأ السادات لأنه ، أى الرئيس ، لم يتهمنى بهذه التهمة ولم ينقل إليه السادات أنه اتهمنى بها ، وأعاد الرئيس قوله أنه كان يعرف تفاصيل حديثى مع المندوب السامى البريطانى ، ولذلك فلا يعقل أن يفكر فى إتهامى بشئ مما بلغنى على لسان السادات . ثم سألتى الرئيس عن سبب عدم ذكرى شئ من ذلك الحديث مع العميد حمزة البسيونى أو مع اللواء محمد فريد طولان ، وكان يتابع أحاديثى معهما فقلت أننى رفضت أن أذكر لهما شيئاً من ذلك لأننى أرفض أن أتحدث فى مصر بلغة السجناء ، بعد أن نسيت فى السجن الحربى لغة الأصدقاء ، الذين اشتركت معهم فى التطلع إلى مصلحة الأمة العربية .

نصحني الرئيس بأن أسافر إلى ألمانيا الغربية لقضاء فترة إستجمام على حساب السفارة المصرية هناك ، فشكرت له ذلك وأوضحت أن حالة زوجتي النفسية والصحية التي تأثرت خلال الخمسة والعشرين يوما الماضية لا تسمح بأن أتركها قبل أن أطمئن عليها ، وأنني لا أستطيع السفر إلى ألمانيا قبل شهر أو شهرين على الأقل ، فازداد الرئيس أسفا على ما أصاب زوجتي .

عدت مع السادات إلى بيته بعد مقابلة عبد الناصر وكنت حائرا في فهم ما حدث ، فقد كانت نبرات صوت الرئيس وملامح وجهه وحركات يديه تؤكدان أنه صادق فيما قال كل الصديق ، يعجب من كل ما حدث كل العجب ، وكأنه قد تورط فيما فعله بى تحت تأثير العناصر المحيطة به ، والتي كانت ترفض الحل السلمي الذي تفكر فيه بريطانيا حتى تنسحب بهدوء من عدن والجنوب اليمنى المحتل ، حيث كانت هذه العناصر تصر على الحل العسكري تنفيذا لعملية صلاح الدين .

قال السادات أنني عندما كنت في ألمانيا الغربية لعقد المؤتمر الإقتصادي في طريقي إلى عدن وصله تقرير من الملحق العسكري المصري في بون ، اللواء محمد صادق (الفريق أول الذي تولى منصب نائب رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة فيما بعد) وقد فزع السادات من ذلك التقرير الذي كتبه اللواء صادق نقلا عن طالب مصري ، كان يجلس خلفي عندما كنت أتناول طعام العشاء في مطعم أحد الفنادق في بون مع الزميل محمد مهيوب ثابت عضو مجلس قيادة الثورة وزير شئون المغتربين ، الذي وصل من عدن ، فسمع هذا الطالب زميلي محمد مهيوب يقول إن الشعب في عدن والجنوب اليمنى المحتل يتأهب لاستقباله هناك ، وإنه يتوقع أن يزحف يمنيون كثيرون من الجمهورية اليمنية لزيارتي في عدن .

لكن التقرير لم يذكر ماذا كان تعليقي على حديث محمد مهيوب معي ، فاستنتج السادات أنني أنوى عمل شيء من الجنوب ضد حكومة السلال ، وأن عبد الناصر عندما قرأ تقرير محمد صادق واستنتاج السادات أرسل إلى اليمن لواتين مدرعين لمواجهة نشاط الببيضاني المحتمل .

لم أعجب من تقرير اللواء صادق ، لأنه تقرير صادق . لكنني عجبت من تفسير السادات لصمتي أثناء حديث محمد مهيوب ، ذلك الصمت الذي فسره السادات بأنه مؤامرة على السلال وعلى القوات المصرية التي تحميه . ولا أدري ماذا كان ينتظر السادات أن أعلق به على حديث محمد مهيوب كي أنفي شبهة المؤامرة عن نفسي ، هل كان ينتظر مني أن أوكد محبة الشعب اليمني فأعترف بالغرور ، أو أنفي هذه المحبة فأعترف بالنفور ؟ .

شكى لى السادات أنه عندما ذهب مع السيدة زوجته لزيارة زوجتي بعد ساعتين إثنتين من خروجي من البيت في طريقي إلى السجن الحربى حتى تطمئنى على حالى ، وتتأكد من ثقة الرئيس جمال عبد الناصر فى ولائى لليمن ووفائى لمصر ، تصرفت معهما تصرفا عنيفا اضطرها إلى مغادرة بيتى قبل أن ينطق أحدهما بكلمة واحدة . وقال أنه مع

كل ذلك قدراً ظروفاً والتمسا لها العذر فزارها في اليوم التالي (هو والسيدة زوجته) غير أنها تصرفت معهما بنفس ما فعلته في اليوم الأول ، مما لا يتفق ، كما قال السادات ، مع حجم الثقة التي بيننا . ثم قال أنه انتظر بضعة أيام حتى عرف أنها بدأت تهدياً فذهب مرة ثالثة لزيارتها مع السيدة زوجته وقال لها ما أراد أن يقوله ليثبت قواها .

فلم أستغرب تصرف زوجتي وكتمت جراحي في صدرى إذ لا ينفعنى أن أسيل نماء هذه الجراح في وجداني فأشوه بها مشاعري وأفقد السادات الصديق رفيق الطريق ، الذى ولد الشعب اليمنى ثورته على يديه ، ورويت له ذكرياتي في غرفة نواب رئيس الجمهورية في السجن الحربى ، التى أكد لى العميد حمزة البسيونى أنها سبق أن تشرفت باستضافة بعض القادة المصريين ، الذين يحملون هذه الرتبة ، فضحك السادات ونفى ما قاله البسيونى .

عندما شفيت زوجتى بعد ثلاثة أشهر سافرت إلى ألمانيا كرجبة الرئيس عبد الناصر الذى أمر بأن ينشر خبر سفرى في الصفحات الأولى من الصحف المصرية وكان ذلك يوم الجمعة ١٤ فبراير ١٩٦٤ حيث نشرت الأهرام تحت عنوان عريض يقول (سفر البيضانى من القاهرة إلى ألمانيا) ثم شرحت الخبر فقالت (غادر القاهرة إلى فرانكفورت أمس ، الدكتور عبد الرحمن البيضانى النائب السابق لرئيس جمهورية اليمن لعلاج ابنه خالد الذى أصيب بمرض فى أذنه) .

السلال يزور موسكو

في الشهر القادم

منعاه في ١٣ - ١٠ ش.١ - صرح الرئيس
عبد الله السلال بأنه سيسافر الى موسكو في
الشهر القادم ، تلبية للدعوة التي وجهها اليه
الرئيس السوفيتى منذ بضعة اشهر .

سفر البيضانى

من القاهرة الى ألمانيا

غادر القاهرة الى فرانكفورت أمس ، الدكتور
عبد الرحمن البيضانى ، النائب السابق لرئيس
اليمن ، لعلاج نجله خالد الذى أصيب بمرض

الأهرام ١٤ فبراير ١٩٦٤ (الصفحة الأولى)

سافرت إلى ألمانيا بجواز سفر دبلوماسي يمنى يحمل صفتي كنايب سابق لرئيس الجمهورية اليمنية ، وكانت السفارة اليمنية في بون قد تلقت التعليمات بأن تسهل إقامتي في ألمانيا الغربية ، أما تكاليف الإقامة فقد دفعها الملحق العسكري المصرى اللواء محمد صادق.

جاءنى عدد من الأخوة اليمنيين إلى ألمانيا ليتأكدوا من خبر وصولى إليها ، ويطمئنوا على حالتى ونفستى ، فاستحسننت أن أنصحهم بإتباع المثل الشعبى اليمنى الذى يقول (المتفرج لبيب) أى أنه فى وقت الفتنة لا يظهر الأبيض من الأسود وعندئذ تقتضى الحكمة أن يتأنى المرء ويراقب مسارها حتى يستوعب درسها .

قال الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه (كن فى يوم الفتنة كإبن اللبون لا ظهرا يركب ولا ضرعا يحلب) .

قلت للأخوة اليمنيين أننى لا أدرى لماذا يخطر على قلبى شعر أبى العلاء المعرى حين قال :

أرى العنقاء تكبر أن تصادا فعاند من تطيق له عنادا
وما نهنت عن طلب ولكن هى الأيام لا تعطى قيادا

ولم تكن عنقاء اليمن محصورة فى رئاسة السلال الشكلى ولا فى العناصر التى تستغل زعامة عبد الناصر العربية وإنما كانت تشمل أيضا الظروف اليمنية الموضوعية التى كانت ترحب بكل الصراعات الدولية .



أخذت جمهورية السلال الثانية طريقها إلى الإنهيار .

وقد أشار الدكتور الشهاري في كتابه (اليمن .. الثورة في الجنوب والانتكاسة في الشمال) صفحة ١٨١ إلى أحد مظاهر الإنهيار هذه الجمهورية الثانية فقال أن :

(الأستاذ أحمد محمد نعمان رئيس مجلس الشورى خطب في ميدان الشهداء في تعز ، عاصمة البلاد الثانية منددا بالظلم الواقع على الشوافع ، ومركزا هجومه على العمرى ملصقا به تهمة الطعن في الشوافع ، وجرح كبريائهم والتقليل من شأنهم ، بتصوير أنهم لم يبلغوا مبلغ الرجال بعد ، وأنهم لا يعدون أن يكونوا مكالف أى نساء) .

وكان الشهاري قد أشار في صفحة ١٧٩ إلى بيان الجبهة القومية لحماية الوحدة الوطنية باليمن الذي صدر في شكل كتيب صغير في ١٠ أكتوبر ١٩٦٤ وقال أنه قد :

(وافقت عليه عناصر بارزة في المنطقة الشافعية وعلى رأسهم أحمد محمد نعمان زعيم هذا التكتل الطائفي ، وواضع عناصر تفكيره في الصيغة التي ظهر بها ، إشارة واضحة إلى أن مشكلة اليمن عبر التاريخ وفي الحاضر والمستقبل طائفية بحتة ، ذلك لأن تركيز السلطة في صنعاء داخلها يوحى للمواطنين أن نظام الإمامة لا يزال قائما .. كما جزم البيان بقوة بأنه لا حل لمعضلة اليمن إلا بوضع حد للحساسيات الموروثة من عهود الظلام ، وإلا بتوزيع المناصب الرئيسية في الجيش بالتساوى ، وتوزيع السلطات بطريقة عادلة تجعل المواطنين يشعرون بالمساواة ، ويطمننون إلى عدالة الحكم ونزاهته ، وإنهم في عهد جمهورى يحكم فيه ممثلو الجماهير كلها وليس أبناء فئة أو طائفة معينة) .

ثم أشار الدكتور الشهاري إلى مطالب هذا البيان التي بدأت (بإقتسام الرئاسة بحسب المناطق على أن يكون لرئيس الجمهورية نائب واحد من غير منطقته ولرئيس الوزراء نائب واحد أيضا من غير منطقته) حتى انتهت إلى إقتسام الوزارات بحسب أهميتها .

لا شك في أنني لا أقر هذا البيان جملة وتفصيلاً لأنه يكرس الطائفية ولا يحقق الوحدة الوطنية التي لا تهم الدكتور الشهاري كثيراً أو قليلاً ، لأنه يعلن انتماءه المطلق للماركسية التي تسعى إلى تعميق التناقض الاجتماعي وإشعال الصراع الطائفي في طريقها إلى تمزيق وحدة المجتمع وهي تتأهب للإنقضاض عليه .

لم يتحمس الشهاري لحسن العمرى لأنه أهان الشوافع ، كما لم ينتقد أحمد نعمان لأنه تظلم من الزيود ، لكنه أراد التشهير بالاثنتين معا لما يرمزان إليه من عناصر الوحدة الوطنية التي يسعى إلى القضاء عليها ما دامت ترفض الماركسية ، فعمد إلى التشهير بهما معا لتوسيع وتعميق الصراعات الطائفية .

إنني لا زلت وسأظل أعتقد أن قيام الجمهورية قد أسقط الطائفية وجعل اليمنيين جميعاً سواء من حيث الحقوق والواجبات ، وأن تقلد المناصب القيادية يجب أن يتم وفقاً للكفاءات الشخصية التي تخدم كل اليمن ، وتنهض بكل الشعب سواء كانت هذه الكفاءات الشخصية من المناطق التي تعتبر من الناحية الجغرافية زيدية أو شافعية ، لأن مناصب الدولة ليست غنائم توزع بين فئات متصارعة ذات مصالح متعارضة ، وإنما هي مواهب وهبها الله لبعض الأشخاص لينتفع بها كل الناس ، فإذا ما ظهرت في اليمن هذه الكفاءات الشخصية التي تحقق الاستقرار وتقيم العدل وتحمي المساواة وتقود النهضة فليكن كلها أو أكثرها من أي شبر من أراضي اليمن ، لأنها تخدم كل اليمن .

أما أن تعيش اليمن موزعة الانتماء مبعثرة الأشلاء فإن ذلك لا يفيد الجمهورية ولا يعيد الإمامة ، وإنما يفتح أبواب اليمن للصراعات الدولية ويقودها إلى مصيدة الماركسية كبديل متاح أمام العناصر الوطنية التي تأس نهاراً من إمكانية الإصلاح وتحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية الإسلامية في ظل الدولة غير الماركسية ، فتستجير من الظلم بما هو أشد ظلماً وأنكى جرحاً وأمر عذاباً .

لذلك لن أكف عن إدانة كل تصرف يمس الوحدة الوطنية ، التي هي القاعدة الصلبة التي تحمي أية جمهورية وأية ملكية ، وتحقيق النهضة الحضارية ، وتقطع الطريق على الماركسية . من أجل هذا لا أقر بيان تعز الذي استغله الشهاري كما يستغله كل شهاري يعمل لحساب الشيوعية الدولية ، كما فعل الشهاري عندما جسم في كتابه المذكور هذا البيان واستخدم في تجسيمة المصطلحات الشيوعية ووصف الجانب الشافعي في صفحة ١٨٠ فقال (تمكن المحور البورجوازي الإقطاعي الطائفي بزعامة النعمان ممثل البورجوازية الكومبرادورية والشيخ محمد علي عثمان ممثل الإقطاع الزراعي من تشكيل حركة سرية في تعز) ثم وصف الجانب الزيدى فقال في صفحة ١٨١ إن هؤلاء البورجوازيين الإقطاعيين الكومبرادوريين (وضعوا أيديهم في يد الإقطاع القبلي في شمال اليمن (الزيدى) وكونوا معه حلفاً طبقياً موجهاً ضد البورجوازية الوسطى والصغيرة شافعية كانت أو زيدية) .

هكذا أعترف الشهاري بأنه لا يبكي على الوحدة الوطنية بل يصرخ من إلتئام شمل الطائفية عندما اتفق زعماء الشوافع (البورجوازيون الكومبرادوريون) مع زعماء

الزبود (الإقطاعيين القبليين) كما يحلو للشيوعيين توصيف عناصر أى مجتمع تمهيدا للقضاء على وحدته الوطنية ، كمقدمة ضرورية ومدخل لا بد منه فى طريق السيطرة الماركسية ، والخضوع النهائى لأطماع الشيوعية الدولية ، التى تتستر تحت الشعارات التقدمية كما استغلت فى اليمن راية الزعامة الناصرية .

غير أننى وإن كنت لا أقر ببيان تعز فإننى فى نفس الوقت لا أقر الأسباب التى دعت إلى إصداره ، ولقد سبق أن لفتت نظر الرئيس السلال إلى خطورة التفاوض عن التصرفات الشاذة التى كان يقوم بها بعض المسئولين المحسوبين على الجمهورية ، والتى من شأنها أن تسيء إلى إستقرارها ووحدتها الوطنية ، لكنه كان يعتبر مثل هذه النصيحة من قبيل التعصب للطائفية التى لا أحس نحوها بأى تعاطف أكثر من الرغبة فى تفضاد آثارها القاتلة للثورة ، المدمرة لإستقرار الجمهورية .

تفاقمت الأحداث حتى صدر ذلك البيان بإسم (الجبهة القومية لحماية الوحدة الوطنية فى اليمن) الذى مهما رفضناه شكلا وموضوعا وجملة وتفصيلا فإنه يؤكد أن خلا ما قد أصاب الجمهورية وأفسد الوحدة الوطنية .

وبعد أن كان التخلص من عبد الرحمن البيضانى يتم تحت شعار (إفساد الوحدة الوطنية) هاهم قد أفسدوها فى صنعاء حتى ضاقت بهم تعز . هاهو الدكتور محمد على الشهارى يضع على أكتاف الأستاذ أحمد محمد نعمان رئيس مجلس الشورى فى ذلك الوقت مسئولية صياغة ذلك البيان فى تعز رغم أن الدكتور الشهارى قد عمل بعد ذلك مديرا لمكتب الأستاذ نعمان عندما تولى رئاسة الوزارة بعد صدور بيان تعز ، ونسى الشهارى أن نعمان كان زعيم الطائفية البرجوازية الإقطاعية الكومبرادورية على حد تعبيره .

وأهمل الشهارى ذكر ما جاء فى صدر ذلك البيان الذى بدأ بقوله (لقد قامت شرزمة من الضباط بتدبير مؤامرة ضد وحدتنا الوطنية فى يوم ٢٧ أغسطس ١٩٦٣ يوم حوصر محافظ تعز وتطورات القضية بتقديم مطالب الشعب الستة إلى الرئيس السلال) .

ثم أشار البيان إلى تعديل هذه المطالب بقوله (وتدخل الجانب العربى ، الذى يحمى اليمن منذ أن قامت ثورتها المباركة فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ولكن المتأمرين رموا عرض الحائط بالوساطة العربية ، واتهموا أبناء اليمن الأحرار فى تعز بأنهم إنفصاليون ، وإن مطالبهم تخص لواء تعز ، وردا لهذه التهمة تدارس مشائخ ألوية اليمن جميعا المطالب الستة فعدلوها)

ووقع عليها عن لواء تعز الشافعى عدد من الوزراء كان على رأسهم أحمد محمد نعمان ، محمد على عثمان ، إبراهيم حاميم ، عبد الغنى مطهر ، عبد القوى حاميم ، محمد على الأسودى ، محمد قائد سيف ، على محمد سعيد ، قاسم غالب ، أحمد سيف الشرجبى ، شائف محمد سعيد ، أحمد عبده سعيد مع خمسة وعشرين آخرين من زعماء تعز .

ووقع عن لواء اب الشافعي الزعماء على بن محسن باشا ، يحيى منصور ، عبد الله حسن محمد الدعيسي ، حسن أحمد الدعيسي ، أحمد بن حسن على باشا ، وأحمد ناجي العديني مع سبعة آخرين من شيوخ القبائل .

ووقع عن لواء الحديد الشافعي محمد الأهنومي ، محمد يحيى منصر وعن لواء البيضاء الشافعي عبد الرب عبد القوى الحميقاني وعن لواء ذمار الشافعي على ناصر العبي .

ووقع عن لواء حجة الزيدى الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر وعن لواء صنعاء الزيدى القاضي عبد السلام صبره والشيوخ صالح ناجي الرويشان ، نعمان قايد بن راجح ، على بن الرويشان والأساتذة ، محمد أحمد جباري ، محمد عكارس ، والشيوخ أحمد على المطري ، على شويط ، وعبد الله حزام الصعر .

هؤلاء هم شيوخ ورؤساء قبائل اليمن وأعيانها وبعض وزرائها ولم يكن الأستاذ أحمد محمد نعمان مسئولاً وحده عن الشكوى من سلوك بعض المسؤولين الجمهوريين المناقض للوحدة الوطنية .

لقد اشترك في التوقيع على ذلك البيان زعماء من المناطق الزيدية وعلى رأسهم المجاهد الوطني أسطورة تاريخ اليمن الحديث الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر .

أشهد أنني تألمت أشد الألم عندما وصلني ذلك البيان لأنه كان يعبر عن أخطر درجات الغليان الشعبي والانقسام الجمهوري ، فخشيت أن يتحول بعض هؤلاء الزعماء والكثيرون ممن أتبعوهم إلى معسكر أعداء الجمهورية ، كرد فعل غير إرادي لإنهيار أملهم في جمهورية السلال الثانية ، واضطراب إدارتها ، وإهدار كرامة المدافعين عنها ، وإنغماس حفنة من المنتفعين بها والمتسلطين عليها في نزواتها الشخصية ، التي تقتلع جذور الإنتماء إلى الوحدة الوطنية .

في هذه المناسبة أذيع سرا لم يعلن من قبل ..

عندما بدأت تصل أخبار هذه الأحداث إلى مسامعي في القاهرة ، أدركت أن أعداء الجمهورية قد نجحوا في إستدراج زعمائها كي يضرب بعضهم بعضاً تحت شعار الطائفية ، التي هي أهم ركائز الإمامة ولا يدركون أنهم يعملون بذلك من أجل عودتها عندما تتسع ساحات القتال فتشمل مناطق الجنوب بعد أن كانت قاصرة على جبال الشمال .

كنت ولا زلت وسوف أظل أعتبر ميلاد الجمهورية اليمنية أغلى أمنية حققتها في حياتي وأغلى ذكرى أتركها بعد مماتي .

خشيت أن يساق رجال الجمهورية الذين اشتركوا في ميلادها إلى الإشتراك في قتلها ثم دفنها وهم يتصارعون على أوهاط طائفية لم يعد لها مكان في الجمهورية ، ولا يدرك غلاة المتعصبين لها وهم يتشبثون برواسب الماضي أنها لم تعد أبداً من مقومات المستقبل .

لم استطع أن أفق مكتوف اليدين في مصر بينما ينهار صرح الجمهورية في اليمن ، فقررت أن أكتب رسالة إلى زعماء المناطق الشافعية ، أحذرهم من نتائج الخدعة الإمامية التي استغلت الرواسب الطائفية ، وأطالبهم بإلحاح بأن يتنازلوا ويقبلوا كل ما يطلبه زملاؤهم الزيود حرصا على وحدة الصف الجمهوري حتى لا يعود النظام الإمامي ، مؤكدا لهم أنه عندما تستقر الجمهورية ستتلاشى الرواسب الطائفية وتتحقق العدالة والمساواة .

أخترت أن أكتب هذه الرسالة إلى الشيخ محمد علي عثمان لأنه أبرز زعماء تعز ، وأقوى شخصية في المناطق الشافعية ، وكان أول رئيس لمجلس السيادة في الجمهورية في اليوم الأول لقيامها .

ترددت في الكتابة إليه لأنني سبق أن أسأت إليه بعد شهر من قيام الثورة عندما أخطأت فوافقت على إبعاده عن اليمن وتعيينه وزيرا مفوضا في السودان إرضاء لبعض الشخصيات الشافعية التي أشتركت في الثورة ، كما أخطأت حين وافقت على تعيين العميد حمود الجانفي رئيسا للوفد اليمني بالقيادة العسكرية المشتركة في القاهرة إرضاء للسلال ، بعد أن كان الجانفي أول وزير للدفاع في حكومة الثورة وأول مرشح لرئاسة الجمهورية قبل قيامها .

غير أنني كنت ، من جانبي ، أعرف في الشيخ محمد علي عثمان وطنيته التي صاغت شخصيته وأبرزت رجولته ، كما كان يعرف من جانبه أنني عندما كنت لغيره من الشخصيات الشافعية لم أهمل صداقته ولم اغفل قدرته .

وعندما عاد إلى اليمن بعد خروجي منها كان أصدق إخلاصا لي من كثير من الشخصيات التي كنت لها وأبعدته عن القيادة من أجلها .

هذه طبيعة الشيخ محمد علي عثمان الذي تقلد بعد ذلك العديد من المناصب حتى كان ثاني ثلاثة أعضاء للمجلس الجمهوري الذي أطاح بجمهورية السلال حسبما سوف يأتي شرحه عندما يأتي دوره التاريخي في هذا الكتاب .

أرسلت إليه أطلبه بأن يتحمل المسؤولية التاريخية في حماية الجمهورية وألا يستمع إلى غلاة الشوافع الذين يستعجلون مصالحهم الشخصية ، وأن يلين لغلاة الزيود الذي يشفع لهم دفاعهم المجيد عن الجمهورية .

أوصيته بأن يتعاون مع الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر شيخ مشايخ القبائل الزيدية الذي لا يستطيع أي مؤرخ منصف أن ينكر دوره التاريخي في الدفاع عن العدالة والمساواة التي أفتقدتهما الأمامة ونادت بهما الجمهورية .

شرحت للشيخ محمد علي عثمان أن المحصلة النهائية للصراع الطائفي ، في ظل النظام الجمهوري ، لن تكون سوى عودة النظام الإمامي ، تحت سمع وبصر السلال المستسلم للعناصر التي التفت حوله ، سواء كانت عناصر جمهوريه تسعى إلى كرسى الرئاسة أو كانت إماميه تسعى إلى عودة الإمامة .

حقيقة أن عقارب الزمن لا تعود إلى الوراء .

لكن هذه الحقيقة كـ بعض الحقائق الأخرى قد لا تكون في بعض الظروف حقيقة ..
فقد تعود عقارب الزمن إلى الوراء في ظروف معينة .

وقد تقفز نفس هذه العقارب إلى الأمام مسترة في ثياب تتفق مع ما حدث من تغيير
في اذواق الجماهير .

لكنها تكون هي بعينها نفس العقارب .

سنة ١٦٤٩ أعدم الإنجليز الملك شارل الأول وقام أوليفر كرومويل بدور حامى
الجمهورية البريطانية وفي سنة ١٦٦٠ أى بعد عشر سنوات عاد شارل الثانى وجلس
على عرش أبيه وعادت عقارب الزمن إلى الوراء .

وسنة ١٧٨٩ دمر الفرنسيون سجن الباستيل وأقاموا الجمهورية وبعد حوالى خمسة
وعشرين عاما عادت أسرة البوريون إلى عرش فرنسا وأستردت أملاكها .

وعادت عقارب الزمن الى الوراء .

وفتح العرب الأندلس .. وخرج العرب من الأندلس .

فالزمن زمن ..

حر فى سلوكه لانهتمد على حكمته .

ولا نعلق مصيرنا على غيبياته .

يفعل بعقاربه ما يشاء .. يعيدها أو يقتلها .

ما علينا .

وإنما علينا أن نحمل أنفسنا من غدره ومن سم عقاربه .

وفى رسالة ثانية طلبت من الشيخ محمد على عثمان أن ينقل عنى إلى كل رجال
الجمهورية من الزيود والشوافع ، أنه يجب علينا ألا نترك الزمن يكتب عنا(إن الذين
أقاموا الجمهورية هم بأنفسهم الذين هدموها عندما تصارعوا فيما بينهم فصرعوها ، وأنهم
بعد أن ولدوها قتلوها) .

استجاب الشيخ محمد على عثمان لندائى وكتب ردا على ذلك رسالة بخطه ونصها :

(٦٤/١١/١)

المجاهد العظيم الدكتور عبد الرحمن البيضانى حياه الله بعد التحية . تناولت الرسالة الأولى والثانية وأننى لأشكر فيكم هذه الروح الوثابة . وما أحوج البلاد إلى وجودكم فيها فى هذا الظرف الحرج والمرحلة الخطرة والمفاجآت المحيرة للعقول ، والتى لن تقف عند حد كما يبدو . وكل ما أشرتكم إليه ضرورى . وبغير وجودكم لن يكون الإنجاز كاملا . فدبروا ما ترون وأفيدوا بما يلزم اتخاذه من قبلنا والكل فى أشتياق وتقبلوا فائق الاحترام
محمد على عثمان

٦٤/١١/١

المجاهد العظيم الدكتور عبد الرحمن البيضانى حياه الله
بعد التحية . تناولت رسالة الأولى والثانية وأننى لأشكر فيكم هذه الروح الوثابة . وما أحوج البلاد إلى وجودكم فيها فى هذا الظرف الحرج والمرحلة الخطرة والمفاجآت المحيرة للعقول ، والتى لن تقف عند حد كما يبدو . وكل ما أشرتكم إليه ضرورى وبغير وجودكم لن يكون الإنجاز كاملا . فدبروا ما ترون وأفيدوا بما يلزم اتخاذه من قبلنا والكل فى أشتياق وتقبلوا فائق الاحترام
محمد على عثمان

أصل الرسالة بخط الشهيد محمد على عثمان

رحم الله البطل الشهيد الشيخ محمد على عثمان الذى إغتالته عناصر ماركسية سنة ١٩٧٢ أى بعد ثمان سنوات من كتابة هذه الرسالة ، التى عندما استلمتها حمدت الله على أننى أدت ما أستطيع أن أؤديه من أجل الوحدة الوطنية ، التى هى الركيزة الأساسية فى حماية الجمهورية .

لم أحاول أن أدعي هذه الرسالة في وقتها حتى لا يقال عنى أنني استغل الموقف لأثبت أنني كنت على حق بعد أن افتنع الرئيس عبد الناصر بوجهة نظرى حتى أنه أول ما وصل إلى صنعاء لزيارة اليمن يوم ٢٣ إبريل ١٩٦٤ قال فى أول خطاب له فى مؤتمر شعبى أن (رسالة محمد هى الحرية والمساواة .. لقد انتهت أيام التفرقة وبدأت أيام المساواة وكان هذا نتيجة العمل الكبير ، عمل الثورة ، عمل الثوار بعد الثورة) (مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر ، القسم الرابع صفحة ٥٦٣) .

غير أن بيان تعز قد أثبت أن أحدا لم يستمع إلى كلمات عبد الناصر ولعل غلاة الطائفية قد اتهموه أيضا بالطائفية لمجرد أنه نادى بالمساواة .

كان بيان تعز ، بتوقيع زعماء الزيود والشوافع ، أول مظهر رسمى لإنهيار جمهورية السلال الثانية بعد أن سبقه إنعقاد مؤتمر عمران فى شمال صنعاء خلال شهر سبتمبر ١٩٦٣ وكان العديد من قرارات ذلك المؤتمر يندد بجمهورية السلال وبتهمها بـ (فقدان الديمقراطية والفساد الحكومى) وبطالب برفع القيادات العسكرية من المناطق التى لا تحتاج إلى عمليات عسكرية .

ثم تفاقم إنهيار جمهورية السلال عندما قدم الأستاذ أحمد محمد نعمان رئيس مجلس الشورى والقاضى عبد الرحمن الاريانى والقاضى محمد محمود الزبيرى نائبا رئيس الوزراء إستقالتهم الجماعية من مناصبهم فى ٢ ديسمبر ١٩٦٤ وسجلوا فى هذه الإستقالة أنه (بعد تجربة عامين كاملين وأشهر ثلاثة لم نحقق للشعب آماله ولم نكسب للثورة الجمهورية التأييد والدعم الشعبين) وأنه بعد تجربة العامين (تراكمت الأخطاء وتفاقت المشاكل وانتشر الفساد ولا تزال الحرب مستمرة) . ثم وصفت الإستقالة الجماعية مظاهر الفساد الداخلى فقالت عن وضع جمهورية السلال الثانية أنه (وضع إنعدمت فيه المقاييس وفقد فيه النظام وامتهنت القوانين وشاعت الاختصاصات) .

ولعل أخطر ما جاء فى تلك الإستقالة الجماعية إشارتها إلى تزايد السخط الشعبى على دور المصريين فى اليمن ، حيث أشارت إلى أن الأعداء يحاولون تشويه دورهم (ليس فقط فى مناطق العصيان فحسب ، بل وفى المناطق التى كانت تعطى هذا الدور قيمته الوطنية والقومية والإنسانية الكاملة .. وهكذا أصبح هؤلاء الأخوة الأحرار والأبرار .. يتعرضون معانا لفقر كبير من السخط الشعبى ، والتذمر الجماهيرى ، إذ صورهم الأعداء والرجعيون حماة لفساد الوضع) .

كانت هذه الإستقالة مقدمة شكلا إلى الرئيس السلال ومقدمة حقيقة وموضوعا إلى الرئيس جمال ، وكانت صريحة فى تحميله مسئولية حماية الفساد فى الجمهورية الذى تجسد فى حماية أسلوب إدارة الجمهورية الثانية التى تميزت برئاسة السلال الشكلية تحت وصاية العناصر المصرية ذات العلاقة السوفيتية .

ولا أدري ، عندما كنت في الحكم ، ماذا قلت للسلال ولجمال عبد الناصر أكثر من أنني خذتهما من نتائج السياسة الخطيرة التي طابت نفس السلال بها ، واستدرج الرئيس عبد الناصر إليها ، مسلما زمام أمرها لعناصره المصرية في صنعاء ، ثم ظهرت نتائجها بعد عامين في صورة حرب مستمرة وفساد منتشر في اليمن ، وغضب متزايد على مصر في المناطق المؤمنة بالثورة ، والتي كانت تقاتل دفاعا عن الجمهورية ثم لانت إلى السلبية ، وتركت القوات المصرية تحارب وحدها كيف تشاء وتحمي نفسها بمن تشاء .

كان رئيس الوزراء في ذلك الوقت اللواء حمود الجائفي وبعد أن أعلنت تلك الإستقالة الجماعية استقال الجائفي وتولى رئاسة الوزراء اللواء حسن العمري نائب رئيس الجمهورية في ٦ يناير ١٩٦٥ .

وفي أول أبريل ١٩٦٥ اغتيل شهيد اليمن المجاهد الكبير شاعر اليمن الأصيل القاضي محمد محمود الزبيري ، الذي كانت حياته كلها وقفا على إصلاح اليمن ، وكشف ، وهو الزعيم الزيدى خطر الإمامة الزيدية على الوحدة الوطنية ، وكان إغتياله في برط بشمال شرق اليمن ، وأتهم السلال الملكيين بإغتياله ، وأعلن القبض على إثنين من المتهمين اللذين هربا بعد ذلك من السجن ، بينما اتهم الملكيون السلال باغتيال الزبيري قلب اليمن النابض ولسان حالها الفصيح لإتجاهاته السياسية التي عارض بها أسلوب السلال في الحكم ، ثم إشتراكه في الإستقالة الجماعية التي نددت بقيادة السلال الشككية واتهمت مصر بحماية الفساد في اليمن . (الوثيقة رقم ٤٢)

على إثر ذلك الإغتيال استقال العمري من رئاسة الوزراء في ١٧ إبريل ١٩٦٥ .

فأعلن السلال في ٢٠ إبريل ١٩٦٥ تشكيل مجلس جديد للرئاسة يتولى تخطيط سياسة الدولة والإشراف عليها وتوجيهها برئاسته وعضوية اللواء حسن العمري نائب رئيس الجمهورية ، والقاضي عبد الرحمن الارياني ، والشيخ محمد علي عثمان رئيس مجلس الشورى ، والشيخ نعمان قائد بن راجح من زعماء القبائل الشمالية . كما كلف الأستاذ أحمد محمد نعمان بتشكيل الوزارة خلفا للعمري فأعلن تشكيلها يوم ٢٤ إبريل ١٩٦٥ في ظل السخط الشعبي العام على إغتيال الشهيد الزبيري ، وجاء في بيان وزارة الأستاذ نعمان أنها تنوى العمل على بناء جيش وطني قادر على الدفاع عن البلاد بالإستعانة بالخبراء العرب ، وقد كانت هذه إشارة من الحكومة إلى رغبتها في تقليل الاعتماد على القوات المصرية لإستعادة الشخصية اليمنية ، الأمر الذي أكدته مرة أخرى إشارة البيان في مجال العلاقات مع مصر إلى (تنظيم التعاون معها) .

وفي ٢ مايو ١٩٦٥ عقد مؤتمر وطني في خمر شمال صنعاء حيث انتخب القاضي عبد الرحمن الارياني رئيسا للمؤتمر بالإجماع ، وقد اتخذ المؤتمر قرارات كان أهمها (العمل بمختلف السبل والوسائل لإنهاء حالة الحرب وإقرار السلام) .

وهذا ما كنت أسعى إليه مع الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ، وهو ما تقر إبعادي عن منصبى للحيلولة دون تحقيقه . وهكذا وبعد مرور ثلاثين شهرا ، دفنت خلالها عشرات الألوف من الضحايا ، إنعقد مؤتمر خمر ليعلن في صدر قراراته نفس سياستي

الخارجية التي كانت تستهدف إقرار السلام ، والتي إنقلب عليها السلال عندما أعلن جمهوريته الثانية ، فأى نصر تاريخي أحصل على شرفه أكثر من ذلك ؟ لولا أنه جاء بعد أن خسرنا عشرات الألوف من الضحايا اليمنيين والمصريين والملايين من الريالات اليمنية والجنهيات المصرية ، التي لا أتصور تمويلها كلها من الخزانة السوفيتية .

ومع ذلك كانت قرارات مؤتمر خمر قرارات على ورق ، لا تستطيع أن تأخذ طريقها إلى أرض الواقع ، لأنه في مجال السياسة الخارجية كان لا بد من إتباع السياسة المصرية المتأثرة بالنصائح السوفيتية .

أما في المجال الداخلي فقد قرر المؤتمر (العمل على تصحيح الأوضاع في جميع الأجهزة والدوائر الحكومية باختيار الأكفاء المخلصين نوى النزاهة والإستقامة) .

ولم ينس المؤتمر تقديم الشكر بإسم الشعب اليمني لمصر (على ما قدمته من عون للثورة اليمنية والشعب اليمني) ولو أنه نص في قراره الثالث على مطالبة رئيس الوزراء بالاهتمام (بتنظيم يحدد العلاقات مع الشقيقة الكبرى الجمهورية العربية المتحدة على هدى قرارات المؤتمر وروحه) و (السعى لإيقاف حالة التوتر في العلاقات مع الجيران) وكان ذلك إشارة صريحة إلى ضرورة المصالحة مع المملكة العربية السعودية .

وتنفيذا لقرارات المؤتمر أعلن السلال في ٨ مايو ١٩٦٥ دستوراً مؤقتاً ثالثاً يجعل من سلطات رئيس الجمهورية سلطات شكلية بحكم نصوصه البرلمانية ، علاوة على النص على تشكيل مجلس جمهوري يمارس إختصاصات رئاسة الدولة على أن يختاره مجلس الشورى .

غير أن السلال أعلن بإرادته المنفردة في ٢٨ يونية ١٩٦٥ تشكيل المجلس الأعلى للقوات المسلحة مخالفاً بذلك نص الدستور الثالث المؤقت ، الذي يقضى بأن يتم تشكيل مجلس الدفاع الوطني بقرار من المجلس الجمهوري وإقتراح مجلس الوزراء ، فأعلن الأستاذ أحمد نعمان إستقالته وزارته في أول يولية ١٩٦٥ إحتجاجاً على خروج السلال على قرارات مؤتمر خمر ، فتولى اللواء حسن العمرى في ١٤ يولية ١٩٦٥ تشكيل الوزارة مرة أخرى وازدادت حدة الصراع بين رجال اليمن الممثلين للشعب في مؤتمر خمر ، وبين السلال الذي اتهمه هؤلاء الرجال بأنه ألعبه في يد العناصر المصرية في صنعاء التي أملت عليه ذلك القرار. فسافر إلى إمارة بيحان ، إحدى إمارات جنوب اليمن المحتل ، يوم ٢١ يولية ١٩٦٥ عدد من رجال اليمن البارزين من أعضاء مؤتمر خمر قدرتهم وكالات الأنباء بأنهم سبعة وثلاثون شيخاً مع أتباعهم الذين قدرتهم بمائتى رجل .

إنقسم هؤلاء إلى قسمين ، أحدهم وصل إلى بيروت حيث عقد رجال هذا القسم مؤتمراً صحفياً وصفوا فيه أنفسهم بأنهم ممثلو الشعب اليمني وقالوا (إن اليمنيين لا يحاربون اليوم من أجل الملكيين أو الجمهوريين وإنما يحاربون في سبيل تطهير أرض اليمن من الجنود المصريين) (صحيفة الحياة البيروتية ٢٧ يولية ١٩٦٥)

بينما ذهب القسم الثانى منهم إلى السعودية حيث أذاع رجاله فى نفس ذلك اليوم بيانا أدانوا فيه تصرفات السلال ، وأعلنوا التمسك بقرارات مؤتمر خمر وبحكومة الأستاذ أحمد محمد نعمان بإعتبارها الحكومة الشرعية فى اليمن ، واعترفوا بما قدمته مصر من عون لدعم النظام الجمهورى ، وأشاروا إلى تقديس الضحايا من شهدائها الأبطال فى اليمن ، وقالوا أنه على الرغم من ذلك (فإن الحقيقة تفرض نفسها علينا جميعا . الحقيقة أن سياسة الرئيس جمال عبد الناصر التى نفذها فى اليمن بوعى أو بغير وعى لم تتجرد من روح التسلط الإقليمى والغرور الشخصى) (كتاب الدور المصرى فى اليمن صفحة ٢٦٧ للأستاذ أحمد يوسف أحمد مدرس العلوم السياسية كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة) .



عندما انهارت جمهورية السلال الثانية تأكدت الولايات المتحدة الأمريكية أن مصالحها لم تعد في خطر نتيجة للتدخل العسكرى المصرى فى اليمن ، بعد أن عجز الإتحاد السوفيتى عن تطويره لصالحه إنطلاقاً من قلب اليمن فى إتجاه الشمال ثم الشرق . أما فى إتجاه الجنوب فقد كانت بريطانيا تريد أن ترحل عنه كما كانت تراقب مسار الإستيلاء السوفيتى المنقضى على حركة تحرير الجنوب اليمنى ، وإنزعاجها المستمر من يد المخابرات المصرية ، وكانت بريطانيا ترحب بهذا المسار الذى ينتهى بعد رحيلها من جنوب اليمن إلى قيام حكم فوضوى ماركسى يتحدى زعامة عبد الناصر ، ويبرر دور جديد لبريطانيا فى صورة رجل شرطة مهذب يحمى دول الخليج من إنتشار الفوضى من اليمن الجنوبية إلى منابع بترولها الغنية ، ومواقعها الإستراتيجية .

وبذلك تتخلص بريطانيا داهية السياسة العالمية من تكاليف إحتلالها وحكمها فى عدن وجنوب اليمن ، لتقبض عائدات حمايتها المظهرية التى تمنحها لدول الخليج .

تلك الحماية المظهرية التى يرتفع ثمنها فى سوق الإستعراضات العسكرية ، مع إرتفاع الشعارات الماركسية فى جنوب اليمن ، والشعارات الناصرية فى شمال اليمن ، إلى جانب حرارة تهديدات السلال بالحرب على الرجعية فى الجزيرة العربية .

كانت سياسة بريطانيا تمثل آخر ما توصلت إليه تكنولوجيا السياسة العصرية .

وبزوال الخطر عن مصالح أمريكا فى العالم العربى ، وعثور بريطانيا على الكنز الناصرى فى اليمن ، الذى يملأ خزائنها من الخليج ، اتفق رأى الأمريكى البريطانى على الترحيب بإستمرار الوجود العسكرى المصرى فى اليمن ، حتى يستمر المارد المصرى محبوساً فى تلك المصيدة المحكمة القضبان ، التى لا يستطيع أن يخرج منها ولا يطيق أن يبقى فيها .

أما الإتحاد السوفيتى فقد كان حريصاً كل الحرص على إستمرار توريث الوجود العسكرى المصرى فى اليمن ، حتى يخلق كوادراً يمنية شيوعية ، كما يخلق المجال لقيام قوة عسكرية مصرية ضاغطة على زعامة عبد الناصر السياسية ، فتتمكن العناصر المصرية ذات العلاقات السوفيتية من الإستيلاء على الزعامة المصرية فى الوقت الذى تنتظره روسيا ويساق إليه عبد الناصر .

لقد تأكد لأمريكا وبريطانيا أن عبد الناصر لا يستطيع أن يرهن قواته في اليمن إنتظارا لنصر حاسم مستحيل ، ولا يستطيع أن يسحبها من اليمن فيتعرض لهزيمة سياسية أمام السعودية . فظهرت النظرية الأنجلوأمريكية التي تقول (تحمل نتائج عمالك) التي شرحها بادو في كتابه (التوجه الأمريكي للعالم العربي) صفحة ١٤٧ .

واكتفت أمريكا بالإستمرار في حرمان مصر مما قيمته مائة مليون دولارا أمريكيا كمعونة فقررت الإستمرار في إيقافها كقضب إقتصادى ، ضمن قضبان النزيف المالى والعسكرى وبقية القضبان الفولاذية ، التي أحكمت جدران المصيدة العسكرية السوفيتية للزعامة الناصرية من الخليج إلى المحيط .

كانت الولايات المتحدة في ذلك الوقت تعيد حساباتها السياسية عندما تبينت أنها أخطأت في الإعتراف بالجمهورية اليمنية في ١٩ ديسمبر ١٩٦٢ أملا في تحقيق الإستقرار في الجزيرة العربية ، بينما نجح السوفييت في الإطاحة بسياسة السلام في هذه المنطقة عندما نجحوا في إخراج البيضاني من الحكم في ١٩ يناير ١٩٦٣ أى بعد شهر واحد من هذا الإعتراف الأمريكى وقبل أسبوع واحد من مشروع الإعتراف البريطانى . ثم وقع إغتيال الرئيس الأمريكى جون كنيدي في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣ الذى تسرع في الإعتراف بالجمهورية اليمنية . أى بعد أقل من عام من ذلك الإعتراف الذى أعلن السلال في أعقابها مباشرة الحرب على حكام الجزيرة العربية ، وأوقف عب الناصر خلاله عودة قواته من اليمن بناء على وعود خروشوف ، الذى زار بعد ذلك مصر في ٩ مايو ١٩٦٤ وأكد تأييده لمصر في دورها الكبير (في تقديم المساعدات الأخوية للشعب اليمنى لرد الإعتداءات الإستعمارية) ثم اتبع خروشوف هذه الزيارة بتعليقات سوفيتية تؤيد إشتراكية عبد الناصر التي (أصبحت مقبولة من أصحاب المنهج الماركسى اللينينى) (الدور المصرى في اليمن لأحمد يوسف أحمد صفحة ٣٢٧) .

وكان موقف مصر في ذلك الوقت متناقضا في ذهن الولايات المتحدة الأمريكية ، إذ أنه في الوقت الذى كانت جحافل النفوذ السوفيتى تعتلى فيه ظهر السفينة العسكرية المصرية لتحتل مواقعها الأمامية في الجزيرة العربية ، كان عبد الناصر إنطلاقا من قناعاته الوطنية والقومية ينادى بتصفية القواعد العسكرية الأمريكية ، والبريطانية ، ليس فقط من العالم العربى ، عندما كان يطالب بتحرير ليبيا في ٢٢ فبراير ١٩٦٤ ، وإنما من القارة الإفريقية كلها عندما هاجم في ٢٤ نوفمبر ١٩٦٤ التدخل الأمريكى فى الكونغو ، مما أدى إلى إحراق المكتبة الأمريكية فى القاهرة ورفض الحكومة المصرية الاعتذار عن هذا الحادث ، حتى قال الرئيس الأمريكى جونسون للسفير المصرى فى واشنطن (كيف يمكننى أن أطلب القمح لكم من الكونجرس بينما تحرقون مكتبتنا فى القاهرة) وكان الكونجرس يدرس فى تلك الأيام طلب الحكومة الأمريكية تجديد معونة القمح لمصر .

ثم بلغت ذروة المأساة فى العلاقات المصرية الأمريكية فى ٢٠ ديسمبر ١٩٦٤ عندما أسقطت القوات الجوية المصرية طائرة رجل أعمال أمريكى بسبب دخولها المجال الجوى المصرى بطريق الخطأ ، فطلب الرئيس جونسون من الرئيس عبد الناصر التحقيق فى

الحادث ، وكان من سوء الطالع أن ذهب في اليوم التالي وزير التموين المصري السيد كمال رمزي استينوا لسؤال السفير الأمريكي عن معونة القمح ، وكان السفير عائدا لتوّه من معانة حطام الطائرة وجثة قائدها الصديق الشخصي لجونسون ، فقال السفير إن الوقت غير مناسب لمفاتيحة الرئيس الأمريكي بشأن معونة القمح . وأجمعت المصادر على أن هذه الرواية نقلها رئيس الوزراء علي صبري إلى جمال عبد الناصر بعد أن حرقها وزعم أن السفير الأمريكي رد على وزير التموين بقوله (إننا لا نستطيع بحث موضوع القمح لأننا لا نستطيع سلوككم) .

أبلغ علي صبري هذه الرواية المحرفة إلى الرئيس عبد الناصر وهو في طريقة إلى بورسعيد لإلقاء خطابه بمناسبة عيد النصر في ٢٣ ديسمبر ١٩٦٤ فرد في ذلك الخطاب على السفير الأمريكي بقوله (أنا بأقوله إلى سلوكنا مش عاجبه يشرب من البحر وإلى ما يكفهوش البحر الأبيض بتديله الأحمر يشربه كمان .. إلى يكلمنا أية كلمة بنقطع له لسانه) (مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر - القسم الخامس صفحة ١٠٤ - ١٠٥) .

وكان رد الفعل الأمريكي المباشر على خطاب الرئيس هو تأجيل إرسال الجزء الباقي من شحنات الأغذية الأمريكية وقيمتها سبعة وثلاثون مليون دولارا ، كان قد تم الإتفاق بشأنه قبل بلوغ العلاقات المصرية الأمريكية إلى ذروة المأساة .

ومع انهيار العلاقات المصرية الأمريكية في نهاية ١٩٦٤ ، وإستحالة إحراز القوات المصرية في اليمن نصراً حاسماً ، نتيجة للأسباب السابق شرحها في هذا الكتاب ، عاد الرئيس عبد الناصر إلى الإقتناع بأنه لا مفر من البحث عن حل سياسى للخروج من المصيدة العسكرية في اليمن ، رغم أن القيادة العسكرية في اليمن كانت ترى غير ذلك .

فقد كانت في مطلع ١٩٦٥ تطالب بالسماح لها بحرية العمل العسكرى داخل الأراضي السعودية ، متصورة أن ذلك هو الحل الوحيد والسعيد لإحراز النصر الحاسم ، وكان ذلك غاية ما تحلم به السياسة السوفيتية التي ظهرت بصماتها في هذه المطالبة ، التي لا تتفق مع أبسط بديهيات الظروف الموضوعية التي تحيط بها .

ويقول محمد حسنين هيكل في (شهادة الوثائق من التاريخ القريب والحي) (إن عدد القوات المصرية مع بداية أغسطس ١٩٦٥ قد بلغ سبعين ألف جندياً وإن القيادة العسكرية المصرية قد حددت يوم ٧ سبتمبر ١٩٦٥ للعمل داخل الأراضي السعودية وأن عبد الناصر قد وافقها على ذلك مع إحتفاظه لنفسه بالحق في إيقاف هذه العملية قبل موعد تنفيذها بثمان وأربعين ساعة .) .

أراد عبد الناصر أن يرضى القيادة العسكرية المصرية فلا يصطدم معها ، كما أراد أن يستخدم التصعيد العسكرى الذى ينوى أن يتبعه بتصعيد إعلامى للضغط على السعودية ، حتى يصل معها إلى حل سياسى ومخرج مشرف من المأزق العسكرى .

التقى عبد الناصر بالأمير فهد الذي وصل إلى القاهرة في ٣٠ مايو ١٩٦٥ على رأس الوفد السعودي للإشتراك في مؤتمر رؤساء الحكومات العربية ، وأنشاء ذلك اللقاء نوقشت فكرة لقاء الرئيس عبد الناصر والملك فيصل عندما يتوقف يوما للإجتماع به في القاهرة في طريقه إلى الجزائر لجضور المؤتمر الأفريقي الآسيوى ، غير أن المؤتمر لم ينعقد .

ثم التقى الرئيس عبد الناصر بالسيد عمر السقاف وكيل الخارجية السعودية يوم ٢٠ يولية ١٩٦٥ لبحث مشكلة اليمن ، وبعد ذلك اللقاء بيومين إثنين أعلن عبد الناصر في ٢٢ يولية ١٩٦٥ في خطابه بمناسبة الإحتفال بعيد الثورة المصرية أن (الوضع الطبيعى بعد ضبط النفس لمدة طويلة لا بد أن يتطور إلى صدام مع السعودية لتصفية قواعد العدوان ذاتها) .

وسافر إلى السعودية الدكتور حسن صبرى الخولى الممثل الشخصى للرئيس عبد الناصر يوم ٢٩ يولية ١٩٦٥ فى مهمة تتعلق بنفس هذا الموضوع ، ثم عاد إلى القاهرة سفير السعودية فى ٨ أغسطس ١٩٦٥ يحمل رد الملك فيصل حيث استقبله الرئيس عبد الناصر فى ١١ أغسطس ١٩٦٥ وبعد مراسلات مع الملك قرر الرئيس السفر إلى جدة .

وتدل سياق هذه المقابلات وتدفق هذه الأحداث على أن الرئيس جمال عبد الناصر كان قد وصل إلى ذروة الشوق إلى الحل السياسى ، الذى سبق أن كنت قد توصلت إليه عن طريق تنمية العلاقات الودية مع كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا كوسيطين صاحبى مصلحة حقيقية فى إستمالة السعودية نحو الإعتراف بالجمهورية اليمنية ، وعودة القسم الأكبر من القوات المصرية مع أكاليل الغار والفخار والإنتصار ، وترك القوات المدرعة والطيران المصرى فى اليمن ، مع بناء جيش يمنى من المتطوعين اليمنيين لحماية الجمهورية اليمنية وحدها ، ولا شأن لهذا الجيش اليمنى بجيرانها ، فأبعدونى عن الحكم عندما رفضوا ما وصفوه وقتئذ بأنه (الحل السياسى الإنهزامى) واختاروا (الحل العسكرى العنترى) ، وأبعدونى مع (الحل الممكن) وانتحروا على صخرة (الحل المستحيل) .

وعلى صخرة الحل المستحيل اجتمع الرئيس عبد الناصر يوم ١٩ أغسطس ١٩٦٥ مع السلال والعمري والاربانى ونعمان وغيرهم من قيادات الجمهورية اليمنية ليطلعهم على أسباب قرار سفره إلى جدة للإتفاق مع الملك فيصل على حل المشكلة اليمنية .

لم يكن أمام الرئيس عبد الناصر حل آخر غير الاتفاق مع الملك فيصل ، لأنه تحت راية جمهورية السلال الثانية وجدت مصر أنها تحارب وحدها فى اليمن ، وإن قادة الجمهورية اليمنية مشغولون فى الصراع فيما بينهم على السلطة ، مشدودون من قمة رؤوسهم حتى أجمص أقدامهم إلى مخلفات عصر الإمامة ، غير مبالين بدماء المصريين ولا مقدرين صمود السعوديين .

وأغلب الظن أن الرئيس عبد الناصر لم يجتمع بقيادة الجمهورية ليطلعهم على نيته ، وإنما ليتخذ منهم ورقة في حوار مع الملك فيصل ، من أجل الحفاظ على كرامة مصر أكثر من الحفاظ على جمهورية اليمن .

تلك الجمهورية التي عجزت صنعاء أن تقرر مصيرها في اليمن ، فانتقل هذا القرار إلى أولياء الأمر في كل من القاهرة والرياض .

وصل الرئيس عبد الناصر إلى جدة في ٢٢ أغسطس ١٩٦٥ وبصحبه عدد من المسؤولين المصريين والأستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام ، الذى كان قد أفرط فى إهانة المملكة العربية السعودية والملك فيصل بألفاظ لم تتعودها الخلافات العربية ، بينما كان هيكل الناطق بإسم الرئيس عبد الناصر والمتحكم فى وسائل الإعلام المصرية . ولما لاحظ الرئيس عبد الناصر أن الملك فيصل لم يصافح هيكل قال الرئيس للملك (أقدم لجلالتك الأستاذ محمد حسنين هيكل وهو سوف يكف عن مهاجمة السعودية) فقال الملك (إننى لم أسمع عنه ولم أقرأ له) . وبعد حوار استمر ثلاثة أيام اتفق الرئيس عبد الناصر مع الملك فيصل على إتفاقية عرفت بإسم إتفاقية جدة ، جردت الجمهورية اليمنية من ثوبها الجمهورى ، وحطمت كيائها الدستورى ، حيث نصت على إجراء استفتاء شعبى ليختار الشعب نوع الحكم الذى يرضيه لنفسه ، فى موعد أقصاه ٢٣ نوفمبر ١٩٦٦ واعتبرت الفترة الباقية حتى ذلك التاريخ فترة إنتقالية ، بحكم ما نصت عليه المادة الأولى من هذه الإتفاقية .

ونصت المادة الثالثة على أن يجتمع مؤتمر فى مدينة حرض يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٦٥ يتكون من خمسين عضوا يمثلون جميع القوى الوطنية (الجمهورية والإمامية) من أهل الحل والعقد ، لتقرير طريقة الحكم فى فترة الإنتقال وحتى إجراء الاستفتاء الشعبى .

كما نصت الإتفاقية على أن تقوم المملكة العربية السعودية على الفور بإيقاف عمليات المساعدة العسكرية بجميع أنواعها واستخدام الأراضى السعودية للعمل ضد اليمن ، وأن تقوم الجمهورية العربية المتحدة بسحب كافة قواتها العسكرية من اليمن فى ظرف عشرة أشهر ابتداء من يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٦٥ (أى موعد أقصاه ٢٣ سبتمبر ١٩٦٦) وهذا بيت القصيد والهدف الرئيسى الذى سعى إليه عبد الناصر كحل مشرف .

فإذا ما أرادت القيادات اليمنية الجمهورية أن تثبت وجودها خلال تلك الفترة وحتى يوم الإستفتاء فإنها تصبح جديرة بالقيادة الجمهورية ، ويكون ذلك ميلادا جديدا لها ، ونصرا سياسيا لمصر لأنه تحقق بفضلها . أما إذا فشلت وسقطت الجمهورية فإن سقوطها لا يكون هزيمة عسكرية لمصر لأنه يحدث فى غيابها .

كان رهان عبد الناصر إما أن تبقى الجمهورية فيظفر بالنصر السياسي ، وهو أمل عظيم يتطلع إليه ، وإما أن تسقط الجمهورية بغير هزيمته العسكرية وهذا أمر واقع يرضى به ، في ظل المعطيات اليمنية المتاحة والصراعات الدولية التي بالغ بعض أصحابه في التقليل من حجمها ، بينما سعى البعض الآخر إلى تصعيدها في اليمن للقفز على زعامته في مصر .

تحرك الجمهوريون وتشكل في ٤ سبتمبر ١٩٦٥ مجلس جمهوري جديد برئاسة السلال وعضوية حسن العمري وعبد الرحمن الارياني ومحمد علي عثمان وأحمد محمد نعمان وحمود الجانفي وتحدثوا عن تشكيل جيش شعبي من خمسين ألف مقاتل .

انعقد مؤتمر شعبي في منطقة الجند بالقرب من تعز في يومي ٢٠ و ٢١ أكتوبر ١٩٦٥ أعلن التمسك بالوحدة الوطنية والنظام الجمهوري واستبعاد أسرة الإمام المخلوع من حضور مؤتمر حرض .

وتأكيدا لإصرار الرئيس عبد الناصر على نجاح مؤتمر حرض ، في الوصول إلى حل يعطى مصر الفرصة في إعادة قواتها من اليمن ، استدعى الرئيس عبد الناصر الرئيس السلال قبل شهر من انعقاد المؤتمر وحجزه في مصر ومنعه من العودة إلى اليمن ، حتى لا يكون وجوده فيها أثناء انعقاد المؤتمر عاملا مخيبا لعزيمة الجمهوريين ، الذين يبحثون عن نموذج للجمهورية ، ولا دافعا مثيرا لحفيظة الملكيين الذين يبحثون عن مخرج من الإمامة .

وطبقا لاتفاقية جدة انعقد مؤتمر حرض في موعده يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٦٥ ، وتبادل الجمهوريون والملكيون التحفظات على عضوية المؤتمر . فبينما تحفظ الجمهوريون على المساواة بين الجانبين (خمسة وعشرون من كل جانب) ثم على وجود أحد أفراد أسرة الإمام المخلوع ، تحفظ الملكيون على عدم وجود ثلاثة من الجمهوريين المنشقين داخل الوفد الجمهوري ، ووجود أغلبية شافعية داخل هذا الوفد الجمهوري ، لأنه ضم أربعة عشر شافعيا من مجموع أعضاء هذا الوفد البالغ عددهم خمسة وعشرين .

وكان هدف الملكيين من إعتراضهم على الأغلبية الشافعية في الوفد الجمهوري أن يثبتوا ولاء أغلبية القسم الزيدى للنظام الإمامي ، مستدلين على ذلك بأن الحكومة الجمهورية لم تطمئن إلى ولاء عدد كاف من أهل الحل والعقد من الزيدود ، لتستكمل بهم نصف أعضاء الوفد الجمهوري . ولو كان الأمر لى لاخترت معظم أعضاء الوفد الجمهوري من الزيدود لأن القتال كان يدور في مناطقهم بينما كانت أغليبتهم الساحقة مؤيدة للنظام الجمهوري . ولذلك أعتقد أن الذين اختاروا أغلبية أعضاء الوفد الجمهوري من الشوافع قد أخطأوا خطأ تاريخيا فاحشا .

اختلف أعضاء المؤتمر على معظم الأمور وفشل المؤتمر لسبب آخر يخفى عليهم بينما كان أهم كثيرا من الأسباب التي اختلف عليها الجمهوريون والملكيون ، ذلك لأن الرئيس عبد الناصر بعد أن وقع على إتفاقية جدة ذهب إلى الإتحاد السوفيتي بناءً على دعوة وجهت إليه . وفي أثناء هذه الزيارة التي تمت قبل إنعقاد مؤتمر حرض تعهد

الإتحاد السوفيتي للرئيس عبد الناصر بتقديم العون المالي لأى مزيد من الإلتزامات العسكرية فى اليمن . وقد أعلن الرئيس فى خطاب ألقاه فى إفتتاح دور الإنعقاد الثالث لمجلس الأمة يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٦٥ أن زيارته لموسكو (أسفرت .. عن تفاهم يوفر على الشعب المصرى ما لا يقل عن مائتى مليون جنيه) .

وإذا كان بعض الماركسيين يحاولون استبعاد اتفاق الرئيس عبد الناصر مع الإتحاد السوفيتي بعد توقيعه على إتفاقية جدة من بين عناصر فشل مؤتمر حرض فإنه من أمانة البحث العلمى أن يتذكر الباحث سياق الأحداث ، ويعود بالذاكرة إلى وقت أن بدأت أفواج القوات المصرية تعود من اليمن فى يونية ١٩٦٣ ولأذ معها السلال إلى مصر ، فذهب على أثر ذلك المشير عامر إلى موسكو بناءً على دعوة من خروشوف تلقاها على يد على صبرى ، وعندما عاد من موسكو توجه إلى اليمن مع السلال الذى لم يطمن إلا بالعودة معه ، وعندما وصل صنعاء أعلن الحرب على الرجعية وحكام الجزيرة العربية ، بعد أن أشعل المشير عامر نار التصعيد العسكرى المصرى فى اليمن وأعاد القوات المصرية إليها . كل ذلك يشير إلى أنه كلما فكرت مصر فى الخروج من اليمن تحركت موسكو إما بدعوة المشير عامر أو بدعوة الرئيس عبد الناصر لإعادة مصر إلى اليمن مرة أخرى

وإذا كان المشير عامر قد حصل من موسكو سنة ١٩٦٣ على عشرين مليون جنيهًا فقط ، فقد حصل عبد الناصر على مائتى مليون جنيهًا سنة ١٩٦٥ . لا سيما أن هذه المساعدات أو القروض ليست سوى القرارات أو البيانات المعلنة ، أما الإتفاقيات السرية فإنها قد تبلغ أضعاف تلك القيمة ، وقد تنصب على ما هو أكثر من القيم المالية عندما تتطرق إلى الإستراتيجية الدولية ، أو تمس الإتفاقات الثنائية فى مجالات معينة يعطيها كل طرف من الأطراف أهمية خاصة فى جدول إهتماماته الأساسية .

على أى حال إن ظاهرة قيام موسكو بتوجيه دعوة عاجلة إلى القيادات المؤثرة فى مصر لزيارة موسكو كلما اتجهت مصر إلى إعادة قواتها من اليمن ، ثم عدول مصر عن إعادة قواتها من اليمن فى أعقاب زيارات القيادات المصرية لموسكو أمر يستحق التأمل .

أغلب الظن عندى أن فشل إتفاقية جدة يرجع فى المقام الأول إلى رغبة الإتحاد السوفيتي فى بقاء القوات المصرية فى المصيدة السوفيتية فى اليمن .

وهذا لا يعنى أننى كنت أتمنى نجاح مؤتمر حرض ، بل أحمد الله على فشله لأن نجاحه قبل أن يشتد عود القيادة الجمهورية فى صنعاء كان يمكن أن يؤدى إلى إنهيار النظام الجمهورى ، فتفرق اليمن فى حرب أهلية شاملة حتى ينبثق النظام الذى يفرضه توازن التيارات الأجنبية فى غياب القيادة الجمهورية الصلبة .

ولا شك عندى فى أن الحل السعيد فى اليمن كان يقتضى من قادة الجمهورية أن يعتمدوا على أنفسهم ، بعد أن يوحدا صفوفهم ويستفيدوا من الوجود العسكرى المصرى بعد ترشيد حجمه وتحديد سلطانه ، ولأمانة العرض التاريخى يجب القول أن هذا الحل السعيد لم يكن متوقفا على الاختيارات اليمنية فحسب بل كان فى حاجة إلى تغيير شامل فى أسلوب العناصر المصرية التى كانت قد انفرجت بمسئولية الحكم فى اليمن .

فى مناخ النزيف المالى فى اليمن تولى السيد زكريا محبى الدين رئاسة الحكومة المصرية فى سبتمبر ١٩٦٥ فاضطر إلى رفع أسعار بعض السلع لمواجهة تكاليف السياسة الخارجية المصرية ، وكان فى رأيه (أن الاستنزاف المستمر لموارد مصر يعتبر فى النهاية وسيلة لتحقيق أهداف أعداء النظام المصرى فى أضغافه) كما كان يقول (إن عينه فى ذلك الوقت كانت على فيتنام حيث تعرضت القوات الأمريكية لظروف تشبه الظروف التى تعرضت لها القوات المصرية ، ولذلك طالب بتخفيض القوات المصرية إلى أقل عدد ممكن على أن تحتل فقط مثلث تعز صنعاء الحديدية لتخفيض الأعباء ، طالما أنه ليس هناك نهاية محدودة للقتال فى اليمن) (أحمد حمروش فى قصة ثورة ٢٣ يولية . عبد الناصر والعرب صفحة ٢٦٢) .

مع فشل مؤتمر حرض فى نوفمبر ١٩٦٥ بدأ الملك فيصل يدعو إلى التضامن الإسلامى ، فقام مع بداية ديسمبر ١٩٦٥ بسلسلة من الزيارات للدول الإسلامية ، مما أثار حفيظة الرئيس عبد الناصر لأنه هدد زعامته السياسية ، فرد عليه الملك فى حديث صحفى حول الدعوة الإسلامية فى ٢٠ نوفمبر ١٩٦٦ وقال أن :

(هذه الدعوة ليست موجهة ضد أحد وليست موجهة ضد عبد الناصر ، بل أن عبد الناصر من كبار زعماء المسلمين ، ومن ثم فلا يمكن لدعوة من أجل التضامن الإسلامى أن تكون موجهة ضده ، وإذا كان يعتبرها كذلك فهو على خطأ .. أما إذا كانت التيارات الإلحادية العالمية ومن يسير وراءها تريد أن تتخذ من هذه الدعوة وسيلة للحد من نشاطنا فى مجال الدعوة الإسلامية العقائدية فقد خاب فالها ، لأننا بإذن الله قادرون على مجابهة هذه التيارات الهدامة) (الوثائق العربية سنة ١٩٦٦ صفحة ٩٥) .

وكان الملك فيصل يرد فى ذلك الحديث الصحفى على حديث الرئيس عبد الناصر الذى أجراه يوم ٧ فبراير ١٩٦٦ مع صحيفة أوفستيا السوفيتية يهاجم فيها الدعوة إلى التضامن الإسلامى (المرجع السابق صفحة ٤٨٨) .

كان تقدير عبد الناصر لهذه الدعوة الإسلامية أنها مجرد امتداد لمحاولات الدول الإستعمارية لإقامة أحلاف عسكرية تابعة لها ، وقد شرح الرئيس علاقة الدعوة السعودية إلى التضامن الإسلامى بمشروعات هذه الأحلاف فى خطابه الذى ألقاه يوم ٢٢ فبراير ١٩٦٦ الذى كاد يقتصر على مهاجمة دعوة الملك فيصل الإسلامية ، التى وصفها الرئيس بأنها (ترمى إلى تطويق حركة القومية العربية المعادية للاستعمار) (مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر ، القسم الخامس صفحة ٥٠٤) .

تزايدت شكوك الرئيس عبد الناصر من تحركات الملك فيصل التى اقترنت بتعاقده على صفقات أسلحة بريطانية وأمريكية . وبالرغم من عدم نجاح دعوة الملك فيصل فإن الرئيس عبد الناصر أخذ يعيد حساباته فى اليمن ليضيف إليها عاملا جديدا ، هو التصدى لما وصفه بالتحركات الإستعمارية على المستوى الدولى والإقليمى ، وبذلك تراجع الإهتمام بحماية حكومة الجمهورية اليمنية إلى المرتبة الثانية من الاهتمامات المصرية .

ومما زاد حماس الرئيس عبد الناصر لتوسيع ساحته العسكرية الخارجية الطعم البريطاني الذي قدمته إليه بريطانيا للاستفادة من استراتيجية حجزه في المصبدة السوفيتية في اليمن ، وذلك حين أعلنت في ٢٢ فبراير ١٩٦٦ أنها لا تنوى الاحتفاظ بقاعدة عدن في أعقاب استقلال جنوب اليمن الذي كان مقررا له حداً أقصى عام ١٩٦٨ فأعلن عبد الناصر في نفس ذلك اليوم أن القوات المصرية سوف تبقى في اليمن إلى ما بعد عام ١٩٦٨ . وقد أعلن عبد الناصر ذلك في نفس الخطاب الذي هاجم فيه دعوة الملك فيصل الإسلامية . (المرجع السابق) مما أعطى الدليل على أن الوجود المصري في اليمن لم يعد يرتبط بتثبيت الجمهورية اليمنية ، وإنما يستهدف محاولة وضع الجزيرة العربية تحت السيادة المصرية لحساب الإستراتيجية السوفيتية وهذا ما كانت تتطلع بريطانيا إلى إثباته . وعندما أدرك الرئيس عبد الناصر أنه قد تورط عندما تبرع بتقديم هذا الدليل إضطر إلى محاولة نفيه في حديث لاحق مع مندوب صحيفة الجارديان البريطانية حيث نفى أن تكون لديه نية في (أن تنزل القوات المصرية إلى عدن والجنوب اليمني ثم تتجه يسارا إلى الخليج وتستولي على البترول وتضعه تحت النفوذ الروسي) (الأهرام ٢٠ يولية ١٩٦٦) .

أغلب الظن أن هذا النفي من جانب الرئيس لم يصادف إقتناعا لدى الدول الغربية ، التي كانت تستدرج عبد الناصر حتى تقضى على ما كان يمثلته من نفوذ سوفيتي يسعى إلى السيطرة على الجزيرة العربية ، فقد جاء ذلك النفي بعد أن صرح الرئيس عبد الناصر في مؤتمر صحفي عقده في الإسكندرية يوم ٧ مايو ١٩٦٦ بحضور الرئيس اليوغسلافي تيتو قائلا بكل وضوح (إن السؤال الآن ليس هو اليمن وإنما مستقبل الجزيرة العربية كلها . إن السعودية بمعونة الدول الإستعمارية تريد أن تخضع الجزيرة كلها لنظام إقطاعي) (الأهرام ٨ مايو ١٩٦٦) .

أعلن الرئيس بذلك التصريح أنه قد قرر فك الارتباط بين الوجود العسكري المصري في اليمن وبين تثبيت الحكومة الجمهورية في صنعاء ، وجعله يشمل التصدي المصري للدول الإستعمارية في كل الجزيرة العربية .

في تقديري أن العناصر المصرية ذات العلاقة السوفيتية التي كان يهتما توريط عبد الناصر في اليمن للإنقضاض على زعامته في مصر كانت قد استخلصت من تحليلها لشخصيته أن كان مفرطا في الثقة بقدرته الذاتية ، سريع الاستجابة للإنفعالات العاطفية بغير حساب للعوامل الدولية وظروفه الموضوعية ، فصورته له أن حماية زعامته من الحصار البريطاني الأمريكي السعودي الأردني وبقية دول الجزيرة العربية تقتضي الاحتفاظ على مواقفه العسكرية الأمامية في اليمن ، لكسر هذا الحصار والتصدي لكل أولئك وهؤلاء في عقر دارهم ، في الساحة العربية ، خوفا من إنتقال ساحة هذا التصدي إلى عقر داره هو ، في الساحة المصرية .

هكذا أقنعوا عبد الناصر ..

وهكذا أصبح مبدأ عودة القوات المصرية من اليمن لا يرتبط بإستقرار النظام الجمهورى فى صنعاء ، كما لا يرتبط بوقف المساعدات السعودية لأعداء هذا النظام وإنما (ببساطة أصبح منطق وجود القوات المصرية لا ينبع من اليمن فحسب ولكن من خارجها أيضا) (الدور المصرى فى اليمن - مرجع سابق صفحة ٤١٩) .



فوجيء الرئيس عبد الناصر خلال شهرى يونية ويولية ١٩٦٦ بوثائق يمنية وقع عليها عشرات الألوف من رجالات اليمن ، وسلموها إلى السفارة المصرية فى صنعاء ، تطالب بعودة عبد الرحمن البيضانى إلى اليمن ولم تذكر شيئا عن عودة السلال ، الذى كان قد حجزه عبد الناصر فى مصر قبل ذلك بعشرة أشهر منذ أكتوبر ١٩٦٥ ، ولم يحقق من حجزه فى مصر أى هدف فى اليمن فى مجال مواجهة التحديات الإمامية ، التى تساندها التحديات الدولية ، لا حبا فى الإمامة ولا بغضا للجمهورية ، وإنما دفاعاً عن مواقع إستراتيجية ، ومنعا من سقوط الجزيرة فى قبضة الإستراتيجية السوفيتية .

عُثرت بين أوراقى الخاصة على صور من بعض هذه الوثائق (الوثيقة رقم ٣٦) ويبلغ عدد الموقعين عليها ١١٧٥ رجلا من رجالات اليمن الغيورين على تثبيت أركان الجمهورية وتطوير أوضاعها الاقتصادية والإدارية ، المتطلعين إلى تحقيق السلام والاستقرار فى اليمن .

كتب الموقعون فى صدر هذه الوثائق نصا مشتركا فى ألفاظه ولا يختلف إلا فى اسم المنطقة التى ينتمى إليها الموقعون على تلك الوثائق المتعددة ، وجاء فيه مايلى :

(خطاب مفتوح إلى سيادة رائد القومية العربية سيادة الرئيس جمال عبد الناصر حرسكم البارى أمين .

نعم يا صاحب السعادة أنت تفهم تدهور الموقف فى اليمن ، وأنت المخاطب الأول والأخير ، ونحن الموقعين أسماءنا من (الحجرية) نطالب بإعادة الدكتور عبد الرحمن البيضانى ، الملايين من الشعب تطالب بعودة عبد الرحمن البيضانى . أن الكبير والصغير والذكر والأنثى يريدون الدكتور البيضانى والله على ما نقول وكيل) .

ثم توالى التوقيعات .

دعانى عبد الناصر لزيارته وسألنى بحضور المشير عبد الحكيم عامر وأنور السادات عن مدى إستعدادى للعودة إلى اليمن ، فقلت أنه إذا كان أحد فى اليمن يطالب بعودتى فلأنه قد ضاق ذرعا بالأوضاع القائمة فيها ، وينتظر منى أن أعيد المسار الجمهورى إلى

فلكه اليمنى الوطنى العربى ، الذى كنت قد بدأت عندما كنت فى السلطة عقب قيام الثورة ، والذى انقلب عليه السلال وأسس على أنقاضه جمهوريته الثانية ، بكل متناقضاتها وسلبياتها ونوائجها المدمرة ، التى أهلكت اليمن وأساءت إلى مصر .

فإذا كان المطلوب منى أن أعود إلى اليمن ، تحقيقاً لأمانى من طالبوا بعودتى ، فإن ذلك يلزمنى أن أقوم بتغييرات جذرية فى السياسة الداخلية والخارجية والعسكرية ، بالقدر الذى يعيد الأوضاع اليمنية إلى مقومات الجمهورية اليمنية الأولى قبل أن ينقلب عليها السلال ، وإلا فأنتنى لن أكون عند حسن ظن أحد فى اليمن ولا فى منزلة الناصح الأمين فى مصر .

قلت للرئيس أننى أتبادل الزيارات ، بصفة تكاد تكون يومية ، مع السلال الذى أدرك خطأه عندما إنقلب على صديقه ونائبه ، الذى يمنحه كل الحب والإخلاص ، حتى وصف السلال ما فعله معى عندما استجاب لمن نصحوه بأنه قطع يده اليمنى بيده اليسرى .

أوضحت للرئيس عبد الناصر أنه ليس عندى أى مانع من العودة إلى اليمن ، وأن يعود السلال معى وفقاً لخطة سياسية داخلية وخارجية وعسكرية ، نتفق عليها فى القاهرة قبل أن نعود إلى صنعاء .

سألنى الرئيس عن مضمون هذه الخطة قلت أننى أرى أن نعيد للجمهورية سيرتها الأولى بعد أن تلقف ما يأفكون .

سألنى الرئيس عن خطتى فى التصدى للاستعمار والرجعية قلت أنه بعد خروج الإنجليز بمحض إختيارهم وإرادتهم من عدن والجنوب اليمنى المحتل ، كما أعلنوا ذلك فى ٢٢ فبراير ١٩٦٦ وهو نفس ما أكدوه لى عندما كنت فى السلطة أيام الجمهورية اليمنية الأولى ، فلن يكون هنالك استعمار فى جنوب اليمن .

أما المصالح البريطانية والأمريكية فأننى شخصياً لا أفهم لماذا نضيع جهود وطاقت اليمن ومصر فى التصدى لها ، بعد أن أصبحت مجرد مصالح تجارية تتم وفقاً لاتفاقيات ثنائية مع حكومات الدول المعنية .

لقد انتهى شعار الإستعمار بعد زوال الإحتلال العسكرى الذى يقوم بفرض الكيانات السياسية بقصد إعتصار مواردها الاقتصادية ، كما كانت بريطانيا تفعل أثناء أحتلالها العسكرى لمصر عندما كانت تشتري القطن المصرى بأبخس الأثمان وتبيع لها المنسوجات البريطانية بأغلاها ، وتحتكر قناة السويس وتتحكم فى الملاحة البحرية فى المياه المصرية ، وتفرض عليها الظروف الاقتصادية التى تجعلها سوقاً للمنتجات البريطانية .

هذه الصورة القديمة قد أكل عليها الدهر وشرب ، وأصبح إحتلال بريطانيا لعدن يكلفها أكثر من عشرين مليون جنيه إسترليني سنوياً لمجرد حماية موقع إستراتيجى يخدم المصالح البحرية التى يمكن تحقيقها بوسائل أخرى أكثر قبولا وبغير تكلفة .

قلت للرئيس إننا لن نحرم بريطانيا من حرية الملاحة في عدن كما لم تحرمها مصر من حرية الملاحة في قناة السويس .

سألني الرئيس عن الرجعيين اليمنيين من رجال بريطانيا في عدن والجنوب اليمني ، الذين تسعى بريطانيا إلى تسليمهم الاستقلال وضرب ثورة العناصر التقدمية اليمنية في الجنوب .

قلت إن المهم عندي هو حصول الجنوب اليمني على الاستقلال ، لأنه بعد ذلك يستطيع أن يقرر مصيره وفقاً لإرادته الحرة ، وله أن يحتفظ بهذا الاستقلال أو ينضم إلى اليمن الأم ، كما يستطيع بعد الاستقلال أن يختار نظامه السياسي ومنهاجه الاقتصادي ، وفي وسع هذه العناصر التقدمية أن تؤثر في هذا الاختيار دون أن أرهق إمكانيات اليمن الشمالية وطاقتها المجهدة في فرض شعارات معينة في الجنوب غير مقبولة في الشمال .

سألني عن السعودية فنكرته بوعود الولايات المتحدة الأمريكية التي قطعتها على نفسها ، عندما اتفقت معها على الاعتراف بالجمهورية اليمنية ، ووعدتني بالسعي لدى المملكة العربية السعودية لوقف مساعداتها لأعداء الجمهورية ، في مقابل الإنسحاب التدريجي للقوات المصرية ، وكنا قد اتجهنا فعلاً نحو بلوغ هذا الهدف لولا قذائف التصريعات النارية التي أطلقها رئيس المجلس التنفيذي المصري السيد على صبرى بعد هذا الاعتراف الأمريكي بنحو أسبوعين اثنين فقط ، فقلده السلال في اليوم التالي وأعلن التعبئة اليمنية العامة والحرب الشاملة على السعودية وحكام الجزيرة العربية .

قلت للرئيس عبد الناصر أن السلام له طريق ، والحرب لها طريق .

وأنتنى كرجل اقتصاد أعرف أن الاقتصاد لا يزدهر إلا في مناخ السلام ، ولذلك جاهدت من أجله وتحملت ما تحملت في سبيله ، وأنتنى إذا كنت قد توليت ذات يوم قيادة المعارك العسكرية فقد كان ذلك بقصد الدفاع عن الجمهورية ، وما دامت قد لاحت في الأفق وسائل سلمية للدفاع عنها فيجب أن نمسك السلاح ، ونتمسك بهذه الوسائل السلمية ، لأن الحرب لم تكن أبداً هي الغاية السعيدة ، وإنما كانت الوسيلة انكسرية التي كتبت علينا ، ولهذا رفضت رتبة الفريق أول الذي أراد السلال أن أحملها لأننى كنت أتطلع بفارغ الصبر إلى إلقاء السلاح للبدء في الإصلاح .

سألني عن التعاون مع المسؤولين اليمنيين ، قلت أنهم يجب أولاً أن يكونوا مسئولين حتى يكونوا يمينيين ، الأمر الذى لا يتحقق إلا إذا مارس كل منهم مسئوليته إنطلاقاً من إحساسه بيمينيته ، وليس إستناداً على تبعيته .

قلت للرئيس أن اليمنيين في حاجة إلى نصائح مصرية أكثر وتوجيهات عسكرية أقل .

ذكرت للرئيس أنتنى أخطأت حين قبلت أن أكون النائب الوحيد لرئيس الجمهورية ، فهمس الأعداء في أذن السلال زاعمين أنتنى كنت صاحب مصلحة شخصية في الإنقضاء عليه ، كما صرخوا في أذن الزويد أنه إذا ، لا قدر الله ، ذهب السلال الزيدى قام البيضانى الشافعى ليحكم اليمن ، كل اليمن .

وهذا ما لم يخطر على بالي ولم أسمع عنه إلا بعد أن تمكن منى الدب الروسى وغدر بى السلال اليمنى .

ولذلك فإننى أقترح إختيار أحد الزيود ليكون النائب الأول لرئيس الجمهورية ، وأن يكون ذلك الرجل هو القاضى عبد الرحمن الاريانى حتى نرضى تطلعه إلى الرئاسة تحت راية الثورة ، ونتفادى نشاطه ضدها تحت شعار السلام ، وهو على كل حال من أصدق المتمسكين بالنظام الجمهورى المستميتين فى الدفاع عنه ، وإن كان عيبه الرئيسى أنه يتطلع إلى الرئاسة . ولا يهتم بغيرها .

وأكملت سرد ما كان يجول فى خاطرى من أفكار تستهدف توحيد الصف الجمهورى فى نظام يرأسه السلال ، ويكون فيه نائبه الأول القاضى الاريانى ويختص بشئون القبائل ، وأكون نائبه الثانى واختص بالشئون السياسية والإقتصادية ، ويتولى الفريق حسن العمرى منصب نائب رئيس الجمهورية لشئون الأمن الداخلى ، واللواء حمود الجائفى نائب لرئيس الجمهورية للشئون العسكرية ، والأستاذ أحمد محمد نعمان منصب نائب الرئيس لشئون مجلس الشورى والإدارة المحلية . ولننسى الماضى ونبدأ صفحة المستقبل .

اعترض المشير عامر على الفريق العمرى ووصفه بأنه سريع الغضب متوتر الأعصاب ، واعترض السادات على الأستاذ نعمان ووصفه بأنه يميل إلى استبدال الجمهورية بدولة إسلامية ، وهو ما كانت تدعو إليه السعودية . وقالوا أنهما يعرفان رأى السلال فى العمرى ونعمان كما يعرفان مدى استحالة التفاهم فيما بينه وبين الاريانى والجائفى .

قلت أن الموقف لا يحتمل مجاملة زيد أو ملاطفة عمرو ، فاليمن قد تمزقت أوصالها وتوترت أعصابها وتفرقت فيها أيدي سبأ ، بعد أن تركت القوات المصرية تحارب وحدها بغير أمل ممكن ، وتضرب الرأس فى جبل هدف مستحيل ، فى ظروف إقليمية ملتهبة ، تقترب فيها أعواد الثقاب الدولية من براميل البارود العربية .

فى مثل هذه الظروف المهيبة للاشتعال الشامل فى كل لحظة تمر بها ينبغى علينا أن نعمل فوراً على تفادى الحريق ، وإزالة كل العقبات من هذا الطريق .

طال الحوار الذى لم يضق به صدر الرئيس ، وانتهى تناول طعام الغذاء على مائدته فى استراحته الصيفية بشاطئ المعمورة بالإسكندرية ، وتحمل المشير عامر مسئولية التفكير فى إيجاد الصيغة المناسبة لعودة السلال والبيضانى إلى اليمن ، فى إطار الاستفادة الممكنة من الإريانى والعمرى ونعمان مع التسليم بأهمية عودة اللواء حمود الجائفى إلى اليمن .

وبينما كنت أتأهب للعودة إلى اليمن زارنى أنور السادات ، وقال أن الرئيس عبد الناصر استخلص من التقارير التى وصلت إليه أخيراً من اليمن أن المجموعة الحاكمة فى صنعاء تعارض فى عودة السلال إليها ، وتندر بإسقاط طائرته إن هى حلت فوق مطار

صنعاء لتدفنه تحت أرضها وكان على رأس هذه المجموعة الحاكمة الفريق حسن العمرى عضو مجلس الرئاسة ورئيس مجلس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة ، الذى كان يسانده فى هذه المعارضة القاضي عبد الرحمن الاريانى عضو مجلس الرئاسة ، والأستاذ أحمد محمد نعمان العضو الثالث فى ذلك المجلس ، وكان من خلف هؤلاء معظم أعضاء مجلس الوزراء وعدد من قادة أسلحة الجيش اليمنى .

استحسن الرئيس عبد الناصر أن أتأخر فى القاهرة حتى يعود السلال إلى اليمن ويواجه خصومه الشخصيين بمساعدة القوات المصرية حيث ينبغى ألا أظهر على مسرح صراع شخصى لم أكن طرفاً فيه .

لم يزعجنى رأى عبد الناصر وإنما أزعجتنى التقارير التى وصلت إليه من صنعاء ، لأنها تدل على أن المسؤولين المصريين لم يشرحوا للمجموعة الحاكمة فى صنعاء مدى خطورة الموقف الذى يحيط باليمن ومصر والأمة العربية ، ولم يوضحوا لها أن المتغيرات اليمنية والعربية والدولية تقتضى إعادة الحسابات السياسية لتوحيد الصفوف الجمهورية ، ولم يطلعوا هذه المجموعة على تفاصيل النظام الجديد الذى سوف تتوزع فيه المسؤوليات على نواب رئيس الجمهورية توزيعاً حقيقياً لا صورياً . قال السادات أن المشير عامر يؤيد السلال فى عدم التعاون مع العمرى والجائفى ولذلك لم يضغط عليه حتى يقبل النظام الجديد المقترح ، لا سيما أنه شخصياً ، أى السادات ، لا يرى فائدة من إسناد أى منصب إلى نعمان ، أما الاريانى فإنه لن يرضى بغير إزاحة السلال ، ولا يستطيع الجائفى أن يتواجد فى اليمن بينما لا تطمن القيادة المصرية فى اليمن إلى شخص عسكرى يزاحم السلال ، وأضاف السادات بأنه ينصحنى شخصياً بالتريث فى مصر كما نصحنى عبد الناصر .

فهمت بكل وضوح أن المشير عامر ، الذى كان صاحب الأمر فى اليمن وضابط الأيقاع فى مصر ، يفضل أن يحرك الأحداث فى اليمن برجل واحد لا ينطلق إلا بلسان المشير ، ولا يتحرك إلا بمشيئته بغير نائب يستعرض قنراته ولا رئيس وزراء يناقش قراراته .

أطلعنى السادات على أسرار التقارير التى وصلت من اليمن إلى الرئيس عبد الناصر ، وكانت خلاصتها أن المجموعة اليمنية الحاكمة فى صنعاء اتجهت إلى إحراج الوجود المصرى فى اليمن بالمطالبة العلنية والرسمية بإعادة القوات المصرية إلى مصر .

لم تفاجئنى هذه الأسرار لأنها كانت نتائج طبيعية وحتمية لسلوك بعض العناصر المصرية المتحكمة فى الشؤون اليمنية خلال الأربع سنوات التى انقضت منذ قيام الثورة .

لقد أسهمت هذه العناصر ، عن عمد ، فى تفتيت صفوف الثوار اليمنيين ، وجعلتهم يشعرون بأنهم غرباء فى بلادهم متطفلون على إدارة شئونهم ، فضاق صدرهم بالصوابية المصرية فلم يبالوا بسقوط الجمهورية ، بعد أن سقطت عنهم الشخصية اليمنية والوطنية .



سافر السلال إلى صنعاء يوم ٢١ أغسطس ١٩٦٦ وتحركت مدرعات الفريق العمرى إلى المطار لإسقاط الطائرة المصرية التى كانت تحمل السلال إلى اليمن .

وبناء على تعليمات المشير عامر تحركت القوات المصرية إلى نفس ذلك المطار بقيادة اللواء طلعت حسن قائد تلك القوات فى ذلك الوقت ، ووجهت إنذارا إلى الفريق العمرى بسحب مدرعاته من المطار ، فاضطر العمرى إلى الاستجابة لطلبات اللواء طلعت حسن الذى كان مكلفا بأن يحافظ على شكل الصف الجمهورى فى صنعاء تحت رئاسة السلال المنفردة ، والمستأنسة .

وفشلت جهود طلعت حسن وظهرت نوايا السلال الإنتقامية ، المستندة إلى العناصر المصرية المؤثرة واتجه السلال إلى الفتك بالفريق العمرى وبقيّة أعضاء مجلس الرئاسة ، الذين عارضوا عودته إلى اليمن وأضمر شرا للقيادات العسكرية اليمنية التى وقفت خلف العمرى وزملائه ، مما اضطرهم جميعا إلى مغادرة صنعاء والإلتجاء إلى مدينة تعز .

واصلوا فى تعز الليل بالنهار باحثين عن أفضل رد فعل من جانبهم تجاه القوات المصرية ، التى فرضت عودة السلال إلى اليمن حتى يعود إلى الإنفراد بالسلطة رغم أنفهم .

قال بعضهم أنهم ينبغي عليهم السفر إلى الأمم المتحدة لتقديم شكوى ضد الوجود العسكرى المصرى فى اليمن ، الذى أصبح يدير الشؤون الداخلية للجمهورية علاوة على التحدث بإسمها فى مجال العلاقات الدولية ، والزج بها فى صراعات عالمية وعربية لا تتفق مع المصلحة اليمنية وظروفها الموضوعية .

ورأى أحدهم السفر إلى بيروت لعقد مؤتمر صحفى يشرحون فيه شكواهم من القيادة العسكرية المصرية .

واقترح آخرون الاكتفاء بالسفر إلى مدينة أسمرة بالصومال وترك اليمن للسلال . وفى حديث خاص مع الأستاذ أحمد محمد نعمان قال لى أن (القاضى عبد الرحمن الارياىنى أقترح السفر إلى مصر للتفاهم مع المشير عامر فإذا أقنعوه عادوا إلى صنعاء وإذا فشلوا فى إقناعه أقاموا فى القاهرة ، ولم يوافق الارياىنى على التشهير بالوجود العسكرى فى اليمن إحتراما للشهداء المصريين ووفاء لجمال عبد الناصر) .

وإننى أصدق رواية نعمان لأن هذه فعلا طبيعة ونكاه الارياىنى .

طلبوا من اللواء طلعت حسن طائرة مصرية تنقلهم إلى القاهرة ، حيث وصلوا إليها يوم ٩ سبتمبر ١٩٦٦ ولم يجدوا مصرية رسميا واحدا ينتظرهم في المطار ، وهم أعضاء المجلس الجمهورى ورئيس وزراء اليمن وقائد عام قواتها المسلحة ومحافظ تعز ونحو خمسين رجلا من الوزراء وقادة أسلحة الجيش اليمنى ، فذهب كل منهم إلى المكان الذى اختاره لإقامته .

ومضى أسبوع دون أن يلتقى بهم مسئول مصرى حتى جاءهم فى مساء يوم الجمعة ١٦ سبتمبر ١٩٦٦ رسول يقول لهم أن المشير عامر يريد مقابلتهم ، فذهبوا جميعا إليه إلا الأستاذ أحمد نعمان الذى أراد أن يطلق السياسة بغير رجعة ، حيث لا تتحمل أعصابه المغامرات العنيفة ولا يتسع صدره للمراهقات الخطيرة .

عندما وصلوا إلى حيث قادهم الرسول عرفوا أن الذى ينتظرهم هو السيد شمس بدران وزير الحربية وليس المشير عامر ، فرفض الفريق العمرى أن يدخل إلى مكتبه ، وعاد إلى بيته وكان بصحبته القاضى الاريانى ، أما الآخرون فكانوا قد سبقوا إلى مقاعدهم أمام مائدة شمس بدران التى وضع عليها إحدى الصحف اللبنانية التى كتبت مقالا بغير توقيع تعلن فيه قرب قيام انفصال يمنى ضد الوجود المصرى على غرار الانفصال السورى ضد الوحدة المصرية السورية ، ولنفس أسباب ذلك الانفصال ، وهى قيام القيادة المصرية بتجريد اليمن من شخصيتها الوطنية ، كما سبق أن جردت سوريا من شخصيتها السورية مركزة كل غضبها على شخص المشير عامر .

وجه شمس بدران السؤال إلى الحاضرين عن اسم صاحب المقال ، ولما بدأ عضو مجلس قيادة الثورة العقيد على سيف الخولانى فى شرح الموقف أسكتته شمس بدران بألفاظ عنيفة اضطرتة إلى الخروج من القاعة ، فتبعه جميع الحاضرين وتوجهوا إلى مبنى السفارة اليمنية ، وذهب بعضهم إلى بيت الأستاذ أحمد محمد نعمان .

وبينما كانوا يفكرون فى مغادرة القاهرة جاءهم رسول آخر فى نفس تلك الليلة بدعوتهم إلى مقابلة المشير ، فذهب معهم هذه المرة الأستاذ نعمان حيث وجدوا أنفسهم داخل السجن الحربى وجها لوجه أمام العميد حمزة البسيونى ، الذى قاد عددا منهم إلى زنانات ضيقة لا يكاد طولها يتسع لأحدهم إن هو مد ساقه حتى آخرها .

وتفرق الخمسون الآخرون على بقية السجون ، التى لا تمتاز على السجن الحربى إلا بأنها تستضيف النشالين واللصوص والجواسيس وتجار المخدرات .

ولعل كلمات الاريانى قد شغعت له فاكتفى شمس بدران بحراسته فى بيته ومنعه من مغادرة القاهرة .

كان شمس بدران قد سيطر على السلطة فى مصر باسم المشير ثم استولى على المشير باسم المشير حتى أصبح صاحب القرار الأول والأخير .

كان الذين سجنهم شمس بدران في مصر لا يزالون هم القيادات الرسمية في اليمن ، فهم أعضاء مجلس الرئاسة الحاكم ورئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة ، وعدد من الوزراء والقيادات العسكرية ، وعندما تبين شمس بدران هذه الحقيقة نفخ في السلال من روحه حتى أصدر يوم ١٨ سبتمبر ١٩٦٦ قراراً بإلغاء مجلس الرئاسة وإقالة وزارة العمرى وتشكيل وزارة جديدة برئاسته شخصياً .

حزنت أشد الحزن عندما سمعت ذلك الخبر ، لأننى لا أوافق مصر على اعتقال قيادات اليمن مهما اختلفت مصر معهم في الرأي .

لا شك في أن هذه القيادات نفسها قد أخطأت خطأ وطنياً قاتلاً حين أقرت اعتقالاً في مصر سنة ١٩٦٣ فأعطت لمصر شرعية اعتقالهم سنة ١٩٦٦ .

غير أننى لم أحمل عليهم ميلاً إلى الانتقام والتشفى ، وإنما حملت لهم قمة الغضب من أجلهم ، وأخذت أطرق الأبواب سعياً إلى الإفراج عنهم ، ربما لم يكن ذلك حياً جارفاً لهم ، وإنما كان دفاعاً مستميتاً عن شخصية اليمن ، وحفاظاً أميناً على تاريخ مصر .

ذهبت فوراً إلى السادات كى يذهب معى إلى عبد الناصر سعياً وراء إقناعه بالإفراج عنهم ، فقال السادات إن المشير عامر قد سبقنا إلى عبد الناصر وأبلغه بأن السلال أرسل إلى مصر يطلب تسليمهم إليه وأن المشير قد وافق على ذلك ، حتى يقوم السلال بإعدامهم فى صنعاء بتهمة الخيانة العظمى ، فرفض عبد الناصر واكتفى ببقيانهم فى السجون إلى أن تعود القوات المصرية من اليمن ، عندما تستطيع أن تعود منها ، ونصحنى السادات بألا أفتح ذلك الموضوع مع عبد الناصر لأن الأسباب السياسية والمبررات الوطنية والقواعد القانونية التى استند إليها قد تضاعف من حيرة عبد الناصر ، فيوافق على رأى المشير عامر ويسلمهم إلى السلال .

وفى مؤتمر شعبى عقده السلال فى تعز يوم ٢٩ سبتمبر ١٩٦٦ ألقى خطاباً نارياً أعلن فيه (ثورة عارمة على كل من يحاول المساس بالثورة والجمهورية .. وأنه لا بد من إكتساح كل عميل) وكان ذلك إشارة واضحة إلى الفريق العمرى والأستاذ نعمان وزملائهما المسجونين فى القاهرة . (الأهرام ٣٠ سبتمبر ١٩٦٦) . كما أعلن فصل الأستاذ محسن العينى من منصبه كرئيس لوفد اليمن فى الأمم المتحدة وسفيرها فى واشنطن ، وإسماعيل الجرافى مندوب اليمن فى الجامعة العربية ، والدكتور محمد سعيد العطار رئيس مجلس إدارة البنك اليمنى للإنشاء والتعمير ، ومصطفى يعقوب سفير اليمن فى القاهرة ، ومحمد أحمد نعمان السفير اليمنى المتجول ، علاوة على فصل ٧٢ من موظفى الدولة المدنيين و ٤٢ من القيادات العسكرية كما اعتقل أكثر من ألفى معتقل حتى ضاقت بهم السجون اليمنية .

لم يكن مع السلال ولا المخابرات المصرية دليل واحد يدين القيادات الجمهورية بأنها تأمرت عليها ، وأخص بالذكر القاضى عبد الرحمن الاريانى والفريق حسن العمرى اللذين لا جدال فى أنهما من المدافعين عن الجمهورية ، وعن الشخصية اليمنية واعترف بأننى أؤيدهما فى ذلك وبغير أى تحفظ .

وفجأة أعلن السلال إعادة جنسيتي ثم تعييني سفيرا في لبنان .

أراد السلال أن يرضيني بهذا القرار ويسعد أصدقائي من أبناء الشعب اليمني ، على أساس أن الفريق حسن العمرى الذى وقع على قرار سحب جنسيتي لاتهامى ظلما بالطائفية قد دخل السجن فى مصر ، ومطلوب إعدامه فى صنعاء لارتكابه جريمة الخيانة الوطنية ، وكثيرا ما كان السلال ينفى مسئوليته عن قرار سحب جنسيتي الذى اتخذه العمرى أثناء غيابه عن صنعاء ، وكثيرا ما كنت أقول للسلال أن ذلك القرار غير ذى أثر لأنه جاء مخالفا للنصوص الدستورية وصدر فى ظروف عصبية ، وكنا جميعا قد نسينا ذلك القرار وزارنى الفريق العمرى مع المشير السلال فى بيتى بالقاهرة عشرات المرات ، عندما كانا يزوران مصر فى زيارتهما التى لم تتوقف قبل أن يذهب كل منهما إلى طريق ، فلم يكن هناك أى داع لإصدار قرار بعودة هذه الجنسية التى لم تسحب فعلا ، فضلا عن ثقتي فى شعور العمرى نحوى (الوثيقة رقم ١) .

غير أن السلال الذى لم يحلم فى الإسكندرية بأن يصل ذات يوم إلى صنعاء قد وجد نفسه مفروضا على قلبها ، جاثما فوق صدرها ، فى حماية العناصر المصرية التى اصطدمت مع سياسة البيضاني فى اليمن ، ثم ضاقت ذرعا بالعمرى والاربانى ونعمان وبقية القيادات العسكرية والسياسية اليمنية ، فالتفت مع عودة السلال إلى الأفراد بالسلطة الشككية ، تاركا لها مقاليد الحكم الحقيقية ، واتفقت معه على إعلان عودة جنسيتي اليمنية إرضاء للذين طالبوا بعودتي إلى حكم اليمن ، ثم إعلان تعييني سفيرا فى لبنان إرضاء لعبد الناصر الذى كانت رياح الصداق - الذى لم يكن يفارق رأسه - تهب عليه من بيروت .

وأذكر أننى أسفت لسياسة السلال ، وأشفقت على مستقبل اليمن ، وأدركنى اليأس من قدرة عبد الناصر على الابتعاد بمصر عن مسار الكارثة ، التى كانت معالمها الواضحة لا تحتاج إلى برهان ، وكانت خطوطها المستقيمة تنتهى حتما إلى البركان .

أعذرت للسادات عن عدم قبولى العمل سفيرا للسلال ، فأجهد نفسه فى إقناعي بأن ذلك عمل مؤقت حتى تمر الأزمة السياسية فى صنعاء ، ولا أكون مسئولا عن المعتقلين اليمنيين فى مصر . وعندما بلغ إلى علم السلال إعتذاري عن قبول ذلك المنصب أصدر قرارا بتعييني رئيسا للوفد اليمنى فى الاحتفال بثورة الجزائر ، وطلب منى إقناع الرئيس هوارى بومدين بعدم مساعدة الجزائر للعناصر اليمنية التى انشقت عن الجمهورية ، وكان على رأسها سفير اليمن المتجول الأستاذ محمد أحمد نعمان ، بينما كانت زوجتى تعاني من مرض مفاجئ ألزمها الدخول إلى غرفة الإنعاش بمستشفى القوات المسلحة بالمعادي ، وكان ذلك سببا وجيها للإعتذار عن السفر إلى الجزائر ، غير أن الدكتور حسن صبرى الخولى الممثل الشخصى للرئيس عبد الناصر أقنعنى برغبة الرئيس بضرورة سفرى إلى هوارى بومدين للقيام بهذه المهمة الوطنية العاجلة مؤكدا أن مصر ، بعد الله ، سوف تتولى العناية بزوجتى فى المستشفى .

سافرت على رأس الوفد اليمنى إلى الجزائر ونجحت مهمتى مع الرئيس هوارى بومدين وأرسلت عنها تقريراً إلى السلال وتوقفت فى القاهرة معتذرا عن السفر إلى لبنان فأرسل إلى السلال خطابا شخصيا ونصه :

صنعاء في ١٥/١١/١٩٦٦

عزيزي الأخ الدكتور عبد الرحمن البيضاني
تحية طيبة وتقديرا لكم ولعلمكم بخير ، أما بعد فقد تلقيت بوافر السرور والشكر
تقديركم عن مهتمكم الجليلة في الجزائر . وقد تأملت التقرير ببالح الاهتمام والتقدير ،
وإنني لأشعر بأنك أدبت لبلادك وشعبك خدمة عظيمة بإلقاء مزيد من الأضواء على
قضيتنا ، وتبديد الظلمات التي يحاول المنحرفون أن يحبطوا بها مصالح ومستقبل البلاد .
وقد كنت واثقا من نجاحك في هذه المهمة ، ومازلت واثقا من قدرتك الدائمة على
مواجهة أى نوع من المهمات يسند إليك .

وختاما أتمنى لكم دوام التوفيق
والسلام عليكم ورحمة الله

رئيس الجمهورية
عبد الله السلال



رئيس الجمهورية

صنعاء في ١٥/١١/١٩٦٦

عزيزي الأخ الدكتور عبد الرحمن البيضاني
تحية طيبة وتقدير ، أما بعد فقد تلقيت بوافر السرور والشكر
تقديركم عن مهتمكم الجليلة في الجزائر . وقد تأملت التقرير ببالح الاهتمام والتقدير ،
وإنني لأشعر بأنك أدبت لبلادك وشعبك خدمة عظيمة بإلقاء مزيد من
الأضواء على قضيتنا ، وتبديد الظلمات التي يحاول المنحرفون أن يحبطوا بها مصالح
ومستقبل البلاد . وقد كنت واثقا من نجاحك في هذه المهمة ، ومازلت
واثقا من قدرتك الدائمة على مواجهة أى نوع من المهمات يسند إليك .
وختاما أتمنى لكم دوام التوفيق
والسلام عليكم ورحمة الله

عاد السادات يقتنعى بالسفر إلى لبنان تنفيذا لرغبة الرئيس عبد الناصر الذى طلب منى التصدى للتيارات المعادية لمصر واليمن ، والتي تنطلق من بيروت التى وصفها عبد الناصر بأنها (طنجة العربية) أى مركز المؤامرات الدولية ، فافتنعت بذلك بعد أن أمر الرئيس عبد الناصر بأن أستخدم جميع إمكانيات السفارة المصرية فى بيروت ، واشترطت أن يكون عملى هناك عملا مؤقتا ينتهى بتحقيق أهدافه فى ذلك الموقع الأمامى من خطوط الدفاع العربية .

ابتعدت ، كما نصحنى عبد الناصر والسادات ، عن مسئولية ما كان يجرى فى اليمن على يد السلال وإيسمه من تدهور مستمر فى السياسة الاقتصادية الخارجية ، وتهور فى السياسة الداخلية من إعتقالات وتعذيب وتصفيات جسدية حيث طارد ، قبل أن ينتهى عام ١٩٦٦ ، معظم القيادات اليمنية الجمهورية ، إما فى السجون المصرية أو المعتقلات اليمنية ، وإما فى الجبال محاولا إرهابهم ثم قتلهم ، ولم يبق معه مؤيدا لهذه السياسة سوى عبد الله جزيلان الذى تولى مطاردة من بقى على قيد الحياة من الضباط الأحرار الذين اشتركوا فى القيام بالثورة ، حتى يصفى معهم حساباته الشخصية القديمة التى جعلتهم لا يشركونه فى الإعداد لها والإطلاع على أسرارها . فعندما لاحت له فرصة تصفية هذه الحسابات تصفية جسدية اتهمهم بخيانة الثورة وهم الذين قاموا بها ، ووصفهم بالتآمر على الجمهورية وهم الذين قاتلوا من أجلها ، واستغل عدم معرفة القيادة العسكرية المصرية شيئا عن أدوارهم الثورية الحقيقية فاستعداها عليهم ، واستخدم إمكانياتها لإزهاق أرواحهم ، وكان فى مقدمة المغضوب عليهم النقيب حمود بيدر والنقيب على الجائفى والنقيب عبد الكريم السكرى والنقيب عبد الله السكرى وغيرهم من الزعماء الثوريين الجمهوريين أمثال الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر والأستاذ على المطرى والشيخ محمد الغشمى ، وكانوا جميعا محتمين فى الجبال ، بينما تتولى قوات الأمن المركزى نهب بيوتهم وإهانة ذويهم وإهدار كرامتهم ، حتى أن الشيخ محمد الغشمى ذهب ينوب عنهم إلى العقيد أركان حرب صلاح المحرزى ، الذى كان المشير عام قد وافق على إرساله إلى اليمن قائدا لمنطقة ضوران ، التى على بعد أربعين كيلو مترا شمال صنعاء يبلغه بأن تلاميذه السابقين والضباط الثوار الحاليين والهاربين فى الجبال من غدر السلال وبطش القوات المصرية ، التى غرر بها جزيلان ، يريدون الإحتماء به والشكوى إليه والاستعانة بشهادته بأنهم ضباط الثورة وحماة الجمهورية وتلاميذ البعثة العسكرية المصرية .

حزن المحرزى عندما سمع ذلك الخبر واستدعى بعضهم ليعرف منهم تفاصيل قضيتهم ، وبينما كان مجتمعاً بهم فى ضوران وصله أمر من القيادة المصرية فى صنعاء بالقبض عليهم تنفيذا لطلب صدر من نائب رئيس الوزراء عبد الله جزيلان ، فشرح المحرزى للقيادة المصرية حقيقة ما كان يحيط بهذا الموضوع من بواعث شخصية ، لا تتفق مع مصلحة الجمهورية والسياسة المصرية ، وسافر إلى صنعاء والتقى بالقائد العام اللواء طلعت حسن الذى اقتنع بما سمعه من صلاح المحرزى ، وكلفه بأن يزور عائلاتهم فى صنعاء لتقديم الضمانات اللازمة لحمايتهم وتعويضهم عما وقع عليهم . وتولت الشرطة العسكرية المصرية حماية بيوتهم .



المؤلف عند وصوله إلى لبنان سفيراً للجمهورية العربية اليمنية (نوفمبر ١٩٦٦) .

وعندما عاد العقيد صلاح المحرزى إلى منطقة قيادته فى ضوران جاءه النقيب على الجانفى ومعه رسالة من الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر والنقيب حمود بيدر تؤكد ولاءهما للثورة والجمهورية ، مما لا يحتاج إلى تأكيد بصرف النظر عن إنقلاب السلال وغدر جزيلان ، وقدم إليه ورقه بخط يد جزيلان يكلف فيها أحد المجرمين باغتيال النقيب حمود بيدر (سفير اليمن فى ألمانيا الشرقية حاليا) الذى كان فى ذلك الوقت رئيسا لأركان حرب القوات الجمهورية المسلحة .

كانت هذه الورقة سببا فى هروب النقيب حمود بيدر إلى عدن ، ثم وصوله إلى سوريا ، وعندما بلغ ذلك إلى علم المشير عامر أرسل إلى خطابا فى بيروت يطلب منى البحث عن حمود بيدر وإبلاغه تحيات المشير ودعوته للإقامة فى القاهرة ضيفا عزيزا على الحكومة المصرية ، تقديرا لدوره البطولى فى قيام الثورة ودوره الشجاع فى الدفاع عنها .

وأحمد الله أننى عثرت بسهولة على حمود بيدر وأبلغته رسالة المشير عامر ، التى على أثرها وصل إلى القاهرة ضيفا عزيزا عليها ، غير أن برقية أخرى وصلتنى من بيروت تتضمن معلومات مفزعة عن وقوع عمليات تعذيب رهبية راح ضحيتها عدد من شيوخ ورؤساء القبائل وعلماء اليمن ، ومن بينهم رفيق السلاح أحمد ناجى العدنى ، الذى حبسوه فى زنزانة مظلمة فى أحد السجون الموحشة وعلقوه من قدميه وألقوا عليه الماء المغلى بأوامر مشددة من عبد الله جزيلان نائب رئيس الوزراء ومساعدة بعض العناصر المصرية ، مما جعلنى أسرع بإرسال إستقالتى برقيا إلى المشير عبد الحكيم عامر الذى كان المسئول الفعلى عن حكم اليمن .

أرسلت هذه الإستقالة بواسطة السيد محمد كوثر المستشار السياسى بالسفارة المصرية فى بيروت وهو المسئول عن الاتصالات الرمزية مع الجهات العليا فى القاهرة (أمين برئاسة الجمهورية المصرية حاليا) . أوضحت فيها للمشير عامر أننى سوف أقوم بتسليم مهام السفارة اليمنية فى لبنان إلى وزيرها المفوض الأستاذ على عبد الحق .

جاءنى الرد فى نفس اليوم بتوقيع الدكتور حسن صبرى الخولى الممثل الشخصى للرئيس عبد الناصر ، يبلغنى بأن المشير عامر ينتظرنى فى بيته فى اليوم التالى ، ويطلب منى التريث فى موضوع الإستقالة .

وصلت فى الموعد المحدد إلى بيت المشير عامر بصحبة الدكتور حسن صبرى الخولى وأطلعت المشير على ما وصلنى من اليمن ، وما جعلنى عاجزا عن تمثيل هذا النظام فى الخارج والقيام بأى عمل مفيد فى الداخل ، مما يفرض على العودة إلى بيتى فى القاهرة .

قال المشير أنه سوف يأمر بالتحقيق فورا فى هذه الأعمال غير الإنسانية ، وطلب من الدكتور حسن صبرى الخولى أن يتولى ذلك التحقيق شخصا ، لما عرف عنه من دقة فى استخلاص الحقائق ونزاهة فى إبداء رأى .

ومع بداية عام ١٩٦٧ إكتمل الإنهيار الذريع للوجود المصرى فى اليمن ، واتضح للعالم أن المصيدة السوفيتية قد أغلقت قضبانها على عنق الزعامة المصرية ، ولم يبق أمامها بعد ذلك سوى ضربة الرحمة الأخيرة التى ترحم رأسها المستلقى فى مصر .

وجاءت اللمسات الأخيرة بضربة الرحمة هذه فى صورة إجراءات وقرارات وخطب وبيانات ، روجت لها قوى الشرق التى كانت تحمل السيف ، فأقتربت برقية الزعامة المصرية من قوى الغرب ، التى كانت تحرس المقصلة .

من دروس الأزمة

إن كثيرين لم يتكلموا حين كان
واجبهم يقضى عليهم أن يتكلموا
ومن هنا فلسوف يبقى أهم الضمانات
في نظري أن يكون في الوطن دائماً
ذلك الفرد المؤمن الذي يقول كل
ما يريد قوله ، حتى إذا أعطى رأسه
ثمناً لإيمانه

جمال عبد الناصر

١٨ نوفمبر ١٩٦٨

سيف الشرق ومقصلة الغرب

الفصل السادس عشر



تطور الموقف المصرى فى اليمن تطورا خطيرا حين أفصح الرئيس عبد الناصر عن نيته العسكرية فى الزحف على السعودية تحديا للولايات المتحدة الأمريكية ، فتبينت أمريكا أن سياسة (تحمل نتائج عملك) التى مارسها - بنفس طويل - مع عبد الناصر قد بدأت تتطور لصالح الإتحاد السوفيتى ، مما أعتبرته أمريكا خروجاً على توازن اللعبة الدولية فى الجزيرة العربية .

اتضح لأمريكا أن سياسة النفس الطويل التى مارسها مع عبد الناصر فى اليمن قد أعطت نفساً أطول للإتحاد السوفيتى فى الجزيرة العربية ، فقررت أن تختصر الطريق الذى يعيد عبد الناصر إلى الحياد الإيجابى الذى كان أحد أقطابه ، فضاغت من ضغوطها الإقتصادية على مصر ، وكانت تعلم علم اليقين أن الإتحاد السوفيتى لم يكن يمول سوى جزء يسير من نفقات الحملة المصرية فى اليمن وتطلعاتها فى الجزيرة العربية ، وأن شعب مصر من جماهير العمال والفلاحين هو الذى كان يدفع معظم ثمن هذه الحملة وتوسعاتها ، بينما كان فى حاجة إلى معونة القمح الأمريكى أكثر من حاجته إلى معونة السلاح الروسى ، الذى يستهدف أولاً وأخيراً أن يسيطر على الساحة العربية ، تحت راية القضية الفلسطينية أحيانا ، وبإسم الثورة اليمنية أحيانا ، وفى ثياب التقدمية والإشتراكية والتصدى للإمبريالية فى كل الأحيان .

استثمرت أمريكا تفافم المشكلة الإقتصادية فى مصر ، واشترطت لتقديم معونة القمح شروطاً تعرف مقدماً أن عبد الناصر لا يقبلها حتى أضطرته إلى أن يقول فى ٢٢ فبراير ١٩٦٧ أن (الإستجابة للشروط الأمريكية من أجل إمدادات القمح لا تعنى فى النهاية سوى الخضوع الكامل للأمريكيين) (مجموعة خطب الرئيس - القسم السادس صفحة ٦٣ - ٦٤) .

واستعرض الأستاذ محمد حسنين هيكل عبقرية الفذه ، وحكمته الملهمة ، فى مقال كتبه فى صحيفة الأهرام يوم ٢٤ فبراير ١٩٦٧ يشرح ما رد به على الفريد فريندلى رئيس تحرير واشنطن بوست الأمريكية ، حول أسباب تدهور العلاقات الأمريكية المصرية فقال :

(إنه تأييدكم الدائم للرجعيين العرب ، فبالفعل كنتم دائما وراءهم بالتأييد بل كنتم في كثير من الأحيان قبلهم بالتمهيد ، وفي كل الأحوال كان التخطيط والاهداف النهائية أهدافكم ، وهم على أى حال أصدقاؤكم وأن كانوا في النهاية يصبحون ضحاياكم ، وبكل ما تمثلونه فإن صداقتكم أصبحت نقمة على الأصدقاء كما أن عداوتكم أصبحت نعمة على الأعداء) . (ثم استطرد موجهها كلامه إلى الأمريكيين قائلا) (أنها أسباب قديمة كانت وما زال وسوف تبقى فوقها مضاعفات طارئة لم تعد مجرد حماقة القوة الصادرة عن منطق الغبي ، وإنما تحولت إلى حماقة القوة بكثرة التهور والتورط إلى مركب شرير خطير) .

استجابة لحكمة الأستاذ هبكل ، وتحت ضغط العناصر المصرية ذات العلاقات السوفيتية ، أعلن عبد الناصر في مارس ١٩٦٧ سحب طلب مصر تجديد إتفاقية المعونة الأمريكية الذي كانت قد قمنته مصر في يناير ١٩٦٦ لتزويدها بالقمح مدة ستة أشهر ، تنتهى في يونيو ١٩٦٦ وظل معلقا في واشنطن طيلة ذلك الوقت ، حتى ألغاه الرئيس في مارس ١٩٦٧ في وقت معاصر لوقوع حوادث انفجارات في السعودية نسبها إتحاد شبه الجزيرة العربية إلى نفسه ، حين أعلن مسئوليته عن الانفجارات التي أصابت أجزاء من أنابيب بترول التابلاين ، ومقر القيادة العسكرية الأمريكية في الرياض ومبنى الأمن العام في الدمام والقاعدة الجوية في منطقة خميس مشيط بالسعودية ، مما جعل السلطات السعودية تقوم في ١٧ مارس ١٩٦٧ بإعدام نحو عشرين من اليمنيين الذين اتهمتهم بإرتكاب هذه الأعمال بتحريض من السلطات المصرية .

وتحديا للولايات المتحدة الأمريكية سمح الرئيس عبد الناصر لضيفه الملك السابق سعود فوجه كلمة إلى الشعب السعودي في ٢٠ مارس ٦٧ من إذاعة صوت العرب قال فيها أنه (لا يستطيع أن يلتزم الصمت إزاء وجود قوات أجنبية في السعودية ، وأن واجبه الوطني يحتم عليه العمل على علاج الأوضاع السعودية وإعادة البلاد للركب العربي الصحيح) (الأهرام ٢١ مارس ١٩٦٧) وكان يشير بذلك إلى القاعدة الأمريكية في السعودية التي أراد عبد الناصر أن يضغط على الولايات المتحدة بالتصدي لها والتشهير بها ، بعد أن انضم الملك السابق سعود إلى خندق الاشتراكية العلمية ، ونسى أنه كان أول من تصدى للثورة اليمنية الإسلامية .

ثم وصل الملك السابق سعود مع المشير عامر إلى صنعاء في ٢٣ إبريل ١٩٦٧ حيث أعلن من إذاعة صنعاء (إقراره بإسم الشعب السعودي بأكمله بالنظام الجمهوري في اليمن) وبإلته فعل ذلك عند قيام الجمهورية اليمنية ، لأنه لو فعل ذلك في وقته المناسب فإنه يكون قد حقن الكثير من الدماء اليمنية والمصرية والسعودية وحافظ على كيان الشخصية العربية ، وربما أحتفظ بعرشه في السعودية .

وعندما عقد المشير عامر مؤتمرا شعبيا في صنعاء في ٢٤ إبريل ١٩٦٧ حضره الملك السابق سعود خطب السيد عبد القوى مكاي أمين عام جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل فقال :

(إننا اليوم نواجه مؤامرة لفصل العمل الذي برهن أنه إنجليزي أكثر من الإنجليز أنفسهم ، ولذلك يجب علينا أن نحارب من أجل إزالته من الوجود .. إن بريطانيا وفصل يعملان على تثبيت حكم السلاطين والإقطاعيين) .

أثارت كلمة مكاي حماس الملك السابق سعود فوقف قائلا :

(إننى مصر على إستعادة عرشى مهما كان الثمن) وبعدئذ ختم المشير عامر وقائع المؤتمر الشعبى معلنا إنتقال الحرب الدفاعية فى اليمن إلى حرب هجومية على السعودية وقال (لا بد أن نعلم أن وضعنا ليس سلبيا للدفاع عن الثورة اليمنية ، تلك المرحلة انتهت ولا بد أن يتحول وضعنا إلى وضع هجومى ، وهناك تخطيط لهذه العملية من ناحية الوضع العام وإتصاله بفصل .. وأعتقد أن سعود له ناس وكل هذه العوامل مقلقة لفصل .. إلى أن تأخذ الأمور مداها ويجب أن ننقل سياستنا إلى وضع هجومى فى كل شئ وفى كل إتجاه) (الأهرام ٢٨ إبريل ١٩٦٧) .

هكذا أوضح المشير عامر ، باسم مصر ، إن الدفاع عن الجمهورية اليمنية لم يعد الغاية من إستمرار الوجود العسكرى المصرى فى اليمن ، وإنما أصبح الوسيلة التى من خلالها تنطلق الحرب الهجومية على المملكة العربية السعودية ، تأكيداً لما أوضحه الرئيس عبد الناصر يوم ٧ مايو ١٩٦٦ حين قال فى المؤتمر الصحفى الذى عقده مع الرئيس اليوغوسلافى تيتو (إن السؤال الآن ليس هو اليمن وإنما مستقبل الجزيرة العربية كلها . إن السعودية بمعونة الدول الإستعمارية تريد أن تخضع الجزيرة العربية كلها لنظام إقطاعى) (الأهرام ٨ مايو ١٩٦٦) .

بعد ذلك وجه الملك السابق سعود كلمة أخرى فى ٢٦ أبريل ١٩٦٧ من صوت العرب بالقاهرة أوضح فيها للشعب السعودى أنه فى طريقه إلى عرش السعودية ووعد (بإحترام الإنفاقيات الدولية التى هى لمصلحة بلادنا وشعبنا) (الأهرام ٢٧ أبريل ١٩٦٧) .

وتفاقت الأزمة السياسية بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية ، حين أعلنت الحكومة اليمنية فى ٢٧ إبريل ١٩٦٧ إن طلقات من مدفع بازوكا إنطلقت فى إتجاه مستودع ذخيره للجيش اليمنى ، فاستعانت السلطات اليمنية بضباط المظلات المصريين ، كما استخدمت الكلاب البوليسية التى قادتها إلى داخل معسكر تابع للنقطة الرابعة الأمريكية الملحقة بالسفارة الأمريكية فى تعز . اقتحمت السلطات اليمنية المعسكر وألقت القبض على إثنين من الأمريكيين يدعيان ستيفنسون الياييس وهارولد هارتمان ، كما فتحت خزائن النقطة الرابعة واستولت على ما بها من وثائق ، فاحتجت الحكومة الأمريكية وطالبت بالأفراج عن المعتقلين الأمريكيين والتعويض عن الخسائر التى لحقت بمعسكر النقطة الرابعة وإستعادة الوثائق التى استولت عليها السلطات اليمنية .

سعود يعلن أنه مصرق على استعادة عرشه مهما كالت الثمن

صنعا - من رضا خليفة - شهدت العاصمة اليمنية أمس سلسلة من الاجتماعات السياسية والعسكرية الهامة ، اشترك فيها الملك سعود والرئيس عبد الله السلال والشريف عبد الحكيم عامر والسيد أنور السادات ، وشيوخ القبائل وعلماء الدين .

وقد تناولت هذه الاجتماعات في صنعا على الوجه التالي :

● عقد المشير عبد الحكيم عامر في الصباح مؤتمرا عسكريا كبيرا في مقر القيادة العربية ، حضره ضباط وجنود القوات العربية ونسبوه السيد أنور السادات والسيد شمس بدران والسيد حسن صبري الخولي واللواء طلعت حسن قائد القوات العربية .

● عند الظهر اجتمع المشير عامر والسيد أنور السادات مع شيوخ القبائل والعلماء ، وحضر الاجتماع الرئيس اليمني عبد الله السلال . وقد هنا المشير عامر رجال القبائل بالاستقرار الذي يسود اليمن الآن ودعمهم الى الحاققة على هذا الاستقرار ودعمه تحت قيادة الرئيس السلال . والقي الرئيس اليمني كلمة أكد فيها أن اليمنيين جميعا مجتمعون بوحدة واحدة في بناء بلادهم وتغييرها .

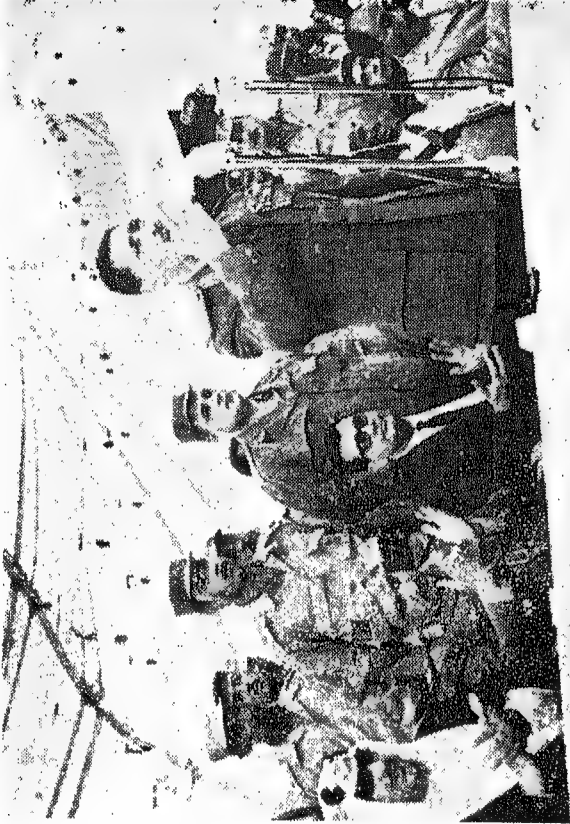
● ثم عقد الملك سعود والرئيس السلال اجتماعا آخر مع شيوخ القبائل ، أعان فيه الملك سعود أنه حضر على استعادة عرشه مهما كان الثمن . وندد الرئيس السلال بمؤامرات فيصل وخيانتة وازدعيه اليمنيين القهين في السعودية .

وقدما يلي تفاصيل ما دار في هذه الاجتماعات :

تحدث المشير عبد الحكيم عامر في اجتماعه مع شيوخ القبائل ، فتلهم بهم تحيات الرئيس جمال عبد الناصر وهنأهم بالاستقرار الذي يتبع به الشعب اليمني في هذه المرحلة الامر الذي يعرفه العالم كله . . . وقال ان هذا شيء يستعنا .

ودعا المشير الشعب اليمني الذي لانقصة القوة ولا السكاء الى المحافظة على هذا الاستقرار وتدعيمه بقيادة الرئيس السلال والحكومة الوطنية .

والقي الرئيس السلال كلمة رحب فيها بالمشير عامر والسادات ورفاقها وقال ان مشايخ البلاد وعلماءها قد وصلوا لتحية المشير عامر



المشير عامر يملأ في المؤتمر الشعبي الذي اقيم في صنعا - مستمتع ثورة الجنوب كما انتشرت ثورة اليمن - وعلى النسخة جالس : الملك سعود ثم الرئيس السلال والسيد عبد القوي عكوي والسيد أنور السادات .

الأهرام ٢٦ أبريل ١٩٦٧ (الصفحة الأولى)

مكاوى

فيصل الإنجليزي

أكثر من الانجيز

كما اننى السيد عبد القوي مكوى
أصبح عام جبهة تحرير جنوب اليمن الحقل
كأنه في الأثر ربه فيها بالقبول باسم
إبنائه الشهداء وتسلم شهاده الجيرب
والثامنين والدائنين وتسلم نجيب في
شخصية القائد البطل التسمي عامر
انتفاضة ثورة ٢٢ يوليو اننى اصاحه
للالة المريضة جدها والاحت بالانبرالية
وقال مكوى اننى اليوم نواجه مؤامرة
لتميل الميسل اننى برهن على اننى
انجيزي أكثر من الانجيز انقسم وذاك
وجب علينا ان نحارب من أجل ارائته
من الوجود وقال ان بريطانيا وفيصل
يعملان على تثبيت حكم السلاطين
والإقطاعين .

وأضاف مكوى يجب علينا ان نتميز
بوقوف الجمهورية العربية المتحدة اننى
تقم اننا كل المساعدات بدون حدود
وأشكر لؤيسفي الا ان الشجيرة المساعدات
والاصول البطانية اننى تقدم بعسا
الجمهورية العربية اليمنية بقيادة الرئيس
الملك السلا وقال اننى تؤمن بوحدة
الذين الطبيعية والالة العربية جميعا
بقيادة الرئيس عبد القاسم وانتم قتالا
هائلا على الرئيس عبد القاسم والوحدة
العربية والالة العربية والقومية العربية
وعلى الرئيس السلا .



السلا يعلن وده في يد السلاسمود في مؤتمرات فيصل ان يبلغ امهاتنا: في حال .

الأنهرام ٢٥ أبريل ١٩٦٧ (الصفحة الثالثة)

وبينما كانت أمريكا تتهم مصر بكسر خزائن السفارة الأمريكية للاستيلاء على وثائقها ، كانت حكومة اليمن تتهم أمريكا بالتآمر ضد أمن الجمهورية اليمنية فأحالت المتهمين الأمريكيين إلى محكمة أمن الدولة ، وأعلن السلال في ٢٨ أبريل ١٩٦٧ أنه (إذا كانت أمريكا قد تعودت أن تأمر وتنتهى فى أجزاء من شبه الجزيرة العربية فهناك أجزاء أخرى لا تملك أمريكا فيها أمرا ولا نهيا) .

فى نفس ذلك اليوم أجمع المستر نيس القائم بالأعمال الأمريكى فى القاهرة بمدير مكتب وزير الخارجية المصرية وطلب منه العمل على السماح بترحيل ١٥٠ من الرعايا الأمريكيين فى اليمن . وتم ترحيلهم فعلا من اليمن فى ٣٠ أبريل ١٩٦٧ على متن أربع طائرات وصلت منها ثلاث طائرات إلى تعز ووصلت الرابعة إلى صنعاء ، وتوجهوا جميعا إلى أسمره .

غير أن السلال فى ١٣ مايو ١٩٦٧ أمر بمحاكمة الأمريكيين موظفى النقطة الرابعة المتهمين بـ (إحداث تخريب فى منشآت عسكرية والمساس باستقلال البلاد والإضرار بأمن القوات المسلحة) بينما كانت الحكومة الأمريكية مهتمة بإستعادة الوثائق الأمريكية التى استولت عليها السلطات اليمنية وسلمتها للسلطات المصرية .

أثناء هجوم السلال على الحكومة الأمريكية من صنعاء ، كان الرئيس عبد الناصر يستقبل فى القاهرة فى نفس ذلك اليوم (١٣ مايو ١٩٦٧) الملك السابق سعود وانتشر فى ذلك اليوم أن عرض المقابلة كان التخطيط لقلب نظام الحكم فى السعودية ، وإعادة الملك السابق سعود إلى عرشه ، بعد أن اتفق مع عبد الناصر على تصفية القواعد الأمريكية فى السعودية والتصدى للمصالح الغربية فى الجزيرة العربية .

يقول الأستاذ أحمد يوسف أحمد مدرس العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة فى كتابه (الدور المصرى فى اليمن فى صفحة ٤٤٧) تعليقا على هذه المقابلة أنه (فى اليوم التالى مباشرة بدأت الأزمة التى انتهت إلى حرب يمنية) . وإننى أتفق معه فى رأى من حيث أن هذه الأزمة قد اتخذت شكلها المكتمل (فى اليوم التالى مباشرة) لكننى أراها قد بدأت تأخذ مسارها الطبيعى قبل ذلك اليوم بوقت طويل ، عندما التقت مصالح الشرق والغرب على التخلص من الزعامة العربية المتمثلة فى شخص جمال عبد الناصر .

وكما اختلفت معه فى رأى حين قطع فى صفحة ٤٣٠ قائلا بأن السوفييت (لم يكونوا مسئولين عن التفكير الهجومى التابع للسياسة المصرية إعتبارا من بداية ١٩٦٧) إلى أن قال (وهكذا يمكن أن ننتهى إلى أن عبد الناصر فى قراراته التى اتخذها فى هذه المرحلة سواء بإبقاء قواته فى اليمن أو إتباع سياسة هجومية تجاه خصومه فى المنطقة لم يعمل وفقا لتحريض سوفييتى) . فأننى أختلف معه فى تبرئته للإتحاد السوفيتى من تحريضه لعبد الناصر إلى إتباع هذه السياسة الهجومية الإنتحارية ، لأن الغرب لم يكن وحده صاحب المصلحة الحقيقية فى التخلص من الزعامة الناصرية . فقد كانت للشرق مصلحة أكثر أهمية فى التخلص من هذه الزعامة ، التى عرقلت بروز الزعامات المصرية والعربية الأخرى الأكثر طاعة للكتلة الشرقية ، والأقل حماسا للعقيدة القومية .

فالأزمة التي (بدأت في اليوم التالي مباشرة) أي في يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ اشترك فيها السوفيت علنا عندما خدعوا عبد الناصر بخبر الحشود الإسرائيلية على الحدود السورية . وأثاروا فيه نخوة الزعامة العربية والشهرة العالمية حتى يلتزم بإتفاقية الدفاع المشترك مع الحكومة السورية ، التي سبق أن وقع عليها في نوفمبر ١٩٦٦ بعد أن استولى الجناح اليساري لحزب البعث على الحكم في دمشق ، على إثر الإنقلاب الذي أطاح بأمين الحافظ عدو جمال عبد الناصر اللود ، وجاء بنور الدين الإتاسي وصلاحيه جديد وحافظ الأسد .

ففي نفس اليوم (اليوم التالي مباشرة) أي في ١٤ مايو ١٩٦٧ اتخذت مصر (كل الإجراءات التي تقتضيها حالة الاستعداد لتنفيذ إتفاقية الدفاع المشترك مع سوريا) وعقد المشير عامر عددا من الاجتماعات العسكرية ، التي أرسل على أثرها الفريق أول محمد فوزي رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية إلى دمشق ، لإبلاغ الحكومة السورية القرار المصري بحشد القوات المصرية تضامنا معها في مواجهة الحشود الإسرائيلية . واجتمع الفريق أول فوزي في دمشق مع اللواء حافظ الأسد وزير الدفاع واللواء أحمد سويداني رئيس الأركان العامة .

وأعلنت مصر حالة الطوارئ في القوات المسلحة في ١٥ مايو ١٩٦٧ ابتداء من السادسة من صباح ذلك اليوم لخوض (المعركة ضد إسرائيل إذا تعرض الوطن السوري لأي عدوان يهدد أراضيهِ وسلامته) .

ووجه الفريق أول محمد فوزي رئيس الأركان المصرية في ١٦ مايو ١٩٦٧ خطابا إلى قائد قوات الطوارئ الدولية ، يطلب رسميا سحب هذه القوات من نقطة المراقبة على الخطوط المصرية الإسرائيلية . وقال الفريق أول فوزي في خطابهِ إلى الجنرال اريكي قائد قوات الطوارئ أنه (أصدر التعليمات لجميع القوات المصرية لتكون مستعدة للعمل ضد إسرائيل فور قيامها بأي عمل عدواني) .

على إثر ذلك أخلت قوات الطوارئ في ١٧ مايو ١٩٦٧ نقط المراقبة التي كانت تتمركز فيها من رفح حتى العقبة . وفي نفس اليوم استقبل الرئيس عبد الناصر الدكتور إبراهيم ماحوس نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية السوري الذي أكد للرئيس صلابة الموقف العسكري في الجبهة السورية .

في نفس ذلك اليوم اجتمع مجلس الوزراء العراقي برئاسة الرئيس عبد الرحمن عارف رئيس الجمهورية ، ثم أعلن (تأييده للشعب السوري في كفاحه ضد الصهيونية) . وكان في بغداد إجتماع آخر في مقر وزارة الدفاع حضره قائد القوات العراقية المسلحة برئاسة اللواء حمود المهدي رئيس الأركان لبحث التدابير العسكرية العراقية ، بعد أن تم وضع الجيش العراقي في حالة تأهب (لمواجهة أي إشتباك على خطوط الهدنة في فلسطين) .

فندفعت الحشود الإسرائيلية في ١٨ مايو ١٩٦٧ ، وبأقصى سرعة ، في اتجاه الجبهة المصرية ، وكانت تقدر في بداية تدفقها بتسعة ألوية متجهة إلى الجنوب ، كما انتقلت القوة الضاربة للطيران الإسرائيلي من مطارات المنطقة الشمالية إلى المطارات الأخرى في النقب والمطارات الخالية في المنطقة الجنوبية .

ابتهجت القيادة السياسية في مصر بما وصفته رسمياً بأنه (ذوبان) للحشد الأسرائيلي على الحدود السورية ، وأعلن المشير عامر أن (القوات الأساسية للقوات المسلحة المصرية تستطيع أن تنزل بالعدو ضربات قاصمة) ثم قال (إن الجيش المصري العامل في اليمن يستطيع أداء دوره البطولي فيها بقوة الثورة في الجنوب العربي التي تمكنت من وضع الإستعمار البريطاني في موقف الدفاع عن نفسه ، وبقيت المقاومة الوطنية داخل السعودية التي كان ملكها في لندن هذا الأسبوع يستجدي عون ودعم الإستعمار لبقايا نظامه المنهار) (الأهرام ١٩ مايو ١٩٦٧) .

عندئذ تظاهر يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة في ١٩ مايو ١٩٦٧ بأنه يتحدى ضغط الولايات المتحدة الأمريكية والحكومة البريطانية وكندا وإسرائيل ، فأصدر (رغم أنفهم) أمره إلى الجنرال أريكي قائد قوة الطوارئ الدولية بالإستجابة رسمياً لطلب الحكومة المصرية سحب هذه القوات من خطوط الهدنة المصرية الإسرائيلية بما في ذلك قطاع غزة .

وكانت القيادة السياسية المصرية تعتقد أن المخطط الإسرائيلي الذي تسنده أمريكا يستهدف مجرد التحرش بسوريا للتوصل إلى وضع قوات طوارئ دولية على خطوط الهدنة السورية الإسرائيلية ، وعلى وجه الخصوص مرتفعات الجولان الإستراتيجية ، فتصورت القيادة السياسية المصرية إن في وسعها إفساد هذا المخطط الإسرائيلي الأمريكي عن طريق حشد القوات المصرية الضاربة في سيناء ، وإبعاد قوات الطوارئ عن خطوط الهدنة المصرية الإسرائيلية ، وبذلك تسقط نظرية حماية السلام عن طريق قوات الطوارئ الدولية ، كما تخرج مصر من هذه المناورة بإستعادة السيادة على كل منطقة العقبة ، وإغلاق المضائق في وجه الملاحة الإسرائيلية لإعادة الحال إلى ما كان عليه قبل عدوان سنة ١٩٥٦ الأمر الذي أعلنه الرئيس عبد الناصر في ٢٢ مايو ١٩٦٧ بعد أن اجتمع بالسفير السوفيتي ديمتري بوجدانيف ، الذي سلمه رسالة تأييد من الحكومة السوفيتية ومن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ، وكانت الرسالة موجهة إلى الرئيس عبد الناصر وإلى الشعب المصري وشعوب الأمة العربية لتأييد (وقفها دفاعاً عن أوطانها ومبادئها ضد مؤامرات الإستعمار) .

إستكمالاً لدور الولايات المتحدة الأمريكية في إستدراج الزعامة الناصرية ، بالعزف على أوتار ثقافتها المفرطة في قدرتها الذاتية ، وزعامتها العربية ، قدمت الحكومة الأمريكية إلى وزير الخارجية المصرية في يوم ٢٣ مايو ١٩٦٧ إقتراحات أمريكية لإنهاء التوتر المتفجر في المنطقة نشرتها صحيفة الأهرام (في ٢٦ مايو ١٩٦٧) وخلاصتها :

١ - إن الولايات المتحدة الأمريكية ترى أن تظل قوات الطوارئ في غزة وشرم الشيخ حين صدور قرار من الجمعية العامة .

٢ - ألا تتوجه أية قوات مسلحة إلى شرم الشيخ إلا بعد أن تصدر الحكومة المصرية إعلاناً رسمياً بتأكيد حرية الملاحة في مضائق تيران مدخل خليج العقبة بدون أية قيود ، مع ملاحظة أن الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر أى قيد

على حرية الملاحة في الخليج أمرا له عواقبه البعيدة وهو يشكل عملا عدوانيا .

٣ - ألا تدخل إلى قطاع غزة أية قوات مسلحة مصرية .

٤ - أن تظل الأمم المتحدة ووكالاتها مسئولة عن الإدارة في قطاع غزة حتى تتم تسوية المشكلة .

٥ - إن الحشد العسكري المصرى الذى يجرى فى سيناء الآن خطير ، وإن حل الموقف هو أن تعود القوات المصرية فى سيناء ، والقوات الإسرائيلية المحتشدة أمامها فى النقب إلى مواقعها الأصلية) .

بعد أن أدارت إسرائيل ظهرها للجبهة السورية ، وأرسلت كل حشودها إلى الجبهة المصرية ، كانت الإقتراحات الأمريكية إعلانا واضحا بأن الصراع العسكرى قد انحصر فى مواجهة مصر ، حيث لم تذكر هذه الإقتراحات شيئا عن سوريا .

فكان من الحكمة السياسية أن تظهر القيادة المصرية قدرا من المرونة الدبلوماسية فى مناقشة هذه الإقتراحات ، وربما كان فى وسعها أن تظهر منها بما يمكن أن يعتبر نجاحا مرحليا يساعدها على إلتقاط أنفاسها ، التى أنهكها تورطها العسكرى فى اليمن ، الذى كان جوهر الصراع المصرى الأمريكى الذى استغلته إسرائيل .

فإذا تبينت القيادة المصرية ، أثناء مناقشة هذه الإقتراحات ، أن أمريكا تريد فعلا إيجاد مخرج من الموقف المتوتر فى سيناء فإنها تتبين فى نفس الوقت أن أمريكا ترغب فى إعادة فتح باب الحوار لإيجاد مخرج مصرى مشرف من الموقف المتوتر فى اليمن ، بإعتبار أنه المشكلة الأكثر أهمية فى أمريكا ، وكان من الممكن أن يكون ذلك هو النصر الممكن والمشرّف للقيادة المصرية ، الذى يزيده فخرا لمصر أن الحشود المصرية كانت العامل الحاسم فى إخلاء الجبهة السورية من القوات الإسرائيلية .

أما إذا تبينت القيادة المصرية أن أمريكا تسعى من وراء هذه الإقتراحات إلى كسب الوقت حتى تستكمل إسرائيل إستعداداتها الحربية وتهيئة المسرح الدولى لمعركة مصيرية فكان ذلك أدعى إلى مرونة القيادة المصرية ، لتكسب هى الأخرى الوقت الضرورى حتى تعيد تنظيم قواها الذاتية وترميم مواقعها العربية ، بما يتفق مع مثل هذه المعركة المصيرية التى لم يكن ذلك الوقت مناسباً لها على وجه الإطلاق ، لأننا إذا نحاشينا الحديث عن الجبهة الداخلية المصرية ، وأكتفينا بما سبق شرحه عن الجبهة اليمنية ، واقتصروا فى الحديث عن غيرها مما كان سائدا فى الساحة العربية ، فإنه مما لا شك فيه أن مصر كانت فى معركة علنية مع الأردن والسعودية ، ومعركة خفية مع كل ملوك وأمراء الدول العربية ، وصداقة ظاهرية مع السودان الأزهرى الذى تنكر لها ، وتونس بورقية التى سخرت منه ، وجزائر بومدين الذى أسقط لها بن بيللا ، وسوريا البعث الذى انقلب عليها ، وعراق عارف الذى لم يكن له فى بغداد سوى شخص عبد الناصر ، أما لبنان فقد كان مع كل أولئك وهؤلاء .

لم تكن الظروف العربية مؤهلة لمعركة مصيرية ، بل كانت مسرحا للمنافسات الدولية ، التي استغلت حاجة بعض القيادات العربية إلى النجاة من الزعامة الناصرية ، وحاجة البعض الآخر إلى الحماية من الأخطار السوفيتية .

فى مثل هذا المناخ العربى العام نستطيع أن نشجى بالتصريحات الحماسية ، ونطرب لاجتماعات القمم السياسية ، ثم نبتهج لبرقيات التأييد النارية ، لكننا مع كل ذلك لا نستطيع أن نتسلل إلى قلوب الزعامات العربية التى لها أولوياتها الأخرى فى ترتيب اهتماماتها الإقليمية .

لم يكن ذلك قصورا فى إدراك أهمية الوحدة العربية ، بل كان فتورا فى حماس جيلنا الذى عاصر سلبيات الوحدة فى سوريا والممارسة المصرية فى اليمن ، وصراع المذاهب الفكرية المناهضة للقيم الدينية ، مما فتح أبواب الساحة العربية للصهيونية العالمية ، التى اعتلت فوق ظهور كل الدول ذات الأحلام الاقتصادية .

كانت الساحة العربية ينقصها اتفاق قومى على مسار التطور القومى ، فلم يولد لديها إدراك قومى يتصدى للخطر القومى . وفى غيبة الإدراك القومى لا تولد الإرادة القومية .

ومع كل هذه البديهيات استندت القيادة المصرية على عمل عربى مشترك إنطلاقا من اختلاف عربى مشترك ، بينما كانت محصلة المعادلات السياسية على مستوى الساحة العربية والدولية ، الشرقية والغربية ، تلتقى كلها فى نقطة التخلص من الزعامة الناصرية .

كان من الحكمة السياسية أن تظهر القيادة المصرية قدرا من المرونة الدبلوماسية ولا تتسرع برفض الإقتراحات الأمريكية ، إلا إذا كانت قد وضعت فى حساباتها عوامل أخرى غير مرئية ، تستعصى على فهم المفكرين وإدراك المجتهدين .



كانت القيادة المصرية متأكدة من النصر كل التأكد ، واثقة في سحق إسرائيل أعظم الثقة ، مستندة على نزاع الحكومة السوفيتية في تهديد المصالح الغربية ، وثورة الشعوب العربية في تهديد القيادات العربية الإقليمية ، كما أعلن الرئيس عبد الناصر ذلك ، في وقت لاحق ، في مؤتمره الصحفي العالمي يوم ٢٨ مايو ١٩٦٧ حيث قال (إن أى بلد عربى تتأخر حكومته فى أداء دورها فإن المسؤولية تنتقل إلى الشعب ، وعندئذ تتصرف جماهيره بوحى من ضميرها القومى) .

على أساس هذه الحسابات العربية والدولية قررت القيادة لمصرية رفض الإقتراحات الأمريكية وفتحت صدرها للمعركة المصيرية .

ثم أننى لا أعتقد أن هذا الرفض السريع والقاطع الذى قرره القيادة المصرية فى نفس يوم إستلامها هذه المقترحات (٢٣ مايو ١٩٦٧) كان فى معزل عن البيان الساطع الذى أعلنته الحكومة السوفيتية فى نفس ذلك اليوم (٢٣ مايو ١٩٦٧) والذى أوضحت فيه أنها (سوف تؤيد الدول العربية ضد أى عدوان تتعرض له .. وأن من يفكر فى شن عدوان فى الشرق الأوسط لن يلقى مقاومة من الدول العربية وحدها ، بل سيلقى مقاومة شديدة من جانب الإتحاد السوفيتى وكل الدول المحبة للسلام) .

فى نفس ذلك اليوم (٢٣ مايو ١٩٦٧) اجتمع الرئيس عبد الناصر بالدكتور يوسف زعين رئيس وزراء سوريا الذى كان يصحبه اللواء أحمد سويدانى رئيس الأركان السورى ، واجتمع الرئيس عبد الناصر بالفريق الطاهر يحيى نائب رئيس الوزراء العراقى ، كما اجتمع بالعقيد طاهر الزبيرى رئيس أركان حرب الجيش الجزائرى ، الذى سلم إلى الرئيس عبد الناصر رسالة من الرئيس هوارى بومدين يعرض فيها إرسال قوات جزائرية إلى مصر ، فرحب عبد الناصر بهذا العرض ، كما سبق أن أثنى على أمير الكويت الذى عرض إرسال قوات كويتية إلى الجبهة المصرية .

ومن منطلق الثقة المطلقة فى النفس ، ووقوف الإتحاد السوفيتى إلى جانب مصر فى صراعها مع إسرائيل ومن يقف معها من الدول الغربية ، وفى مناخ تحريرى العناصر المصرية ذات العلاقة السوفيتية صرح عبد الناصر فى ٢٦ مايو ١٩٦٧ بأنه (إذا هاجمتنا إسرائيل فى أى مكان فسوف نواجهها فى كل مكان .. ولن تكون الحرب إذا بدأتها إسرائيل حربا محدودة لأننا سوف نقوم بتدمير إسرائيل تدميرا كاملا) وأضاف قائلا أن (صورة العالم العربى وصورة إسرائيل قد اختلفت .. لقد انتظرنا إحدى عشر سنة وكنا نبنى قواتنا ونستعد ليوم نكلم فيه ونستطيع أن نتحمل مسؤولية ما نقول) .

وعندما كان الرئيس عبد الناصر يلقي بهذه التصريحات فى القاهرة يوم ٢٦ مايو ١٩٦٧ كان شمس بدران وزير الحربية المصرية مجتمعاً فى موسكو مع كوسيجين الذى أكد (موقف الاتحاد السوفيتى من التضامن الكامل مع موقف مصر) وقال (إن بلاده ستقف موقفاً صلباً ضد أى عدوان فى المنطقة) حتى أعلن جورج براون وزير خارجية بريطانيا الذى كان يزور موسكو فى ذلك اليوم قائلاً أن (الاتحاد السوفيتى يؤيد تأييداً متيناً ما يمكن أن نسميه بالخط الناصرى فى أزمة الشرق الأوسط) وأضاف رداً على سؤال صحفى أنه (مضطر للتسليم بهذه الحقيقة) . ولا شك فى أن بريطانيا كانت بذلك تشترك فى تجسيم الغرور فى قلب الزعامة الناصرية عملاً بالحكمة اليونانية القديمة والحكمة التى تقول (إذا أردت أن تحطم ملكاً أدخل الغرور إلى قلبه) .

ذهبت إلى دمشق يوم السبت ٢٧ مايو ١٩٦٧ فى مهمة رسمية فالتقيت فى فندق أمية باللواء شاكر محمود شكرى وزير الدفاع العراقى ، الذى قال لى أنه وصل إلى دمشق منذ أسبوع للحصول على إذن الحكومة السورية بمرور القوات العراقية فى الأراضى السورية حتى تتخذ مواقعها فى مرتفعات الجولان ، كى تشترك فى صد الغزو الإسرائيلى الذى تتوقعه الحكومة السوفيتية ، وأنه أمضى فى الفندق طيلة ذلك الأسبوع ولم يسأل عنه أحد من الجانب السورى .

فلما التقيت بالرئيس السورى نور الدين الإتاسى بحضور السادة صلاح جديد وإبراهيم ماخوس نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية وحافظ الأسد وزير الدفاع قلت لهم ما سمعته من وزير الدفاع العراقى ، وأوضحت أن الجيش العراقى يحتاج إلى سبعة أيام ، بعد حصوله على إذن الحكومة السورية ، حتى يصل إلى مرتفعات الجولان ويأخذ فيها مواقعها الدفاعية ، فإذا بإبراهيم ماخوس يقول أن سوريا لا تحتاج إلى مساعدة عسكرية من أحد ، وأن مرتفعات الجولان وهى فى حماية القوات السورية لا تستطيع إسرائيل مع الولايات المتحدة الأمريكية أن تأخذ منها شبراً واحداً .

عجبت من ذلك القول وقلت لهم أن سوريا فى هذه الحالة لم تكن فى حاجة إلى مساعدة عسكرية فى مصر ، ولم يكن هناك أى داع لقيام الرئيس عبد الناصر بحشد قواته فى سيناء للضغط على إسرائيل التى قال الاتحاد السوفيتى أنها سوف تهاجم على دمشق ، فقال نائب رئيس وزراء سوريا ووزير خارجيتها أن سوريا ليست فى حاجة إلى مساعدة من أحد .

على مائدة العشاء سألتنى إبراهيم ماخوس عن توقعاتى بالنسبة إلى الموقف العربى ، فقلت أننى أتوقع أن يذهب الملك حسين إلى مصر ويتفق مع الرئيس عبد الناصر ، فثار لهذا الاحتمال وهدد بقطيعة رسمية مع مصر إذا وافق عبد الناصر على مثل هذه المسرحية الأردنية ، فقلت أن هذه ليست معلومات وإنما مجرد توقعات .

سألتنى عن الأسباب التى تجعلنى أتوقع هذا التحرك من جانب الملك حسين ، فقلت أنه رجل ذكى وبعيد النظر ويعرف الكثير عن أسرار السياسة الدولية ، ولا شك فى أنه يعرف مثلاً أن الحرب مع إسرائيل إما أن تكلل بالنصر أو تنتهى إلى الهزيمة ، فإذا ما تخلف عن المعركة وتحقق النصر فإنه يتعرض لهجوم عربى بسبب النصر الذى تحقق

فى غيابيه ، وإذا حلت الهزيمة فإنه يتحمل مسئوليتها لأنها تقع بسبب هذا الغياب الذى يحرم الأمة العربية من المواقع الإستراتيجية فى الضفة الغربية .

ولذلك فإنه إذا تخلى عن المعركة فإنه يخسر فى حالة النصر كما يخسر فى حالة الهزيمة . ولذلك سوف يرى أن من مصلحته الشخصية ألا يترك عبد الناصر يقف وحده فى هذه المعركة العربية التى تتخذ من الدفاع عن سوريا شعارا لها .

وهو عندما يشترك فى المعركة فإنه يشترك فى ثمار النصر إذا تحقق ، أما إذا حلت الهزيمة فإنها تقع على أكتاف عبد الناصر وحده ، لأنه وحده الذى يرفع راية الزعامة العربية ، ويتصدر الدفاع عن الأراضى السورية والحقوق الفلسطينية .

عدت إلى فندق أمية ووجدت مندوب وكالة أنباء الشرق الأوسط ينتظر حديثا صحفيا معي ، فصرحت له بأن الأمة العربية سوف تنصدى بكل ثقلها للغزو الإسرائيلى المحتمل للأراضى العربية السورية ، وأن العرب من الخليج إلى المحيط لن يتركوا إسرائيل تنفرد بالحكومة السورية التى تدافع عن الحقوق الفلسطينية .

وما كدت أصل فى تصريحى إلى ذكر الزعيم جمال عبد الناصر الذى حشد قواته فى سيناء لنجدة الشعب السورى حتى وضع مندوب وكالة الشرق الأوسط فى دمشق قلمه فى جيبه ، وطوى الورقة التى كان يكتب عليها تصريحاتى وقال (يادكتور عبد الرحمن إذا اردت أن أنشر لك تصريحك فلا تذكر أسم جمال عبد الناصر لأننا لا نستطيع ذكره فى سوريا) .

قلت لمندوب الوكالة السورى الجنسية أننى لم أطلب منه أن ينتظرنى فى الفندق ، وأننى بعد ساعتين أثنتين سوف أكون فى مكتبى فى بيروت أنشر ماأشاء من تصريحات صحفية وأقول ما أعتقد أنه فى صالح الأمة العربية .

عندما وصلت إلى بيروت أرسلت تقريرا مفصلا إلى الرئيس جمال عبد الناصر بواسطة السيد محمد كوثر المستشار السياسى فى السفارة المصرية (حاليا أمين رئاسة الجمهورية) شرحت فيه كل ما قاله وزيرالدفاع العراقى ومحادثاتى مع الحكومة السورية ، ولم أنس أن أذكر ملاحظة مندوب وكالة الشرق الأوسط حتى يعيش الرئيس عبد الناصر. فى المناخ السياسى الذى كان سائدا فى دمشق ، التى حشد قواته فى سيناء دفاعا عنها ، وأعلن التعبئة المصرية العامة نجدة لها .

فى ٢٨ مايو ١٩٦٧ عقد الرئيس عبد الناصر مؤتمرا صحفيا جاء من ضمن ما قاله الرئيس

(إن الضجة التى تثار الآن حول سحب قوات الطوارئ وغلق خليج العقبة أمام إسرائيل ضجة مصطنعة تثيرها الولايات المتحدة الأمريكية ، تشجيعا وتدعيما للعنوان الإسرائيلى ، هذه كلها من آثار مؤامرة السويس فصحنها وأعدناها لوضعها السليم) وقال أن (العرب سوف يخوضون معركتهم بكل سلاح يملكونه ، ولسوف يكون البترول بغير شك ضمن أسلحة المعركة إذا اتسع نطاقها ودخلتها الولايات المتحدة الأمريكية أو أى دولة استعمارية أخرى) .



المؤلف مع الرئيس اللبناني شارل حلو (٢٩ مايو ١٩٦٧)

وكما سبق أن توقعنا وصل الملك حسين إلى القاهرة في ٣٠ مايو ١٩٦٧ ، وكان في استقباله في المطار الرئيس عبد الناصر والمشير عامر والسادة زكريا محيي الدين وأنور السادات وحسين الشافعي وعلى صبري وصدقي سليمان .

وأثناء إجتماع الرئيس عبد الناصر والملك حسين اتصل بهم الرئيس العراقي عبد الرحمن عارف ، وكانت نقطة البحث الأساسية دخول القوات العراقية الأراضي الأردنية التي تمتد خطوطها مع إسرائيل نحو ٥٥٠ كيلومترا ، وبعضها غلث في قلب الأرض المحتلة ، ويكاد البحر يرى من بعض مواقعها عبر إسرائيل بالعين المجردة .

عاد الملك حسين في نفس اليوم إلى الأردن ، بعد أن وقع مع مصر إتفاقية للدفاع المشترك ، وأخذ معه إلى عمان رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الأستاذ أحمد الشقيري .

وفي ٣١ مايو ١٩٦٧ عاد السيد زكريا محيي الدين إلى القاهرة ، بعد أن اطلع الرئيس عبد الرحمن عارف في بغداد والدكتور نور الدين الإتاسي في دمشق على التطورات السياسية والعسكرية التي أحاطت بتوقيع إتفاقية الدفاع المشترك مع الأردن ، وبحث معهما تنسيق العمليات العسكرية في الجبهات الثلاث المصرية والسورية والأردنية . وقد تم الإتفاق في بغداد بين زكريا محيي الدين والرئيس عارف على نقل القوات العراقية اللازمة إلى الأردن .



تلقيت يوم الخميس ١ يونية ١٩٦٧ دعوة من المشير عامر لمقابلته فى القاهرة التى وصلت إليها يوم الجمعة ٢ يونية ١٩٦٧ فصحبني أنور السادات إلى بيت الرئيس عبد الناصر حيث كان ينتظرني مع المشير عامر ، ورويت لهم تفاصيل اتطاعى عن موقف الحكومة السورية ، وشرحت لهم أحاساسى بأن مصر فى طريقها إلى كمين عالمى فى سيناء ، وقلت أنه ما دامت مصر لم تحدد بنفسها الوقت الذى يناسبها للحرب ، وأن هذا الوقت قد فرض عليها فرضاً للدفاع عن الأراضى السورية بينما لا تشعر حكومتها بأى خطر عليها ، وما دامت الحشود الإسرائيلية قد أخلت الجبهة السورية وانتقلت القوة الضاربة الإسرائيلية إلى الجبهة المصرية ، فقد يكون من الأفضل أن تبحث مصر عن مخرج يتفادى الوقوع فى هذا الكمين ، لا سيما إننى عرفت أثناء هذه المناقشة إن الرئيس الأمريكى جونسون كان قد سلم إلى السفير المصرى فى واشنطن يوم ٢٦ مايو ١٩٦٧ رسالة عاجلة يطالب فيها مصر (بضبط النفس والا تكون البادئة بإطلاق النار ، وإلا فأنها سوف تواجه نتائج خطيرة) كما علمت أنه فى الساعة الثالثة والنصف من بعد منتصف ليل ذلك اليوم أيقظ السفير السوفيتى الرئيس عبد الناصر وأبلغه إلحاح الحكومة السوفيتية بالألا تكون مصر (البادئة بإطلاق النار ، وأن هناك إتفاقية سوفيتية أمريكية يتعهد فيها الطرفان بحفظ السلام فى المنطقة ، وإقناع الأطراف المعنية بضبط النفس) ، فاقترحت أن تسرع مصر بتخفيف حدة التوتر وتخفيض حالة الإستعداد القصى التى أعلنتها يوم ١٥ مايو ١٩٦٧ ، كما اقترحت أن يصاحب ذلك إعلان من جانب مصر بأنها - من حيث المبدأ - تقبل مناقشة المقترحات الأمريكية التى كانت الحكومة الأمريكية قد قدمتها إلى مصر يوم ٢٣ مايو ١٩٦٧ لا سيما أن الإعلان لا يلزم مصر بقبول هذه المقترحات ، وإنما يوفر لها الوقت الضرورى لإعادة حساباتها السياسية والعسكرية للبحث عن مخرج مشرف من ذلك الكمين قبل أن تسقط فيه^(١)

لم يكن لحديثى صدى غير إحساسى بأننى قدمت نصيحة يمكن أن توصف بأنها إنهزامية ، حيث كان الرئيس عبد الناصر يضع فى حساباته أن القوات العراقية سوف يكتمل وصولها إلى الضفة الغربية بالأردن وتأخذ مواقعها القتالية يوم الأربعاء ٧ يونية ١٩٦٧ ، فإذا ما طلع فجر ذلك اليوم ولم تبدأ إسرائيل المعركة فإنها تكون فى خطر

(١) نشرت مجلة صباح الخير القاهرة فى عددها الصادر يوم ٢٩ سبتمبر ١٩٨٣ صفحة ٨ نقلا عما دار فى مؤتمر القمة العربى الذى انعقد فى القاهرة يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ لوقف مذبحه الفلسطينيين فى الأردن أن الرئيس عبد الناصر قال (إحنا تعلمنا الحساب من بعد سنة ١٩٦٧) .

محقق بفرض عليها أن تقبل ما يمليه عليها عبد الناصر . ورغم أن الرئيس عبد الناصر كان يقود معركة سياسية ودولية وإعلامية لتأخير المعركة العسكرية إلى ما بعد الأربعاء ٧ يونية ، إلا أنه استخدم نقيض الوسائل التي يمكن أن تؤدي إلى تأخير المعركة ، حيث استند على أقصى درجات التهديد بالحرب ، بدلا من الاستفادة بأى قدر من المرونة السياسية ، التي تقتضيها مثل هذه المآزق الدولية .

وربما اكتفى في سبيل ذلك بموافقته على سفر نائبه زكريا محيي الدين إلى واشنطن لمقابلة الرئيس الأمريكى جونسون يوم الخميس ٨ يونية ، واعتبر أن هذه الموافقة هي الحد الأقصى للمرونة السياسية التي يحافظ بها على حياد الولايات المتحدة الأمريكية ، مع احتفاظه في نفس الوقت بالحد الأقصى للتهديدات العسكرية التي يحافظ بها على الشعبية العربية ، واعتبر هذا التوازن بين المرونة والتهديد كفيلا بإبعاد المعركة إلى ما بعد يوم الأربعاء ٧ يونية ، الذي يحقق له السيطرة العسكرية في الصراع العربى الإسرائيلى ، إلى جانب طائرات التيبيلوف قاذفات القنابل الرهيبة بعيدة المدى التي قيل أنها تستطيع تدمير ثلثى إسرائيل ، والتي كان المشير عامر يهدد بها الأسطول السادس الأمريكى نفسه في أعماق البحر المتوسط ، ولعل عبد الناصر كان يتطلع بشوق عظيم إلى الوصول إلى هذا الموقف العسكرى المتفوق في يوم الأربعاء ٧ يونية ليكون من العناصر الحاسمة في ضغوطه السياسية ، التي كان يعتقد أنها كفيلة بحصوله على نصر سياسى يغنيه عن حسم عسكرى .

أثناء عودتى مع السادات إلى بيته لآمنى على إبداء وجهات نظرى التي لم تضع في اعتبارها هبة الرئيس عبد الناصر أمام العالم ، وأبلغنى أنه قبل يوم واحد من وصول الملك حسين إلى مصر استقبل الرئيس عبد الناصر السادة عبد اللطيف بغدادى وحسن إبراهيم وكمال الدين حسين الذين كانوا في غاية الذعر ، فطمأنهم الرئيس مؤكدا لهم أن إسرائيل لا تستطيع أن تبدأ المعركة قبل سنة أشهر على الأقل ، أما إذا اشتركت معها أمريكا فإن روسيا قد أكدت له أنها سوف تشترك مع العرب (في هذه الحالة) إشتراكا فعليا في الحرب ضد أمريكا وهذا ، على حد قول الرئيس عبد الناصر ، ما لا تريد أمريكا أن يتطور إليه الموقف العالمى الذى يؤدي إلى حرب عالمية ثالثة .

ولعل حسابات الرئيس عبد الناصر هذه كانت الأساس الذى جعله يحذر الفريق أول صدقى محمود قائد القوات الجوية المصرية بأنه يتوقع قيام إسرائيل بالضربة الأولى يوم الإثنين ٥ يونية أو الثلاثاء ٦ يونية . وبناء على تقدير الفريق صدقى أن هذه الضربة لن تجعله يخسر أكثر من عشرة في المائة من قواته وافق عبد الناصر على قبول المجازفة بالانتظار إلى الأربعاء ٧ يونية ، الذى يضعه في موقف عسكرى متفوق رغم هذه الخسارة المحدودة بحسب تقدير قائد القوات الجوية ، عندئذ يصبح في حل من تدمير إسرائيل بعد أن يكون قد استجاب لإلحاح روسيا بعدم البدء بالحرب فيتجنب لومها السياسى ، واستجاب لطلب أمريكا بضبط النفس فيتجنب تدخلها العسكرى .



بدأت إسرائيل المعركة صباح الإثنين ٥ يونيو ١٩٦٧ وفي الحال استقبل الرئيس عبد الناصر سفير الاتحاد السوفيتي ديمتري بوجاديف ، وأعلنت المصادر السوفيتية المطلعة في موسكو أن (الاتحاد السوفيتي سيقف في النزاع العربي الإسرائيلي موقفا عسكريا متناسبا مع موقف الولايات المتحدة الأمريكية أو أية دولة عربية كبرى أخرى ، وأن أى تدخل بأية درجة من الغرب إلى جانب إسرائيل سيؤدى إلى تدخل بنفس الدرجة من جانب الاتحاد السوفيتي إلى جانب الدول العربية) ، وفي بلجراد أعلن الرئيس اليوغسلافي تيتو (وقوفه إلى جانب مصر) .

ذهبت على الفور إلى رئاسة الجمهورية حيث أمضيت ذلك اليوم مع الدكتور حسن صبرى الخولى كى أقوم بأى عمل ، حيث لم أطق البقاء فى بيتى ، بينما كانت مصر ومن خلفها الأمة العربية تخرض المعركة المصيرية .

كنت مع الدكتور الخولى وزملائه فى رئاسة الجمهورية فى قمة النشوة عندما كنا نتابع أخبار الانتصارات العربية التى كانت تزفها الإذاعات المصرية . وكنا لا نصدق ما عداها مما كان يصل إلينا من أخبار المصادر الأجنبية .

فى عصر ذلك اليوم (٥ يونيو ١٩٦٧) وقع بصرى على برقية من الملك فيصل إلى الرئيس عبد الناصر قال فيها :

(إننا نفق إلى جانبكم بجميع قواتنا وطاقتنا فى هذه المعركة المصيرية ، ونؤيدكم كل التأييد فى هذه المعركة الحاسمة فى تاريخ الأمة العربية ، وقد دخلت قواتنا الأردن لتعمل بجانب شقيقاتها العربيات ، سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يؤيدنا جميعا بنصر من عنده) .

كما وقع بصرى فى نفس الوقت على برقية الرئيس عبد الناصر ردا على برقية الملك فيصل قال فيها :

(فى هذه المعركة الفاصلة التى يتحدد فيها مصير أمتنا العربية ، ويعرف كل منا مكانه إلى جانب أخيه ، نخوضها جميعا جنبا إلى جنب لنمحو من أرض فلسطين ظل الصهيونية ، ونعيد لها عربية كما كانت وكما أراد الله أن تكون ، فليعلم أعداؤنا أنهم بعدوانهم علينا قد كتبوا على أنفسهم الهزيمة ، وفتحوا لنا طريق النصر ، وإذ أشكر لجلالتكم برقيتكم أسأل الله أن يدعم إنتصاراتنا ، وأن

يكون لنا رائدا في كل خطواتنا ، والله معنا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) .

عندما قرأت هاتين البرقيتين حمدت الله على التضامن العربى الذى أكدته برقية الملك فيصل ، والإنصارات العربية التى أكدها رد الرئيس عبد الناصر .

وقبل أن أغادر مكتب الرئاسة عند الساعة التاسعة مساء بشرنى الدكتور الخولى وأثقا مبتسما وهو يبلغنى بأن (عمك) سوف يضرب ضربته القاضية فى الدقيقة الأولى بعد الساعة الثانية عشر مساء نفس ذلك اليوم (٥ يونية ١٩٦٧) . ولما سألته عن (عمك) وضربته القاضية قال أنه المشير عامر ، وأن ضربته القاضية هى الغارة المصرية السباحة التى سوف تقوم بها الطائرات النيبولوف المصرية لتمحو من الخريطة ثلثى إسرائيل .

وصلت إلى بيتى الساعة العاشرة مساء. ذلك اليوم فوجدت زوجتى تبكى ما أصاب مصر والأزمة العربية ، فعاتبته عتابا شديداً ، وأسفت لوقوعها فريسة للحرب النفسية التى روجتها الإذاعات الأجنبية .

أحضرت خريطة فلسطين ووضعته على الأرض وأضأت شمعة حيث كانت التعليمات تقضى بإبظلام القاهرة ومعظم المدن المصرية .

وعلى ضوء الشمعة أمسكت قلمى الأحمر ، وحذفت من الخريطة ، وبكل ثقة وإطمئنان ، ثلثى إسرائيل ونصحت زوجتى بأن تراقب أخبار ما بعد الساعة الثانية عشر من مساء ذلك اليوم .

سهرت معها حتى الصباح ولم نسمع شيئا يطمئن له القلب وينشرح به الصدر ، وعندما وصلت إلى رئاسة الجمهورية رأيت الدكتور الخولى حزينا مهموما ، وعندئذ عرفت تفاصيل ما حدث منذ صباح اليوم السابق (٥ يونية ١٩٦٧) الذى عشناه مبتهجين فى رئاسة الجمهورية لا نعرف حقيقة ما أصاب الجبهات المصرية والأمة العربية .

رَاجَعْتُ ما وقع عليه بصرى فى اليوم السابق (٥ يونية ١٩٦٧) وعلى وجه الخصوص برقية الملك فيصل ورد الرئيس عبد الناصر ، على ضوء أن الملك فيصل قد أرسل برقيته بعد أن قامت الحرب وعرف من مصادره العلمية أن الضربة الجوية الإسرائيلية قد أنهت المعركة فى الساعة الأولى من قيامها ، فأعدت قراءة هذه البرقية على أنها برقية أخوية لشد أزر الرئيس وإمتصاص مشاعر اليأس التى تخلفها الهزيمة الفورية .

كما أعدت قراءة رد عبد الناصر على أنه ربما قد صاغه ولم يكن قد عرف التفاصيل الكاملة عن حجم الكارثة التى لحقت بالجبهة المصرية .

لم يدرك الرئيس عبد الناصر أن إسرائيل كانت الأداة التنفيذية ، الشرقية والغربية ، كما أنها كانت تعرف جميع الظروف المحيطة بها ، وجميع العناصر المؤثرة فى دورها ،

وتعرف كل ما يدور في ذهن عبد الناصر وإذهان من حوله من القيادات السياسية والعسكرية ، علاوة على ما كان يصل إلى سمعها وبصرها من معلومات دقيقة عن تحركات وقدرات الوحدات العسكرية المصرية ، ومواقعها الإستراتيجية ومطاراتها السرية ، وما فوق هذه المطارات من طائرات تهدد الأساطيل الأمريكية والأراضي الإسرائيلية .

إنّ . كان تخطيط عبد الناصر مكشوفاً في إسرائيل ، معروفاً في الولايات المتحدة ، مرسوماً في الإتحاد السوفيتي ، الذي استخدم أو خدر شمس بدران في موسكو ليسقط قيادة عبد الناصر في القاهرة .

ولعل ظروف عبد الناصر الصحية كانت قد أضعفت قدرته الشخصية على دقة إختياره للقرارات السياسية على ضوء ما تراكم من الخلافات العربية وتبين من الصراعات الإستراتيجية الدولية .

لم تترك إسرائيل لعبد الناصر فرصة يوم الأربعاء ٧ يونية ، وبدأت في الإجهاز على الزعامة الناصرية يوم الإثنين ٥ يونية ، وضربت القوات العراقية وهي منقولة على السيارات والمدركات في طريقها إلى مواقعها في الضفة الغربية ، في ذات الوقت الذي قامت فيه بتدمير الطائرات المصرية الواقفة على أرضها .

وكانت الكارثة العربية .

لم يكن لدى الرئيس عبد الناصر ، كما قال في إحدى خطبه ، ما يدافع به عن بيته في منشية البكري ، بينما كان عدد القوات المصرية في اليمن حوالي ثلاثين ألفاً ، فكان لا مفر من سحب هذه القوات من اليمن ليدافع بها عن عاصمة مصر .

وتحقق ما أراده الشرق وانتظره الغرب .

تحققت للشرق سقوط الأنبياء الناصرية ، وتقليم أظافرهما ، وخلع قرونها ، وإرتمائهما الأكثر ترحيباً بالعناصر السوفيتية ، والأقل عداً للشيعوية .

وتحققت للغرب حتمية سحب القوات المصرية في اليمن ، وزوال التهديد المصري وما يمثله من نفوذ سوفيتي في الجزيرة العربية ، وما يرفعه من شعارات تهاجم الدول العربية ذات العلاقات الودية مع الدول الغربية . وبعد ذلك لا يضير الغرب أن تبقى الزعامة الناصرية بغير قرونها السياسية وأنيابها الثورية ، طالما أنها لم تصل بعد إلى الإختيارات الشيوعية .

وما حصل عليه الشرق كان على حساب الغرب ، وما حصل عليه الغرب كان على حساب الشرق ، ولا غرابة في ذلك ، فتلك طبيعة الأخذ والعطاء ، وعدالة توزيع الأرباح بين الشركاء ، وإن شئت قلت إنها شريعة الغاب عند إلتقاء الأقوياء على لحوم الضعفاء .



أخذت أمعن الفكر في مستقبل الجمهورية اليمنية ، على ضوء حتمية انسحاب القوات المصرية التي كانت تحميها ، فقد كنت اعتقد أنه لم يعد هناك مفر من سحب هذه القوات كنتيجة حتمية للمتغيرات الشرقية والغربية ، التي حلت بالساحة العربية ، فأرسلت في ٧ يونيو ١٩٦٧ أى قبل الوقف النهائي لإطلاق النار رسالة إلى الرئيس السلال نصها :

(لا شك أنكم وقد تزعمتم ثورة ٢٦ سبتمبر الخالدة تدركون تماما أبعاد التطورات التي ستخلفها عودة القوات العربية من اليمن خلال الأشهر القليلة القادمة ، الأمر الذي يقضى بتجنيد جميع الجهود الثورية ووضع مخطط عمل شامل يخفف - من الآن - الآثار الاقتصادية والسياسية والعسكرية التي ستترتب حتما عندما تتأكد الجماهير من حتمية عودة هذه القوات .

لذلك أضع نفسي رهن إشارتكم للعمل في الداخل دون النظر إلى أى منصب أو أى هدف سوى النضال تحت قيادتكم من أجل الحفاظ على المكاسب الثورية الشعبية .

وإننى أدعو الله لكم بالتوفيق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم عبد الرحمن البيضانى .

كنت أسعى إلى الاعتماد على أنفسنا في الدفاع عن الجمهورية في اليمن ، معتقدا أن الضمير الجمهورى في صنعاء يجب أن يستيقظ على هول الكارثة التي أصابت القاهرة ، ومن جهة أخرى كنت واثقا في أن الذين تخلوا عن الدفاع عن الجمهورية احتجاجا على السياسة المصرية سوف ينتقلون من سلبية التعامل مع الوجود المصرى إلى إيجابية الدفاع عن الوجود الجمهورى .

لذلك استخدمت في رسالتى إلى السلال أرق الألفاظ ، لكنه كان يعتقد أن القوات المصرية لن تنسحب من اليمن بالرغم من النكسة القومية التي أصابت مصر أكثر من غيرها من الدول العربية ، وكان يعتقد أن الحب العذرى قد بلغ بعبد الناصر إلى الدرجة التي عندها يفضل لذة الدفاع عن السلال في اليمن على مرارة الهجوم على زعامته السياسية في مصر .

أما التكاليف المالية والأعباء الاقتصادية التي يستلزمها بقاء هذه القوات في اليمن فإنها لم تخطر للسلال على بال ، كما لم يدرك إبعاد الموقف العسكري فيما وراء القنال .

طمأن السلال نفسه على استمرار الوجود المصري في اليمن ، فلم يبذل أى جهد من أجل الوجود اليمني في اليمن ، ولم يشغل نفسه بالتفكير في وضع مخطط يعمل على تخفيف الآثار الاقتصادية والسياسية والعسكرية التي تترتب على حتمية عودة القوات المصرية منها ، فضرب برسالتي عرض الحائط .



سفارة الجمهورية العربية السورية
بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم

التاريخ

الشيخ الرئيس عبد الله السلال حفظكم الله

سلام الله عليكم ورحمة وبركاته :

لقد أتاكم وقد تزعجتم ثورة ٢٦ سبتمبر الخالدة تدركون تماماً أبعاد التطورات التي ستخلفها عودة القوات العربية من اليمن خلال الأشهر القليلة القادمة ، الأمر الذي يقضي بتجنب جميع الجهود الثورية ووضع مخطط عمل شامل يخفف - سهلاً - الآثار الاقتصادية والسياسية والعسكرية التي ستترتب حتماً عما نتأكد الجماهير من حتمية عودة هذه القوات .

لذلك أضع نفسي رهبة أسيادتكم للعمل في الداخل دون النظر إلى أي منصب أو هدف سوى الفضال تحت أيادكم من أجل الحفاظ على الخلاص الثورية الشعبية .

وانني أدعو الله لكم بالتوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أهزكم

عبد الرحمن البضايني

٧ يونيو ١٩٦٧



استقبل الرئيس عبد الناصر سفير الاتحاد السوفيتي ديمتري بوجاديف في ٨ يونية ١٩٦٧ وأثناء هذه المقابلة أكد الرئيس من أن الاتحاد السوفيتي لن ينفذ تعهداته التي التزم بها ، لا سيما عندما اعتذرت روسيا عن عدم إستطاعتها إرسال طائرات إلى مصر زاعمة أن الرئيس اليوغوسلافي تيتو لم يسمح بهبوطها في المطارات اليوغوسلافية للتزود بالوقود وهي في طريقها إلى مصر ، مما دفع تيتو إلى مواجهة السفيرين السوفيتي والمصري في بلغراد معلنا أمامهما أنه لم يعارض أبدا في هبوط الطائرات السوفيتية في أراضيها وهي في طريقها إلى مصر . وعندما إنكشفت خديعة الاتحاد السوفيتي نقل السفير السوفيتي إلى عبد الناصر ، في تلك المقابلة ، أن موسكو قد وافقت على إرسال الطائرات بالبواخر إلى الجزائر حتى يتم تركيبها هناك ، مما أثار استياء الرئيس عبد الناصر فاستدعى على صبري ثم عبد الحكيم عامر وزكريا محيي الدين وأعلن قبول مصر وقف القتال بدون قيد أو شرط .

ولا يجدر بي أن أتطرق إلى التفاصيل العسكرية التي ساهمت في هذه النكسة فذلك ليس موضوعي .

لكنني في صباح ٩ يونية ١٩٦٧ كنت مع أنور السادات في بيته ، وكان يتأهب للخروج مرتديا ثياب الصيد الصفراء حاملا عددا من بنادق الصيد ، التي كان يحتفظ بها كواحد من هواة الصيد في مصر .

سألته عن وجهته فقال أنه سوف يدعو كل من يستطيع حمل السلاح من أعضاء مجلس الأمة ، الذي كان رئيسا له ، إلى التصدي للتسلل الإسرائيلي بعد أن وصلت القوات الإسرائيلية إلى حافة الضفة الشرقية للقنال ، في طريقها إلى غربها .

كانت تلك قمة المأساة التي لا تحتاج إلى أي إيضاح ، ولا تتسع لأي تعليق ، أكثر من التأمل في حالة السادات النفسية التي جعلته يبحث عن عشرات من أعضاء مجلس الأمة ليدافع بهم عن مصر ببنادق صيد .

بعد خروجي من بيت السادات في شارع الهرم طفت بشوارع القاهرة لا ألوي على شيء ، لا أعرف مكانا أقصده ، ولا زمانا أنتظره ، ولا عمرا أتمنى أن أعيشه . ولم تكن حسرتي على الأرض قدر حسرتي على الكرامة .

تقاذفتنى شوارع القاهرة كالطير الذبيح ، الذى يتهاوى من مكان إلى آخر ، فوق بركة من دمائه ، وكأنه يتشبث بأمل فى نجاة ، ويتعلق بحلم فى حياة ، ولا يريد أن يعترف بأنه قد ذبح ، وعروقه قد قطعت ، ودماؤه قد سفكت ، ونهايته قد تأكدت .

وبالقرب من جامعة القاهرة التقيت بقافلة من سيارات هيئات تدريس الجامعات ، وعلمت أن الدكتور رفعت المحجوب المسئول عن تنظيم هيئات التدريس قد عقد إجتماعا فى قاعة إحتفالات الجامعة ، حيث وقف خطيبا بين الحاضرين ودعاهم إلى التوجه فى مسيرة إلى قصر القبة لتسجيل أسمائهم فى سجل التشريفات ، وإعلان تمسكهم بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر . وعرفت ، فيما بعد ، أنه بعد أن أدت المسيرة مهمتها فى قصر القبة وقف الدكتور رفعت المحجوب خطيبا مرة أخرى وطالب رجال الجامعة بالتجمع ، قبل تمام الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم ، فى قاعة الإحتفالات بجامعة القاهرة ، حتى يستمعوا (إستماعا جماعيا) للخطاب الذى أعلنت صحيفة الأهرام أن الرئيس عبد الناصر سوف يلقيه على شعوب الأمة العربية .

وفى المساء أذاع الرئيس جمال عبد الناصر خطاب التنحي الحزين المؤثر من محطات الإذاعة وعلى شاشات التلفزيون حيث قال فيه :

(برغم أية عوامل قد أكون بنيت عليها موقفى فى الازمة فإننى على استعداد لتحمل المسئولية كلها . لقد اتخذت قرارا أريدكم جميعا أن تساعدونى عليه ، لقد قررت أن أنتحى تماما ونهائيا عن أى منصب رسمى وأى دور سياسى) ثم أعلن (أنه كلف السيد زكريا محيى الدين بأن يتولى رئاسة الجمهورية وفقا للمادة ١١٠ من الدستور) .

فأبكى الشعب المصرى الذى لمح دموع الزعيم ، وشاهد رايته العالية تسقط من قمة الجبل الأشم ، إلى سفح القاع المظلم ، وتلقى به فى غياهب المستقبل المجهول ، فزحفت جموع الشعب إلى بيت الرئيس تطالبه بالبقاء فى منصبه وتتوعد نائبه زكريا محيى الدين الذى اختاره لخلافته . وفى قاعة الإحتفالات بجامعة القاهرة طلب الدكتور رفعت المحجوب من الحاضرين التوجه إلى بيت الرئيس لنفس الغرض .

بعد ساعة واحدة من اذاعة هذا البيان وصلت الى بيت الرئيس جمال عبد الناصر حيث التقيت بعدد من الشخصيات البارزة ، وأذكر منهم نواب الرئيس السادة زكريا محيى الدين وحسين الشافعى وحسن إبراهيم وعلى صبرى وكذلك السادة عبد الحميد السراج وسامى شرف ومحمد أحمد ومحمد فائق والعقيد مصطفى كمال محمدى (اللواء رئيس هيئة ميناء القاهرة الدولى حاليا) الذى نشأت صداقتى معه منذ أن كان ملحقا عسكريا فى السفارة المصرية فى ألمانيا الغربية ثم كان قائدا للشرطة العسكرية يوم ٩ يونية ١٩٦٧ .

إحتشدنا فى صالون الرئيس الذى سبقنا إلى غرفة نومه وأغلقها على نفسه ، وكان بعضنا مشغولا فى التفكير فى أبعاد الهزيمة وقرار الرئيس ، بينما كان بعضنا الآخر منصرفا إلى إفاقة عبد الحميد السراج الذى وقع مغشيا عليه من هول الكارثة وتنحى الزعيم ، وجاءنى أحد مساعدى سامى شرف يعيد الى مسدسى الذى تركته لدى حراس

الباب كما كنت أفعل دائما عندما أذهب لزيارة الرئيس ، وقال إننى من أكثر الأصدقاء حرصا على حياة عبد الناصر ولا يليق بى أن أترك سلاحى على يابه .

كانت هذه اللفتة العاطفية وتلك الكلمات الأخوية من أشد العوامل النفسية التى ضغطت على مشاعرى ، غير أننى كنت فى ذلك الوقت أكثر إقتناعا بذكرى محبى الدين ، محملا جمال عبد الناصر كل المسئولية ، فقد عاصرت بنفسى أهم المراحل التى أدت إلى الكارثة القومية التى سميت فيما بعد بالنكسة العربية ، وشاهدت بعينى كيف حط السيل السوفيتى جلود الزعامة الناصرية من علياء الأمة العربية إلى أيدى العناصر ذات العلاقة السوفيتية ، حتى تمكنت من الإستيلاء المطلق على شراع السفينة المصرية ، التى كانت تقود القافلة العربية فقذفت بها إلى ذروة النكسة .

كنت أكثر ميلا إلى ذكرى محبى الدين ، فقد عاصرت بنفسى كيف ابتعد عبد الناصر عن مقتضى الزعامة ، واحتذى فيما تصور أنه مقتضى الحكم فضيع مقاليد الزعامة . ذلك لأنه ابتعد عن شركائه الثوار تخلصا من القيادة الجماعية ، وركز غيرهم تثبيتا للقيادة الفردية ، فخلق بنفسه مراكز القوى التى تصارعت على وراثته ، وتزاحمت على تركته .

أدى ذلك إلى ابتعاده عن أهل الخبرة فتاه مع أهل الثقة ، لأن أكثرهم عندما يفتقدون الخبرة لا يميزون بين ما ينفع الزعيم وما يضره ، فهم لا ينصحون إلا بما يسره ، ولا يضيرهم أن يصيب الزعيم ، ولا يؤذيهم أن يخطئ ، حتى إذا ما سقط فإنهم لا ينتصرون له ، لا يدافعون عنه ، لا يكون معه ، لا يأسفون عليه . لأنهم يبحثون عن زعيم آخر يلتفون حوله .

هذا حال أهل الثقة عندما يفتقدون الخبرة ، وهو حالهم فى كل مكان وكل زمان . لا تخلو صحف التاريخ من سيرتهم عندما تروى قصص الزعماء الذين يفاجأون بما لا يتوقعون .

وكننت ، ولا زلت ، كعربى من أبناء الأمة العربية اتطلع إلى زعيم قومى تتكامل به الزعامات الوطنية ، فتولد حوله القيادة الجماعية القومية حتى نستعيد مجدنا القومى ، ونحافظ على حقوقنا العربية .

ومع ذلك لم يكن الموقف النفسى يتسع فى ذلك الوقت للخيار بين جمال عبد الناصر وذكرا محبى الدين ، لأنه كان عزيزا على النفس أن تتقبل الهزيمة المهينة التى كان تنحى عبد الناصر بمثابة التسليم بها والترقيع عليها .

فاشتركت فى إقناع عبد الناصر بالعدول عن قرار التنحى إشتراكا عاطفيا ، أكثر من كونه إختيارا عقليا ، ولم أكن أدرى فى ذلك الوقت هل كان يريد فعلا تنفيذ هذا القرار دون سواه ؟ أو كان يريد تطلعا إلى نقيضه ؟ أو كان يسعى إلى تحويل القلوب العربية من الشعور بمرارة فقدان الأرض إلى الشعور بمرارة فقدان الزعيم حتى يدفع الجماهير العربية إلى التماسك والصمود رغم الهزيمة والضياع ؟

سألت السيد زكريا محيي الدين لماذا لم يرفض رئاسة الجمهورية خلفا للرئيس عبد الناصر ؟ لا سيما بعد أن شاهد بنفسه كيف قام المتظاهرون حول بيت الرئيس بالإعتداء على وزير الإعلام السيد محمد فائق الذى تصوروا أنه زكريا محيي الدين .

أجابني زكريا محيي الدين بأنه أعد فعلا بيانا يرفض فيه رئاسة الجمهورية ويطلب الرئيس عبد الناصر بالإستمرار فى رئاستها ، غير أنه عندما أراد إذاعته رفض المسئولون فى الإذاعة أن يذيعوا كلمة منه .

اندفع العقيد مصطفى كمال محمدى قائلا أنه استلم صباح ذلك اليوم ذخيرة لأسلحة الشرطة العسكرية التى كان يقودها ، وأنه على إستعداد لأن يذهب بقواته مع السيد زكريا محيي الدين إلى محطة الإذاعة ، حتى يرفض عليها بالقوة إذاعة بيانه ، فتدخل السيد على صبرى مؤكدا أن مثل هذا الإجراء سوف يسئ إلى الرئيس عبد الناصر ، وأن الأفضل من ذلك أن نترك الرئيس يفكر بهدوء حتى يلهمه الله الرأى الصائب .

فى خضم الشعور بمرارة الهزيمة وبين أعاصير العاطفة الجارفة التى سيطرت على العقل المتأمل ، لم أفهم المعنى المستفاد من رفض الإذاعة المصرية بيان الرئيس زكريا محيي الدين الذى عينه جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية ، وسلمه كل المسئولية ، ثم ذهب يعتكف فى غرفة نومه بعد أن أعلن أنه يتحمل وحده مسئولية الهزيمة . لم أفهم كيف يرفض أحد من المسئولين بيان الرئيس زكريا محيي الدين ، وأن السيد على صبرى كان يقف من خلف الستار ، فاندفعت بمشاعرى العاطفية إلى الإلحاح على أنه ينبغي علينا ألا نترك الرئيس فى غرفة نومه المغلقة يعانى وحده صدمة الهزيمة ، لما قد يترتب على ذلك من مضاعفات نفسية خطيرة ، فقال السيد على صبرى أن الرئيس قد أمر بالآلا يدخل عليه أحد ، وبعد نقاش طويل اقترح السيد محمد أحمد مدير مكتب الرئيس أن يحمل إليه رسالة تشرح له رجاءنا وإلحاحنا على أن يعيد النظر فى قراره ، وقد اشتركت فى إعداد أفكارها واختيار ألفاظها ، ودخل السيد محمد أحد إلى الرئيس عبد الناصر وعاد يحمل إلينا بشرى قبوله إعادة النظر فى قراره فى جلسة خاصة يعقدها مجلس الأمة اليوم فى التالى لهذا الغرض وحده دون سواه .

خرجت من منزل الرئيس عبد الناصر مع عضو مجلس قيادة الثورة المصرى السيد عبد المنعم أمين وتوجهنا معا إلى معسكر زهراء الحلمية ، حيث كان يقيم المشير عبد الحكيم عامر الذى افتقدناه فى بيت الرئيس فخشيت أن تفتك به الأزمة النفسية بعد الهزيمة العسكرية ، وكنت لا أعرف ما يدور فى كهوف الصراع السياسى .

لم نجد المشير عامر فى معسكر زهراء الحلمية وتوجهنا إلى بيته فى الجيزة ولم نجده ثم طلفنا بالأمكن التى كنا نحتمل أن نجده فيها ، غير أننا لم نعث منه على أثر ، وعندما اقترب الفجر توجه كل منا إلى بيته .



فزع الإتحاد السوفيتي من إعلان عبد الناصر قرار التنحي وتسليم الرئاسة لذكريا محيي الدين يوم ٩ يونية ١٩٦٧ ، فأرسل في صباح اليوم التالي (١٠ يونية ١٩٦٧) رسالة إلى الرئيس بتوقيع زعماء الإتحاد السوفيتي الثلاثة بريجنيف وكوسيجين وبودجرني ، كمظاهرة سياسية سوفيتية يناشدونه فيها أن يعدل عن قرار التنحي (من أجل دور الأمة العربية كلها في العالم ، ومن أجل حركة الثورة الوطنية والسلام العالمي) كما أبلغوه تجاوب مؤتمر رؤساء الحكومات والأحزاب الاشتراكية الذي انعقد في موسكو في ٨ يونية ١٩٦٧ للإستجابة لطلبات الرئيس ، التي قدمها للسفير السوفيتي عندما استقبله في نفس ذلك اليوم .

في اعتقادي أنه بعد أن التقى الرئيس عبد الناصر بالسفير السوفيتي يوم ٨ يونية ١٩٦٧ ، وتأكد من ارتياح الإتحاد السوفيتي لفتح السماء المصرية للطائرات الإسرائيلية تنفيذا لأحد أدوار الخطة الشرقية والغربية ، اكتشف الرئيس هدف الإتحاد السوفيتي من الاشتراك في خطة إسقاط الزعامة الناصرية ، فقرر أن يرد على الإتحاد السوفيتي بضربة مضادة قبل أن يستثمر نتائج الهزيمة العربية ، فقرر التنحي وتسليم رئاسة الجمهورية لذكريا محيي الدين ، المعروف برأيه المعلن بأن المصلحة المصرية الوطنية والعربية تقتضي عدم الدخول في عداوة مع أمريكا وعدم الإرتماء بين أقدام روسيا . وكان معنى تنصيب زكريا محيي الدين هو البدء في إقتلاع الجذور السوفيتية من مصر ، واعتبار الإتحاد السوفيتي صديقا دوليا بقدر اهتمامه بالمصلحة المصرية والعربية .

أدرك الإتحاد السوفيتي خطورة قرار الرئيس عبد الناصر الذي كان الإتحاد السوفيتي يتطلع إلى إخراجه من الحكم مهزوما عسكريا ، مهانا دوليا ، مغضوبا عليه مصرية وعربيا ، حتى يمكن أن يكون البديل الجاهز في غيبة القوة العسكرية المصرية المنهارة هو على صبري ومجموعته ، التي يمكننا أن نقطع بأنها هي الأخرى ليست ماركسية ، غير أنها تمثل الواجهة التمهيدية التي تحمي الخطط السوفيتية ، ولا تعارض في تركيز القيادات الماركسية . تلك القيادات التي لا تظهر في مقدمة الصف الأول إلا بعد إستيلائها على مؤخرة الصف الأخير ، وعندئذ تسقط الواجهة السياسية التمهيدية بعد نجاح الغرض من التمهيد ، الأمر الذي كان مستحيلا في ظل عبد الناصر ، وممكنا تحت مظلة على صبري ، سواء كان على صبري يعرف هذا التخطيط أو يجهله .

ثم كانت صدمة الاتحاد السوفيتي بقرار عبد الناصر ، وتشبث الجماهير المصرية والعربية بقيادته ، فأعاد الاتحاد السوفيتي حساباته وتمهل في قطف ثمار مخططاته .

عندما استلم الرئيس عبد الناصر رسالة الزعماء السوفييت الثلاثة تقرر السماح بإذاعة بيان زكريا محيي الدين الذي أعلن فيه أنه (لا يقبل كمالا تقبل جماهيرنا العربية قيادة غير قيادة جمال عبد الناصر) إلى أن قال (لا تستطيع أية نكسة أن تعوق شعبنا عن مسيرته وراء قيادة جمال عبد الناصر) . وكان زكريا محيي الدين قد أصدر تعليماته إلى جميع أجهزة الأمن للحفاظ على أمن الدولة والجهاز الإداري ، حتى لا تستغل العناصر المغرضه الفراغ السياسي بعد قرار عبد الناصر بالتنحي ، كما أصدر تعليماته بالحرص على أمن وسلامة الجماهير وهي تعبر عن تمسكها بقيادة عبد الناصر .

وبعد منتصف يوم ١٠ يونية ١٩٦٧ إنعقد مجلس الأمة وأعلن أنور السادات أنه تلقى رسالة من الرئيس عبد الناصر وافق فيها على البقاء في منصبه نزولا على إرادة الشعب ، وأعتذر عن عدم إمكانية حضوره إلى المجلس ، بعد أن غصت شوارع القاهرة بمئات الألوف من الجماهير التي توافدت عليها من كل أنحاء الجمهورية .

في ١١ يونية ١٩٦٧ أصدر الرئيس عبد الناصر قرارا بتعيين الفريق أول محمد فوزي قائدا عاما للقوات المسلحة ، وقرارا بتعيين الفريق أول مذكور أبو العز قائدا للقوات الجوية ، وأعلن قبول إستقالات الفرقاء الأول سليمان عزت قائد القوات البحرية ، ومحمد صدقي محمود قائد القوات الجوية ، وأحمد حليم إمام ، وعبد المحسن كامل مرتجى ، وجمال عفيفي ، والفريق أنور القاضي . وأحال إلى المعاش اللواء عبد الرحمن فهمي ، واللواء عثمان نصار ، واللواء حمزة البسيوني ، واللواء طيار إسماعيل لبيب . وكانت هذه القرارات بمثابة إبعاد للمشير عامر عن القوات المسلحة مع بعض كبار الشخصيات العسكرية الموالية له ، كحلقة من حلقات الصراع على السلطة على ملعب القيادة السياسية في مصر ، الأمر الذي أدى إلى تزايد قوة على صبرى التي يدعمها الاتحاد السوفيتي .



سافرت إلى الكويت يوم ١٦ يونية لأشترك مع الوفد اليمنى فى مؤتمر وزراء الخارجية العرب يوم ١٧ يونية ١٩٦٧ ، وعندما تقرر سفر الوفود العربية إلى نيويورك لحضور إجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة للنظر فى العدوان الإسرائيلى سافرت مع الوفد اليمنى إلى الولايات المتحدة .

وفى ٢١ يونية ١٩٦٧ وصل إلى القاهرة رئيس الدولة السوفيتى بودجورنى ومعه المارشال زاخاروف حيث إجتماعا مع الرئيس عبد الناصر ، وطلب المارشال زاخاروف من الرئيس عبد الناصر تشكيل هيئة إستشارية عسكرية سوفيتية مصرية ، وإعادة الضباط المصريين الذين تدربوا فى الإتحاد السوفيتى إلى الخدمة العسكرية ، بعد أن كان عبد الناصر قد أحالهم إلى وظائف مدنية . كان من بين هؤلاء ، على سبيل المثال ، اللواء حسن صنديد الذى كان يعمل فى ذلك الوقت رئيسا لهيئة الشحن والتفريغ فى ميناء الأسكندرية . وعلى أثر ذلك ارتدى على صبرى الزى العسكرى برتبة فريق أول ليرأس هذه الهيئة من الجانب المصرى .

عند عودة بودجورنى فى اليوم التالى صرح للرئيس عبد الناصر فى المطار قائلا (إن الإستعماريين وصنائعهم يتصورون أننا جئنا لتبادل أحاديث عن الصداقة بيننا ، إننا سوف نثبت لهم جميعا أننا نعنى ما هو أكثر من هذا الحديث) .

ومما يجدر ذكره أن الرئيس عبد الناصر تبين هدف الإتحاد السوفيتى من وراء تشكيل هذه الهيئة وإعادة على صبرى إلى الخدمة العسكرية فقرر حلها ، ولم يمض على تشكيلها غير بضعة أسابيع . الأمر الذى يؤكد أثر النكسة على يقظة عبد الناصر فى مواجهة التخطيط السوفيتى لإحتواء مصر والمنطقة العربية .

وهذا ما تعلمه السادات عن عبد الناصر عندما تخلص نهائيا من هذه العناصر المصرية ذات العلاقة السوفيتية بقراره الخطير الذى اتخذه فى مايو ١٩٧١ ، تلك العناصر التى وصفها الأستاذ محمد حسنين هيكل بأنها مراكز قوى وما ضل هيكل فى وصفهم وما غوى ، فهو أحدهم وليس كبيرهم .

اجتمع رئيس الوزراء السوفيتى مع الرئيس الأمريكى جونسون فى جلاسبور بولاية نيوجرسي الأمريكية فى ٢٣ يونية ١٩٦٧ ولم تصدر أية تصريحات من الجانبين ، ثم

ذهب كوسيجين مع ستين من أعضاء الوفد السوفيتي لمشاهدة شلالات نياجرا السياحية ، وعندما عاد منها اجتمع بالدكتور محمود فوزي رئيس الوفد المصري قبل أن يجتمع للمرة الثانية والأخيرة بالرئيس الأمريكي يوم ٢٥ يونية ١٩٦٧ ، ثم عقد كوسيجين مؤتمرا صحفيا أعلن تأييده للعرب .

كنا نبدأ إجتماعاتنا في الأمم المتحدة صباح كل يوم في بيت سفير الكويت ، ثم نذهب إلى قاعة الجمعية العمومية ، وكان يمثل مصر إلى جانب الدكتور محمود فوزي عدد من الشخصيات المصرية التي كان من بينها دكتور حسن صبرى الخولى والسفير عوض القونى والسفير حلمى الثانى ، وكنا كثيرا ما نتوصل إلى مشروع قرار متوازن يحقق أقصى ما يستطيع العرب تحقيقه ويمكن ، فى نفس الوقت ، أن يحظى بموافقة أغلبية أعضاء الأمم المتحدة ، على أساس أن تمتنع دول أمريكا اللاتينية عن التصويت بناء على إتفاقها معنا على ذلك ، لكننا كنا نصطدم إما بعودة الدكتور إبراهيم ماحوس رئيس الوفد السورى إلى التشدد ، وإما بعدول دول أمريكا اللاتينية عن وعدا بالإمتناع عن التصويت .

سألت أحد مندوبى هذه الدول ، ذات يوم ، عن سبب العدول فقال أن جولد برج رئيس الوفد الأمريكى قال لهم أنه لا توجد فى قاموس اللغة الأمريكية عبارة (ممتنع عن التصويت) وأنه لا يوجد فى هذا القاموس سوى (أوافق) أو (لا أوافق) . فاعتبرت هذه الدول أن جولدبرج يقصد من ذلك أن يضعها أمام الخيار بين الصداقة الأمريكية التي تحمى حريتهم السياسية ، والصداقة العربية التي لا تحميهم من الانقلابات العسكرية .

وعندما غلب علينا اليأس من منظمة الأمم المتحدة اقترحت على الوزراء العرب أن نحاول معرفة الشروط التي يطلبها الرئيس الأمريكى جونسون من الدول العربية ، حتى يسمح للأمم المتحدة بإصدار قرار منصف ، لا يلقي بإسرائيل فى البحر ولا يدفن حقوق العرب فى الأرض . وافق الوزراء على هذا الاقتراح لعلنا نهتدى إلى بداية موقعة لحل القضية العربية ، واخترنا أربعة منا يمثلون دولا عربية تتمتع بعلاقات أمريكية أفضل من غيرها .

وكان فى ذهني أن هذه المبادرة العربية سوف تلقى ترحيبا لدى الرئيس الأمريكى جونسون ، لأنها تعتبر بمثابة إعراف من جانب الدول العربية بالدور الأمريكى فى الشرق الأوسط ، الأمر الذى إذا أحسنت أمريكا استغلاله فإنها يكون فى وسعها أن تساند هذا التضامن العربى لإيقاف التوسع السوفيتى فى المنطقة العربية . وهو ما تسعى إليه الدول العربية المعتدلة ، وما أصبح عبد الناصر نفسه يتمنى أن يتجه إليه بعد أن تأكد من حقيقة الأطماع السوفيتية فى مصر والأمة العربية .

سافر الوزراء العرب الأربعة إلى واشنطن ..

وعاد الوزراء العرب الأربعة من واشنطن ..

وعندما اجتمعوا مع بقية الوزراء العرب المنتظرين في نيويورك لم نظفر منهم بأى جديد ، سوى أنهم قالوا لنا (إن الرئيس جونسون لا يطلب من العرب أية شروط ، ولا يتدخل في شئون الأمم المتحدة) .

وفى لقاء خاص مع واحد من مساعدى وزير من أولئك الوزراء الأربعة همس فى أذنى ، ويكاد يخفقه البكاء ، وتمزقه الحسرة ، وقال (إن الرئيس جونسون قال لهم أن العدو الأول والأخير للأمة العربية والإسلامية هو عبد الناصر ، وليس إسرائيل التى فى وسع أمريكا أن تأمرها بالعودة إلى حدودها بمجرد أن يطمئن « جونسون » إلى أن عبد الناصر لن يعود إلى عرش الزعامة العربية ، وأحلام الأمبراطورية المصرية التى يسعى إلى فرضها بمساعدة الاتحاد السوفيتى ، من الخليج إلى المحيط .) .

ثم أبلغنى محدثى أن الرئيس جونسون لم يترك أية فرصة لأحد من الوزراء العرب الأربعة كى يرد عليه ويشرح له مخاوف الأمة العربية من الأطماع الصهيونية ، وأنه فى وسع العرب تحقيق الوحدة العربية التى تساعدهم على وقف انتشار المبادئ الشيوعية .

كان ذلك موقف الغرب الذى يمثلته الرئيس الأمريكى جونسون سنة ١٩٦٧ .

واتفق الوزراء العرب على إخفاء ما صدم به جونسون مشاعرهم العربية حفاظاً منهم على مشاعر عبد الناصر حتى يستمر فى العمل العربى من أجل إزالة آثار العدوان الصهيونى .

وعلى الجانب الشرقى كنا ننتظر نتائج إيجابية ، بعد إجتماع كوسيجين مع الرئيس الأمريكى جونسون ، فتصور بعضنا أن يلتقى على أنصاف العرب فتخرج الأمم المتحدة من حيرتها ، عندما يتوازن الإنحياز السوفيتى المعلن لصالح العرب مع الإنحياز الأمريكى المعلن لصالح إسرائيل .

لكن كوسيجين اجتمع بجونسون ، ولم يتغير الموقف ولم يظهر من الإنصاف إلا أنهما قد استعرضا تفاصيل الغنيمة ونصيب كل منهما ، واتفقا على الخطوات التى يخطوها أحدهما هنا والتى يخطوها الآخر هناك ، كما اتفقا على الذى تقوله موسكو للعرب ولا تفعله ، والذى تفعله واشنطن لإسرائيل ولا تقوله .

وسافر رئيس السوفيت وتركنا ننتظر ثم ننتظر فى بيت سفير الكويت ، حتى مللنا الانتظار وعادت الوفود العربية إلى بلادها ، وكان البسطاء منا يتصورون أن المشكلة تنحصر فى الإنسحاب الإسرائيلى من الأراضى العربية ، ولا يدركون أن جوهر القضية هو المصالح الدولية ، وصراعها ثم إتفاقها على إقتسام الغنيمة العربية ، وأن الاحتلال الإسرائيلى ليس سوى الأغلال التى قيدت أعناق العرب والسباط التى ألهبت ظهورهم حتى يتم إقتراسهم .

وفى وداع إجتماعات الأمم المتحدة التى تقرر فيها تأجيل دورتها الخامسة الطارئة أعلن ارثر جولدبرج مندوب أمريكا أنه (لا بد من ربط الإنسحاب الإسرائيلى بإنهاء حالة الحرب بين العرب وإسرائيل) وهو ما كانت ترفضه سوريا على وجه الخصوص ، أما جروميكو رئيس الوفد السوفيتى فقد ألقى كلمة بليغة قال فيها (إن الشعب السوفيتى يكن إحتراما عميقا لشعوب دول أمريكا اللاتينية ، ومما أحزنه وأحزن الآخرين تلك الصورة التى حدثت أمام أعين الجميع ، صورة ضغط وقح ، مارسته الولايات المتحدة على دول أمريكا اللاتينية حيث استخدمت جميع وسائل القسر والإرغام) .

ازداد يقينى أن الشرق والغرب اللذين التقيا على هزيمة الزعامة المصرية قد اتفقا فى ذلك الإجتماع على أنه لم يكن فى الإمكان أبدع مما كان . وخلال الأيام الأربعين ، التى قضيتها مع الوفود العربية وأعضاء الجمعية العمومية ، عرفت مفهوما جديدا من مفاهيم عدم الإنحياز ، وتعلمت معنى حقيقيا من معانى الحياد الإيجابى .

وثمة حقيقة تاريخية أخرى يجب أن أعترف بها أمام الأجيال القادمة . تلك أننى تأكدت بيقين ، خلال هذه الأيام الأربعين أن الوفود العربية لم تكن تفكر قوميا فى الموضوع العربى الذى اجتمعت من أجله ، وكان لكل وفد منها شأن يغنيه عن صاحبه وبنيه . وكانت إسرائيل تعرف كل ذلك ، وكانت القوى الكبرى تعرف ما هو أكثر من كل ذلك .

وأخطر ما أخشاه أن يظل المناخ العربى الذى مهد للنكسة هو ذات المناخ الذى يحول دون إزالة اثارها .



الرئيس عبد الناصر يحمل على أكتافه هموم النكسة

أَعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا
صَالِحًا وَءَاخِرَ سَيِّئًا

قرآن كريم

مراجعة النفس

الفصل السابع عشر



ثبت للعقلاء أنه من قبيل المراهقة الفكرية الإستمرار في رهن العلاقات المصرية السعودية على مشنقة المشكلة اليمنية ، التي يلزم تركها لأهلها ، في وقت تفرض فيه المتغيرات العربية والدولية ضرورة الاتفاق على هدف عربي مشترك ، للتوصل إلى عمل عربي مشترك ، إنقاذاً لمصير عربي مشترك .

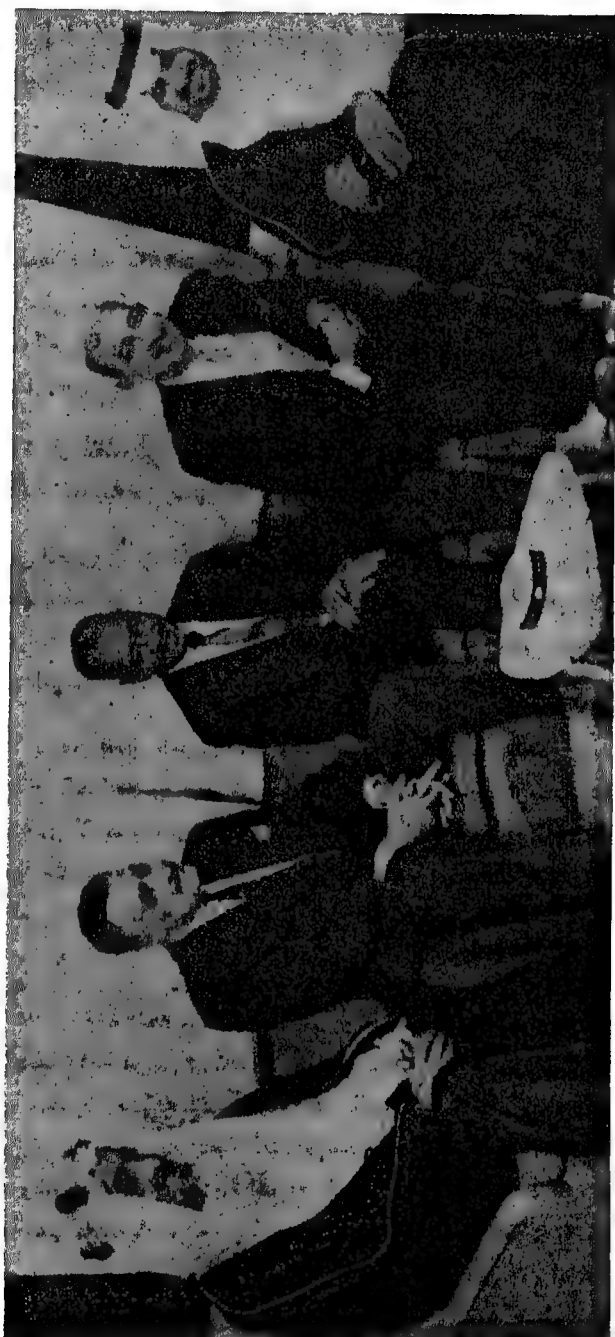
لم يعد شكل النظام في اليمن يمثل إهتماما عربيا عاما أمام الكارثة القومية العامة ، التي رمت بالأمة العربية في أسفل القاع ورفعت إسرائيل إلى قمة الجبل .

كان من الضروري أن يتفق العرب على الإرتفاع إلى مستوى الأحداث ، بصرف النظر عن بواعثها وأسبابها ، لأن الأهم من هذه البواعث وتلك الأسباب هي النتائج الشاملة التي دمرت كرامة العرب ، وأهانت كبرياءهم ، وأذلت أعناقهم على إمتداد ساحتهم العربية وأمجادهم القومية .

كان لا بد من إتفاق العرب على وقفة إستيعاب لمراجعة النفس ومحاسبة الضمير ، وبعث روح الجماعة ووحدة الصف إلتماً بالمسئولية التاريخية عن مصير الأمة العربية ، الذي لا يضيره أن يبقى السلال أو يعود البدر ، ولا يرد إعتباره أن تكون اليمن دولة تقدمية مثل سوريا التي فقدت الجولان ، أو دولة محافظة كالأردن التي فقدت القدس والضفة الغربية ، أو دولة رائدة كمصر التي فقدت غزة وسيناء والقنال مع العتاد والمال والرجال .

لذلك عقد وزراء الخارجية العرب في أول أغسطس ١٩٦٧ إجتماعاً في الخرطوم للتمهيد لإجتماع قمة عربي ، وتقدم في هذا الإجتماع السيد محمود رياض وزير الخارجية المصري بمبادرة مصرية لتسوية المشكلة اليمنية ، حتى لا يكون الخلاف المصري السعودي حولها يمثل أية عقبة أمام فرصة العمل العربي المشترك لإنقاذ الحقوق العربية ، وتضمنت هذه المبادرة إقتراح العودة إلى إتفاقية جدة على ألا تشرف مصر والسعودية على تطبيقها ، وإنما تتولى ذلك ثلاث دول عربية أخرى ، تختار مصر إحداها وتختار السعودية الثانية ويجري إختيار الثالثة بمعرفة مؤتمر وزراء الخارجية العرب ، على أن يكون من الممكن أن تمثل مصر والسعودية في لجنة السلام العربية المشتركة .

علق الوزير السعودي السيد عمر السقاف على المبادرة المصرية بأن السعودية على إستعداد لحل مشكلة اليمن على أساس مبدئين .



الاجتماع المغلق في بيت الرئيس السوداني محمد أحمد محجوب
من اليمين : الأمير سلطان بن عبد العزيز فالحسيد محمود رياض فالأستاذ محمد أحمد محجوب
فالرئيس جمال عبد الناصر فالملك فيصل (٢٩ أغسطس ١٩٦٧) .

أولهما : عدم التدخل فى شئون اليمن من قبل دولة عربية أو غير عربية ، وإنسحاب القوات المصرية من اليمن ووقف الدعم المالى من السعودية بعد أن يتم الإنسحاب .

وثانيهما : أن يقرر الشعب اليمنى بنفسه الحل الذى يقبله . وانتهى الاجتماع دون الوصول إلى اتفاق يرضى الطرفين .

فذهب الأستاذ محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان إلى جده فى ٢٠ أغسطس ١٩٦٧ حيث اجتمع بالملك فيصل ، ثم وصل فى ٢٣ أغسطس ١٩٦٧ إلى القاهرة واجتمع بالرئيس جمال عبد الناصر ، وفى ٢٩ أغسطس ١٩٦٧ اجتمع الثلاثة فى بيت الأستاذ محجوب بالخرطوم وانضم إليهم وزير الدفاع السعودى الأمير سلطان ووزير الخارجية المصرى السيد محمود رياض ، واتفقوا نهائيا على التخلص من مشكلة اليمن بموجب الاتفاقية التى أصبحت تعرف باسم « إتفاقية الخرطوم » .

وكان أهم ما نصت عليه هذه الاتفاقية ما يلى :

١ - تكوين لجنة ثلاثية تعهد إليها معالجة المشكلة .

٢ - تضع اللجنة الخطط لضمان إنسحاب القوات المصرية من اليمن ، ووقف المساعدات العسكرية المقدمة إلى اليمنيين بواسطة السعودية .

٣ - تقوم اللجنة بكل ما فى وسعها لتمكين اليمنيين من التحالف والتآلف لتحقيق الإستقرار ، تمشيا مع رغبة أهل البلاد وتثبيتا لحق اليمن فى السيادة والإستقلال الكاملين .

٤ - تتشاور اللجنة مع السعودية ومصر فى كل المشكلات التى تعوق تقدمها بغية تذليلها .

اختارت مصر العراق لعضوية اللجنة ، واختارت السعودية المغرب ، واتفق الرئيس جمال والملك فيصل على أن تكون السودان ، هى العضو الثالث .

وعندما نوقشت هذه الاتفاقية فى مؤتمر القمة الذى كان منعقدا فى الخرطوم احتج السلال عليها وهاجم ما وصفها بالدول الرجعية ، واستخدم ألفاظا جارحة وهو ينسحب من الاجتماع ، مما دفع الرئيس عبد الناصر إلى الإعتذار للملك فيصل الذى كان يتظاهر بالإستغراق فى رسم أشكال هندسية على ورقة فوق منضدة الاجتماع ، فلما فرغ الرئيس عبد الناصر من الإعتذار أبدى الملك فيصل دهشته من إعتذار عبد الناصر قائلا (أنه لم يسمع شيئا من ألفاظ السلال ، حتى أنه لم يشعر بأنه إنسحب من القاعة) وطلب الملك مواصلة النظر فى جدول أعمال المؤتمر .

رسالة خاصة من الخرطوم

نائب الرئيس اليمني يديي بأخطار حديث "الأنوار"

اللواء جزيلان:

الشعب اليمني

يرفض الاتفاق

المصري-السعودي



● اللواء جزيلان يتحدث إلى مؤيد « الأنوار » أحمد سعيد محفدي ●

ستبقى الثورة اليمنية ولو اضطرت ردا للاستعانة بالمصريين

الخرطوم - من مؤيد « الأنوار » أحمد سعيد محفدي :
أدلى اللواء عبد الله جزيلان نائب الرئيس اليمني عبد الله السلال ، بعبء خصاص « الأنوار » حاجم فيه الاتفاقية التي وقعها الرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل لحمل مشكلة اليمن . قال اللواء جزيلان الذي كان من أعضاء وفد الجمهورية اليمنية في مؤتمر « القبة » ، أن الشعب اليمني يرفض أية وصاية من أية قوة كانت ، ولن يسمح للجنة الثلاثية بدخول اليمن. ذكر أن الحكم الثوري فسي اليمن لن يسلم للرجعية حتى ولو اضطر لطلب المساعدة من الصين والدول الشرقية .
وصل إلى القاهرة أمس ، الرئيس اليمني عبد الله السلال لأجراء مباحثات مع الرئيس جمال عبد الناصر . ذكر في المكالمة أن الدوائر العربية أوضحت للرئيس السلال أن الاتفاقية تمت لتسوية خلافات بين مصر والسعودية كانت استأرضها اليمن ، وهي تروية لشكة اليمن ليس لتزورها .

صحيفة الأنوار اللبنانية في ٣ سبتمبر سنة ١٩٦٧

وفي مجال عتاب عبد الناصر للسلال قال له (لست على استعداد لأن أستمّر في هذه المأساة أكثر من ذلك) (الدور المصري في اليمن صفحة ٤٧٠ نقلا عن سيد الباز) .

وبعد انسحاب السلال من مؤتمر الخرطوم وعودته إلى صنعاء أعلن (إن حكومته لا تقبل بأي حال كل ما من شأنه أن يمس إستقلال اليمن وسيادتها ، وأنها غير ملتزمة بإتفاقية الخرطوم لأنها ليست طرفا فيها) . ثم أعلن تمسك اليمن بإتفاقيتي الدفاع المشترك والتنسيق مع مصر ، على أمل أن يلزم مصر بالبقاء في اليمن والدفاع عن صنعاء ، ولا شأن له بالدفاع عن القاهرة .

عندئذ تأكدت مصر أنها دفعت ثمنا باهظا لحماية السلال ، وأنها بعد أن دفعت الثمن أوشكت أن تفقد اليمن ، ورغبة في إنقاذ ما يمكن إنقاذه دعاني أنور السادات في ٢٠ سبتمبر ١٩٦٧ لمناقشة مستقبل النظام الجمهوري اليمني ، فعدت إلى القاهرة قادما من بيروت وذهبت معه إلى الرئيس عبد الناصر الذي شكى من عدم أستيعاب السلال للمتغيرات التي طرأت على الساحة العربية ، وقال أنه :

(على استعداد أن يترك في اليمن أسلحه تكفي لتسليح جيش جمهوري قوامه عشرة آلاف جنديا بالإضافة إلى الأسلحة التي كانت في متناول الجيش اليمني الوطني) وأضاف أنه (سوف يترك في اليمن عددا من المدربين العسكريين للمساعدة على إعداد المقاتلين اليمنيين وتنظيمهم مع تكليف وسائل الإعلام المصريه بالتغطية الإعلامية للجمهورية اليمنية) .

السفير البيفاني يغادر بيروت إلى القاهرة وصنعاء للمساورة مع حكومته حول مرحلة اللجنة الثلاثية الخاصة باليمن

غادر بيروت صباح امس إلى القاهرة الدكتور عبد الرحمن البيفاني سفير الجمهورية اليمنية في لبنان لاجراء بعض المشاورات مع المسؤولين فيها والزعماء اليمنيين الموجودين في القاهرة تتعلق بمهمة اللجنة الثلاثية العربية المكلفة بحل قضية اليمن بعد ان طلبت اللجنة الاستماع الى رأى الحكومة اليمنية في الحلول المقترحة لحل قضية اليمن . كما سينتقل بعد ذلك الى صنعاء .

صحيفة المحرر اللبنانية في ٢٣ سبتمبر ١٩٦٧

كنت أستمع إلى الرئيس عبد الناصر وهو يردد نفس الكلمات التي يح منها صوتي عندما كنت في الحكم منذ خمس سنوات أنادى بإنشاء الجيش اليمني ، الذي رفضه السلال إكتفاء بالجيش المصري ، وغضب منها المشير عامر إبقاءً على عناصره المصرية التي انفردت بحكم اليمن .

وهاهو الرئيس عبد الناصر يكرر نفس هذه الكلمات ، ويطلب منى السفر إلى صنعاء لإقناع السلال حتى يقبل إنشاء الجيش الذي يدافع عن النظام الجمهورى فى اليمن بعد عودة القوات المصرية إلى مصر .

عدت مع أنور السادات إلى مكتبة فى مجلس الأمة حيث أرسل برقيه بتوقيعه إلى السلال يطلب منه الموافقة على وصولى إليه فى صنعاء ، كى أشرح له موضوعات هامة ومضى يوم ولم يرد السلال .

فى اليوم التالى أرسل السادات برقية ثانية إلى السلال ولم يرد عليه ، فأرسلت إليه برقية بتاريخ ٢٣ سبتمبر ١٩٦٧ تحمل نفس المعنى فوصلنى الرد من وزير الخارجية الأستاذ محمد عبد العزيز سلام .

وفى يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٦٧ أرسلت إليه برقية رمزية من مكتب أنور السادات الذى أرسلها إلى السلال برموز القيادة العسكرية ونصها :

(تحياتى . أبرقت إليكم يوم ٢٣ الجارى أرجو الإذن بوصولى يوما أو يومين لأعرض عليكم ما يتعلق باللجنة الثلاثية وإحتمالات الموقف . وصل الرد من الأخ وزير الخارجية يطلب أن أبرق بهذه المعلومات . لا زلت أرجو الإذن بوصولى لعرض نتائج إتصالاتى الشخصية فى بيروت بأعضاء اللجنة واليمنيين . ومنهم محسن العيني ومحمد نعمان والمقدمى . ونتائج إتصالاتى فى القاهرة مع غيرهم ومنهم الأخ عبد الرحمن الارياى وعبد السلام صبره وعدد من الضباط . لديهم وجهات نظر معظمها معقول ويلزم عرضها عليكم فوراً ولا يمكن شرحها برقيا . الارياى ينتظر عودتى من صنعاء لنناقش نتائج إتصالاتى بكم . الأمور تتطور بسرعة فيحسن عدم أضاعه الوقت كما يلزم وضع مخطط فوري للعمل على حماية المكاسب الشعبية تحت قيادتكم) .

لم يرد السلال على هذه البرقية فأرسل إليه السادات برقية تحمل نفس المعنى عن طريق اللواء طلعت حسن قائد القوات المصرية فى اليمن ، الذى كلفه السادات بالآ يترك السلال حتى يرد على برقيته سواء بالإيجاب أو بالنفى .

ثم وصل رد السلال عن طريق القائد المصرى فى اليمن يخبر السادات بأنه يوافق على وصولى إلى اليمن ، بشرط أن أتوجه مباشرة من المطار إلى مقر القيادة العسكرية المصرية ، حيث كلف وزير الداخلية العميد محمد الأهنومى بمقابلتى فى مقر القيادة والإستماع إلى وجهات نظرى .

سألني السادات عن تقييمي لرد السلال فقلت أن السلال لا يرى سوى كرسى الرئاسة ، ولا يرى شبرا أبعد من ذلك ، ولا يشعر بالزلزال الذى يحيط به ، ولا يرى الطوفان الذى يتجه إليه . بينما كان الأولى به أن يرحب بوصولى كى أجازف بحياتى عندما أشارك معه فى توحيد الصف الجمهورى وحفر خنادق الدفاع عن الجمهورية ، بعد رحيل القوات المصرية .

قلت للسادات أنه لا جدوى من التفكير فى إقناع السلال بعد أن انطوى على نفسه خلال خمس سنوات ، رسمت فيه العناصر المصرية صورته وأحاطتها بإطار الحماية العسكرية المصرية ، فأصبح لا يرى غير هذه الصورة داخل هذا الإطار ، فعندما يقول له عبد الناصر فى الخرطوم أنه سوف يسحب هذا الإطار فإنه يكون معذورا عندما يستنكر أية فائدة من ذهاب البيضانى إليه ، ليقنعه باستبدال هذا الإطار العسكرى المصرى بإطار سياسى يمنى من البيضانى والاربانى والعمرى ونعمان والعينى وعبد السلام صبره وبقيه من يظن أنهم من الورثة .

أوضحت للسادات أن السلال الذى استغرق فى نوم الرئاسة خمس سنوات لن توقظه كلمات عبد الناصر ولا نصيحة البيضانى ، بعد أن أصبحت اليمن فى حاجة إلى بركان جمهورى جديد يتفق مع المتغيرات العربية التى تفرض المتغيرات اليمنية ، إذا أراد الله لليمن حماية الجمهورية .

وجال بخاطرى كيف إستجاب السلال ، للعناصر المصرية التى احكمت قبضتها عليه ، فنزل فى سوق المناقصات السياسية ، حتى رحب بفتح فرع لبنك مصر فى اليمن بمجرد إبعادى عن الحكم ، حتى تثبت هذه العناصر للرئيس عبد الناصر اننى كنت العقبة التى حالت دون امتداد بنك مصر إلى اليمن . ثم جال بخاطرى كيف خسر هذا الفرع عدة ملايين من الجنيهات كما سبق أن توقعت ، مما كان أحد أسباب اعتذارى للوفد الإقتصادى المصرى عن عدم موافقتى على فتح هذا الفرع فى اليمن ، على النحو السابق شرحه فى هذا الكتاب^(١)

(١) المعروف أنه بعد أن أقلس فرع بنك مصر فى اليمن قررت الحكومة المصرية إغلاقه ، مستوعبة درسا غالبا سبق أن قدمته (دون مقابل) للعناصر المصرية التى كانت تحكم اليمن فرفضت أن تستفيد من الدروس المجانية .



على طريق إتفاقية الخرطوم وصلت إلى القاهرة اللجنة الثلاثية في يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٧ برئاسة الأستاذ محمد أحمد محبوب رئيس وزراء السودان ووزير خارجيتها ، وعضوية الأستاذ إسماعيل خير الله وزير خارجية العراق ، والأستاذ أحمد بن سودة سفير المغرب في بيروت ، فاجتمعت باللجنة وشرحت لأعضائها تفاصيل برقيات السادات وبرقياتي إلى السلال ورد السلال عليها ، وإنطباعاتي عن موقفه الذي يرفض اللجنة شكلا وموضوعا ، ويعتبر وصولها إلى صنعاء بمثابة وصول عزرائيل في صورة بشرية ليقبض رئاسته للجمهورية .

نصحت اللجنة بعدم السفر إلى صنعاء حتى تتأكد من إستعداد السلال لمناقشة مهمتها .

السلال لم يرد على برقية لجنة اليمن السلاية البيضاية : لاخوف على مطالب الثورة اليمنية

القاهرة - ٢٨ - اش ١ - اجتمع اليوم السيد محمد احمد محبوب رئيس وزراء السودان ووزير الخارجية ورئيس اللجنة الثلاثية الخاصة بالاشراف على تنفيذ اتفاق الخرطوم لحل قضية اليمن بالدكتور عبد الرحمن البيضاوي سفير الجمهورية العربية اليمنية في لبنان

وشرح السفير عقب المكالمة التي استمرت حوالي ساعة بأنه قد ابلى السيد محبوب بأنه لم يتلق حتى الان ودا من الرئيس عبد الله السلال على البرقية التي كانت قد اوسلتها اللجنة الى سيادته عن طريق السفارة اليمنية في بيروت خلال الاسابيع الماضية .

صحيفة المحرر اللبنانية في ٢٩ سبتمبر ١٩٦٧

يقول الكتاب الماركسيون أن السلال كان على حق عندما رفض اللجنة الثلاثية إنطلاقا من مذهبهم الأيديولوجي ، وإنني أعترف بأنني كنت أؤيد وصول اللجنة الثلاثية إلى صنعاء إنطلاقا من مذهبى الوطنى ، الذى أنتمى إليه ، ولا أدافع عن سواه .

فحيث كان لابد من سحب القوات المصرية من اليمن كان لا مفر من تطوير حكم السلال ، الذى لم يكن يعتمد على سواها بعد أن أبعد عن صنعاء جميع قادة الجمهورية الأقوياء ، دون إستثناء ، على النحو السابق شرحه فى هذا الكتاب .

فإذا ما أردنا كجمهوريين مخلصين للجمهورية أن يستمر النظام الجمهورى فى اليمن كان علينا أن نرحب باللجنة الثلاثية ، التى يمكن اعتبارها مناسبة تاريخية يجتمع حولها شمل القوى الجمهورية حين تشعر بالخطر المهدد بها ، فيكون ذلك بمثابة ميلاد جديد لها .

رفض السلال وصول اللجنة الثلاثية إلى صنعاء ، وبعد إلحاح من رئيسها الأستاذ محمدأحمد محجوب ، وتكرار التوصية من جانب الرئيس عبد الناصر ، سافرت اللجنة إلى صنعاء يوم ٣ أكتوبر ١٩٦٧ بدعوة من السلال على طائفة مصرية خاصة بصحبته الفريق أول محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة المصرية .

وفور وصول اللجنة إلى صنعاء طلبت مقابلة السلال الذى طالبها بالانتظار فى مبنى القيادة العسكرية المصرية .

وبعد أربع ساعات خرجت من القصر الجمهورى مكبرات الصوت تهتف ضد اللجنة الثلاثية وتهتف بالعمل على إسقاط الجمهورية ، فتجمع الناس حولها تحت قيادة العقيد على السلال ابن رئيس الجمهورية والدكتور محمد على الشهاوى وغيرهما من رجال السلال ، الذين كانوا يدفعون الجماهير إلى التظاهر ضد اللجنة ، ويسوقون العناصر المسلحة المزودة بالبنادق والمدافع الرشاشة فى حراسة العقيد عبد القادر الخطرى قائد الأمن المركزى . وكان السلال ونائب رئيس الوزراء عبد الله جزيلاى يستهدفان من وراء هذه الأعمال العدائية إعادة اللجنة الثلاثية إلى مصر ، بعد أن أرسلها جمال عبد الناصر إلى اليمن .

اتجهت المظاهرات نحو مقر القيادة العسكرية المصرية حيث كانت اللجنة الثلاثية تنتظر مقابلة السلال ، وما أن وصلت إلى أسوار القيادة المصرية حتى بدأ المحرضون فى إطلاق النار والقنابل اليدوية على مبنى القيادة ، فأمر الفريق أول محمد فوزى بإغلاق باب القيادة وعدم الرد على المظاهرات .

طافت المظاهرات بشوارع صنعاء تتقدمها مكبرات الصوت وسيارات الحكومة ، وكان عدد من الجنود المصريين غير المسلحين منتشرين فى أسواق صنعاء لشراء هدايا العودة إلى مصر ، فانقض عليهم المتظاهرون المسلحون وقتلوا منهم أكثر من ثلاثين مصرىا بحسب أقل تقدير للروايات التى نقلت هذا الحادث الأليم والوصمة التاريخية البشعة ، بينما ذهب روايات أخرى إلى أن عدد القتلى قد تجاوز المائة شهيدا وفقا لتقدير الأستاذ أحمد حمروش فى كتابه (قصة ثورة ٢٣ يولية عبد الناصر والعرب) .

أصدر اللواء طلعت حسن قائد القوات المصرية أمرا إلى جميع أفرادها بعدم الرد على اليمنيين ، حتى لا تكون آخر تضحية تجود بها القوات المصرية في اليمن هي الإشتباك المسلح مع أنصار الجمهورية ، بعد أن قاتلت خمس سنوات دفاعا عنهم .

لكنه عندما رأى القائد المصرى أن المظاهرات تتجه إلى اقتحام البيوت لقتل المزيد من الجنود المصريين غير المسلحين ، الذين احتموا فيها ، لم يجد اللواء طلعت حسن بدا من توجيه إنذار نهائى إلى السلال ونائيه جزيلان بأنهما (إذا لم يقوما بوقف هذه الأعمال الإجرامية خلال نصف ساعة فإنهما يتحملان شخصيا مسؤولية ذلك) .

بعد أن تلقى السلال وجزيلان ذلك الإنذار الحاسم توقفت هذه الأعمال الدموية فى أقل من نصف الساعة المحدد فى الإنذار ، الأمر الذى يؤكد وقوفهما وراء هذه الأعمال التى وصفها القائد المصرى بأنها إجرامية ، ووصفها التاريخ اليمنى بأنها كللت وجه اليمن بالخزى والعار .

وكما أنكر الكتاب الماركسيون قيام الشرق بأى دور فى إبقاء الوجود العسكرى المصرى داخل المصيدة المحكمة القضبان فى اليمن ، ثم أنكروا قيامه بأى دور فى إعداد المذبذب العربى الإسرائيلى للإجهاز على رقبة الزعامة المصرية فى سيناء ، كتب هؤلاء فى مؤلفاتهم ينفون عن السلال مسؤولية إحداث الشغب فى صنعاء التى انطلقت من القصر الجمهورى وراحت ضحيتها عشرات الشهداء من الجنود المصريين ، تحت سمع وبصر السلال ، الذى إذا لم يستطع أن يحمى الجنود المصريين العزل من أى سلاح فقد كان فى وسعه أن يقتفى أثر القتل اليمنيين المسلحين بالبنادق والمدافع الرشاشة ، فيمسك على الأقل بقميص واحد منهم حتى يوجه إليه كلمة عتاب ترضى عشرات الألوف من الجنود المصريين ، الذين فاتهم شرف الإشتراك فى حماية منارة الأمة العربية فى القاهرة لإنشغالهم بحماية كرسى الرئاسة فى صنعاء ، ثم فوجئوا ، فى صنعاء وليس خارجها ، بعشرات من زملائهم حماة ذلك الكرسى يقعون صرعى مدرجين بدمائهم وقد أرهقت أرواحهم ، لا يأخذ بثأرهم أحد من العسكريين المصريين بعد أن رضى الرئيس جمال بعدم الرد على القتل ، ولا يبكى عليهم أحد من المسؤولين اليمنيين بعد أن رضى السلال بما أغضب اللجنة .

وبدأ السلال بطارد وزراءه الذين أظهروا أسفا على الشهداء المصريين ، وأراد قتل وزير الداخلية العميد محمد الأنومى الذى أقلت من يد السلال وهرب إلى مقر القيادة المصرية ، حيث تولى الأطباء المصريون تكفينه بلغائف الجبس من قمة رأسه حتى أصابع قدميه ، وأخرجوه من مبنى القيادة ضمن القتلى والجرحى المصريين ، فلم يتعرف عليه أحد من جنود السلال المكلفين بقتله ، والذين كانوا يفحصون جثث المصريين وجرحاهم ، وظل حبيسا فى لفائف الجبس التى كتمت أنفاسه وأحرقت أعصابه وشلت حركته حتى حملوه إلى الطائرة وأنزلوه فى القاهرة .

فكان العميد محمد الأنومى عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الداخلية أول وزير يخرج من بلده بمثل هذه الملابس الرسمية .

وقد شرح الصحفي المصرى الأستاذ وجيه أبو ذكرى مسئولية السلال عن مذبحه الجنود المصريين فى صنعاء نقلا عن تصريح رسمى للرئيس إبراهيم الحمدي ، رئيس اليمن فى وقت لاحق ، فكتب فى صحيفة الأخبار بالقاهرة يوم ١٨ أكتوبر ١٩٨٣ صفحة ١٦ فقال أن (الرئيس السلال كان يريد عرقلة انسحاب القوات المصرية من اليمن فحرض ابنه العقيد السلال على ليقود المظاهرات ضد المصريين حيث أطلق المتظاهرون النار على الجنود المصريين العزل فى أسواق صنعاء .. فسقط منهم ٣٧ شهيدا وأيديهم قابضة على هدايا العودة) .

هذا ما كتبه الأستاذ وجيه أبو ذكرى نقلا عن لسان الرئيس اليمنى السابق إبراهيم الحمدي الذى عاصر تلك المأساة فى صنعاء ، وكان ضابطا فى القوات المسلحة فى عهد السلال .

ثم ينفى الماركسيون ، بعد ذلك ، عن السلال وهو رئيس الجمهورية مسئولية عن هذه الأحداث المأساوية .

لايهم .. فلربما كان الإمام البدر المخلوع هو المسئول عنها ..



كادت تكون تلك خاتمة المشهد الأخير عشية الانسحاب المصرى من اليمن ، لولا ضمير اليمن الذى تمثل فى ابنها المجاهد الغيور على تاريخها والمدافع عن شهامتها الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر ، فرفض أن تكون تلك خاتمة المشهد الأخير .

ففى نفس ذلك اليوم الدامى ذهب الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر إلى مقر القيادة المصرية ، وقدم إلى القائد المصرى استنكار الشعب اليمنى لتلك الأحداث المؤسفة ، التى لا تعبر عن شهامته الحقيقية ، ولا أصالته التاريخية وتقاليد العربية ، التى تأبى الغدر بالإعداء فضلا عن تقديسها لحقوق الأصدقاء .

وضع الشيخ عبد الله عمامته بين يدى القائد المصرى إمعانا فى الاعتذار له على الطريقة القبلىة ، وقدم إليه عزاء الشعب اليمنى فى مصرع الشهداء المصريين على يد الأصدقاء السلايين .

كذلك أكد الشيخ عبد الله ، للجنة المحاصرة فى مبنى القيادة المصرية - استعداد القبائل الجمهورية للحفاظ على النظام الجمهورى ، وإنشراح صدرها للوفاق الوطنى بين جميع أبناء الشعب اليمنى .

غادرت اللجنة الثلاثية صنعاء يوم ٤ أكتوبر ١٩٦٧ ، واجتمعت بها يوم ٥ أكتوبر ١٩٦٧ فى القاهرة حيث شهد السيد محمد أحمد محبوب بأننى كنت على حق حين نصحت اللجنة بعدم السفر إلى اليمن . وكان شديد الحزن على الشهداء المصريين أكثر من حسرتة على عدم إدراك السلال لطبيعة المتغيرات التى أحاطت به .

قلت لمحبوب أن هذه المتغيرات لا تعتبر متغيرات ، لأنها كانت نتائج حتمية لمقدمات عضوية لم تبدأ يوم ٥ يونية ١٩٦٧ وإنما ولدت قبل ذلك ببضع سنوات حين وافقت مصر على رفض السلال إقامة جيش يمنى لحماية الجمهورية ، إكتفاءً بالحماية المصرية ، ثم أنشبت هذه المقدمات أنيابها فى الساحة اليمنية حتى شملت الساحة العربية حين تاهت القيادة المصرية ، ولم تكتشف المصالح الواقعية للأمة العربية ، فلم تقف فى نقطة التوازن العربى بين الشرق والغرب ، ووقعت فى شرك العناصر العربية ذات الصلات السوفيتية التى أسهمت فى إشعال الحريق تطلعات إلى زعامة إطفائه .

كان محبوب من زعماء العرب القلائل الذين يعرفون الخريطة الجغرافية للمصالح العربية ، وكان في قمة البلاغة السياسية التي تتجلى في فن بلوغ الممكن ، ولا تقبل الانتحار على صخرة المستحيل .

كان حريصاً أعظم الحرص على بقاء النظام الجمهورى فى اليمن ، ومن هذا المنطلق دعا إلى توحيد صفوف الجمهوريين قبل أن ينصح بإتساع صدرهم لقبول الإماميين السابقين ، الذين يسعدهم أن يشتركوا فى حكم اليمن فى ظل النظام الجمهورى بعد أن ضاقوا ذرعاً بكل مخلفات النظام الإمامى .

روى لى الأستاذ محبوب أن الملك فيصل قال للرئيس جمال عبد الناصر أثناء مباحثاتهما فى بيته فى الخرطوم أن أسرة حميد كانت عدوة للأسرة السعودية طوال أربعين سنة ولم تكن عدوة لمصر ولا للرئيس عبد الناصر . أراد الملك فيصل أن يطمئنه بهذه العبارة أن الحكومة السعودية لم تكن تسعى إلى إعادة أسرة حميد الدين إلى عرش اليمن . ثم أكد الأمير سلطان وزير الدفاع السعودى ذلك المعنى حين قال فى نفس ذلك الإجتماع أن أسرة حميد الدين لم يعد لها مكان فى اليمن ولم تبق لها أية فرصة فى العودة إلى العرش .

لم يخالجنى أدنى شك فى صحة ما رواه الأستاذ محبوب لأنه لم يكن يسئ إلى السعودية أن يبقى النظام الجمهورى اليمنى أو يعود النظام الإمامى ، بل كان الذى يهم الحكومة السعودية ومن خلفها الولايات المتحدة الأمريكية ألا يتسلل الاتحاد السوفيتى إلى أراضيها عبر الحدود اليمنية ، وعلى أكتاف العناصر المصرية واليمنية ، التى كانت تعمل لحسابه فى اليمن ، سواء كانت تعرف ذلك أو لم تعرف .

هذا هو جوهر الصراع ، وليس عمامة البدر ولا قبعة السلال أو أحلام البيضانى فى إستعادة المجد اليمنى .

وعلى مسيرة اللجنة الثلاثية للتوفيق الوطنى اليمنى التقت يوم ٦ أكتوبر ١٩٦٧ بالقاضى عبد الرحمن الارياى ، وأذن الرئيس عبد الناصر بخروج الأستاذ أحمد محمد نعيم والفريق حسن العمرى من السجن لمقابلة اللجنة .

وكان السادات من أصدق المتحمسين لإطلاق سراحهم قدر ما كان معارضا فى اعتقادهم ، فذهبت معه إلى الرئيس عبد الناصر لنضم صوتنا إلى الأستاذ محبوب ، الذى استخدم بلاغته السياسية وقدرته العاطفية فى إقناع الرئيس . وعندما أدركت تردد عبد الناصر فى إطلاق سراحهم خوفاً من إنتقامهم بينما لا تزال القوات المصرية على أرض اليمن ، أكدت للرئيس أن ولاءهم لليمن يعصمهم من الإنتقام من مصر فأطلق سراحهم ، بعد أن أمضوا فى السجون المصرية نحو أربعة عشر شهراً .

وعندما استعرضت الموقف الجمهوري مع القاضي عبد الرحمن الارياني كان من الواضح أن السلال ليس الرجل الذي يستطيع الحفاظ على النظام الجمهوري بعد رحيل القوات المصرية من اليمن ، وأن إستمراره على رأس الجمهورية ليس له أى معنى سوى التسليم بحتمية سقوطها ، بعد أن حطم جسور الثقة مع رجالها وأشاع السلبية بين جميع القوى الجمهورية القادرة على الدفاع عنها ، ولم يعد معه فى كل أنحاء اليمن سوى عبد الله جزيان الذى جمعت بينهما رابطة العداء للجمهوريين دون أن تخلق فى قلب أحدهما أى قدر من الوفاء نحو الآخر .

قلت للقاضي الارياني أنه لا مفر من إنقلاب جمهوري يعيد صياغة النظام ليجمع شتات رجاله القادرين على الدفاع عنه ، وأنه فى مثل هذه المرحلة لا بد من قبول تنازلات سياسية تقتضيها المتغيرات العسكرية ، بالقدر الذى لا يؤثر على المقومات الأساسية للجمهورية .

سألنى القاضي الارياني عن رئيس هذا الإنقلاب الذى اقترحته قلت أنه القاضي الارياني نفسه ، وليس أحد سواه ، فهو الرجل الذى يجمع بين الولاء للنظام الجمهوري والثقة لدى معظم العناصر الجمهورية والإحترام لدى العديد من الذين حملوا السلاح ضدها .

سألنى عن دورى فى هذا الإنقلاب قلت أنه إعلان الولاء له ، من مقر عملى فى بيروت ، ووعدت بأننى سوف أكتب إلى أصحابى داخل اليمن أشرح لهم حتمية التغيير ، حتى يتأهبوا لتأييده عند حدوثه .

حاولت إقناع الفريق حسن العمرى بضرورة سفره إلى اليمن مع العائدين إليها ، إلا أنه كان شديد الحسرة على دوره الكبير الذى أداه دفاعا عن الجمهورية ثم كوفئ عليه فى نزفانة السجن الحربى أربعة عشر شهراً ، وكان يشير إلى قدميه اللتين تضخمتا من عدم الحركة وعدم العلاج .

البيضاناني : الملكية لن تعود لليمن

قادر القاهرة ، مساء امس الى
بيروت ، الدكتور عبد الرحمن البيضاناني
سفير اليمن في لبنان بعد أن امضى
بضعة ايام في القاهرة .

ومرح السفير اليمني قبل سفره
بان النظام الجمهوري باق وان الثورة
حققت هدفها الرئيسي وهو القضاء
على الملكية التي لن تعود ، واصبح
المطلب الرئيسي للشعب اليمني هو
المحافظة على السلام وقرار الامن
الامر الذي يستدعي تجبيع الصلوف
في الجمهورية وانكار الذات .

فى ١٤ أكتوبر أعلن قائد القوات المصرية فى اليمن أن هذه القوات قد أخلت إقليم صنعاء وفقا للخطة الموضوعة دون إبطاء .

ثم غادر القاضى عبد الرحمن الاريانى فى ٢٦ أكتوبر ١٩٦٧ متوجها إلى اليمن ، ومنعه نحو أربعين رجلا من القيادات السياسية والعسكرية الجمهورية التى خرجت من السجون المصرية ، وكنت فى وداعهم فى مطار القاهرة ولم أتركهم حتى باب الطائرة .

وعندما وصلوا إلى الحديدة إقترحوا على السلال تشكيل حكومة جديدة تضم كافة العناصر الوطنية ومجلس جمهورى ومجلس شورى ووضع ميثاق للعمل الوطنى ، لكنه كان يفكر فى مغادرة اليمن فانزعج الإتحاد السوفيتى إنزعاجا شديدا وأرسل إلى السلال مسئولا سوفيتيا اجتمع به فى الحديدة بحضور الأستاذ عبد الرحمن جابر أمين عام رئاسة الجمهورية ، حيث أطلعه المسئول السوفيتى على تفاصيل خطة الإطاحة به أثناء زيارته لموسكو ، التى لا يرى زعماء الكرملين ما يبررها فى ذلك الوقت ، وأخذ المسئول السوفيتى يلح على بقاء السلال فى اليمن مؤكدا له أن المساعدات السوفيتية فى طريقها إلى اليمن لحماية نظام حكمه التقدمى .

لكن السلال كان قد أدرك أخيرا أنه صديق مطلوب التخلص من صداقته على الصعيد الجمهورى ، وعدو مطلوب التخلص من حياته على الصعيد الإمامى ، فقرر الهروب من اليمن تحت ستار القيام بزيارة القاهرة ثم بغداد ، فى طريقه إلى موسكو .



وصل السلال إلى القاهرة في ٣١ أكتوبر ١٩٦٧ ومعه معظم وزرائه وجميع أفراد أسرته ، وما خف حمله من ممتلكاته ، بعد أن ترك رسالة للارياىى يطلب منه ، بالاشتراك مع الشيخ محمد على عثمان ، أن يحل محله أثناء غيابه .

وقال فى القاهرة (إن زيارته للإتحاد السوفيتى ستتخللها مباحثات ليست من قبل المباحثات التقليدية التى تجرى عند تبادل زيارات المسئولين لإحدى الدول ، لكنها مباحثات يمكن وصفها بأنها هامة وعلى مستوى كبير من الأهمية) .

كان المفروض أن ينيب السلال نائبه عبد الله جزيلان الذى رفاقه إلى لواء بعد أن اشترك معه فى تعذيب القيادات الجمهورية فى السجون اليمنية ، والمطالبة باستلام المعتقلين منهم فى السجون المصرية ، ثم طارد القيادات الثورية العسكرية فى السفوح والجبال ، ولاحقهم بحملات التشهير والاغتيال . تلك الحملات التى لم تسلم منها عائلاتهم فى صنعاء وغيرها من المدن والقرى اليمنية .

كان جزيلان منطقيا مع نفسه حين تأكد من أنه لا يستطيع البقاء فى اليمن مع رحيل القوات المصرية عنها ، فتشبث بذيل السلال الذى هرب منها وترك فيها الارياىى وبقية الرجال ، الذين اتهمهم السلال وجزيلان بالخيانة الوطنية ، ثم جاء دورهم للدفاع عن الجمهورية .

وفى يوم ٥ نوفمبر ١٩٦٧ قام فى اليمن الإنقلاب الجمهورى المنتظر برئاسة الارياىى الذى عزل السلال ، وجرده من جميع رتبته ، ثم أسرع الارياىى بإرسال برقية لعبد الناصر يؤكد فيها تقدير القيادة الجمهورية الجديدة للدور الخالد الذى قامت به مصر دفاعا عن ثورة اليمن ، ويعتذر فيها رسميا بإسم الجمهورية اليمنية عن الأحداث المؤسفة التى وقعت فى صنعاء يوم ٣ أكتوبر ١٩٦٧ عندما أراد السلال أن يعبر عن معارضته لأعمال اللجنة الثلاثية ، فأزهق العشرات من الأرواح المصرية ، وقال الارياىى فى هذه البرقية :

(بعد صبر طويل على عبث السلال الذى كان آخره أحداث الثالث من أكتوبر ، التى ذهب ضحيتها إخوان أعزاء ، وكللت وجه اليمن بالخزى والعار ، قرر الشعب اليمنى بكل فئاته خلع السلال من رئاسة الجمهورية ،

وتجريدته من مناصبه الرسمية ، ورتبه العسكرية ، وقد قامت القوات المسلحة بالمهمة بكل هدوء وسلام ولم ترق قطرة دم ، وقد تجاوب الشعب اليمني من أقصاه إلى أقصاه ، ويهمني أن أؤكد لسيادتكم حرص الجمهورية العربية اليمنية ، حكومة وشعبا ، على الاحتفاظ بأقوى العلاقات مع شعب وحكومة الجمهورية العربية المتحدة ، والعمل على تأكيد أواصر الصداقة ، وسوف يظل الشعب اليمني أبدا ودائما ذاكرة جميل ومساندة شعب الجمهورية العربية المتحدة وحكومته الشقيقة بكل تقدير وإكبار . وأننى لأرجو أن تقبلوا منى ومن أعضاء المجلس الجمهورى وأبناء الشعب اليمني عميق الشكر وأعز الأمانى لشخصكم الكريم ولشعب الجمهورية العربية المتحدة ودمتم) .

وبينما كانت هذه العبارة تمثل الأصالة اليمنية فإنها كانت بمثابة الحساب الختامى لمحصلة أعمال العناصر المصرية ذات العلاقة السوفيتية ، التى انفردت بحكم الجمهورية اليمنية فأساءت إلى مصر واليمن ومهدت للكارثة العربية .

رد الرئيس عبد الناصر على برقية القاضى عبد الرحمن اليرباني رئيس المجلس الجمهورى اليمنى ببرقية قال فيها :

(تلقيت بإهتمام برقيتكم بشأن التطورات الأخيرة فى اليمن ، وإذ أبعث إليكم بشكرى على ما أبدىتموه من مشاعر التقدير للدور الذى قام به الشعب المصرى وجيشه إسهاما فى الدفاع عن ثورة اليمن فإننى أود أن أؤكد لكم أن الباعث الأساسى لهذا الدور كان حق الأخوة العربية وشركة المصير الواحد ، وإننا لنشعر بأن التكريم الحقيقى لكل ما بذل من الجهود والتضحيات هو المحافظة على سلامة الثورة وفتح الطريق دائما أمام مسيرتها . وأننى لأرجو لكم وزملائكم كل توفيق ونجاح فى خدمة الجمهورية العربية اليمنية ، وتحقيق أهداف السادس والعشرين من شهر سبتمبر ١٩٦٢ والتمكين لدور الشعب اليمنى فى خدمة القضية القومية الكبرى لأمتة العربية . وتقبلوا أصدق التحية وأخلص أمانى التقدم والإزدهار للشعب اليمنى الشقيق) .

هكذا سقطت جمهورية المشير السلال ، وهرب اللواء عبد الله جزيلان ، بعد أن أثبت منذ قيام الثورة أن الشهيد الملازم أول على عبد المغنى رائد التنظيم العسكرى للثورة وزملاءه الضباط الثوار كانوا على حق حين أصروا على إخفاء تنظيم الثورة عن مسامعه ، لأنهم كانوا يشكون فى إخلاصه ، قدر شكهم فى شجاعته ، وإقتناعهم بعداوتة .

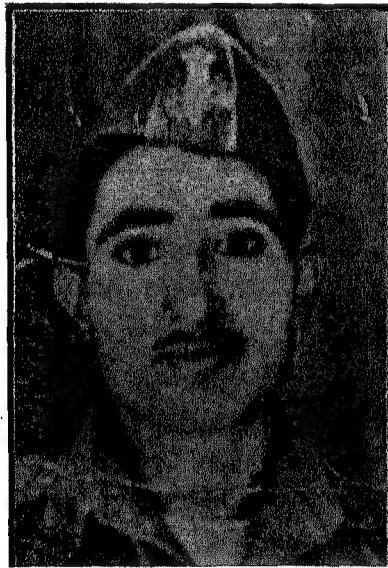
تلك العداوة التى لم يدفننها فى صدره عندما تخلص من الشهيد على عبد المغنى فى الكمين المدبر الذى استشهد فيه فى الأيام الأولى من الثورة ، وإنما بقيت مشتتة فى قلبه كلما تحدث الناس عن بطولات الضباط الثوار من زملاء الشهيد . ولا أدرى لعل الشهيد

عل عبد المغنى كان يقرأ المستقبل حين كتب رسالته إلى جزيلاں فى وقت مبكر قبل قيام الثورة (الوثيقة رقم ٣٧) فقال فيها :

(حضرة الرئيس (النقيب) عبد الله جزيلاں

بلغنى أنكم وزعتم الضباط المتخرجين من مدرسة الأسلحة ، وكان نصيبى كما قضت إرادتكم السامية .. من المغضوب عليهم لدى حضرتكم الكريمة .. ولم أعلم قبل اليوم منطقا من اللباقة كمنطقكم هذا .. أنكم اسقطمونى من حساب الادمية .. وأن هذا الإجراء الذى بلغ من الحكمة منتهاه إنما يدل طبعا على إهتمامكم الكبير بالنهضة العسكرية ..

هذا وجزى الله الأيام خيرا فقد أبانت وكشفت لنا بوضوح حسن نواياكم ونبل مقاصدكم وعبقريّة قيادتكم . على عبد المغنى) .



الشهيد الملازم على عبد المغنى قائد الذراع العسكرى للثورة

لكن .. وا أسفاه !!

لم يستفد الشهيد الملازم أول على عبد المغنى من دروس الأيام التى جزاها الله خيرا ، لأنه بعد أن كشفت له نوايا جزيلاں الحسنة ، ومقاصده النبيلة وقيادته العبقريّة ، صدقه وذهب إلى الكمين الذى رسمه له ، فكان الشهيد على عبد المغنى أغلى ضحية لهذه العبقريّة .



أعلنت تأييدي للإنقلاب الجمهورى ، كما سبق أن أكدت للرايانى ، وأستأنفت عملى فى لبنان ، وكان السلال يقيم فى العراق حيث إستضافته الحكومة العراقية التى كان فى زيارتها وقت وقوع الإنقلاب .

عجبت أكثر العجب حين قرأت فى الصحف غضب السلال من تأييدي للإنقلاب الذى أطاح به ، وكأنه كان لا يتوقعه ، وكأن السوفيت لم يحذروه من قبل وقوعه ، وكأننى لم أنصحه عشرات المرات بأن يفسح صدره للقيادات الجمهورية ، وأن يقبل إنشاء جيش ، يمنى يستطيع الدفاع عنها ، ولعله فى غمرة الحزن على الماضى نسى أننى أردت أن أصل إليه فى صنعاء لأرسم له الخطوات اللازمة لحماية المستقبل .

وبعد أن اتهمنى السلال بالخيانة فى صحيفة الحياة اللبنانية الصادرة بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ لأننى أيدت ذلك الإنقلاب قال :

(لن أقبل بوجود حكومة الإنقلاب فى صنعاء ، أنا زعيم الجمهورية العربية اليمنية الذى إنقلب على الإمام البدر . وجميع أولئك الأشخاص الذين خلعونى كانوا فى وقت من الأوقات أعوانى ، وسأبذل غاية جهدى للعودة إلى وطنى حيث ينتظرنى شعبى) وأضاف قائلاً (إن جنوب اليمن المحتل جزء لا يتجزأ من الجمهورية العربية اليمنية ، ومن السهل جدا على أن أتوجه إلى الجنوب ومن هناك أزحف على الشمال .. وأعود إلى صنعاء وسأكون هناك قريباً جداً) .^(١)

ورغم إعلانه بأنه سوف يذهب إلى عدن ليزحف على الشمال لم يفكر أحد فى صنعاء فى سحب جنسيته ، لأنه لم يكن هناك من خلفه ما يخشى منه ، ولا أمامه ما يخشى عليه ، فقد أدى دوره الذى تناسب مع أحد الأدوار فى لعبة الأمم ، ثم استقر به المطاف فى بغداد بصفة طبيعية وحتمية ، خارج رقعة الشطرنج الدولية ، التى لم يعد له فيها مكان بين قطعها البيضاء ولا السوداء .

لم يسحب أحد جنسية السلال الذى لا تشهد له لعبة الأمم أنه من أقطاب الفكر أو عمالقة السيف ، فقد أدى دوره الذى لا يزيد ولا ينقص ، وليذهب بعد ذلك إلى عدن إذا أراد أن يذهب إليها ، وليزحف منها إلى صنعاء إذا شاء أن يزحف عليها ، والتى إذا استطاع أن يبقى فيها لما خرج منها ، مع بدء عودة القوات المصرية إلى القاهرة .

(١) انظر الصفحة التالية .

السلال يقول في أول حديث صحافي له:

« سأكون في صنباء وترياً جداً
سأتوجه إلى الجنوب وأزحف إلى الشمال
سخط السلال على البيضاني ووزيرين آخرين

اني في غاية الامتنان للشعب
العراقي الذي صبرني بكمه . وهذا
يدل على الأخوة العربية والتضامن
العربي . فبعد العدوان الاسرائيلي
امسح العالم العربي كله متحداً
معه اذ كانت الحال تقضي بان
نظري للعالم ان العرب متحدون
اما قضيتي فقضيت عربية داخضية
ولا يصلها الا الشعب اليمني »
يتهم البيضاني بالخيانة
وفيما يتعلق بالسيد عيسى
لرحمن البيضاني سفير اليمن
الجمهوري في بيروت فقد حصل
عليه الرئيس السابق السلال
خاتمة شديدة منهما اياه بأنه
حاله وقال « لن اسامحه لا هو
ولا السفير اليمني الجديد في
القاهرة » عن خيانتهم أي »

على إقامة جنوب عربي مقصد
ولهما ، اذا أرادا ، ان يضلعا
إلى الجمهورية العربية اليمنية
فدعن عنصر واحد وشعب واحد
ولقد فرقونا ونحن أخوة . ولكنهم
لن يلجأوا »
لا عودة إلى القاهرة
وسأله الصحافي اليوناني عما
اذا كان يعتزم العودة إلى القاهرة
فجاب : « أول في الوقت الحاضر
البقاء في بغداد مع أخي الرئيس
عبد الرحمن عارف ومع الشعب
العراقي حيث تربطني بالعراقيين
روابط أخوية وثيقة منذ تلقيت
تدريسي العسكري هنا . ولا أحب
العودة إلى القاهرة في الوقت
الحاضر ، لعدة أسباب . أسمى
أحب القاهرة والشعب المصري ،
ولكن ليس في الوقت الحاضر .
اني أتمنى الخير والرخاء للشعب
المصري »
امتنان للمراق
وقال السيد السلال : « لن
أدسي في حياتي ما تلقته في هذا
الوقت العسير ، من عسوة
ومساعدة من الحكومة العراقية
والرئيس عبد الرحمن عارف »

يعتزم العودة إلى اليمن ، فجاب
يقوله : « ان جنوب اليمن جزء
لا يتجزأ من الجمهورية العربية
اليمنية . ومن السهل جداً على
ان توجه إلى الجنوب ، ومن هناك
دأبته على الشمال ، ففسي
الثاء رئاسي قدمت إلى اخواننا
في الجنوب كل المساعدة والتسهيلات
والآن أستطيع ان اذهب إلى
هناك . واعدت إلى صنباء
وسأكون هناك قريباً جداً
أعمل في اتحاد الجنوب
وأضاف السلال قوله : « ان
جنوب اليمن المحتل جزء من
الجمهورية العربية اليمنية . وقد
قائلا البريطانيين طوال السنوات
الخمس الماضية . ولا يساورني
شك في ان الجبهة القومية وجبهة
التحرير ستلتفان على قلب الحرب
الاهلية . وهذا امر على اعظم
جانب من الاممية . ولي كل
الثقة في الأمين العام لجبهة التحرير
السيد عبد الله مكاوي ، وفي قائد
الجبهة القومية السيد قطبان
الشعبي . انهما ستركبان جانبا
اطاعهما الشخصية ، ويعملان

قال رئيس اليمن الجمهوري
السابق المشير عبد الله السلال :
« لن اقبل بوجود تلك الحكومة
الجديدة في صنباء ، وسأكافح
حتى آخر رمق في حياتي لأزالتها
» اما زعيم الجمهورية العربية
اليمنية الذي انقلب على الإمام
اليدري . وجميع أولئك الأشخاص
الذين خلعونني ، كانوا في وقت من
الانقلابات أعوانني . وقد خائوني
اليوم . وسأبذل غاية جهودي
للعودة إلى وطني حيث ينقضي
شعبي . ان غالبية الشعب
اليمني معي . وسيعرف العالم
ذلك قريباً جداً »
صرح السلال بذلك ،
وبتصرجات أخرى ، في حديث
خاص أدلى به إلى الصحافي
اليوناني س . كوفريانوس في
« القصر الأبيض » قصر الضيافة
حيث يقم السلال ضيفاً على
الحكومة العراقية . وقد حصلت
« الحياة » على نص هذا الحديث
بعد من طريق الجنوب
قال الصحافي اليوناني :
سالت السيد السلال كيف

صحيفة الحياة اللبنانية في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧



عبدالله السلال

صحيفة نداء الوطن في ٦ نوفمبر ١٩٦٧

هكذا فى يوم ٥ نوفمبر ١٩٦٧ ولدت الجمهورية اليمنية الثالثة برئاسة القاضى عبد الرحمن الارياى ، والتى سبق أن وصفتها خطأ بأنها الجمهورية اليمنية الثانية فى محاضرة ألقيتها فى نادى رابطة طلاب اليمن بمصر يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٧٢ .

وعندما نسجل للتاريخ سوف نتبين أن الجمهورية اليمنية الأولى قامت يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ عند قيام الثورة التى تولى أمرها مجلس قيادة الثورة ، الذى أعلن دستورها المؤقت لينظم حكم البلاد خلال الخمس سنوات كفترة إنتقال (الوثيقة رقم ٢٧) . ثم انتهت هذه الجمهورية الأولى عندما انقلب السلال عليها وأعلن فى يوم ١٣ أبريل ١٩٦٣ إلغاء هذا الدستور وإلغاء مجلس قيادة الثورة وإستبدالهما بدستور مؤقت جديد ومجلس للرئاسة ، ولا يستند فى شرعيته الثورية على قياما لثورة يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ وإنما على إنقلاب السلال عليها يوم ١٣ أبريل ١٩٦٣ .

وهذا التقسيم يسهل الدراسة التاريخية للأحداث اليمنية والتعرف المنطقى على علاقة السببية بين مقدماتها ونتائجها .

قامت الجمهورية الثالثة يوم ٥ نوفمبر ١٩٦٧ فى ظروف العودة إلى النفس وحتمية الإعتماد عليها ، ظروف الحماس الغريزى التلقائى الذى يتولد عفويا عند الإحساس بالخطر ، ظروف الأسرة المبعثرة وهى تعود إلى نفسها لحظة الإحساس بالضياح ، ولقد أدرك رئيس هذه الجمهورية القاضى الارياى أن الفرصة الوحيدة الممكنة لإستمرار حياة النظام الجمهورى فى اليمن ، بعد رحيل القوات المصرية عنها ، لا يمكن أن تتحقق إلا بجمع شتات القيادات الجمهورية التى سجنتها الجمهورية الثانية فى السجون المصرية واليمنية ، وشردت من هرب منها فى سفوح اليمن وجبالها وصحرائها .

فبعد أن أطلق الرئيس عبد الناصر سراح المسجونين اليمنيين من السجون المصرية فك الرئيس الارياى أسر المسجونين من السجون اليمنية ، ودعا جميع القيادات الثورية المشردة فى متاهات اليمن كى تعود إلى صنعاء للدفاع عنها ، وبذلك نجح الارياى فى تحويل الإتكالية والسلبية الجمهورية إلى سابق أيامها الثورية ، بعد أن رحلت القوات المصرية ولم يكن فى اليمن أكثر من سبعمائة جنديا يمنية نظاميا .

وعاد الفريق حسن العمري إلى صنعاء فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ واشترك فى عضوية المجلس الجمهورى بدلا من الأستاذ أحمد محمد نعمان ، الذى استقال من عضوية المجلس إحتجاجا على عدم دعوة الإماميين إلى المصالحة والإشتراك فى الحكم فى صنعاء ، وترك اليمن فزعا من مصيرها المجهول ، بعد أن اشتد أزر الرئيس الارياى بالقيادات الجمهورية التى عندما سمعته يؤذن بالجمهورية أتته من كل فج عميق ، فاضطر الارياى إلى الإعتذار للجنة الثلاثية عن عدم إستطاعته التعجل بإجراء المصالحة الفورية مع العناصر الإمامية ، مما أغضب الأستاذ نعمان الذى كان يتعجل المصالحة مع الإماميين حتى قبل أن يشتد ساعد الجمهوريين ، فاعتبر عدول الارياى عن الإستجابة لذلك تحت ضغط الحماس المتزايد للدفاع عن الجمهورية خروجاً من جانب الارياى على مهمة اللجنة الثلاثية .



اشتد غضب الإماميين على الأرياني واستماتوا في حصار صنعاء مدة سبعين يوما استطاع خلالها الفريق حسن العمرى رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة قيادة المجاهدين الجمهوريين حتى انتصر ، في أروع صمود جمهورى يمنى أمام المتمردين المرتزقة ، الذين أرقوا سبعين ألف جنديا مصرى .

وعندما انتصرت الجمهورية بسواعد يمنية سجل الشعب اليمنى في صفحات التاريخ أنه هو الذى قام بالثورة ، وهو الذى أراد الجمهورية .

وأذكر أننى عندما ذهبت بعد ذلك لزيارة الرئيس عبد الناصر مع قائد النصر اليمنى الفريق حسن العمرى قال له الرئيس عبد الناصر (انت يا حسن لم تدافع عن صنعاء وإنما دافعت عن القاهرة) .

عبر عبد الناصر بهذه العبارة المختصرة عن سعادته بانتصار الجمهورية اليمنية بعد رحيل القوات المصرية ، مما يقدم المبرر التاريخى لإرسال قواته إلى اليمن لمساعدة شعبها على تحقيق إرادته فى التخلص من نظام الحكم الإمامى ، الذى فرض عليه الإرهاب السياسى والتخلف الإقتصادى .

لا شك أن الرئيس عبد الناصر وهو يقول للفريق العمرى هذه العبارة قد عاد بخياله إلى خمس سنوات مضت ، عندما استجاب لضغط العناصر المصرية التى استخدمت السلال فى التخلص من كل الزملاء الذين كانوا يؤيدون إصرارى على تكوين الجيش اليمنى من رجال الحرس الوطنى الأشداء الذين خضت بهم المعارك الأولى ، التى أرسيت جذور الثورة على نحو ما سبق شرحه فى هذا الكتاب ثم اجتهد السلال بمساعدة هذه العناصر على تشتيت شمل القيادات الجمهورية ، فوَقعت الزعامة الناصرية بين أنياب الوحوش الدولية ، وعندما اضطُر عبد الناصر إلى الرحيل من اليمن لم يترك وراءه سوى سبعمائة جنديا يمنيا نظاميا ، بعد خمس سنوات من الوجود العسكرى المصرى فوق أراضيها ، وكان ذلك من أبرز أسباب النكسة العربية ، وأضحى علامة من علامات الإستفهام التاريخية .

وعشية سفرى إلى طهران لتمثيل الجمهورية اليمنية فى مؤتمر حقوق الإنسان فى صيف ١٩٦٨ تلقيت برقية من رئيس الوزراء الفريق العمرى ، يطلب منى زيارة الرئيس عبد الرحمن عارف فى بغداد لطلب أسلحة وذخائر لليمن .

بعد أن التقيت بالرئيس عارف ألح على وزير الخارجية الأستاذ إسماعيل خير الله كى اجتمع بالسلال ، فقلت لوزير الخارجية العراقي إن مثل هذا الاجتماع قد يفسر فى صنعاء تفسيراً خاطئاً أحرص كل الحرص على تجنبه ، لأننى مقتنع كل الاقتناع بأن الواجب الوطنى اليمنى يقتضى الولاء للقيادة الجمهورية التى أثبتت ما كنت أتمناه وهو الدفاع عن النظام الجمهورى .

أصر الأستاذ خير الله قائلاً أنه يريد بهذه المقابلة أن يخفف الضغوط النفسية التى يعانيتها السلال ، لا أكثر ولا أقل ، فأخذنى إلى مكان محاط بإحتياطات أمن كثيفة أظن أنه أحد مباني المخابرات العراقية .

كان مشهداً مؤثراً حين التقيت بالصديق عبد الله السلال ، ولعل وزير خارجية العراق ، الذى كان عضواً فى اللجنة الثلاثية ، أراد أن يفسح لنا مجال الاتفاق بعد أن أتاح لنا مجال العتاب ، فأظهر رغبته فى إنتظارنا فى الغرفة المجاورة ، غير أننى أفنعتة بالبقاء معنا ليكون شاهداً علينا ، فنحن أصدقاء يربطنا ماضى قد انتهى ، ولم يعد بيننا مستقبل يمكن أن يبدأ سوى تأييد الحكومة التى جئت إلى بغداد ممثلاً لها ومنذوباً عنها ، تلك الحكومة التى حملت لها كل الولاء بعد أن استعادت شخصية اليمن ، وأثبتت قدرة الشعب على حماية مصيره ، الذى قرره يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ وتثبيت به يوم ٥ نوفمبر ١٩٦٧ .

مثل ذلك الحديث ، الذى لم أكن لأقبل غيره ، كان لا يحتاج إلى سرية ولا يحتمل أى خفاء .

هزنى ما رأيت عليه السلال من آلام نفسية عندما كان يستعرض ذكرياته التاريخية فقلت له ، بحق ، أنه إذا لم يكن له الفضل فى قيام الثورة فقد كان له الفضل فى نجاحها ، فلولا أنه تشجع وانضم إليها بعد أن قامت ، وأمر بفتح قصر السلاح مستخدماً سلطانه كرئيس لحرس البدر ، لما استطاع الثوار أن يواصلوا ضرب قصره وإستئفاف مسيرتهم نحو إحكام السيطرة على العاصمة ومحطة الإذاعة .

ذكرت له أنه إذا كان قد أخطأ ، حين عارض فى بناء الجيش اليمنى الذى يحمى الجمهورية ، فلقد أصاب حين ترك اليمن للذين استطاعوا حمايتها ، وهى فى التحليل التاريخى سوف تظل الجمهورية التى قضت على نظام حكم الإمام بعد ألف ومائة عام ، وسوف يتولى المؤرخون تقييم الأدوار التى قام بها كل من اشترك فيها ، سواء من استشهد من أجلها يوم قيامها ، أو بقى فى قيادتها يوماً أو بعض يوم ، ثم خرج منها بعد شهر أو سنة أو أكثر من ذلك أو أقل .

إننا ونحن بناء الجمهورية ، الذين أروضناها من ثدينا عندما كانت وليداً بين أحضاننا ، علينا أن نصفق لكل من يجتهد من أجلها ، فى طريق بناء صرحها ، وأن نحصى كل من يضيئ لها شمعة فى طريقها .

قلت للسلال أننى عندما كنت فى قمة الأعاصير النفسية ، فى السجن الحربى المصرى سجيناً بين قضبان الصديق جمال والزميل السلال ، كنت أذكر الجمهورية اليمنية وأتمنى

لها الحياة والنجاة وأتضرع إلى الله العلى القدير أن يوفق من يتولى حمايتها ، ويقوى ساعدها ويثبت أقدامها لأننى كلما أذكرها يطوف معها قول شوقى :

فإذا رحمت فأنت أم أو أب هذان فى الدنيا هما الرحماء
وإذا غضبت فإنما هى غضبة فى الحق لا ضغن ولا بغضاء

قال السلال أنه استفاد من دروس الماضى ، وأنه لا يطلب من الله سوى إنتصار الجمهورية على أعدائها المتربصين بها ، وأنه لا يؤرق نومه سوى استمرار هؤلاء الأعداء فى محاولات القضاء عليها ، ولذلك فإنه يتمنى أن يكون جنديا عاديا من المدافعين عنها . ثم أبدى رغبته فى الإقامة فى مصر فوعده بأن أحمل هذه الرغبة إلى الرئيس جمال عبد الناصر عندما أعود من طهران .

لم أبلغ القاضى الاريانى ولا الفريق العمرى شيئا عن أمر هذه المقابلة حتى لا يسينان الظن بها أو يفسران موقفى منهما بأنه شئ من النفاق لهما ، ولعلهما يعرفان تفاصيلها لأول مرة عندما يتصفحان هذا الكتاب ، بعد أن أصبحنا جميعا بعيدين عن السلطة مشاركين فى التاريخ .

أبلغت رغبة السلال إلى الرئيس عبد الناصر الذى كان عازفا عن استقباله واستضافته فى مصر ، تفاديا لأية حساسية مع النظام الجمهورى الذى انقلب عليه فى صنعاء ، وتحاشيا لمضاعفات تصريحاته غير المسئولة فى مناخ عربى لا يزال فى مرحلة النقاط الأنفاس . وفجأة وصل السلال إلى القاهرة على متن طائرة عراقية ، دون علم مسبق بوصوله ، فاضطرت مصر إلى قبوله ضيفا عليها .

قيل له ان باستطاعته
البقاء فى الكرسي - فى الحكم
فى صنعاء نفسها ، ولكن
بشروط .. شروط التعاون
مع سائر اليمن فرفض وأبى
الأ ان يكون وحده هو
اليمن اولا واخرا .

يبقى ان نقول بان السلال
كان مرحلة من اليمن . كان
صورة من الصور اليمنية ..
كان لوحة من لوحات
الموازيك اليمنية احتلت
لفترة معينة الواجهة
الرئيسية .

نجح او فشل .. دخل
مشير صنعاء تاريخ اليمن .
.. وبسرعة كما أصبح
مشيرا .. بسرعة انتهى
رئيسا وحاكما .

عادل مالك

أوراق الحزبية

نهائية
مشير جديد

بانقلاب اليمن سقط مشير
جديد من اللوحة .
لماذا سقط مشير اليمن ؟
اراد السلطة لنفسه فقط
فانقلبت السلطة عليه .
نصحوه بالتعاون مع
الاخرين فرفض .
ساعدوه على الارتقاء ..
وضعوا له العكازات فارتفع .
ولما ارتقى وذاق طعم الحكم
اعجب مفتول السعاده
وتصرف كالمشيرين .



لم يكن الإنتصار الأسطوري ، الذى حققه النظام الجمهورى بعد حصار صنعاء الذى استمر سبعين يوما ، يمكن أن يثبت أقدامه دون أن يتعرض لهذه عنيفة ، عندما بدأ الإستقرار يتحقق فى ربوع اليمن ، وبدأ معه زحف الأماميين السابقين إلى إقتسام السلطة الجمهورية تحت شعار المصالحة الوطنية ، فعثر فيهم الارياى على سند شرعى يعتمد عليه فى تفويض مركز الفريق العمرى الذى اكتسب شهرة النصر التى أصبحت تغطى على مركز الارياى ، الذى كان يكره ايضا شهرة الباقيين من رجال الثورة لأنه لم يسجل مثلهم فى تاريخ الثورة اليمنية غير أزاحة السلال عن كرسى الجمهورية ، فأخذ يعمل على تفريق من بقى من رجال الثورة الذين اكتسبوا شرف القيام بها ثم أضافوا إليه فضل الدفاع عنها .

اتسعت الثغرة ، التى تمت من خلالها تنحية الكثيرين من الجمهوريين الأولين ، تحت شعار الترحيب بالإماميين من الجمهوريين اللاحقين ، فأرسلت إلى القاضى عبد الرحمن الأريانى استقالته يوم ٢٤ نوفمبر ١٩٦٨ قلت فيها :

(لا شك أن إقرار السلام أمنية عزيزة نتمناها جميعا حفاظا على الدماء الغالية وإنتفاعا بجهود أبناء اليمن جميعا للبناء والتعمير بما يحقق رفاهية الشعب .. كل الشعب .. دون أدنى تمييز .. لكننا وإن كنا نرحب من حيث المبدأ بأن تفتح الجمهورية صدرها لكل من يعود إليها من الملكيين عودة صادقة ، فإن الذى ندعوكم إليه أن يبقى فى الجمهورية متسع للجمهوريين ، إذ لا يجوز أن تكون عودة الملكيين إلى الجمهورية مشروطة بأبعاد الجمهوريين عنها) .

ختمت هذه الرسالة قائلا :

(إحتفاظا بالصراحة التى نتبادلها نصارحكم بأننا لم يعد فى وسعنا الآن القيام بأى عمل رسمى نافع ، نتحمل مسئوليته أمام الله والتاريخ والشعب ، وسوف نغادر بيروت إلى القاهرة ننتظر ما ترونها لعلكم ترجحون إعادة النظر ، فننتعاون على تهدئة الخواطر وتحقيق الإستقرار وإستتباب الأمن وحسن الدماء ، والله يحفظكم ويرعاكم ويسدد خطاكم) . (الوثيقة رقم ٣٨) .

عدت إلى القاهرة مواصلا إعلان تأييدى للجمهورية اليمنية التى يرأسها القاضى الارياى إقتناعا منى بأن العمل ضدها لا ينفع إلا أعداءها .

وجدت أنني أدت دورى الوطنى على الساحة اليمنية .
 ناديت بالثورة على النظام الإمامى فقامت وسقط النظام الإمامى .
 رسمت قواعد الجمهورية وأسهمت فى إقامة صرحها فقامت الجمهورية .
 وضعت مناهج النهضة الاقتصادية على مقياس الظروف اليمنية وتطورت الحضارة
 اليمنية على نهجها .
 بقيت بعد ذلك مشاكل الإستقرار فى اليمن ، تلك المشاكل التى تستهلك معظم الطاقات
 الاقتصادية فى الساحة الجمهورية ، وهذا ليس شأنى من الناحية التاريخية ، بل شأن
 الجيل اليمنى الحاضر ، والأجيال اليمنية القادمة التى فتحن لها أبواب الطريق إلى
 الحضارة .
 أشهد أنني عندما كنت أركز معظم جهدى فى الساحة اليمنية لم أنس قط أن اليمن جزء
 لا يتجزأ من الساحة العربية . فكان جهدى داخل اليمن جهداً يمنياً عربياً ، كما كان جهدى
 خارج اليمن جهداً عربياً يمنياً .
 ولا أنس قط أن التمزق العربى كان السبب الأول والرئيسى الذى أدى إلى تصعيد
 المشكلة اليمنية ، ثم أدى إلى الكارثة العربية التى حقت علينا يوم ٥ يونية ١٩٦٧ وأشهد
 أننا لا نزال مؤهلين لطوفان من الكوارث العربية الأخرى ، ما دمنا نحمل هذا التمزق
 ونتشبث به ، وندافع عنه .
 لا نعترف بأننا صانعوه ، ولا نعرف أننا ضحاياه .



دولة رئيس الوزراء اللبناني الأستاذ حسين العريضي يقبله الموظف وسام الارز الاعظم
بمناسبة استقالته من عمله سفيرا في لبنان (ديسمبر ١٩٦٨)



اجتماع خاص
من العين الأستاذ قاسم غالب وزير التربية والتعليم اليمني ثم الرئيس المسادات فالمؤلف

وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً
وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ

قرآن کریم

المأساة العربية

الفصل الثامن عشر



أوجزت في هذا الكتاب أن التمزق العربي بدأ (نتيجة) لصراعات سياسية مزقتنا بدعوى دينية ، ثم أضحى التمزق (سببا) لعصبية إقليمية خدرتنا بمزايدات قومية ، ثم أمسى التمزق (نتيجة) لشعارات حزبية خدعتنا بوصفها عصرية ، ثم أصبح التمزق (سببا) لإطماع أجنبية هزمتنا بنزعاتنا الفردية .

هكذا تطور التمزق العربي ، الذي بدأ نتيجة فاضحى سببا ، ثم أمسى نتيجة فاصبح سببا . واختلطت الأسباب بالنتائج وذابت النتائج في الأسباب ، حتى كانت المحصلة المأساوية فقدان الشخصية العربية . ثم أصبح غيابها في الساحة الدولية حقيقة عضوية من مقومات الأمة العربية .

وسيطل هذا التمزق سببا في انهيار الشخصية العربية ، وما ترمز إليه من مصالح قومية ووطنية ، ما دمنا لا ندرك أن النار التي تشتعل في أى أقليم عربى لا يمكن أن تطفئها حدوده السياسية ، ولا تخدمها حواجزه الجمركية ، بل تنطلق السننها المشتعلة حتى تحرق بقية الأقاليم ، العربية ، التى لا بد أن تأخذ نصيبها العادل من هذا الحريق ، بشكل مباشر أو غير مباشر ، بصفة كاملة أو جزئية ، وبصورة علنية أو خفية .

كانت الكارثة القومية التى حلت بالأمة العربية سنة ١٩٦٧ نتيجة طبيعية للتناقضات العربية والصراعات الإقليمية ، ثم أصبحت هذه الكارثة القومية مقدمة حتمية لسقوط العديد من الأقاليم العربية فى قبضة الغزاة المقتصبين على مرأى ومسمع من أبناء الأمة العربية المتصارعين .

من هذا المفهوم العلمى التاريخى لجذور المأساة العربية ينبغى على كل وطنى عربى يسعى إلى تحقيق المصلحة الوطنية الحقيقية أن يسهم فى نشر الوعى الجماعى على مستوى الأمة العربية . ذلك الوعى الذى لا يولد إلا عن طريق نشر الحقائق الجماعية المرتبطة بمصلحتنا من الأمة العربية ، التى من خلال حمايتها يمكن أن نحمل المصالح الوطنية ثم المصالح الشخصية .

والعكس غير صحيح .

لأن حماية المصلحة الشخصية من الأخطار الأجنبية لا تؤدى إلى حماية المصلحة الوطنية من هذه الأخطار . وعندما نعجز عن حماية المصلحة الوطنية لن نستطيع أن نحمل المصلحة العربية .

وما دامت مقاليد الأمة العربية قد أخذت تتساقط بين مخالب الأطماع الأجنبية فأن الحديث عن أحلام المصالح الشخصية وأوهام المصالح الوطنية يعتبر شهادة علنية على نجاح الأطماع الأجنبية في أستغلال النعرات الإقليمية ، واستذلال القيادات المحلية ، واستثارة الغرائز الفردية حتى تنقل ثرواتها إلى البنوك والاستثمارات الخارجية لحمايتها من الهزات الداخلية والغزوات العدوانية فيتحقق المزيد من الأرباح الأجنبية على حساب المزيد من الخسائر العربية والوطنية والشخصية .

هزتنى كارثة ١٩٦٧ التي أشعلت الحريق ، وافزعتنى الكوارث الأخرى التي أراها تهول الينا في الطريق ، فتبينت أن العرب في حاجة إلى مفكرين يتفرغون لنشر الوعي القومي ، أكثر من حاجتها إلى سياسيين يتقاتلون في كهوف الصراع الأقليمي .

وقديما ، تفرغ أفلاطون للكتابة عندما شعر بأنه أدى دوره السياسي ، وتبين أن شعب أثينا أصبح في حاجة إلى عارفين أكثر من حاجته إلى حاكمين ، فأنصرف إلى الأكاديمية ، وتفرغ لإعداد جيل من أصحاب المعرفة .

وأنتنى عندما أشارك في نشر الوعي القومي لاستعادة الشخصية العربية فإننى لا أتعصب لعقيدة قومية على حساب الدعوة الإسلامية ، لأن الدعوة إلى استعادة الوطن العربى الكبير فى دنيا الكيانات الاقتصادية الكبيرة لا تتعارض مع الدعوة الإسلامية على مستوى الساحة الدولية ، تلك الدعوة الآلهية التى تدعو إلى السلام وحماية الأديان والعدالة الاجتماعية التى تذوب فيها الرأسمالية والشيوعية ، فيتحقق الأمان فى حماية الأيمان .

وأنتنا حين نتفق على أن الألتزام الأسلامى لا يتعارض مع الإهتمام الوطنى والقومى ، ثم نتفق على أن مصالحنا القومية والوطنية والشخصية مرتبطة ارتباطا عضويا بضرورة أستعادة كياننا العربى الاقتصادى السياسى الكبير ، فأننا لابد أن نتفق على ضرورة البحث عن أسباب الكارثة القومية التى حلت علينا .

ونحن معشر العرب نعرف أننا نعانى من مأساة الكارثة القومية ، لكننا نرفض أن نعترف بأننا نحن الذين اشتركنا فى إشعال نار التهلكة التى القينا بأيدينا إليها ، قيدنا حركتنا ، وأهدرنا قدرتنا ، ومزقنا صدورنا شر ممزق .

وسواء علينا أن نعترف على أنفسنا أم لا نعترف عليها ، فإن المفكرين من قبلنا ، ومن سوف يأتون بعدنا ، يعرفون أنه عندما تتعرض إحدى الأمم لغزو أو اغتصاب ، فلا بد من أن تكون الظروف الذاتية الموضوعية التى تسود هذه الأمة قد جعلت مثل هذا الغزو أو الإغتصاب أمراً ممكناً ومستمراً ، ما دامت الظروف التى أفضت إليه ، باقية ومستمرة .

ولاينال من ذلك ان يكون الغزاة المغتصبون أقلية ، ما دامت هذه الأقلية قادرة على استغلال الظروف التى جعلت الأغلبية مؤهلة للغزو والاعتصاب والإستعمار .

قاعدة عامة ، لا نعلم من التاريخ ما يناقضها .

والأمة العربية لا تغفلت من هذه القاعدة العامة ، فعندما تراكمت الظروف المغرية لنهب خيراتها واقتسام أراضيها ، لم يتردد الغزاة المغتصبون في التهامها ، مستغلين الظروف الموضوعية التي بدأت تنفذ إلى جسدنا منذ عدة قرون ، عندما انهارت الدولة العربية الإسلامية وانقسمت إلى دويلات ، ثم اندمجت في إمبراطورية الدولة العثمانية التي بدأت بإمارة إسلامية تحولت إلى سلطنة ثم تطورت إلى خلافة إسلامية ، الأمر الذي أثار الذعر في أوروبا التي خشيت من عودة الدولة العربية إلى الامتداد مرة أخرى إلى بلادها ، فاستخدمت عناصر عثمانية غير مؤهلة للإجتهد الإسلامى الذى يقدم الحلول الشرعية فيضبط حاجات المجتمع المتطورة .

اتخذت هذه العناصر من غيبة المجتهدين الإسلاميين المعاصرين ذريعة استندت عليها حتى ألغت دار الفتوى الذى تجعد عند فتاوى السابقين ، واستصدرت قوانين غربية خارجة عن أطار الشريعة الإسلامية ، فتحولت الدول العثمانية إلى نظام لا يركز في تطوره على مفهوم الدولة الإسلامية وقوانينها .

وبنجاح أعداء الدولة العربية في إستدراج الخلافة العثمانية الإسلامية إلى التخلي عن أسس هذه الخلافة ، تمكنوا من الإسراع إلى تمزيق الروابط العضوية بين أجزاء الأمة العربية ، حتى أصبحت غنائم سائبة أغرت القوى المتربصة بها (بسهولة) احتلالها ، أمام سمع وبصر بثية الأجزاء الأخرى التي فقدت اهتمامها بالمصلحة العربية المشتركة ، ففقدت وعيها بالخطر المشترك ، فسقطت كلها في قبضة الغزاة في مراحل متعاقبة ، ولكن بصفة إجماعية وشاملة .

وكانت شهية الأستعمار قد تزايدت ، بعد أن برزت الأهمية الجغرافية للوطن العربى على أثر إستعمار بريطانيا للهند وأستراليا وشرق آسيا ، وحرصها على تأمين طرق الملاحة إلى الشرق الأقصى ، خصوصا بعد أن أفزعها الحملة الفرنسية على مصر ، وبعد أن لفتت أنظارها حملات محمد على في سوريا والحجاز والسودان ، فأسرعت بريطانيا إلى التعاون مع السلطان العثمانى لإبعاد المصريين عن غرب آسيا ، وأرسلت أسطولها إلى بيروت ليقتضى على الوحدة المصرية السورية في مهدها .

وإمعانا في الحيلولة دون إحياء الوحدة العربية ، كتب رئيس وزراء بريطانيا - المستر بالمرستن - إلى سفيره في القسطنطينية في ١١ أغسطس سنة ١٨٤٠ ، بأمره بأن يحرض السلطان العثمانى كي يقبل إسكان يهود جدد في فلسطين قائلا: (سيكون الشعب اليهودى إذا عاد إلى فلسطين في رضى السلطان وتحت حمايته سدا بوجه أية رغبات شريرة يفكر فيها محمد على أو خليفة في المستقبل)^(١).

(١). Albert M. Myamson, the British Consulate in Jerusalem (London, 1939).

كما أرسل الكولونيل تشرشل قنصل بريطانيا في بيروت - في ذلك الوقت - إلى مجلس الممثلين اليهود في بريطانيا يقترح تأسيس وطن قومي في فلسطين ، ثم شرح في كتابه سنة ١٨٥٣ عن لبنان (مخاوفه من أن يستعيد العرب إقامة دولة عربية موحدة في غرب آسيا وشمال أفريقيا) ^(١) .

وكانت الدول الإستعمارية تتسابق على وراثة السلطة العثمانية المحتضرة ، واحتلال أجزاء الأمة العربية المتناثرة التي خلت من القيادات الإسلامية الوجودية ، فسيطرت بريطانيا على عمان سنة ١٨٢٠ ، بعد أن كانت قد عقدت معاهدات بقوة السلاح مع إمارات الساحل الجنوبي للجزيرة العربية منذ معاهدة مسقط سنة ١٧٩٨ ثم احتلت عدن سنة ١٨٧٩ ، وتوسعت شرقاً إلى مقل وشحر وسقطرة وبريم والبحرين سنة ١٨٥٨ ، ثم حولت المعاهدات إلى حماية - ثم حصلت على تنازل الدولة العثمانية عن منطقة تمتد من عدن إلى الكويت .

وعند بدء الحفر في قناة السويس كتب الكولونيل تشرشل قنصل بريطانيا المذكور ، يحذر حكومته من إغفال أمر سوريا بينما تعد العدة للسيطرة على القناة في مصر) .

وكان بذلك يردد الحقيقة التي تقول بأن أمن مصر مرتبط بأمن سوريا ، وأمن سوريا مرتبط بأمن مصر .

هذه الحقيقة التي حملت فراغة مصر منذ العصور القديمة ، ومن بعدهم الحكام الأسلاميين من عرب وعثمانيين ، على تأمين حدود البلدين معا ، والتي ردها العالم البريطاني ، الذي ذاع اسمه خلال الحرب العالمية الأولى باسم اللورد كيتشنر ، عندما ألح هو الآخر على حكومته حتى (تحتل فلسطين كي تحمي إحتلالها للسويس لأن خليج حيفا هو آخر خط دفاعي عن القناة) .

أنتظرت بريطانيا حتى نجحت فرنسا في إتمام مشروع قناة السويس سنة ١٨٦٩ بينما كانت بريطانيا تعد للسيطرة عليها ، فأسرعت بشراء القسم الأكبر من أسهم الشركة بعد إفلاس الخديوى سنة ١٨٧٥ ، ثم افتعلت حادثة الأسكندرية حتى احتلت مصر والسودان .

وبسيطرتها على قناة السويس في الشرق ومضيق جبل طارق في الغرب أصبح البحر الأبيض بحيرة بريطانية ، وكان العكسريون قد توصلوا منذ زمن بعيد إلى حقيقة إستراتيجية ملخصها أن البحر الأبيض مفتاح أوروبا وآسيا وأفريقيا .

ولا يغير من هذه الحقيقة الجغرافية تقدم تكنولوجيا المواصلات والحروب ، لأن الجغرافيا ستظل هي الجغرافيا التي تؤثر في معطيات الظروف الأخرى ، إقتصادية وإجتماعية وسياسية وعسكرية .

Col. Churchill, Mount Lebanon (London 1853), 3 Vol.

(١)

وكانت أقاليم الوطن العربي تتساقط من جسد الأمة العربية إقليماً من بعد إقليم ، فاستولت فرنسا على الجزائر بين سنة ١٨٣٠ وسنة ١٨٤٧ ، واستعمرت تونس سنتي ١٨٨١ و ١٨٨٣ ، واحتلت قسماً من مراكش سنة ١٩٠٧ ، واغتصبت أسبانيا بقية مراكش سنتي ١٩٠٩ و ١٩١٢ ، وانتزعت إيطاليا ولايتي طرابلس وبنغازي سنتي ١٩١١ و ١٩١٢ .

أما إمام اليمن فقد تحصن في جبالها ، كما احتسى سلطان نجد بين قبائل صحرائها ، فانفتحت بريطانيا مع خصمه أمير الحجاز الذي وعدته بتاج إمبراطورية عربية كبرى في نظير أن يتزعم ثورة عربية مناهضة للخلافة العثمانية ، ومؤيدة للسياسة البريطانية .

وفي رسالة إلى المستر هنري مكماهون المندوب السامي البريطاني في مصر ، تنازل أمير الحجاز ، الموعود بتاج إمبراطورية عربية كبرى عن جزء من سوريا وعن جبل لبنان ، ثم ترك مصر والعراق - كما قال - لعدالة بريطانيا وحكمتها .

ثم قضت عدالة بريطانيا وحكمتها بأن تستغنى عن خدماته بعد أن حقق لها أغراضها . وكان آل سعود في نجد قد بسطوا سلطانهم عليها مستندين على رجال البادية المتدينين ، وكانت سمعة الدولة السعودية الدينية قد سبقتها إلى الحجاز فساعدوا أهلها على ضمها إلى عرشها .

وكان البترول قد دخل إلى حلقة الصراع منذ أن منح السلطان العثماني إمتياز البحث عنه لوليم تكس الثرى الأسترالي ، فأسس شركة نفط العراق بالإشتراك مع أثرياء إنجليز وأمريكيين وفرنسيين ، قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى ، فازداد اهتمام بريطانيا بالمنطقة .. لا سيما بعد أن أبدل وزير بحريتها ونستون تشرشل سنة ١٩١٣ - لأول مرة في التاريخ - الفحم بالبترول كوقود للبحرية ، وقال كلمنصو : (أن نقطة البترول تساوي نقطة الدم) .

استغلت الصهيونية حصيلة هذه الظروف كلها ..

إمبراطورية عثمانية عجوز منهارة ، ومحتضرة ، أمة عربية ممزقة ، إستعمار أجنبي شرس يحتل معظم أجزائها ، ويعمل بكل طاقته على منع ميلاد أية بادرة وحدوية يمكن أن تنمو لتعيد إحياء الدولة العربية الوجودية الكبرى .

حتى أن وايزمان ذكر في كتابه (التجربة والخطأ) سنة ١٩٤٩ ، أنه عندما قدم مشروعه إلى الحكومة البريطانية سنة ١٩١٥ طالباً تأسيس دولة يهودية في فلسطين ، أقتنع الانجليز بقوله : (إن إقامة دولة يهودية قوية إلى جانب مصر تضع حاجزاً ضد أي خطر يستهدف مصر من الشمال) .. يقصد حماية الإحتلال البريطاني لمصر .

وكانت هذه الفكرة هي الأرضية التي مهدت لصدور وعد بلفور سنة ١٩١٧ ، بعد أن كان زملاء تيدور هيرتزل حتى سنة ١٨٩٨ مقتنعين بإقامة دولتهم الصهيونية في

الأرجنتين أو المكسيك أو البرازيل إلى أن تمكن هيرتزل من إقناعهم بالإستعانة ببريطانيا للاستيلاء على فلسطين تمهيدا لتحقيق الأطماع الصهيونية .^(١)

وكان هيرتزل قد مهد لأستدراج بريطانيا حين اجتمع مع وزير المستعمرات البريطانية جوزيف تشمبرلين سنة ١٩٠٢ و ١٩٠٣ ، مستغلا خوف بريطانيا من عودة الوحدة العربية إلى الظهور ، فعرض عليه فكرة إنشاء دولة يهودية في سيناء تتمتع بالحكم الذاتي تحت إشراف بريطانيا ، فرحب الوزير بالفكرة لأنها (تضمن عزل مصر عن غرب اسيا ، وتضع شوكة في قلب العالم العربى) .

فالخطر الصهيونى ، وغير الصهيونى ، الأطماع الدولية المتجددة ، التيارات الفكرية الأجنبية المناهضة لمصلحة الأمة العربية ، كل ذلك يستغل تجزئة الوطن العربى ويستهدف كل جزء من أجزائه ، دون استثناء .

وبعد أن كان النفوذ الأجنبى فى القرن الماضى يستغل الطائفية والعصبية الدينية فى الوطن العربى . انتقل ، قبل منتصف القرن الحالى ، إلى إستغلال الأفكار الأجنبية وفى مقدماتها الشعارات الإشتراكية ذات العلاقة العضوية بالماركسية ، مما أدى إلى ظهور صراعات فكرية عربية ذات أوصاف تقدمية واتهامات بالرجعية ، أصبحت الأداة الجديدة والعصرية للإستمرار فى تمزيق الأمة العربية . فسمعنا عن اليمين واليسار ، ثم سمعنا يمين اليمين ويسار اليمين ، وسمعنا عن يمين اليسار ويسار اليسار ، وكل مجموعة تجد المقاعد السياسية محجوزة تبتكر لنفسها مسميات جديدة ، تطرحها فى شعارات وتلقى بها فى سوق المزادات ، وتتسلل الأطماع الأجنبية التى تحتضن كل منها تيارا عربيا يشترك فى تمزيق الأمة العربية .

ويستمر تمزيق العرب . وتستمر طاحونة الخلافات غير الواقعية وغير العلمية تطحن إمكانات العرب ، وتسحق قدراتهم وتقطع أواصر القربى فيما بينهم ، فتعوق ميلاد الإرادة العربية .

حقائق تاريخية ، وبديهية : نتلخص فى أن الأمة العربية ستظل معرضة للخطر المشترك ، الخطر القومى ، حتى يتكون لديها الإدراك الحضارى بالمصلحة المشتركة ، وهذه مهمة المفكرين العرب الذين يعلمون على تكوين الإدراك العربى . فالإدراك لدى الإنسان لا ينجم عن طبيعته البيولوجية وحدها ، وإنما إلى جانب ذلك ، عن مجموع العلاقات الاجتماعية والقناعات الفكرية التى يطرحها المفكرون وينشرها المبشرون . فإدراك المصلحة العربية المشتركة ، القومية ، يمد لإدراك الخطر الذى أطاح بها ، كما يمد لإدراك حتمية العمل المشترك القومى لمواجهة . فإدراك الخطر الحاضر ، هو جنين حماية المستقبل القادم ، وعدم إدراك الخطر هو أقصى درجات الخطر .

^(١) Theodor Herzl, the Jewish State, translated by S. D'avigor (London 1934)

ولا أدرى لماذا تنصارع فيما بيننا ونرفض أنفسنا ؟ بينما فى وسعنا أن نحتكم إلى عقولنا ونهتدى بالقرآن الكريم والسنة المؤكدة ونحن نستخلص الأحكام الشرعية للمتغيرات الاجتماعية والإقتصادية ، التى بطرحها أفضل ما وصل إليه العلم المتطور ، وأثبتته التجارب المستمرة ، حتى نتفق على منهاج إسلامى للتطور فى العالم العربى ، بحيث يحيط بالإطار العام الذى يتفق مع احتياجات الأمة العربية من الناحية الكلية ، كما يتفق مع احتياجات أجزائها من الناحية التفصيلية .



لا يتفق العرب على هدف قومي لمواجهة الخطر القومي إلا إذا وجدت صفوفهم إرادة قومية .

ولا توجد صفوفهم إرادة قومية إلا إذا اهتموا إلى فكر قومي يفرز هذه الإرادة القومية .

وهم يهتدون إلى هذا الفكر حين يتذكرون أن أجدادنا لم يستوردوا أفكاراً أجنبية أفضل من الشريعة الإسلامية عندما اتفقوا ، مسلمين ومسيحيين ، فهزموا التتار وأجهزوا على الأطماع الأجنبية التي تسترت تحت الراية الصليبية .

فالفكر ، كقاعدة ، يسبق الإرادة ثم يصوغ شكلها ويحدد طاقتها ويتابع مسارها .

ولذلك فإن قومية الفكر تسبق قومية الإرادة التي تقود إلى قومية العمل . ولهذا أخطأ الرئيس عبد الناصر قبل حرب ١٩٦٧ عندما تصور إمكانية الاعتماد على عمل عربي مشترك يتصدى لإسرائيل إنطلاقاً من اختلاف عربي مشترك يتصدى للعرب ، ذلك الاختلاف الذي اشترك العرب في صنعه وتعميقه واستمراره ، مما أدى إلى عجز الأغلبية العربية عن توحيد موقفها من أجل التصدي للخطر القومي المشترك ، الذي يستهدف القضاء على كل العرب المتفقيين منهم والمختلفين ، ومعهم أصحاب النوايا الطيبة من المخلصين ، المسلمين والمسيحيين ، الذي يشفقون على حاضر الأمة العربية فوهبوا حياتهم ليصنعوا شيئاً لمستقبلها .

معنى ذلك ، أن نتفق على إطار عام للتطور لكل الوطن العربي ، وانتباه خاص لظروف كل جزء من أجزائه .

وبذلك نضبط منهج التطور وأحكامه على ضوابط المتغيرات النافعة والإمكانات المتاحة في الوطن العربي وفي كل جزء من أجزائه .

فالتخلف لا يحدث فقط من مجرد إهمال الإمكانيات المتاحة ، وإنما يحدث أيضاً من تجاوز حدود هذه الإمكانيات ، وتجاهل الحقائق الموضوعية المتنوعة في أجزاء الوطن العربي ، والتي تتحرك بمعدل سرعة تطور يتفق مع طبيعة هذه الإمكانيات وطاقتها . فالتطور .. تطور ..

أى انتقل من طور إلى طور ، ونجاح عملية التطور هو نجاح عملية الانتقال من طور إلى طور ، وهو ما يحدث عندما تكون قيادة المجتمع واعية لظروفه وإمكاناته وتهيئة للانتقال بإيجابياته من (طوره القائم) إلى (طوره القادم) . ثم تتبع ذلك النجاح بحلقات أنتقال متطور نحو الأفضل حتى لا يجهض التطور لحظة ميلاده ، أو يموت بأمراض الطفولة ، بسبب المراهقة الفكرية .. سواء كانت مراهقة تخلف ، أو مراهقة تطرف .

فالتطور يقاس ويرسم وينظم من خلال ظروف موضوعية معينة وفى زمن معين . فإذا أردنا أن تكون أحكامنا صحيحة ومنطقية على الواقع المتحرك يجب أن تكون مفاهيمنا متحركة بقدر تحرك تجاربنا وتحرك الواقع الذى نريد أن نحكم تطوره . وهذه مرونة الاجتهاد الإسلامى كما سبق الإيضاح فى الجزء السادس من الفصل التاسع فى هذا الكتاب

فالإسلام يدعو إلى العلم وإلى المزيد من العلم ، فى مجتمع إنسانى متحرك لا يقف عند حد فى تطوره الاجتماعى وقفزاته العلمية التى يتيحها الله لمن يشاء من عباده ، فى كل عصر من العصور .

ولذلك أتى الإسلام بالمبادئ الكلية العامة ، فى مجال المعاملات ، وترك للمجتهدين فى كل عصر من العصور أن يهتدوا إلى الحلول والأحكام الإسلامية ، التى تتناسب مع احتياجات المجتمع المتطورة .

ثم جاءت الماركسية على نقىض الإسلام ففرضت جمود النظريات الاجتماعية ، غير مدركة أنه إذا كانت التجارب الهندسية منذ زمن أقليدس قد تطورت تدريجيا خلال عدد من القرن حتى أدت إلى خلق أحكام بديهية هندسية ، فى غير حاجة إلى براهين تجريبية ، فإن المتغيرات الاجتماعية لا تستطيع أن تؤدى إلى خلق أحكام بديهية اجتماعية مماثلة للبديهيات الهندسية .

ومجمل البديهيات المستخلصة من علم الاجتماع أن الحقائق الاجتماعية غير ثابتة ، بل متطورة ومستمرة فى التطور ، أى أن الحقائق والعلاقات الاجتماعية متحركة وبالتالي لا تخضع لأحكام هندسية ثابتة وبديهية .

ولذلك فإن اليمين المتزمت غير متطور ، واليسار الماركسى غير متطور .

اليمين المتزمت لم يتابع تطور المجتمع .

واليسار الماركسى لم يتابع تطور الفكر .

فوقع اليمين المتزمت فى محذور الجمود ، كما سقط اليسار الماركسى فى محذور التخلف .

لذلك فإن المشاكل العربية فى حاجة إلى إجتهد أكثر ونقل أقل ، فبالاجتهاد يمكن تحديد موضوع هذه المشاكل . وإدراك الموضوع يستلزم العالم بتشخيصه وصولا إلى إدراك العلاج الذى يناسبه لمعرفة فاعليته الإيجابية واثاره الجانبية .

والتشخيص والعلاج .. طب .

فى مجال الصحة والمرض طب بشرى ، وفى مجال التقدم والتخلف طب اجتماعى .
لكنه كله طب ، تشخيص وعلاج ، كله علم ، دراسة وخبرة .

ومرضنا العربى يتلخص فى أننا لا ندرك أننا مرضى .

مرضى بطاعون الصراع السياسى الذى طفح بماعون التخلف الإقتصادى .

لأننا تجاهلنا الإجتهد الإسلامى .

فانفصل العقل العربى عن الإرادة العربية .



غابت الإرادة العربية عن العقل العربى لأن الإرادة تعبير تنفيذى عن أمنية ، تتجسد بالمفاضلة العقلية والإختيار النهائى فى مضمون هدف ، وبذلك تتصل الإرادة بالهدف عن طريق الإختيار .

الإختيار عندما يكون إختيارا حرا تصبح الأرادة المختارة مرتبطة بالهدف ارتباطا عضويا ، وعندما يكون إختيارا مفروضا يصبح الهدف المفروض مجرد حالة قسر وإذعان ، لا دخل فيها لعقل المغلوب على أمره .

والشعوب كالأفراد ، لا تغفل من هذه القاعدة الأزالية .

ولقد فرض الغزاة المغتصبون على الأمة العربية اختيارات لا دخل فيها للعقل العربى . فرضوا على الأمة العربية أن تختار ما يريده الغزاة المغتصبون . ثم روضوها على أن تستصحب الأمر الواقع وتتعايش مع الإختيار المفروض . وطاردوا مفكرىها وشردوا عقلائها حتى لا يستيقظ العقل العربى فيوقظ الإرادة العربية .

وفى غيبة العقل العربى فات علينا انه فى وسعنا أن نعتد على أنفسنا عندما نوجد صفوفنا ، فنحمى الإسلام والمسيحية ، نحمل الشيعة والكاثوليك ، السنة والأرثوذكس ، الموارنة والدروز .

نحمى كل أولئك وهؤلاء ، لأننا كل أولئك وهؤلاء نحمل الإيمان وحرية العقيدة فى بلادنا مهبط الأديان وموطن الرسل والأنبياء .

إذا عرفنا هذه الحقيقة العربية فأننا نتبين مدى حاجتنا الملحة إلى حماية أنفسنا من أنفسنا ، وحين نتبين ذلك فأننا نحمل بأنفسنا العقل العربى وهو يستيقظ بيننا فيوقظ فينا الإرادة العربية .

تلك الإرادة العربية التى فى وسعها أن تحقق لنا الهدف العربى عندما تنجح فى نشر قناعات عربية ترفض الشعارات والمفاهيم الأجنبية ، التى عمقت بيننا الانعزالية الإقليمية ، وغرست فينا النزعات الفردية ، وفرضت علينا الحياة الإنهزامية . ويحتاج نشر هذه القناعات العربية إلى حملة شرح وإيضاح وتفسير ، ثم تكرار الشرح والإيضاح والتفسير ، ومناظرة فكرية مع أبناء أمتنا العربية الذين أنساهم الغزاة المغتصبون كيف استطاعت الإرادة العربية أن تنشئ الدولة العربية على مستوى كل الوطن العربى وما هو أبعد من جنود الوطن العربى ، عندما اعتصم أجدادنا بحبل الله جميعا بعد أن كانوا أعداء فألف الله بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانا .

عندما يستيقظ بيننا العقل العربى فيوقظ فينا الإرادة العربية سوف تبدأ ، حينئذ ، حملة تبشير بالهدف العربى ، تكافح من أجل بعثه من رقده وحمايته بعد ولادته .

هكذا بدأت الرسالات السماوية فخاض الرسول الكريم ومعه الوحي والصحابه معركة المعرفة وصولا إلى ميلاد الإرادة الدينية بلوغاً إلى الهدف الالهى ، فأخذوا يرتلون ويشرحون ويناطرون . ثم يرتلون ويشرحون ويناطرون ، حتى استوعبت الجماهير دينها الجديد ، وأدركت أنه يمثل أمانيتها فاتخذته عقيدة تحيا عليها أو تموت دونها .

والهدف العربى هو الهدف الذى يحقق أمانى كل العرب ، من الخليج إلى المحيط . غيران عبارة (كل العرب) لاتعنى بقواعد الحساب كل العرب . لأنه سيبقى فى كل الظروف عدد من العرب يتصورون ، أنانيا ، أن مصالحهم الخاصة والمؤقتة تتناقض مع مصالح مجموع العرب ، وهؤلاء سوف يواصلون الانقضااض على مصلحة كل العرب ، وليس فى ذلك أى شذوذ فى بنيان العرب ، فذلك شأن كل المجتمعات فى كل العصور .

فعلينا أن ندرس طبيعة حاضرننا التى تمهد لمستقبلنا . ونحن نفعل ذلك اذا إتفقنا ولو على القليل الذى يمكن أن يكون محلا للإتفاق . فالقليل الذى يجمعنا أولى باهتمامنا من الكثير الذى يمزقنا ويباعد بيننا ، لا سيما أن القليل الذى نتفق عليه اليوم يؤدى إلى مزيد نتفق عليه غدا ، ثم إلى مزيد نتفق عليه بعد غد ، فتبقى فرصة الإتفاق قائمة ومستمرة .

ولا ننسى إننا كغيرنا من سكان الأرض لا نتفق وحدنا ولا نختلف وحدنا ، وإنما نتعرض كغيرنا لتيارات عاتيه تهب علينا من كل اتجاه ، ولا نستطيع أن نتخلص منها أو نروضها لمصلحتنا إلا اذا كنا متفقين فيما بيننا داخل إطار الوحدة الوطنية ، ومتفقين أو على الأقل غير متصارعين داخل إطار المصلحة العربية . بذلك نخلق الظروف الأكثر صلاحية لمستقبلنا والأكثر ملائمة لمصير أجيالنا .



علمتنا النكسة العربية أنه بدون الدفاع عن الأمن القومى يستحيل الحفاظ على الإستقلال الوطنى ، فطفت فى مصر وخارج مصر ألقى المحاضرات وأنشر الكتب والمقالات وأعقد الندوات من أجل الصحوة الإسلامية والدعوة القومية ، فدعانى الزميل عبد الله السلال إلى مقابلته فى بيت الأستاذ أحمد فؤاد أبو العيون مستشار رئاسة الجمهورية المصرية ، الذى سبق أن عمل مع السلال عدة سنوات فى صنعاء مديرا لشئون الخبراء المصريين فى اليمن ، ثم تولى منصب نائب رئيس مجلس الدولة فى مصر عندما عاد من اليمن .

التقيت هناك بالمشير السلال وكان معه اللواء عبد الله جزيلان والدكتور محمد على الشهارى وآخرون .
وبدلا من أن يناقشوا الموضوعات التى تناولتها دعوتى القومية فوجئت بأنهم ، جميعا ، يولومونى على نشرها ، فسررنى أن يكون الأستاذ أبو العيون شاهدا على الحوار الذى يجرى فى بيته .

كان السلال يعتقد أن شد الإنتباه القومى يؤدى إلى إهمال المصير اليمنى ، وأن إستمرارى فى الدعوة إلى التضامن العربى للتصدى للغزوة الصهيونية سوف ينسئ العرب قضيتنا اليمنية ، وكان يرى أن رئيس المجلس الجمهورى فى اليمن القاضى عبد الرحمن الاريانى ورئيس وزرائه الفريق حسن العمرى قد أستغلا غياب مصر عن الساحة اليمنية فاستسلما للعناصر الإمامية ، وارتعيا بين أحضان السعودية ، ثم لخص عتابه فى أن دعوتى إلى التضامن العربى تؤدى إلى تثبيت الأوضاع القائمة فى البلاد العربية ومن ضمنها الوضع (الرجعى) القائم فى اليمن ، بينما كان يتوقع منى أن يطول نفسى ولا أستسلم للأمر الواقع ، فانتظر حتى تعود مصر إلى الاهتمام بشئون اليمن بعد أن تسترد أراضيها من اسرائيل ، وعندئذ يسقط حكم الأريانى ويعود السلال والبعضانى .

قلت أن الاريانى والعمرى هما من دعائم الثورة اليمنية ، ومن أعضاء مجلس قيادتها منذ ولادتها ، وأنتنى لو كنت مكانهما لما فعلت غير ما فعلاه للحفاظ على النظام الجمهورى ، فلقد أحسنا صنعا باستعادة الصداقة اليمنية السعودية على أساس إستمرار الجمهورية ، أما إذا كانت لنا ملاحظات شخصية على سلوك الاريانى والعمرى مع الإماميين السابقين فإنه فى وسعنا أن نقدم إليهما النصيحة الوطنية ، التى ترحب بالإماميين وتحتفظ بالجمهوريين ، لأن الهدف النهائى من الثورة الجمهورية ليس إبعاد الإماميين عن اليمن ليجثوا لهم عن وطن آخر خارج حدودها ، وإنما أقناعهم بمستقبل يبنى أفضل فى ظل الجمهورية حتى يكونوا من ركانزها القوية وسواعدها الفتية .

أما فيما يتعلق بمصر والسعودية فإنهما بعد أن استعادتا علاقتهما الطبيعية الإستراتيجية لإنقاذ الأمة العربية فإننى لا أتوقع أن تختلفا بعد ذلك من أجل اليمن .

وأضفت أنه إذا ما تحقق النصر العربى على إسرائيل فأننى لا أتصور أن تعود مصر والسعودية إلى ماضى الخلاف حول النزاع اليمنى وهما تتطلعان إلى مستقبل التعاون لاستثمار الانحسار الإسرائيلى . أما إذا ، لا قدر الله ، لم يتحقق ذلك النصر فإنه لن يكون هناك مجال فى القاهرة ولا فى الرياض لغير الحديث عن كارثة المصير العربى .

معنى ذلك أنه بعد أن تضامنت مصر والسعودية فى مواجهة إسرائيل ، سواء تحقق النصر أو حلت الهزيمة ، فإننى لا أتوقع أن تختلفا بعد ذلك لحساب النزاع اليمنى ، ذلك النزاع الذى لا يبرر القتال من أجل الارياى أو السلال .

افترحت على الحاضرين أن نكتب رسالة مشتركة إلى الارياى تتضمن ملاحظاتنا التى تستهدف تقوية الجمهورية ، وأن نكتب رسالة أخرى إلى حكومة المملكة العربية السعودية نشكرها على أعترافها بالنظام الجمهورى فى اليمن وتقديمها المساعدات المالية ، التى تساعده على الاستقرار السياسى والتطور الحضارى .

قلت أننى لم أكن أنتظر من السعودية أكثر من اعترافها بالجمهورية اليمنية ، ثم جاءت مساعداتها المالية للجمهورية فوق ما كنت أتوقع ، وبقي أن نحلم جميعا بمستقبل أفضل للأمة العربية ، ذلك المستقبل الذى يعتمد (أولا) على التضامن العربى ، ويعتمد (أخيرا) على عدم العودة إلى الخلافات العربية ، التى لا تحقق سوى المصالح الذاتية للقوى الأجنبية .

أيدنى الأستاذ أحمد فؤاد أبو العيون (الوثيقة رقم ٣٩) ، وعارضنى السلال وجزيلان أما الشهارى فقد اتهمنى بالرجعية والعمالة للسعودية إنطلاقا من عقيدته الماركسية .

افترقنا وانصرف كل منا إلى طريق ، فبينما أستأنف السلال وأصحابه النقش على الهواء ، يرسمون مخططات العودة إلى حكم صنعاء ، استأنفت الدعوة إلى التضامن العربى مؤيدا الارياى والعمرى . وحتى ذلك الوقت لم تكن بينى وبين السعودية أية صلة شخصية ، وعندما كان السفير السعودى بالقاهرة يرانى فى إحدى المناسبات العامة أو الخاصة كان يدير لى ظهره ، بينما كنت أرحب بأن أبدأ معه حوارا حول المصير العربى .

وذاث يوم علمت أن السلال وأصحابه شكوى إلى المخابرات المصرية زاعمين أننى أصبحت من عملاء الحكومة اليمنية الخاضعة لنفوذ السعودية ، وإن كتنى ومحاضراتى وندواتى وكتاباتى فى الصحف المصرية تستهدف إحباط العزائم الوطنية ، والقضاء على الروح الثورية ، فذهبت لمقابلة اللواء (المشير فيما بعد) أحمد إسماعيل رئيس المخابرات المصرية ، الذى التقيت به لأول مرة وشرحت له مفهومي عن الإستراتيجية القومية ، على ضوء الصراعات الدولية وتجربتى اليمنية ومعاصرتى لأسباب النكسة

العربية ، واسهبت فى شرح حتمية ووسائل الاستفادة من دروس الماضى ما دمنا صادقين فى بناء المستقبل ، الأمر الذى يفرض علينا البحث عن الوسائل المنطقية التى تحقق الأهداف الوطنية والقومية .

قلت للمشير أحمد إسماعيل خلال أربع ساعات متصلة كلاماً كثيراً يستطيع القارىء أن يجده فى صفحات هذا الكتاب ضمن شرحى لأحداثه ، فأبدى المشير إسماعيل تأييده المطلق لتفاصيل حديثى معه ثم أمر وكيله اللواء صلاح المحرزى الذى حضر ذلك اللقاء بأن يعتبر هذا الحديث من مراجع جهاز المخابرات المصرية ، وشجعنى على المضى فى سبيلى مرحباً بأن أزوره ويزورنى كلما وجدت جديداً فى الاستراتيجية العربية والدولية يفيد القضية القومية . (الوثيقة رقم ٨) .

وعندما تأهبت للخروج سألتنى عن آخر نصيحة أقدمها إليه قلت (توطيد العلاقات المصرية السعودية) فرحب بهذه النصيحة فى ذلك الوقت المبكر فى عمر الاستراتيجية المصرية السعودية بعد النكسة العربية .



فوجئت في شتاء ١٩٧١ بوصول الصديق الفريق حسن العمرى إلى القاهرة ، بعد أن استقال من جميع مناصبه في صنعاء ، بسبب إثارة عصبية أدت به إلى قتل مواطن يعنى كان قد أفرط في إثارته حتى قتله .

ورغم أننى أشهد للفريق ببسالته وشجاعته واشتراكه في معظم المعارك الكبرى لتثبيت الجمهورية فإننى لا أقره على قتل أى مواطن ، مهما كان حجم الإثارة العصبية التى سافته إلى قتله . لكننى فى نفس الوقت لا أقر أولئك الذين كانوا يزاحمون الفريق على السلطة فدفعوا بذلك المواطن إلى تعمد إثارته ، وهم يعرفون أعصاب الفريق التى سرعان ماتتحول إلى حريق .

كان العمرى معروفا برفضه المعلن للماركسية ، ونشاطه الدؤوب فى التصدى للعناصر الحزبية . فوجدت هذه العناصر فى الاريانى عصفورا جمهوريا مقبولا على المستوى القبلى ، مرموقا على المستوى الدينى ، ينتهى أمله على مقعد الرئاسة ، مسترخيا فى قاع القفص الجمهورى . يسره أن تنشط العناصر الحزبية والماركسية ، ويفرحه أن تتصدى لها العناصر الدينية والقبلية ، معتقدا أن جميع المتصارعين فى حاجة إليه ، ولعبة بين يديه .

أعتقد الاريانى أنه يحمى مقعد الرئاسة داخل القفص الجمهورى فى نقطة التوازن بين نشاط اليسار وتصدى اليمين ، واثقا فى أنه لم يكن فى حاجة إلى الإهتمام بما كان يجرى خارج ذلك القفص .

خلال هذا الصراع لم تلتفت قيادة الاريانى السياسية إلى تحقيق المصلحة الوطنية الحقيقية ، التى هى التطور نحو المستقبل الأفضل الذى قامت الثورة من أجله . فكان الاريانى عصفور الرئاسة لا يسعى إلى أكثر من الجلوس فى القفص ، وكان العمرى نغماً شاداً فى اللحن الحزبى اليسارى المتطرف ، الذى كان يتأهب لتحطيم ذلك القفص والإنقضاض على السلطة السياسية والقيادة العسكرية .

تجمعت كل هذه العناصر من خلف الاريانى حتى تخلصت من الفريق العمرى فاستقر إلى جوار المشير السلال فى القاهرة ، وانفردت العناصر الحزبية بالقاضى الاريانى فى صنعاء مما أثار العناصر الدينية والقبلية فى حلقة من حلقات الصراع على السلطة .

ثم حملت الأنباء فى ربيع ١٩٧٢ أن القاضى عبد الرحمن الاريانى رئيس المجلس الجمهورى اليمنى غادر صنعاء واستقر فى مدينة صلفه السورية ، على شاطئ البحر

الأبيض المتوسط ، بعد أن قدم إستقالته إلى الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر بصفته رئيسا لمجلس الشورى . وعلمت أن الارياى الذى كان يقف فى نقطة التوازن ، بين نشاط العناصر الحزبية والماركسية وصمود العناصر الدينية والقبلية التى تتصدى لها ، قد شعر باختلال هذا التوازن لصالح العناصر الدينية والقبلية التى ضاعفت من نشاطها لتعويض ما خسره بخروج العمرى ، فأراد الارياى أن يهددها بالإستقالة حتى يستعيد التوازن .

كان الارياى يعرف جيدا أن مجلس الشورى لا يستطيع أن يستغنى عنه ، حيث لم يكن له بديل مقبول لدى العناصر الحزبية والعناصر المعارضة لها فى نفس الوقت ، فذهب عدد من أعضاء المجلس إلى سوريا يناشدون الارياى أن يعود إلى اليمن ، وجاءنى إلى القاهرة رئيس مجلس الشورى الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر وروى لى قصة خلاف المجلس مع الارياى ، وكنت من الذين يعتقدون أن المرحلة التى كانت تمر بها اليمن فى ذلك الوقت تحتاج إلى شخصية على غرار شخصية الارياى ، بعد إقناعها بأهمية تشجيع مبدأ الشورى الذى يمكن أن يؤدى ، بمرور الوقت ، إلى ظهور أفكار بناءه وقيادات شعبية تشترك فى القيادة الجماعية .

طلب منى الشيخ عبد الله أن أسافر إلى سوريا حتى اشترك فى إقناع الارياى بذلك ، فسافرت فى مارس ١٩٧٢ وتناقشت مع الارياى فى جميع التفاصيل ، وتحدثنا على وجه الخصوص فى ضرورة إعداد منهج شامل للتطور فى اليمن ، لأن وظيفة السلطة السياسية لا تنحصر فى مجرد حماية الأمن ، وإنما تلتزم بقيادة التطور ، واتفقنا على ان يعود إلى صنعاء لاستئناف عمله رئيسا للمجلس الجمهورى ، وأبلغنى بأنه سوف يزور القاهرة فى طريقه إلى صنعاء حتى نلتقى ونستكمل الحديث فأعود إلى اليمن للإشتراك فى إعداد ذلك المنهج . رحبت بهذا العرض طالما أننى سأذهب إلى اليمن لمدة مؤقتة أعود بعدها إلى القاهرة لإستئناف الدعوة الفكرية القومية .

وكننت مخلصا أصدق الإخلاص فى تأييده وتزويده بالنصائح البناءة ، التى تؤكد زعامته وتوطد قيادته ، ولا حاجة إلى إعادة القول بأن نجاحه هو نجاح للجمهورية وأوسمة تاريخية على صدور الذين اشتركوا فى ولادتها أو فى حضانتها .

بعد أيام عاد القاضى الارياى إلى صنعاء مباشرة ولم يهبط فى القاهرة ، تحاشيا لمقابلتى حتى لا يتورط فى الوفاء باتفاقه معى ، واعتبرت ذلك تصرفا بشريا من جانبه ، لا يستحق العتاب عليه من جانبى ، فلم يتزعزع إيمانى بأهمية وجوده على رأس السلطة فى صنعاء ، وأخذت أكتب إليه وجهات نظرى فى خطورة الاعتماد على نقطة التوازن بين القوى المتصارعة فى اليمن ، وضورة بروز شخصية القيادة السياسية ودورها الرائد الذى يجب عليها أن تضطلع به فى ميدان التقدم الإقتصادى والاجتماعى الذى هو الغاية الأساسية من إقامة الجمهورية اليمنية ، مع ضرورة إخضاع القيادة فى جميع قراراتها وتصرفاتها للمراجعة المستمرة وصولا إلى النتائج الأكثر تحقيقا للمصلحة العامة ، لأنه لا يتحقق تقدم إقتصادى أو إجتماعى بغير قيادة واعية ومرنة تقود التقدم وتدفع تياره .

قيادة في جوهرها جهد سياسى منظم ومنضبط ، ينطلق من آمال واسعة كى يحقق أهدافا محددة .

جهد سياسى .. أى علم سياسى .

علم لا ينطوى على نفس المضمون الذى تقوم عليه العلوم الأخرى ، التى تستمد فرضياتها من تجارب نمطية مؤكدة ، وأرقام ثابتة محددة ، ونتائج نهائية مطلقة ، يمكن الإستدلال بها والإستناد عليها ، ويجوز نقلها بذاتها ورمتها لتعطى نفس النهايات ، وتحقق ذات النتائج .

علم سياسى يختلف عن هذه العلوم فى أنه يعتمد على إجتهاادات وتقديرات وفرضيات محلية وخارجية ، متداخلة ومتحركة ، وعوامل بشرية حية متقلبة ومتغيرة ، بعضها يدخل تحت حصر ، وأكثرها يستعصى على الحساب ، أو يختفى بعيدا عن دائرة الاحتمالات المرئية والمقدرة ، لأن القرارات التى تستهدف معالجة هذه الفرضيات المتحركة تتضمن قدرا راجحا من الصواب ، وقدرا آخر من الإحتمال الذى يفترض استمرار النظر فيها وهى فى عجلة التنفيذ الفعلى .

أى يفترض اعتبارها تجربة مستمرة ، كى تتولى الممارسة العملية إثبات صحتها وملائمة استمرار الأخذ بها ، أو اظهار حتمية صرف النظر عنها والبحث عن بديلها .

وأثناء ذلك ، لا مفر من الحوار الطبيعى حول أكتشاف مستقبل القرار السياسى ، فهذا قدر القيادات الديمقراطية التى تسعى إلى إقناع الجماهير بها .

هذا الحوار يكتسب موضوعية كلما كان المشتركون فيه ملمين بعناصره الأساسية ، مترفعين عن مصالحهم الشخصية ، متحررين من العصبية الحزبية ، متابعين التطورات المحلية والعالمية ، يسندهم (إمام عام) يحيط بأرضية الحوار مع (أدراك خاص) يمسك بتفاصيله ، ثم تدفعهم إلى ذلك غيرة وطنية تشدهم إلى موضوعية الحوار ، حتى لا يتوهوا أثناء الإنفعال بين أعاصير التعصب .

كان الاريانى لا يسمح بمثل هذا الحوار الذى تحتاجه القيادة الرشيدة ، وإنما كان يرحب بجميع ألوان الصراع الذى يحفظ له نقطة التوازن التى يجلس فوقها ، دون أن يشعر بأية حاجة إلى حوار موضوعى يبحث معه عن مصلحة اليمن ووسائل تحقيقها .

كانت اليمن تعاني من ظاهرة الإبتعاد عن موضوعية الحوار ، كظاهرة عامة تشمل معظم المجتمعات النامية بسبب طبيعة تركيبها الاجتماعى ومستواها الثقافى ، وحدائه عهدها بالموازنة بين الصالح الخاص والصالح العام ، وتأثير الصراعات الأجنبية التى تجرى على ساحتها الوطنية .

غاب عن ذهن الاريانى الذى انفرد بقيادة اليمن أن القيادات السياسية الأعظم ثقافة الأعرق تجربة فى المجتمعات المتحضرة ليست مثله مطلقه اليدين فى اختيار الحلول التى تريدها ، وأنها لا تعمل فى فراغ ، ولا تبدأ فى كل الأمور من الصفر ، ولا تصنع نهضة شعوبها من قماش خام تفصل منه ما تشاء من ثياب المستقبل .

كان الارياىى يعتدز عن بطء التطور اليمنى بدعوى عدم قدرته على الإصطدام بالعوامل اليمنية القديمة ، فوقف جامدا امام الظروف اليمنية الجديدة . وغاب عن ذهنه أنه إذا كانت القيادة السياسية ليست مطلقة اليدين فى اختيار الحلول النموذجية المطلقة ، فأنها ليست مكتوفة اليدين أمام اختيار الحلول النموذجية النسبية ، أى أنها ليست مكتوفة اليدين أمام العوامل المستجدة التى تلقى بنفسها فى طريق المجتمع ، وأمام العوامل الجامدة الموروثة من الماضى .

فمن واجب القيادة : أن تعمل على (تطويع العوامل المستجدة) كى تبنى مواقع الدفع إلى المستقبل ، وأن تعمل على (تطوير العوامل القديمة) كى تهدم عوامل الجذب إلى الماضى .

اكتفى الارياىى بقدرته على الإحتفاظ بتوازن القوى بين العناصر الحزبية المتطرفة والعناصر القبلية المتدنية ، ولم يكتشف أية حاجة إلى الإنتفاع بخبرة المتخصصين ، ولم يدرك أنه لايعيب القائد السياسى أن يستشير أهل الخبرة العارفين بشتى المجالات ، التى لا يمكن أن ينجح أبدا إذا ما أستغنى عنهم وأكتفى بمؤهلاته الشخصية وقدراته الجماهيرية ، التى يمكن أن تصفق لها الجماهير ثم تنام على الطوى خاوية البطون فارغة العقول ، وحناجرها مذبوحة من كثرة الهتاف والصياح ، وأكفها ملتبهة من شدة التلويع والتصفيق ، مما يؤدى إلى إنتشار حركات الإثارة الشعبية التى تتصدى لهذه القيادة الجامدة ، فتتفاقم الصراعات الداخلية التى تزيد من أسباب التخلف .

لم يدرك الارياىى أن القيادات الرشيدة تعرف أن الجماهير تتفعل بالأمانى المحتملة ، بينما ينفعل التاريخ بالنتائج المؤكدة .

وأن القائد السياسى الحكيم ، لا يلزم أن يكون فيلسوفا إقتصاديا أو إجتماعيا حكيما . وإن الإستعانة بعلم العلماء ، وخبرة الخبراء ، شرط أساسى لنجاح القيادة السياسية . والقيادة التى تدرك ذلك او بعض ذلك ، تبلغ قمة الحكمة .

لم يأخذ القاضى الارياىى بأية نصيحة من النصائح التى شرحتها له فى صلفه ثم أرسلتها إليه من القاهرة .

كان هدفى من ذلك أن أستميل الارياىى إلى تطوير النموذج الحضارى فى اليمن ، حتى يكون النموذج المتطور فى صنعاء قادرا على إستقطاب النموذج المتطرف فى عدن . فقد كانت الساحة اليمنية الشمالية والجنوبية - ولا تزال - نموذجا فريدا لصراع الإسلام والماركسية . فشعب اليمن شماله وجنوبه شعب واحد ، تجمعهم روابط العائلة الواحدة وظروف البيئة المتقاربة ، بينما يشطره نظامان متناقضان ، إسلامى فى الشمال وماركسى فى الجنوب . وكان المفروض أن تكون الفقتات الإسلامية السياسية والإقتصادية والإجتماعية فى اليمن الشمالية كفيفة باحتواء ما يناقضها فى اليمن الجنوبية .



تفاقت عناصر الصراع المسلح بين شطرى اليمن فى صيف ١٩٧٢ حتى اشتبكت القوات المسلحة الشمالية والجنوبية فى قتال مرير ، امتد خلال شهرى سبتمبر وأكتوبر ١٩٧٢ ثم توقف ظاهريا بفضل المساعى الحميدة التى بذلتها جامعة الدول العربية ، التى رأس الدكتور سليم اليافى أمينها العام المساعد أول إجتماع للمفاوضات بين الشطرين فى ٢١ أكتوبر ١٩٧٢ بحضور مندوبى مصر والجزائر وسوريا والكويت .

بدأت بذور الصراع بين صنعاء وعدن منذ ان قمنا بالثورة فى صنعاء يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ وأكدت للوزير البريطانى فى صنعاء أنه لا مفر ، أن أجلا أو عاجلا ، من تسليم بريطانيا بإعطاء حق تقرير المصير لأهلنا فى عدن وبقية جنوب اليمن المحتل . وكانت بريطانيا تدرك هذه الحقيقة أثناء مفاوضاتى مع حكومتها بشأن اعترافها بنظامنا الجمهورى فى صنعاء .

وتأكيدا لتمسكنا بوحدة الأراضى اليمنية (كما سبق شرحه فى هذا الكتاب) عينت قحطان الشعبى ، وهو من أبناء الجنوب ، مستشارا للزراعة برتبة وزير له حق حضور إجتماعات مجلس الوزراء ، إقتناعا منى بولائه للوحدة اليمنية لا سيما أنه كان قد أصدر فى مايو سنة ١٩٦٢ اى قبل قيام الثورة اليمنية بثلاثة أشهر كتابا بعنوان (الاستعمار البريطانى وممركتنا العربية فى جنوب اليمن) أوضح فيه إيمانه بوحدة اليمن ودعا فى صفحة ٢٤١ إلى (تكوين جبهه قومية تضم كل الفئات المخلصة فى الحقل الوطنى التى تؤمن إيماننا حقيقيا بقضيتها ومسئوليتها القومية فى اقليم اليمن جميعه) . وفى صفحة ٢٤٣ حدد أهداف هذه الجبهة بأنها (أهداف أساسية تتمثل فى إعتبار أقليم اليمن جزء لا يتجزأ من الوطن العربى الواحد الممتد من المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى واعتبار الشعب العربى فى اليمن جزءا لا يتجزأ من الشعب العربى الساكن فى هذا الوطن ككل) واشترط فى صفحة ٢٤٢ أن تستبعد هذه الجبهة (العناصر الشيوعية والعناصر العميلة ودعاة الانفصال المكشوفين والمستورين) .

من هذا المنطلق أذنت لقحطان الشعبى وزملائه من أعضاء حركة القوميين العرب باستلام ألف جنيه استرلينى من خزانة الحكومة اليمنية ، كأول ميزانية لإنشاء تنظيم الجبهة القومية ، لتشارك فى تأكيد اختيار الوحدة اليمنية أثناء ممارسة حق المصير . إلا أن عملية صلاح الدين التى استهدفت طرد بريطانيا بالقوة من الجنوب استقطبت نشاط الجبهة القومية فدفعت بها إلى أنياب الإستراتيجية السوفيتية ، فقامت بتنظيمات جنوبية

أخرى لذات الغرض ، يحتاج شرح بواعثها إلى كتاب خاص بها . ولما تطورت الحركات المسلحة فى الجنوب وتصادمت الجبهات النضالية على أرض المعركة .

رأت الجامعة العربية ومعها كل من صنعاء والقاهرة أن تصلح فيما بين هذه الجبهات ، وتشكل من بينها جبهة نضالية موحدة فتشكلت فى يناير سنة ١٩٦٦ (جبهة تحرير الجنوب اليمنى المحتل) واختير عبد القوى مكارى أميناً عاماً لها ، لكن عناصر من الجبهة القومية ومن بينها قحطان الشعبى فضلت عدم الانضمام إلى هذه الجبهة الموحدة ، فأصبح فى ساحة المعركة تنظيمان متحاربان رغم أنهما يسعيان إلى هدف وطنى مشترك ، هو تحرير المنطقة من الإستعمار من أجل إستعادة وحدة الأراضى اليمنية .

ثم بدأت فى مايو ١٩٦٧ محاولة أخرى لتحقيق الوحدة الوطنية بين جبهة التحرير والجبهة القومية لكنها فشلت كسابقتها ، ولما اشتد الإقتتال بين الجبهتين تدخلت الجامعة العربية مرة أخرى ، ونجحت فى استصدار بيان مشترك وقعه عبد القوى مكارى عن جبهة التحرير وفيصل عبد اللطيف عن الجبهة القومية فى ٢٥ سبتمبر ١٩٦٧ ناشداً فيه المقاتلين من أعضاء الجبهتين (وقف الإقتتال فوراً والتأخى والحذر خاصة وأن الاستعمار يريد أن يعمق روح الخلاف وينشر بذور الحرب الأهلية قبل رحيله الذى أصبح محتماً) .

غير أنه رغم إقرار الجبهتين بأن الإستعمار يريد أن ينشر بذور الحرب الأهلية قبل رحيله فأنهما لم يستطيعا تحقيق الوحدة الوطنية بينهما ، وتركوا بذور الخلافات الحزبية لتنبت حرباً أهلية .

وانفردت الجبهة القومية باستلام الإستقلال من بريطانيا ، وأستمرت المعارك الطاحنة بينها وبين جبهة التحرير ، التى اضطرت قواتها فى النهاية إلى اللجوء إلى الشطر الشمالى .

وعلى صعيد الجبهة القومية نفسها أخذ الصراع على السلطة يتفاقم بين أجنحتها ، فتم أولاً القضاء على الجناح الذى وصفوه بأنه الجناح اليميني باعتقال قحطان الشعبى رئيس الجمهورية ورئيس وزرائه فيصل عبد اللطيف فى ٢٢ يونيو سنة ١٩٦٩ ثم قتلها الواحد بعد الآخر ، وكان العقيد عبد الله صالح سبعة مدير أمن الجبهة القومية قد التجأ إلى الشطر الشمالى مع مجموعة من ضباطه وجنوده بسياراتهم واسلحتهم ، ثم لحق بهم العقيد حسين عثمان عشال قائد القوات المسلحة فى جمهورية الجبهة القومية .

وبدأ ما وصفوه باليسار المعتدل بقيادة محمد على هيثم يفكر فى تطوير الأوضاع الاقتصادية فى الشطر الجنوبى ، فأعلن عن الخطة الاقتصادية الثلاثية ، غير أن اليسار المتطرف أطاح بهذا اليسار المعتدل فى يوليو سنة ١٩٧١ وأعلن إبعاد محمد على هيثم رئيس الوزراء ، واتخذ إجراءات وقرارات متطرفة قضت على الخطة الثلاثية من ناحية ، ونفرت قطاعات شعبية هامة من إمكانية التعاون الإيجابى فى تطوير البلاد من ناحية أخرى ، وكان من بين هذه القطاعات الشعبية قطاع التجار المقيمين وقطاع اليمنيين

المهاجرين ، الذين عادوا بأموالهم وخبراتهم من الخارج ، ثم تبادت هذه القرارات المتطرفة إلى حد أسفر عن التجاء آلاف العائلات إلى الشطر الشمالي بغير عمل ولا أمل .

ويبدو أن بعض المتطرفين في الشطر الجنوبي قد آمنوا بنظرية جيفارا التي شرحها للرئيس الراحل جمال عبد الناصر أثناء زيارته للقاهرة حين سأل الرئيس قائلا (كم عدد اللاجئين المصريين الذين أجبروا على مغادرة البلاد ؟) وعندما رد عليه عبد الناصر بان (عددهم لم يكن كبيرا وأنهم كانوا في معظمهم من المصريين البيض ، أى من فئة أصحاب الجنسيات الأجنبية الذين تمصروا بحكم إقامتهم في مصر) فصرخ قائلا: (هذا يعني أنه لم يحدث شيء كثير في ثورتكم . أننى أقيس عمق التحول الإجتماعى بعدد الأشخاص الذين يمسه ويؤثر فيهم ، بحيث يبدأون في الإحساس بأنهم لم يعد لهم مكان في المجتمع الجديد) .

فالذين اضطروا إلى الإحساس من اليمنيين الجنوبيين بأنهم لم يعد لهم مكان في المجتمع الجديد في الشطر الجنوبي قد بلغ عددهم مئات الألوف ، فالتجأوا إلى الشطر الشمالي عاطلين بغير عمل ، مقطوعين من كل رزق ، بينما تواجه حكومة الشطر الشمالي مصاعبها الإقتصادية الخاصة فضلا عن صعوبة توفير نعمة الأمن أمام هذه المشاكل المتزايدة .

ولا يستطيع منصف إنكار حق هؤلاء في العودة إلى ديارهم واستعادة حقوقهم المشروعة ، وهم أمام الطرق السلمية المسدودة لجأوا ، في ذلك الوقت ، إلى تنظيم أنفسهم في تجمعات عسكرية انتهت بقيام الجبهة الوطنية المتحدة التي تشكلت بقيادة عبد القوى مكاوى واندمجت فيها جبهة التحرير والتجمعات العسكرية الأخرى ، فضلا عن قيام العقيد حسين عثمان عشاى والعقيد عبد الله صلح سبعة بتنظيم أتباعها من أجنحة الجبهة القومية المنشقة وغير هم ، تحت شعار وحدة وطنية من بين هؤلاء اللاجئين والمشردين الذين عصف بهم تطرف جيفارا .

هكذا اختلف النظام الإقتصادى والإجتماعى في الشطر اليمنى الجنوبي عن النظام الإقتصادى والإجتماعى في الشطر اليمنى الشمالى ، فبينما يتصف الأول باليسار الماركسى ، يستمد الآخر أصوله من الفكر الإسلامى .

ثم ولدت المشاكل الفرعية والمباشرة التي تصاعدت بالاشتباكات المسلحة في سبتمبر وأكتوبر ١٩٧٢ إلى جانب ما أعلنه بعض المتطرفين في الجنوب من أنهم يتحملون المسئولية التاريخية لتحرير شطر اليمن الشمالى ، وبقيّة البلاد العربية الأخرى المجاورة ممن وصفوهم بالرجعيين والعملاء ليقوموا مكانهم مسارح أخرى لليسار الماركسى ، الذى يدعمه الإتحاد السوفيتى سياسيا وإعلاميا وعسكريا .

وفى تصريح للعقيد حسين المسورى رئيس أركان حرب الجيش فى اليمن الشماليّة ، فى تلك الأيام ، والمنشور فى مجلة الحوادث بتاريخ ٢ فبراير ١٩٧٣ صفحة ٢٩ قال :

(لقد سألت بودجورنى شخصيا سنة ١٩٧١ : متى سيصلنا السلاح فقال الزعيم السوفيتى : فى الربع الأول من عام ١٩٧٢ . وما قد انتهت الأربع الأربعة للعام الموعود ، ولم يصلنا شيء .. بل بلغنا أن هناك باخرة كانت متجهة إلى الحديدة وعليها شحنة أسلحة وحولت إلى عدن .. والحكم فى عدن يؤمن بزعامة الاتحاد السوفيتى .. والحكم فى صنعاء يؤمن باليمن ولك أن تقدر لمن سيذهب السلاح ؟) .

ومن الحقائق التاريخية التى تجدر الإشارة إليها أن الشخصيات الوطنية من أبناء اليمن الجنوبية التى كانت بعض عناصر المخابرات المصرية تصفها بأنها رجعية ، واصررت على تصفيتاتها أثناء طرد البريطانيين من جنوب اليمن من خلال عمليات عسكرية وثورة شعبية اطلقت عليها اسم (عملية صلاح الدين) ، أصبحت الآن وبذاتها هى العناصر الوطنية التى تحتضنها كل الدول المعتدلة بما فيها مصر ، التى سمحت لها بمقر فى القاهرة لمقاومة عناصر الجبهة القومية الحاكمة الآن فى اليمن الجنوبية ، ولتى سبق أن احتضنتها عناصر من المخابرات المصرية ثم سقطت من بين احضانها واعتنقت الماركسية واصبحت تعمل لحساب الشيوعية الدولية ضد امن الدول العربية .

فهل كنت على حق حين أردت حقن دماء اليمنيين والمصريين وتمكين الجنوبيين من حق تقرير المصير عند رحيل البريطانيين ، الذين كانوا مضطرين لأسباب اقتصادية إلى الرحيل عن عدن وجنوب اليمن ، بغير حاجة إلى عملية صلاح الدين ، التى جنى ثمارها نفر من الشيوعيين ، على مرأى ومسمع وأكتاف بعض عناصر المخابرات المصرية؟ سؤال أترك الإجابة عليه للتاريخ .

كان الاتحاد السوفيتى يساعد هذه العناصر المصرية ويركب معها فى عربة صلاح الدين التى رسم لها الاتجاه وحدد لها قوة الدفع ، وسرعة الوصول إلى الهدف . وعندما وصل إليه طرد المصريين أبطال صلاح الدين ، وقتل معظم من كانوا معهم من اليمنيين الأعوان ، ثم قذف الثوار اليمنيين برجال المخابرات المصريين ليعودوا إلى القاهرة ، فى حركة استعراضية رشيقة من حركات المصارعة الحرة .

وعندما تصاعد القتال بين شطرى اليمن وتوسطت الجامعة العربية لإقرار وقف إطلاق النار ظهرت اتجاهات وحدوية ، تنادى بالوحدة اليمنية فاتفق الوفدان الشمالى والجنوبى فى ٢٨ أكتوبر ١٩٧٢ على توقيع إتفاقية سميت فيما بعد باتفاقية القاهرة ، التى تضمنت الإتفاق على مبدأ الوحدة اليمنية ، فكان ذلك بمثابة المخرج المشرف لكل منهما من مأزق الحرب ، التى تؤكد كل مهما من عدم قدرته على حسمها لصالحه .

أثرت الصمت وعدم إبداء وجهات نظرى فى ذلك الصراع ، حتى اضطررتى مجلة الحوادث اللبنانية إلى الخروج عن صمتى فنشرت حديثى معها فى عددها الصادر يوم ٣ نوفمبر ١٩٧٢ والذى شرحت فيه ، بوضوح ، سر الخلاف العقائدى بين النظامين اليمنيين ، وناديت بتطوير النموذج الحضارى فى اليمن قائلا (إن مكافحة الشيوعية لا تكون بالإجراءات البوليسية ، وإنما عن طريق إيجاد النظام الإقتصادى والسياسى والإجتماعى الذى يكفل لكل مواطن الأمل فى حياة أفضل) .

أشرت بذلك إلى أن المشكلة اليمنية لا تخرج عن كونها نموذج من النماذج السياسية السائدة في معظم الدول النامية ، ومن بينها عدد من الدول العربية التي تعتبر اليمن بشطريها أولها وليست آخرها .

نموذج متكرر يحتم الإسراع إلى البحث عن الوظائف الأساسية للقيادات السياسية سواء في المجال الخارجي أو الداخلي بما يكفل لكل مواطن الأمل في حياة أفضل ، إذ لا يمكن الفصل بين سياسة الدولة الخارجية وسياساتها الداخلية وانظمتها الاقتصادية وتنميتها الحضارية . لأن الدولة لا تعيش وحدها على كوكب خاص بها ، وإنما تعيش وسط غيرها من الدول ذات الأنظمة المختلفة والأهداف المتداخلة ، مما يعطى أهمية خاصة لمجال السياسة الخارجية التي هي فن تحقيق أهداف الدولة من خلال الظروف الخارجية المساعدة ، والمضادة لهذه الأهداف .

فن ، أي موهبة مصقولة بالعلم ، أو علم مصقول بالإلهام .

فالسباسة ليست علما مجردا يكتفى بالقاعدة والحساب ، وما إلى ذلك من بديهيات (نفاذ البصر) . وإنما -إلى جانب ذلك - يحتاج إلى سعة أفق ، وعمق ادراك ، وغير ذلك من مقتضيات (نفاذالبصيرة) .

ارتمت اليمن الجنوبية بين أنياب الماركسية ، لمجرد أن تسلمت إليها عناصر ذات علاقة سوفيتية ، أثناء تحريرها من الإستعمار البريطاني ، الذي اكتشف هو الآخر أن مصلحته الخاصة تتحقق أكثر من وراء تسليم السلطة لزعماء التحرير غير المؤهلين لقيادة التطوير ، فتأملت هذه العناصر وضلت طريق الوصول إلى تحقيق أهداف الدولة المستقلة الجديدة التي سعت إلى أقامتها ، فاستغرقت في الإستسلام بين أحضان الغول الماركسي الذي ساعدها على الوصول إلى السلطة .

ضلت الطريق إلى الهدف لأنها لم تستخلصه من الواقع اليمني ضمن الإطار العربي .

وهذا ما دفعني إلى إسداء نصيحتي إلى زميلي قحطان الشعبي أول رئيس لجمهورية اليمن الجنوبية ذكره فيها ، في أول يوم لرئاسته ، بأنه أحد أبناء اليمن الطبيعية وأن أهلنا في شطر اليمن الجنوبي هم أهلنا في شطر اليمن الشمالي ، وأن اليمن بشطريها جزء لا ينفصل عن أمتنا العربية .

فأنبأني في رده على نصيحتي بأنه يسير في طريقه الذي انزلق إليه ، ولايستطيع أن يحدد عنه وذلك في برقية (الوثيقة رقم ٤٠) قال فيها :

(أشكركم على تهنئتكُم لإخوانكم بمولد الجمهورية الجنوبية الشعبية وفقنا الله إلى ما فيه خير بلادنا وأمتنا - قحطان الشعبي رئيس جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية) .

فكانت كلمة (الشعبية) التي أضافها إلى اسم الجمهورية إعلانا عن انتماء دولته الجديدة إلى الكتلة الشرقية ، بالرغم من أنه كان شخصا من أشد معارضي الماركسية ، فدفع حياته ثمنا لإعلانه عن نظام لا يؤمن به ولا ينتمي إليه .

كنت ولا زلت أتمنى لليمن الجنوبية أن تستعيد ذاكرتها اليمينية ، وتنسى ظروف تحريرها التي رمتها في أحضان الماركسية ، على نقیض ظروفها الموضوعية وقدراتها على تحقيق النهضة الحضارية ، وسط الأسرة العربية والروابط التاريخية العضوية ، الإسلامية والقومية .

وهذا لا يمنع من احتفاظها بأوثق الروابط مع الاتحاد السوفييتي ، دون الإلتزام بمناهجه الماركسية ، وتنفيذ أهدافه الاستراتيجية ضد المصلحة اليمنية والمصالح العربية .

لأن واقع اليمن الجنوبية واحتياجها المصيري للأمة العربية لا يتفقان مع إنسلاخها عن الجسد العربي ، ولا يحققان هدفها الحقيقي المنبثق من واقعها الفعلي ، الذي يصوغ أهدافها فيحدد نظامها الإقتصادي وسياستها الخارجية التي ينبغي عليها أن تسعى إلى تحقيق أهدافها وسط مجتمع يتكون من دول عديدة لكل منها أهداف تسعى إلى تحقيقها .

فلا ينبغي أن تعتقد اليمن الجنوبية ، أو أية دولة من الدول ، انها مرتبطة بطريق سياسي مسدود ، لا تستطيع أن تحيد عنه إذا تبينت ما هو خير منه ، فالسياسة لا تسلم بأنه يمكن أن نكون كل الطرق السياسية الممكنة مسدودة في كل الأوقات .

فذلك ما لا يستقيم مع المفهوم العلمي للسياسة .

فالسياسة هي خلق طرق جديدة وعدم الوقوف أمام أية مشكلة (بأيدي مكتوفة) و (لسان معقود) وسط (دائرة مفرغة) .

غير أنه عند فتح الطرق السياسية الجديدة يشترط أن تصبحها أساليب جديدة ، ومعالجات جديدة ، يسبقها فهم جديد لطبيعة المخاطب القديم ، وطبيعة المخاطب الجديد .

أو تنتهي الطرق الجديدة إلى نفس البدايات القديمة .



على ساحة الجمهورية العربية اليمنية حذرت القاضى الاريانى فى محاضرة القيتها فى نادى رابطة طلاب اليمن شمالا وجنوبا فى جمهورية مصر العربية يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٧٢ من حتمية سقوط جمهوريته أن هو استمر فى استهلاك رصيدها الشعبى ، الذى استند عليه عندما قام بإنقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ . لأن قيام هذا الإنقلاب فى شمال اليمن عاصر قيام جمهورية أخرى فى جنوبها عقب استقلاله عن بريطانيا أعلنت مناهج الماركسية لابد من أن تقوم جمهورية الاريانى فى الشمال بطرح فلسفتها الإقتصادية والاجتماعية التى تنبثق فى ظروف الموضوعية وعقيدتها الإسلامية حتى تملأ الفراغ الفكرى فى الساحة اليمنية ، فتغلق الأبواب على الشعارات الماركسية التى رفعت السلاح على شمال اليمن ،إنطلاقا من جنوبها ، حتى قامت الحرب بين شطرى اليمن .

لقد كان الإنجاز التاريخى للجمهورية الثالثة برئاسة الاريانى الذى منحها فرصة الميلاد ، ثم اعطاها فرصة الاستمرار ، هو تحويل الاتكالية والسلبية اليمنية إلى يقظة ايجابية للدفاع عن النفس وحماية الأمل الذى تجسد فى أهداف الجمهورية .

غير ان هذه الجمهورية الثالثة قد نسيت هى الأخرى فى ظل ظروفها الذهبية الخاصة أهمية طرح فلسفتها الإقتصادية والاجتماعية المنبثقة من إجتهاذا الإسلامى ، ولم تحدد وجهات نظرها فى علاج مشاكل الفقر والتخلف ، وخطوات ومراحل تطوير المجتمع اليمنى نحو حياة أفضل ، مكتفية بشعار العدالة الاجتماعية العام ، تكرارا لما سبق أن أعلنته الثورة عند قيام الجمهورية الأولى سنة ١٩٦٢ بعد أن جردوه من قدرة التطور المستمر ، الذى كنت أسهر على الإرتقاء به إلى مستوى الحضارة العصرية ، بما يشبع خيال المواطن اليمنى ويجعله يعيش فى الأمل الأفضل عن طريق العمل الأكثر .

لم يشعر الاريانى بالحاجة إلى البحث عن الكوادر والقيادات فى مختلف المستويات التنظيمية والإدارية ، بينما كان ذلك أكثر ضرورة وأشد إلحاحا أمام ضغط التيارات الغازية المتطرفة ورياح المواجهة المسلحة ، التى تستهدف كل شعب اليمن ،وما حول شعب اليمن من شعوب عربية أخرى ، بما تحمله هذه التيارات الغازية من أحلام برافة غير ذات مفاهيم منطقية التطور ، ولا إنسانية التحليل ، بهدف تضليل جموع الشعوب المتطلعة إلى التطور ، والباحثة عن بداية الخروج من دائرة الواقع المؤلم .

هذه الظروف الجديدة فى الشطر الجنوبى جعلت الجمهورية الثالثة فى الشطر الشمالى تكاد تستهلك معظم رصيدها الإيجابى الذى حققته يوم ٥ نوفمبر سنة ١٩٦٧ ، مما كان يفرض عليها ضرورة تجديد هذا الرصيد .

ومع اعتقادي بأن نظام الجمهورية الثالثة بقيادة الارياني كان في تلك الظروف يحوز إعجاب أغلبية الشعب اليمني المتطلعه إلى الإحتفاظ بالقيم الدينية ، فقد كان الشعب اليمني في حاجة إلى الأمل في حياة أفضل . وفي غياب الأمل لا ينتظم الإعجاب غير المنظم ، كأي إعجاب غير منظم ، لا يمكن ان يكون إعجاباً مستمراً مولداً لقدرة الحفاظ على أمن الجمهورية .

الإعجاب غير المنظم كالبخار غير المنظم .

لا يولد طاقة دفع .

ولا قدرة تحرك .

الإعجاب غير المنظم يتجلى مع المناسبات العابرة ، ويتبخر مع البخار المنطلق ، لا يدفع طاقة شعبية ، ولا يحرك قدرات المجتمع في إتجاه التطور الإجتماعي والإستقرار السياسي ، لأنه لا يحدد ملامح القدوة المستمرة التي تستحق هذا الإعجاب ، ولا يفصل إبعاد النموذج الباقي الذي يتجسد فيه ، حتى تلتقى اصداؤه فتلتئم فتبعث نبضات تدق في شرايين المجتمع كي ينشأ الارتباط العضوي المتجدد بينه وبين قيادته التي تستحق تأييده ، ودفاعه عنها ، وصموده حولها .

كان الارياني في حاجة إلى الإهتمام إلى تحديد مشاكل الشعب اليمني ، واختيار الحلول التي تتناسب معها ، والإقتراب من آماله الطموحه والممكنه ، بالسير في خطوات ومراحل تنفيذها ، حتى ينتظم الإعجاب بجمهوريةه ، فيستمر نظامه وتستقر رئاسته .

وعندما لم يدرك الارياني هذه الحقيقة البديهية أصبحت جمهورية (الثالثة) في وضع يشبه الظروف التي سبقتها وأدت إلى قيامها ، ثم أخذت تمهد إلى سقوطها .

واكتفى بلعبة توازن القوى في اليمن التي شرحها الصحفي الأستاذ جلال كشك في حديثه مع الارياني المنشور في مجلة الحوادث اللبنانية يوم ١٩ يناير ١٩٧٣ صفحة ٢٨ حيث قال للارياني (يقال أنه كما جئت بالعيني « محسن العيني » برصيده اليساري ليصطلح مع الملكيين والسعودية ، جئت بالقاضي الحجري « عبد الله الحجري » برصيده اليمني ليتحد مع الماركسيين في عدن) فابتسم الارياني قائلاً (الظروف هي التي جاءت بالأول كما جاءت بالثاني) .



فى زيارتى للصديق رشيد كرامى رئيس وزراء لبنان السابق فى ٩ يونية ١٩٧٣ أبدى عدم رضائه عن سياسة مصر تجاه القضية العربية ووصفها بعدم الوضوح .

وخلص بحديثه مشيرا إلى ضرورة إستئناف القتال مع إسرائيل ، على أساس أن عبد الناصر لم يكن يقصد من وقف إطلاق النار استجابة لمشروع روجرز الامة قصيرة جدا ، يستطيع خلالها تقديم قواعد الصواريخ إلى حافة القناة .

وأضاف أن استمرار وقف إطلاق النار أضعف التيار الوطنى والقومى فى الساحة العربية ، وضرب لذلك مثلا ما يجرى فى لبنان واستئساد التيار المعادى - كما قال - للخط العربى ، وقال أنه كان على القاهرة أن تمارس نوعا من الضغط على السلطة الحاكمة فى لبنان لأجبارها على البقاء فى الخط الوطنى ، كما تعودت القاهرة أيام عبد الناصر .

قلت لزميل الدراسة رشيد كرامى الذى واصل حكم لبنان أكثر من عشر سنوات:

١ - أن الخط الشهابى الذى كان يتزعمه كان قد انهزم فعلا فى حياة عبد الناصر .

فى انتخابات الرئاسة سنة ١٩٧٠ التى فاز بها الرئيس سليمان فرنجية ، وكان أول ظهور رسمى لمصائب سلام كرئيس لوزراء لبنان هو حضوره إلى القاهرة لتشييع جنازة الرئيس عبد الناصر .

وبالتالى لا دخل لعهد السادات فيما حدث للتيار الوطنى فى لبنان .

٢ - إن عبد الناصر نفسه استحسن تغيير ممارسته العربية بعد نكسة ٥ يونية ١٩٦٧ على أمل أن ينجح فى تهيئة مناخ أفضل لمعالجة القضية العربية ، التى ينبغى أن تكون القضية القومية الهامة بصرف النظر عن حسابات الأرباح والخسائر المحلية .

٣ - إننى لو كنت صاحب القرار السياسى فى القاهرة فإننى لا أعطى قرار الحرب لمجرد التأثير محليا فى أى إقليم عربى ، حتى يفوز هذا أو ذاك من أصدقائى ، وإنما أعطى قرار الحرب فقط عندما تكتمل حساباتى السياسية والعسكرية ، ويلوح أمامى احتمال النصر فى القضية الأساسية ، وإذا فاز هذا أو ذاك من اصدقائى هنا أو هناك فى الأقاليم العربية فإن ذلك يظل ضمن النتائج الفرعية المستحسنة .

وأضفت قائلاً أن تاريخ السادات يفرض الاعتقاد بأنه لا يتأخر عن إصدار قرار الحرب بمجرد أن يحين وقته المناسب ، وأنه إذا كان لا يزال صابراً فهو من الكاظمين الغيظ ، الذين يعدون لحظات الإنتظار على دقائق قلوبهم .

ثم دعاني سماحة الشيخ حسن خالد مفتي لبنان إلى تناول الشاي ، وخرجت بنفس الانطباع ، بالإضافة إلى أنه تحدث أكثر عن حقوق الطائفة السنية وكيف اهدرها الرئيس سليمان فرنجية على يد الدكتور أمين الحافظ وانه ، أى المفتي ، جمع بين رشيد كرامي وصائب سلام وزعماء الطائفة السنية لاتخاذ موقف موحد .

ثم التقيت بالزعيم الدرزي اليساري كمال جنبلاط الذي كان كثيراً ما يتخذ مواقف ملفته للنظر . فبينما كان يعذر القاهرة على تربثها في اتخاذ قرار الحرب ، كان يعتب عليها لأنها تأخرت عن أتخاذها .

أما الجمهور اللبناني فقد لاحظت أنه ، كسائر جماهير الأمة العربية ، يعيش في قلق من أنتظار المجهول ، والتردد بين الحل العسكري الذي لم تكتمل مقوماته ، والحل السلمي الذي لم تظهر بوادره . وكانت كتابات الأستاذ هيكل في الأهرام مدعاة (لليأس من السلام ، والعجز عن الحرب) .

وعندما عدت إلى القاهرة التقيت بالسادات يوم ١٩ يونية ١٩٧٣ ورويت له ما رويت . وكان الدكتور حسن صبرى الخولى قد سبقني إليه بحديث الرئيس اللبناني سليمان فرنجية الذي طلب الإستعانة بمصر لحل ما وصفه فرنجية بـ (ازدواجية السيادة) القائمة في لبنان ، حيث كان يعاني من خروج الفلسطينيين على الشرعية اللبنانية ، وكان يصف التجمعات الفلسطينية المقيمة في لبنان بأنها دولة ذات سيادة إسمها (الكفاح المسلح) .

خرجت من زيارة السادات مقتنعا بابتسامته التي رأيت فيها ابتسامة الصابر الواثق المعتمد على الله .

في ٨ اغسطس ١٩٧٣ دعاني الصديق الأستاذ سليم اللوزي صاحب ورئيس تحرير مجلة الحوادث اللبنانية على طعام الغداء في فندق شيراتون القاهرة مع نحو عشرة من الأصدقاء العرب ، وكانت تنتظره في المطار طائرة خاصة لنقله إلى السعودية لزيارة الملك فيصل .

كان حديث اللوزي لا يزيد ولا ينقص عن حديث رشيد كرامي والمفتي اللبناني . فقد كان يعتب على السادات تأخره عن مواجهة إسرائيل مواجهة عسكرية مما أدى إلى فقدان العرب الروح الحماسية .

وكعادتي عندما أتأهب لإلقاء محاضرة أو لقاء صديق على مستوى اللوزي أن أستعيد ، قدر الإمكان ، قراءة ما يمكن أن تتطرق إليه المحاضرة أو يتناوله الحديث . فذكرت الصديق سليم اللوزي بما كتبه في مجلة الحوادث يوم ٨ يونية ١٩٧٣ صفحة ١٦ على لسان محمد المصمودي وزير خارجية تونس والترشل وزير خارجية ألمانيا الغربية ،

الذين أجمعوا على أن جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتي صرح لكل منهما بأنه (ليس أمام الاتحاد السوفيتي سوى أن يتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية ، وأن بقية المشاكل كالمشكلة العربية الإسرائيلية مشاكل ثانوية ، وأنه ليس أمام العرب سوى الاتصال المباشر بإسرائيل بواسطة طرف ثالث للتوصل إلى حل سلمي على أساس قرار مجلس الأمن).

معنى ذلك أنه كان على العرب الذين يرفضون هذا الأسلوب السلمي ، في رأى الاتحاد السوفيتي ، أن يعتمدوا على أنفسهم وحدها ، دون سواها وأن يغامروا بالانتحار في حرب مع إسرائيل بأسلحتها الأوروبية والأمريكية المتفوقة ، وأجهزتها الإعلامية وتقدمها في الحرب النفسية والوسائل الخداعية في ظروف الإنقسامات العربية .

ثم أعدت على الصديق اللوزي ما كتبه في مجلة الحوادث يوم ١٥ يونية ١٩٧٣ صفحة (٢٥) قائلاً أن مشكلتنا العربية هي (عجزنا عن كسب أنفسنا أولاً ، وعجزنا عن معرفة ماذا نريد ثانياً ، وعجزنا عن توظيف إمكانياتنا لتغيير مواقف الدول ثالثاً . أن هذا العجز هو الصفة الأساسية للعالم العربي اليوم) .

قلت للصديق سليم اللوزي أنه بهذه العبارات الواضحة يسلم معنى بأن العرب عجزوا عن كسب أنفسهم ، وعجزوا عن معرفة ما يريدون ، فعجزوا عن توظيف إمكانياتهم . وما دام الأمر كذلك فلماذا لا يتحمس معنى لدعوة قومية تعيد العرب إلى أنفسهم ، حتى يعرفوا ما يريدون ؟ لعلهم يوظفون إمكانياتهم من أجل أنفسهم ، ويحمون بها مصالحهم الوطنية والقومية ، وهو ما يجب أن يتحمس له الصديق اللوزي وجميع الكتاب العظام العرب الذين على مستواه .

شرحت له ما كان يعرفه مثلي عن الحرب . فالحرب إمكانيات ذهنية وتكنولوجية والأموال العربية محبوسة لدى البنوك الأجنبية في متناول أيدي الصهيونية العالمية ، بينما الديون العسكرية قد أرهقت كاهل مصر التي وصل إقتصادها في ذلك الوقت إلى حد الصفر .

وإذا كانت مصر هي فارس الدول العربية ، فلا أقل من أن تقوم هذه الدول بتزويد الفارس بالحصان والسيف والدرع ، ولا جناح عليها أن هي أهملت طعام الفارس وحصانه ، وتركته يأكل من حشائش الأرض ، بعد أن تسلحه بالسيف والدرع ، للذين لا يجدهما بين هذه الحشائش .

قلت لسليم اللوزي أنني اعتقد رغم كل ذلك أن مصر لن تتخلى عن إستعادة كرامتها وأرضها التي هي كرامة العرب وأرض العرب . وليس لنا أن نستعجل الأمر قبل أوانه ، لأنه يعتمد على حسابات إقتصادية وسياسية محلية وعربية ودولية قبل إشارة البدء بالمعركة العسكرية .

قلت لسليم اللوزى إننى أشم رائحة شجرة الأرز اللبنانية وهو يستعجل المعركة العسكرية ، وأشرت إلى ما كتبه يوم ١٣ يولية ١٩٧٣ فى مجلة الحوادث صفحة ٩ أى قبل حديثنا بأقل من شهر حيث قال :

(اذا كنا نريد مواجهة الحقائق ، لا التخفى وراء الأوهام ، فعلينا أن نعتزف بأن حالة اللاسلم واللاحراب - وهى التسمية التى يفتخر الأستاذ محمد حسنين هيكل باختراعها - هى فى الواقع حالة من (السلم العسكرى) تفرضه إسرائيل على المنطقة . والذى تحمية أمريكا بواسطة إسرائيل لا يمكن أن يكون إستقرار لبنان وسيادته).

ضحك الصديق سليم اللوزى ودفع قيمة الغذاء التى بلغت خمسمائة وخمسين جنيها . وعندما كنا على باب الفندق همست فى أذن اللوزى قائلاً :

(ياأخى سليم أنت صديق السادات ، وأنتما تتفقان على حتمية المعركة . والخلاقات بينكما ينحصر فى أنك تتكلم من جيب الرجل الذى يدفع خمسمائة وخمسين جنيها تكاليف غذاء لعشرة أصدقاء ، والسادات يتكلم من جيب رئيس الدولة التى يقف مواطنوها فى الصفوف ساعات وأيام ، حتى يحصل أحدهم على علبة سردين بربع جنيه ، فكيف تستعجل مثل هذا الرئيس كى يعتصر من بطون مواطنيه الخاوية ما يشتري به السلاح الذى يستعيد به كرامة وأرض العرب ، بينما يسخر الأخوة العرب من طوابير الشعب من المصريين أمام مجمعات التموين بعد أن أرهقتهم تكاليف الحرب من أجل الفلسطينيين والعرب أجمعين ؟) ..

وعندى سليم اللوزى بالإلحاح على ملوك ورؤساء الدول العربية حتى ينهضوا بمسئولياتهم تجاه الإقتصاد المصرى نتيجة للحروب المستمرة مع إسرائيل .



من اليمين المؤلف ثم سماحة الشيخ حسن خالد مفتي لبنان

فَصَبِرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُذُوا
حَتَّىٰ أَتَاهُم نَصْرُنَا

قرآن کریم

شعاع الفجر

الفصل التاسع عشر



حققت الأمة العربية في ١٠ رمضان ١٩٧٣ نصراً عسكرياً على إسرائيل وحمدت الله على بسالة الجيش المصرى الذى اخترق خط برليف واحتل شرق القناة فى أقل من ست ساعات ، كما أكبرت صبر السادات وشجاعته ، والتعاون العربى الذى ظهر فى بداية عهده على الساحة العربية حيث أشترك العرب دون استثناء فى القتال الفعلى حتى أحرزوا النصر العسكرى لأول مرة فى تاريخهم الحديث .

فى هذا المجال تحضرنى ذكريات جديرة بالتسجيل .

فى أواخر يونية ١٩٧٠ قام الرئيس عبد الناصر بزيارة الاتحاد السوفيتى ، ولما فشل فى الحصول على ما يريد لتدعيم الجبهة المصرية بالأسلحة الحديثة التى تحتاج إليها مصر أعلن موافقته على قبول مبادرة روجرز الأمريكية ، بينما كان نائبه أنور السادات فى مصر مجتمعاً باللجنة التنفيذية العليا للإتحاد الاشتراكى يعلن فى القاهرة عدم موافقة مصر على قبول هذه المبادرة .

عاد الرئيس عبد الناصر إلى مصر يوم ١٧ يولية ١٩٧٠ بعد أن وضعه الأطباء السوفيت فى غرفة الأوكسجين الخاصة برجال الفضاء لتجديد خلايا جسمه كله .

وبعد أن وصل الرئيس عبد الناصر بأربعة أيام أعلن أن السادات سوف يعتكف أسبوعاً على الأقل بناء على تقرير الأطباء الذين قرروا عدم السماح له باستقبال الزائرين أو التحدث فى التليفون .

وكان رأى الراجح فى ذلك الوقت أن بعض الذين كانوا مع الرئيس عبد الناصر فى موسكو قد أثاروه ضد السادات الذى أعلن رفض المبادرة الأمريكية فى مصر ، بينما كان الرئيس عبد الناصر يعلن قبولها فى روسيا .

ولا شك عندى فى أنه لم يكن هناك خلاف فى رأى ، لأن رأى فى تلك الأيام كان رأى الرئيس عبد الناصر وحده دون سواه ، فكان رفض السادات للمبادرة بتعليقات مسبقة من عبد الناصر ، قبل أن يفضب فجأة أثناء المفاوضات فى وروسيا .

بدأ الرئيس عبد الناصر يدافع عن مبررات قبوله مبادرة روجرز فأعلن فى خطابه فى الاحتفال السنوى يوم ٢٣ يولية ١٩٧٠ قائلاً (أننا نوافق على المقترحات الأمريكية وهدفنا واضح محدد . الانسحاب الكامل من جميع الأراضى المحتلة .. وحين يتعرض العمل السياسى إلى الفشل ليس امامنا الا العمل العسكرى) .

وفى خطاب آخر يوم ٢٥ يولية ١٩٧٠ قال :

(فى إعتقادی أن إسرائيل لم ترد على المبادرة الأمريكية حتى الآن ظنا منها أننا كنا سنرفض هذه المبادرة فتستغل الرفض لتحصل على المزيد من السلاح والمال بحجة حماية نفسها من العرب الذين يريدون إلقاءها فى البحر) .

ثم قبلت إسرائيل المبادرة الأمريكية فى أول أغسطس ١٩٧٠ وكانت المبادرة تقضى بوقف إطلاق النار على الجبهة المصرية مدة ٩٠ يوما .

وفعلا بدأ وقف إطلاق النار على الجبهة المصرية الإسرائيلية فى تمام الساعة الواحدة من صباح يوم الخميس ٨ أغسطس ١٩٧٠ .

فى نفس ذلك اليوم علمت أن الرئيس السادات معتكف (أو محددة إقامته) فى بيته الريفى فى ميت أبو الكوم فذهبت لزيارته ، غير أنني أمضيت ليلة النهار مع مدير مكتبه الأستاذ فوزى عبد الحافظ ولم أتمكن ، على خلاف العادة ، من رؤية السادات مما رجح عندى شدة التعليمات بعدم السماح له بمقابلة أحد .

وبدأ الفلسطينيون وغيرهم من العرب يسيئون فهم الظروف العسكرية والسياسية والاقتصادية التى أملت على الرئيس عبد الناصر قبول المبادرة الأمريكية ، كخطوة تكتيكية يلتقط فيها أنفاسه المصرية ، ويعيد فيها حساباته السياسية العربية والدولية .

استغل الإنتهازيون العرب والغزاة الأجانب بوادر الإحباط العربى ، الذى نتج عن هذه المبادرة ، فقادوا حملات التشهير بمصر والرئيس عبد الناصر حتى وصل الملك حسين إلى القاهرة فى يوم ٢١ أغسطس ١٩٧٠ ليستفسر بنفسه عن أبعاد هذه المبادرة .

وفى يوم الأحد ٢٣ أغسطس ١٩٧٠ غادر القاهرة الملك حسين وكانت الصحف قد أعلنت أن السادات سوف يستأنف عمله فى أول سبتمبر ١٩٧٠ وعلمت أنه انتقل إلى بيته الصيفى فى الأسكندرية فذهبت لزيارته ظهر ذلك اليوم . وعندما هممنا بتناول الغذاء معا اتصل الرئيس عبد الناصر تليفونيا من استراحته بالمعمورة داعيا السادات إلى زيارته وتناول الغذاء معه ، فأخبره بأننى كنت معه وأستأذنه فى أن يتوجه إليه بعد الغذاء ، فقال الرئيس (هذه فرصة نرى فيها الأخ عبد الرحمن بعد غيبة طويلة ، ادعه لنتغذى معا نحن الثلاثة) . وكنت لم أزر الرئيس عبد الناصر قبل ذلك بنحو أكثر من عام بعد آخر زيارة رسمية قمت بها فى بيروت ، وكانت وجهات نظرى فى الموقف العربى لا تعجب الرئيس فى ذلك الوقت ، لأنها كانت قاطعة باستحالة القيام بمعركة عربية مشتركة اعتمادا على خلاف عربى مشترك . ولم تكن فى الأفق ، فى تلك الأيام ، أية بارقة أمل فى إحياء التضامن العربى الذى لا يكتفى بمؤتمرات القمة ، وإنما يستلزم صفاء النوايا لاتحاد الهممة .

وعندما يستحيل القيام بمعركة عربية (يشترك فيها كل القادرين فى البلاد العربية) فإنه يستحيل النجاح فى استعادة (كل) الحقوق والأراضى العربية .

وحيث لم يعد أمام مصر أى بديل سوى الإعتماد على قدراتها الذاتية ، فلم يكن أمامها سوى التركيز على استعادة الحقوق والأراضى المصرية ، مع الحفاظ على فتح أوسع الأبواب لاستعادة بقية الحقوق والأراضى العربية ، عندما يتهيأ المسرح العربى لإستعادتها .

سواء فى هذا الجيل أو فى الأجيال القادمة .

كانت هذه وجهات نظرى التى أرسلتها ، قبل عام من مبادرة روجرز ، إلى الرئيس عبد الناصر من بيروت برموز السفارة المصرية هناك ، والتى تولى إرسالها مستشار السفارة المختص العميد محمد كوثر (أمين عام برئاسة الجمهورية حاليا) فغضب الرئيس عبد الناصر من هذه الآراء أعظم الغضب ، لكننى أرسلتها مخلصا لمصر ، مشفقا عليها ، وعلى الأمة العربية متمنيا أن تسعيد ، ذات يوم ، إحساسها بالخطر المشترك فيولد عندها الإدراك الغريزى بالحاجة إلى اتفاق مشترك من أجل التصدى له والتغلب عليه .

أثناء الحديث على مائدة الرئيس فى المعمورة شكى من عدم تقدير بعض العرب للموقف السياسى الدولى وظروف المعركة العسكرية ، ومدى عمق الألامه الشخصية من قيام إسرائيل بالسيطرة على العمق المصرى حتى ضربت مصنع أبو زعبل ومدرسة بحر البقر فى يناير فى نفس ذلك العام (١٩٧٠) فاضطر إلى طلب أطقم عسكرية سوفيتية ، تتولى بنفسها الدفاع الجوى عن مصر بقوات سوفيتية تستخدم صواريخ سام ٣ مما أدخل مصر تحت الحماية السوفيتية ، وحقق للإتحاد السوفيتى فقرة كبرى نحو بلوغ أهدافه فلم يرسل الطائرات التى كان المفروض أن تصل إلى مصر فى إبريل ١٩٧٠ حتى لا تستطيع مصر أن تلوح بتهديد إسرائيل .

كان ذلك هو الوضع العسكرى المصرى الذى نال من كبرياء الرئيس عبد الناصر وأثر على حالته النفسية والصحية ، بينما كان بعض القادة العرب يكتفون بإطلاق التصريحات الحماسية والمزايدات السياسية ، ويكرر الإتحاد السوفيتى بيانات تأييده المطلق للقضية العربية .

أضاف الرئيس عبد الناصر أنه مع ثقته فى أن أمريكا لا تستطيع تنفيذ مبادرتها ، فإن هذه المبادرة تعطى لمصر فرصة ٩٠ يوما تعيد فيها حساباتها العسكرية وتجهيزاتها الحربية ، على أمل أن تستعيد ولو كيلومترا واحدا شرق القناة ، تقلب به موازين القوى فى الشرق الأوسط .

علق السادات على ذلك بقوله أنه يكفى مصر شبر واحد شرق القناة تضرب به نظرية الأمن الإسرائيلية .

لم أحاول أن أتدخل فى الحديث لأن آرائى معروفة جيدا لدى الرئيس عبد الناصر فخشيت أن أكررها بعد أن بدأ يتجه إليها فيفسر كلامى على محمل آخر ، إلا أن الرئيس عبد الناصر استغرب صمتى وطلب أن أبدي رأى .

(قلت أن مصر لا تختار الحل النموذجى من بين حلول أخرى نموذجية ممكنة ، لأن المواقف العربية المعروفة لها و المؤكدة عندها ، لم تدع أمامها سوى حل وحيد ممكن . قد لا يكون هذا الحل الوحيد الممكن هو الحل النموذجى ، لكنه بصفته الحل الوحيد الممكن فإنه يصبح الحل النموذجى ، لمجرد كونه الحل الوحيد الممكن .

الحل الوحيد الممكن هو أن تبذل مصر قصارى جهودها الذاتية للعمل على استرداد حقوقها ، وعلى وجه الخصوص السرعة ، قناة السويس وآبار البترول المصرية وثرواتها الطبيعية فى سيناء المصرية مع ترشيد ميزانيتها لحل أزمتها الاقتصادية حتى لا تظل رقبة مصر معلقة - إلى وقت غير محدود - على مشقة الدعم العربى الذى لا يعوض خسائر غارة جوية إسرائيلية واحدة على إحدى القرى المصرية ، ناهيك عن حرب الاستنزاف واحتياجاتها المنبثقة من كونها استنزافا .

ولا يعتبر هذا الحل الوحيد الممكن حلا مصيريا ، وإنما حلا مرحليا ، إلى أن تتضامن القوى العربية مع مصر ففرض على إسرائيل حلا شاملا ونهائيا ، يسترجع بقية الحقوق العربية التى اعترفت بها المنظمات الدولية) .

ثم تصاعدت تصفية رجال المقاومة الفلسطينية بمذبحة جسدية فى الأردن ، حيث بلغت ذروتها فى شهر سبتمبر ١٩٧٠ مما حفز الرئيس عبد الناصر إلى الدعوة لعقد مؤتمر قمة عربى فى القاهرة ، انتهى يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ باستشهاد الرئيس نفسه ب (مذبحة قلبيّة) بعد أن وافق على المبادرة الأمريكية فجدد الروس خلايا جسمه كله فى غرفة الأكسجين قبل استشهاده بنحو شهرين .

تولى السادات رئاسة الجمهورية المصرية بكل أثقال تركتها الداخلية والعربية والدولية ، وأخذ يرفع الثوب العربى الممزق ، حتى اشترك العرب بقيادة مصر فى تحقيق أول نصر عربى على إسرائيل فى حرب رمضان أكتوبر ١٩٧٣ .

والذى تجدر الإشارة إليه فى هذا المجال أن الرئيس السادات أبلغ السفير السوفيتى يوم ٣ أكتوبر ١٩٧٣ بأن مصر وسوريا قد اتفقتا على بدء عمليات عسكرية ضد إسرائيل . ثم استدعى الرئيس السورى حافظ الأسد السفير السوفيتى فى دمشق يوم ٤ أكتوبر ١٩٧٣ وأبلغه بموعد المعركة بالضبط وهو الساعة الثانية من بعد ظهر يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

والتساؤل هنا . لماذا كنتم الإتحاد السوفيتى هذا السر ولم ينقله إلى إسرائيل أو أمريكا لإجهاض المحاولة المصرية أثناء ولادتها حتى يسقط عهد السادات ويعود الإتحاد السوفيتى إلى سابق وضعه الإستراتيجى فى مصر ؟

لا يختلف أحد على أن علاقة الرئيس السادات بالإتحاد السوفيتي كانت علاقة سيئة للغاية ، ليس فقط بسبب طرد الخبراء السوفيت من مصر ووقوفه ضد الإنقلاب الشيوعي في السودان يوم ١٩ يولية ١٩٧١ وإنما أيضا بسبب عزله معظم العناصر المصرية ذات العلاقة السوفيتية وإيداعهم السجن منذ ١٥ مايو ١٩٧١ .

وكان السادات معروفا بعقيدته الدينية المناهضة للشيوعية ، ومعروفا أيضا باتجاهاته الاقتصادية المتحررة التي يريد أن يرفع بها المعاناة اليومية عن جماهير الشعب المصرية ، الأمر الذي لا يتم إلا من خلال إنشاء علاقات سياسية واقتصادية أوثق مع الدول العربية والغربية ، وتعديل المسار الإقتصادي المنغلق وترشيد الأنظمة الإدارية والسياسية والاقتصادية .

وهذا مالا يطيقه الإتحاد السوفيتي الذي كان يتطلع إلى احتواء مصر عن طريق أزمتها الاقتصادية والاجتماعية ، ومذلتها العربية والدولية ، في طريقه إلى ابتلاع الأمة العربية .

فلماذا كتم الإتحاد السوفيتي سر المعركة على إسرائيل ؟ .

الرد على هذا التساؤل مجرد استنتاج شخصي من واقع خبرتي السياسية خلال الخمسة والثلاثين عاما التي قضيتها في العمل العربي حتى الآن . وأنتى أطرح هذا الاستنتاج الشخصي للدراسة والتأمل .

أعتقد أن الإتحاد السوفيتي كان متأكدا من أنه إذا قامت مصر وسوريا بمغامرة حربية ضد إسرائيل ، فإن إسرائيل كعادتها في جميع حروبها مع العرب سوف تبدأ أولا بتصفية الجبهة المصرية ، ثم بعد ذلك تلتفت إلى بقية الدول العربية الأخرى المحيطة بها .

معنى ذلك أنه خلال الثمان والأربعين ساعة الأولى من بدء القتال سوف تتفرغ إسرائيل لتصفية الجبهة المصرية ، غير عابئة بما يجري على الجبهة السورية التي كانت على علاقة أفضل مع القيادة السوفيتية .

وكان الإتحاد السوفيتي يعتقد أن المانع المائي المتمثل في قناة السويس وما يحيطه من استعدادات إسرائيلية لحرق الجيش المصري أثناء عبوره ، ثم المانع الترابي ومن بعده خط بارليف ، كل ذلك من شأنه أن يحرق نصف الجيش المصري وسط القناة ، ثم يدفن ما يتبقى منه تحت رمال خط بارليف . وبعد ذلك تنتقل إسرائيل إلى احتلال بورسعيد والإسماعيلية والسويس وما يحلو لها من الأراضي المصرية قبل انتهاء الثمان والأربعين ساعة الأولى من المعركة .

وعندئذ ، أى خلال الثمان والأربعين ساعة يتبنى الإتحاد السوفيتي استصدار قرار بوقف إطلاق النار فتضطر مصر إلى قبوله ، فتسقط قيادتها السياسية والعسكرية ، وتخرج العناصر المصرية ذات العلاقة السوفيتية لاستلام الحكم لحسابه .

أما علي الجانب السوري فقد كان الاتحاد السوفيتي يتوقع انتصارا سوريا ساحقا خلال الثمان والأربعين ساعة الأولى بسبب غياب الجيش الإسرائيلي عن الجبهة الشرقية ، وهو يتصدى لتصفية الجبهة المصرية .

غير أن الذي حدث كان خلاف ذلك تماما .

لأن .. الله أكبر .

في لحظة الصفر من بدء القتال عبرت القناة ٢٢٢ طائرة نفثة مصرية تفوق سرعتها سرعة الصوت أجهزت على جميع الأهداف الإسرائيلية في ثلث ساعة ولم تضر مصر سوى خمس طائرات فقط ، وأعقب هذه الضربة القاتلة قذائف أكثر من ألفي مدفع في مواجهة خط بارليف بينما كان سلاح المهندسين قد أغرق السائر الترابي في مياه القناة .

وفي أقل من ست ساعات رفعت مصر علم النصر فوق سيناء وبدأت إسرائيل تنادى بأعلى صوت (انقذوا إسرائيل) .

وقبل انتهاء الست ساعات الأولى طلب السفير السوفيتي من الرئيس السادات أن يقبل وقف إطلاق النار ، مدعيا أن الرئيس السوري حافظ الأسد والاتحاد السوفيتي كانا قد اتفقا مع بدء المعركة على وقف إطلاق النار بعد ثمان وأربعين ساعة فقط .

ومع أن الرئيس الأسد أنكر اتفاقه مع الاتحاد السوفيتي على ذلك فإن الاتحاد السوفيتي أخذ يلح على وقف إطلاق النار ، مؤكدا أنه يفعل ذلك بناء على طلب الرئيس السوري نفسه .

بعدئذ هبت النجدة الأمريكية لأسرائيل في اليوم الرابع من القتال واستخدمت مطار العريش ثم مطار المليز والصواريخ الأمريكية الجديدة التي تحمل القنبلة التلفزيونية كما استخدمت القنابل الجديدة (مافريك) .

وتحت إلحاح الاتحاد السوفيتي أخطأ الرئيس السادات بالموافقة على نقل الفرقة ٢١ المدرعة المصرية من الضفة الغربية للقناة إلى الضفة الشرقية ، بدعوى تخفيف الضغط على سوريا التي بدأت الجيوش الإسرائيلية تتجه إليها بعد أن عجزت عن اختراق الجبهة المصرية .

وبانتقال هذه الفرقة احدثت ثغرة استغلتها إسرائيل بمساعدة أمريكا على النحو المعروف والمنشور في العديد من المؤلفات .

لذلك تأصل عندى الانطباع الشخصي بأن الاتحاد السوفيتي كتم سر المعركة على إسرائيل لأنه كان يتوقع عكس ما حدث تماما .

على كل حال انتصرت الأمة العربية في معركة رمضان أكتوبر ١٩٧٣ غير أن انتصارها في معركة عسكرية لا يعفيها من الإستمرار في معركتها الحضارية .

فالحرب العسكرية وسيلة استثنائية تتخذها الشعوب لتفرض مصالحها على غيرها من الشعوب الأخرى .

فالحرب فى جوهرها (صراع مصالح) .

وللصراع وسائل كثيرة ليست الحرب وسيلتها الوحيدة .

وبعد أن انتصر العرب فى جولتهم العسكرية الأخيرة مع إسرائيل سنة ١٩٧٣ فإن بقية الأراضى العربية لا تزال مغتصبة كما أن صراع المصالح الذى كانت الحرب إحدى وسائله لن يتوقف .

فإسرائيل ، ومن خلفها ومن حولها الصهيونية العالمية ، أو الصهيونية العالمية وفى ذراعها قبضة الصدام إسرائيل ، تستهدف أولا وأخيرا الهيمنة على الإمكانات العربية ، جغرافية وطبيعية وبشرية لتعصر هذه الإمكانات فى طواحين مصالحها الإقتصادية .

فلا الغزوة الصهيونية (غزوة دينية) تستهدف العودة إلى ما يزعمون أنه أرض الميعاد ، ولا هى (غزوة عسكرية) تستهدف الإنتقام من انتصارات أجدادنا منذ قرون سحيقة ، وإنما هى (غزوة إقتصادية) تستر فى الدين ، وتنكرت فى التاريخ ، لتبرر معاركها العسكرية التى تستهدف فى النهاية غرس الكيان الصهيونى بين ضلوع الأمة العربية ليستنزف خيراتها ويتولى الوصاية على طاقاتها ، ومقدراتها ، من الخليج إلى المحيط .

والشعوب العربية التى أدركت أهمية التضامن العربى فى مواجهة المعركة العسكرية ينبغى عليها أن تدرك أهمية هذا التضامن فى مواجهة المعركة الحضارية .

فالمعركة الأصلية والأساسية معركة حضارية بدأت بمعركة عسكرية .

معركة حضارية بين الصهيونية العالمية والأمة العربية .

وهو ما كان يستلزم البدء السريع بإقامة اقتصاد قومى يكفل استثمار جميع رؤوس الأموال العربية ، وجميع الخبرات الفنية العربية ، وجميع الموارد الطبيعية العربية ، من الخليج العربى إلى المحيط .

فإن دولة عربية واحدة ، مهما بلغت حضارتها وتطورها الإقتصادى ، لا تستطيع وحدها أن تتصدى للغزو الصهيونى الحضارى ، الذى يستولى حاليا وينسب متفاوتة على مقاليد الإقتصاد فى العالم ، والذى لن تعوزه فى كل وقت أية ذريعة فيعود إلى استخدام وسيلة الحرب العسكرية ، فى أية مرحلة لاحقة ، يظن فيها أن مصالحه الإقتصادية سوف تتحقق أكثر باستخدام هذه الوسيلة .

وعلى ذلك ، فليس أكثر ملائمة لإسرائيل من قيام اقتصاديات عربية إقليمية ، متنازعة ومتنافسة ، حتى يتمكن الإقتصاد الصهيونى من التسلل بين هذه الكيانات الإقتصادية العربية وينفذ إلى عظامها فيقضى على الواحد منها تلو الآخر ، حتى تصبح الساحة العربية مرتبطة به ، معتمدة عليه ، خاضعة له ، بشكل أو بآخر ، مباشر أو غير مباشر .

وهذا ما يدعو مرة أخرى ، وباستمرار ، إلى التركيز على إيضاح أهمية استمرار التضامن العربي الذي انطلق من خلال المعركة العسكرية ، والذي ينبغي أن يتبلور في كيان اقتصادي عربي في مواجهة المعركة الحضارية .

وهذا ما كان يستدعي استمرار العناق العربي ، ومنع قيام أية خلافات عربية على وجه الإطلاق ، ذلك لأنه إذا كانت في الماضي ثمة صراعات عربية ، عقائدية أو سياسية ، فإن المعركة العسكرية ينبغي أن تكون قد دفنتها حتى تفسح المجال للعمل الإيجابي والتفكير العربي في المستقبل العربي .



اتفاقية القمة العربية لوقف المذبحة الفلسطينية
آخر توقيع للرئيس عبد الناصر قبيل استشهاده بساعات (٢٨ سبتمبر ١٩٧٠)



زارنى فى بيتى بالقاهرة رئيس مجلس الشورى اليمنى الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر ودعانى إلى زيارته فى صنعاء والإقامة فى بيته ضيفا عليه ، وكان معه فى هذه الزيارة كثيرون من أعضاء مجلس الشورى الذين أبدوا رغبتهم فى عودتى إلى اليمن ، بعد أن رشحتنى عضواً فى المجلس الجمهورى الذى كان يتكون من ثلاثة أعضاء فقط ، بينما كان يتسع لخمسة أعضاء بحكم الدستور الذى صدر فى عهد الاريانى رئيس هذا المجلس . وكان المرشح الآخر لتكملة نصاب المجلس هو الفريق حسن العمري .

كان مجلس الشورى يرغب فى تكملة نصاب المجلس الجمهورى إلى خمسة أعضاء بعد أن لمس من رئيس المجلس القاضى الاريانى سيطرته المطلقة على العضوين الآخرين القاضى عبد الله الحجرى والأستاذ أحمد محمد نعمان ، مما نزع عن المجلس صفة القيادة الجماعية فضلا عن سلبية الاريانى أمام الضغوط اليسارية .

كان عدد أعضاء مجلس الشورى الذين زارونى مع رئيسهم الشيخ عبد الله الأحمر فى بيتى بالقاهرة نحو أربعين عضواً من مجموع أعضاء المجلس الذى يقل عن المائة .

وأثناء حديثهم معى وإقناعهم لى ، قالوا أن المتطرف الوحيد الذى يتصدى لترشيحي لعضوية المجلس الجمهورى هو الأستاذ أحمد جابر عفيف وزير التربية والتعليم الذى يرشح نفسه منافساً لى ، وقالوا عنه أنه يتهمنى بأننى سفاح مصاص دماء ، وأن هوايتى المفضلة رؤية جثث القتلى من الأبرياء .

استغرقت فى الضحك وانتقلت إلى موضوع آخر ، فسألونى عن سبب عدم مبالأتى بما يقوله عنى أحمد جابر عفيف . ولما ألحوا فى السؤال رويت لهم قصة هذا الصديق الوفى . وخلصتها أن السلال فى يوم ٣٠ سبتمبر ١٩٦٢ أى بعد قيام الثورة بأربعة أيام قرر إعدام هذا الرجل متهماً بأياه بأنه كان على علاقة خاصة بالإمام البدر المخلوع عندما كان ولياً للعهد ، وكنت قد أعلنت فى ذلك اليوم فى مؤتمر شعبى فى صنعاء وحضره ممثلو الصحافة العالمية وقف عمليات الإعدام الظالمة ، التى كانت قد بدأت وتمت بدون محاكمة على إثر قيام الثورة وقبل وصولى إلى صنعاء ، وقد سجل المؤرخ البريطانى هارولد انجرامز وقائع هذا المؤتمر وإعلاني وقف عمليات الإعدام فى كتابه (اليمن - الحكام الأئمة والثورات) صفحة ١٣٢^(١)

There were twenty executions on the first two days: many more were announced later and the Republican régime offered a £1,500 reward for every member of the Royal Family killed or captured. Beidhani stated later that no more heads were being chopped off and that 'the executioner's sword was broken':

عارضت فى إعدام أحمد جابر عفيف قالح السلال على محاكمته ، لكننى صممت على رفض محاكمته لمجرد هذه التهمة وفسرت موقف السلال بأنه نتيجة منافسه شخصية سابقة بينهما ، عندما كان أحمد جابر سكرتيراً للبدر والسلال قائداً لحرسه ، وأطلقت سراح أحمد جابر عفيف رغم معارضة السلال ، ولم تكن تربطنى به أية صداقة سابقة .

وعندما كنت فى طريقى لتجهيز حملة عسكرية إلى إحدى المناطق المجاورة لصنعاء فى يوم ٥ أكتوبر ١٩٦٢ (أى بعد خمسة أيام) سمعت صياحا فى مبنى القيادة فتوقفت ودخلت ثكنات الجيش فوجدت أحمد جابر عفيفى وقد قيدوه واستعدوا لإعدامه . هاجت مشاعرى وانتزعته من بين أيدي الجنود وأخذته معى إلى المطار لإرساله إلى القاهرة لإبعاده عن أيدي السلال التى يمكن أن تمتد إلى عنقه من وراء ظهرى ، ولم يصدق أحمد جابر عفيفى أنه قد نجا من الموت المحقق . وعلى باب الطائرة قال أنه يخشى من بطش السلال بعائلته فقلت أن عائلته فى نمتى وعنقى .

وعندما وصل إلى القاهرة كتب إلى رسالة لا أدرى لماذا احتفظت بها ، بينما تعودت على تمزيق رسائل الأصدقاء التى من هذا النوع بمجرد قراءتها حتى أحفظ أسرارهم ، ولا أضعف أمام إغراء استخدامها ضد أحدهم عندما ينقلب على خصما لدودا . وما أكثر الأصدقاء الذين ينقلبون خصوما الداء .

قلت لأعضاء مجلس الشورى أننى ربما احتفظت بهذه الرسالة بالذات لأنه من النادر فى صفحات التاريخ أن ينقذ أحد الحكام حياة مواطن بعد أن ربطه الجنود وصوبوا مدافعهم نحو صدره ، ثم يرسله إلى خارج نطاق سيطرته فيكتب هذا المواطن إلى الحاكم من هذا المكان البعيد رسالة بخط يده يشكره فيها على إنقاذ حياته .

تملكت الدهشة الشيخ عبد الله الأحمر وبقية الزملاء أعضاء مجلس الشورى وطلبوا الاطلاع على هذه الرسالة ، فأحضرتها لهم ونصها ما يلى :

سيادة نائب رئيس الوزراء ونائب القائد العام

الدكتور عبد الرحمن البيضانى حياك الله

تحياتى وتقديرى ، لا أدرى كيف أصف لك شعورى وقد انقلب الأمر عالى سافله وأعجز من أن أصف لك أيضا مدى تقديرى وإعجابى لروحك الأبية وتفكيرك الثاقب وسوف تعلمون الحقائق وسوف تعرفون كل شيء .

عائلتى وأولادى فى ذمتك وعنقك . أما مصيرى فهو منك وإليك وسأذكر تلك الكلمة (بالشرف) وسوف أحيأ وأموت مترنما بك وذاكرا جميلك . أننى

أبغض الفراغ في حياتي فانظر لى أى عمل بالقاهرة أو إحدى المفوضيات بالخارج . عزيزى ، سوف أعيش وأموت فى سبيل ثورتنا المجيدة التى أسست مجدها وقمت بأساسها ودفعت بها إلى الأمام وثق أننى رسولك الأمين .

ودم للمخلص
أحمد جابر
٥ أكتوبر

سيادة نائب رئيس الوزراء ونائب القائد العام
الدكتور عبد الرحمن البنيانى صياحه

تحياتى وتقديرى ، لا ادري كيف اصعب لى شعورى وقد انقلب الأمر على سافد وعجز
من ان صعب لى ايضا لى تقديرى وامجبابى لروحى النبوية وتفكيرى الثاقب
وسوف تعلمون انكائن وسوف تعرفون كل شئ
عائلى وادري فى ذمتى وعشقى . امام صيرى هو منى والدي بستانه كمر
تلك الكلمة (بالشرف) وسوف اصيا واموت ترمنا بلى ذاكرا حبلى
انى انبض الفراغ فى حياتى فانظر لى أى عمل بالقاهرة اداحدى المفوضيات فى الخارج
عزيزى ، سوف اعيش واموت فى سبيل ثورتنا المجيدة التى استمجدها وقت
باسرها ودفعت بها الى الامام . وثق اننى رسولك الأمين

ودم للمخلص
أحمد جابر
٥ أكتوبر

أصل الرسالة بخط الأستاذ أحمد جابر عفيف

استغرق الشيخ عبد الله والزملاء في الدهشة ، وعجبوا من أمر ذلك الصديق الذى أنقذت حياته من موت محقق ، والأعمار بيد الله ، وبعد عشر سنوات طابت نفس هذا الصديق ، الذى أصبح وزيرا للتربية والتعليم ، باتهامي بأننى مصاص دماء من هواة قتل الأبرياء ، لمجرد أنه كان يتطلع إلى منصب لم يكن أهلا له

لا عجب .. فقد سبق أن حاول غيره وصفى بشتى الأوصاف ، مرة بأننى متعصب شافعى . ومرة بأننى عميل زيدى ، ومرة بأننى شيوعى ، ومرة بأننى رأسمالى ، ومرة بأننى ناصرى ، ومرة بأننى ساداتى ، ومرة بأننى ضد عبد الناصر والسادات ، ومرة بأننى سعودى ، ومرة بأننى أمريكى .

وما دمت فى حقل العمل السياسى والفكرى فينبغى علىّ أن أتأهب للاستماع إلى العديد من الأوصاف التى يطلقها المنافسون العاجزون ، الذين لا يفهمون معنى الوطنية ، ولا يتصورون قيمة التضحية ، من أجل المبادئ الإنسانية والمواقف التاريخية .

لا يعرفون أن الإنسان موقف ، وذكرى ، وتاريخ .

وليس منصبا زائلا أو مالا فانيا أو شعبية سطحية لا تلبث أن تصبح ، فى حياة صاحبها أو بعد موته ، سخرية مسجلة فى صفحات التاريخ القاسى فى عدالته ، العادل فى قسوته .

نسى وزير التربية والتعليم أحمد جابر عفيف أننى أنقذت حياته فأعطانى وسام سفاح مصاص دماء .

وهذا هو قدرى ما دمت صاحب رسالة وطنية وقومية . وتلك هى مسيرتى بين الصخور والأشواك التى يزرعها الأصدقاء أكثر من الأعداء .

طلب منى الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر رئيس مجلس الشورى وبقيّة الزملاء مائة صورة من هذه الرسالة حتى يعلقوها على جدران مجلس الشورى ووزارة التربية والتعليم وشوارع صنعاء . فأعطيت لهم مائتى صورة . واحتفظت بالأصل لأنه التركة الثمينة الغالية التى أتركها لأولادى وأحفادى وكل أبناء اليمن والأمة العربية كنموذج لشخصية حاكم وسلوك محكوم .



رحبت بدعوة الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر التي زاد عليها إلحاح المقدم إبراهيم الحمدي نائب القائد العام للقوات المسلحة اليمنية الذي كان ، بعد سفر الشيخ عبد الله ، ضيفا عزيزا في بيتي في العجمى بالاسكندرية .

حددت موعد وصولي إلى صنعاء بالاتفاق مع الشيخ عبد الله وبموافقة القاضي عبد الرحمن الارياني الذي لم يخف إعجابه بكتبي ومؤلفاتي ، وإن لم يكن يتجاوب معها بأكثر من إصدار أوامره إلى قيادة الجيش اليمني بتوزيعها على الوحدات العسكرية والمكتبات والوزارات .

فكان القاضي الارياني رئيس المجلس الجمهوري يروج أفكارى ولا يأخذ بها رغم إشرافه على توزيعها ، ولا يسعنى سوى أن أسجل له شكرى على ترويجها .

وقبل يومين من سفرى إلى اليمن أبلغنى السيد عزت سليمان ، الذى أصبح فى ذلك الوقت وكيلًا لوزارة الخارجية بعد أن نقله السادات من المخابرات العامة ، وقال أنه تلقى برقية من السفير المصرى فى صنعاء الأستاذ محمد فؤاد عبد المبدى تفيد بأن القاضي الارياني يحذرنى من الوصول إلى اليمن خوفا على حياتى من المتطرفين الهاشميين والإماميين السابقين ، ونصحنى عزت سليمان بعدم السفر إلى اليمن .

شكرت له نصيحته وطلبت منه أن يبلغ القاضي الارياني عن طريق السفير المصرى فى صنعاء بأننى سوف أصل إلى صنعاء فى الموعد المحدد تحت مسئوليتى الشخصية ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت .

فى اليوم التالى اتصل بى عزت سليمان يحمل تحذيرا ثانيا من الارياني فكررت عليه نفس الرد. الذى أضفت إليه خالص شكرى للارياني الذى أظهر حرصه الشديد على حياتى مما جعلنى أزداد اطمئنانا إليه .. وثقة فيه .

اتصلت تليفونيا بالشيخ عبد الله بن حسين الأحمر فى صنعاء ورويت له ما قاله السيد عزت سليمان نقلا عن لسان الارياني فأكد الشيخ عبد الله أنه سوف يكون فى انتظارى فى مطار صنعاء فى الموعد الذى سبق الاتفاق عليه .

كان السيد معذوح سالم وزيرا للداخلية المصرية فأبدى انزعاجه الشديد من المغامرة التى فشل عزت سليمان فى إقناعى بالعدول عنها ، مما أظهرنى وكأننى ألقى بيدى إلى التهلكة . وكلف نائبه اللواء السيد فهمى مدير مباحث أمن الدولة الذى كان يسهر على حمايتى فى مصر بأن يقتعنى بعدم الذهاب إلى حتفى فى اليمن .

قلت أنتى منذ أن خرجت من اليمن لا أعرف ما إذا كنت حيا أو ميتا ، فإذا كنت حيا فإننى بغير شهادة حياة ، وإذا كنت ميتا فليس مع أسرتى شهادة وفاة .

قلت أنتى سوف أذهب إلى صنعاء لأحصل على إحدى الشهاداتتين .

وسافرت إلى جدة التى كانت طريق الوحيد إلى صنعاء حسب خطوط الطيران المتاحة فى ذلك الوقت ، ولم أجد من ينتظرنى فى جدة سوى أصدقائى اليمنيين الجنوبيين وعلى رأسهم الشيخ محمد فريد الذى كان يعرف موعد وصولى فاستضافنى فى فندق العتاس .

أمسيت ليلتى فى جدة وكانت زوجتى تعرف مكانى لدى الشيخ محمد فريد ، وعندما اتصل بها عزت سليمان يسألها عن مكانى فى جدة ليحذرني مرة ثالثة من السفر إلى اليمن مؤكدا لها أنه تلقى معلومات مؤكدة تقطع بأننى سوف ألقى مصرعى فى صنعاء لحظة وصولى إليها ، قالت له أنها تعرف فقط أنتى سوف أقيم فى بيت الشيخ عبد الله فى صنعاء ثم شكرت له حرصه على حياتى ، وأكدت له أننى إذا قتلت فى صنعاء فإننى سوف أكون أحد الشهداء الذين لم أكن أولهم ولن أكون آخرهم . ورفضت إبلاغه عن مكانى فى جدة واستسلمت لمشينة الله الذى تعلم أننى أخشاه فى قيامى ولا أنساه فى منامى .

وصلت إلى مطار صنعاء ولم أجد الشيخ عبد الله ولا غيره فى انتظارى ، وبعد أن انتهيت من الإجراءات الجمركية العادية عرفنى عدد من الرجال الذين كانوا فى المطار يودعون الحجاج المسافرين إلى بيت الله الحرام ، فتجمعوا حولى وأخذونى معهم فى سيارة تبعها عدة سيارات إلى بيت الشيخ عبد الله الذى لم أجده فى بيته وقيل لى أنه قد دعى إلى حفل غداء لدى شيخ منطقة سحان ، التى تبعد عن صنعاء بنحو خمسة وعشرين كيلومترا ، وقال أهل بيته أنهم كانوا يعرفون مجيئى إلى صنعاء فأعدوا فى بيتهم الجناح الذى سوف أقيم فيه ولا يعرفون لماذا لم يستقبلنى الشيخ عبد الله فى المطار .

تركت أمتعتى فى بيت الشيخ عبد الله واستحسننت الذهاب إلى سحان لمقابلته هناك والتعرف على حقيقة الموقف حتى لا أكون سببا فى إحراجه ، واتصلت تليفونيا بالقاضى الاريايى أخبره بوصولى واتفقنا على أن أقوم بزيارته فى القصر الجمهورى فى اليوم التالى .

كانت منطقة سحان من المناطق التى تمردت على الجمهورية عند قيام الثورة فقامت بإخضاعها بالقوة مما ألحق بها الكثير من الخسائر التى لم يكن أمامى مفر منها . ومع ذلك لم أراجع عن الذهاب إليها وثقا فى أننى لم أسع إلى إيذاء أحد لذاته ، وإنما كنت أقاتل من أجل الدفاع عن إرادة الشعب التى تمثلت فى قيام الجمهورية ، كطريق وحيد إلى تحقيق نهضته الحضارية .

بمر الطريق الذى يصل إلى سحان بوسط المدينة صنعاء ، وعندما لاحظ بعض الأهالى عددا من السيارات وعرفوا أننى فى إحداها لحقوا بها ، وبينما كنا فى منتصف الطريق إلى سحان وصلت سيارة من رئاسة الجمهورية وسيارة أخرى للحراسة كان القاضى الاريايى قد أرسلهما عندما بلغه أننى اتجهت إلى سحان ، غير أننى فضلت البقاء فى سيارة الصديق الذى شرفنى بمرافقتى من أول الطريق .

عندما وصلنا إلى سنجان كان عدد السيارات التي رافقتني نحو عشرين سيارة ، ولما رآني الشيخ عبد الله اغرورقت عيناه من الأسف ، وأقسم أنه لم يذهب لاستقبالى فى المطار لأن القاضى الارياىنى أكد له أنه تلقى رسالة منى عن طريق السفير المصرى فى صنعاء تؤكد أننى قد عدلت عن الوصول إلى اليمن ، وأخذ الشيخ عبد الله يشرح للحاضرين كيف خدعه الارياىنى .

أما شيخ سنجان صاحب الضيافة فقد رفض أن أنضم إلى تناول الغذاء مع الشيخ عبد الله وأصحابه وأصر على ذبح كباش أخرى تكريما لوصولى ورفاقى الذين أصرروا على صحبتى .

أثناء الضيافة تبارى الشعراء والخطباء فى الثناء على قادة الثورة اليمنية ورجال الجمهورية الذين تحملوا مشقة حملها وهنا على وهن ، ثم قاتلوا دفاعا عنها ، وقال شيخ سنجان أنه عندما حمل السلاح ضد الجمهورية لم يكن يعرف أنها تهدف إلى إقامة المدارس والمستشفيات وبناء الطرق والمزارع والمصانع ، وأنها تستهدف فوق ذلك خلق الشعور بين اليمنيين بأنهم سواسية كأسنان المشط ، لا فرق بينهم إلا بالعمل الوطنى الصالح .

ثم أبدى أسفه على عدم إدراك اليمنيين لدور المصريين الذين جاءوا إلى اليمن لمساعدة أهلها من أجل بناء مجدها ، وكانت هذه العبارة بمثابة الشرارة التى أشعلت خيال الشعراء والخطباء الذين أسهبوا فى الإشادة ببطولة المصريين الذين عبروا القنال فلقنوا العالم درسا تاريخيا من دروس القتال .

وقالوا أن أعدادا هائلة من اليمنيين ذهبت إلى السفارة المصرية فى صنعاء تطلب السفر إلى مصر للقتال مع جيشها اعترافا بفضله وتضحياته التى بذلها فى اليمن ، غير أن السفير المصرى أبلغهم عدم ضرورة ذلك عقب وقف إطلاق النار وتعهد الولايات المتحدة بسحب الإسرائيليين من الثغرة التى استعرضوا فيها عضلاتهم التليفزيونية فى السويس مما جعل اليمنيين يكتفون بتقديم المساهمات المالية إلى السفارة المصرية .



ذهبت لزيارة القاضي الارياني فى القصر الجمهورى فى اليوم التالى فتمعج حولى فى ساحة القصر ضباط وجنود حرس الرئاسة لمصافحتى ومعانقتى ، فقد كنت أعرف الكثيرين منهم عندما كانوا من رجال حراستى .

كان ينتظرنى مع الارياني العضوان الآخران فى المجلس الجمهورى وهما القاضي عبد الله الحجرى والأستاذ أحمد محمد نعمان ، وبعد أن تحدثنا عن الشئون العربية لم يسألنى أحدهم عن الشئون اليمنية ، ثم سألنى الأستاذ نعمان عن موعد عودتى إلى مصر فأجابه القاضي الارياني بأننى سوف أودى فريضة الحج التى لم يبق على موعدها سوى أقل من عشرة أيام ، فقلت أننى أتمنى أن أودى فريضة الحج لكننى أشعر بأننى رجل غير مرغوب فيه لدى الحكومة السعودية ، فقال الارياني أنه سوف يتصل رسميا بالسفارة السعودية فى صنعاء ويتولى إعداد جميع الترتيبات اللازمة لسفرى إلى هناك ، بما فى ذلك إصدار تعليماته إلى القاضي إسماعيل الجرافى السفير اليمنى فى جدة حتى يسهر على راحتى أثناء إقامتى .

لم يكن لسلوك الارياني غير معنى واحد هو الإسراع بمغادرتى صنعاء ، ولم يكن عندى أى هدف لمصافقته أو إحراجه ، وكان يكفينى أننى قد عدت إلى وطنى وشعرت بأننى لا زلت على قيد الحياة .

وأثناء خروجى من القصر الجمهورى وجدت المقدم إبراهيم الحمدي نائب القائد العام ينتظرنى فأخذنى معه لزيارة القيادة العامة للقوات المسلحة ، حيث أقام حفل شاي تكريما لى حضرها العقيد حسين المسورى رئيس الأركان وسلمنى الحمدي هدية رمزية باسم القيادة العامة إعترافا منها بدورى فى إنشاء الجيش اليمنى .

ثم توجهت إلى بيت الشيخ عبد الله حيث كان ينتظرنى الكثيرون من أعضاء مجلس الشورى والمواطنين الذين لم ينقطعوا عن مصاحبتي طوال فترة إقامتى ، التى أمضيته مع الشيخ عبد الله فى ضيافات يومية لدى العديد من رجال القبائل والشخصيات اليمنية ، وكان المقدم إبراهيم الحمدي يحلو له السهر فى غرفتى مع الشيخ عبد الله .

و ذات يوم لاحظت ارتباكاً مرسوماً على وجه الشيخ عبد الله وهو يتردد فى تسليمى ظرفاً قال بعد فترة طويلة من الصمت والحيرة أننى لا ينبغي أن أعيره شيئاً من القلق الذى لا مبرر له ، فأخرجت من جيبى ورقة أعطيته لها قائلاً أننى أعتقد أن الظرف الذى تردد فى تسليمه لى ليس بداخله سوى صورة مما هو مكتوب على تلك الورقة .

وصدق ظني ، لقد كانت الورقة صورة مما كان في داخل الظرف ، وهي تتضمن تهديدا يقتلى والتمثيل بجنتي وكانت بتوقيع (المنظمة الهاشمية) .

أظهر الشيخ عبد الله دهشته من حصولي على صورة ما كان في الظرف الذي استلمه بنفسه من أحد حراسه بعد أن القى بها أحد المارة ، ولم يتركه الشيخ عبد الله لأحد ، وكان مترددا في إطلاعي عليه حتى لا يثير عندي أدنى قلق .

قلت للشيخ عبد الله أنني حصلت على صورة ذلك التهديد منذ ثلاثة أيام ولم أشأ أن أطلعه عليه حتى لا يخشى شيئا على حياتي .

سألني عن الشخص الذي سلمني ذلك التهديد ، قلت أنه أحد الهاشميين الوطنيين ، وهو الذي تولى كتابته على الآلة الكاتبة بأمر من الأرياني ليلقى بالخوف في قلبي حتى أفرع فأسرع بمغادرة اليمن . وقد نفذ المواطن الهاشمي أمر الأرياني فكتب التهديد والتزم بالوزاع الوطني فسلمني إياه ، وأطلعني على خباياه ، وقال أنه لا توجد في اليمن منظمة هاشمية وأن سلوكي في الحكم بعد قيام الثورة أكد للهاشميين التزامي المطلق بالوحدة الوطنية ، وأن الأرياني هو الذي يمارس التفرقة العنصرية ضد العناصر الهاشمية .

كان تردد الشيخ عبد الله في إعطائي ذلك الظرف إشفاقا على شعوري مما كان في داخله ، وكان حرصا على إخفاء ذلك التهديد عن الشيخ عبد الله فمة الوفاء فيما بيننا ، فقد كان كل منا حريصا على عدم إثارة القلق في قلب الآخر . وكان موضوع القلق منصبا على حياتي التي كان الصديق الوفي الشيخ عبد الله أكثر مني حرصا عليها .

وعند مغادرتي صنعاء في طريقى إلى أداء فريضة الحج كان في وداعى في المطار الشيخ عبد الله ومعه المئات من شيوخ القبائل وأعضاء مجلس الشورى والشخصيات اليمنية التي كانت في ذلك الوقت في صنعاء ، وفوجئت في غرفة كبار الزوار في المطار بالقائم بالأعمال السعودي الذي جاء للإشتراك في وداعى .



وجدت بجوار الطائرة فى مطار جدة القاضي إسماعيل الجرافى السفير اليمنى ينتظرنى مع سيارة السفارة ، وكان يقف إلى جواره أحد السعوديين وعندما بدأت أتجه إلى سيارة السفارة قال أنه ممثل جلالة الملك فيصل ، واستأذن من السفير اليمنى ليأخذنى معه فى السيارة الملكية ضيفا على جلالة الملك أثناء موسم الحج .

زرت الملك فيصل فى اليوم التالى وتطرق الحديث إلى اليمن فقلت أننى علمت أن جلالتة ينوى أداء فريضة الحج فى ذلك العام ، ولذلك فإننا سوف نلتقى فى عدة مناسبات خلال مناسك الحج ، واقترحت أن نتحدث عن اليمن بعد الانتهاء من هذه المناسك .

كنت مع ضيوف الملك أثناء غسيل الكعبة ثم فى منى بعد عرفة . وعندما عدنا إلى جدة وعاد معظم ضيوف الملك إلى بلادهم ذهبت لزيارته فسألنى عن وجهة نظرى فى تأجيل الحديث عن اليمن إلى ما بعد الحج ، قلت أننى فضلت أن نتحدث بعد الحج عن مستقبل اليمن عندما نكون قد رمينا ماضيها مع جمرات الشيطان فى منى .

استطردت قائلا أننى كنت من أقرب رجال الإمام أحمد إلى صدره ، وحضرت الاجتماع الذى رفض فيه الإمام المساعدة السعودية لإنشاء مدارس فى اليمن ، وعاصرت وصول السلاح السعودى لمساعدة اليمن دفاعا عن أراضيها ضد الاعتداءات البريطانية ، وشاهدت بعينى الإمام وهو يبيع السلاح السعودى متاجرا بالنزاع البريطانى .

قلت للملك فيصل أننى كنت أعرف جيدا أنه لم يكن يقر بالتخلف الرهيب الذى كان سائدا فى اليمن ، فقد طاف الملك بأنحاء العالم ولم يجد تخلفا شبيها بالتخلف اليمنى ، بينما كان الإمام يدعى أنه يطبق شريعة الإسلام .

أضفت أننى كنت متفقا مع البدر على الثورة ضد والده الإمام أحمد ، ولم أترك البدر إلا بعد أن أثبت لى أنه لا يستطيع أن يكون من رجال الصف الأول ، وطلبت من الملك أن يجمعنى بالبدر لأحكى أمامه قصة إتفاقى معه ثم سبب إنفضاضى من حوله ، غير أن البدر كان فى ذلك الوقت فى لندن ، ولم تكن من طبيعة الملك فيصل أن يوافق على مثل هذه المواجهة التى كنت أتمناها لأهميتها التاريخية .

ذكرت للملك أننى عندما اضطررت إلى إعلان الدعوة إلى الثورة الجذرية فى اليمن لم يكن فى وسعى إطلاع المملكة السعودية على ذلك بعد أن أعاد الملك سعود إلى الإمام أحمد شيوخ القبائل الذين لجأوا إليه ، فقتلهم الإمام رغم تعهده للملك سعود بالعفو عنهم . غير أننى بعد أن قامت الثورة اتفقت مع الرئيس جمال عبد الناصر على أن تتجنب الثورة

اليمنية محظور الدخول في ساحة الصراع المصرى السعودى ، وقد أعلنت ذلك في صنعاء وأوضحته في رسالتي إلى الملك سعود ، التي حملها إليه القائم بالأعمال السعودى في صنعاء الشيخ إسماعيل المعنى عقب قيام الثورة .

ختمت قولى أننا في اليمن اختلنا مع السعودية ثم تصافينا وتصادفنا ، وبصرف النظر عن من هو المصيب أو المخطيء فإنه مع فداحة الأخطار المحدقة بالأمة العربية أعتقد أن حكمة الملك فيصل تجعلنا نستفيد من الماضى ، ونأخذ منه درسا مستفادا ينير الطريق إلى المستقبل .

المعروف عن الملك فيصل أنه قليل الكلام ، ولكنه إذا تكلم أقنع وإذا سكت أسمع ، فأسمعى سكوته بأنه يتفق معى فيما قلت . وعندما بدأ يتكلم لم يذكر اليمن وإنما حصر كلامه في أخطار الشيوعية وارتباطها بالصهيونية .

أوضحت للملك فيصل أنه لا توجد في اليمن طبقة متوسطة ، وهى عادة ما تكون الطبقة الرائدة والقائدة التى تحرك المجتمع ، وهى طبقة الإداريين والفنيين ورجال الأعمال المتوسطين . هؤلاء هم الذين يصنعون الحضارة ويقودون الجماهير ويتصدرون التغييرات الجذرية .

أما الطبقة العليا فإنها عادة ما تحتفظ بمعظم أموالها خارج حدود مجتمعاتها النامية حتى تهرب منها عند أول هزة شعبية . ولذلك لا يمكن الإعتماد على أفراد هذه الطبقة في محاربة الشيوعية ، لأن كل همها ينحصر في جمع الثروة والإحتفاظ بها في الخارج ، الأمر الذى يعتبر سببا جوهريا من أسباب انتشار الشيوعية .

أما الطبقة الدنيا وهى الأغلبية الساحقة في اليمن فإنها عادة ما تكون ، في اليمن وفي غير اليمن ، مستغرقة في البحث عن قوت يومها ، مستسلمة لليأس ، حاقدة على حاضرها ، كارهة لمستقبلها . والمواطن الذى يبلغ مرحلة اليأس لا يرضى عن أى شيء ، بل يرى أن الوضع كله ، والتراث كله ، مسئول عن استمرار فقره وتخلفه وظلمه وقلقه وحيرته .

هذه هى التربة الخصبة التى تنمو فيها بذور الماركسية ، لأن المواطن الحائر .. القلق .. المظلوم .. لا يفكر في علمية الماركسية وعدم علميتها ، لا يفكر في مدى صلاحيتها وعدم صلاحيتها ، فذلك كله لا يهمه كثيرا ولا قليلا .. وإنما يهمه فقط أن ما يسمع عنها ويسميه الناس بالماركسية سوف ينسف له كل شيء لأنه يشكو من كل شيء . باختصار وبغير فلسفة .

فالذين اعتنقوا الماركسية من الطبقات المظلومة في البلاد المختلفة لم يقرأوا الماركسية ، وإن كان بعضهم قد قرأها فإنه لم يفهمها . وإن كان قد فهم منها شيئا فإنه لا يهمه ما فهمه منها . بل يكفيه أن يفهم منها ، أولا وأخيرا ، أنها ستحطم له النظم التى أجبرته الظروف على عبادتها والخضوع لها والامتثال لأوامرها ، تلك الأوامر التى تتلخص في استمرار فقره وتخلفه ، وبقاء ظلمه وحرمانه .

وفى عصر تتناقل فيه الأخبار بأسرع من سرعة البرق ، وتتعرف فيه الشعوب على ما ففرت إليه الشعوب الأخرى ، أصبح الشعب (المملوكى) فى مشيته قادرا على التعرف على مقادير الفوارق الهائلة التى تفصل بينه وبين غيره من الشعوب التى تقفز - باندفاع ورشاقة وكفاءة - قفزات حضارية فى عصر الذرة والفضاء .

مثل هذا الشعب (المملوكى) يستسلم عاطفيا لأية إثارة تثير مواجهه وتهيج أحزانه ، فينتفض ، يحطم .. يكسر .. يقتل .. يسحل .. ثم يرتدى فى أى اتجاه .. لا يقصد (العلاج) بقدر ما يقصد (الاحتجاج) .

وتصفق الإذاعات الحمراء وتخلع عليه رداء الماركسية ، وتزف الشعب الهائج إلى أحضان الغول .

وعندما يفيق الشعب من الهياج يجد نفسه وقد فقد كل شيء ولم يعد معه أى شيء ، إن كان حريصا على عصمته .

قلت للملك فيصل أن السبيل إلى التصدى للتيار الشيوعى المنتشر فى اليمن هو العمل على إيجاد طبقة متوسطة ، عن طريق إقامة مشروعات عمرانية حضارية فى معظم أنحاء اليمن ، لأن هذه المشروعات تنشئ الكوادر التنظيمية الإدارية والفنية إلى جانب زيادة الدخل القومى وخلق الظروف الملائمة لارتقاء مستوى المعيشة الثقافية والاجتماعى ، وعندئذ يصل المجتمع اليمنى إلى الحد الأدنى للمستوى الحضارى الذى تسنده القيم الدينية فيتصدى تلقائيا للماركسية .

ناشدت الملك فيصل المبشر الإسلامى ورائد التصدى للخطر الشيوعى الصهيونى فى العالم العربى أن يخصص أكبر قدر من الإعتمادات المالية السعودية لهذه المشروعات العمرانية ، حيث تحتاج اليمن إلى مشروعات حضارية أكثر ومخصصات قبلية ودفاعية أقل .

لم يخف الملك ثناءه على حديثى مع جلالته وتحدثنا طويلا عن الإستراتيجية العربية التى يلزم الاتفاق عليها لمواجهة الشيوعية والصهيونية ، مما يحتم العمل على تجميع الطاقات والإمكانات العربية .

لم يدر فى خيالى أن أسمع كلاما أفضل مما سمعت ، لقد كان الملك يقول ما كان يسبح فى عقلى ويطوف مع أغلى أحلامى .

وعندما كنت أهم بالعودة إلى القاهرة كان الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران السعودى يقنعنى بإطالة ضيافته فى جدة ، حتى أمضيت هناك نحو ثلاثة أشهر متحدثا مع الصحفيين والإذاعيين ورجال الفكر والسياسة .



عدت إلى القاهرة وأرسلت في ١٢ مارس ١٩٧٤ رسالة إلى القاضي الارياني أشرح فيها أهم ما لاحظته في السعودية مما ينفع اليمن ، وكان أهم ما نصحت به الارياني هو الاستفادة من الكفاءات اليمنية والعربية لإعداد دراسات لمشروعات التطور الحضارى في اليمن للحصول على المزيد من المساعدات المالية السعودية حفاظا على أمن الجزيرة العربية .

لكن الارياني ، بحكم طبيعته الشخصية كان مستغرقا في المعادلات القبلية والحزبية ، متفرغا لطحن الشخصية الوطنية في دوامة الصراعات الشخصية ، معتمدا على بقاء المتناقضات الفكرية والعقائدية والحزبية ، مستغنيا عن المشروعات الحضارية .

ولم يكن يدرك مدى استفادة العناصر الشيوعية من غياب الدولة السياسى عن مسرح صراعها الاجتماعى وسلطانها الأمنى ، مما أقنع أهل الحل والعقد بأن الارياني لم يعد الرجل الذى يستطيع أن يتصدى للتيارات الأجنبية والأطماع الدولية والخلايا الشيوعية فسقطت جمهورية الارياني في ١٣ يونية ١٩٧٤ كما سبقت أن توقعت لها في ٢٤ ديسمبر ١٩٧٢ في المحاضرة التى أقيمت في القاهرة ووزعها الارياني في اليمن .

وقامت الجمهورية الرابعة برئاسة المقدم إبراهيم الحمدي الذى أقام احتفالا بإبعاد الارياني عن اليمن ليقم فى سوريا بعد أن سلمه الحمدي علم الجمهورية الثالثة الذى أنزلوه قبيل قيام الطائرة متجهة به إلى دمشق .

كانت تجمعنى مع الحمدي صداقة قوية ومخلصة ، واقتناع مشترك بوجهات نظر واحدة ، وكان يتولى توزيع ألوف النسخ من مؤلفاتى على وحدات الجيش عندما كان نائبا للقائد العام فى عهد الارياني .

وقد يعجب القارىء حين يطلع على سر يذاع . لأول مرة ، عن ميلاد الجمهورية اليمنية الرابعة التى لم يبذل رئيسها المقدم إبراهيم الحمدي جهدا فى ميلادها ، بل فوجيء بها تسعى إليه ، وترتمى بين يديه ، فأحكم قبضته عليها ، حتى سقطت منه ، وقتل فيها .

كان مشهودا عن القاضي عبد الرحمن الارياني رئيس المجلس الجمهورى أنه كثيرا ما يهدد مجلس الشورى بالاستقالة ، فيسعى إليه رئيس مجلس الشورى الشيخ عبد الله ابن حسين الأحمر ومعه مظاهرة من أغلبية أعضاء المجلس يناشدونه العدول عنها ، فيستجيب القاضي الارياني لإلحاح الشيخ عبد الله وزملائه بعد أن يقبلوا كل شروطه التى

غالباً ما كانت فى صالح العناصر اليسارية المتطرفة التى كان يضغط بها الارياى على القوى الوطنية الدينية والقبلية والعناصر المثقفة المعتدلة .

وأثناء حديث عن مستقبل اليمن ،كنت أحد أطرافه ، وكان بعض شهوده الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر والشيخ أحمد المطرى والمقدم إبراهيم الحمدي نائب القائد العام ، استقر الرأى على ضرورة حماية المستقبل اليمنى من السقوط فى أيدي العناصر اليسارية المتطرفة ، وأن مسؤولية هذه الحماية تقع على عاتق مجلس الشورى الذى انتخبه الشعب ، والذى يجب عليه أن يتمسك بمواقفه الدستورية الوطنية ، حتى إذا ما أدى ذلك إلى إستقالة القاضي عبد الرحمن الارياى من رئاسة المجلس الجمهورى فإن الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر يتلقاها بصفته رئيساً لمجلس الشورى ويعرضها على المجلس الذى يقبلها وينتخب مجلساً جمهورياً جديداً من خمسة أعضاء معروفين بصلابة مواقفهم ضد الأنشطة اليسارية المتطرفة .

لم يختلف أحد على ذلك فنصحت لهم أن يكتموا على محافظ الحديدة الشيخ سنان أبو لحوم حتى لا يشير عليهم ، عن قصد أو عن غير قصد ، بما قد يفسد لهم طريقهم .

غير أن الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر أطلع الشيخ سنان أبو لحوم على ما تحدثنا عنه ، وعندما قدم القاضي عبد الرحمن الارياى استقالته اقترح الشيخ سنان أن يستقيل هو أيضاً من محافظة الحديدة ، وأن يستقيل كذلك الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر من رئاسة مجلس الشورى ، وأن يتولى الشيخ عبد الله (بنفسه) تقديم الإستقالات الثلاث إلى قيادة القوات المسلحة ، بدعوى أن الموقف الداخلى المتوتر فى حاجة إلى قيادة عسكرية حازمة تنصدى للتيارات اليسارية المتطرفة ، على أن ينتهى عمل هذه القيادة بعد ثلاثة أشهر يجرى بعد انتخاب شعبى عام لمجلس شورى جديد يتولى إنتخاب مجلس جمهورى جديد من خمسة أعضاء .

اقتنع الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر برأى الشيخ سنان وذهب بنفسه إلى المقدم إبراهيم الحمدي نائب القائد العام وسلمه الإستقالات الثلاث فأصدر الحمدي قراراً بتشكيل مجلس قيادة برئاسته ، وقراراً آخر بحل مجلس الشورى الذى استقال رئيسه وسلم السلطة للجيش وكان قائد الجيش المقدم محمد الارياى فى مهمة رسمية خارج اليمن حيث استمر فى أدائها حتى تقرر تعيينه سفيراً فى وقت لاحق .

عندما هبطت رئاسة الدولة بين يدي المقدم إبراهيم الحمدي (الذى تعهد للشيخ عبد الله ابن حسين الأحمر بإجراء إنتخاب شعبى لمجلس شورى جديد بعد ثلاثة أشهر لا تزيد) أخذ يطوف بالبلاد العربية كرئيس دولة دائم فنسى تعهده للشيخ عبد الله كرئيس قيادة مؤقت .

وهذا سلوك بشرى طبيعى لا غرابة فيه ، ليس ذلك دفاعاً عنه ، ولا انتقاداً له . أنه حقيقة معروفة ومألوفة فى دول العالم الثالث .

وعندما تولى رئاسة الدولة طلب مني أن أختار لنفسى المنصب الذى أرى القيام به لخدمة الجمهورية اليمنية ، فاخترت أن أظل صديقه المخلص وناصحه الأمين ، وكنت فى عهده كثير التردد على صنعاء لمناقشة ما يرى مناقشته لصالح اليمن .

كنت أدعوه إلى تحقيق المزيد من الخطوات الإيجابية نحو الحضارة العصرية لأنه مع قفزات الشعب اليمنى نحو الحضارة الحديثة سوف تذوب الرواسب المتخلفة فى نفوس بعض اليمنيين من أصحاب الامتيازات الهاشمية التى ألغتها الجمهورية ، لأنهم عندما يستمتعون بالنهضة الحضارية لا يأسفون على الامتيازات العنصرية .

وأذكر من هذه الرواسب المتخلفة نمونجا على سبيل المثال الذى يدعونا إلى تعميق الوعي الحضارى فى اليمن حتى يمكن تحقيق الوحدة الوطنية :

فى ديسمبر ١٩٧٥ دعتنى الأكاديمية الدولية للعلوم الاقتصادية لإلقاء محاضرة إقتصادية فى مدينة طوكيو فى اليابان عن علاقة التنمية الإقتصادية بالتصدى للشبوعية .



المؤلف يلقي محاضرتة فى مؤتمر الأكاديمية الدولية للعلوم الاقتصادية فى طوكيو

وبعد إلقاء محاضرتي دعاني أحد المحاضرين الآخرين الدكتور بيرسون رئيس جمعية العلوم السياسية الاقتصادية في الولايات المتحدة الأمريكية لزيارة واشنطن لإلقاء محاضرة على العلاقات الاقتصادية العربية الأمريكية .

قبلت الدعوة وسبقني الدكتور بيرسون إلى واشنطن لتوجيه الدعوة إلى الشخصيات الأمريكية التي يهمها الاستماع إلى هذه المحاضرة في قاعة تلك الجمعية ، وتركني في طوكيو لإجراء فحوص طبية .

وصلت إلى واشنطن في الموعد المحدد حيث استقبلني الدكتور بيرسون وأعطاني صورة من بطاقات الدعوة التي طبعها ووزعها على رجال الكونجرس ووزارة الخارجية والسفراء العرب لحضور المحاضرة ثم حفل التكريم الذي سيعقبا .

في صباح اليوم المحدد لإلقاء المحاضرة جاءني الدكتور بيرسون منزعجا أشد الانزعاج حيث أبلغني بأن السيد إبراهيم الكبسي القائم بأعمال السفارة اليمنية في واشنطن (وهو هاشمي من الإماميين السابقين والجمهوريين اللاحقين) قد أرسل مذكرة رسمية إلى وزارة الخارجية الأمريكية يعلن فيها أن الحكومة اليمنية تطلب القبض على لأعدامي ، وإنني أحمل جواز سفر دبلوماسي مزور ، وختم مذكرة السفارة مطالبا وزارة الخارجية الأمريكية بطردى من الأراضي الأمريكية وإلغاء المحاضرة وحفل التكريم .

كما أبلغني الدكتور بيرسون أن القائم بالأعمال اليمني وزع صوراً من هذه المذكرة على جميع السفارات العربية .

قلت للدكتور بيرسون أنه في وسع الخارجية الأمريكية أن تتأكد تليفونيا من عدم صحة هذه المعلومات من سفارتها في صنعاء ، وهي تعرف جيدا أن الحكومة اليمنية قد رشحتني رسميا قبل ذلك بأسبوعين لمنصب الأمين العام المساعد للجامعة العربية للشئون الاقتصادية . وأن جواز سفرى الدبلوماسي صادر من وزارة الخارجية اليمنية .

قال الدكتور بيرسون أن الذى أزعجه هو احتمال عدول الكثيرين من الأمريكيين عن حضور المحاضرة وحفل التكريم . قلت أنني أتوقع غير ذلك لأن الأمريكيين يتميزون بملكة حب الاستطلاع ، ولذلك فإننى اعتقد أن كثيرا منهم سوف يحضرون لرؤية رجل اشترك بدور رئيسى فى تغيير نظام الحكم فى بلده بعد ألف ومائة عام ، ثم أصبح محكوما عليه بالإعدام ، على مشنقة النظام الجديد الذى وهب حياته من أجله .

قلت للدكتور بيرسون أن مذكرة القائم بالأعمال سوف تأتينا بعدد من المستمعين لم يخطر لنا على بال .

فى المساء احتشدت القاعة حتى امتلأت الطرقات المؤدية إليها ، وألقيت محاضرتي التي كانت خلاصتها أننا ، معشر العرب لا نطلب من أمريكا أن تتخلى عن إسرائيل أو تتبنى العرب ، وإنما نتوقع منها أن تضبط سياستها الخارجية على حجم مصالحها الاقتصادية سواء مع إسرائيل أو مع الدول العربية .

فالمصالح الاقتصادية تعتمد على رصيد الأرباح والخسائر بعد الجمع والطرح والضرب والقسمة ، ثم يأتي بعد ذلك ، وليس قبل ذلك ، رصيد المواقع الاستراتيجية والصداقات السياسية التي تحمي رصيد المصالح الاقتصادية .

ونحن كغيرنا من المتحضرين نعرف أنه لا يوجد في العلاقات الدولية الطرف الذي يأخذ ولا يعطى ، ولا الطرف الذى يعطى ولا يأخذ .

وإذا كان فى دنيا العرب من أساء ، ذات يوم ، فهم طبيعة العلاقات الدولية فأراد أن يأخذ من أمريكا ولا يعطيها ، فإننا بالمقابل وبلاستفادة من دروس الماضي نتوقع ألا يكون فى دنيا أمريكا من يسيء فهم طبيعة العلاقات الدولية فيريد أن يأخذ من العرب ولا يعطيهم .

لإن مثل هذه الحالات الشاذة التى يشوبها سوء التقدير لا يمكن أن تستمر ، ولا يمكن أن تعمق صداقة أو تثبت علاقة ، ولا تلبث أن تنقلب إلى نقبضها فنظهر حركات الرفض الشعبية وتبدأ المنازعات الدولية .

عندما انتهت من إلقاء محاضرتى بدأ حفل التكريم وتبادلنا كلمات التحية ثم قام رئيس الجمعية بمنحى وسام أبناء الثورة الأمريكية .

وصلت إلى القاهرة وأرسلت تقرير مفصلا إلى الأستاذ عبد الله الاصنح وزير الخارجية اليمنية الذى رد فى رسالته مؤكدا أنه (سوف يتم التحقيق مع القائم بالأعمال اليمنى فى واشنطن السيد إبراهيم الكبسى حول تجاوزه وإعلانه بأننى مطلوب للإعدام وأننى أحمل جوازا مزورا .. وأن هذه البيانات ملفقة وغير لائقة بأن تصدر عن مسئول يمنى) (الوثيقة رقم ٤١) .

وأذكر أننى عندما ذهب على إثر ذلك إلى صنعاء طلبت من وزارة الخارجية ألا تعاقب القائم بالأعمال واكتفيت بزيارة السفير الأمريكى فى صنعاء .

ونسيت إساءة إبراهيم الكبسى العنصرية فى أمريكا لأننى أتطلع إلى مستقبل الوحدة الوطنية فى اليمن .

أشاد المقدم إبراهيم الحمدي بموقفى المتسامح الذى يتطلع إلى مستقبل يمنى أفضل ، وأخذ يستجيب للتصدي للتيارات اليسارية المتطرفة ، لكن استقالة الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر من رئاسة مجلس الشورى ، والتى كانت عاملا هاما مصاحبا لإسقاط الارياى ، أطلقت يد الحمدي حتى استحسن أن ينفرد بالسلطة مما حرمه من الاستناد على التيار الدينى والقبلى فى مواجهة التيار اليسارى المتطرف ، فبدأ الخلاف ينشب أظافره بين الحمدي والشيخ عبد الله الأحمر ، مما دفعنى إلى إقناع الحمدي لإعادته إلى جادة الصواب ، وعدم الإنزلاق مع التيارات اليسارية تحت شعار التقدمية إذا أراد أن يبقى رئيسا للجمهورية .

أذكر أن الحمدي كان في بداية عهده يستمع إلى النصيحة ويقتنع بما ينفع ويتعد عما يضر ، وأحمد الله أننى استطعت في ذلك الوقت أن أعيد قلب إبراهيم الحمدي إلى صدر الشيخ عبد الله الأحمر . وربما تشرح ذلك رسالة الشيخ عبد الله بن حسين ونصها :

(الأخ الجليل والأستاذ الكبير الدكتور عبد الرحمن البيضاني حفظكم الله وتولاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعيد مبارك وكل عام وأنتم بخير أمين . رسالتكم الكريمة وصلت مع صورة الرسالة التى للأخ إبراهيم وقد قرأت كل الرسائل وفهمت ما احتوت عليه وأشركم كثيرا على مشاعركم الأخوية النبيلة ، وعلى ملاحظتكم التى كان لها الأثر الكبير ولعلكم سمعتم ما تم فى هذا الأسبوع وهذه خطوة لا بأس بها وسيكون بعدها خطوات . هذا ويمكنكم الاجتماع بالأخ إبراهيم والتحدث معه ولو فى الطائفة وهذه الرسالة صحبة الأخ أحمد محمد الرحبي والله يرعاكم والسلام عليكم .

أخوكم

عبد الله بن حسين الأحمر

الجمهورية العربية اليمنية
الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر
الرقم
التاريخ
المرافقات



السيد
الأخ الجليل والأستاذ الكبير الدكتور عبد الرحمن البيضاني حفظكم الله وتولاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعيد مبارك وكل عام وأنتم بخير أمين . رسالتكم الكريمة وصلت مع صورة الرسالة التى للأخ إبراهيم وقد قرأت كل الرسائل وفهمت ما احتوت عليه وأشركم كثيرا على مشاعركم الأخوية النبيلة ، وعلى ملاحظتكم التى كان لها الأثر الكبير ولعلكم سمعتم ما تم فى هذا الأسبوع وهذه خطوة لا بأس بها وسيكون بعدها خطوات . هذا ويمكنكم الاجتماع بالأخ إبراهيم والتحدث معه ولو فى الطائفة وهذه الرسالة صحبة الأخ أحمد محمد الرحبي والله يرعاكم والسلام عليكم .

أصل الرسالة بخط الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر

كان فى وسع المقدم إبراهيم الحمدي أن يستعين بالشيخ عبد الله بن حسين الأحمر ، أقوى شخصية قبلية ، استشهد والده وأخوه من أجل أهداف الشعب اليمنى واسترداد كرامته وفتح أبوابه للنهضة الحضارية ، ثم أمضى فى سجن الإمام ثلاثة وثلاثين شهرا بعد أن ذبح الإمام والده وأخاه ، وظل سجيناً مقيداً بالأغلال حتى قامت الثورة فتولى قيادة عشرات الألوف من رجاله الأشداء دفاعاً عن الجمهورية وإستماتة من أجل حمايتها (الوثيقة رقم ٤٢) .

ولكن بمرور الوقت أخذ المقدم إبراهيم الحمدي يستجيب أكثر للعناصر التى أحكمت حصارها حوله ، وتسلت إلى قرارة نفسه ، فزينت له العمل على تحدى عقلاء اليمن ، تحت شعار السباق مع الزمن .

ربما كان مخلصاً فى اتباع سياسته التى اقتنع بها ، لكنه لم يكن مدركاً للأخطار التى وقع فيها .

فكان ما كان ..

ثم توالى الأحداث .

قتل المقدم إبراهيم الحمدي وقام من بعده المقدم أحمد الغشمى ، ثم قتل المقدم أحمد الغشمى وقام من بعده العقيد على عبد الله صالح .

ولعل أهم إنجاز حققه الرئيس على عبد الله صالح هو إصدار وثيقة وطنية تحسم بصفة نهائية الصراعات الطائفية والعنصرية والقبلية التى عرقلت مسيرة الثورة اليمنية ، حيث سجل فى (الميثاق القومى) صفحة (٥٢)

(إن المعيار الثالث من معايير الولاء الوطنى يتمثل فى الحفاظ على الوحدة الوطنية ، والإبتعاد عن التعصب الطائفى ، أو السلالى ، أو القبلى ، أو الحزبى .. وغيرها من التعصبات التى تمزق الوحدة الوطنية وتضر بمصلحة المواطن والوطن .

وحين ننطلق جميعاً من هذا المنطلق ، فإن الممارسات الخاطئة ستزول ، وستختفى السلبات على مستوى القاعدة والقامة فى ظل الثقة والتلاحم بين الدولة ، ومؤسساتها الدستورية والشعب ، فى الوقت التى تعجز فيه كل المحاولات الخارجية عن جر الحاكم ، أو جر المواطن إلى أى شكل من أشكال التبعية ، كما تعجز كل النزعات الشريرة عن إثارة الولاءات والتعصبات الضيقة ، التى تضر بمصالح الوطن والمواطن . ففى المناخ الديمقراطى تموت هذه الولاءات والتعصبات الضيقة ، وتبقى الوحدة الوطنية قوة الشعب والدولة ، لحماية البلاد وسيادتها واستقلالها) .

هذا ما سجله الرئيس على عبد الله صالح فى هذا الميثاق القومى . ثم نادى بالعودة إلى كتاب الله وسنة رسوله حيث سجل فى نفس هذا الميثاق فى صفحة (٣٨) :

(إننا نرفض أية نظرية في الحكم ، أو الإقتصاد ، أو السياسة أو الاجتماع ، تتناقض مع عقيدتنا وشريعتنا الإسلامية . ولكننا نعتقد أن من حق أى فرد أو جماعة إمتلاك الحرية فى إعلان الآراء والأفكار ، و انتهاج العمل الديمقراطى السليم لتحقيقه ، بشرط ألا يخرج عن الإطار الإسلامى . فالاجتهاد فى هذا الإطار قاعدة من قواعد الإسلام .

وإنطلاقاً من إيماننا بشمول المنهج الإسلامى ، نرى أن أهم المراكز التى تقوم عليها حياتنا العملية ، هى العودة إلى منابع الصافية للعقيدة ، كتاب الله وسنة رسوله) .

وهذا التزام صريح بحتمية العمل على تصحيح المفاهيم والتشريعات والقواعد والأنظمة والعادات والتقاليد ، حتى تتفق مع ما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله ، وهذا جوهر الاجتهاد الإسلامى فى إيجاد الحلول والقواعد الشرعية للقضايا العصرية التى لم يرد فيها نص قطعى الورود ، قطعى الدلالة فى القرآن والسنة .

ولا شك عندى فى أن الرئيس على عبد الله صالح سوف يتعرض للكثير من العقبات الكأداء والعصبيات العمياء ، وأنه قد لا يستطيع تنفيذ الكثير مما جاء فى هذا الميثاق ، لكنه يكفيه فخراً تاريخياً أنه سجل هذه المبادئ الوطنية فى وثيقة قومية اشترك فى صياغتها كثيرون من اليمنيين الوطنيين الصادقين .

وتبقى بعد ذلك مسئولية تنفيذ مبادئ هذا الميثاق للشعب اليمنى جيلاً من بعد جيل ، حتى تعود اليمن إلى سابق عهدها الحضارى عندما كانت الحضارة اليمنية أعظم الحضارات التى خلدها القرآن ، وتغننت بها كتب التاريخ .

هكذا ، فى ظل الجمهورية ، أخذ الشعب اليمنى العملاق يواصل مسيرته العصرية ويقفز قفزاته الحضارية التى تسهم فى تمويلها مئات الملايين من الدولارات والريالات السعودية ودول الخليج العربى والدول الأخرى الأجنبية ، التى تساعد الجمهورية اليمنية على تحقيق خططها الإقتصادية .

وبعد أن كان عشرات الألوف من الجنود المصريين يحاربون وحدهم فى اليمن أصبح الآن فى اليمن عشرات الألوف من المصريين المهندسين والمدرسين والأطباء وغيرهم من الخبراء ، يعملون مع الشعب اليمنى فى بناء حضارته . وبعد أن كانت مصر قد تورطت فى محاولة استخدام اليمن للإنقضااض على السعودية أصبحت الدولتان تتعاونان على النهوض بالجمهورية اليمنية .

وهذا ما يثبت تاريخياً أن الصراع المصرى السعودى فى اليمن لم يكن صراعاً على عمامة البدر التى تخفى جثة النظام الإمامى ، ولا قبعة السلال التى تعلن شكل النظام الجمهورى ، ولا أحلام البيضانى فى استعادة المجد اليمنى والعربى . بل كان جوهر الصراع متمثلاً فى قلق السعودية من الأطماع السوفيتية ، التى تسللت إلى اليمن فى شرايين بعض العناصر المصرية التى انفردت بحكم اليمن . وعندما زال هذا القلق تعاونت مصر والسعودية على الإرتقاء بمستوى الحياة فى اليمن .



اليمن الحديثة

من أجل المستقبل الأفضل ناديت بالثورة الجذرية

وحتى آخر نفس في حياتي ..
أدعو الله أن يوفق ..
كل من يقود شعب اليمن ..
إلى مستقبل أفضل ..

وأدعو الله ..
أن يبارك شعب مصر ..
الذي ضحى ..
من أجل اليمن ..



مدرسة جمال عبد الناصر الثانوية



مدرسة إعدادية ثانوية بالحديدة



محطة الحافلات بمدينة الحديدة



العمارة الفنية



إحدى عمارات العمارة الفنية



معهد المعلمين بالحديدة



استخدام الوسائل التعليمية في المرحلة الابتدائية



التعليم الفني



بعض الصور من المهرجان الرياضي



مصنع الزيوت بالحديدة



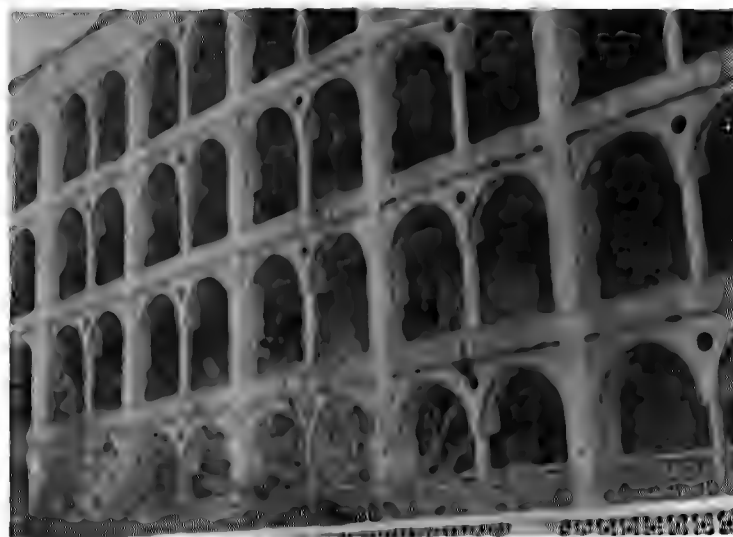
مبانى الأشغال



مبان الأشغال



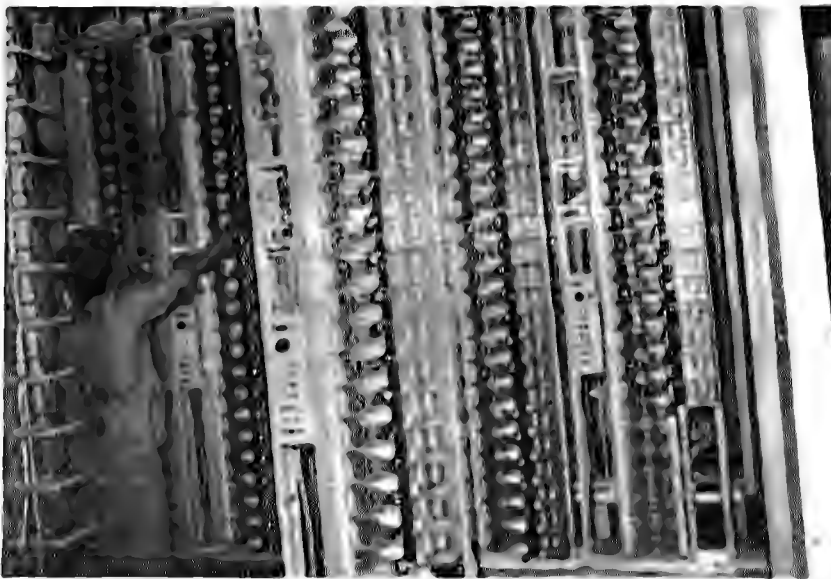
مستشفى الثورة بصنعاء



مستشفى الحلف - الحديدة



وزارة المواصلات بصنعاء



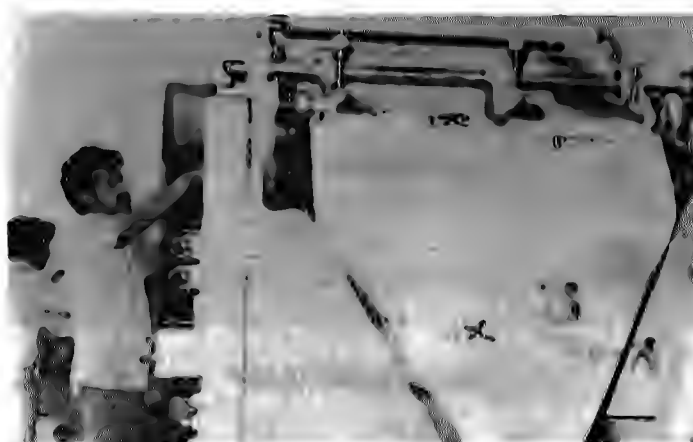
السنترال الإلكتروني - صنعاء



العمل بواسطة آلة التعطيف



صورة لجهاز الإرسال الداخلي



وحدة طبع الصحف



البنك المركزي اليمني - صنعاء



مبنى إحدى كليات جامعة صنعاء



الإذاعة والتلفزيون



السكرتارية الحديثة رمز الإدارة المتطورة بالمؤسسة العامة للموانئ والشئون البحرية



السواعد اليمنية تثبت قدرتها على تشغيل القطع البحرية الحديثة



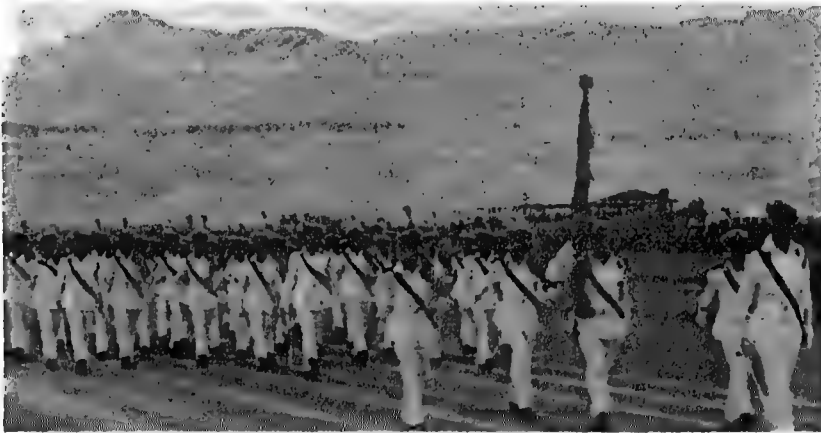
مہنی ملتزہ عجم



مہنی ملتزہ حدہ



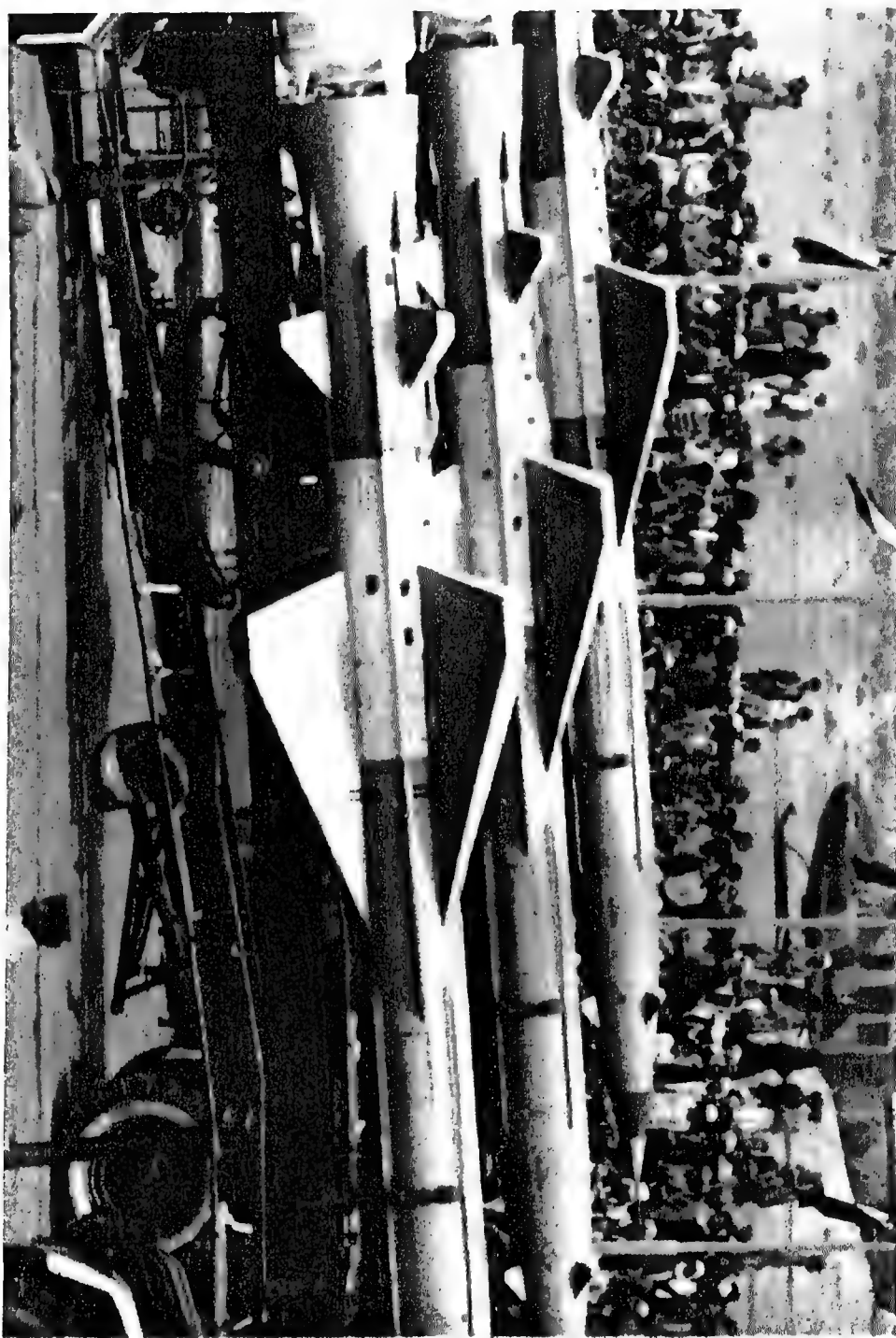
المختبره (تور)



رجال البحرية اليمنية في أحد الاستعراضات العسكرية



سلاح الإشارة عصب القوات المسلحة



جيش اليمن يمتلك السلاح الحديث

وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ
وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا
وَأُخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ
الْبَيِّنَاتِ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

قرآن كريم

المستقبل العربي

الفصل العشرون



نحن العرب لن نبلغ مرتبة التطور الإجتماعى إلا بعد أن نخلق السلوك الجماعى عندما نجتمع على مصلحة جماعية بعد أن نشعر بالقلق تجاه الظروف التى ورثناها ولا نزال نحياها مهدين بعدم اللحاق بركب الحضارة العصرية .

عندما نشعر بهذا القلق سنرفض الإقتناع بالواقع المخزى الذى نحياه ، كما نرفض إهدار طاقتنا الخلاقة فى خصومات عقيمة ، ونمتنع عن إغراق قواربنا فى بحور مشاكلنا الإقليمية والجزئية ، التى تلهينا ظواهرها الشكلية عن جذورها الحقيقية ، فتنسينا أهدافنا الكلية القومية التى من شأنها أن تعالج هذه المشاكل وتمنع استمرارها وتحول دون تكرار نشوئها .

فنحن العرب نحتاج إلى استعادة وطننا الكبير ليصبح كل منا كبيرا فى دنيا الأوطان الكبيرة ، فالكبير منا فى محيطه كبير بين قومه وعشيرته ، لكنه عندما يطل برأسه خارجهم فإنه يشعر بشيء يختلف عن ذلك تماما ، وسط التقدم الحضارى الهائل ، الذى أحرزه غيرنا فى محيط القفزات العصرية التى لا تتوقف لحظة واحدة عند أى حد .

وعندما يبلغ العرب نقطة البداية فإنهم يبدأون فى صنع دورهم الحضارى فى العالم ، لا يتأثرون بنفوذ أجنبى وإنما يؤثرون بنفوذ عربى ، وتصبح علاقاتهم الدولية علاقات مشاركة فى صنع الأحداث وليست مجرد نقاط التقاء فى صراع الأحداث .

إن الولايات المتحدة الأمريكية لم تصبح العملاق الإقتصادى العالمى إلا بمساحتها الشاسعة ومنتجاتها المتنوعة المتكاملة ، والملايين من سكانها الذين خلقوا لها السوق الكبير للعرض والطلب .

وعندما تبينت دول أوروبا أنها لا تستطيع البقاء فى السباق الإقتصادى العالمى إلا بارتباطها السياسى وتكاملها الإقتصادى أنشأت السوق الأوروبية المشتركة .

والاتحاد السوفيتى لم يصبح الاتحاد السوفيتى إلا بشعبه وملايينه ومساحاته الهائلة ، وكل مقوماته التى صاغت وحدة الإرادة السوفيتية ، وكذلك الصين بكل ما تمثله من بشر وأرض وإمكانيات بدأت تلهث وراء المارد اليابانى الذى انشقت عنه الأرض .

وأما البانيا فإنها بأقصى يسارها لا تزال هى ألبانيا بغير فعالية دولية ، مجرد صوت دولى كبقية أصوات هايتى ونيكاراجوا وترنناد ، لا يتجاوز تأثيرها أى أثر يمكن أن تمارسه إمارة موناكو بأقصى يمينها .

والسبب واحد ، حجم الكيان ، الذى يحدد حجم الفعالية ، التى يتوقف عليها حجم التأثير النهائى . فالكيان يحدد المصلحة ، والمصلحة تفرض الصراع من أجل تحقيقها ثم الحفاظ عليها ، لذلك يوجد صراع بين الشرق والشرق ، بين الصين والاتحاد السوفيتى أى بين البروليتاريا والبروليتاريا ، كما يوجد صراع بين الغرب والغرب ، بين أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية ، أى بين البورجوازية والبورجوازية ، أو بين الرأسمالية والرأسمالية ، حسب درجات التصنيف التى يحلو للبعض استعراضها . وسبقى الصراع يخفى ويظهر ، يتستر أحيانا ويسفر أحيانا أخرى ، ما دامت فى الكون مصالح .

والصراع لا يحتاج إلى مجرد رغبة صراع ، وإنما فعالية صراع لأن الصراع بدون فعالية يصبح مجرد شعارات ، وخيال مرافقة ، وفقدان للذات ، وتكسير للرأس على صخور جبل .

إننا إذا أردنا أن نستيقظ من بين رماد الكارثة العربية فليس أمامنا سوى أن نسعى فورا إلى تحقيق التكامل الإقتصادى العربى ، حتى نتمكن من إقامة الكيان العربى الكبير على الساحة العربية الأكبر من مساحة أوروبا ، والأكثر منها أهمية ، من حيث الإستراتيجية العالمية ، فهى ذات طبيعة مليئة بالكنوز المعدنية التى لا يزال أكثرها بغير استغلال ، وظروف مناخية متكاملة ومساحات زراعية تستطيع أن تكفى أضعاف المائة والأربعين مليوناً الحاليين لو أنها استغلت إستغلالاً علمياً عصبياً .

فالرقعة الزراعية العربية المزروعة الآن فعلا لا تمثل سوى نسبة ضئيلة جدا من مساحة الأراضي القابلة للاستصلاح والزراعة فى العالم العربى ، والتى تبلغ حاليا حوالى ٢٥٠ مليون فداناً لم تستلح ولم تزرع حتى الآن ، علاوة على إنتاجية الفدان المزروع فعلا فإنها تقل عن رقم يتراوح بين ٢٠ ، ٢٥ ٪ بالنسبة إلى إنتاجية الفدان فى الدول المتقدمة ، الأمر الذى يصرخ بحتمية الاستفادة من الأساليب الزراعية العصرية .

معنى ذلك أنه فى الوقت الذى تشكو فيه الأمة العربية ، بشكل عام ، من أزمات حادة فى المواد الغذائية التى تستهلك قدرا كبيرا من العملات الأجنبية فتعوق خططها الإنمائية فإنها تنام فوق ثروة طائلة مهمة ، إذا استثمارتها استثمارا اقتصاديا فإنها تستطيع أن تحل مشاكلها الغذائية ، وتصدر الفائض من إنتاجها الزراعى ، وتحصل على دخل يفوق دخل البترول العربى كله .

وإما التقدم العلمى الذى بلغه غير العرب فإنه ليس معجزة أتى بها أنبياء ولا ثورة طاشت بها طبيعة ، كما أنه ليس وقفا على أحد . فالعلم مشاع بين الناس وفى وسع العرب أن يصلوا إلى ما وصل إليه غيرهم عندما يبدأون السير فى الطريق العلمى وتوفير ظروفه وإمكانياته صعودا إلى المستقبل الأفضل ، من خلال التطور العلمى المستمر .



نحن العرب لا نختلف على (ضرورة اللحاق) بشعوب الأرض التي حققت إنجازاتها الإقتصادية الكبرى فصنعت معجزات العصر .

لكننا نختلف على (أسلوب اللحاق) بهذه الشعوب .

وليس على أعدائنا سوى أن يضربونا بأيدينا . ويطمسوا عقولنا بأقلاما . تلك الأقلام التي جعلت من بعضنا (عوائق طريق) بدلا من أن يكونوا (مشاعله المضيفة) .

وكلما اشتعل الاختلاف تصاعد الحماس وتمزقت المواقف وبقيت التجزئة العربية واستمر التخلف العربي ، وتزايد النهب المنظم الغربي والشرقي لإمكانيات الأمة العربية المبعثرة في كيانات منفصلة .

فالتكامل الإقتصادى العربى ليس إحساسا عاطفيا تثيره ذكريات الماضى وأمجاده بقدر ما هو مصلحة قومية ووطنية وفردية يثيرها الطموح والتطلع إلى مستقبل أفضل .

والنظرة إلى مستقبل أفضل نظرة إقتصادية ، لأن الإقتصاد لغة الحياة ، حياة الحاضر وحياة المستقبل ، والإقتصاد يعتمد على لغة الأرقام ، أى لغة الحقائق .

ولغة الحقائق تختلف عن لغة العواطف ، وعن لغة الشعارات ، وعن لغة الشعر بأوزانه وقوافيه .

والحقائق تنطق بأن الوطن العربى متكامل إقتصاديا . حيث توجد فيه أقاليم ذات موارد مالية بغير مجالات تستوعب استثمار هذه الموارد إقليميا ، وأقاليم ثانية تتمتع بمراد طبيعية بغير طاقة لإستثمار هذه الموارد ذاتيا ، وأقاليم ثالثة تفيض بالمراد البشرية الفنية ذهنيا ويدويا لكنها تفتقر إلى الموارد المالية والظروف الطبيعية التى تستثمر عمالة كل هذه الموارد البشرية .

الأقاليم الأولى تملك طاقة التحرك الإقتصادى ، بينما تملك الأقاليم الثانية موضوع هذا التحرك ، وتملك الثالثة القدرة على إحداثه .

وحتى تدور العجلة الإقتصادية الوطنية والقومية بالمعدل المناسب لحجم هذه العناصر الهائلة ينبغى علينا الإسراع بالتخطيط الذى ينظم ارتباط هذه العناصر المتكاملة ، بأسلوب خلاق يحقق الاستفادة الكاملة والقصى من هذه العناصر ، حتى يمكن بناء إقتصاديات وطنية فى كل إقليم عربى بشكل متكامل ومتساند داخل الإطار الإقتصادى القومى .

وبغير ذلك سيستمر كل إقليم عربي يعاني من مشاكل الإنفراد بأحد العناصر وغياب العناصر الأخرى ، التي بغيرها لا يمكن أن ينمو إقتصاد الوطنى بالكيفية القياسية العصرية ، وبالتالي سنظل نسمع هنا وهناك عن مشاكل هجرة الأموال وهجرة الخبراء والفنيين إلى خارج الوطن العربى .



إذا اتفقنا على إقامة الكيان الإقتصادي العربي الكبير في دنيا الكيانات الإقتصادية الكبيرة فعلينا أن نزيل من طريقنا جميع العقبات والشعاعات التي تعوق مسيرتنا العربية نحو بلوغ هذا الهدف الكبير ، الذى بدونه سوف نستمر نحلم بالمستقبل السعيد ولا نهرب من الواقع الحزين .

من أجل ذلك ناشدت مصر ، قلب العروبة النابض ولسانها الفصيح ورائدها الحضارى أن تسرع بإعادة النظر في الفلسفة والشعاعات والمفاهيم التى مزقت شمل العرب ، وحالت دون تكاملهم الإقتصادى ، الذى هو الأساس الأول فى بناء صرحهم الحضارى ، وذلك فى محاضرة ألقيتها بمجلس الشعب المصرى يوم ١١ مارس ١٩٧٥ حضرها الزميل الدكتور عبد العزيز حجازى رئيس وزراء مصر وعدد من الوزراء ، ووزراء المال والإقتصاد السابقين ورؤساء البنوك وأساتذة الجامعات وخبراء الإقتصاد العرب والأجانب .

ناديت فى هذه المحاضرة بإعادة النظر فى الفلسفة السياسية والنظم الإقتصادية المصرية .

فالفلسفة والشعاعات التى تختارها الدولة فى ظروف معينة ليست قرآنا نزل من السماء لا يجوز نسخ آياته فى غياب جبريل ، وإنما هى إجتهدات خاصة ، فى ظروف محددة ، وبعقول معينة لا تفترض ثبات الظروف ، ولا تقطع بجمود المتغيرات ، ولا تستبعد ظهور عقول أخرى فى أوقات لاحقة تكون أكثر إتصالا وأكثر معرفة بأحوال الشعوب التى تتطور فى أسلوب (ميكانيكى) متحرك وبصفة (ديناميكية) مستمرة .

وهذا ما ينفى عن فلسفات التطور صفة النظرية المطلقة ، ويحصنها فى إطارها المرحلى . والقول بغير ذلك معناه تجهيل للعلم باسم العلم ، وتجميد للتقدم باسم التقدم .

ناديت فى هذه المحاضرة بضرورة اسراع مصر إلى إعادة النظر فى ميثاقها القومى وتصحيح مسارها الإقتصادى ، حتى تستعيد الظروف الملائمة فكريا وتنفيذيا وإعلاميا ، لوضع حجر الأساس فى صرح التكامل الإقتصادى العربى ، الذى هو الركيزة الأساسية للتطور الحضارى القومى ، والسلاح الأعظم فى المعركة الحضارية التى تدافع فيها الأمة العربية عن مصالحها الحيوية ، وتثبت منها حقها المشروع فى النهضة والتطور ، وتمارس عليها قدرتها المتكاملة القادرة على الإشتراك المؤثر فى صنع الحضارة الحديثة .

ولا يتحقق التكامل الإقتصادي العربي عن طريق الإكتفاء بمنح القروض العربية للإقتصاديات الإقليمية ، وإنما يتحقق عن طريق الإتفاق على تخطيط إقتصادي قومي ، تنبثق عنه مشروعات استثمارية مشتركة سواء على مستوى كل البلاد العربية (إذا أمكن) أو على مستوى بعض هذه البلاد التي تربطها روابط خاصة ، لأن الارتباط (الممكن اليوم) بين البعض يؤدي إلى الارتباط (الممكن غدا) بين الكل . وبالتالي يتحقق الارتباط السياسي الذي ينشأ بالضرورة للحفاظ على الارتباط الإقتصادي .

كما لا تتحقق النتائج الإقتصادية الكاملة إذا انحصر التعاون الإقتصادي بين الحكومات العربية ، لأن مثل هذا التعاون يعتبر بمثابة (تعاون قمة) معلقة في الهواء على غير قاعدة أرضية ثابتة .

ولهذا يلزم تشجيع المواطنين في البلاد العربية التي تشترك في هذا التخطيط على القيام بمشروعات مشتركة حتى تنشأ فيما بينهم ارتباطات إقتصادية خاصة ، فتوجد القاعدة الأرضية الجماهيرية التي تحمي (تعاون القمة) وتدفعه إلى المزيد من الارتباط والاندماج ، وتمنعه من التأثير بأى طارئ مشنوم . وهذا هو سلوك الدول الناهضة .

فالدول الناهضة تجعل أبناءها يعيشون في الأمل ، يبتسمون للمستقبل .

والدول أفراد جمعتهم روابط مشتركة في مصالح مشتركة . مصالح يحققها الفرد بنفسه ، ومصالح تحققها الجماعة ممثلة في قدرة الدولة ، التي ينبغي أن تستخدم قدرتها في استمالة كل مواطن كي يبذل أقصى جهد إقتصادي يستطيع أن يقوم به ، ذلك الجهد الذي لا يتوقف على إرادته وحده ، وإنما يتوقف أيضا على مدى الفرص الإقتصادية التي تستدرج أنظمة الدولة انتباهه إليها . هذه الفرص هي التي تشجع الطموح وبذل الجهد الخلاق إذا لم تقتله الدولة حين تقع في مفاهيم غير علمية ، فتكبت الغرائز البشرية الطموحة ، مما يؤدي إلى تراخي المنتجين وتزايد المستهلكين فتدخل الدولة في طاحونة المشاكل الإقتصادية المعروفة .

الدول الناهضة تخلق الروابط العضوية بين العمل والفائدة التي ترجى منه ، حتى ينشأ الباعث على العمل وبذل الجهد وتحمل مخاطر الإبداع والابتكار والنشاط الدائب .

والدولة لا تستطيع أن تخلق الباعث على العمل الخلاق إلا إذا مهدت بفلسفتها وتشريعاتها وأجهزتها الإدارية والإعلامية لخلق الرغبة في التطور الشخصي والتقدم الحضاري .

والدولة لا تمهد لخلق الفئاعة العامة بالرغبة في التطور والتقدم إلا عن طريق إتاحة فرص الإنتفاع من عائد العمل ، في النطاق الذي يغري الفرد على العمل وعلى زيادة العمل ، فيزداد دخله ، ويرتفع مستواه ، ويشترك في صنع الحضارة المتطورة .

ثم يشترك في (الإستماع) بنصيب في ثمارها كما اشترك في (الإبداع) بنصيب في صنعها .

أما حين تمزق الدولة هذه السلسلة من أية حلقة من حلقاتها الإقتصادية فإنها تقتل النهضة الحضارية من أولها إلى آخرها .

يلزم تشجيع المواطنين الطموحين المبدعين الذين هم بناء الحضارات فى كل عصور التاريخ ، والكف عن وصفهم بأنهم فئة من الجشعين المستغلين الذين يجب سحقهم أو تضيق الخناق عليهم ، على زعم إمكانية قيام الدولة بواسطة كوادرها الوظيفية بمهمة المبدعين والملمهين من المنتجين .

ذلك الزعم الذى يتجاهل الحقيقة الأزلية ، حقيقة أن الإبداع العقلى لا يمكن أن يتحقق بالإرغام والأوامر الحكومية ، وإنما يتحقق بالإلهام والدوافع الذاتية .

زيادة العدل الاجتماعى (عمليا) لا تتحقق إلا من خلال زيادة الإنتاج القومى (ماديا) وإذا لم تتحقق زيادة الإنتاج القومى فإن (إفقار الأغنياء) لا يؤدي إلى (إغناء الفقراء) ، إنما يؤدي فقط إلى تناقص الإنتاج النسبى وضم القادرين السابقين إلى العاجزين اللاحقين ، الذين يعتمدون على مرتبات الدولة ومعاشاتها إذا كان صدرها يتسع لذلك ، فتزداد تكلفة الإنتاج وتذوب (حلاوة) الإستمناح بالقوانين الحماسية وسط (حرارة) الإرتفاع فى أسعار المواد والخدمات الأساسية .

ولا شك فى أن رفض سلبيات الماضى أمر مطلوب ، وهو عنصر من عناصر التطور الحضارى ومظهر من مظاهره الصحية ، كما أنه أمر سهل وميسور يكتفى بإصدار قانون على الورق فيتحقق على الفور (فك الارتباط بالماضى .) أما (وصل الارتباط بالمستقبل) فإنه لا يكتفى بمجرد إصدار أمر رسمى بالتطور ثم تنام الدولة ، وإنما يستلزم التوفيق فى وضع الأهداف الحضارية فى تخطيط شامل يستلزم السهر ليلا ونهارا لمتابعة نتائج هذا التخطيط التطبيقية لمعالجة ما يظهر فيها من مشاكل جانبية بعقلية متطورة ، تمارس حقها العلمى فى الحذف والإضافة حتى يتلائم التخطيط مع مسار التطبيق .

أما منع إستغلال الإنسان فإنه لا يتحقق من تسليمه وسيلة إنتاج قد لا يكون مؤهلا لإستثمارها بمقاييس العصر فيؤدى ذلك إلى إنخفاض الإنتاج الكلى للدولة .

إنما يتحقق منع إستغلال الإنسان عن طريق الإحترام الكامل لمبدأ تكافؤ الفرص حتى يثبت كل إنسان مواهبه وقدراته ، مع مساعدته على ذلك ، ومن لا يستفيد من تكافؤ الفرص ولا يصقل مواهبه ولا ينمى طاقاته ولا يتقن عمله ليصعد فى سلم الرفاهية فحسابه على نفسه لأنه هو الذى يتمسك بممارسة (حقه الشرعى فى الكسل) .

والقول بغير ذلك معناه تشجيع للكسل والاستهتار والإهمال وعدم الإنضباط ، فتختل ضوابط العمل ، وتقل إنتاجيته الإقتصادية ، وينصرف المستثمرون ، ويتعذر نمو الإنتاج الوطنى ، وتزداد أعباء الدولة .



نحن العرب فى حاجة إلى قيادات علمية عصرية تقود التطور الحضارى العربى فى
دنيا القفزات العصرية الهائلة .

وبعد أن جربنا أهل الثقة فتمزقنا وتفرقنا وفشلنا وذهبت ريحنا فلنبداً عصر الخبرة ،
التي يقودها أولئك الذين يعرفون قيادة التطور الحضارى الذى هو مفتاح الباب المغلق
الذى يحول بيننا وبين سكان العصر .

فالحكم الناجح فن ، يستخدم العلوم اللازمة وفى مقدمتها علم الإقتصاد الذى يقوم
بالدور الرئيسى فى تقدم المجتمع ، ثم يضيف إليها الإلهام والإخلاص والتجرد من الذات ،
مع الصدق فى تقدير ظروف المجتمع والدقة فى متابعة ما يتحقق من متغيرات فى طبيعة
الفرضيات السياسية والإقتصادية والإجتماعية المتحركة ، وما يتصل بها من آثار متبادلة
مع تفاعل العوامل البشرية الحية والنامية ، فى عالم تلاشت فيه أبعاد المسافات الجغرافية
فتعرفت الشعوب على المسافات الحضارية التى يسودها ويقودها التغيير المستمر ، الذى
لا يعبد الماضى فيركع للحاضر وإنما يصلح ويعمل من أجل مستقبل أفضل ، لا يكاد
يصل إليه حتى يعتبره ماضياً متخلفاً ، مهما تحقق فيه من نجاح فيبحث عن مستقبل جديد
أفضل منه .

وهكذا يسير المجتمع فى طريق الحضارة ، فلا يقف عند إنجاز معين ويعتبره آخر
المطاف ومنتهى الأمل ، إذ ليس للعلم آخر ، ولا للعقل منتهى ، وكلما توالى المنجزات
نسخت ما قبلها من معجزات ، وكلما تقدم العلم تجاوز ما سبقه من علم ، وهكذا يذكر
العقلاء دائماً وفى كل العصور قوله تعالى (علم الإنسان ما لم يعلم) .

فالتغيير إلى الأفضل صفة أساسية ملازمة للقرارات والمواقف السياسية والإقتصادية
والإجتماعية التى يراد لها أن تظل ملائمة للظروف المتغيرة التى تتعامل معها .

لكنه ..

من بقايا التخلف فى بعض المجتمعات ألا يسلم الجميع بحتمية التغيير الذى يصحح
أخطاء التجربة . وعادة ما يظل عدد من الناس يدافعون عنها . إما لأنهم من خلال هذه
الأخطاء يستثمرون مواقع شخصية ثمينة تفرض عليهم الحفاظ عليها . وإما لأنهم
لا يعرفون غير الأساليب المتخلفة فى العمل ، ولا يشعرون بالقدرة على ممارسة أساليب
أخرى يقتضيها تصحيح مسار التجربة .

وفى الحالتين تفرض عليهم مصالحهم الشخصية الذاتية أن يستمروا فى المزايدة على القميص الدموى للشعارات التى ضللت الجماهير الطيبة بالبيانات الكاذبة والوعود المستحيلة فعمقت فى وعيها غريزة الرفض الهدام .

الرفض الهدام الذى يرفض أى بديل للواقع مهما كان هذا الواقع قبيحا .

وليس الرفض البناء الذى يرفض الواقع القبيح من أجل أن يفرض البديل الجميل .

وهذا ما يضيف على أعباء القيادة العصرية أعباء أخرى إضافية ، حين ترفض الإنزلاق وراء شعبية رخيصة ومؤقتة تصحى فى سبيلها بالمصالح الحقيقية للجماهير التى ظلمها الماضى بشعاراته ، ثم أرهقها الحاضر بسبيلياته .

وهذا قدر القيادة الوطنية العصرية ، التى تسعى للجماهير مجددا ، قبل أن تسعيد هذه الجماهير رشدها .

والقيادة الوطنية العصرية هى التى لا تجد حرجا فى الاستفادة من أهل الخبرة فى جميع المجالات التخصصية .

فأهل الخبرة هم الذين يقع عليهم الدور الرئيسى فى عملية التقدم فى جميع العصور ، لا سيما فى عصرنا التكنولوجى السيبرناطيقى ، فهم الذين إذا أتاحت لهم الظروف الملائمة فإنهم فى وسعهم أن يحولوا العلم والثقافة إلى قوة إنتاجية مباشرة ، الأمر الذى لم يعد ضروريا فقط بالنسبة إلى الأمم المتقدمة حضاريا ، وإنما أصبح أكثر لزوما بالنسبة إلى الدول النامية ، التى ينبغى عليها أن تستفيد وفى أسرع وقت ممكن من إقتصاد الوقت ، الذى ظهر كواحد من الفروع العلمية التى تدرس فى الأكاديميات المتقدمة فى صور علوم عديدة ، فى مقدمتها علم الإقتصاد السياسى وعلم الإدارة وعلم النفس الفردى والعام وعلم التربية وعلم الفلسفة .

من هذا المنطلق الوطنى والقومى والعصرى .. ناشدت الأساتذة أعضاء هيئة تدريس جامعة الإسكندرية فى محاضرة أقيمت على حضراتهم فى ناديتهم يوم ٢٧ مايو ١٩٧٥ بأن يكون شعارنا الجديد هو :

(العمل العقلى المشترك من أجل الصالح العملى المشترك .

وبذلك ، ندفن ما عداه من شعارات دمرت مقومات النجاح الممكن أثناء قيامها بفرض الخيال المستحيل .

وطريقنا إلى دفن هذه الشعارات هو عدم الإصغاء إلى الكهنة المتاجرين بها ، الذين إما أن يكونوا مشدودين إليها (غير مستفيدين) من دروسها ، وإما أن يكونوا مستفيدين منها (غير مبالين) بفشلها ، ولذلك فإنهم يعارضون فى مناقشتها .

وهذه ظاهرة وبائية سائدة فى البلاد النامية ولنقل بصراحة (البلاد المتخلفة) لأن التخلف وليس النمو هو الذى يسوق إلى التقليد الأكثر والإجتهاد الأقل .

فالتعصب الأعمى أسهل على الكسالى من التفكير البصير . ولهذا لا نجد فى البلاد المتقدمة أية شعارات مقدسة ولا زعامات اسطورية خالده .

الزعيم الوحيد هناك هو العقل . العقل الذى يهذب العاطفة ولا ينساق وراءها ..

أما نحن العرب بصفة عامة فنكاد نكون ناثقين بين العاطفة والعقل ، تشدنا العاطفة دائما إلى الماضى ، ولم نترك العقل يدفعنا أبدا إلى المستقبل .

ولذلك فإنه على كل مجتهد يتطلع إلى مصلحة قومية للأمة العربية أن يعمل على تهئية مناخ الموازنة المنطقية والعلمية والإيجابية بين العاطفة العربية والعقل العربى ، حتى تتخلص الجماهير العربية من عاداتها السلبية التى يستهويها التقليد ويفزعها التجديد ، مما جعلها تخشى المستقبل ، فعاشت مثقلة بمخلفات ورواسب الماضى .

علينا أن نفكر بعقلية مرنة ومتجددة حتى نستطيع أن نبنى المستقبل المتجدد .

والذى نتفق عليه اليوم يجب أن نجعله قابلا للتغيير غدا ، حتى لا نقف جامدين إذا ما تبينا غدا ما هو أفضل منه .

والإدراك الذى نفكر به فى وقت من الأوقات ربما نفكر بغيره فى وقت لاحق ، لأننا نكتسب من التجارب والمناقشات والأبحاث معلومات جديدة .

فالإدراك متطور ، والحصيلة الذهنية متزايدة ، والنتائج التجريبية مستمرة ومتغيرة ، وهى تتغير بتغير ظروف الموضوع الذى تتعامل معه .

إذن ..

الموضوع الذى نحكم عليه الآن ليس موضوعا جامدا (ستاتيكا) وإنما هو موضوع متحرك (ديناميك) وعقولنا ليست هى الأخرى جامدة متحجرة ، وإنما مرنة متحركة تنبثق كل يوم عن أفكار جديدة أكثر إبداعا .

ولذلك علينا فى كل وقت ، أن نبحث عن المتغير الموضوعى الذى يطرأ على المسلمات التى نتفق عليها فى أى وقت ، حتى يمكننا بإدراكنا المتغير أن نهتدى إلى الأحكام الأكثر ملاءمة فى وقت لاحق .

ولا يمنعك قضاء قضيتك بالأمس أن تعدل عنه غدا إذا تبينت خيرا منه ، هذا هو تراث الإسلام) . (الوثيقة رقم ٤٣)



حاولت فى هذا الكتاب أن أوجز شرح الأسباب التى مزقت الأمة العربية ، واسقطت هيبتها ، وأذلت كرامتها ، واعتصرت ثروتها ، ثم كيف انتصر العرب عندما التأم شملهم فاجتمعت كلمتهم ، مسلمين ومسيحيين ، حتى هزموا جحافل التتاريين ، وطرّدوا جيوش المستعمرين الأوربيين الذين تستروا فى راية الصليبيين .

ولعل أقرب مثال لقدرة العرب العملاقة التى تنطلق عندما تتوحد كلمتهم هو انتصارهم فى معركة رمضان أكتوبر سنة ١٩٧٣ بعد أن بذل السادات ، منذ اليوم الأول لإستلامه السلطة فى مصر ، جهودا مضنية وهو يرقع الثوب العربى الممزق ، حتى استعاد ثقة أشقائه من قادة الدول العربية ، الذين كانوا من جانبهم يتطلعون مثله إلى إنقاذ المصير العربى من المستقبل المظلم ، فتعاونوا معه على إيقاظ الإرادة العربية التى أفرزت العمل العربى المشترك من أجل مواجهة الخطر العربى المشترك .

بدأت معركة رمضان أكتوبر ١٩٧٣ بقوات مصرية وسورية ، ثم اكتملت باشتراك قوات من جميع الدول العربية .

وإذا كانت هذه الدول لم تشترك كلها فى التخطيط والتوقيت للحرب ، وانحصرت أسرارها بين القاهرة ودمشق ، لدواعى السرية المطلقة ، فقد كان فى تقدير القيادتين المصرية والسورية أن بقية الدول العربية سوف تتسابق إلى الإشتراك فى القتال بمجرد أن تبدأ المعركة .

وتحقق ذلك فعلا ، لأول مرة فى تاريخ العرب المعاصر .

فعلى الجبهة المصرية اشترك لواء مشاه من المغرب ، ولواءان مدرعان من الجزائر ، وسافر الرئيس هوارى بومدين إلى موسكو حيث أبطل حجة الروس فى المماطلة بإرسال الأسلحة والذخيرة التى كانت مصر قد تعاقدت عليها قبل المعركة ، فدفع لهم مائتى مليون دولارا للإفراج عن الدبابات والصواريخ وذخيرة المدفعية التى كانت مباحة لمصر ، ومرهونة فى روسيا .

كما اشترك فى الجبهة المصرية فوجان ميكانيكيان من تونس ، وكتيبتان من الكويت ، ولواءان مشاة من السودان ، وكتيبتان مشاة من اليمن الشمالية التى تعاونت مع القوات البحرية المصرية على إغلاق بوغاز باب المندب فى وجه الملاحة الإسرائيلية .

أما ليبيا فكانت ، قبل المعركة ، قد أرسلت إلى مصر كل ما لديها من طائرات ميج ، وجميع ما عندها من وحدات مدرعة ووحدات مدفعية ، إلى جانب بقية ما كان في حوزتها من أسلحة أخرى تولت القوات المصرية استخدامها بنفسها . كما أرسلت العراق إلى مصر عدة أسراب من طائرات هوك هانتر القاذفة المقاتلة .

وعلى الجبهة السورية اشترك لواءان مدرعان من السعودية ، التي أرسلت أيضا إلى دمشق كل ما كان لديها من طائرات لايتنج القاذفة المقاتلة وطائرات النقل العملاقة وصواريخ أرض أرض ، كما اشتركت في هذه الجبهة ثلاثة ألوية مدرعة من الأردن ، وفرقتان مدرعتان من العراق .

وهكذا ، في المراحل التالية من المعركة ، أصبحت جميع الدول العربية مشتركة في القتال ، الذي توقف مرحليا بعد أن أرسلت أمريكا إلى إسرائيل نجات عسكرية وأسلحة حديثة لم تستخدم من قبل ، أنزلتها في مطار العريش الذي يبعد ١٨٠ كيلو مترا عن القناة ثم مطار العليز الذي لا يبعد عن القناة بأكثر من ٨٥ كيلو مترا على إثر صباح إسرائيل منادية (إنقذوا إسرائيل) .

وبالرغم من توقف القتال فإن التضامن العربي قد أثار الذعر في قلب الصهيونية العالمية ، فأسرع الدكتور هنري كسينجر إلى مصر حيث أُنذر السادات إنذارا صريحا ونهايا بأن أمريكا لن تسمح بهزيمة إسرائيل ، وإنه إذا استأنفت مصر القتال فإن أمريكا لن تتردد في القيام بتدمير جميع المنشآت العسكرية والمدنية في سائر أعماق الأراضي المصرية .

ولم يكن ليغيب عن ذاكرة السادات ، أو غير السادات ممن يتابعون أحداث التاريخ ، ما فعلته أمريكا في فيتنام عندما توقفت المفاوضات الأمريكية الفيتنامية في باريس ، حيث قامت القوات الجوية الأمريكية ، في عشرة أيام ، بتدمير عشرة أمثال ما دمرته خلال سنوات الحرب الفيتنامية كلها ، ولم تترك أى هدف عسكري أو مدني إلا دكتته بقنابلها وبأحدث ما توصلت إليه الإختراعات الأمريكية العسكرية ، فاضطر المفاوض الفيتنامي إلى العودة إلى مائدة المفاوضات مع أمريكا .

لم يتهور السادات ويقامر بالدخول في معركة سافرة مع أمريكا التي وعد مندوبها كسينجر بفض الاشتباك العربي الإسرائيلي وسحب قوات الثغرة الإسرائيلية ، على طريق الحل الشامل للقضية العربية .

ولم ينس كسينجر ، قبل أن يغادر مصر ، أن يستثمر التهديد الأمريكي الذي حرّمها من حرية إختيار الحل الذي تفضله أكثر من غيره ، فأعاد غرس بذور الخلافات العربية بعد أن توحدت الأمة العربية من الخليج إلى المحيط ، ودخل سلاح البترول في المعركة العربية الصهيونية ، ووقف العالم الإسلامي كله مؤيدا للحقوق العربية المشروعة وفي مقدمتها استعادة القدس العربية . مما وضع الصهيونية العالمية في موقف حرج لأول مرة منذ أن غرست الكيان الإسرائيلي الصهيوني في قلب الأمة العربية .

ورغم بذور الفتنة العربية ، التي أعاد كسينجر غرسها وبعثها من مرقدها ، استمرت أغلبية الدول العربية متماسكة مترابطة تعالج أمراض الفتنة بالكياسة والحكمة . واستمرت السعودية ودول الخليج في تمويل جميع المشتريات المصرية من الأسلحة منذ سنة ١٩٧٤ حتى نهاية سنة ١٩٧٦ حيث كانت الصهيونية العالمية مع نهاية تلك السنة ، قد استكملت مخططاتها في اختلاق الأسباب التي انتهت إلى الوقيعة بين مصر من جانب والسعودية ودول الخليج من الجانب الآخر ، وهي الدول النواة التي تستقطب التكتل العربي .

ولم يقتصر دهاء كسينجر على استثمار التهديد الأمريكي في حياة السادات ، بل تعدى كل ذلك إلى استثمار موت السادات نفسه ، فقاد كسينجر حملة صهيونية إعلامية ونفسية ، كان هدفها الأخير هو ذات هدفها الأول ، وهو العمل المستمر والمتجدد الذي يستهدف تمزيق الصفوف العربية . فنشر في مذكراته بعد موت السادات زاعما أنه كان في وسع مصر ، أثناء مفاوضات فك الإشتباك المدعومة بالتهديد الأمريكي ، أن تحصل على أكثر مما أعطته أمريكا بعد أن سمحت به إسرائيل .

فكانت هذه المذكرات منطلقا لعدد من الكتاب والسياسيين العرب الذين أسهموا ، عن قصد أو غير قصد ، في تنفيذ المخطط الصهيوني الذي يستهدف إجهاض الانتصار العربي وإضافته إلى رصيد التفوق الإسرائيلي .

ولا أدري كيف يصدق أحد العرب ما يزعمه كسينجر ، حين يدعى أن السادات كان في وسعه أن يظفر بأكثر مما جادت به الولايات المتحدة ، بعد أن حمل إليه كسينجر بنفسه التهديد الأمريكي بتدمير المنشآت العسكرية والمدنية في سائر أنحاء الأراضي المصرية ؟

لكن كسينجر يذكر النصر العربي وينسى التهديد الأمريكي .

على كل حال ، فإن كسينجر (الصهيوني أولا والأمريكي أخيرا) رجل عظيم الدهاء وواسع الحيلة ولذلك استحق ، عن جدارة ، لقب « نبي إسرائيل » الذي منحته إياه جولدا مائير ، عندما أنقذ إسرائيل من الهزيمة الشاملة المحققة عند بداية المعركة ، ثم أخذ يعيد تمزيق الصفوف العربية بعدها ، مستغلا منصبه كوزير للخارجية الأمريكية ، فاستخدم جميع ما توصل إليه ذكاؤه المفرط من أساليب الضغوط العسكرية والإقتصادية والنفسية ، مستعينا بالأقلام الصهيونية وبعض العقول العربية ، ومستندا على المناخ العربي الذي استمر عدة قرون لا يكاد يشعر بأخطاره الإنعزالية الإقليمية وغياب الشخصية القومية ، حتى توارث العرب سهولة العودة إلى الفرقة العربية وصعوبة التمسك بالوحدة القومية .

فبعد أن تضامنا فانتصرنا في معركة رمضان أكتوبر ١٩٧٣ عدنا سيرتنا الأولى فتفرقنا واختلطنا من بعد ما جاءتنا البينات ، وبدلا من أن تظهر بيننا أمة من المفلحين يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ظهرت بيننا أمم تدعو إلى المنكر وهي تروج بيننا ما يشئت شملنا ويمزق صفنا ويقضى على وحدتنا الوطنية والقومية .

فأصبحنا الآن ، نحن معشر العرب ، على مقربة من كارثة قومية كبرى ، أراها تهول في الطريق إلينا .

إلينا كلنا .. دون إستثناء لأحد منا .

كارثة كبرى يهون معها كل ما نعانیه الآن ، وقبل الآن ، من كوارث إقتصادية وإجتماعية وسياسية .

وإذا كانت الشيوعية الدولية تتطلع إلى إحتوائنا بالعقيدة الماركسية لأهداف استراتيجية ، وهذا خطر تتصدى له عقيدتنا الدينية (وثيقة رقم ٤٤) فإن الصهيونية العالمية تتطلع إلى إخضاعنا بالقوة العسكرية لأهداف إقتصادية ، تساندها في إخضاعنا مصالح دولية . وألسنة عربية تتحدث بضمائر أجنبية وتكتب بأقلام صهيونية . وهذا خطر تتسع له فرقنا العربية وعزلتنا الإقليمية وغيبتنا الدولية أمام قفزات الشعوب الأخرى التي سبقتنا إلى الحضارة العصرية ، وهداها منطق العصر إلى الإنفاق فيما بينها على اعتصار خيراتها .

وأصبحنا نسلى أنفسنا بمتابعة قفزاتها من بعيد ، ثم نستمتع بالاسترخاء في أحلامنا السعيدة ، وترديد شعاراتنا المجيدة وإطلاق تصريحاتنا العديدة ، مع السير البطيء على مستوى الساحة العربية ، نحو الحد الأدنى للحضارة العربية العصرية الضرورية ، ذلك السير البطيء الذى لن يجعلنا نستطيع التقريب بين المسافات الحضارية الشاسعة التي تفصل بيننا وبين غيرنا من الشعوب التي عرفت طريقها إلى الحضارة الجديدة ، ولم تقتصر مثلنا على الاسترخاء في أحلامها السعيدة .

ولم يعد سراً على من يتابع مستقبل التطور الإقتصادي العالمى ، أن أبحاث الأقمار الصناعية أثبتت أن الجزائر ومصر هما من بين أغنى ست دول في العالم بأسره من حيث الموارد الطبيعية والكنوز المعدنية . وتأتى القارة الأمريكية في المرتبة الأولى ثم يليها الاتحاد السوفيتي ، ثم فرنسا فالجزائر ، ثم الصين فمصر .

وقد توصل العلماء ، من خلال هذه الابحاث ، إلى ان مصر لا تعرف حتى الان سوى النزر اليسير من كنوزها المعدنية ، لذلك فإنها لا تزال مجهدة في مجالات ضيقة ومحدودة من مجالات التعدين ، وتحصر كل همها في مناجم الذهب القديمة التي استنفذها فراعنة قدماء المصريين منذ الاف السنين ، وتحشر نفسها حول وادى النيل وفروعه وقنواته .

كذلك نفس الحال في الجزائر والمملكة العربية السعودية والجمهورية العربية اليمنية ، التي ترقد جميعها فوق كنوز هائلة من الثروة المعدنية .

هذه بعض مناطق الأمة العربية التي يتأهب الغزاة المغتصبون لاحتوائها ، قبل أن يستيقظ شعب من شعوبها ، عندما يطلع على سر من أسرارها .

إلى جانب مواقع الأمة العربية الأخرى الاستراتيجية ، وحقول المواد البترولية التي تراجعت إلى المرتبة الثانية من حيث الأهمية النسبية في جدول الترتيب الزمنى للاستراتيجية الإقتصادية العالمية ، التي رسمتها الصهيونية وجعلتها الأمة العربية .

الأمة العربية التي أهملت التفكير في هموم الحاضر بينما تفرغ الغزاة المغتصبون للتفكير في هجوم المستقبل .

هذه أزمنا العربية ..

وان شئت قلت هذه الكارثة القومية ..

الكارثة القومية التي رغم اشتعال نارها وهي تشوى جلدنا ، وتسفك دمننا ، فإننا لا زلنا نتصارع فيما بيننا ، ونفتح صدورنا لكل من يمزق صفنا ، وينهب حقنا ، ويهدم مجدنا . واحترف بعضنا فن الإستمتاع بالكارثة ، والدفاع عن وطنية صفوفنا الممزقة ، ورحابة صدورنا المطعونة ، وتدفع خيراتنا المنهوبة ، واستقلال حدودنا المخترقة ، وعزة كرامتنا المستباحة .

وعلى نقيص سلوكنا مع أنفسنا احترفت الصهيونية العالمية فن تنظيم صفوفها ، وتوزيع أدوارها من أجل تفريق الجماعات ، وتمكين الأقليات من السيطرة على رقاب الأغليات في معظم الدول وجميع القارات ، ويشهد على ذلك عالم الاجتماع اليهودي الفرنسي جورج فريدمان في كتابه (نهاية الشعب اليهودي) الصادر سنة ١٩٦٧ والذي لخص أسباب عظمة اليهود في أنها :

(تتوقف على سيطرة الأقليات اليهودية في ١٠٢ دولة على مراكز اتخاذ القرار ، حتى تتمكن هذه الأقليات من توجيه طاقات هذه الدول لمساندة إسرائيل ، التي تمثل الفرقة العسكرية الصهيونية المتقدمة ، والمكلفة بالسيطرة على مقدرات الأمة العربية الاقتصادية لحساب الصهيونية العالمية المتحكمة في إقتصاد هذه الدول) .

تطورت أساليب العمل على تمزيق الأمة العربية والإسلامية مع تطور أهميتها الجغرافية واكتشاف ثرواتها الطبيعية ، كما تطورت أساليب التنسيق بين الأطماع الدولية حتى تبلورت في توافق دولي على زرع أمبراطورية صهيونية في الجزيرة العربية ، تقوم بتنظيم تدفق الثروات العربية إلى الإقتصاديات العالمية ، التي تتولى الصهيونية إدارتها وتوجيه سياستها .

فلم تنطلق فكرة إنشاء إسرائيل في قلب العالم العربي ، كما سبق الإيضاح ، من مجرد الرغبة في تجميع اليهود في وطن قومي ، وإنما انطلقت من إدراك الصهيونية العالمية لمدى أهمية الموقع الجغرافي للأمة العربية ، وحجم ثرواتها الطبيعية واتساع أسواقها التجارية ، وتطلع أبنائها إلى استعادة أمجادها التاريخية ، التي تصر الصهيونية على دفنها والحيلولة دون بعثها .

تشهد على ذلك الوثيقة الصهيونية المعروفة باسم (الإخوان في الدين) الصادرة في سنة ١٧٩٨ حيث تشير إلى الأرض العربية مؤكدة (إن الموقع المتفوق على ما عداه والتميز عن سائر المواقع في العالم سوف يجعلنا أسياد تجارة الهند والجزيرة العربية) .

كانت الصهيونية من وراء الحملات الأجنبية التي أجهضت المحاولات العربية التي استهدفت إحياء التضامن العربي والتكامل الإقتصادي على امتداد الساحة العربية ، التي تملك جميع المقومات البشرية والموارد الطبيعية القادرة على خلق الكيان الإقتصادي العربي ، الذي يضارع الكيانات الإقتصادية العالمية .

ومن أجل القضاء على اجتماع شمل العرب اتقنت الصهيونية ترويح الشعارات العربية التي تغوص أحيانا بالصراع العربي إلى أعماق الرواسب القديمة ، وتطفو أحيانا أخرى إلى سطح المسميات الجديدة وتقف الصهيونية من خلف ستار توزع الأدوار على ألسنة المتصارعين العرب وألسنة ركانزها من الملقنين الدوليين فمنهم من يتحدث إلى العرب من الشرق فيلوى لسانه على اليسار ، ومنهم من يتحدث إلى العرب من الغرب فيلوى لسانه على اليمين ، ويستمر الصراع بين الأخوة العرب ، وتعتصر الصهيونية دماءهم جميعا ، دون استثناء لأحد منهم .

هيات الصهيونية مناخ التمزق العربي حتى نجحت سنة ١٩٦٧ في إغمار خنجرها المسموم في جسد الأمة العربية ، ثم نجحت في إعادة تمزيق الأمة العربية التي تضامنت في معركة الانتصار في رمضان أكتوبر ١٩٧٣ ، فأصبحت إسرائيل القوة الضاربة في المنطقة العربية والسلطة المتحكمة في مسارها ، كما أصبحت على مقربة من هدفها الأساسي وهو السيطرة على ثروات الأمة العربية .

وبتزايد التمزق العربي ، تضاعفت المشاكل الإقتصادية في دول المواجهة وفي مقدمتها مصر حيث تصدت لها الصهيونية بكل ركانزها الدولية ، حتى أحكمت الحصار الإقتصادي الدولي حولها كي تعجز على حل معضلاتها الإقتصادية التي تراكمت عليها خلال سنوات الحرب ، ثم تزايدت فوقها خلال سنوات الانتصار .

حيث كان لحرب رمضان أثران متناقضان .

الأثر الأول : ارتفاع الروح المعنوية العربية .

الأثر الثاني : تزايد الأزمات الإقتصادية لدى دول المواجهة العربية وفي مقدمتها مصر ، لأن استخدام سلاح البترول وما صاحبه من مضاعفات إقتصادية دولية أدى إلى ارتفاع سعره العالمي ، فلجأت الدول الصناعية إلى تعويض هذه الزيادة برفع أسعار صادراتها ، ودفعت دول المواجهة العربية وفي مقدمتها مصر . كل الثمن ، لأنها لم تستفد من زيادة سعر البترول وتحملت زيادة أسعار وارداتها الصناعية والغذائية ، إلى جانب تكاليف مرافقها العامة التي أهملتها أثناء قيامها باعتصار قوت شعبها في حرب مستمرة مع إسرائيل ، ومن خلفها الصهيونية العالمية .

هكذا تناقض الأثران .

فبينما أدى ارتفاع الروح المعنوية العربية إلى مزيد من حماس بعض المتطرفين في دول المساندة ، أدت الأزمات الإقتصادية إلى مزيد من معاناة جميع المرابطين في دول المواجهة .

وعزفت الصهيونية على أوتار هذا التناقض .

روجت شعارات التطرف لتحقيق المزيد من حماس البعض فى دول المساندة لتحول دون السلام ، وعمقت (بواسطة ركانزها العالمية والمحلية) أسباب المعاناة الاقتصادية فى دول المواجهة لتحول دون الحرب .

فنجحت الصهيونية فى إبعاد مصر عن العرب بسبب (اللاحرب واللامساعدة) ، ونجحت فى إبعاد العرب عن مصر بسبب (اللاسلام واللاتفاق) .

وبدلاً من أن يعيد العرب النظر فى أسباب التمزق العربى والنجاح الصهيونى انشغلوا فى معارك السياسة العربية التقليدية التى تغذيها الصهيونية ، وتحولت اللاءات الثلاث التى اتفق عليها العرب فى الخرطوم (أغسطس ١٩٦٧) إلى لاءات ثلاث جديدة هى : لا اتفاق على الحرب ، لا اتفاق على السلام ، لا اتفاق على إنقاذ الأمة العربية من السقوط فى الهاوية الصهيونية .

وانتقلت الصهيونية إلى الخطوة التالية فى مشوارها الطويل الذى لا يتوقف عند منابع البترول فى الخليج ، وإنما يتطلع إلى جبال الذهب والمعادن الغالية فى الحجاز ، ومن بعدها اليمن ، ومن قبلها لبنان وبقية الشام ، ومن النيل إلى الفرات .

شغلت العرب بحرب إيران والعراق التى نسفت لها مفاعلهما فى وضوح النهار لتنسف معه شعار الصمود والتصدى الذى تزعمته العراق فى مؤتمر بغداد ، ومع ذلك وقفت مصر إلى جانبها لحماية أراضيها العربية لأسباب قومية .

زينت الصهيونية لسوريا الانضمام إلى إيران لإخراج العراق من ساحة التأثير العسكرى العربى ، وتأسيس جذور العداوة بين القيادتين الحاكميتين فى كل من بغداد ودمشق ، رغم انتسابهما إلى أبيهما الشرعى حزب البعث العربى الاشتراكى .

وتولت الصهيونية مساعضة إيران لتهديد واستنزاف دول الخليج ، ومكافأة الدول الصناعية التى ارتفع عليها سعر البترول ، والتى يسعدها تدمير المنشآت العسكرية والمدنية فى إيران وفى أية دولة من الدول العربية ، كى تستمر الدول الصناعية فى إعادة التسليح والتشييد ، فتمكن من اجتياز أزماتها الاقتصادية ، بالإضافة إلى حصولها على المساعدات المالية التى تدفعها لها الدول العربية ، ليس أملاً فى معونة الدول الصناعية المستحيلة ، وإنما سعياً وراء حيادها الممكن الذى ليس حياداً بين الشرق والغرب ، أو بين الدول العربية والصهيونية العالمية ، وإنما بين العرب والعرب .

ثم احتلت الصهيونية لبنان وتصدت للأنبياء السورية ، وطردت القوات الفلسطينية ، وتوسعت فى بناء المستوطنات الصهيونية ، وغدا يأتى الدور على الأردن كما جاء فى رسالة الملك حسين التى سلمها بيده للرئيس الأمريكى فى إحدى زيارته لواشنطن سنة ١٩٨٣ فكشف تفاصيلها المعلقان الأمريكان رولاند إيفانز وروبرت نوافك فى صحيفة واشنطن بوست الأمريكية . وسبق أن علق موسى شاريت على استقلال الأردن الذى ورد

فى خطاب بيغن فى الجمعية العمومية للأمم المتحدة فى ١٧ يناير ١٩٤٦ فقال شاريت (إننا لم نسقط الأردن من مشاريعنا قط) .

ومع ذلك يتصور بعض العرب إمكانية التماس الحل السعيد الذى يمكن أن تعرضه أوروبا فى سوق استقلالها السياسى والاقتصادى عن أمريكا ، ونسى هذا البعض أن مصلحة أوروبا تتحقق أكثر فأكثر كلما ضغطت الصهيونية على العرب ، فتجعلهم يتزاحمون على العواصم الأوربية ، فتبتسم أوروبا ويدفع العرب ، وتواصل الصهيونية ضغطها وزحفها ، ويواصل العرب السفر من عاصمة إلى أخرى .

هذه هى إحدى الحقائق المرة التى يتجاهلها معظم العرب ، وتعترف بها إسرائيل التى لم يتردد وزيرها ايريل شارون فى إعلانها من الإذاعة البريطانية يوم ٨ ديسمبر ١٩٨٣ فقال :

(إن قتل ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية فى مصلحة الجميع بما فيهم أوروبا لأنه سيكون إنجازاً هاماً وخطوة كبرى للأمام) .

هذا ما قاله بالأمس ايريل شارون ، أما الذى يسعى إلى أن يقوله غدا ، أو بعد غد ، بعد شهر أو سنة ، أو أكثر من ذلك أو أقل [إن قتل جميع الزعماء والمفكرين والمتقنين العرب فى مصلحة الجميع بما فيهم أوروبا وأمريكا وروسيا لأنه سيكون إنجازاً هاماً وخطوة كبرى للأمام] .

لقد درست الصهيونية أبعاد السلوكيات العربية التى توارثت سهولة الانبهار بالكلمات المعسولة ، والخلود إلى حلاوة اليوم دون إرهاق الذهن فى التفكير فى مرارة الغد ، فصاغت الصهيونية كل ذلك فى إسرائيليات جديدة ، لا تستهدف بها الافتراء على الرسول الكريم وإنما تتوجه بها ، وبصفة مباشرة ، إلى الفتك بأمرته .

ولا أدرى هل قرأ العرب ما كتبه المؤرخ الصهيونى والترلودرميلك سنة ١٩٤٤ وهو يعلل طرد العرب وقيام الأمبراطورية الصهيونية حيث قال أن ذلك سوف يتحقق بسبب (نشاط اليهود وكسل العرب) .^(١)

وهل قرأ العرب أيضاً ما كتبه الصحفى اليهودى أشرز فى جنسبرج فى أبريل سنة ١٨٩١ حين سجل للتاريخ قائلاً (إن العرب يرون ويفهمون ما نفعله وما نبتغيه فى فلسطين ، لكنهم لا يقابلون هذا العمل بأى عمل مضاد ، ويتظاهرون بأنهم لا يلاحظون شيئاً) .^(٢)

والذى نبتغيه الصهيونية الآن بعد نجاحها فى طرح نموذج الرائد سعد حداد فى لبنان أن تفرض هذا النموذج فى بقية ما تسعى إليه من البلدان ، لأنها لا تكتفى باستثمار الأموال العربية المودعة فى البنوك العالمية ، الخاضعة للسيطرة الصهيونية ، وإنما

(١) Walter Clay, Lowdermilk, Palestine, Land of Promise London 1944

(٢) مجموعة أبحاث جنسبرج عن (الصهيونية) لندن ١٩٢٢

تسعى إلى السيطرة على مصادر هذه الأموال بصفة مباشرة ومن المنبع ، دون أن يكون للعرب أى حق عليها سوى مجرد العمل لديها . وليست مأساة الهنود الحمر ببعيدة عن ذاكرة التاريخ الحديث ، حيث بدأت بوصول قارب واحد إلى شاطئ أمريكا الشرقى ، وبعد ذلك تفوقت البنادق والمدافع لأنها كانت أبعد مدى من السهام والرماح .

هذه سنة الحياة ..

والحياة أولا وأخيرا صراع . صراع بين البقاء والفناء . بين القديم والجديد . بين الطبيعة والإنسان . وبين الإنسان والإنسان . وعندما ينتظم الصراع يأخذ صورة التعاون . والتعاون فى جوهره تبادل سلمى بين المصالح المتنازع عليها . لكن الأقوى لا يرضى عادة بالتعاون وإنما يفرض نفوذه ليحصل على نصيب الأسد . ونصيب الأسد ليس ظاهرة قاصرة على الغابة . وإنما هو حقيقة سائدة فى المجتمع الإنسانى . تستحى من القانون . والقانون فى المجتمع الدولى قانون الأقوى . والأقوى دوليا لا يتقيد إلا بتوازن القوى .

ونحن لن نتوازن مع قوة الصهيونية العالمية إلا بالإقتصاد العربى القومى الذى يتوازن مع مستوى قوتها الحضارية ، ويحجز للعرب مقعدا حول مائدة المؤثرين فى السياسة الدولية .

وإلا فإن الأمبراطورية الصهيونية فى طريقها إلى فرض سيطرتها على الأمة العربية .

هذه خطة الصهيونية منذ وعد بلفور ، الذى أكد الهدف من إنشاء دولة يهودية فى فلسطين فظهرت أصوات صهيونية تعارض الإكتفاء بفلسطين ما دامت الأمة العربية (فطيرة سهلة الهضم) . بينما رأى صهاينة آخرون أن الحكمة تقتضى من اليهود التأنى وابتلاع الأمة العربية (لقمة .. لقمة) كما أكد السير لورى همند أحد أعضاء لجنة بيل فى اجتماع عام سنة ١٩٣٨ حين قال (ستجدون أن الوطن القومى فى فلسطين سيكون الخطوة الأولى .. سيأخذ ذلك العمل سنوات ، ولكنه سيتحقق)^(١)

ولقد فطن الأستاذ الدكتور طه حسين إلى هذه الحقيقة العربية المرة ف سجلها فى كتابة (مرآة الإسلام) الصادر سنة ١٩٥٩ فى صفحة ٣٠٦ حيث قال :

(وما أحب أن أثبط الهمم ، ولا أن أفل العزائم ، ولا أن أشيع اليأس ، ولكنى أقول ما أقول تقوية للأمل ، وتمضية للعزم وإلحاحا مع الملحّين فى أن يثوب الناس إلى أنفسهم ، ويتمثلوا هذه الآماد البعيدة أشد البعد بينهم وبين قدامتهم من جهة ، وبينهم وبين الأمم الحديثة المتحضرة المسيطرة على العالم الحديث من جهة أخرى . ليعلموا أن الطريق بينهم وبين الرقى الصحيح طويلة شديدة الطول ، شاقة عظيمة المشقة ، وأنهم قد أتيج لهم الآن شيء من يقظة تمكّنهم من أن يختاروا إثنين : إحداهما أن يظلوا كما هم الآن أيقاظا كالنيام . ونياما كالأيقظ . فيتعرضوا لخطوب أشد هولاً وأعظم أثراً من الخطوب التى تتابعت عليهم . والثانية أن يستيقظوا حقاً ويستدركوا ما فاتهم حيث وقفوا ومشى الناس ، ليصبحوا أكفاء لقدامتهم من جهة ، وأندادا للذين يحاولون أن يستذلّوهم

من جهة أخرى . ويجب عليهم أن يذكروا أن حكامهم من الأجانب في العصور الماضية كانوا جهالا ففرضوا عليهم الجهل ، وأن الطامعين فيهم الآن بعيدون كل البعد عن الجهل ، فسيكون ظلمهم لهم أقوى وأعنف من ظلم حكامهم الأجانب فيما مضى) .

وتأكيدا لما سبق أن رآه الدكتور طه حسين بنافذ بصيرته فإن الحكام الأجانب أو الغزاة الجدد قد أثبتوا أنهم بعيدون كل البعد عن الجهل ، فقد درسوا نفسية الأمة العربي ، حكاما ومحكومين ، وعرفوا ردود فعلهم أمام كل المواقف دون استثناء . فاتقن الغزاة قدرتهم على تزويد العرب بالمقدمات التي تجعلهم يزودون الغزاة بالنتائج التي يطلبونها .

فإذا وجدوا أن اتفاقنا في مصلحتهم قدموا لنا مروجات الإتفاق . وإذا لقوا أن اختلافنا ينفعهم هيأوا لنا مبررات الاختلاف .

وأصبحنا أداة فى أيدى الغزاة .

حين نتفق فإننا نتفق ضد أنفسنا .. وحين نختلف فأنا نختلف ضد مصلحتنا .

ولا ندرى لماذا ألتفتنا .. أو لماذا اختلفنا..

لأننا لم نفهم أنفسنا فلم نعرف مصلحتنا .

واندفعنا مع التيار..

لا ندرى أين القرار..

القرار الذى أرادته الصهيونية فاندفعت إليه الأمة العربية ، حين تمكنت الصهيونية من إقناع بعض العرب بمروجات الارتواء بين مخالب الشرق باسم التصدى للإمبريالية ، وخداع البعض الآخر بمبررات الاحتماء بين مطارق الغرب باسم التصدى للشيوعية . ثم استمالت موسكو إلى التوسع السوفيتى حتى استعانت بأمريكا وهى تفرض التوسع الصهيونى .

وبين مخالب الشيوعية ، ومطارق الامبريالية ، وغياب الشخصية العربية ، برزت أنياب الامبراطورية الصهيونية .

شهد على ذلك بريجنسكى مستشار الأمن القومى السابق للرئيس الأمريكى حين علق على الاتفاق الإستراتيجى الأمريكى الإسرائيلى يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٨٣ فوصفه بأنه (يجعل من القوة الأمريكية أداة لتنفيذ السياسة الإسرائيلية) .

ويعرف المفكرون المتأملون فى حركة التاريخ أن الأطماع الصهيونية إذا كانت تستعين بالأمريكيين اليوم فإنها ، فى نفس هذا اليوم ، تعرف أنها سوف تعلن تحالفها مع الروس غدا .

فبعد أن تحقق هدفها لن تقبل أن يشاركها فى سلطانها أحد ، سواء كان أمريكيا أو روسيا .

وهي تعرف كيف تستغل مروجات الذعر النووي ، ومبررات الحفاظ على التوازن الدولي ، فتقنع الشرق والغرب بمساعدتها وهي تقف وحدها في (أورشليم القدس) تحكم مسار الأمة العربية لخدمة المصالح الدولية . فتمد يدها اليسرى إلى الشرق ، وتطلق يدها اليمنى في الغرب ، وتدوس بأقدامها على ظهور الجمال الصحراوية ، التي اتقنت الحرب النفسية تصويرها على أنها هي بعينها ، وبذاتها ، لا تزال الرموز الحضارية للأمة العربية في عصر الاستراتيجية الدولية والتكتلات الإقتصادية العلمية والعقول الالكترونية .

ولايفيد الصهيونية وهي تدوس على ظهر أحد من العرب أن يكون مسلما أو مسيحيا ، ولا يؤذيها أن يكون شيعيا أو مارونيا ، ولايزعجها أن يكون درزيا أو علويا ، ولا يؤلمها أن يكون سنيا أو قبطيا ، كما لا يمنعها أن يكون حليفا لروسيا أو صديقا لأمريكا .

فكلهم وجميعهم في نظر الصهيونية هنود حمر ، سقطت دولتهم ، وتمزقت صفحاتهم ، وانتهت قصتهم . فلم تعد الكارثة العربية مجرد احتلال فلسطين .. على مرارة إحتلال فلسطين وتشريد أهلها في العالمين .

وإنما قمة الكارثة أننا لا نعرف أنها كارثة ..

لا نعرف ..

لأن بعضنا لا يعرف ..

وبعضنا لا يستطيع أن يعترف بأنه يعرف ..

وأكثرنا لا يبالي سواء أيعرف أو لا يعرف ..

وأصبحنا فطيرة سهلة الهضم يبتلعها الغزاة لقمة من بعد لقمة .

قد تأخذ هذه الكارثة سنوات لكنها كما قال لورى همند سوف تتحقق ، لأننا لانقف في طريقها بل نندفع إليها .

هذه أزمة الأمة العربية ..

هي الكارثة القومية التي نعاني من آثارها بالرغم من جهود عدد من القيادات العربية الوطنية ، والحكام العرب الفاهمين ، والمفكرين العرب المنذرين والكتاب العرب المبشرين .

لقد ضاعت جهودهم سدى حيث لم تتكاتف معهم كل الجهود العربية المخلصة ، ولم تشد من أزرهم كل الأيادي القومية الفتية ، فأخذت الكارثة تتفاقم يوما بعد يوم ، وكأننا في مجموعنا نصر على توريثها لاولادنا والأجيال القادمة من بعدنا ، ونرفض أن نأخذ منها دروسا مستفادة مكتفين بأن نرقص على طعناتها كالطيور الذبيحة ، التي كدت أشك في أنها مثلنا لا تحس الألم .
هذه أزمة الأمة العربية ..

بل هي الكارثة القومية ، التي كلما ظهر لها فجر مشرق دفنه ظلام دامس ، وأقلام عربية ، ذات عقول أجنبية ، قادرة على إقناع بعض قطاعات من شعوبنا العربية بأنه لا مفر من قبول الأمر الواقع ، وإقناع جيلنا بالا ننبش قبورنا حتى لا نخرج من حماية جدرانها .

وكان عيوننا قد تعودت على ظلام القبور فأصبحت لا تطيق النور .

إلهى ..

أين منا أمة من المفلحين يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ؟
حتى تكتمل الأجوبة على الأسئلة الحائرة ..

فنعرف :

لماذا نقطع رؤوسنا بسيوفنا .

ونشتري مشانقنا من عرقنا .

ونبيع كنوزنا بأكفاننا ؟ .

لماذا نعيش المجد المدفون .

ونفخر بالكرامة المهذرة .

ثم نرضى بالمستقبل المظلم ، .

لماذا نتنحرج ولا نعرف أننا نتنحرج .

لماذا نحفر بأيدينا قبورنا .

وقبر من سوف يأتي بعدنا ، .

إلهى ..

تفرقنا واختلفنا ..

فحق علينا عذاب عظيم ..

إلهى ..

إننا الجلاذون ..

والضحايا ..

(اللهم أنى أعوذ بك من علم لا ينفع)
صدق رسول الله

الوثائق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأخ العزيز الدكتور عبد الرحمن البنيان الأكرم

بعد التحية

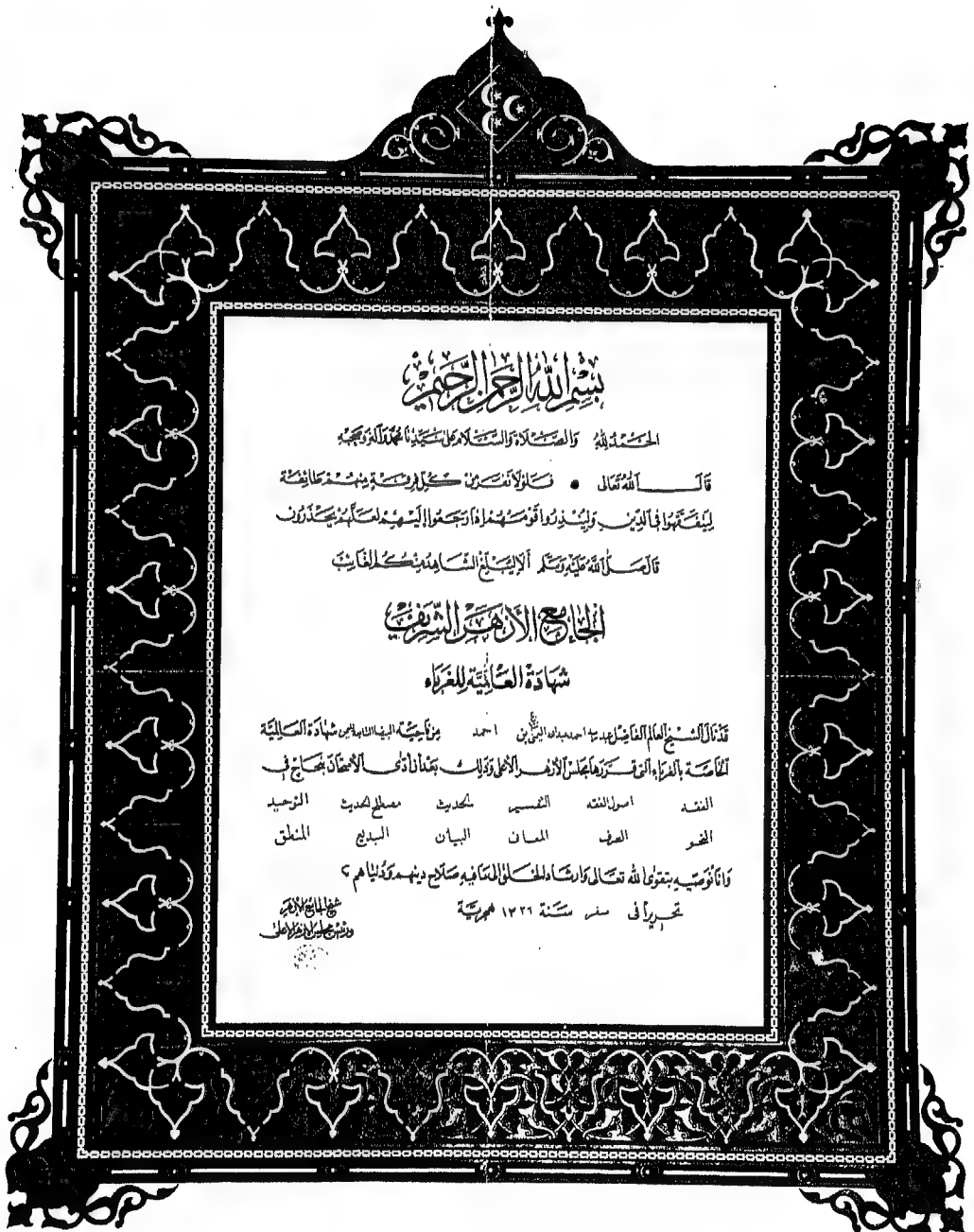
بلغني أنك موثم بكتابته ذكر أنك عن الثورة اليمنية التي قامت في ١٦ سبتمبر ١٩٦٢
وعن شرفاء الذين اشتركوا في التجهيز والقيام بالثورة منذ سنة ١٩٥٥ التي
أعدم فيها الشهيد أحمد يحيى تسويلا وغيره .

ولهذا أريد أن أذكرك بكتابته سنة ١٩٦١ في القاهرة بسبب عود
من مؤتمر الموحدين السكندري الذي انعقد في ليبيا حيث
تم الاتفاق بيننا سرى على ضرورة القيام بالثورة في اليمن وبذلك
اتصل الجمهور لقيام الجمهوريين اليمنيين كما اتفقنا على العمل التي نتخذ
للتواصل فيما بيننا حتى تقوم الثورة .

وقبل قيام الثورة بشهر أيام درست اسم بالبرقية التي ساهم
التي فتح الثقلاد بالتاريخ والساعة وكانت عبارة فتح الثقلاد
رمز القيام بالثورة فلا تنسوا من أدراجكم في الثقلاد التي ساهموا
فيها ~~وأيضا~~ وأيضا اتفقنا على الترتيب والقيام بالثورة
السابقة والتي بذلت فيها وجهك لخدمة الشعب الذي عذبته دائما بعد
المرتين كما أن مشرك

خود
الوثيقة حسن العبد
عبد الرحمن

١٨ أبريل ١٩٨٤



١٩٥٥/٢/٢٤

باسم الله الرحمن الرحيم
الذخ الأستاذ عبد الرحمن البيضاوي حياكم الله
بعد النعم

أرجو أن تكونوا جميعاً بخير ، أخيراً أفيدكم بأنه الذخ أنور
السادات ، زارنا تفرز وكما يرافقه كرتيد و السكر الذخ النقيب
هنا نأكل وكنت ضمه الوفد الذي أرسله الإمام لأستقباله في مطار
تفرز ، ولقد كان له زيارة الذخ السادات تأثير كبير في الأوضاع
الشعبية ، لا سيما وهم يعتبرونه أحد أقطاب الثورة المصرية
والذي سمعوا صوته وهو يعلن قيام ثورة ٢٢ يوليو المباركة
على العموم ، لقد وطئت على قدمي به وشرحت له مع كل ما يقاسيه
شعبنا العظيم من الأمام وأعدائه القاسية به ، كما قمت بكتابة تقرير شامل
عنه الوضع في اليمن ، وكيف أنه للحكام يحاولونه إبادة هذا الشعب
البربري وشره به ، ولطنت بكل وسيلة وقد قدمت له التفرير
بخطي وتحت توقيع ، كما قدمت له بجانب تقريري ، تقريره آخر علمي
في الأستاذ لقمان به وانه توقيع ، ولطنت مني بأنه أقدمه للذخ أنور السادات
وقد طلبت منه الذخ السادات بأنه يطلعكم على التفرير به .

أما بالنسبة للذخ النقيب ههنا نأكل فقد أخذتني إلى سطح دار الضيافة
وشرحت له كل ما زاره العينة مع بؤس وشقاء ودمار ، ولقد شعرت
بأنه متأثر كثيراً ، ودعه بأنه سيفهم تقرير شامل للذخ السادات مع كل
ما سألني في المدينة ومع كل ما سمعته منه شرفه له ، أخيراً عبد الرحمن ، لا زالت عنده رأي
الساجد ، والذي سببه وأنه شرهته ككلمة مرات ، وهو بأنه لاجه وبه
الاستمرار في تأييد الإمام أو البدر أو عبد الله ، ولديه من قيام ثوره ههنا ، به
بقيادة الجيش ، لذلك أرجو أن تقرأ التفرير الذي سلمته للذخ السادات
وتحاول تقنعه بما جاء فيه وتغابله سيادة الرئيس جمال عبد الناصر كى
تكتب تأييده والوقوف معنا عند قيام الثورة إنشاء الله .

هنا ما أرجو أن تتقبل تحياتي وتحيات الذخ المعتمد أحمد الشاذلي وجميع الأزه

والله يراكم ويوفقكم

أفدكم
سنة ثمانه مئة

١٣/٤/١٩٥٥ . باسمه الرحمن الرحيم

الأخ الأستاذ عبد الرحمن البستاني المرحوم

كنت طبيباً وبعيداً
 أختي أفتدكم بأني وصلت عدني يوم ٩ أبريل بعد أن فُصلت الثورة بسبب طاعة
 المقدم الشهيد المرحوم قتل الإمام أحمد . ولقد سببت له بعثت له برسالة مع الأخ الأخذ
 السادات أرجو أن تكون قد استلمت ذلك ، كما أرجو بأنك قد إطلعت على التفرقة
 أما بالنسبة للاستعمال لقيام الثورة ، فلم يكن هناك خيار ، إما قيام الثورة أو
 سيقض علينا الإمام أحمد جميعاً ، ولذلك لم نستطع الانتظار حتى نستكمل بقية المقام
 والظروف المناسبة للثورة ، ولكننا على أي حال وضمننا بذلنا الأساس ، ورحم
 الله الصالح المرحوم أحمد يحيى الشهيد ومنه كانوا معنا من الثوار ، وعلى العموم فأنا
 أعتب هذه الثورة هي الغلبة الزمنية التي سدر الإمام وإذنت ، مما يستل على الأهل
 مواصلة سيرة الثورة ولو بعد حين ، أخيراً رحمه الله تعالى بما تقول كيف لم يكن هناك تسديد
 بين الأهل في الداخل والخارج وكيف لم أشعر بقيام الثورة ، بدأ بطلان الأخ
 حبه شعيب القاسم بأعمال المفوضة المرحومة بصفنا ، والذين سببوا له أرسلت
 لي رسالة بواسطة ، وكنت أخت لم أتمكن من إرسال الرد على رسالتك في حينه
 وكنت أطمئنه أخت فقد كان هناك تسديد بين الأهل بعده والضياع بيننا ، فقد
 أخبرنا الأخ الشهيد بأنه أقال الأستاذ فخاه والذين كانه يفهم في شئ من المخاض
 به امر الضيفان بعد خروجه من سجنهم ، فيما إذا كانه الأهل في الخارج بدأ يدونه
 البدر . فقال الأستاذ فخاه ، بأنه استلم رسالة مع الأخ فخاه عليه العتاب صاهبه
 جريدة الفضول بعده يقول فيها بأنه لا يمكنه الاستمرار بالمراهنة على جواد خاسر
 وقال بأنه يقصه الله ، ثم أقال الأستاذ فخاه فيما إذا كانه البيت يأيد عبه
 فقلت له بأنه سيد وإنه دار حديث بين وبينه المقدم الشهيد وأخيراً بأنه جميع
 ضباط البيت لا يأيدونه البدر ولا عبه ولا الحية ، وعلى العموم أنا ما كنت
 بأنه المستقبل كيتفهمه عناهه جديده ، فكلية الشرطة الذين بدأنا هابنه أولى
 سوف يخرج من بعده ثلاث سنوات سنو ضابطاً وسوف يكونه عادة للثورة
 القادمة ، إن شاء الله ، وقد حدثت أنه أبعدهم صباح يوم الثورة من الأشرار معنا
 خوفاً على مستقبلهم ، وقتل لهم عودوا إلى كل بيتكم حتى صدهروا وأمر أخرى ، وكنت أطمئنه
 إذا نجحت الثورة فهم قادرون ، وإذا لم تنجح فهم قادة المستقبل ، أرجو أخت أنه ستر
 بالذي يقال بالأخ السادات وسادة الرئيس جمال حتى تحفظه الأمان ، سددكم
 مستقبل خيالي وثقتي في والى الله قريباً إن شاء الله

<p>المرأ في الاجتماع القادم مؤامراً على الشعب بقسم: على بالذنب</p>	<h1>المرأ</h1>		<p>المرأ التاسع السنة الأولى العدد : ٣٠ جلدات سنة ١٣٧٩ المرأ : ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٥٩</p>
<h2>حلويات مع وزير اليهون في السو د ان</h2>		<p>أولاً - تزيد ان شربوا لنا من حباتكم الدراسة وتوعى اننا التي شققتنا ما كي تنال للوطن صوره عن ذلك . الجواب - قيت سبعة وخمسين علما في الدراسة من عوى النافع لوبة ولاجتي وقيل ذلك اتق قيت ثلاثة أصبوا في الدراسة الأولية وأربعة أعوام في الدراسة الابتدائية وخمسة أعوام في الدراسة</p>	
<p>التقدم مناه التطور الى الاتصال من طور الى طور . . . ومعنى ذلك ان السرعة للوجود عند بداية التقدم تكون كافية فقط ليجرد أحوال حاجة الجميع الى التقدم وليست</p>		<p>أمرى سديري للظلمة في المدينة الزيل عبدالله الصقل حياً صديقاً قياً مع الأستاذ عبد الرحمن الشخافى وزير السنين في السو د ان وفلس في حديثه القيم تخطاها متدعو الى التفكير وتبني البحث والأهم ويا بليل هذا الحديث المصطفى القم :</p>	

حاجة المجتمع الى التقدم والبرست
كافية لأحداث التقدم ذاته - فلو لم
ان تنتقل هذه العزقة من طور الى
طور لتقدم المجتمع ويضم . من ذلك
العزقة الادارية لتنظيم الادارية
يكتل تفصل المجتمع من اوجة
النقص والحلل في ارادته حتى
لا تكون الارادة عزيمة في سبيل نموه
كذلك زيادة المعرفة الانتاجية مع
تحسين جميع اساليب الانتاج في
الزراعة والصناعة والتجارة والنقل
وما الى ذلك ، وهذا مناهج ايجاد
سياسة جديدة للتعليم تتفق مع
حاجات المجتمع بحيث تقدم للمجتمع
الأيدي العاملة النقية التي
استخدامها في الانتاج . الانتاج
اقص ما يمكن من قوة اقل ما يمكن
من نقلة : والانتاج هنا لفظ عام
يشمل جميع مرافق الحياة كالزراعة
منتج والصانع منتج والناج منتج
والوظف منتج ؟ والمنتج الاكبر هو
الحكومة لانها هي التي تحرك كل
وسائل الانتاج ، ولعل من زيادة
المرء يجب حصر جميع الكفايات
الموجودة في بداية التقدم الاقتصادي
لمعرفة اوجه الاستفادة منها ووجه
النقص فيها وتوزيع الاختصاصات
بحسب الكفايات ثم تحديد الانواع
المطلوبة من الثقافة من حيث الكيفية
والمقدار لوضع مناهج التعليم الجديدة .
ولاشك ان الكفايات المطلوبة
والسرعة المتوفرة عند بداية
الاصلاح تسطيع ان تقدم بدور
اعظم لتبنيح الاصلاح الاقتصادي
بالتعاون مع الزاكن المعرفه الجديده
التي يتطلبها الاصلاح ، والمتمثل
والحكمة : لا بد من محال للتناقض
غير المشروع بين القديم والجديد ؟
لاسباب ان المجتمع بجميع افراده
يستفيد من ثمار الاصلاح
الاقتصادي سواء في ذلك اصحاب
المعرفة القديمة الذين سيستفيدون
المجتمع بتجارهم واصحاب المعرفة
الجديدة الذين سينفذون الجوانب
الفنية من الاصلاح بيقينهم على وضو
ما وصل اليه العلم الحديث
البقية على ص ٧

جميع العناصر المتوفرة لديه فبحسن
استخدام وسائل الانتاج وطرق
الاستهلاك ليكون ثروات تنتج
ثروات اخرى يستفاد بها في زيادة
النمو الاقتصادي . وانني اقصد بالارادة
معناها الواسع فيشترط ان يؤيد
المجتمع هذا التقدم الاقتصادي
وبفروعة الارادة قد يعيش في ظلمات
بعضها فوق بعض رضي بذلك ام أي
وتحول دون هذه الارادة اسباب
كثيرة منها الجهل بلهم احسن
والتمسب لما هو مألوف ومنسب
استماتة اصحاب المصالح في
الاحتفاظ بمصالحهم وغنى النفوس
الاجنبي الذي يستهدف بقاء الجلود
لاغراض سياسية . ولكن التطور
التاريخي اثبت ان ارادة التقدم
لا تثبت ان تظهر وتقرض نفسها في
الوجود فرضاء وتساعدها على
الظهور عوامل كثيرة منها نمو
الوعي لدى المجتمع ومنها اذراك
ذوي المصالح ان يجب عليهم
ان يسطروا شيئا يستروا في اخذ
بعض الاشياء ، ومنها ايضا بلوغ
التدور درجة تدفع المتعصب الى
لبذارته وتيسول الافكار المنتجة
المقدمة مثله الفريق الذي يأتي بمساعدة
فيه معززا بقوة معتد على اسلحه
الخاص في حرب الماء طرارة ، بما يسيبه
سباحة وسامر من السباحة في شه
حتى اذا اشرف على الفرق تماما كان
لايمجد انما من قبول اي هو وقد
يتثبت باهداف حيوان منقرس
أملًا في النجاة .
فمنذ ما تنفر ارادة الاصلاح
تكون قد ظهرت تقلة البداية للعمل
الجدي الثمر . والارادة هنا ارادة
المجتمع وتعب عنها السلطات المشولة
عنه المتجاربة منه ، ولا يشترط
ان تنفر ارادة لدى جميع افراد
المجتمع بل يكفي ان تكون لدى
الغالبية او لدى فئة قادره على قيادة
المجتمع وهي غالبا ما تكون الحكومة
زيادة المعرفة :

الطليعة القوية المصدرة لها ولا تخفى
ذلك ان انتشار الحديث هنا هذه
الأيام حول الاصلاح الاقتصادي في
الذين يسجل مرحلة كبيرة في التطور
الذي هو مجتمع المنزل وحياة اسعد
وكان لابد من بلوغ هذه المرحلة
قبل البدء في الاصلاح مادنا نريد
تطورا واسيعا تدريجيا ومفروطا
يعتمد على اقبال المجتمع عليه اقبالا
تلقائيا ذاتيا لا عطف فيه ولا شفقة
والاقتصاديون يحسون ان حساب
حالة المجتمع النفسية والاجتماعية
والكيفية بمرحلة عامه ليتعرفوا على
مدى استيعاب المجتمع افكاره
الاصلاح والتغيير وحمل هناك قوى
تعاضده او ان لا يسد تعرق نموه
او عادات كرهه استبدال المألوف بما
هو خير منه . ولا شك ان في بعض
البلدان ان تعد لنسبه اهل الى التخليق
وتعصب بعض الماهج وذلك بلوغ
كل مصالح (وهو بالضرورة غلص)
بما سجلته الطليعة القوية من تقدم
الوعي لان ذلك يدل على امكانية
الاصلاح وبسبب موافقي الحكومة
لاستطيع ان احدث اليك عن الاصلاح
الاقتصادي في الذين حتى لا نول ما قد
يمكن ابتناؤه ووجاهة تقاليد العمل
او افشاء لاسراوه ولكنني احيب
على سواك بصفة عامة اي عن الاصلاح
الاقتصادي في ذاته في اية دولة معينة
بالذات على ان اقول ما اقول بصفة
شخصية بحتة .
ان التقدم الاقتصادي يعتمد على عناصر
اساسية كثيرة اهمها في ثلاثة
عناصر رئيسية .
١ - ارادة التقدم الاقتصادي
٢ - زيادة المعرفة
٣ - زيادة رأس المال
ارادة التقدم الاقتصادي :
ارادة التقدم الاقتصادي معناها
الرغبة في الوقتي بعيشه الانسان
فيتقدم المجتمع في اساليب حياته
بحيث ان يرغب في حسن الاستفاده من

ارشد ان فصله هذه الرسالة وانست غير نزل بالحكم الاسلام والعبادة والخير وقد ائمت في رسالت هذه فاعذروني
ثم انزلت من بران شاورني تلي ولو انك ناس اسلمكم به تصدق بالوجه فاعذروني ودعت وسلام عليكم

و لدی و ابی
عزیز و انیس

القاص ٢٦/٤٠

بسم

سيادة الرائد صلاح المرزبي المتتم
 تيمم عربيي كلكه بأسمى آيات الرد والهدى البغلة في الشير الى روجلتي لطلام العزيزة
 علينا التي تحمل في طيات الرفاه والهدى وبعد :-
 فأنسى هذه الرسالة من صفاءه الطيب العربي متيناً لكم دوام التقدم والتفويت في جميع الامور
 هنا فعندما لم نردوا الى اليمن في المرة الأخيرة كان ليكن تركتم في قلوبنا جرحاً لم يندمل
 هذا الجرح الذي نراكم غداً في البيت الجديد بين اترمين العربيه وبلدكم العربيه .
 اما بعد انتم اننا نراكم المظلم الذي لم يضاط في الله فلهذا نألوكم احوالنا وحياتنا الباشم
 فينبغي لكم بعد الفاج الى شئ منه حياة ما ورا عصور الفاج .
 سيادة العزيز غايه ما نرجه منكم اسدنا بذكرات الشرح البصيرة وبعض المراجع التي
 تدرنا في حياتنا هذه جهه الجذور الثابتة التي تمنى الدرست التي استقيناها من مناظركم
 من الشكر في الايام لا نتمنونا . لا نتمنونا وانه جميع طلبة العلم العربي يريدكم ابغضتوني
 سدم ودمتم له لديناكم ابد الدهر واسم يدنقكم ولام عليه

المعروف بفضلكم الخلف محمد عبد

بسم الله الرحمن الرحيم

عندما اتحدث عن الدكتور عبد الرحمن البيضاى اجد نفسى دائما امام اكثر
من سؤال •

هل ابدأ كلمتى عن هذا الجيل الذى ينتمى اليه وهو بمثابة الزهور البرية
التي تثبت من بين الصخور ؟

أم ابدأ كلمتى عن الدكتور عبد الرحمن البيضاى رجل الاقتصاد واحد مشاهير
الادب السياسى فى جيلنا المعاصر ، الذى تتميز كتاباته بحلاوة التعبير والبساطة
مع قوة التأثير والاثارة والتحليل الهادف الذى ينتقل بالقارئ الى صميم الاحداث
الماضية والحاضرة والمستقبله ؟

أم ابدأ كلمتى عن هذا العاشق الذى يمتد هواه من المحيط الى الخليج
ويذوب عقلا وقلبا فى تراب اليمن ومصر ؟

لقد عايشنا أحداث ما قبل الثورة عندما كنت اعمل كبيرا لمعلمى البعثة العسكرية
المصرية التي قامت بأشياء الكلية الحربية اليمنية ومدارس ومراكز تدريب الجيش اليمني ،
كما عايشنا أحداث ما بعد قيامها قائدا لاكثر من تشكيل قتالى فى اليمن الذى ان
توليت الاستطلاع وشئون القبائل حتى يوم ٥ يونية عام ١٩٦٧ حيث غادرت ارض اليمن
لاتولى قيادة احد التشكيلات القتالية فى منطقة القنطرة غرب وكان لها شرف الطلقة الاولى
فى يوم ١ ، ٢ يوليو ١٩٦٧ حيث بدأت معركة الاستنزاف ورفض الهزيمة •

لقد اعادتنى قراحة هذا الكتاب عشرات السنين الى الوراء فاذا بالذاكرة تستعيد
الماضى باحداثة وشخصياته ، واذا بى امام تسجيل امين للاحداث وضع فيها الدكتور
عبد الرحمن البيضاى عمارة فكره ونهضات وعيه وادراكه •

اعادنى هذا الكتاب عشرات السنين الى الوراء وذكرنى بأول لقاء مع المؤلف فى
دار الضيافة بالحديدة واصراره على ضرورة التمسك بالصبر والاستمرار بعد ان ضاق بلسا

المحرر

— ٢ —

الحال من البقاء في الحديدة دون عمل ولا سؤال من أي مسئول • وما زلت اذكر كلماته وهو يقول لنا " ان استمرار البعثة العسكرية المصرية واصرارها على الصبر وتحمل قسوة الحياة واهمال المسئولين هو واجب قومي ليس من اجل تدريب حفنة من الضباط والجنود على استخدام السلاح وضرب النار ، انما من اجل نشر الوعي وروح الوحدة الوطنية والتفاني في الارتقاء بمستوى حياة الشعب اليمني • • وهذا ما لن ينساه لكم شعب اليمن • "

لقد قام هذا الرجل بالكثير من اجل توفير فرص العمل والتلاحم بين اعضاء البعثة العسكرية المصرية وشعب اليمن وكان في قمة السعادة عندما زار البعثة العسكرية المصرية ليقدم لها التهنية على الجهد الذي بذلته في الكلية الحربية اليمنية ومدارس ومراكز تدريب الجيش ، واذكر اني قلت له " لابد وانك اعجبت بمستوى الطلبة والجنود في استخدام الاسلحة الحديثة ودقة الرمي " • فقال : لا • قلت : اذن ما سبب اعجابك ؟

قال والدوموع في عينه : " روح اللفة التي تمكنت من خلقها بين ابناء الشعب اليمني من اليهود والشوافع والقحطانيين والهاشميين مما يبشر بنجاح العمل على ازالة التقاض بين ابناء الشعب الواحد تمهيدا لتحقيق الوحدة الوطنية • "

لقد قاد الدكتور البيضاوي المعجزة التي تفجرت في اليمن يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ وهو في هذا الكتاب لايسرد لنا اسرار ثورة اليمن فحسب ، وانما يسجل للتاريخ ولاجبالنا العربية في مرارة مكتومه وثورة صامته قصة الازمة • •

ازمة الامة العربية التي تكرر نفسها مع كل صحوة عربية • • مع كل ثورة عربية • • مع كل صرخة عربية • •

من اجل ان تعود شمس الحضارة العربية التي احتوتها وما زالت تحتويها اعاصير التخلف والاستعمار سواء من الشرق او الغرب • •

لمر!

— ٣ —

تلك القصة التي تكرر نفسها وسماها المؤلف بأزمة الامة العربية
وكأنه يكتب بمداد من دماء شهدائنا العرب ..
او كأنه يسجل ابن امة تشكو ابنائها لابنائها ..

صالح المحرزى

اللواء صالح المحرزى وكيل المخابرات العامة المصرية سابقا - وكان كبير المعلمين بالبعثة
العسكرية المصرية التي دربت القوات اليمنية قبل الثورة - ثم اشترك في الجيش المصرى دفاعا
عنها .



رخصة حمل السلاح الألمانية بتاريخ ٢٠ أكتوبر ١٩٦٠

ولكن لسوء حظ هذه المشاريع والمقترحات والنصائح والتفؤل أنها اقترنت بقدوم شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن . وكان في قدومه الفرصة التي لم يغلتها الامام فان الواجب على المسلمين في شهر الله المبارك هو الاعتكاف في المساجد والتجرد لعبادة وتقراءة القرآن والصيام والامساك عن الشراب والكلام والابتهاال الى الله بطول عمر الامام .

وقد انقضى شهر الصوم وانتهت بنهايته كل المشاريع وتبددت الاحلام فقد زهد الامام في الحياة

الدنيا وزينتها ومتاعها ورأى انه لاخير لئمن وأهلها في هذه الدنيا القاتية وان الدنيا الى زوال وما عند الله خير وأبقى . فعلى اليمين ان يتحملوا الشقاء والبؤس والفقر والمرض في هذه الحياة الدنيا ليعوضهم الله عنها في الآخرة بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وقد توعد بسيفه كل من يحاول تكفير صفو الحياة الحاضرة او يدعو لتغيير ، او يفكر بأى تفكير غير عبادة الله والصلاة والصيام وطاعة الامام طاعة عمياء . . وكان في مجلسه ولّى هذه وجوه دولته وأنا من الشاهدين . . . وقد أعلنت توبتي من الدنيا ومتاعها وزخرفها وتطامننت ولزمت الصمت الى يوم أسعدني القدر بالخروج في قصة طويلة .

أما أخى الاستاذ البيضاى فقد استبد به التفؤل بالرغم من مصارع الاولين ولعل حبه لبلاه ضاعف من تفؤله ، ومضى في التفؤل الى ان أعلن صبحته المدوية ورمى المنصب الرفيع ، والمرتب الضخم ليعيش في صفوف اخوانه الاحرار حتى تنتصر قضية الشعب التي لا بد ان تنتصر ولو كره الظالمون .

أحمد محمد نهمان

لقد كان الاستاذ البيضاى اشد حذرا وبقطة ، وكان اذكى من ان يستبد به التفؤل بعد ان اصطبغت

ارض بلاده بدم الشاب الثائر حميد بن حسين الاحمر ووالده الشيخ حسين بن ناصر الاحمر وزميلهم البطل الشيخ عبد اللطيف بن راجح .

واننى لاذكر جيدا بالغ تفؤلى عام ١٩٥٥ وقد وقع الامام في الحصار ، وانقلته الصدفة من الموت المحقق . . اريد ان اقول انقلته الصدفة ولن اقول البلاهة والتفلة والجهل ، او التفؤل ممن حاصروه وامطروا قصره بوابل من الرصاص .

ومن غريب الصدفة ان يعلن الاستاذ البيضاى صبيحة الحرية عالية مدوية في المانيا الغربية ، وينطلق في فضاء الله الرحب حرا طليقا . . في نفس الوقت الذى يقع صالح محسن شرف الدين السكرتير الخاص لجلالة الامام ، والخدام اللصيق به الذى قضى عمره كله في خدمته يقع في السجن ، ويشاع خبر اعدامه .

لقد كان الاستاذ البيضاى اشد حذرا وبقطة ، وكان اذكى من ان يستبد به التفؤل بعد ان اصطبغت

ارض بلاده بدم الشاب الثائر حميد بن حسين الاحمر ووالده الشيخ حسين بن ناصر الاحمر وزميلهم البطل الشيخ عبد اللطيف بن راجح .

واننى لاذكر جيدا بالغ تفؤلى عام ١٩٥٥ وقد وقع الامام في الحصار ، وانقلته الصدفة من الموت المحقق . . اريد ان اقول انقلته الصدفة ولن اقول البلاهة والتفلة والجهل ، او التفؤل ممن حاصروه وامطروا قصره بوابل من الرصاص .

وفي هذه الفترة نفسها التقيت بالاستاذ عبدالرحمن البيضاى وتعرفت عليه لأول مرة ، ووجدته أشد منى حماسا وأكثر تفؤلا وعنده عدة مشاريع اقتصادية بحكم اختصاصه ودراساته ، وقد شجعه على تقديم مقترحاته ما أعلنه الامام صراحة من عزمه على تقييد الوضع في اليمن وأنه لم يبق امامه سبيل غير الإصلاح الشامل .

VNIVERSITATIS FRIDERICIAE GVILELMIAE RHENANAE

RECTORE MAGNIFICO

CAROLO TROLL

PHILOSOPHIAE DOCTORE

GEOGRAPHIAE PROFESSORE PVBLICO ORDINARIO

EGO

GVILELMVS KRELLE

RERVUM POLITICARVM DOCTOR

ET RERVUM POLITICARVM PROFESSOR ORDINARIVS

FACVLTATIS IVRIS ET RERVUM POLITICARVM

H. T. DECANVS ET PROMOTOR LEGITIME CONSTITVTVS

IVVENEM PROBVM ET PRVDENTEM

ABD EL RAHMAN ALBAYDANY

DE KAIRO

POSTQVAM DISSERTATIONEM EXHIBVIT CVI TITVLVS EST

„DIE WÄHRUNGSREFORM IM YEMEN“

ET EXAMINA RITE SVPERAVIT

EX DECRETO FACVLTATIS IVRIS ET RERVUM POLITICARVM

AD GRADVM DOCTORIS RERVUM POLITICARVM PROMOVI

EIQVE SVMMOS IN HAC FACVLTATE HONORES

DOCTORISQVE NOMEN IVRA PRIVILEGIA COLLATA ESSE TESTOR

IN CVIVS REI FIDEM HAS LITTERAS SIGILLO FACVLTATIS SANCITAS

AVTOGRAPHO MEO MVNIVI

DATVM BONNAE DIE I. MENSIS SEPTEMBRIS MCMLXI

W. Krelle

میری سہ ماہی یعنی اسی دن محمد علی باجوڑ اپنے والدین کے ہمراہ
 حیدرآباد لکھنؤ

سجلات و خدایه سید، لا نشر فی ^{معدن} معدن البصیر
انی لا تنبه، لو كنت اریه الکتابه لکنت اسی الصریح و لا سیمانی
مثل هذا المصنوع.

اريد بهذه الرسالة ان اذكرك ان الجزء الذي صدقني به باعادة
 التنظيم للاتحاد لا يمين بالقاهرة ، واديت عن اعضاء هذا التنظيم له
 يمثل وجه نظري على الإطلاق ، فقد اعلنت لهم اني وان كنت
 لا استر في معي لا اعمل الا في اني اتمن لهم كل نجاح
 بل ان موقفى سيكون موقف المتفرق لشيء هذا التنظيم .
 ارجو ان تنشروا هذا ، لتعقب ، وارجو ان يكون
 معلوما للجميع اني لا انا للصدق الكور
 عبد الرحمن الكبيسي الى الدخلة تقدير ، دافق لوجه
 بطريرك واطلاعه ، ذلك ان الصدق الى
 لهما طاب . للصدق الى ميل محمد على الكور ،
 واقبلوا جميعا تحياتي وسلامكم

الحمد لله
على ما

1921/3/14

M. A. ASWADI

DANA BAZAR
CRATER - ADEN

P. O. No. 330

Tel 8589

محمد علي الاسودي

عدن، سوق الطعام

ص. ب. ٣٣٠

تلفون ٣٥٣٩

١٧/٩/٤٤

سيد محمد علي الاسودي
احمد بن الشيخ ارفق يحيى
ولقد فقدت كان من بواش سرور من اتلقى من سيد محمد
أول رسالة من مواليكم لمثقافة الواسعة ومهارة في المحادثة الدورية
وانه لكيب كبير وفخر عظيم للوطن والمواطين والاسيما الذين يعملون في الحق
الوطني ان تصح شخصيتكم الفاعلية من الله لهم وموجها
سيد بن لقا لطلعت على كتبكم الاول (الاعية مقو طبع) ولا اعرف الحقيقة
ان قلت انه اسم على من وان حسن ما ألف في الحقيقة بعد معاركة ومعاركة
ولا اعلم بغير ذلك فأنتم قد عرفتم أكثر من غيري من عمل دهايل اولئك الناس
وكذا الاقضية (الذين) يحوي من (كتابات) مالايديكم كثير من الناس
واعتقد انه من القيمة (الذين) فاعلمت جدا فاعلمت اسكوا
حوالي الفين سنة واثبتوا انهم استروا واذالزم لهم
لقد اعداد اخرج من شعركم اذ اخرج شعركم فاعلمت على
ومعذرة منتهى منتهى من لا استاذ الفيني ولا استاذ
الذي يبره منكم والذين فيهم من المجموع التي يسكنونهم
لقد ادهم

محمد علي الاسودي
ارغبوا المعذرة من اني قد اذاعوا لكثرة شعركم

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الرئيس جمال عبد الناصر

تتصرف بإسادة الرئيس بأن تقدم الى سيادتكم اسمى ايات الاحترام الذي يستحقه حراريته من المخلصين
معاني التأييد لسيادتكم القيمة الصاعدة الخالدة التي أصبحت لحنا يندو على كل لسان صاوي وأملا يصعد
من كل قلب طاهر بالايهان .

واننا لننتهج مناسبة تأهب سيف الاسلام البدر لزيارة سيادتكم بعد تلك الغيبة الطويلة فنرجو أن
تحيطكم طمأ بوجهة نظرنا في الموقف الحالي في اليمن وما نتوقع ان تتطور اليه الاحداث في المستقبل القريب
فيمدحهم اننا نسله بديوط الموقف في البلاد او تحيط بتفاصيل البعث على زيارة البدر لسيادتكم او بحقيقة
ما يدور في نفسه من نوايا او ما يعمده من خطط . و غير اننا من خلال الافق المظلم لنا نلتظر الان بعين
الاعتبار الى المواقف السياسية التالية .

١ - الامام مريد جدا ويستعد للسفر الى اوربا للعلاج ومعنى ذلك ان البدر سيكون الحاكم
اثاء غياب والده .

٢ - المؤكد المعروف هو أن الامام يكسره الجمهورية العربية بينما يتخلف البدر ضبا موقفا
ماتما . فهو يؤيدها امام انصارها من الوطنيين المصلحين المنهين كما يلعبها امام
أعدائها الرجعيين الفسدين . وكما يقال الله يتخذ هذه السياسة لها من جانب الرجعيين
حتى يستتب له الامر فانه يمكن القول ايضا انه متردد مذبذب لا يؤمن بجانبيه .
٣ - لا يقر النظام الامامي في اليمن (الذي يحتل على التفرة العنصرية) اي تغيير اساسي
في نظام الحكم ، ولا يقبل أية مساواة بين المواطنين ولذلك فانه طليحة حرب على القومية
العربية ومبادئها التي تستلزم المساواة بين ابناء الشعب .

٤ - انصار سيف الاسلام الحسن وهم أعداء البدر قد بذلوا نشاطا بارزا في الوقت الحاضر ،
بينما انقصر أنصار البدر وانفضوا من حوله بعد ان شنت الامام ضلهم على سمع من البدر
ما قضى على الثقة به والاعتماد عليه .

٥ - كما لا يخفى على سيادتكم قد يسعى البدر الى زيارتكم محاولا اثبات حسن نيته متفقا لسي
ذلك مع الطك سعود . وفيه من الحكام الرجعيين أملا منهم في تسليح معركة القومية العربية
التي حددت موقفيها من الرجعيين والعروش ، وأملا منهم في أن يكن وجود البدر فسي
معسكر القومية العربية نقطة ضعف تمرل انطلاق ثورتها الصريحة . واذا كان من السلم به
ان سعود لا يثق بالبدر فان هذا لا يتبعه من استغناءه في المهمة المذكورة .

عبد الرحمن الباقين

(٢)

١ - عندما يقرر البدر موقفه الحالي يجد نفسه لا يستطيع الاعتماد على يهودانيا التي تكبر الجمهورية وتعمل لحسابها الخاص في المنطقة . ولا يستطيع الاعتماد على امريكا والسعودية لتأييدها .
للحسن . ولا يتصور ان تنفعه جديا الكتلة الشرقية ، وذلك لا يبق امامه سوى الجمهورية التي تؤمن بها جماهير الشعب اليمني وفيها معيا الاحرار . غير ان البدر قد أكد لليمن شعبه وفنيره نحو الجمهورية بعمته الحظيق على تصرفات والده . ويتجنبه المرور بالقاهرة طوال الفترة الماضية مما جعل الشعب يثق به . تلك الثقة التي كان قد كسبها باسم ارتباطه بالجمهورية .

على هذا النحو يجد البدر نفسه عا ثدا الى اليمن دون سند شعبي يقفه شر الانقلاب عليه ولذلك فكر في زيارتهم ليتضمن حكم الحركة ولهمحو ما تقدم من زنوب مجرود أن يجلس امامكم على كرسى الاعتراف ثم يتلقى من سيادتكم صك الخفران .

باسمادة الرئيس

لذلك نعتقد انه يجدد بالجمهورية الا تمنحه صك الخفران وقبلة الحركة دون مقابل ودون ضمان .
اما المقابل فلا يقل عن تنفيذ مبادئ القومية العربية وأخصها اعلان المساواة بين عناصر الامة وتوابعها والمبادرة الحقيقية للإصلاح الاقتصادي والاتفاق على تدوير الاتحاد القائم بما يحقق الوحدة الشاملة في المستقبل على أن يكون في الاعتبار احتمال عودة الامام من اوربا بعد معالجته هناك فيختر مرة ثانية باذوار الذين ينكهم أن يتعاونوا مع البدر اذا ظنوا انهم اشر زيارته لسيادتهم انه قد عزم على الاصلاح الجدي المستمر .

وأما الضمان فلا يقل عن اشتراط احاطة البدر باشخاص أكفاء مؤشرين بالمعادمة المدورة ليتقوضوا بتنفيذها حتى لا يورث البدر بعد أن يستقبله الامر فيفكر في تشيل شخصية الملك حسين أو سعود ويرتضى بين احضان الاستعمار الذي سيرحب حتما بالبدر عندما يستقر في الحكم .

هذا ما نراه ، ونعتقد أنه ليس معنى نساغل الجمهورية في منح بوتنها للبدر دون مقابل ودون ضمان سوى تأييد الجمهورية الشعبي والدولي للبدر حتى يشتد ساعده فيربطها ، أو حتى يعود امام غيتشي على من يظهر من انصار الاصلاح في اليمن .

وتفضلوا باسمادة الرئيس بقبول عظيم التحية وبالصبر الاحترام .

عبد الرحمن البياضي

القاهرة في ١١ نوفمبر سنة ١٩٦١

محرم الحرام سنة الف وستمائة
عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد

عزیز میرا شکریہ

کذلك اريد ان تعقدوا قدسكم حينئذ حينئذ لتفنيه مادام لم يفرغ
العام الا بغير الحرجة الكاملة الحقيقية - وانه تمحله في سبيل ذلك في عام
عنت سواء صدر لكم من انفسكم اوسه الانفسار والرفاق - بل انكم انتم
من تأدية رسالتكم اي مائة مائة او مائة - بل انتم في العمل والجد
النهال - وتكونوا دستا كلها معكم - فتملكوا جميع الارض والسموات
وقموا في وقتكم بكم الان - انما هي تارة سنين مائة اذ في القيت واجد القيت
قياسا الى اهلكم وارادكم جميعا واجباكم
ودعوا في هذا صديقه
بسم الله

Mr. Mohamed Al-Hamade
House No. 104/31,
Massawa Reach,
Maalla - ADK



شارع رقم

عدد

ADEN

التاريخ ١٤ / رمضان ١٣٨١

التاريخ ١٠٨٠ / رمضان ١٢٨١ هـ
 إلى الدكتور عبد الرحمن البصاف المحترم
 في شهر جمادى الأولى سنة ١٣٨١ هـ
 إلى محضركم نأيد كمالاً عما أنشده في عيدكم الذي هو من أروع ما يراه من تراثنا
 شأبه كم من الأغنية من جميع قلوبنا على كنهكم على نظامنا الملائم في الأمن والحرية
 لم نقابل ولا إلى بلادنا فغنى وودنا نقابل بالآمال والروح والحرية
 لم يزلنا جدياً معكم يا معلمي العلمين وودنا نقابل بالآمال والروح والحرية
 محضاً حق العلمين وودنا نقابل بالآمال والروح والحرية
 حد لا شئ لو علمنا ولا نقابل وودنا نقابل بالآمال والروح والحرية
 معكم قائم ونحن من أعضاء اتحادكم وودنا نقابل بالآمال والروح والحرية
 وودنا نقابل بالآمال والروح والحرية
 عبد الوهاب

بسم الله الرحمن الرحيم

المطلوب

- أولاً - تقرير عن نتائج الاتصال ومواصلة ذلك . - موجه وموعد للتجربة قبلها بأسبوع .
- ثانياً - قائمة بالمطلوب - بحسب الأهم فالمهم .
- ثالثاً - افهام الجماعة بتفاصيل المباحثات ثم افادتهم بما يلي .
 - ١ - تخصصر رجال المنطقة الجنوب بنظر محمد قائد لعملية الاتصال و رجال المنطقة الشمال بنظر الجماعة في صنعاء لعملية الاتصال . وإذا لزم أثناء فترة التجهيز شيء آخر فبحسب التقارير . وتخصصر الباقي لتعز بافتبارها نقطة البداية ويكون بنظر الاخ والقاضي .
 - ٢ - ستتولى صرف معاشات مدى الحياة لكل من يصيبه ضرر له أو لأسرته وذلك سواء في حالة النجاح أو الفشل .
 - ٣ - يلزم قناع الاتصالات مع كل شخص ليس دخلاً في القوائم لضمان السرية ويمكن الانتفاع بكل شخص آخر بعد النجاح . كذلك تنحصر المعلومات في اضييق نطاق حتى بالنسبة للأشخاص المذكورين في القوائم ولا تتعدى المعلومات لاي منهم الا بحسب الحاجة .
 - ٤ - اعداد نحو مائة برقية تأييد توقع باسماء مختلفة من الأشخاص المهمين لتذاع بمجرد قيام العمل وتعلنون باسم " مجلس قيادة الثورة " .
 - ٥ - إذا لاحت فرصة أثناء فترة التجهيز فيلزم انتهازها بعد الاتصال فيما بين المراكز الرئيسية . اما اذا امكن تحديد الموعد فيكون ارسال البرقية المتفق عليها بواسطة محمد قائد ثم تعاد في اليوم التالي ونصها " سنقدم الاعتماد خلال كذا " ويحسن في هذه الحالة ادخال محمد قائد قبل الموعد بنصف يوم لم يشترك في التنفيذ والقيادة .
 - ٦ - في حالة وفاة الامام أو قيام انقلاب آخر فعلى افراد تلك من الاتصال فيما بينهم لاسلكتها والسيارة على الموقعة وضرب الانقلاب الاخر والتمسك على واذاعة البلاغات المتفق عليها .
 - ٧ - في حالة قيام العطل وعدم السيطرة على الموقف لاي سبب فتستمر المقاومة باستماتة وسأقل حسب الخطة وتتبعنى المساعداة المتفق عليها ويجب ان نسير على اية بقعة ونعلن قيام الحكومة وتستمر المعركة حتى النهاية وسيكون معنا
 - ٨ - بمجرد قيام العطل يتوجه ~~الجنود~~ ~~الجنود~~ الى تعزيز بعد التأكد من سيطرة على الحديدة ويتولى كل شخص غير عسكري الاعراف على القبائل المتفاهمة معه والسفر اليها اذا لزم الامر . وواجبات القبائل هي السيطرة على مناطقها حتى وعدم السماح بمرور اية قبيلة اخرى من اراضيها لواءة قوات مهما كانت الا باذن من مجلس القيادة . ويلزم عدم دخول القبائل المدن الا اذا لزم الامر ودعوة من الحاكم العسكري المشرف على المدينة

٢ -

- ١ - يلزم تعيين المناطق التي للحسينيين سيطرة عليها كصعدة وغيرها ثم الاتفاق مع القبائل المجاورة بضرورة اقتحامها لهذه المناطق بمجرد اول بلاغ من الاذاعة او اشارة من افراد التنظيم المختصين بذلك على ان تبقى هذه القبائل داخل هذه المناطق والسيطرة عليها الى حين ظهور اوامر اخرى من مجلس القيادة .
- ١٠ - يلزم الاستحكام في الحدود في الشمال والجنوب وستصل مع . . . الالتقام وخبراء بشها لاحكام اغلاق الحدود والسيطرة عليها .
- ١١ - مودع العدوان الخارجي ومعالجة الموقف الدولي لتترك للبيضان وقد وضع الخطا المناسبة لجميع الاحتمالات مع . . .
- ١٢ - بمجرد العمل يستمر الاتصال بين المراكز الرئيسية لاسلكيا وانما استجد ما يلزم معه اصدار بلاغات ثورية جديدة فيمنح الاتفاق عليها لاسلكيا واذاعتها .
- ١٣ - يلزم السيطرة تماما على الاذاعة وبيع السلك والاسلحة والذرات ومنها الحديدية والمخا واعداد الذرات في حالة اهبالهم اليها الذيارين مع . . .
- ١٤ - اشارة نزول . . . هي . . .
- ١٥ - الامال بواسطة محمد قائد . ورأسا في حالة الاستعجال .

والإحاطة بالامام أحمد ومعاونيه ، وطلب من هذا الجهاز تقديم كل التسهيلات للدكتور البيهاني فيما يطلبه من عون أو مساعدة - هذا وقد أوضح الدكتور البيهاني موقفه بكل صدق وبلا أى تحفظ ، فهو على رأس تنظيم سري يضم عددا من اليمتعيين الأحرار الكارمين لحكم الامام ، معظمهم يعيش خارج وطنهم ، وهذا التنظيم على صلة وثيقة بتنظيمات أخرى تضم بعض الشخصيات الهامة داخل الوطن من زعماء القبائل ونباط الجيش وعلى رأسهم العميد حمود الجالفي ، وأنه يعولق قيام الثورة بعد أن رت - نا ، بعد وفاة الامام أحمد ، وحينئذ يتوجه هو ورفاقه الى هناك للمشاركة في الثورة وتوجيه الأمور ، وأن كل ما يطلبه يتلخص في توريه ومجموعته على استخدام السلاح مع اجادة الرمي به ، وارسل بعض الاسلحة الى معاونيه في صنعاء وتجهيز كمية مصنوعة منها لترافقهم عند انتقالهم الى اليمن طائرين عقب اندلاع الثورة .

ومن الطبيعي أن توضع طلبات الدكتور البيهاني كما حدها سجل التنفيذ ، إضافة الى الاطمئنان لحسن الاتصال اللاسلكي بيته وبين البعض في صنعاء ، مع نصيحة قدمت له بالتسك بكتبان مشروعاته وأفكاره وأبتماده عن المجاهرة بها أو القفر بإعلانها .

الرغم المنتظر

أقول أن أنباء اليمن لم يكن لها فكر كثير في صحننا ، الى أن جاء يوم في الشهر الأول من عام ١٩٧٧ طامتنا فيه احى المجلات الأسبوعية (روز اليوسف) بملحة من المقالات بتوقيع الدكتور عبد الرحمن البيهاني ، يشرح فيها نظام الحكم في بلاد اليمن ، ويتقدم ، ويحاول أن يقى الضوء على هذا الخطر الشقيق وعن سير الأمور فيه .

ولم يكن لهذه المقالات في حقيقة الأمر أثر في الرأي العام المصري رغم إعادة اذاعتها من صوت العرب - - . فقد كان المواطنون ولتئذ مشغولين ب مشاكل وطنهم الداخلية مستسلمين لقيادة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، ويظنون أن الاضطراب من مثل هذه الموضوعات ، أو حتى ميده ليعاد الرأي فيها يستير خروجاً عن الطريق الذي رسمه الزعيم لمواطنيه - ومع ذلك فلا شك أن ما كتبه الدكتور البيهاني ، قد سلط بعض الأخوان على وطنه ، كما أشكل بعض المطومات القليلة عن هذا الخطر الذي لم يكن يسبح عنه الكثير . كما نجحت هذه المقالات في إزالة ما كنا تكفيه عن بقايا حجارة هذه المنطقة ، بعد ماؤها العظيم وملكتها القاتكة بليس -

ويبدو أن الدكتور البيهاني كان على صلة بكيار البيهوليين في مصر في هذه الفترة حتى أن مقالاته لم تقتضها الرقابة التي كانت مفروضة على الصحافة رغم أنها كانت تهاجم نظام حكم في دولة منظمة روسيا الى جامعة الدول العربية في تلك الوقت ولم يكن قد ظهر في الجبهه الدوله جديد يمكن العلاقات الثنائية بين الدولتين - ودليل آخر على وجود هذه الصلة أن المرحوم الشير عبد الحكيم عامر قد قدم الدكتور البيهاني في صيف عام ١٩٧٧ الى أحد الأجهزة المستولة بمصر - سرا تليه أنه سيكون على رأس الحكم في اليمن عند اشتعال الثورة فيه

روز اليوسف في ٢٦ مايو ١٩٨٠ صفحة ٣٠

(من مقال بقلم الفريق صلاح الحديدي مدير المخابرات الحربية المصرية السابق)

بسم الله الرحمن الرحيم	
مجلس قيادة الثورة	مجلس الوزراء
القاضي عبد الرحمن الارياني رئيس	الدكتور عبد الرحمن البيهسفاني رئيس مجلس الوزراء
الدكتور عبد الرحمن البيهسفاني	عبد الغني علي أحمد ناجي وزير للخارجية -
عبد الغني مصطفى	عبد السلام صبره وزير للإرشاد القومي
محمد علي قاتل	محمد قائد سيف للاقتصاد
محمد علي هشمان	المقدم عبد الله الضبي للداخلية
الزعيم عبد الله الصلال	محمد علي عثمان القائد العام للقوات المسلحة
الحقيد عبد الله الضبي	المقدم عبد الله جزيان وزير للصحة
حسن الحسني	حسن البيهسفاني رئيس أركان حرب القوات المسلحة
المقدم عبد الله جزيان	علي محمد سعيد وزير للمواصلات
الطيار عبد الرحيم عبد الله	علي محمد سعيد للمعارف
الملازم أحمد الجرمسي	علي محمد سعيد للعدل
الملازم محمد مفرح	علي محمد سعيد للشؤون المهاجرين
علي محمد سعيد	علي محمد سعيد للشؤون المدنية
عبد اللطيف ضيف الله	علي محمد سعيد للاوقاف
	علي محمد سعيد للاشغال

نواب مجلس الوزراء

عبد القوي ابراهيم حامي	نايبا لوزير الدفاع
هاشم طالب	الداخلية
أحمد محمد ثابت	الزراعة
علي محمد	شؤون المهاجرين
القاضي علي الجرافي	الخارجية
علي الحظي	مدير علاقات وزارة الدفاع
أحمد القمطري	وزارة الخارجية
الشيخ سيان أبو لحوم	إدارة شؤون القبائل
الدكتور حسن مكي	نايبا لوزير الاقتصاد للشؤون المالية
محمد عبد الله عبيد	التجارية
شائف محمد سعيد	المواصلات
محمد عبد الواسع حميد	الاشغال
محمد انعم غالب	لشؤون البلدية
الدكتور علي عبيد سيف	الصحة
حسين المقدي	مديروا عاما للمستشفيات
عبد الرحمن الحكي	لطاقب الجمهوريه
حسين الحبيشي	نايبا لوزير المعارف
القاضي عبد الله الشماحي	الإرشاد القومي
محمد سلام	الثروة المعدنية
السيد أحمد الطام	العدل
القاضي محمد الرباعي	الأوقاف
قاسم غالب	مدير علاقات وزارة الإرشاد القومي
أحمد طاهر	نايبا لوزير الصناعة
أحمد عبيد سعيد	رئيس وفد الجمهورية اليمنية لدى الأمم المتحدة
محمد مفرح	أمين عام وزارة الداخلية

مجلس الحكام العسكريين للمناطق

صنعاء الزعيم عبد الله الصلال - شمس سعد الأشول - الحديده أحمد الجرموزي
 حجة علي لطف الثور - صعدة علي علي بن عبد الله متاع - البيضا الشيخ سالم الرماح -
 الحدود الجنوبية الشيخ عبد القوي ابراهيم حامي
 الامن العام محمد عبد الواسع الشرطه - المقدم غالب الشرقي - لصنعاء -
 عبد الله الحبيشي - شرطه تعز محمد الرعيني - شرطه الحديده -
 السيد محمد هاشم قائد الحرس الوطني

من عبد الرحيم الشافعي الى مولانا محمد القاسم
يا مولانا محمد القاسم وجميع اهل بيتك السلام
والعائلة الطاهرة
من عبد الرحيم الشافعي الى مولانا محمد القاسم
والعائلة الطاهرة
والعائلة الطاهرة

برقيتان أرسلتهما من مكتب السيد أنور السادات بـرموز (شقرة) رئاسة الجمهورية المصرية إلى السفارة المصرية في صنعاء لتسليم أحدهما إلى الملازم على عبد الغنى ، وتسلم الأخرى للأستاذ عبد الغنى مطهر

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المكرم الاخ حسن العمري المحترم
بعد التحية :-

اخى كما قد افدناكم بان الاخ عبدالله بايصلكم يوم الاربعاء ولكن مع
الاسف تاخر عزمه اليكم وذلك لمسبب كسرة الاشغال معه
وانشالله يكون وصوله اليكم يوم الاحد يدون تاخير هذا .
واخيرالكم اطيب تحياتى ""

المخلص
عبدالغنى مطهر

فى ١٨ / ١ / ١٩٦٢ م

قرار مجلس قيادة الثورة لسنة ١٩٦٢ م

بتشكيل مجلس الوزراء

بعد الدباجة

مادة ١ - يشكل مجلس الوزراء على النحو التالي :

- | | |
|-------------------------------------|--|
| ١ - العميد/ عبد الله السلال | رئيساً لمجلس الوزراء |
| ٢ - الدكتور/ عبد الرحمن البيضاني | نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للاقتصاد والثروة المعدنية . |
| ٣ - محسن أحمد العيني | وزيراً للخارجية (٥) |
| ٤ - القاضي/ محمد محمود الزبيري | وزيراً للمعارف |
| ٥ - النقيب/ عبد اللطيف ضيف الله | وزيراً للداخلية |
| ٦ - العميد/ حمود الجاثفي | وزيراً للحرية |
| ٧ - عبد الغني مطهر | وزيراً للتجارة |
| ٨ - يحيى منصور بن نصر | وزيراً للزراعة |
| ٩ - علي محمد سعيد | وزيراً للصحة |
| ١٠ - الدكتور/ عبد الغني علي أحمد | وزيراً للخزانة |
| ١١ - القاضي/ عبد الرحمن الأرياني | وزيراً للعدل |
| ١٢ - الملازم الأول/ محمد الأهنومي | وزيراً لشئون البلديات |
| ١٣ - أحمد حسين المروني | وزيراً للإرشاد القومي |
| ١٤ - المهندس/ عبد الله حسين الكرشمي | وزيراً للأشغال |
| ١٥ - القاضي/ عبد السلام محمد صبرة | وزيراً للأوقاف والشئون الاجتماعية |
| ١٦ - محمد سعد القباطي | وزيراً للدولة لشئون المهاجرين |
| ١٧ - الشيخ أمين عبد الواسع نعمان | وزيراً للدولة لشئون التاريخ والآثار |
| ١٨ - العقيد/ حسن بن حسين العمري | وزيراً للمواصلات |
| ١٩ - الطيار/ عبد الرحيم عبد الله | وزيراً للطيران |
| ٢٠ - علي محمد الأحمدى | وزيراً للإعلام |

مادة ٢ - يعمل بهذا القرار من تاريخ صدوره وينشر في الجريدة الرسمية .

صدر بمجلس القيادة بتاريخ ١٩٦٢/٩/٢٧ م

عبد الله السلال

رئيس مجلس قيادة الثورة

(٥) أصبح بعدها الممثل الدائم لدى الأمم المتحدة في ١٩٦٢/٩/٢٩ م وحل محله الدكتور/

عبد الرحمن البيضاني .

وقد أوضح لى د. البيضاى أنه كان على علم بتغيير العميد حمود الجائقى واستبداله بالعميد عبد الله السلال ، وأنه أخطر المثير عبد الحكيم عامر بهذا التغيير حينذاك - وعلى الفور اعترفت مصر بالنظام الجديد في اليمن وتبعتها سوريا رغم خلافاتهما الجذرية ، وأعلنت مصر في ٢٧ سبتمبر بياناً حذرت فيه من تدخل أية قوى أجنبية ضد الحكم الجديد في اليمن ، وكانت تقصد بهذا التحذير المملكة العربية السعودية أساساً والقوات البريطانية في عدن ضمناً

رحلة في منتصف الليل ١

بدأت الاستعدادات لنقل الدكتور البيضاى ورفاقه الى صنعاء يوم ٢٩ / ٩ / ٦٢ على طائرة ركاب عسكرية تحمل معها فريقاً صغيراً من الضباط المصريين ومعهم أجهزة اتصال بالقاهرة -

كان المنظر مثيراً في مطار الماطة الحربى وقد خلا ليلاً إلا من أقل عدد من الفنيين الضروريين لإدارته ، وحوالى عشرة رجال بين سافر ومودع يرتدون مختلف أنواع الملابس وبألوان صارخة متباينة ، يحمل المسافر منهم رشاشه وذخيرته ، وحاجياته الشخصية ولم ينس البعض منهم خنجره وعباته ، ويتشبث كل منهم بصندوق يحوى بضع قنابل يدوية ، أصر معظمهم أن يحملوها لتكون في متناول أيديهم عند نزولهم من الطائرة في صنعاء وكأنها طوق النجاة من تصاريق الزمن المجهولة وكان عجيباً منهم هذا الحب لصندوق القنابل اليدوية ، والاصرار على أن يكون في حوزتهم ، ذلك الاصرار الهينى على توقع القتال بمجرد لمس أرجلهم لأرض وطنهم ، الأمر الذى أشفقت معه على مجموعة ضباطنا المرافقين لهم بالإضافة الى الطائرة نفسها وطاقتهم قيادتها وكم معدنا عندما تلقينا اول برقية بوصولهم الى صنعاء وصولاً طبعياً .

روز اليوسف فى ٢٦ مايو ١٩٨٠ صفحة ٣٢

(من مقال بقلم الفريق صلاح الحديدى مدير المخابرات الحربية المصرية السابق)

ويروي « محمد الفسيل » سفير اليمن في ألمانيا الشرقية :
« كنا في منزل عبد السلام صبره ... وكنا نعرف ان كل
لخيرة الجيش هي ٢٢ طلقة وبدانا العد حتى وصلنا الى
الرقم ١٨ ... وادركنا ان « الثورة » في خطر . فمقت
وانصلت لتليفونيا « عبد الله جزيلان » وسالت : « هل
احتلتمكم قصر السلاح ؟ » . فرد غاضبا : « من انت ؟ »
قلت : « انا يمني باقولك انكم معكم ٢٢ طلقة ... ضربتم
١٨ منها ... فاحتلوا قصر السلاح والا ضعنتم ... »

وبدأت عملية تشكيل حكومة ...
قبل الثورة بثلاثة شهور أرسل البيضاوي من القاهرة

قائمة بالحكومة المنتظرة ... البيضاوي رئيسا للوزراء
ووزيرا للخارجية وحمود الجانفي للدفاع (باعتباره الزعيم
والأراني للعدل ونعيمان للتربية ... وبالطبع اعترض على
بقية الاسماء لانها لم تكن معروفة في اليمن ، ولكن احدا
لم يهتم باعتبار ان ذلك سابق لوانه ... فلما قامت الثورة
انصل الفسيل في اليوم التالي بالسلال ، وقال له : لا بد
من حكومة والا لن يعترف احد بنا فقال السلال « اجتمع
انت وصبره واحمد المروني وحسن العمري وشكلوا
حكومة ... » « واجتمعنا فعلا ... واذا بالعمري - الذي
كان في وزارة المواصلات واشرف على الاتصالات اللاسلكية
مع المخابرات المصرية للاعداد للثورة - يخرج من جيبه
وزارة مشكلة فعلا ... وهي القائمة التي كان البيضاوي
قد ارسلها من القاهرة ... اعترضنا ... فاضر وقال
هذا اتفاق عقدناه مع القاهرة ... ولا يمكن نقضه ثم غادر
الاجتماع غاضبا ... اتفقنا كلنا على ان البيضاوي لن يكون
رئيسا للوزراء ولا وزيرا للخارجية ... عيناه وزيرا
للاقتصاد ... ووضعنا الزبيري بدلا من النعمان ... لان
النعمان كان قد ابرق للبدن مهنتا ... ادخلنا محسن العيني
وزيرا للخارجية ومحمد سعيد قباطي وزيرا للمغتربين
والأراني رئيسا للوزراء ... والسلال قائدا عاما ووزيرا
للحربية ... وشكلنا مجلس سيادة من ٣ مدنيين محمد علي
عثمان وعلي احمد الاحدي ومحمد بن محمد المنصور ...
اخذنا التشكيل للسلال الذي ما ان قرا اسم الارباني علي
راس التشكيل رئيسا للوزراء ، حتى احتج ، وقال :
انتم ووطوني في الثورة ... اعمالوني رئيس وزراء على
الاقبل ... واستجبنا لطلبه وعملناه رئيس وزراء ، والارباني
وزيرا للعدل ... فوقع التشكيل دون ان يقرأ ! حصلنا
على التشكيل الساعة التاسعة صباحا ... واعدناه
للاداعة في موعد نشرة الاخبار ... الساعة ١٢ جاء
« علي المطري » الى الاداعة يحمل تشكيلا جديدا لحكومة
اخرى موقعا من السلال يفسل ... واتصل الفسيل
بالسلال بساله تفسيرا فقال له « اهتمد التشكيل الاول
... الثاني هدره ! اي هزار ... »



وفجأة ارتفع صوت « محمد الفسيل » سفير اليمن
في ألمانيا الشرقية حاليا ، يعلن : هنا صنعاء .. هنا
اذاعة الجمهورية اليمنية ..

وكانت القاهرة في انتظار على آخر من الجهر !
قبل حوالي ٨ شهور من هذا التاريخ ، جاء الضابط
اليمني « علي عبد المغني » الى السفارة المصرية حيث
كان يشغل « محمد عبد الواحد » (القنصل حاليا في
بيروت) منصب القائم بالاعمال والذي اشتهر بأنه صديق
شخصي للامير البدر ولي العهد وقتها ...
واجتمع الضابط اليمني بالقائم بالاعمال المصري وطلب
ابلاغ رسالة شخصية للرئيس عبد الناصر ، على شرط
واحد ، هو عدم ابلاغها لليمنيين خارج او داخل اليمن ! ..
كانت الرسالة تتحدث عن تشكيل للضباط الاحرار في
اليمن ، وتسال عن موقف مصر في حالة قيام التشكيل
بالثورة .

ووصلت الرسالة الى الرئيس عبد الناصر ، الذي كلف
« انور السادات » بمتابعة القضية اليمنية ...
وبعد ايام تلقى الضابط اليمني « علي عبد المغني » رد
رسالته من عبد الرحمن البيضاوي .. المسع اليمنيين
- وقتها - خارج اليمن ... وابعدهم عن الانتماوات
السياسية السابقة بحساسياتها وانقساماتها ...
كانت رسالة البيضاوي تقول : « وصلت رسالتكم وقد
اجتمعت بالرئيس عبد الناصر الذي كلفني ان ابلاغكم ان مصر
ستقبل بكل امكانياتها الادبية والمادية معكم » ...
ثم جاءت رسالة اخرى من البيضاوي تطلب من الضابط
عدم الاتصال بأي مدني يمني ...
وبدا البيضاوي سلسلة مقالاته المشهورة ضد الوضع في
اليمن ، والتي نشرها في مجلة « روز اليوسف » انشاء
اشراف احسان عبد القدوس عليها ..

البديل عن الصراع الدموى فى اليمن

تأليف : د. عبد الرحمن البىضانى

الناشر : المطبعة العالمية - القاهرة - ١٩٧٤

عرض : د. بطرس بطرس غالى

كانت قد انصبت على اليمن بشطريها ، باعتبار انها المثال المحدد لموضوع البحث . من حيث التفاصيل ، فانها المثال المكرر من حيث الاطار الفكرى العام ، الذى يحكم مسار التطور والتنمية والعدالة الاجتماعية فى اليمن وغير اليمن ، ويستشهد فى هذا بقول الرئيس السادات فى حفل تكريم ابطال النصر . لقد عرفنا ماذا يستطيع العرب ان يفعلوا باتحاد كلمتهم ، وكيف ان الخلاف والصراع بين العرب ، كان هـ دائما طريقهم الى الهزيمة واليوار ، ثم اشارة الى القلة الذين لا يرضيهم اتحاد كلمة العرب ، لكونهم مشدودين للماضى ، لم يستفيدوا من دروسه او لكونهم مستفيدين من هذا الماضى ، غير مهالين بدروسه . وبأفاعةيل هؤلاء وارلئك وغيرهم ، تمزقت الاغلبية العربية بين الشعارات والصراعات ، ولم تستيقظ الا على صراخ حقيقة الشقاق التى برزت بهزيمة العرب فى يونية سنة ١٩٦٧ ، وحقيقة الاتحاد التى تجلت بانتصارهم فى معركة رمضان - اكتوبر سنة ١٩٧٢ .

وقد قام بتقديم المحاضر لاعضاء رابطة الطلاب ، السيد محمد سعيد ظافر رئيس الرابطة ، بكلمة قيمة بين

الدكتور عبد الرحمن البىضانى بعد اذ ان اليمن علما ، واحد ساستها الرموقين ، وقادتها المعدودين ، اتخذ من مصر وطنا ثانيا له ولكن جهده السياسى انصرف لليمن خاصة ، وللعروبة عامة .

ومن خصائص الدكتور البىضانى ، الاطلاع الواسع ، والثقافة العريضة ، والمعلومات الغزيرة ، واهدى ثمرات هذه الخصائص ، كتابه الذى نعرض له اليوم ، ويقع فى ٢٧٠ صفحة من القطع الصغير .

وكتاب الدكتور البىضانى الذى نعرض له هنا ، هو فى واقعه محاضرة القاها بدعوة من رابطة طلبة اليمن ، ثم اصدرها مع ما تلاها من حوار مع حاضري الندوة فى هذا الكتاب الذى سماه ' البديل للصراع الدموى فى اليمن ' ، وقال فى ذيل العنوان انه ' برنامج وطنى مرحلى ' .

وحين تصفحنا الكتاب تجلى لنا مبلغ ما بذل فيه المؤلف من جهد ، ولم يعد مستغربا عندنا ، ان يقول فى اول سطر من سطور الكتاب ، استندت فى هذه المحاضرة الى اكثر من الف مرجع علمى من مختلف الاتجاهات ، ويبرز هذا الجهد المكنى بان المحاضرة اذا

من مقال بقلم الاستاذ بطرس بطرس غالى وزير الدولة للشئون الخارجية المصرية الاهرام الإقتصادى فى ١٥ اغسطس ١٩٧٤ صفحة ٣٦

عنز بن الدف عبد الرحمن
تحت ميارك كنية
لعلك في احسنهم ولعل الاحوال طيبة
من جرتنا نحن فاننا نسير بحمد الله كما عهدنا ونحمد نعمة تمام الشكر جردك
الى جانب الزعيم وانما لانتبه هذه الفرصة لطلبك تقدير الرئيس الماحي وتحياته
اما بخصوصه اوضاع الحبيب هنا فلا زالت كما هي الحلية والسعيد ولا زالت صلاتهم
عليك طيبا ولكنه كل ذلك لا يفيهم وسأرسل لك آخر تقارير عن نشاطهم لكي تكون
على علم بما ياتيهم لم استطع ان اجبر الوقت الكافي لكي اجد مشكلة الحلية هنا
بالنسبة لانفعالنا في امورنا الداخلية
المشايخ كما لا بد انه ارسلهم لكم لوزنهم بعد الاكل والراحة بعدوا يبحثون عن الشاء
وحصلت من بعضهم في اسوانه اعمال ضافية كذلك في اللوكاذه لمدى انه اللوكاذه
صرفت على الموقوفات التواجد في الدوا الذي يشغلون هذا فضلا عن انهم عرضة هنا
للحلية وغيرهم
تحت سنانه ابوهم فالرجل زارني وطلب مني ماعنه وانما اري انه تركوه الله في
الماضي ولا راي لي فيه بل الى الصبي وسأراقبه وسأصلك اولاً بآرك
كله من الخير في التليفون اليوم بلأنا به العرش حاشد وطلب مني انه ابلغك
انه من المناسب ان يعيد في شعبة وزير باعتبار انه وقف وثيق بتبليته منذ اول
التور وقته قديم ولكن يكون مثلاً لبقية المشايخ الذين يتبعونه هذا فضلاً عن اننا
لا نريد ان تتقلب قبليته في يوم من الايام كما يحدث للآخرين فأرجو ذلك هذا الموضوع
والصحة فيه
لا زالت في تلافيفه انه انك لا تفهم المبال في جميع الوزراء الذين ذكروا يقولوا ما في نفوسهم
اياكاه ويؤملون انك تنصه رأيك فربما انه تصلي ذلك كما ارجو انه تفهم انه
السعي اليهم لم لحيته خياصه يتجيب انه لا يفيهم بل صدورك فقد كما هنا انه السعة
تستعمل طوالة اليوم وفرد العظمى والسبع الى شئنا واللهم بصبر اليوم
محبوبه مائة العفصه فانه بمجرد انه تحت المجرود الخزي سأرسل لك عفتنا
اياه والملك والبرهان ما يقول الناس فالملك وانتهى لانتكولوجه هذا العفصه
ولا ملك السبعه وانما انك ملك الدولة
ثم ما تبيع هناك شياخه وتحياث العائنه وتميلاً انا وحيث به لك انه وليان
بالعارة والشمس
المجلس
السلطان

الجمهورية العربية اليمنية
وزارة الداخلية

إعلان دستور
مجلس قيادة الثورة الجمهوريّة العربيّة المصريّة

[illegible]

اولیٰ - مبارک عالم

الخارج المأرب

أهداف التورق كما يلي :-
 أولاً - السدقة إلى شريعتهم المأهولة بالشريعة بعد أن أهله لها الأستاذة السابون
 خلال الألف والمائتين عام الماضية .
 ثانياً - إلغاء التفرقة العنصرية وما عتباتها العنصرية جميعاً سواءً باسم الكافرة
 ثالثاً - إزالة الأضرار بينة الأديان والسوانح .
 رابعاً - إبعاد الكاذب / يرفع جعقة المراهقة / فندجهم بآلة بنص /
 رداً عنصرية إلى بعد محال / عادل / شتم على أساس كافون
 ثم تمهيد الشريعة الإسلامية الشرائع يتعلم الأهل آيات الجنائز
 وتدين صفة الدناخ .
 خامساً - إقامة الإسلام في العالمين ، لإجراء انتداب جميع أنحاء العالم
 لانتخاب الرئيس السابق ، الذي ينشأ من مجلس المحررين
 أو كمنسقة أهداف التورق العربية منه أجل أن ^{تستبد} ~~تستبد~~ الأمة العربية
 من غير قسوة ها الأذلة في طليعة الأمم المتحضرة .

الجمهورية العربية اليمنية وزارة الداخلية

سابقاً - تحفيدة المدائن الأضواء الحية .
تأسست - رئاسة جيمس، وطني، قومي، يندرجاً للعلمية والمؤسسة العربية
تأسست - أرواحاً لجميع الخلق الذين يتذكرون الشعب /
بما شرباً - رفيع مشقور سميت الشعب / بالعلم وفوقاً / بوضوح وتنفيذ
خريطة / اقتداء به / المستقر / كافة موارد الدولة / البشرية
والطبيعية / مع غلبة أوجه النشاط الاقتصادي / من المناهج
التي تبا / الأهلية بالسماح / وتشجيع الرأسمالية والصناعة /
والأبواب / والأعمال / الأضواء الحية .

المادة الثانية

جميع الأنظمة مبنية على الشعب اليمني العربي .

المادة الثالثة

الحريّة الشخصية وعريّة الرأي / مكفولة / لا حدود
للكانون / والديكتاتور / والمنازل / فضاء / أحكام القانون /

المادة الرابعة

سليم البلاد جيبه الدنيا - يمينه تحفيدة .

المادة الخامسة

جميع المبادئ / تستمد من الشعب / الأسس / التي هي ديمية
البرلمانية الرسمى .

المادة السادسة

العضو / مستقر / لا سلطان عليه / تغير القانون ، وصحة أحكامه
وتشفير / القانون / باسم الشعب .

الجمهورية العربية اليمنية
وزارة الداخلية

مساندا - نظام الحكم

المادة السابعة

يتولى مجلس قيادة الثورة أعمال السيادة العليا بوصفه صاحبا
السلطة التي يراها ضرورية لتحقيق هذه التوجه والنظام السائد
لتحقيق أهداف الشعب ودعوة شقيقين الوزراء وعضو لهم .

المادة الثامنة

يتولى مجلس الوزراء والوزراء الكلي فيما يخص أعمال السلطة التنفيذية

المادة التاسعة

يشارك من مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء / مؤسسا وطنيا
في السياسة الخارجية للدولة وما يتعلق به من مفاوضات / وثائق
مما يترك مفاوضاته من مفاوضات كبرى في وزارة

المادة العاشرة

يشارك من مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء / مؤسسا وطنيا
أمنه الدولة / ويشارك في كل شيء من - يشارك في السياسة
الدولة / وفي أثناء تنفيذها / يشارك في كل شيء من - يشارك في
على بنسبة / بوصفه صاحبها / يشارك في قيادة الثورة

المادة الحادية عشرة

يقوم مجلس قيادة الثورة / انتخاب قائد الثورة / يعين عبدالمجيد
رئيسا للجنة / ورئيسا لمجلس الوزراء / وكذا أعضاء اللجنة
أثناء فترة الانتخابات / ثم يوافق الكونغرس / يعين
في هذه الأثناء / ثم يوافق الكونغرس / يعين
على أن يتم عملها / فترة الانتخابات / ويوافق الكونغرس / يعين

الجمهورية العربية اليمنية
وزارة الداخلية

الحرة في جميع أنحاء الجمهورية العربية اليمنية للمصوتين على المستوى
النزلي الذي ستمتد الحكومة لانتخاب المجلس النيابي الذي
ينبغي رئيسه الجيد.

أولاً المبادئ

إن مبدأ قيادة الثورة / إن قيادة كل هذه المبادئ والأحكام / إن
الذين الذين أقيموا / إن المبادئ / إن المبادئ / إن المبادئ / إن
الذين الذين أقيموا / إن المبادئ / إن المبادئ / إن المبادئ / إن
الذين الذين أقيموا / إن المبادئ / إن المبادئ / إن المبادئ / إن
الذين الذين أقيموا / إن المبادئ / إن المبادئ / إن المبادئ / إن

مبدأ قيادة الثورة

توقيع

رئيس مجلس قيادة الثورة

الشيخ عبد الله السلول

الجمهورية العربية اليمنية
وزارة الداخلية

التشكيل الوزاري

- ١ - الزعيم عبد الله السلال
رئيساً للجمهورية ونائباً لرئيس الوزراء ومادةً أعاماً للقوانين المسلم
- ٢ - الدكتور عبد الرحمن البيضاوي
نائباً للرئيس ووزيراً للخارجية
- ٣ - العقيد عبد الله حمزي
وزيراً للدفاع
- ٤ - الرئيس عبد اللطيف ضيف الله
وزيراً للداخلية
- ٥ - محمد قبانة سيف
وزيراً للدولة لشؤون رئيس الجمهورية
- ٦ - الأستاذ عبد الرحمن عبد الله
وزيراً للأعلام
- ٧ - السيد عبد الرحمن البربراني
وزيراً للعدل
- ٨ - السيد عبد السلام صديق
للاوقاف وشؤون القبائل والشؤون التعليمية
- ٩ - العقيد حسن العيسى
للمواصلات
- ١٠ - عبد القادر حامي
لشؤون البلديات والقربى
- ١١ - عبد المنن طهر
للتجارة
- ١٢ - محمد مرشد تايه
لشؤون المصنعيين
- ١٣ - محمد سعيد
للمعمر
- ١٤ - الرئيس محمد الحامدي
للقوم

الجمهورية العربية اليمنية
وزارة الداخلية

~~وزير العمل~~ ~~وزير العمل~~ X

١٥ - السيد الرئيس حليم ارفعي

رر للزراعم

١٦ - رر محمد الرشيد

رر للدشغال

١٧ - رر عبد الله الكاشي

رر للماليم

١٨ - رر عبد الفتن احمد

رر للاقتصاد

١٩ - رر حمد كاسي

رر للمعارف

٢٠ - رر محمد محمود الزيد

رر للدراش والعموم

٢١ - رر احميد عبد الواسع

رر للشئون الاجتماعية X

٢٢ - الرئيس علي سبت الخولاني

توشح

الزعيم عبد الله السلاوي
رئيس مجلس قيادة الثورة

الجمهورية العربية اليمنية
وزارة الداخلية

تعيينات بسلك بسائر الخارج

- | | |
|--------------------------|---|
| ١ - السيد محمد الجاني | رئيساً لوفد اليمن بالبنادق العسكرية المشتركة |
| ٢ - السيد محمد المبرور | بالقاهرة
عضواً في وفد اليمن بالبنادق العسكرية المشتركة |
| ٣ - السيد محمد الدين | بالقاهرة
رئيساً لوفد اليمن الدائم في الأمم المتحدة |
| ٤ - السيد محمد السوردي | رئيساً لوفد اليمن الدائم في الأمم المتحدة |
| ٥ - السيد محمد بن علي | مندوباً دائماً لليمن في الجامعة العربية |
| ٦ - السيد محمد بن منصور | مندوباً دائماً لليمن في الجامعة العربية |
| ٧ - السيد محمد بن منصور | مندوباً دائماً لليمن في الجامعة العربية |
| ٨ - السيد محمد بن منصور | مندوباً دائماً لليمن في الجامعة العربية |
| ٩ - السيد محمد بن منصور | مندوباً دائماً لليمن في الجامعة العربية |
| ١٠ - السيد محمد بن منصور | مندوباً دائماً لليمن في الجامعة العربية |
- هذا واستند في هذا البيان ثمرات صباط الثورة ولين مناصبه بالبيت
الباقي وكذلك تعيينات نواب الوزراء وممثلهم في المجلس الحكومي الجديد



رئيس الجمهورية العربية السورية

أرفع اليك تقريراً عن احوال البعثات في
لجان التفتيش احوالاً تضمنوا اسم العميد الكاظم محمد الموزني معكم ليرفقكم
فخذه من الخصال والتجارب ومعرفة موجبات الجبيل التي نزلها من مالوا
عند احد ومراقبة لكم مهم جداً وقد بلغت هذه الخصال ما تقبلوا امتياني

جدة
رئيس الجمهورية
س

بسم الله الرحمن الرحيم

سيادة المشير عبد الله السلال رئيس الجمهورية

~~التي هي~~ ~~أعضاء مجلس قيادة الثورة~~ ~~المتممين~~

ثمة طيبة وبعد - لقد كانت ثورة شعبنا اليمن العظيم هي الدل الكبير
الذي تناقلته الدجيل جيل من بعد جيل ثم تحقق بإرادة جيلنا
الحاضر فأصبح الدل الكبير حقيقة كبيرة دخلت الى صفحات التاريخ
من اوسع أبوابه.

ولما كانت الخطى بإعداد في القاهرة على أثر وصولي الى في دولة
محنة مستعجلة فلم أعد بعد ذلك قادراً على قيامي بدائمي كنائب
لرئيس الجمهورية الذي كلفني به مجلس قيادة الثورة في المادة
الحادية عشرة من الدستور المؤقت الذي أعلنه المجلس المؤقت
لثبوت قواعد الحكم أثناء فترة الانتقال

ولما كنت مرصفا على هذه الصف التي هي دعامة الثورة الأساسية
فائق اندم اليكم استعالي من هذا المنصب أملا في سبيل
مجتكم التاريخية التي لا أشك أبدا في انكم عاملون عليل مخلصون
لا شغائون في سبيل

وفقكم الله وثبت خطاكم وحفظ شعبنا التي لا ورحمة أمنا العربي الجيدة
وتقبلوا عظيم احترام وفخري

امضاء

— يادة الأخ الكبير سيد أنور السادات —

تحية أخوية صادقة .. وبعد ..

بلغني أنه أ — مع لديكم أنه حزب الشعب الا — تراكى أرسى
الى الوزراء الشوافع كي يستقروا به مناصبهم لوزارية بنار
على طبع الاخ الدكتور عبدالرحمن البيضاوي .. وأجوابه أؤكد لبادكم
أن هذه الا — اعة لا أ — لا لم لصحة .. فلم طبع مني
الاخ الدكتور عبدالرحمن تبليغ من هذه اربعة اذ خربت في عدة ..
وهمني أنه أؤكد لكم أنه لو كان هذا الشيء رأياً في اخصائنا الأم ..
في كنا — نواصير المطالبة به .. لكنه لا يمثل اطلاقاً وجهه نظرنا ..
كما لا اعتقد أنه يمثل وجهه نظر الدكتور عبدالرحمن البيضاوي حيث
أنني لم أ — مع أنه صرح بتمس هذا ..
لذلك أرجو العمل على تتركيز لجنة تحقيقه لتؤكد من كذب
هذه الا — اعة .. ومعرفة مصدرها والى تقديمها .. واني
على رأ — تعدد الحضور الى صنفاء في اية وقت .. تتم ..
وأجوبكم بـ لا في هذا اذ ال — يد أريد — الم — ير عبدالمعز السواد
رئيس الجمهورية العربية المتحدة ..
ولكم جزيل الشكر ..

عبدالمعز السواد

(محمد الم — نوره)

عن نوره السيد الا تراكى
في الجوار لوجه

١٠ مارس ١٩٦٣

الجمهورية العربية اليمنية

السادة العليا

المرجع
الرقم
الموضوع
الملاحظات

بالشرف في المفوضية للجمهوريات المتحدة

سيادة أذني الرئيس جمال عبد الناصر
حجة هوذا لم تلتفتت من المخابرات العربية
معلوماً مفيداً ما كنت اتصوره اذ
ان البطاني يتصل بالمراتب اعلى البضا
ربيعه للاتصال بالسلطة الاضية رغبة
على الاتصال رغبة بأنه يكون كما
لا يخفى الخوف من اضطراب الرتبة
لكي من الحجة الجمهور الحزبية والتفكير الى
تتبعه بمرور رتبة تحت من يد ان البطاني
يتصل ببعض الوزراء ومحاولة تلك المشاكل
وتتبعه الاضطرار ولكي لم اتم حقا تلتفتت قراءات المخابرات
العربية بغيرنا وهذا انحاء الحيايات
لكننا على علم وبينة من عمل الحاقه ولعل
حساد ولقد وتتلخص في
وتشدد
الجمهوريات المتحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الدولة العبرية

بموجب السلطة التنفيذية
مقرر الوزير النائب
اليمين

سري للغاية

((٤))

- (ب) تزوير أوامر صرف الذخيرة للحصول على كميات
منها من مخازن الحكومة ، حيث كان من المتعذر
حصولهم عليها من غير هذا الطريق . .
- (ج) اتصال بشايخ القبائل من طريق ابنائهم الذين كانوا
يتلقون العلم سواء في المدارس المدنية أو العسكرية
حيث تمكنوا من الحصول على تأييد عدد كبير من هؤلاء
الشايخ . .

- (٣) بذلت محاولة جديدة صادقة في نفس هذه الفترة التي بدأ بتبليغ
فيها تنظيم الضباط الشبان من أجل توحيد الجهود لكافة العناصر
التي تعمل في ميدان الحركة الوطنية وذلك لحسم المعركة مع
نظام الحكم الرجعي الامامي ، وكان صاحب هذه الدعوة والمشراف
على تنفيذها هو الدكتور عبد الرحمن البيهاني اللاجي السياسي
اليميني في القاهرة ، وبعد أن استطاع استطلاع الموقف بالاتصال
الشخصي مع عناصر الاحرار في الداخل تم وضع مخطط مقترح للعمل
الثوري ، وتم عرض هذا المخطط للحصول على موافقة الاحرار في
الداخل ، وبالفعل تمت اتصالات من أجل تحقيق ذلك ، وهذا
بالإضافة الى قيام الدكتور عبد الرحمن البيهاني بالسانده المعنوية
للعناصر الوطنية في الداخل وذلك بأذاعه أحاديث في راديو
القاهرة ونشر مقالات لفضح نظام الحكم في اليمن . .
- (٤) حدث بعد ذلك اتصال بين تنظيم الضباط الاحرار ونواة التشكيل
الذي بدأ يعمل بخطوطه الدكتور البيهاني ، وتم خليق محسور

سري للغاية

إعطاء طابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية العربية السورية

مقدّم الحزب الناصري

الناصري

سري للمعالي

وإننا نعلم من كثرة التجارب -
تفرد النضال بنشرها لأول مرة

« قهر »

نقرر انضمامنا بالاعمال

انصرف بالاحاطة بالاحاطة الداخلية في العمل لا تمتد على
الارتجاج . وأن النصارى ان تندلع ..

النضال الاحرار النصارى :

ظهرت نشاط النضال الاحرار النصارى الذين خرجوا من الكتيبة
الحزبية بضمها على أيدي السادة النصارى من سورية وجميع
وكان انشاء اصحاب الاتحاد بين الجمهوريين العربى المتحدة واليمن
جملتهم بصرفهم الى القيام بشؤونهم الخاصة ..

وهناك اجتمعاتهم وهم على اعمال دائمة بعضهم ينفرد فى تعمير
والحديثة ونعماء وحجبه وضع الفانيل . وهم يرون فى القاسم
محمد عبد الله الناصري نائب منما رئيسا للوزراء بنفسه وقتها
لانهم يعتبرونه انطى خدمته ولما يتفق به من شعبه بين الكبار
والصغار . ويستصدر الامر بالاجه عند قيام الحركة للشهداء
أما الامر التنفيذى فتكون له لى زيادة الشورى ..

وقد حدثتى زميم هؤلاء النصارى . على عبد المفسى " بأن لهم نسوة
موجوده بالسفينة مستمده للشعر الى الحديثة . كما يوجد بين
هؤلاء النصارى سفينة عباغ بالحديثة يقومون بتشكيل خلايا منظمة

سري للمعالي

الجمهورية العربية المتحدة

مقر الوزير الشاب

البيوت

بسم الله الرحمن الرحيم

سري للغاية

ممنوع

((١٦))

النضال العدد - ٢٥ -
وثائقه

قد يفكر في التخلص من الزعيم حمود الجافى بطريقة أو أخرى
وقد ظهرت بوادر هذا الاتجاه منذ اليوم الاول لوصول الجافى
من الحديد الى عناء بعد قيام الثورة ، حيث ردد السلال
بأنه يخشى أن يقوم الجافى باغتياله ، وهناك تفكير لنفى
الجافى خارج السلال وذلك بتعيينه كطوق عسكري فى
احدى السدول . .

(٢) ويجدر التأكيد على شخصية المقدم عبدالله جزيلان ، والذي يعمل
الزعيم السلال على احتفائه ، فمن المعروف أن جزيلان كان الذراع
اليمين للزعيم حمود الجافى أثناء قيادته للكتلة الحريية ، وكان
أمين سره وكان هذا أمرا معروفا للجميع ، ثم بعد أن تمكن
الجافى الفرار من سجنه الى طن فى أواخر عام ١٩٦١ بدأ
جزيلان يتقرب الى حاشية البدر بغرض تعيينه يدرا للكتلة
الحريية خلفا للجافى ، وقد نجح فى هذا السعى
ورفى من رتبة رقيب الى رتبة مقدم ، وأصبح الضباط
الاحرار يظنون انه نظره شك وريه ، وبعد أن ظهر المخطط
الذى كان يدونه الدكتور البهائى واستداده دور قيادى فيه
بدأ يمارس نشاطا محدودا تركز بصفه خاصه فى الناحية الدائرية
وبعد أن تمت طليه الهبط بين تشكيل الضباط الاحرار والتشكيل
الذى كان يدونه البهائى ، فبالثالى تم اتصال جزيلان
بتشكيل الضباط ومن هنا كان دوره فى المشاركة فى الاعداد للثورة
وكذا التفتيد ، وتحميل شخصه جزيلان يمكن القول بأنه شخصه
مميزه - وصولى - سهل الانقياد - يد من العلم من جهل
مفرور - يكره البهائى كذا عبد اللطيف ضيف الله لانه

سري للغاية

ممنوع

بسم الله الرحمن الرحيم

الى

تلميح

١٩- يمكن القول أنه نتيجة للاتصالات الشخصية المباشرة مع نطاق كبير من الضباط ثبت بما لا يتسرع
م. إلا للشك أن الضباط مازالوا يخبرون أربابهم بأداءهم الثورية مازالوا قويا لم يتكلموا
نتيجة لحملات الحقد والتفكيك التي استهدفت أثناء الفترة في صفوفهم خلال الأزمات التمس
تلاحقت على المسرح السياسي في اليمن.

٢٠- من المناسب أن تصدر تحذيرات للقيادة العربية هنا للعمل على إزالة الحسابات التي فحشها
في الماضي بين الدماء والجانب العربي وحسم كافة المشاكل التي مازالت لها رصاص
الماضي والتي تد تد على أساس الصراحة الأخوية وتجنب اظهار أي نوع من التعصب قسم
يعتد الآخر ويتصادم بجسر الثقة الذي تهدد بانه من جديد بين الطرفين.

٢١- إن الإجابة الشافية لما عرّضه الضباط من خباطر لتنظيم العلاقات بينهم وبين الجمهور
العربية المتحدة في المستقبل ستكون عاملا مهما في حسم معركة الصراع الساسي في داخل
اليمن.

٢٢- يؤيد بوضوح ولا الهباط وثقتهم وحجم علوهم الجائفي الذي يؤمنون بمقدورته على تسيادة
دفة الحكم إذا أعطى الصلاحيات الكاملة والحرية المطلقة في تصرف الأمور بدون أي تدخل
من السلطات العليا وهم يعتقدون أن الجائفي وأسلح رجل يعني يمكن أن تتفق عليه
جميع قوات الشعب اليمني.

٢٣- آثار الهباط بوضوح الرئيس خلال وظهرت معارضتهم لهذا تركيزه في السادة وأكدوا أن الأمور
في اليمن لا يمكن أن تصلح مادام رأس الدولة فاسدا وأدانوا بأن العمليات العربية في اليمن
وتعديات الموقف السياسي سوف تستمر مادام السلا لا يحكم ويبدد جميع المكدرات التي يستغلها
شعور تلك الأمة وتؤدي بطريق غير مباشر إلى تخريب مؤثر في الوحدة العربية في اليمن.

س. م. للمصداقية

٩٠٧

وثيقة رقم ٣٥

HOTEL NITOCRISSE

ANGLE RUE MOH. BEY FARID & 26 JUILLET

Tél. 88651 - 74181 - R.C. 88664

LE CAIRE

ADR. TÉLÉ. (NITOCRISSE) LE CAIRE



فندق نيتوكريس

قاصية محمد بك فريد و٢٦ يوليو بالقاهرة
تليفون ٥٣٦٥١ - ٧٤١٨١ - ٨٨٦٦٤

القاهرة

عنوان تليفون: « نيتوكريس » مصر

اخي عبد رحمان هولت ان اتصل بك
فلم اقدر وبنا فامر عيسى علي كل
انا متوجه إنجلترا بعبارة زرت اليك
وبلدينا جوار كون ان تكتب لي عن الفد
21 CORNWALLIS SQ.
SOUTH SHIELDS
ENGLAND

محمد محمد جدي

عبيد عن ابي (٧) عام عدت اليها الان
ولم اجد شي غير اسم البسفان
وياسفر

بسم الله الرحمن الرحيم

خطاب مفتوح إلى سيادة أشد القومية العربية سيادة الرئيس جمال عبد الناصر منكم
السلامة آملين نعم يا صاحب السعادة أنت تفهم تدهور الموقف في اليمن أنت الخطاب الأول والأخير
و نحن الموقعين أسماءنا من الجزيرة وطلبنا من عبد الرحمن البشير في المبدأين من الصعب
تطلبنا من عبد الرحمن البشير في إن الكبير والصغير والذكر والأنثى دون السكتة البشري في والله على
أمرنا قدير وكلية

[illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم
 جمال عبد الناصر بن جعفر بن عبد الرحمن البصافي بالله وحسبكم

احمد طارش	عبد الله صالح	احمد ناصر	حنان
علي فارح	سالم عبد عبيد	محمد ناصر	محمد حبيب
محمد فارح	اسعد عبيد	عبد نصير	علي هاشم
عبد ناصر	هايل عبيد	احمد عبد المطلب	حبيب
خالد عبيد	محمد عبيد	سعيد هادي	سعيد
سعيد عبيد	محمد عبيد	علي عبد الوهيد	محمد
سالم عبيد	علي قريش	محمد يادوي	سعيد
هاشم عبيد	علي سعد	سعيد يادوي	محمد
صالح عبيد	احمد سعد	عليون يادوي	محمد
علي عبيد	محمد سعد	سعيد يادوي	محمد
عقبات تاجر	احمد سعد	سعيد يادوي	محمد
عبد رمان	احمد سعد	سعيد يادوي	محمد
عبد عبيد	احمد سعد	سعيد يادوي	محمد
مناجي عبيد	احمد سعد	سعيد يادوي	محمد
عبد سيار	احمد سعد	سعيد يادوي	محمد

الحاج مرشد	عبد قارح	صالح ناصر	عبد حيدر
خبر ردا	سعيد قارح	احمد خوص	احمد حيدر
محمد سعيد	الحاج سلال	عبد عوض	عبد ربيع
علي سعيد	ياسين سلال	سالم عوض	عبد ربيع
ذيل عبيد	احمد صانع	الحاج فاني	سعيد
عبد هادي	حكي عبيد	عبد عوض	سعيد
احمد صالح	احمد طاهر	اليد حسن	سعيد
عبد صالح	عبد طاهر	محمد دعات	سعيد
سليمان عبيد	سعيد طاهر	محمد عبيد	سعيد
عبد عبيد	رذمان عبيد	محمد عبيد	سعيد
احمد قريش	عبد عبيد	احمد عبيد	سعيد
محمد قريش	سعيد عبيد	علي قريش	سعيد
دود عبيد	ناشم عبيد	علي قريش	سعيد
صالح عبيد	عبد عبيد	سعيد قريش	سعيد
احمد عبيد	عبد عبيد	سعيد قريش	سعيد

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الحمد لله الذي جعل في الدنيا ما نحتاجه من كل شيء

[illegible]

[illegible]

حضرة الرئيس عبد الله بن عبد العزيز
 تحية ولبنة. فلقد بلغني انكم وزعتم لجنات
 المتخرجين من مدرسة ركنكم. وكانه لخصيبي كما قضت
 ارادتم اياه ولد ادي من غير من المفروض
 عليهم لدى حضرتكم بكم في الجسد الوطني وبلغني
 انكم انكم قلتم انه لهذا عار من فقط ولم اقبل
 لهم فلفظ فيه من الباقية كنطقكم هذا صحيح فلهذا
 انه تمهت معاء كتف مادية عليه اعمار في اما ضابط
 بيقار في اعمار كسوع به ابداء. ولكنه ربما كبره
 في نظركم متع من هذا القليل. ~~في~~ اي انكم
 تتفكرون من حيا به ولا فيه. وانه هذا ارجاء
 الذي يبلغ من كلمة منتزاه انما به ل طبعاً على
 اهتمامكم بالخدمة العسكرية وتقدير المصالح
 العامة والقيام بالواجبات. وقد قدمت. ولي هذا
 بجدية عليكم وقد عرفت فيكم هذه الجدية المتألمة التي
 نعتكم بها منذ تزيكم منصب اركان حرب الكلية.

هذا وجزى الله وليكم خيراً فقد ابا نية وكثفت لنا
 به منزع حرسه لراياكم ونبل مقامكم. وعرفت
 قياتكم.
 كما نصيحتكم انما لي انكم على كثير من سرعة
 وسر في قبل انه يعبروني غيا به قلتم ~~انكم~~
 تحسنوا خدكم انه بقائي في تفت بامران تاد العلم
 صقله به وايه.

أخيراً أعانكم به ووفقكم رسمه بركاتكم

المخلص
 مداحم

بنا
الجه
الى
الص
الض
الض
افرية
عربي
والز
شرقي
د
وزير
بمناه
لدى
والمخ
النسو
الو
ير
الذي
الشباب
و
الفتو
النسو
النها
الشباب
العرب
ا
دم
بين
ايوة
على
والمنظر

اليضكاني يقدم استقالته للاركياني محذرا من المؤامرات ضد النظام الجمهوري

الوحدة الوطنية وتقرر مصير الشعب كما سبق أن اتفقتنا جميعا قبل استلامكم السلطة ، وعندئذ فقط يمكن أن ينطلق الصف الجمهوري الموحد حسب المفاوضة مع الملكيين حسب المبادئ التي ترضيها الاغلبية وهذا ما يؤيد رأيكم القائل بأن المجلس الجمهوري الحالي أن هو الا سلطة مؤقتة لفترة انتقالية محدودة ولذلك فانكم توافقون معنا على أن هذا المجلس بهذه الصفة المؤقتة لا يستطيع الانفراد بتقرير مصير البلاد بما قد يغير نظام الحكم فيها قبل الرجوع الى الشعب صاحب الحق الشرعي في ذلك .

واخيرا ، واحتفاظا بالصراحة التي نلتزم بها ، نصارحكم باننا لم يعد في وسعنا الآن القيام بأي عمل رسمي نافذ نتحصل مسؤوليته امام الله والتاريخ والشعب وسوف نغادر بيروت الى اقامه تنتظر ما ترونه لعلكم ترجعون اعادة النظر فتتعاون على تهدئة الخواطر وتحقيق الاستقرار واستتباب الامن وحسن الدماء والله بصدقكم ويرعاكم ويسدد خطاكم .

احركم
الدكتور عبد الرحمن البيهني

صادقة فان الذي ندعوكم اليه ان يبقى في الجمهورية متسع للجمهوريين اذ لا يجوز أن تكون عودة الملكيين الى الجمهورية مشروطا بابعاد الجمهوريين عنها الامر الذي لو استمر على هذا النحو لكان أقره القاتل هو تمكين الملكيين مع خلق جذور الجمهورية من أعماقها مستغلين مواقف السلطة فيها مما لا يقتصر خطره على الجمهورية وحدها وانما يهدد معها جمهورية اليمن الجنوبية الثقلية . علاوة على أن السلام لا يمكن أن يتحقق من مجرد احلال الملكيين مكان الجمهوريين بل ان ذلك من شأنه ان يؤدي الى المزيد من سفك الدماء بدلا من العمل على حقنها ، كما يؤدي الى تمزيق الوطن بدلا من الحفاظ على وحدته .

لذلك فاننا نقترح عليكم بصفة كونكم المسؤول الاول في الجمهورية ان تبسوا الدعوة الى عقد مؤتمر جمهوري داخل اليمن يحضره جميع الجمهوريين من اهل الحل والعقد الذين منهم في السلطة والذين هم مبعوثون عنها سواء المؤيد منهم والمعارض وذلك حتى تثبتق من المؤتمر قيادة جمهورية جماعية تحقق

من الجمهوريين بايد جمهورية القوات المسلحة واستشهاد المئات وما تبع ذلك من ابعاد واعتقالات وتصفيات شملت مؤسسات الجمهوريين عسكريين ومدنيين بينما ترحب الحكومة بمسودة الملكيين بدعوى ايمانهم المفاجيء بالنظام الجمهوري



ولا شك ان اقرار السلام هو امية عزيزة نتمناها جميعا حفاظا على الدماء انغالية وانتماعا بجهود أبناء اليمن جميعا للبناء والتعمير بما يحقق رفاهية الشعب كل الشعب دون ادنى تمييز ، لكننا وان كنا نرحب من حيث المبدأ بان تفتح الجمهورية صورها لكل من يعود من الملكيين عردة

بعث صغير اليمن في بيروت الدكتور عبد الرحمن البيهني رئيس المجلس الجمهوري قاضي عبد الرحمن الارباني لبرقية الاتية :
سيادة الاخ القاضي عبد الرحمن الارباني رئيس المجلس الجمهوري صنعاء .

شعورا بالمسؤولية التاريخية التي تحملناها معا يوم ٢٦ سبتمبر (ايلول) عندما اعلنا يوم الجمهورية باسم الشعب ، وفاء لارواح الشهداء الابرار الذين جادوا بارواحهم دفاعا عن الجمهورية ، فاننا نلفت ظركم الى حقائق خطيرة طلقنا فاكدت ان احداثا هيبية تعصف الان بالجمهورية لتي بعدما عجز اعداؤها عن اسقاطها عسكريا عن طريق الحرب لجأوا الى اجهاضها من الداخل عن طريق فتنة مؤقت الصف الجمهوري تحت تأثيرات واستفزات باطله اصطنعت والحزبية تارة والمطائفية تارة اخرى بينما كان القصد الوحيد من هذه الفتنة هو القضاء على جميع الجمهوريين . ومن ذلك ما حدث في مارس (آذار) الماضي وادى الى تصفية المقاومة الشعبية ثم تكرر في أغسطس (آب) وانتهى الي تمزيق

صحيفة المحرر اللبنانية في ٢٦ نوفمبر ١٩٦٨ (الصفحة الاولى)

بسم الله الرحمن الرحيم

في شهر يناير من عام ١٩٦٢ وقع بصري لأول مرة على اسم الدكتور عبد الرحمن البيهاني على صفحات مجلة "روزاليوسف" تحت مقال بعنوان "جذور المأساة"

اثار العنوان فضولي وما ان شرعت في قراءة السطور الاولى منه حتى هـز مشاعري واعتصر قلبي المآل حال شعب بأكملة لم اكن اعلم من اموره شيئا سوى انه يعيش معتكفا داخل حدود قطر عريش اشتهر وقتئذ باسم "اليمن السعيد" !!

وفي الاسبوع التالي وقع بصري على مقال آخر للكاتب نفسه في المجلة ذاتها بعنوان "المورفين يحكم اليمن" فتلقفته مطالعا في شغف سطوره التي كشفت عن وجعية ذلك الشعب المنكوب وفجيعة في نظام حكمه الامامي *

نجح الدكتور البيهاني في ان يشد انتماي شدا نحو متابعة سرده وتحليله لاسباب مأساة ذلك الشعب العربي الشقيق فوجدتني ارقب في لهفه مقالاته التي توالى نشرها بانتظام تلهب ظهر النظام الامامي بسيطا من نار وتحمل في الوقت ذاته السى مسامح الامة العربية بأسرها انات ذلك الشعب وصرخاته المكتومة التي مست منى شغاف القلب حتى وددت حقا ان اكون يعنيا اشارك بكل ما اوتيت من قوة من اجل خلاص ذلك الشعب من محتله *

لم تمض سوى ساعات قليلة على قيام الدكتور البيهاني باذاعة آخر ندائه للثورة اليمنية من اذاعة صوت العرب بالقاهرة حتى وقعت المعجزة وتفجرت فسى ليلسة السداس والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٦٢ الثورة التي كان الرجل يدعو اليها بكل بغسة مسن بهسات قلبه *

ولم اكن اعلم وقتئذ ان وراء تلك الثورة التي فوجى بها العالم العربي والمعسكران الشرقى والغربى وورا اسراع مصر الى مساندتها قصة مثيرة جبرست احداثها متزامنة على ارض اليمن وارض مصر وكان في مقدمة ابطالها الدكتور عبد الرحمن البيهاني *



— ٢ —

نعم لم اكن اعلم شيئا عن احداث تلك القصة ، وان شئت فقل تلك الملحمة التاريخية — حتى شاء القدر ان اصل الى ارض اليمن في السادس من مارس سنة ١٩٦٣ مبعوثا من القاهرة لباشر مهمتي مستشارا للجمهورية اليمنية ومشرفا على المعونة الفنية المصرية لليمن ، وكان اژاما على حتى استطيع مباشرة مهمتي بأكبر قدر ممكن من الفاعلية والنجاح ان ادرس بعناية كل كبرة وصغيرة عن تلك الثورة واعضاء مجلس قيادتها عسكريين ومدنيين والوزراء ونوابهم والعديد من رجالات اليمن الاحرار على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم السياسية والاجتماعية ، وكذلك اعضاء السفارة المصرية وهباط القيادة العامة للقوات المصرية ورجال المخابرات العامة •

من خلال تلك القنوات الزاخرة بالعديدة تلقت كل ما كنت اصبو الى معرفته مسبقا من معلومات واضعا نصب على دراسة كل معلومة منها وتمحيصها على ضوء عوامل عدة تنتهي بي اما الى استبعادها او الاطمئنان الى صحتها •

وقد تكشف لي من جماع تلك المعلومات العديد من الحقائق ، كان في موقع القمة منها ان ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ لم تكن سوى النبتة الطيبة التي ما كان يمكن ان توجد اولا جذورها العميقة التي غذتها وشكلتها ثم حملتها ودفعت بها الى ما فوق سطح الارض لتأخذ مكانها تحت الشمس •

وكان يديها وانا بصدد دراسة للثورة اليمنية الا اكتفى بمظهر الامور دون مظهرها فسميت بعدها وراء جذورها ، للوقوف على حقيقة ما كان يجري في الخفاء او العلى من تحركات الوطنيين من احرار اليمن داخلها وخارجها في السنوات التي سبقت ليلسة السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢ تلك التحركات التي اتسم الكثير منها بالجسرة والغداية وجهات من صانعيها الذين حملوا رؤوسهم على اكفهم ، رجالا اشتروا حريسة شعبهم العريق بدمائهم وعرقهم واموالهم والعديد من ايام عمرهم ، وكان الدكتور البيضاى على رأس قائمة هؤلاء الرجال الذين كنت اتوق الى معرفة دورهم في ملحمة الكفاح العرير من اجل تحرير شعبهم لاسيما وانه الرجل الذي تأثرت بدعوته الملح الى الثورة والسدى



- ٣ -

قرأت مقالاته الصحفية بالقاهرة وكأنيها المعاول تنهال على أركان النظام الامامي وسمعت صوته على موجات الاثير يحمل صرخات شعبه وانيته الى كل مكان في العالم العربي •

انسابت المعلومات من عشرات المصادر المصرية والبنية الموثوق بها سواء تلسلك التي كانت تكن للرجل كل الحب والتقدير وتلك التي ناصبته العداء لسبب او لاخبر • وكانت خلاصتها قصة كفاح وطني تأخذ بالالباب وتثير في النفس كل مشاعر التقدير والا عجب برجل نذر حياته لقضية بلاده واحب وطنه حبا ملاء عليه حياته • لم ينبع هذا الحب من فراغ ولا كان وليد صدفة عياء وانفعال طاريء وانما تسلسل هذا الحب الى قلبه منذ كان صبيا يتلقى عن ابيه واصحاب ابيه تاريخ ارض آبائه واجداداه فظل على مر الايام والليالي ينهل من تلك البنايع الزاخرة حتى امتلاء فؤاده بحسب بلاده وتمكنت معتقهسا من قلبه ثم انصهرت فيه وذابت في دمايه فامسى فتانا طيلا بحب وطنه يعاني ما يعانيه هذا الوطن ويشقى بما يشقى فكانت مأساة شعبه هي عين غلته ودائمه •

ولكن كيف السبيل الى الشفاء والقضاء على العلة والداء ؟

تلك كانت المشكلة التي هيمت على حياة الدكتور البيضاوي منذ فجر صباه • وقر في نفس الفتى ان الجهل الذي فرضه النظام الامامي جيلا بعد جيل على ابناء شعبه فاورثهم الفقر والمرض كان هو اصل العلة وببت الداء •

ومن هنا ومن اجل وطنه المغلوب على امره انطلق الفتى يلتهم العلم ويهمل من بناييع المعرفة حتى حصل على ارفع الدرجات العلمية ، دبلوم في المحاسبة والتجارة ولبساس الحقوق ودبلوم الدراسات العليا في الاقتصاد السياسي ودبلوم الدراسات العليا في الشريعة الاسلامية من جامعة القاهرة وبكالوريوس العلوم المالية والاقتصادية ودكتوراه في الاقتصاد السياسي من جامعة بون بالمانيا الغربية •

ومن اجل اليمن اتخذ الشاب من علمه وثقافته العالية مدخلا لنجح من خلاصته في اكتساب ثقة الامام احمد على امل اصلاح اليمن عن طريقه باعتباره وقتئذ القسوة الوحيدة على ارض اليمن التي يمكن اذا ما نجح في علاجها وتطويعها وترشيد ما في



— ٤ —

مواده ان تكون اداة اصلاح الذى كان الشاب يشده لبلاده ولم يفت الشاب وهو يسير على هذا الدرب ان يتفحص بعين ذكية من تومس انهم من الكاظمين الغيظ الظالمين الصامتين من ابناء شعبه على هموم وطنهم وعمل على توثيق صلاته بهم واكتساب ثقافتهم •

تكشف للشباب من خلال محاولاته المضنية مع الامام ان اصلاح العشود لن يتحقق فى ظل النظام الامامى فانتهى به تفكيره الى اليقين بأن الامراض أصبحت يقتضئ تغييرا جذريا يطيح بالنظام الامامى ذاته على يد قوة عسكرية وطنية مدرية ومزودة بالسلاح الثقيل •

ولكن كيف السبيل الى تحقيق هذا الحلم ؟

كيف السبيل الى خلق تلك القوة العسكرية النظامية المدربة والامام احمد لا يقبل بدلا فى حمايته وتوطيد نظامه عن قواته المسلحة بالبنادق والرشاشات والمشككه اساسا من رجال القبائل المواليه له ؟

وحتى اذا ما تحقق ذلك فى الببال والخيال فكيف السبيل الى جلب السلاح الثقيل الى داخل اليمن الذى احكم اغلاقه الا من مينائين صغيرين لا يصلحان بحمال لاستقبال مثل ذلك العتاد ؟

كيف السبيل الى كل ذلك ؟ ومع من ؟ مع الامام احمد الذى يرفع راية عزلة اليمن ومن حوله حشد من عتاة الرجعية يباركون ذلك الشعار ويسبحون بحمده ليهل بهمار ؟

كان التفكير فى كل تلك العقبات كفيلا باغراق اشد الناس تفاؤلا فى لجة من اليأس المرير • ولكن اليأس لم يجد منفذا الى قلب الشاب الذى فاض بالتصميم والاصرار على بلوغ هدفه •

كيف استطاع الدكتور البهيسانى ان ينجح فى تحقيق الخطوات التى ادت الى اقامة ميناء حديث فى الحديدة وبناء طريق عصرى من الحديدة الى صنعاء وكيف نجح فى تدبير

البهيسانى

— ٥ —

جلب الاسلحة الحربية الثقيلة الى اليمن وتدريب عدد من ضباط وصف ضباط الجيش
اليمنى عليها على يد المدربين المصريين ؟

استطاع الدكتور البيضانى ان يسبح ضد التيار الجارف وان يتخطى هذا الكم
الرهيب من العقبات وينجح فى وضع المقدمات الضرورية والمقومات الاساسية للتغيير
الجزرى فى اليمن فتحقق الامل وقامت الثورة التى نذر حياته من اجلها يوم ٢٦ سبتمبر
سنة ١٩٦٢ فشغل اهم مواقعها حيث تقلد مناصب نائب رئيس مجلس قيادة الثورة ونائب
رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء ووزير الاقتصاد ثم الخارجية •

وانطلق الدكتور البيضانى متحملاً قيادة مسيرة الامة الغالية والمسئولية التاريخية
فى حماس وطنى ونشاط مدروس واع يعمل فى غير كلل او ملل على تصحيح وتنظيم اوضاع
القيادات العسكرية والسياسية وتحديد مساراتها بما يكفل امن الثورة الوليدة —
تكثيف جهود السياسة والاقتصادية فى حنكة ومهاره ليصل بوطنه الى بر الاستقرار
العسكرى والسياسى والدهوى ببلاد • اقتصاديا وعمرانيا •

واخيرا لا اود ان اسهب فى بسط انطباعاتى الشخصية عن الدكتور البيضانى واكتفى
هنا بذكر حقيقة واحدة لا يمارى فيها احد ممن صادقوا الرجل او ممن ناصبوه العداة
وهى انه يتمتع بشخصية قوية وعقلية فذة تتوهج بذور العلم والمعرفة والفكر المستنير الواعى
الذى خلق منه سياسيا محنكا يضع لكل خطوة حساباتها الدقيقة وكأن عقله قد امتلأ
بأجهزة حساسة تتحكم فى معدلات سرعة تحركاته بالتوافق مع الامكانيات المتاحة والروميه
الموضوعية لما يواجهه من مشاكل •

وعندما ترك السلطه فى اليمن للاسباب الموثقة فى هذا الكتاب كان قلبه معلقا بما
يجرى على ارض اليمن يوما بعد اخر فيبادر كلما اقتضى الامر ببذل نصائحه السياسيه
والاقتصادية الى القائمين على شئون الحكم فى وطنه • كما ظل قلبه فى الوقت ذاته معلقا
بأزمة وطنه العربى الكبير فهو لم يدس قط ان اليمن جزء لا يتجزأ من امته العربيه يصيبه
ما يصيبها من شر او خير •

ومن هنا بدأت دعوته الى التضامن العربى والانطلاقه القومية فى مقالات رائعه افردت لها جريدة " اخبار اليوم " المصرية صدر صفحاتها تناول فيها بالشرح والتحليل قومية الخطر وقومية الفكر وقومية الارادة وقومية الهدف • فكان لدعوته صداها العميق فى كل مكان وخاصة لدى الاوساط العلمية والثقافية التى دعت الى القاء المحاضرات واجراء الحوار السياسى مع المهتمين بشئون الوطن العربى المتطلعين فى لهفه الى يوم الخلاص من ازمته الراهنه •

ولعل الدكتور عبدالرحمن البيضاى قد ارتأى ايضا وهو يحس بكل جوارحه ما تعانيه امته العربية وهى تمر باشد ما مرتها من ازمات فى تاريخها ان يضع — من خلال تجاربه وسيرته الذاتية — تحت انظار اخوته من ابناء وطنه اليمنى خاصة وابناء امته العربية عامة العديد من الحقائق التاريخية الموثقة غير مستهدف بذلك توثيق حقائق احداث الماضى فحسب وانما ايضا تمهيد وانارة الطريق الى المستقبل •

حقائق تكشف عن موسوعة هائلة من اسرار ثورة اليمن وخباياها ومسيرة احداثها السياسية والعسكرية وتحدد موقعها من الصراعات السياسية العربية الدولية •

حقائق تكشف عن جذور ازمة الامة العربية وما يواجهها من تحديات مصيرية خططها فريق متكامل من اعدائها لاستنزاف ثرواتها وامتناس خبراتها وتركها تتحدر الى الهاوية • حقائق مقرونة بعرض الحلول العلمية العملية التى تكفل اجتياز تلك الازمة ووضع حدا لها والدعاة من مضاعفاتها •

حقائق تُلَقِّف ما يَأْكُـوْن •

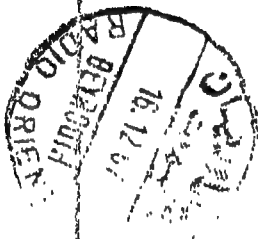
فكان هذا المؤلف اللغز (ازمة الامة العربية وثورة اليمن) يضع بين ايدينا هذه الموسوعة العظيمة من الحقائق الموثقة مصحوبة بتحليل سياسى علمى يفرس الى اعماق كل مشكلة فيخرج لنا بوجه الحقيقة فيها ، كل ذلك فى اسلوب ممتع شيق اخاذ •

جازى الله الدكتور عبد الرحمن البيضاى خيرا عما افناه من سنين عمره مجاهدا فى سبيل تحرير وطنه ووفقه الله فى دعوته الخالصة الصادقة الى ما فيه خير وطنه وامته العربية •

نائب رئيس مجلس الدولة المصرى ومستشار رئاسة الجمهورية المصرية سابقا .

الجمهورية اللبنانية - وزارة البريد والهاتف

طريق راديو لوريان	الساعة	التاريخ	كلمات	المستوى	التكلفة	المنزل
راديو لوريان	١١٠٠	١٦	٢١/٢٢	XXXXXX	1987	١١٠٠
بيروت - دار البريد والهاتف						
بقية لاسلكية						



حكومي الدكتور محمد الرحمن المصطفى بيروت

اشكركم على تهنيتكم لاختراكم ببولك جمهورية الجنوبية الشعبية ونشألك الى مفه خبير
بلافا راسا =

تخطيط الشعبي

رئيس جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية

الجمهورية العربية اليمنية
وزارة الخارجية
مكتب الوزير

الاح الدكتور عبد الرحمن البيضانى المحمـــــــــــــد ترم
القــــــــــــاهرة

تحية الأوفياء وبهم :

تسلمت بتقدير بالغ رسالتكم مؤرخة ٢ فبراير ١٩٢٦م .
وقد كتبت اليوم للاح محمد شكرى بسرعة تأكيد ترشيحكم لمنصب الامين العام المساعد
للجامعة . . والتحرك داخل مجموعة الدول الاعضاء لاقناع الامين العام بالتخلي
عن قساره بتجميد الميزكـز .
كما أخذت علما بموجهة نظركم بخصوص بعض تصرفات الاخ ابراهيم الكبسى .
والحقيقة أن تعليمات الاخ الرئيس وتوجيهاته للجميع أن يرتفعوا فوق الخلافات
والاحقاد وأن يتعاونوا على بناء دولة النظام والقانون في ظل اليمن الجديـد
الذى هو ملك كل أبناء اليمن .
وسوف يتم التحقيق مع القائم بالاعمال في واشنطن حول تجاوزه لاعلانه بأنكم مطلوبون
للاعدام وأن جوازكم مزور . . وهذه بيانات ملفقة وغير لائقة بأن تصدر عن مسؤول يمتنى
واننى أرحب بكم في وطنكم عند العزم للزيارة كما أشرت في خطابكم - م
وربما تجدون فرصة مبكرة لزيارة الرئيس خلال زيارته القادة للقاهرة .
وحتى نراكم . . تقبلوا خالص الشكر والتقدير ، ، ، ،

أخبركم -
عبد الله عبد المجيد الأصم

وزير الخارجية

صفحة من مذكرات بخط الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر

وبقيت أنا أراجع (أتشفع) على الوالد والأخ حميد لأنه قد تم القبض على حميد في الجوف وأوصلوه على طائرة ومعه الشريف على الضمين ومشايخ الجوف الذي سلم نفسه في وجههم ولكن المراجعة والمقايير (القرابين) لم تجد نفعا فقد كانت جوابات الإمام على سافرة بأنه لن يبقى على رأس ولن يبقى على بيت من بيوتنا ولن يبقى على شجرة بن من مزارعنا . وجواب آخر خطي قال فيه (ما من مقدر حذر ولا من مقسوم حيلة) واستجندت حينها باليد وأقنعني بأنه لا يستطيع أن يعمل شيئا . وفي وقتها أخبرني الدكتور البيضاني بأن البدر أقنعه بأنه لا يستطيع أن يراجع (يتشفع) على أحد مهما كانت صداقته . واقترح الأخ البيضاني علي أن أهرب معه إلى الخارج فرفضت ذلك ، ولكنه هرب حينها إلى مصر ، وبعد ذلك ألقى الإمام القبض علي وأرسلني إلى سجن القلعة بالحديدة الذي كان فيه الأخ حميد ووصلت القلعة وقد نقلوا الأخ حميد إلى حجة حيث تم إعدامه بعد وصوله حجة بساعات مع الشهيد عبد اللطيف بن قائد راجح ، وبعد مضي أسبوعين من إعدام الأخ حميد تم إعدام الوالد في نفس المكان في قاهرة حجة . أما أنا فقد نقلوني من سجن الحديدة إلى حبس المحابشة حيث قضيت فيها ثلاثة وثلاثين شهرا حتى قامت الثورة وخرجت من السجن صباح يوم الجمعة تاني يوم الثورة ، ودخلنا فيما دخلنا فيه من النضال للدفاع عن الثورة والجمهورية .

وتلها وثيقة بخط الشهيد الأستاذ محمد محمود الزبيري موجهة إلى الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر في مارس ١٩٦٥ يناشده فيها إنقاذ النظام الجمهوري . وفي أعلاها تعليق بخط الأستاذ أحمد محمد نعمان من جبل برط شمال نزه اليمن قبيل أيام من احتيالي الشهيد الزبيري .

وبقيت أنا أراجع على الوالد والأخ حميد لأنه قد تم القبض على حميد في الجوف وأوصلوه على طائرة ومعه الشريف على الضمين ومشايخ الجوف الذي سلم نفسه في وجههم ولكن المراجعة والمقايير (القرابين) لم تجد نفعا فقد كانت جوابات الإمام على سافرة بأنه لن يبقى على رأس ولن يبقى على بيت من بيوتنا ولن يبقى على شجرة بن من مزارعنا . وجواب آخر خطي قال فيه (ما من مقدر حذر ولا من مقسوم حيلة) واستجندت حينها باليد وأقنعني بأنه لا يستطيع أن يعمل شيئا . وفي وقتها أخبرني الدكتور البيضاني بأن البدر أقنعه بأنه لا يستطيع أن يراجع (يتشفع) على أحد مهما كانت صداقته . واقترح الأخ البيضاني علي أن أهرب معه إلى الخارج فرفضت ذلك ، ولكنه هرب حينها إلى مصر وبعد ذلك ألقى الإمام القبض علي وأرسلني إلى سجن القلعة بالحديدة الذي كان فيه الأخ حميد ووصلت القلعة بعد وصوله حجة بساعات مع الشهيد عبد اللطيف بن قائد راجح ، وبعد مضي أسبوعين من إعدام الأخ حميد تم إعدام الوالد في نفس المكان في قاهرة حجة . أما أنا فقد نقلوني من سجن الحديدة إلى حبس المحابشة حيث قضيت فيها ثلاثة وثلاثين شهرا حتى قامت الثورة وخرجت من السجن صباح يوم الجمعة تاني يوم الثورة ، ودخلنا فيما دخلنا فيه من النضال للدفاع عن الثورة والجمهورية .

شهادة ارسلة من ابراهيم بن محمد بن
عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن
عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن

بسم الله الرحمن الرحيم

والله اعلم بالصواب الذي ارجو ان يكون

الحق والعدل والبر والحق والعدل والبر

والعدل والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر

والعدل والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر

يا بني الكريم

والعدل والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر

والعدل والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر

والعدل والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر

والعدل والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر

والعدل والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر

والعدل والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر

والعدل والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر

والعدل والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر

والعدل والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر

والعدل والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر

والعدل والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر

والعدل والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر

والعدل والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر

والعدل والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر

وثيقة رقم ٤٣

٩٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم



نادى أعضاء هيئة التدريس

١٥ شارع لعلى السيد بالشاوي

تليفون ٧٣٥٣٦

الاسكندرية في ٦/١ سنة ١٩٧٥

السيد الدكتور عبد الرحمن الببضاني
نائب رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء اليمنى السابق

تحية طيبة وبعد

يسر مجلس الادارة أن يتقدم لسيادتك بالنيابة عن أسرة النادى
بخالص الشكر والتقدير لتبليغكم دعوتنا مساء الثلاثاء ٢٧/٥/٧٥.

كما يسرنا أن نبليغ سيادتك فخر أعضاء النادى وامتنانهم
لما استمتعوا به فى هذا اللقاء من احاديث شريفة وفريدة.

بأنى اذ أكرم لسيادتك وأفر الشكر وأرجو لشخصكم الكريم موفور الصحة
والسعادة.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

رئيس مجلس الادارة

(١٠٠ د . محمد عبد الدين الصاوى)

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمر
مكتب الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

السيد الأستاذ الفاضل الدكتور عبد الرحمن البهاني

معهد

سلام الله عليكم ورحته وبركاته

فان كتابكم " لهاذا نرفض الماركسية " يعتبر عملاً مجيداً رائعاً ٠٠٠ وموفقاً إسلامياً ناصحاً ٠٠٠ ومجهوداً صادقاً في رحاب الفكر والمعرفة ٠٠٠ لما فيه من إبراز لعظمة الاسلام ٠٠٠ واعتزاز بالقومية العربية ٠٠٠ وتركيز على ترسيخ العقيدة الدينية السامية ٠٠٠ التي تقوم على الحق والعدل والخير والاخاء والمساواة ٠٠٠ والتي جاء بها نبينا صلوات الله وسلامه عليه لينقذ البشرية من وهدة الجهل والفساد والباطل والضلال ٠٠٠ ويرتقى بها الى ذروة العلم والنور وآفاق اليقين والايمان ٠٠٠ وليضع الأسس القوية التي تضمن للناس سعادتهم وكرامتهم في الدنيا والآخرة ٠٠٠ بعد تحصينهم من آفات الكفر والالحاد ٠٠٠ وحمايتهم من التخطي والتفريط في مناهات الزيف والانحراف ٠٠٠ وحفظهم من تيارات الأفكار الفاسدة التي تقوم على المادية الجرداء الخالية من روح الايمان ٠٠٠ والتي تفصل الانسان عن ربه ليتبدد على خالقه تحت شعارات زائفة ٠٠٠ ظاهرها فيه الرحمة ٠٠٠ وباطنها بيه الهلاك والخسران ٠٠٠ عن طريق التشكيك والعبث بالمعقول والقلوب ٠٠٠ وذلك كما في المذهب الماركسي الذي يستهدف تفويض العقيدة الدينية المقدسة ٠٠٠ واذابة خضرة الأمة العربية التي تميزها عن غيرها ٠٠٠ حيث اعتبر النظم التي لا تقوم على الصراع الطبقي ٠٠٠ والقضاء على الخصائص الفردية الروحية والقومية الروابط الدينية والاجتماعية نظماً رجعية ٠٠٠ الى غير ذلك من المفاهيم السقيمة الفاسدة ٠٠٠

من أجل هذا جاء كتاب " لهاذا نرفض الماركسية " بحثاً قيمياً ٠٠٠ حافلاً باليقين ٠٠٠ زاخراً بالمنطق السليم بالقول السديد ٠٠٠ والفكر الوضيء ٠٠٠ والتوجيه الرشيد ٠٠٠ بعد اظهار طاغوت الشيوعية الشرسة التي تحاول شر انيابها في جسد مجتمعنا الطاهر ٠٠٠ وكشف نواياها الخبيثة التي ترمي الى اطفاء جذوة الايمان ٠٠٠

وفضلاً عما يتميز به الكتاب من سلامة الأسلوب ٠٠ وجمال التعبير ٠٠ وروعة التصوير ٠٠ فانه يقوم على الحجج الدافعة ٠٠ والبراهين القاطعة ٠٠ والأدلة الساطعة ٠٠ التي تمكنت من تقويض المزاعم والأباطيل ٠٠ وهندم ركائز الادعاءات والأضاليل ٠٠٠

وهذه طبعاً عرفت في مؤلف الكتاب من توجه العقل ٠٠ وتوقد الذهن ٠٠ وبعد النظر ٠٠ واتساع الافق ورحابة الفكر ٠٠ فجزاه الله خير الجزاء ٠٠ وأطيب المعطاء ٠٠ بقدر ما بذل وضحى في سبيل الدين والحق والخير ٠٠٠ ولايسعنا الا أن نشكركم من أعمقنا على عملكم الموفق ٠٠ وجهدكم الباسل ٠٠ واخلاصكم لديننا لحنيف ٠٠ وتضحيتم الجليله في سبيل مقاومة الكفر والالحاد ٠٠ وتبديد غيوم الباطل والضلال ٠٠ والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ٠٠٠

وشيقة رقم ٢/٤٤

٩٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر
مكتبة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

- ٢ -

كما يطيب لنا أن نبلغكم امتنان فضيلة الامام الأكبر الدكتور محمد عبدالرحمن بيهار شيخ الأزهر
بقديره لموقفكم النبيل .. وقصدكم الشريف .. وهدفكم الكريم ... وشكوه لسيادتكم على ما قد تم ...
لأساتذة وطلاب الأزهر من الأعداد الهائلة من كتابكم الوارف النافع هدية خالصة ...

حفظكم الله ورعاكم .. وثبت على دروب النور خطاكم ... انه سيح مجيب .. وهو نعم المولى ونعم
النصير

المدير العام للاعلام

"جابر حنظل"



١٤٠٤
١٤٠٥

فهرس المحتويات

صفحة	
٩	تمهيد
١١	مدخل
٢٠	شهادة للتاريخ
٢٣	الفصل الأول : الهجرة فى طلب العلم
٤٥	الفصل الثانى : فى البلدة الطيبة
٧٧	الفصل الثالث : الطريق إلى الإصلاح
١١٣	الفصل الرابع : وراثة النبى
١٤٧	الفصل الخامس : الأحرار القدامى
١٨١	الفصل السادس : الصيحة الكبرى
٢٤٣	الفصل السابع : تنظيم الثورة
٣١٥	الفصل الثامن : بركان ألف ومائة عام
٣٤١	الفصل التاسع : صراع للشعارات العربية
٣٨٧	الفصل العاشر : الوعد الحق
٤٢٧	الفصل الحادى عشر : جذور الخلاف
٤٦١	الفصل الثانى عشر : السياسة والحرب
٥٣٣	الفصل الثالث عشر : نجاح سياستنا الدولية
٥٧٣	الفصل الرابع عشر : خديعة الأصدقاء
٦١٩	الفصل الخامس عشر : الفرص الضائعة
٦٨٩	الفصل السادس عشر : سيف الشرق ومقصلة الغرب
٧٢٣	الفصل السابع عشر : مراجعة النفس
٧٥٣	الفصل الثامن عشر : المأساة العربية
٧٨٧	الفصل التاسع عشر : شعاع الفجر
٨٣٥	الفصل العشرون : المستقبل العربى

الوثائق

٨٦١	الوثيقة رقم ١ : رسالة للمؤلف من الفريق حسن العمرى
٨٦٢	الوثيقة رقم ٢ : شهادة عالمية الأزهر الخاصة بوالد المؤلف
٨٦٣	الوثيقة رقم ٣ : رسالة إلى المؤلف من النقيب محمد قائد سيف قبل إنقلاب سنة ١٩٥٥
٨٦٤	الوثيقة رقم ٤ : رسالة إلى المؤلف من النقيب محمد قائد سيف بعد فشل إنقلاب سنة ١٩٥٥ ...
٨٦٥	الوثيقة رقم ٥ : حديث المؤلف فى مجلة الطليعة اليمنية
	الوثيقة رقم ٦ : رسالة من طالب الكلية الحربية على الجائفى إلى كبير المعلمين الرائد
٨٦٧	صلاح المحرزى
	الوثيقة رقم ٧ : رسالة من طالب الكلية الحربية حمود بيدر إلى كبير المعلمين الرائد
٨٦٨	صلاح المحرزى
	الوثيقة رقم ٨ : صفحات من مذكرات اللواء صلاح المحرزى وكيل المخابرات العامة
٨٦٩	المصرية السابق

فهرس المحتويات

- الوثيقة رقم ٩ : رخصة حمل السلاح الألمانية الصادرة بعد الحكم على المؤلف بالاعدام ٨٧٢
- الوثيقة رقم ١٠ : تقديم الأستاذ أحمد محمد نعمان للمؤلف في كتابه (ألعيب متوكلية) ٨٧٣
- الوثيقة رقم ١١ : شهادة الدكتوراة بدرجة شرف الخاصة بالمؤلف ٨٧٤
- الوثيقة رقم ١٢ : رسالة الأستاذ محسن العيني إلى الأستاذ بشراحيل رئيس تحرير مجلة عدن ٨٧٥
- الوثيقة رقم ١٣ : رسالة إلى المؤلف من الأستاذ محمد علي الأسود ٨٧٦
- الوثيقة رقم ١٤ : رسالة من المؤلف والأستاذ أحمد محمد نعمان والأستاذ محمد محمود الزبيري إلى الرئيس جمال عبد الناصر ٨٧٧
- الوثيقة رقم ١٥ : رسالة إلى المؤلف من الأستاذ علي الأحمدى رئيس الاتحاد اليمني في عدن .. ٨٧٩
- الوثيقة رقم ١٦ : رسالة إلى المؤلف من رئيس وأعضاء نادى شباب العدن بعدن ٨٨٠
- الوثيقة رقم ١٧ : وثيقة تخطيط الثورة اليمنية ٨٨١
- الوثيقة رقم ١٨ : فقرات من مذكرات الفريق أول صلاح الحنيدى مدير المخابرات الحربية المصرية سابقاً ٨٨٣
- الوثيقة رقم ١٩ : قوائم تنظيمات الثورة اليمنية ٨٨٤
- الوثيقة رقم ٢٠ : برقية المؤلف إلى الملازم أول علي عبد المغنى مع برقية المؤلف إلى الأستاذ عبد الغنى مطهر ٨٨٥
- الوثيقة رقم ٢١ : رسالة الأستاذ عبد الغنى مطهر إلى العقيد حسن العمرى ٨٨٦
- الوثيقة رقم ٢٢ : تشكيل أول وزارة جمهورية عند قيام الثورة ٨٨٧
- الوثيقة رقم ٢٣ : فقرات من مذكرات الفريق أول صلاح الحنيدى مدير المخابرات الحربية المصرية سابقاً ٨٨٨
- الوثيقة رقم ٢٤ : حديث الأستاذ محمد عبد الله الفسيل في مجلة الحوادث اللبنانية ٨٨٩
- الوثيقة رقم ٢٥ : تعليق السيد الدكتور بطرس غالى في مجلة الأهرام الاقتصادية ٨٩٠
- الوثيقة رقم ٢٦ : رسالة إلى المؤلف من الرئيس محمد أنور السادات ٨٩١
- الوثيقة رقم ٢٧ : وثائق أول دستور لليمن بعد الثورة ٨٩٢
- الوثيقة رقم ٢٨ : رسالة إلى المؤلف من الرئيس السلال - وفي نفس الصفحة المسودة الأصلية لاستقالة المؤلف من منصب نائب رئيس الجمهورية ٨٩٩
- الوثيقة رقم ٢٩ : رسالة من الأستاذ محمد سالم باسندوة إلى الرئيس محمد أنور السادات ٩٠١
- الوثيقة رقم ٣٠ : برقية من الرئيس عبد الله السلال إلى الرئيس جمال عبد الناصر ٩٠٢
- الوثيقة رقم ٣١ : صفحة من تقرير سري للأستاذ محمد عبد الواحد القائم بالأعمال المصرى فى اليمن ٩٠٣
- الوثيقة رقم ٣٢ : صفحة أخرى من تقرير سري للأستاذ محمد عبد الواحد القائم بالأعمال المصرى فى اليمن ٩٠٤
- الوثيقة رقم ٣٣ : صفحة ثالثة من تقرير سري للأستاذ محمد عبد الواحد القائم بالأعمال المصرى فى اليمن ٩٠٥
- الوثيقة رقم ٣٤ : صفحة رابعة من تقرير سري للأستاذ محمد عبد الواحد القائم بالأعمال المصرى فى اليمن ٩٠٦
- الوثيقة رقم ٣٥ : رسالة إلى المؤلف من الأستاذ محمد راجح رئيس الجالية اليمنية فى بريطانيا ٩٠٧
- الوثيقة رقم ٣٦ : وثائق القبائل اليمنية تحمل الرئيس جمال عبد الناصر المسئولية وتطالبه بعودة المؤلف إلى اليمن ٩١٠

فهرس المحتويات

- الوثيقة رقم ٣٧ : رسالة من الملازم أول على عبد المغنى إلى النقيب عبد الله جزيلان ٩١٨
- الوثيقة رقم ٣٨ : إستقالة المؤلف من منصب سفير اليمن فى لبنان ٩١٩
- الوثيقة رقم ٣٩ : صفحات من مذكرات الأستاذ فؤاد أبو العيون نائب رئيس مجلس الدولة
المصرى ومستشار رئاسة الجمهورية سابقا ٩٢٠
- الوثيقة رقم ٤٠ : برقية إلى المؤلف من الرئيس قحطان الشعبى ٩٢٦
- الوثيقة رقم ٤١ : رسالة إلى المؤلف من الأستاذ عبد الله الاصنج وزير خارجية اليمن ٩٢٧
- الوثيقة رقم ٤٢ : صفتان عن جهاد بطل اليمن الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر ٩٢٨
- الوثيقة رقم ٤٣ : رسالة إلى المؤلف من الأستاذ الدكتور رئيس نادى هيئة التدريس
بجامعة الاسكندرية ٩٣٠
- الوثيقة رقم ٤٤ : رسالة إلى المؤلف من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر ٩٣١

التمن :

سنة جنيهات مصرية داخل جمهورية مصر العربية
وخمسون ريالاً يعنى (أو ما يعادل ذلك) فى بقية دول العالم

أسرار.. ووثائق

كيف توقف الاجتهاد الإسلامي فاجتهدت الماركسية والبعثية والناصرية.

كيف اشتركت مصر في التمهيد لثورة اليمن تسع سنوات قبل قيامها.

كيف اتفوه الشرق والغرب على استغلال الخلافات العربية.

كيف خططوا للنكسة ١٩٦٧.. التي تستهدف كل العرب.

كيف اتحد العرب فقادت مصر معجزة ١٩٧٣ وماذا أصابنا بعدها.

كيف أصبحنا تنفوه إذا أراد الغزاة.. ونختلف إذا أمروا.

كيف لا نعرف أننا نحفر بأيدينا قبرنا.

وقبر من سوف

يأتي بعدنا.

كيف أصبح
مأثرنا مأساة
ومستقبلنا
كارثة

مقاتلوه أضعفها أمام التاريخ..

ومهللوا أطرعها على المفكرين..

لعلنا نهتدي إلى أهل ضناغ..

إلى..

تفرقنا وفتلقنا

فمن علينا عذاب

عظيم

إلى

إننا الجلازون

والضحايا